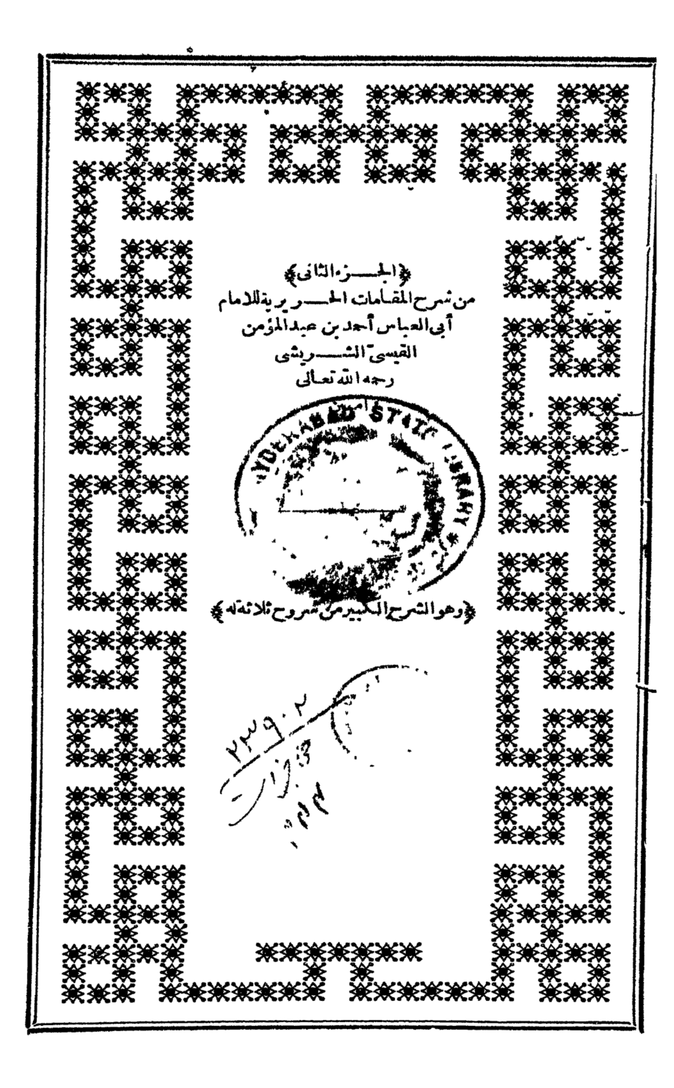
(تمت)

(تنبيه) وقع غلط في تعقيبة ملزمة ٣٢ وقال والصواب هل وكذلك وقع في نمر ملزمة ٢٣ ٢٧٧ الى آخر الملزمة والصواب ١٧٧ الى آخرها وكذلك في التراجم التي بالهامش في نمرة ٢٠٤ ذكر دلامة والصواب ذكر أبي دلامة وفي نمرة ٢١٩ ترجمة أبو عمرو بن العلاء والصواب أبي عمرو الخ وكذلك في نمرة ٢٦٠ حكاية بن المغازل والصواب حكاية ابن المغازلي وكذلك في نمرة ٣٠٧ ماقيل في وصف الجيد والصواب الجيد



﴿الجزء الثاني﴾

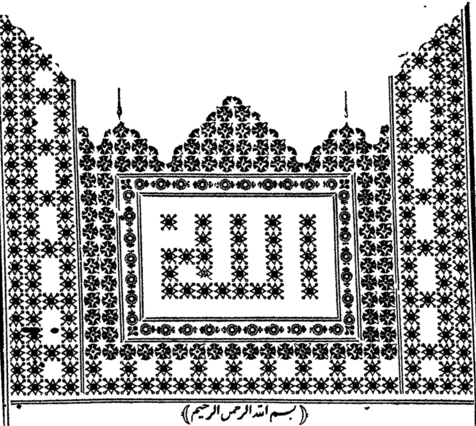
من شرح المقامات الحريرية للإمام

أبي العباس أحمد بن عبد المؤمن

القيسي الشريشي

رحمه الله تعالى

﴿وهو الشرح الكبير من شروح ثلاثة له﴾



﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿شرح المقامة الرابعة والعشرين النحوية﴾

(عاشرت) صاحبت (قطيعة الربيع) بلد معروف والربيع حاجب المنصور ومولاه وهو الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة وكان أقطعه المنصور بلدا بالعراق فبناه وبنى الناس معه حتى صار فيه عمارات كثيرة وهي محلة قريبة من كرخ بغداد في أعلى غربية بغداد فنسبت الى الربيع (ابان) وقت (الربيع) فصل النوار (أبلج) أحسن لونا وأنعم (أنواره) أزهاره ونور النبات وأنور صار فيه النور و (أبهج) أحسن لونا والبهجة حسن اللون و (نسيم) السحر ريحه اللينة الباردة وفي حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى للجنة كل يوم طيبي لأهلك فتزداد طيبا فذلك البرد الذي تجده الناس بسحر ذلك اليوم وقال ابن عمار في نسيم السحر على الرياض فأحسن

ويوم لنا بالسد بين معاطف * من النهر تنساب انسياب الاراقم
بحيث اتخذنا الروض جارا يزورنا * هداياه في أيدي الرياح النواسم
يبلغنا أنفاسه فنردها * باعطر أنفاس وأذكى لناسم
تسير علينا ثم عنا كأنها * حواسد تمشي بيننا بالنمائم

(اجتليت) نظرت (يزرى) يقصر وتقول زريت عليه اذا عبت عليه ما فعل وأزريت به قصرت (الزاهر) الناعم (رنات) أصوات (المزاهر) عيدان الغناء (تقاسمنا) تحالفنا (حظر) منع (الاستبداد) الانفراد بالشئ (يستأثر) يختص (رذاذ) أقل المطر أي اتفقوا أن لا ينفرد واحد بشئ دون أصحابه (أجمعنا) عزمنا (سماد جنه) ارتفع سحابه (نما) زاد (الاصطباح) شرب الخمر بالسحر (مزنه) مطره وفي مثل بكورهم يقول عبد الجبار الصقلي

بادر الى اللذات واركب لها * سوابق اللهو ذوات المراح
من قبل أن ترشف شمس الضحى * ريق الغوادي من ثغور الاقاح

﴿المقامة الرابعة والعشرون النحوية﴾

(حكى الحرث بن همام) قال عاشرت بقطيعة الربيع في ابان الربيع فتية وجوههم أبلج من أنواره وأخلاقهم أبهج من أزهاره وألفاظهم أرق من نسيم أسحاره فاجتليت منهم ما يزري على الربيع الزاهر ويغني عن رنات المزاهر وكنا تقاسمنا على حفظ الوداد وحظر الاستبداد وأن لا ينفرد أحدنا بالتذاذ ولا يستأثر ولو برذاذ فأجمعنا في يوم سما دجنه ونما حسنه وحكم بالاصطباح مزنه على أن

(ملتهى)

(نلتهى) نتسلى ونتفرج و (المروج) المواضع المنخفضة المخصبة واحدها مرج وسمى مرجا لان البهائم تمرج فيه أى تسيب (نسرح) نسيب (النواظر) العيون و بالضاد نواعم الازهار و (الخواطر) الاذهان (شيم المواطر) نظر السحاب (برزنا) خرجنا وجعل خروجهم فى السحر لان أول النهار أحمد أوقات الشرب فقال أول النهار ألا ترى الدواء يبكر به والمسافر يدلج لحاجته لان العقول أول النهار أذكى والفطن أصح وقال القلاوى

قبح الله أول الناس سن اشرب ظهرا ماذا أتى من خسار
مجلس مونق وكأس وندما * ن وأخيرها الى الاظهار
نكتة فى السرور بادية الشين * ن لاهل العقول والابصار
ان شرب النبيذ سير الى اللهـ * و وخير المسير صدر النهار
ما رأينا لنشوة الصبح شكلا * كنديم مساعد وعقار
وغناء يفت فى عضد الحلـ * م ويزرى على النهى والوقار
وأحاديث فى خلال الاغانى * كانفتاح الرياض غب النهار

وبعضهم يمدح العبوق ويذم الصبوح وابن المعتز ممن يذهب الى ذلك (قوله كندمانى جذيمة) أى صاحبيه على الخمر واسمهما مالك وعقيل وجذيمة ابن مالك بن تيم الازدى وكان ملك أيام الطوائف بشاطئ الفرات وما والى ذلك الى السواد ستين سنة قال ابن الكلبى جذيمة أول من ملك قضاعة بالحيرة وأول من حذا النعال وأدلج من الملوك ورفع له الشمع وكان من أفضل ملوك العرب رأيا وأظهرهم حزما وهو أول من استجمع الملك له بأرض العراق وغزا بالجيوش وكان به برص فكنت العرب عن البرص اعظاما فقالت له جذيمة الوضاح وجذيمة الابرش وكان غزا طسما وجديسا فى منازلهم فصادف حسان بن تبع قد أغار عليهما فانصرف جذيمة وصادفت خيول تبع سرية له فقتلوهم فبلغ الخبر جذيمة فقال

ربما أوفيت فى علم * ترفعن ثوبى شمالات
فى فتون أنت كالؤهم * من بلايا غزوة ماتوا
ليت شعرى ما أماتهم * نحن أسرينا وهم باتوا

وكان جذيمة قد تنبأ وتكهن واتخذ صنمين وسماهما الضيزنين ومكانهما بالحيرة معروف وغزا ايادا بعين اباغ فبعثوا قوما مهم سرقوا منهم الضيزنين وأصبحوا بهما فى اياد فأرسلوا اليه ان صنميك أصبحا عندنا زهدا فيك ورغبة فينا فاعطنا عهدا الا تغزونا ونردهما اليك ففعل وكان بلغه أن غلاما من لخم يسمى عدى بن نصر مقيم فى أخواله من اياد وله ظرف ولب وانه لحسن أن ينادم الملك و يقوم بمجلسه فاشترط على اياد أن يبعثوا مع الصنمين بعدى بن نصر وكان له جمال وظرف فدفعوه اليه معهما فضمه الى نفسه وكان ينادمه و يسقيه فتعشقته رقاش أخت جذيمة فبعثت اليه اذا سقيت أخى واستنشى فاخطبنى لك وأشهد عليه ففعل فلما طرب جذيمة خطبها فأنعم عليه وأشهد عليه فقال له عرس باهلك ففعل فلما أصبح غدا على جذيمة مضرجا بالطيب فقال له ما هذه الآثار فقال آثار العرس قال وأى عرس قال عرس رقاش فاكب جذيمة على الارض وفر عدى وطلبه جذيمة فلم يدركه وقيل ظفر به وقال لرقاش

حدثينى رقاش لا تكذبينى * أبحر زنيت أم بهجين
أم بعبد فأنت أهل لعبد * أم بدون فأنت أهل لدون

فقالت له

أنت زوجتنى وما كنت أدرى * فأتانى النساء للتزيين
ذاك من شربك المدامة صرفا * وتماديك فى الصبا والمجون

فحبسها فى قصر واشتملت على حمل فأتت بغلام وسمته عمرا وربته حتى ترعرع فجملته وعطرته

نلتهى بالخروج الى بعض المروج لنسرح النواظر فى الرياض النواضر ونصقل الخواطر بشيم المواطر فبرزنا ونحن كالشهور عدة وكندمانى جذيمة مودة

قوله وجعل خروجهم الخ لا يناسب نسخة المتن التى بأيدينا اه مصححه

(ترجمة جذيمة وندمانيه)

وألبسه كسوة مثله ثم أزارته خاله فأعجب به وألقيت عليه محبته وخرج جذيمة في سنة قد أكانت
وبسط له في روضة وعمرو مع غلمة يجتنون الكمأة فكانوا اذا أصابوا كمأة طيبة أكلوها واذا أصابها
عمرو خبأها ثم أقبلوا يتعادون وعمرو يقدمهم يقول

هذا جناي وخياره فيه * اذ كل جان يده الى فيه

فالتزمه جذيمة وحل منه بمكان ثم ان الجن استهوته فطلب زمانا وأرسل فيه في الآفاق فلم يجد له خبرا
ثم ان عمرا أوفى على مالك وعقيل ابني فارج بن مالك بن كعب بن القيس بن حمير بن قضاعة وقد نزلا
منزلا وهما متوجهان الى خاله جذيمة ومعهما قينة يقال لها أم عمرو وهي تغنيهما وتسقيهما فرأت عمرا
وقد تلبد شعره وطالت أظفاره وساءت حاله فاحتقرته فرمت اليه بكراع من طعامهما وناولتهما
وأوكأت زقها ولم تناول عمرا شيأ فقال لها عمرو

صددت الكأس عنا أم عمرو * وكان الكأس مجراها اليمينا
وماشر الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذي لا تصبحينا
فاشرب الشراب كمثل عمرو * ومانال المكارم فاصبحينا
فالا تنكري عمرا فاني * أنا ابن عدي حقا فاعرفينا
وخالي لا أبالك ذو المعالي * جذيمة كيف وبحك تنكرينا

فقالا له من أنت يافتى قال أنا عمرو بن عدي فضماه اليهما وغسلا رأسه وأخذا من شعره وقلما أظفاره
وألبساه بعض الثياب التي كانت معهما وقالا ما كنا نهدي جذيمة أنفس من ابن أخته ثم وردا به على
جذيمة فسر به سرورا شديدا وقال لهما تمنيا فسألاه أن يكونا نديميه ماعاش وعاشا فنادماه أربعين
سنة ما أعادا عليه حديثا فضرب بهما المثل في تأكيد الالفة وقال مالك بن نويرة في مالك

وكنا كندماني جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وتمثلت بهما عائشة رضي الله عنها عند قبر أخيها عبد الرحمن وقال أبو خراش الهذلي يرثي أخاه

تقول أراه بعد عروة لاهيا * وذلك رزء لو علمت جليل
فلا تحسبي أني قد تناسيت عهده * ولكن صبري يا أميم جميل
ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا * خليلا صفاء مالك وعقيل

وغزا جذيمة عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة السميدع العمليقي من العماليق ومنهم قوم من حمير
وكان ملك الجزيرة وملك الحضر وهي مدينة قديمة بين دجلة والفرات فهزم جذيمة جيوش عمرو
وقتله وفرق جموعه وقال في ذلك شاعرهم

كأن عمرو بن ظرب لم يكن ملكا * ولم تكن حوله الرايات تختفق
لاقى جذيمة في شعواء مشعلة * فيها حواشف بالنيران ترتشق

(ترجمة الزباء) فملكت بعده الزباء ابنته واسمها نائلة قال ابن الكلبي ولم يكن في عصر الزباء أجمل منها جمالا وأكمل
منها كمالا وكان لها شعر اذا مشت يتدلى وراءها واذا نشرته جللها فسميت الزباء لكثرة شعرها فجمعت
خيل أبيها وغزت بالجيوش من حواليها من الملوك فذللتهم فضرب بها المثل فقيل أعز من الزباء
واشتهر عنها علو الهمة وسمو القدرة وقوة المنعة ومضاء العزم وبذل الاموال فلما استحكم
ملكها أرادت أن تغزو جذيمة لتدرك فيه ثأر أبيها فنهتها أختها زبيبة عن ذلك وقالت لا طاقة لك به
ولكن ابني أمرك فيه على المكر والحيل فبعثت الى جذيمة تخطبه على نفسها ليتصل ملكه بملكها
فيصير بذلك أعز الملوك وكان بلغه عن جمالها ما أطمعه في الظفر بها فاخبر أرباب دولته بمخاطبتها
اياه فكلهم أشار عليه أن يتزوجها الا قصير بن سعيد بن عمرو وكان لبيبا عاقلا له عزم وحزم وكان

خازنه وعميد دولته فانه قال له هذا رأى فاتر لان الزباء قتلت أباها والدم لا ينام ولك فى بنات الملوك
الاكفاء متسع فقال له الملك ان النفس الى ما تحب تواقة وان كان القدر قد جرى بشئ فلا مفر عنه
وكتبت اليه الزباء تطلب منه قدومه عليها للنكاح وقالت له لولا أن السعى فى مثل هذا للرجال أجل
والهم ألزم لسرت اليك وأهدت مع كتابها من العبيد والسلاح والاموال والذهب هدية سنية فلما
وصلت أبهجته وحسب أن ذلك لفرط رغبتها فيه فشاور قومه وابن أخته عمرا فشجعوه على المسير
اليها واستخلف عمرا على ملكه وسار فى خواصه حتى نزلوا بالفرضة فشاور خواصه وقصيرا فى الجملة
فأشاروا عليه بالمسير الا قصيرا فانه قال أيها الملك كل عزم لا يؤيد بحزم فآخره الى فساد ولولا أن
الامور تجرى على المقدور لعزمت على الملك أن لا يفعل فقال جذيمة الرأى مع الجماعة فقال قصير
أرى القدر سابق الحذر ولا يطاع لقصير رأى فلما قرب من ديارها أرسل اليها يعلمها وضعه فأظهرت
السرور به وأخرجت له هدايا وأنواعا من الاطعمة والاشربة فقال لقصير كيف ترى فقال لقصير
من لم ينظر فى العواقب لم يأمن المصائب فاستدرك الامر قبل فوته وارجع فان فى يديك بقية تستدرك
بها الصواب وان كنت لابد فاعلا فان القوم ان تلقوك غدا يجيء قوم ويذهب قوم فالامر فى يديك
وان تلقوك صفين فاذا توسطتهم وأحدقوا بك فقد ملكوك وهذه العصا وهى فرس لجذيمة تستبق
الطير فسارعرضها الملك فاركبها لتسلم عليها فانه لا يسبق غبارها فأرسلها مثلا فلما كان غد لقوه صفين فلما
توسطهم انقضوا عليه فقال لقصير صدقت فى الرأى فقال له قد تركت الرأى وهذه العصا اركبها
فشغله الامر عنها فلما رأى قصيرا الجيوش تسير بجذيمة أعطى العصا عنانها فهوت به هوى الريح
فتطاول اليه جذيمة ينظره فقال ويل له جذيمة فجرت به الى غروب الشمس قال الاصمعى رحمه الله تعالى
لم تقف حتى جرت ثلاثين ميلا ثم وقفت فبالت فبنى على الموضع برج يسمى برج العصا وأشرفت الزباء
من قصرها تنظر الى جذيمة وهو يساق فقالت ما أحسنك من عروس يزف الىّ فدخلوا به اليها وحولها
ألف وصيفة لا تشبه واحدة صاحبتها فى خلق ولا زى وهى بينهن كالقمر حفت به النجوم فأمرت
بالانطاع فبسطت وقالت للوصائف خذن بيد سيدكن وبعل مولاتكن فأجلسنه على الانطاع ففعلن
به ذلك ثم كشفت له عن شعرتها فرأى شعرها قد طال حتى عقدته من وراء ظهرها فقالت له يا جذيمة
أشوار ذات عروس قال بل شوار بظراء تفلة وأمر غدر قد بلغ المدى فقالت والله ما ذاك من عدم
المواسى ولكنها شيمة أناسى ثم أمرت به فسقى الخمر حتى أخذت فيه وكانت الملوك لا تضرب الاعناق
الا فى الحرب ثم أمرت أن تقطع رواهشه وقالت تحفظن بدمه لانه ان قطرت من دمه قطرة فى غير
الطشت طلب بدمه فجرى دمه فى طشت ذهب فلما ضعفت يداه سقطتا فقطرت على النطع من دمه
قطرات فقالت لا تضيعوا دم الملوك فقال لها لا يحزنك دم ضيعه أهله فذهبت مثلا فقالت ان دماء
الملوك شفاء من الكلب ووالله ما وفى دمك ولا شفى قتلك ثم أمرت به فدفن وكان عمرو بن عدى يخرج كل
يوم لبعض الحيرة يستطلع أمر خاله فنظر يوما الى فارس قد أقبل فأشرف عليهم قصير فقال له ما وراءك
فقال له سعى القدر بالملك الى حتفه فاطلب بثأره فقال عمرو وأى ثأر يطلب من الزباء وهى أمنع من
عقاب الجو فقال قصير والله لا أنام عن طلب دمه ما لاح نجم فاجدع أنفى واضرب ظهرى ودعنى
واياها فقال عمرو ما أنت لذلك بأهل وقد علمت نصحك لخالى فقال خل عنى اذا فجدع أنفه فلحق بالزباء
فقالت ما جاء بك فأشار بظهره وأنفه فقالت العرب لامر ما جدع قصير أنفه فقالت يا قصير وبيننا
دم خطير فقال يا ابنة الملوك العظام لا ثأر ولا قود ولقد أتيت فيه على ما يأتى مثلك فى مثله وقد جئتك
مستجيرا بك من عمرو فانه علم أنى أشرت على خاله بالمجيء اليك فجدع أنفى وأذنى وأوجع ظهرى وحال
بينى وبين مالى وولدى فاستجرت بك لعلمى أنى لا أكون مع أحد أثقل عليه منك فقالت له أهلا وسهلا
وكان يبلغها من رأيه وحزمه فاختصته وأنزلته واصطفته فلما وثقت به أخذت تستشيره فى أمورها

فقال لها يوما ان عمرا يطلب الملك بخاله والرأى ان تتخذى نفقا الى العلك تحتاجين اليه فقالت له انى قد اتخذته تحت سريرى وخرجت به تحت سرير أختى وكان الفرات يشق بين قصريهما فأظهر لها السرور ثم قال لها ان لى بالعراق أموالا كثيرة تصلح بالملوك فان جهزتينى بمال للتجارة توصلت فيه الى أخذ تلك الذخائر وننقلها اليك فجهزته فاحتال حتى وصل الى عمرو فجهزه بطرف من الجواهر والخز والديباج والاسلحة فرجع بها فلما تحققت نصحه أرسلته الى العراق ثالث سفرة ليضرب لها بها عدة من السلاح ويشترى لها خيلا وعبيدا ويجهز جيشا الى من حواليها من الملوك فمشى فيما أمرته به وتوصل الى عمرو وقال قد أصبت الفرصة من الزباء فقال عمرو قل أسمع ومر أفعل فأنت طبيب هذه القرحة فقال الرجال والمال فقال حكمك فيما عندى مسلط فعمد الى ألفى رجل من أهل القتال وجعلهم فى غرائر سود وجعل سلاحهم السيوف والجحف وجعل رؤس الغرائر مربوطة من داخلها وجعل عمرا فى الجملة وساق الخيل والعبيد فلما قاربها بعث اليها البشير بسلامة قصير وكل ما جاء به فسألت عن العير أين نزل فقيل لها بالغوير وكانت تنظره من غير طريق الغوير فقالت عسى الغوير أبؤسا وتقدم قصير فدخل عليها فبشرها فرقيت سطحا عاليا تنتظر مجىء الابل فنظرت قوائمها تسوخ فى الارض لما عليها من الاثقال فقالت يا قصير

مالِلجمال مشيها وئيدا * أجندلا يحملن أم حديدا

أم صرفانا باردا شديدا * أم الرجال جثما قعودا

وكانت قالت لجواريها انى أرى الموت الاحمر فى الغرائر السود فذهبت مثلا فدخلت الجمال المدينة فنخس بواب بمخصرة فى يده غرارة على آخر بعير فأصابت المخصرة خاصرة رجل فضرط فصاح الشر الشر فأظهروا علامة كانت بينهم فحلوا رؤس الجوالق فخرج منها ألفا دارع بألفى سيف فصاحوا يا لثأر الملك المقتول غدرا وهربت الزباء تطلب النفق الى تحت الفرات فسبق عمرو الى بابه مع قصير وكانت صورة عمرو مصورة فى جانبها فعندما رأته عرفته وكانت جعلت تحت فص خاتمها سم ساعة فمصت الفص وقالت بيدى لا بيد عمرو فسقطت وعمرو وقصير يضربانها بالسيف فماتت بين السم والسيف فاستباحوا بلدها بما فيه واستولى عمرو على مملكتها واتخذ عمرو الحيرة دار ملكه وتوارثها بنوه واحدا واحدا الى النعمان بن المنذر وهو الذى أدرك زمن المصطفى صلى الله عليه وسلم وقتله كسرى وهو آخرهم وكان مقتل والد الزباء عند بعث عيسى عليه السلام وقال ابن دريد

وسيف عمرو أشعلته همته * حتى رمى أبعد شأو المرتمى

فاستنزل الزباء قسرا وهى من * عقاب لوح الجو أعلى منتهى

الى حديقة أخذت زخرفها وازينت

(قوله الى حديقة أخذت زخرفها وازينت) يريد أن نصل باب الرياض والبساتين اذ هى جامعة ألوان لم تدخلها الصنعة ولم تمازجها الكلفة مع بديع أزهارها التى سماها الله سبحانه وتعالى زينة وزخرفا فقال تعالى حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وان نجتنى فيه بعض ما قالت العرب ونقلته الرواة من الشعر المستحسن والتشبيه المشاكل فان جل النفوس مستأنسة به ونازعة اليه ومرتاحة لذكره ومشتاقة الى زمانه ولا تكون الرياض مونقة والازهار مشرقة الا فى اعتدال الزمان وجدة الايام وهى اذا حلت الشمس فى برج الحمل كما قال الحسن

أما ترى الشمس حلت الحملا * وقام وزن الزمان واعتدلا

فاشرب على جدة الزمان وقد * أصبح وجه الزمان مقتبلا

وغنت الطير بعد عجمتها * واستوفت الخمر حولها كملا

(قال الاصمعى) رحمه الله تعالى سألت اعرابيا عن الغيث فقال عطلت الحياض وأشرقت الرياض وأخرجت الارض زخرفها وأنبتت من كل زوج بهيج * وقيل لاعرابى أى شئ رأيت أحسن فقال

الاعرابي ظباء راتعة في رياض يانعة والشمس طالعة وقيل لآخر صف لنا الربيع وأوجز فقال هو صديق النفس بريحانه وملك الطرف بريعانه مع أنه أشكل بالشبيبة وباعث الشهوة البعيدة وقال ابراهيم بن السدي خرجت أريد نزهة نهر الابلة مما يلي كاظمة تميم وقصر معبد حتى غوّرت في ميثى أتخيل الرياض وأجيل ناظري في ساقط الغيث حتى دفعت الى اعرابي عند روضة غناء عميم نبتها زاهر نورها يطيف بها فقلت يا اعرابي أحسس عندك ما ترى فقال كلا والله سماء مظلة وارض مقلة تضحك هذه عن بكاء هذه فنشأت من درة بيضاء وياقوتة حمراء وزمردة خضراء قد نظمتها أيدى المزن في نحور الصعيد * وقال يزيد بن ماهان الاوسي أتيت أرض السماوة في أنف من الربيع وقد اكتهل النبت فلما جزت ساحة الحي دفعت الى جوار كأنهن دمى العاج يمشين كقضيب البان وبين أيديهن روضة مشرقة وهن يطفن بها ويهبن الولوج فيها فقلت ما لكن لا تلجن الروضة فهي أوطأ لا قدامكن وأقرب لاثارة أرجها من أنوفكن فقالت احداهن أحرام عندك أن يطأ بعضنا خدود بعض قلت بلى والله قالت فوجه الارض أحق بالتحريم أن يحصد أو يتوسد * وبعث الحجاج الى عبد الملك بجاريتين وكتب اليه هما عندي بمنزلة روضتين من رياض السماوة جاد الربيع أوله وآخره عليهما فاعتم نبتهما ونور زهرهما وحسن منظرهما وقد بعثت الى أمير المؤمنين بهما مباركا له فيهما وقد ذكرت الشعراء الغيث والرياض بالفاظ مستحسنة ومعان مستطرفة وتمثيل رائع وتشبيه رائق يبعث السرور وينفي لوعة المحزون ويجلب أريحية الفتوة والشباب فنذكر هنا من محاسن أشعارها ولطائف مذاهبها في ذلك ما نرجو به أن يفي بالغرض الذي قصده وضمنه الحريري صدر هذه المقامة ويوافقه ونشرح منزعها الشريف في ذلك ونحققه ان شاء الله تعالى أنشد السيرافي الخياط رحمه الله تعالى يصف روضة

نضاخة تملأ العينين بهجتها * فصادفت بأنواع الرياحين
في ظل آس وجرجير ونرجسة * وسوسن زان وردا بين نسرين
وكرمة ذات أعناب مذللة * من كل أقطارها تحت الافانين
شبهت فيها العناقيد التي بقيت * أولاد زنجية فطس العرانين
فتارة من يواقيت منضدة * وكالزبرجد في بعض الاحايين
فعيشها غدق وماؤها غدق * وريحها ريح مسك الهند والصين
فيها زرابي قد بثت ملمعة * يضحكن عن زهر أنواع البساتين

فعارضه حسن الكوفي فقال

كأنها كاعب حسناء أبرزها * عيد فلم تأل في طيب وتزيين
تبرجت لتروق الناس بهجتها * فالناس ما بين مبهوت ومفتون
والايك مائلة الاغصان زائدة * قد كسيت زخرفا حمر الافانين
اذا الرياح جرت في نورها لفظت * قراضة من حرير الري والصين
كأنما ألبست أكمامها حللا * من وشي اسكندر أو من نصيبين

(قال علي بن الجهم)

لم يضحك الروض الا حين أعجبه * حسن النبات وصوت الطائر الغرد
بدا فأبدى لنا الدنيا محاسنها * وراحت الراح في أثوابها الجدد
ما قابلت قضب الريحان طلعته * الا تنسبت فيه ذلة الحسد
بين النديمين والخلين مصرعه * وسيرت بيد موصولة بيد
فبادرته يد المشتاق تسنده * الى الترائب والاحشاء والكبد

لاغذب الله الامن بعــذبه * بسمع بارد أو صاحب نكـد

وقال البحترى سقى الغيث أكناف الحمى من محله * الى الحقف من رمل اللوى المتقاود
ولازال مخضرامن اللـون يانع * عليه بحمرمن النورحاشـد
يذكرنا رؤيا الاحبــة كلما * تنفس فى جنح من الليـل بارد
شقائق يحملن الندى فكأنه * دموع التصابى فى خدود الخرائد
ومن لؤلؤ كالاقحوان منظم * على نكت مصفرة كالفرائد

وقال أيضا وكان الحوادث والاقحوان الـ * غض قضـــبان لؤلؤ و فريد
قطرات من السحاب وروض * نثرت وردها عليــه الخدود

وقال أيضا وقد نبه النسرين فى غسق الدجى * أوائـل ورد كن بالامس نوما
ومن شجرورد الربيع لباسـه * عليــه كما نشرت بردا مقنـما

(وقال الحسن بن وهب)

طلعت أوائـل للربيع فبشرت * نورالرياض بجــدة وشـباب
وغدا السحاب يكاد يسحب فى الثرى * أذيال أسحـم حالك الجلباب
يبــكى فيضحك نورهــن فباله * ضحكا تحسرعن بكاء سحاب
وترى السماء اذا أجـد ركابها * فكأنما التحفت جناح غراب
وترى الغصون اذا الرياح تأرجت * ملتفة كتعانق الاحباب

(ولابى زرعة الدمشقى)

وقد أخـذت زهر الرياض حليها * وألبست الارض الفضاء الزخارف
لجين وعقيـان يروق وجوهر * تؤلفـه أيدى الربيع اللطائف
تهادى التلاع الغورمسكا وعنبرا * تؤديه أنفاس الرياح العواصف
كأن أباريق المدامة بينها * من المنظر الاعلى ظباء رواعف

ولبكر بن حماد فسـقيا لايامنا الذاهبات * لقــد فارقتنا بصفو الهوى
وهــذا الربيع وريحانه * يجدد لى عهدها قد مضى
يذكرنى الورد حمر الخدود * ولعس الشفاه اذا ما بدا
وسوسنه صحن خـد القناه * اذا برزت لمحـب أتى
ونشر الرياح رياح الحبيب * تباعـد موعـده أو دنا
يجـود بها الطل وشى النبات * وينظمه بلآ لى النـدى

ولمحمد بن يزيد وروضة صنف النوارجوهرها * فيها كما شئت من حسن ومن طيب
كان ما تجتنيــه من زخارفها * أخلاق مستحسن الاخلاق محبوب
ما انفك للعين فيها أعين ذرف * تبـكى بدمع من الانواء مسكوب
حتى كأن أفانين النبات بها * عـلى الميادين ألوان اليعاسيب
كأن غدرانها بالروض محدقة * تحبيرثوب من الموشى مخضوب

وقال كشاجم الى الروض الذى قد زينته * شآبيب السحائب بالبكاء
بكين عليه فابتهجت رباه * تباهى فى زخارف نسج ماء
كان الاقحوان بجانبيـه * عذارى يبتسمن من الحياء

(وقال ابن الرفاق)

وحدائق خضر المعاطف ألبست * من حسن بهجتها ثياب زبرجد

جرت عليه الشمس فضل ردائها * فيرى زبرجدهن تحت العسجد

وقال أيضا وروضة عاطر بنفسجها * عطرها وشيها وسندسها

لما غذته السحاب درتها * من فوق خوداتم ونرجسها

خاف عليه الغمام حادثة * فسل سيف البروق يحرسها

وقال أيضا نثر الورد في الغدير وقد دوحه بالهبوب نثر الرياح

مثل درع الكمي مزقها الطعن فسالت دماؤه بجراح

وقال أيضا وقرازة زرقاء راق صفاؤها * قد ضم زهر الجلنار رداؤها

فاعجب لراح كأسها من فضة * ما ان تسيل وقد يسيل اناؤها

* ومن ملح الادباء وما تصرفوا به في الانوار ما كتب به أبو دلف الى ابن طاهر يعاتبه

أخاؤكم كالورد ليس بدائم * ولا خير فيمن لا يدوم له عهد

وعهدي لكم كالآس حسنا وبهجة * له ورق خضر اذا فنى الورد

﴿فأجابه ابن طاهر﴾

أشبهت عهد الورد فيما تذمه * وهل زهرة الا وسيدها الورد

اخاؤكم كالآس مر مذاقه * وليس له في الريح قبل ولا بعد

ولم يأت أحد بأخبث من تشبيه ابن الرومي في ذم الورد

كأنه سرم بغل حين أبرزه * بعد الخرا باقي الأرواث في وسطه

﴿وقال أبو الشيص﴾

يا من تحلي بريحان يادمه * من بين ورد وخيري ونسرين

وياسمين وعود ما يغيره * ما كان أحسن ذا لو لم يكن دوني

﴿وقال أبو المعلى الطائي﴾

كأن عيون النورزين بالندى * عيون تراسلن الدموع على عذلى

وقال أيضا ترى للندى فيه مجالا كأنما * نثرن عليه لؤلؤا فتبددا

وتنوعت ازاهيرها وتلونت

(قوله حديقة) أي بستان (زخرفها) أي زينتها (تنوعت أزاهيرها) اختلفت أنواع أزهارها وهذه الحديقة التي ذكر من حسنها مثل البستان الذي دخله عروة بن الزبير مع عبد الملك بن مروان وكان عروة معرضا عن الدنيا فحين رأى في البستان الوصف الذي ذكر الحريري قال ما أحسن هذا البستان فقال له عبد الملك أنت والله أحسن منه لانه يؤتي أكله كل عام وأنت تؤتي أكلك كل يوم وكان عبد الملك يحب عروة ويعظمه على ما بين الزبيرية والمروانية من التباغض وقال لابن شهاب حين وفد عليه عند من طلبت قال عند سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وقبيصة بن ذؤيب فقال عبد الملك فأين أنت من عروة بن الزبير فانه بحر لا تكدره الدلاء قال ابن شهاب فلم أبارح عروة بعد حتى مات قال ابن وكيع في وصف ما ذكره الحريري

ألست ترى وشي الربيع تنمنما * وما صنع الربيع فيه ونظما

وقد حكت الارض السماء بنورها * فلم أرفي التشبيه أيهما هما

فخضرتها كالجو في حسن لونه * وأنوارها تحكي لعينيك أنجما

فمن نرجس لما رأى حسن نفسه * تداخله عجب به فتبسما

وأبدى على الورد الجني تطاولا * وأظهر غيظ الورد في خده دما

وزهر شقيق نازع الورد فضله * فزاد عليه الورد فضلا وقدما

فظل لفرط الحزن يلطم خده * فأظهر فيه اللطم جرا مضرما

ومن سوسن لما رأى الصبغ دونه * على كل أنواع الرياض تقسما
تجلبب من زرق اليواقيت حلة * فأغرب في الملبوس فيها وأحكما
وأنوار منثور يخالف شكلها * فصار بها شكل الربيع منمنما
جواهر لو قد طال فيها احتياتها * رأيت بها كل الملوك مختما

وقال أبو بكر البلوى

وروضة بات طل الغيث ينسجها * حتى اذا انتمت أضحى يدبجها
يبكى عليها بكاء الصب فارقه * الف فيضحكها طورا ويبهجها
اذا تنفس فيها ريح سوسنها * وفاح مثل خزاماها بنفسجها
أقول فيها لساقينا وفى يده * كاس كشعلة نار وأذ يوهجها
لا تمزجنها بغير الريق منك فان * تبخل بذاك فدمعى سوف يمزجها
أقل ما بى من عينيك أن يدى * اذا دنت نحو قلبى كاد ينضجها

وقال الوزير المهلبى الورد بين مضمخ ومضرج * والزهر بين مكلل ومتوج
طلع النهار فلاح نور شقائق * وبدت سطور الورد بين بنفسج
والثلج يهبط كالنثار فقم بنا * نصطبحك بابنة كرمة لم تمزج
فكأن يوملك فى غلالة فضة * والنبت من ذهب على فيروزج

وقال السرى وحديقة ينسيك وشى برودها * حتى تشبهها سبائب عبقرى
تجرى النسيم خلالها فكأنما * غمست فضول ردائها فى العنبر
طارت قلوب المحل تحقق بينها * بخفوق رايات السحاب الممطر
طارت عقيقة برقه فكأنما * صيغت بمسك فيه جام عصفر

(وقال السلامى)

نسب الرياض الى الغمام شريف * ومحلها عند النسيم لطيف
أو ما ترى طرز البروق توسطت * أنفا كأن المزن فيه شنوف
واليوم من خجل الشقيق مضرج * خجل ومن مرض النسيم ضعيف
والارض طرس والرياض سطوره * والزهر شكل بينها وحروف
فأدر سقيت الرى جام سلافه * يوم على كبد الزمان خفيف

ومعنا الكميت الشموس والسقاة الشموس

(قوله الكميت) يعنى الخمر (الشموس) التى فيها حدة (والشموس) السقاة الذين وجوههم كالشمس وللسلامى فى ذلك

وظبية من بنات الانس فى يدها * ووجهها الصبا والحسن خاتام
قد حلت لؤلؤ الازرار عن درر * لهن فى نغرها الفضى أتوام
وزارت الارض منا مقلتان لها * وحشيتان وعذب الريق بسام
والكأس للسكر التبرى صانعه * والماء للحبب الدرى نظام
بتنا نكفكف بالكاسات أدمعنا * كأننا فى حجور الروض أيتام

وهذه أشعار غريبة عجيبة ولابن سكرة فى ذلك

اشرب ففى اليوم فضل لو علمت به * بادرت باللهو واستعجلت بالطرب
ورد الخدود وورد الروض قد جمعا * والغيم مبتسم والشمس فى الحجب
لا تحبس الكأس واشربها مشعشعة * حتى تموت بها موتا بلا سبب

وقال سيف الدولة وذكر قوس قزح

وساق

وساق صبيح للصبوح دعوته * فقام وفى أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كانجم * فمن بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت أيدى الجنوب مطارفا * على الجو دكنا والحواشى على الارض
يطرزها قوس السماء باصفر * على أخضر فى أحمر قوس مبيض
كاذيال خود أقبلت فى غلائل * مصبغة والبعض أقصر من بعض

هذه من التشبيهات الملوكية التى لا تحضر السوقة بمثلها وقال ابن الرقاق

وشادن طاف بالكؤس ضحى * فخثها والصباح قد وضحا
والروض يبدى لنا شقائقه * وآسه العنبرى قد نفحا
قلنا وأين الاقاح قال لنا * أودعته ثغر من سقى القدحا
فظل ساقى العقار يجحده * عنا فلما تبسم افتضحا

وقال أيضا

نبهته ونجوم الليل زاهرة * والفجر منصدع والصبح قد لاحا
والليل منهزم ولت عساكره * والروض مبتسم والزهر قد فاحا
فقام يمسح عينيه براحته * نخلته فى ظلام الليل مصباحا

(قوله الشادى) المغنى (يلهيه) يشغله ويزيل همه (يقرى) يعطى ويهدى (سمع) أذن ولبعضهم فى غلام مغن وأجاد

فديتك يا أتم الناس ظرفا * وأصلحهم لمتخذ حبيبا
فوجهك نزهة الابصار حسنا * وصوتك أمتع الاصوات طيبا
وسائلة تسائل عنك قلنا * لها فى وصفك العجب العجيبا
رنا ظبيا وغنى عندليبا * ولاح شقائقا ومشى قضيبا

وقال ابن الرقاق

يذكرنى تحنان شدوه غناؤه * على الايك تحنان الحمام المغرد
له نغمات أخمدت كل صادح * وصوت نشيد قد شجا كل منشد
فدع كل ما حدثت عن صوت معبد * وطارح نشيدا عن نشيد ابن معبد

(قوله اطمأن) أى استقر وسكن (وغل) دخل والواغل الداخل على الشرب ولم يدع اليه (ذمر) شجاع والذمر أيضا الخبيث ذو الدهاء وهو مخفف من ذمر وهو الشجاع والجمع أذمار ومنه فلان حامى الذمار معناه يحمى ما يلزمه أن يحميه وسمى ذمارا لان الانسان يذمر نفسه أى يحرضها به وذمرت الرجل أذمره اذا حرضته (طمر) خلق (تجهمناه) عبسنا له والجهامة العبوس ويقال تجهمنى فلان بكذا يتجهمنى بمعناه (الغيد) النساء الحسان اللينات الاعناق (الشيب) الشيوخ الواحد أشيب (شيب) كدر ونغص وأول من نطق بهذا المعنى امرؤ القيس بقوله

أراهن لا يحببن من قل ماله * ولا من رأين الشيب فيه وقوسا

وعلقمة فى قوله

اذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له من ودهن نصيب

وقال حبيب فى هذا المعنى فأحسن

لعب الشيب بالمفارق بل جد * فأبكى تماضرا ولعوبا
يا نسيب الثغام ذنبك أبقى * حسناتى عند الحسان ذنوبا
ولئن عبن ما رأين لقد أنـ * كرن مستنكرا وعبن معيبا
لو رأى الله أن للشيب فضلا * جاورته الابرار فى الخلد شيبا

وقال على بن الجهم

أنكرت ما رأت برأسى وقالت * أمشيب أم لؤلؤ منظوم
قلت أولاهما برأسى فأنت * أنه يستثيرها المهموم
حسرت عن القناع ظلوم * فتولت ودمعها مسجوم

والشادى الذي يطرب السامع ويلهيه ويقرى كل سمع ما يشتهيه فلما اطمأن بنا الجلوس ودارت علينا الكؤس وغل علينا ذمر عليه طمر فتجهمناه تجهم الغيد الشيب ووجدناه صفو يومنا قد شيب

وقال عمرو الوراق لا تطلبن اثر اربعين * فالشيب احدى الميتتين
أبدى مقابح كل شين * ومحا محاسن كل زين
فاذا رأيت الغانيا * ت رأين منك غراب بين
ولربما نافسن فيـ * ـك وكن طوعا لليدين
أيام همتك الشبا * ب وأنت سهل العارضين

الفضيحي من أحسن ما سمعت في هذا المعنى قول ابن البياضي رحمه الله تعالى
عرض المشيب بعارضيّ فأعرضوا * وتقوضت خيم الشباب فقوضوا
فكأنني في الليل البهيم توسطوا * حفر أوفى الصبح المنير تقبضوا
ولقد رأيت وما رأيت بمثله * بيناغراب البين فيه أبيض

وقال حبيب وزاد في الشيب نقاء الخد
راحت غواني الحي عنك غوانيا * يلبسن نأيا تارة وصدودا
من كل سابغة الشباب اذا بدت * تركت عمود القريتين عمودا
أربين بالمرد الغطارف بدّنا * غيدا ألفتهم لدانا جيدا
أحلى الرجال من النساء مواقعا * من كان أشبههم بهن خدودا
حتى اذا ما الشعر سوّد وجهه * عاد المسوّد بينهن مسودا

هذا من قول الاعشى
وأرى الغواني لا يواصلن امرأ * فقد الشباب وقد يصلن الامردا

ولحبيب وروى لابي دلف
نظرت الي بعين من لم يعدل * لما تمكن طرفها من مقتلي
لما رأت وضح المشيب بلحيتي * صدت صدود مفارق متحمل
فجعلت أطلب وصلها بتلطف * والشيب يغمزها بان لا تفعلي

وقال محمد بن أمية
رأين الغواني الشيب لاح بعارضي * فأعرضن عني بالخدود النواضر
وكن اذا أبصرنني أو سمعنني * دنون فيرفعن الكوى بالمحاجر

وللشريف الرضي رحمه الله
قالوا المشيب فعم صباحا بالنهى * واغفر من احداثك للطروق الزائر
لودام لي ودّ الكواعب لم أبل * بطلوع شيب وابيضاض غدائر
لكن شيب الرأس ان يك طالعا * عندي فوصل البيض أول غابر
ان أعرضت عنه الخدود فطالما * عطفت له بسوالف ومحاجر
ولقد يكون وماله من عاذل * واليوم عاد وماله من عاذر
كان السواد سواد عين حبيبه * فغدا البياض بياض عين الناظر
لو لم يكن في الشيب الا أنه * غدر الملوك ومحنة للغادر

وقال أيضا لجام الشيب ثنى لي جيادي * ورباني لعذالي وراضا
لوى عني الخدود من الغواني * وغمض عني الحدق المراضا
وصار بياضه عندي سوادا * وكان سواده عندي بياضا

ودخل أبو دلف على المأمون وقد ترك الخضاب فغمز جارية عنده أن تعبث به فقالت شبت يا أبا دلف انا لله وانا اليه راجعون فسكت عنها فقال له المأمون أجبها فأطرق برأسه ثم رفعه فقال

تهزأت اذ رأت شيبي فقلت لها * لا تهزئي من يطل عمر به يشب
شيب الرجال لهم زين ومكرمة * وشيبكن لكن الويل فاكتئبي
فينا لكن وان شيب بدا أرب * وليس فيكن بعد الشيب من أرب

(قوله يفض) يكسر (لطائم) أوعية الطيب وجعلها للكلام مجازا (ننزوي) ننقبض (وننبري) نبادر (لطي بساطه) لقطع كلامه (المغرب) الحسن الغناء الآتي بالغريب فيه (والشادي والمغرد) واحد وهو المغني (المطرب) الآتي بالطرب وهو الاهتزاز بالسرور وقد يكون من شدة الحزن وقال ابن رشيق في مغن

غنني يا مجود الخلق عندي * حي نجدا ومن بأكناف نجد
غنني يا مجود الخلق عندي * حي نجدا ومن بأكناف نجد
واسقني ما يصير ذو البخل منها * حاتما والجبان عمرو بن معدي
في زمان الشباب عاجلني الشيب * فهذا أوائل الدن دردي

(وقال البحتري في مغنية)

ولاعبة الوشاح بغصن بان * لها أثر بتقطيع القلوب
اذا استولت طريق العود نقرا * وغنت في محب أو حبيب
فمبناها يفتتها فؤادي * ويسراها تفتح اذنوبي

(قوله تأوين) أي تشفقين (عيل) غلب وأنث الروح لانه ذهب به الى النفس قال ابن ظفر الروح الذي يكون به الحياة اذا فارق الجسد كان الموت والنفس التي بها العقل وهي المقبوضة عند النوم ولا معنى للاكثار في هذا لان الشارع ليس له فيه قول يعول عليه ولا للحواس على ادراكه حول فتهتدي اليه (التراقي) العظمات المعوجان أعلى الصدر (خلي) صاحبي (صرم) قطيعة ويستقبح عندهم مجازاة الحبيب على اساءته كبيت امرئ القيس * فسلي ثيابي من ثيابك تنسل * وقول طرفة

واذا تلسنني انني * لست بمرهون فقر

وقول الاعرابي ان كان أهلك يمنعونك رغبة * عني فأهلي بي أضن وأرغب

(والمستحب عندهم قول ابن أبي ربيعة)

ألا يا من أحب بكل نفس * ومن هو من جميع الناس حسبي
ومن يظلم فأغفره جميعا * ومن هو لا يهم يغفر ذنبي

(وقال أبو نواس) جنان تسبني ذكرت بخير * وتزعم أنني رجل خبيث
وأن مودتي كذب ومين * وأني للذي يطوي بثوث
وما صدقت ولا ردعليها * ولكن الملول هو النكوث
ولي قلب ينازعني اليها * وشوق بين اضلاعي حثيث
رأت كلفي بها ودوام عهدي * فقلتني كذا كان الحديث

(وقال ابن شهيد)

كلفت بالحب حتى لو دنا أجلي * لما وجدت لطعم الموت من ألم
وعاقني كرمي عمن ولهت به * ويلي من الحب أو ويلي من الكرم

وأطرب من شعر المقامة للغناء ما حكي أن القاضي أبا عبد الله محمد بن عيسى من بني يحيي خرج الى حضور جنازة وكان رجل من اخوانه ينزل بقرب مقبرة قريش فعزم عليه بالميل اليه فنزل وأحضر له طعاما وغنت جاريته

طابت بطيب لثاتك الاقداح * وزها بحمرة وجهك التفاح
واذا الربيع تنسمت أرواحه * نمت بعرف نسيمك الارواح

الا أنه سلم تسليم أولي الفهم وجلس يفض لطائم النثر والنظم ونحن ننزوي من انبساطه وننبري لطي بساطه الى أن غنى شادينا المغرب ومغردنا المطرب

الام سعاد لا تصلين حبلي
ولا تأوين لي مما ألاقي
صبرت عليك حتى عيل صبري
وكادت تبلغ الروح التراقي
وها أنا قد عزمت على انتصاف
أساقي فيه خلي ما يساقي
فان وصلا ألذ به فوصل
وان صرما فصرم كالطلاق

وإذا الحنادس ألبست ظلماءها * فضياء وجهك في الدجى مصباح

فكتبها القاضي طربا بها على ظهر يده ثم خرج قال الراوي فلقد رأيته يكبر على جنازة والابيات على ظهر يده * وقال ابراهيم بن المهدي دخلت يوما على الرشيد وفي رأسه فضلة خمار وبين يديه المغنون فقال يا ابراهيم بحقي عليك غنني فأخذت العود فغنيته من أشعار جرير

أسرى لخالدة الخيال ولا أرى * شيأ ألذ من الخيال الطارق
ان البلية من تمل حديثه * فانقع حديثك من حديث الوامق
أهواك فوق هوى النفوس ولم يزل * مذ بنت قلبي كالجناح الخافق
شوقا اليك ولم تجاز مودتي * ليس المكذب كالحبيب الصادق

وقال ابراهيم الموصلي لابن جامع لو هذا طلب الغناء كما نطلبه ما أكلنا معه الخبز فقال ابن جامع صدقت ومما ينتظم في هذا النمط ويغنى به قول الآخر

قال الوشاة لهند عن تصارمنا * ولست أنسى هوى هند وتنساني
قد قلت حين بدا لي بخل سيدتي * وقد تتبع في شي وأحزاني
هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدني اليك فان الحب أقصاني

والحريري لم يتعرض لشعره في هذا لانه بنى البيت على المسألة ليمكن فيما ذكرناه زيادة بيان وانه يجب أن يختار المعنى ما يليق للغناء من كل جهاته بالاستحسان (قوله العابث بالمثاني) أي اللاعب بأوتار عود الغناء * (ومما يستحسن في وصف العود قول ابن القاضي) *

جاءت بعود تناغيه ويسعدها * فانظر بدائع ما خصت به الشجر
غنت على عودها الاطيار مفصحة * غضا فلما ذوى غنى به البشر
فلا يزال عليه أو به طرب * يهيجه الاعجمان الطير والوتر

* (وقال ابن شرف) *

سقى الله أرضا أنبتت عودك الذي * ذكت منه أغصان وطابت مغارس
تغنى عليه الطير والعود أخضر * وغنى عليه الغيد والعود يابس

* (ومما قيل في ذم مغن) *

لو أبصرت عيناك بشرا جالسا * والعود في يده يبث وساوسا
لرأيت منه فتى تحب بأن ترى * في الرأس منه مساورا وطنافسا
فاذا تربع لا تربع بعدها * وبدا يحرك عوده متنافسا
فكأن جرذان المدينة كلها * في عوده يقرضن خبزا يابسا

المثاني أوتار العود معروفة على سائر أوتاره (بتربة أبويه) يريد عظامهما التي تصير ترابا في القبر ولذلك أقسم بالقبر * وأما (سيبويه) ففارسي مولى لبني الحرث بن كعب واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر وتفسير سيبويه بالفارسية ريح التفاح وهو لقب له لانه كان من أطيب الناس رائحة وأجلهم وجها وقد أشرنا الى ذلك في العاشرة وقيل معنى سي ثلاثون وبويه رائحة التفاح فكان معناه الذي ضعف طيب رائحته ثلاثين مرة وقيل ان أمه كانت ترقصه بذلك وهو صغير ولزمته وولد بالبيضاء وهي قرية بشيراز من عمل فارس ونشأ بها وقدم البصرة في أول أيامه ليكتب الحديث فلزم حلقة حماد بن سلمة فاستملى عليه يوما قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس من أصحابي الا من لو شئت لاخذت عنه ليس أبا الدرداء فقال سيبويه ليس أبو الدرداء بالرفع وظنه اسم ليس فقال حماد لحنت يا سيبويه ليس هذا حيث ذهبت انما ليس هنا استثناء فقال سيبويه سأطلب علما ليس يلحنني فيه احد فلزم الخليل فبلغ في علم النحو الغاية وضرب به في ذلك المثل وهو أول من بسط طريقته وشرع شريعته وكتابه

قال فاستفهمنا العابث بالمثاني لم نصب الوصل الاول ورفع الثاني فاقسم بتربة أبويه لقد نطق بما اختاره سيبويه

(ترجمة سيبويه)

الامام فى النحو الذى لم يصنع قبله ولا بعده مثله وغاية الائمة فهمه وأخذه الاخفش عنه وقيل ليونس ألف سيبويه كتابا نحوا من ألف ورقة فى علم الخليل فقال متى سمع سيبويه هذا كله فأتى بكتابه فنظر فيه فقال يجب أن يكون صدق عن الخليل كما صدق فيما حكاه عنى وناظر الاصمعى سيبويه فغلبه الاصمعى بلسانه فقال يونس الحق مع سيبويه وكانت فى لسانه حبسة وقلمه أبلغ من لسانه قال أبو زيد كان سيبويه يختلف الى وهو غلام له ذؤابتان واذا قال فى كتابه حدثنى من أثق به فانما يعنينى قال الاخفش كان سيبويه اذا وضع شيأ من كتابه عرضه على وهو يرى انى أعلم منه وكان أعلم منى والاخفش هذا هو سعيد بن مسعدة مولى بنى مجاشع يكنى أبا الحسن وهو الذى أخذ الكتاب عن سيبويه وهو أكبر من سيبويه وصحب الخليل وأما الاخفش الكبير شيخ سيبويه فهو عبد الحميد بن عبد المجيد يكنى أبا الخطاب وهو الاخفش الكبير ويونس هو ابن حبيب يكنى أبا عبد الرحمن مولى بنى ضبة أخذ النحو عن حماد بن سلمة وعن أبى عمرو بن العلاء وقيل انه جاوز المائة فى سنه ولما فاق سيبويه فى علم النحو أهل عصره وبرز فيه على نظرائه من أهل دهره سمع ان الكوفيين ظهروا ببغداد عند الرشيد بعلم النحو وهم الكسائى وأصحابه فقصدهم ببغداد وناظرهم بحضرة الرشيد وبحضرة يحيى ابن برمك وناظره الكسائى وقيل الفراء بحضرة الكسائى فى المسئلة الزنبورية المشهورة وقد ذكرناها فى الرابعة والثلاثين وكان فيما ذكر الظهور لسيبويه وتراضوا بينهم بشهادة الاعراب الحاضرين بباب الخليفة فقدم الكوفيون بجانبهم عند الخليفة للاعراب من لغتهم أن يجيبوا بموافقة قول الكوفيين فأجابوا بذلك فخرج سيبويه خجلا وكاد يموت غما وزعموا انهم شفعوا للرشيد له ثم رجع مغلوبا خائبا فأمر له بعشرة آلاف درهم فانبعث الى الاهواز ولم يعرج على البصرة فأقام هناك مدة مديدة الى أن مات ✻ وحكى انه لما انصرف عنهم مغموما لقى الاخفش سعيد بن مسعدة فأخبره بتألبهم عليه فدخل الاخفش فسأل الكسائى عن مائة مسئلة فخطأه فيها كلها فقال له انت سعيد بن مسعدة فقال له نعم فسأله أن يؤدب اولاده فأجابه وقرأ عليه الكسائى كتاب سيبويه وأعطاه سبعين دينارا ويروى انه لما بلغ الكسائى موته قال للرشيد يا أمير المؤمنين أدعنى ديته فانى أخاف أن أكون شاركت فى موته وقيل انه مات من ذرب المعدة وقيل انه لما خرج عنهم سأل من يرغب من الملوك فى النحو فقيل له طلحة بن طاهر بخراسان فقصده فلما انتهى الى ساوه مرض ومات ولما احتضر وضع رأسه فى حجر أخيه فقطرت دمعة من دموعه على خده فرفع عينيه اليه وقال

أخيين كنا فرق الدهر بيننا ✻ الى الامد الاقصى ومن يأمن الدهرا

﴿ثم قال عند موته﴾

نؤمل دنيا لنبقى بها ✻ وتأتى المنية دون الامل

حثيثا يروى أصول الفسيل ✻ فعاش الفسيل ومات الرجل

وقيل انه مات بشيراز وقبر بها سنة ثمانين وقيل سنة أربع وتسعين ومائة قال أبو سعيد الصولى رأيت على قبره مكتوبا لسليمان بن يزيد

ذهب الاحبة بعد طول تزاور ✻ ونأى المزار فأسلموك وأسرعوا

تركوك أوحش ما يكون بقفرة ✻ لم يؤنسوك وكربة لم يدفعوا

قضى القضاء وصرت صاحب حفرة ✻ عنك الاحبة أعرضوا وتصدعوا

(قوله تشعبت) تفرقت وشعبت الشئ فرقته وجمعته وهو من الاضداد ورجل شعاب يضم ويجمع (آراء) جمع رأى (واستبهم) استغلق (استعر) اتقد (الاصطخاب) اختلاط الاصوات وقد صخب صخبا (بنت شفة) كلمة ومثل اختلاف هذه الجماعة على المعانى فى رفع وصل وخفضه اختلاف أصحاب الواثق على جارية غنت بحضرته

فتشعبت حينئذ آراء الجم فى تجويز النصب والرفع فقالت فرقة رفعهما هو الصواب وقالت طائفة لا يجوز فيهما الا الانتصاب واستبهم على آخرين الجواب واستعر بينهم الاصطخاب وذلك الواغل يبدى ابتسام ذى معرفة وان لم يفه ببنت شفة

أظلوم ان مصابكم رجلا * أهدى السلام تحية ظلم

وذكر الحريري في الدرة أن أبا العباس المبرد ذكر أن أبا عثمان المازني قصده بعض أهل الذمة ليقرأ عليه كتاب سيبويه وبذل له مائة دينار فامتنع أبو عثمان من قبول بذله فقلت له جعلت فداك أتترك هذه النفقة مع فاقتك وشدة اضاقتك فقال ان هذا الكتاب يشتمل على ثلثمائة كذا وكذا آية من كتاب الله تعالى ولست أرى ان أمكن منه ذمياغيرة على كتاب الله وحمية له قال فاتفق أن غنت جارية بحضرة الواثق بقول العرجي أظلوم البيت فاختلف من بالحضرة في اعراب رجل فمنهم من نصبه بان على انه اسمها ومنهم من رفعه على انه خبرها والجارية مصرة على أن شيخها أبا عثمان لقنها اياه بالنصب فامر الواثق باحضاره قال أبو عثمان فلما مثلت بين يديه قال ممن الرجل قلت من بني مازن قال من أى الموازن أمازن تميم أم مازن قيس أم مازن ربيعة فقلت من مازن ربيعة فكلمني بكلام قومي وقال لي بااسمك يريد مااسمك وهم يقلبون الميم باء والباء ميما اذا كان في أول الاسماء فكرهت ان أجيبه على لغة قومي لئلا أواجهه بالمكر فقلت بكر ياأمير المؤمنين ففطن لما قصدته وأعجب منه ثم قال ماتقول في قول الشاعر * أظلوم ان مصابكم رجلا * أترفع رجلا ام تنصبه فقلت بل الوجه النصب قال ولم ذلك فقلت ان مصابكم رجلا مصدر بمعنى اصابتكم فأخذ البريدي في معارضتي فقلت هو بمنزلة قولك ان ضربكم زيدا ظلم فالرجل مفعول بمصابكم ومنصوب به والدليل عليه ان الكلام معلق الا أن يقول ظلم فيتم فاستحسنه الواثق وقال هل لك من ولد قلت نعم بنية ياأمير المؤمنين قال ماقالت لك عند مسيرك قلت أنشدت قول الاعشى

أيا أبتا لاترم عندنا * فانا بخير اذا لم ترم
ارانا اذا أضمرتك البلا * د نجفى وتقطع منا الرحم

قال فما قلت لها قال قلت قول جرير

ثق بالله ليس له شريك * ومن عند الخليفة بالنجاح

قال أنت على النجاح ان شاء الله تعالى ثم أمر لي بألف دينار وردني مكرما قال أبو العباس فلما عاد الى البصرة قال كيف رأيت ياأبا العباس رددنا لله تعالى مائة فعوضنا بألف قال الحريري فهذه الحكاية ترغب في اقتباس الادب ودراسته حيث استعطف المازني الواثق ببيت الاعشى حتى اهتز لاحسان صلته * قال وفي اخبار النحويين ايضا ان المازني سئل بحضرة المتوكل عن قوله تعالى وما كانت أمك بغيا فقيل له كيف حذفت الهاء من بغيا وفعيل بمعنى فاعل تلحقه الهاء نحو فتى وفتية وغني وغنية فقال ان بغيا ليست فعيلا انما هو فعول بمعنى فاعل لان الاصل بغوى ومن أصول التصريف انه متى اجتمعت الياء والواو في كلمة وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء كشويته شيا ويوم وأيام وهذا أصل مطرد لم يشذ منه الا القليل فعلى هذه القضية تحذف الهاء وجوبا لانها بمعنى باغية كما تحذف من صبور لانها بمعنى صابرة * قال المازني حضر يعقوب عند الواثق وقد حاز منزلة العلماء فقال لي الواثق سله عن مسألة فقلت له ماوزن نكتل فقال نفعل فقلت له غلطت ثم قال لي فسره فقلت أصله نكتيل فقلبت الياء ألفا للفتحة قبلها وسكنت اللام للجزم لانه جواب أمر فحذفت الالف لالتقاء الساكنين فقال الواثق هذا الجواب لاجوابك يايعقوب فلما خرجنا قال لي يعقوب ماحملك على هذا وبيني وبينك المودة فقلت والله ماظننت انه يعزب عنك مثل هذا فانظر كيف لم يثبت يعقوب الاوزان على ثبوت قدمه في العلم لقي هرون الرشيد الكسائي في بعض طرقه فوقف عليه وتحفى بسؤاله عن حاله فقال انا بخير ياأمير المؤمنين ولو لم أجد من ثمرة الادب الا ماوهب الله تعالى لي من وقوف أمير المؤمنين علي لكان ذلك كافيا محتسبا * ودخل أبو يوسف رحمه الله تعالى وهما في مذاكرة وممازحة فقال ياأمير المؤمنين ان هذا الكوفي قد غلب عليك فقال ياأبا يوسف انه ليأتيني بأشياء يشتمل عليها قلبي

حتى اذا سكنت الزماجر وصمت المزجور والزاجر قال يا قوم آنا آنبئكم بتأويله وأميز صحيح القول من عليله انه ليجوز رفع الوصلين ونصبهما والمغايرة فى الاعراب بينهما وذلك بحسب اختلاف الاضمار وتقدير المحذوف فى هذا المضمار قال ففرط من الجماعة افراط فى مماراته وانخراط الى مباراته فقال أما اذا ادعوتم نزال وتلببتم للنضال فما كلمة هى ان شئتم حرف محبوب أو اسم لما فيه حرف حلوب وأى اسم يتردد بين فرد حازم وجمع ملازم وأية هاء اذا التحقت أماطت الثقل وأطلقت المعتقل وأين تدخل السين فتعزل العامل من غير أن تجامل وما منصوب أبدا على الظرف لا يخفضه سوى حرف وأى مضاف أخل من عرى الاضافة بعروة واختلف حكمه بين مساء وغدوة وما العامل الذى يتصل آخره بأوله ويعمل معكوسه مثل عمله وأى عامل نائبه أرحب منه وكرا وأعظم مكرا وأكثر لله تعالى ذكرا وفى أى موطن تلبس الذكران براقع النسوان وتبرز ربات الحجال بعمائم الرجال وأين يجب حفظ المراتب على المضروب والضارب وما اسم لا يعرف الا باستضافة كلمتين أو الاقتصار منه على حرفين وفى وضعه الاول التزام وفى الثانى الزام وما وصف اذا أردف بالنون نقص صاحبه فى العيون وقوم بالدون وخرج من الزبون وتعرض للهون فهذه ثنتا عشرة مسئلة وفق عددكم وزنة لددكم ولو زدتم زدنا وان عدتم عدنا (قال المخبر بهذه الحكاية) فورد علينا من أحاجيه اللاتى هالت لما انهالت ما حارت له الافكار وحالت فلما أعجزنا الغوص فى بحره واستسلمت تمائمنا لسحره عدلنا من استثقال الروية له الى استنزال الرواية عنه ومن بغى التبرم به الى ابتغاء التعلم منه فقال والذى نزل النحو فى الكلام منزلة الملح فى الطعام وحجبه عن بصائر الطغام لا آنلتكم مراما ولا شفيت لكم غراما أو تخولونى كل يد

وتأخذ بجامعه فقال الكسائى يا أبا يوسف هل لك فى مسئلة فقال فى نحو أو فى فقه فقال بل فى فقه فضحك هرون حتى فحص برجليه فقال تلقى على أبى يوسف الفقه فقلت نعم ثم قال يا أبا يوسف فما تقول فى رجل قال لزوجته أنت طالق أن دخلت الدار قال ان دخلت الدار طلقت قال اخطأت يا أبا يوسف فضحك الرشيد ثم قال فكيف الصواب قال اذا قال أن وجب الفعل دخلت بعد أو لم تدخل واذا قال ان بالكسر لم يجب ولم يقع الطلاق * دخل الفراء على الرشيد فتكلم فلحن مرات فقال له جعفر يا أمير المؤمنين انه قد لحن فقال الرشيد للفراء أتلحن يا يحيى فقال ان طبع أهل البدو الاعراب وطباع أهل الحضر اللحن فاذا احفظت أو كتبت لم الحن واذا رجعت الى الطبع لحنت فاستحسن الرشيد كلامه وعلم أنه الحق وهذا القدر من المناظرة النحوية كاف (قوله الزماجر) أى الاصوات من الجوف كصوت الاسد الواحدة زمجرة (صمت) سكت (المزجور) المنهى (والزاجر) الناهى وزجرته انتهرته (أنبئكم بتأويله) أخبركم بتفسيره (المغايرة) المخالفة وهى من لفظ غير (المضمار) الموضع يختبر فيه جرى الخيل (فرط) سبق (افراط) تجاوز الحد (مماراته) مخاصمته (انخراط) اندفاع وانطلاق وخرط عبده أطلقه على اذاية الناس والمرأة نكحها والشجرة نثر ورقها بيده (مباراته) معارضته (نزال) أى انزلوا للحرب ولذلك بنيت على الكسر لانها فى معنى فعل الامر وهى كلمة تقال فى الحرب ولها مقامان الاول أن ينزلوا من ظهور الابل الى ظهور الخيل والثانى أن ينزلوا من ظهور الخيل الى الارض وذلك أشد ما يكون للحرب (تلببتم) تحزمتم (النضال) المراماة بالسهام (حرف) ناقة (حلوب) لها لبن (حازم) مشمر أخذ بالثقة (أماطت) أزالت (المعتقل) المحبوس (تجامل) أى تلق المعزول بجميل (أخل) نقص (معكوسه) مقلوبه (نائبه) القائم مقامه (أرحب منه وكرا) أوسع موضعا (مكرا) تصرفا (الحجال) جمع حجلة وهى الستر (المراتب) المواضع (استضافة) اضافة (أردف) جعل ردفه أى خلفه (قوم) قدرت قيمته (الدون) الحقير (الزبون) الكريم الكثير دفع العطايا أى أخرج من هذه الصفة (والهون) الهوان (وفق) موافقة (لددكم) خصامكم (عدتم) رجعتم للخصام * ومن ملح ابن رشيق فى مليح نحوى

ان زارنى يوما على خلوة * أوزرته فى موضع خال

كنت له رفعا على الابتدا * وكان لى نصبا على الحال

قال الميكالى أفدى الغزال الذى فى النحو كلمنى * مجادلا فاجتنيت الشهد من شفته

وأورد الحجج المقبول شاهده * مناظر البر ينى فضل معرفته

ثم اتفقنا على رأى رضيت به * والرفع من صفتى والخفض من صفته

(أحاجيه) ألغازه (هالت) عظمت فى النفوس (انهالت) انصبت وانهال الرمل انصب أعلاه الى أسفله (الافكار) الاذهان (حالت) تغيرت (استسلمت) انقادت (تمائمنا) معاذاتنا وهى الاحراز (عدلنا) ملنا (الروية) الفكرة (استنزال) طلبه بتلطف (بغى) ظلم (ابتغاء) طلب (التبرم) الاستثقال وبرم بالامر برما ضجر والبرم البخيل الذى لا يدخل فى الميسر (والبصيرة) اليقين والمعتقد وجمعها بصائر و(الطغام) الاوغاد وأرذال الناس (آنلتكم) أعطيتكم (مراما) مرادا (تخولونى) تملكنى وتعطينى

ويختصني كل منكم بيد
فلم يبق في الجماعة الا من
أذعن لحكمه ونبذ اليه
خبأة كمه فلما حصلت
تحت وكائه أضرم شعلة
ذكائه فكشف حينئذ
عن أسرار ألغازه وبدائع
احجازه ما جلا به صدأ
الاذهان وجلى مطلعه
بنور البرهان (قال الراوي)
فهمنا حين فهمنا وعجبنا
اذ أجبنا وندمنا على
ما ندمنا وأخذنا نعتذر اليه
اعتذار الاكياس
ونعرض عليه ارتضاع
الكاس فقال مأرب
لاحفاوة ومشرب لم يبق له
عندي حلاوة فأطلنا
مراودته والبينا معاودته

(يختصني) ينفرد في (بيد) أي نعمة (أذعن) انقاد وذل (نبذ) رمى (خبأة كمه) ما خبئ فيه (بدائع) غرائب (احجازه) ما عجز به (جلا) كشف (صدأ) وسخ (جلى) أوضح (البرهان) الحجة (همنا) تحيرنا لحسن ما سمعنا وهام الرجل ذهب في غير طريق (فهمنا) من الفهم أي عرفنا (ند) سبق وخرج يريد الخصام الذي بدروه به وردوا كلامه وند أصله شرد البعير (قوله الاكياس) الحذاق العقلاء (ارتضاع) شرب (مأرب) حاجة قال يعقوب قال الاموي ومن الامثال مأرب لاحفاوة يضرب للرجل اذا كان يتملقك أي انما بك حاجة الي لاحفاوة لي قال ابن سيده مأرب يبنا يكون واحدا وهو السابق ويكون جمع مأربة من الجمع الذي يفارق واحده بالهاء (حفاوة) تهمم وقد حفيت بك أي تهممت واعتنيت (ومشرب لم يبق له عندي حلاوة) قال الشاعر في معناه

ولم أجتنب شرب المدام لعلة * ولم ألحق الصهباء ذما ولا عذلا
تنافرني أن صرت ضد الشكلها * فليست لنا أهلا ولست لها أهلا

(وقال ابن رشيق)

فرعت سني على ما فاتني ندما * من الشباب ومن باللهو للشيب
فقد رددت كؤس الراح مترعة * على السقاة وكانت جل مشروبي
أنزه السمع والعينين في نغم * ومنظر عابث بالحسن والطيب
من كل لافظة بالدر باسمة * عنه محلاة نوع منه مثقوب
أيام تعجبني الغزلان آنسة * هذا على أنني أعدى من الذيب

والسابق لرد الكأس لعلة الكبر أيمن بن خريم بن فاتك الاسدي في قوله

وصهباء جرجانية لم يطف بها * حنيف ولم يسعر بها ساعة قدر
ولم يحضر القسي اليهم بنارها * طروقا ولم يشهد على طبخها حبر
أتاني بها يحيى وقد نمت نومة * وقد غابت الشعرى وقد جنح النسر
فقلت اغتبقها أو لغيري فاسقها * فما أنا بعد الشيب ويحك والخمر
تعففت عنها في السنين التي خلت * فكيف التصابي بعدما كلأ العمر
اذا المرء وفى الاربعين ولم يكن * له دون ما يأتي حياء ولا ستر
فدعه ولا تنفس عليه الذي ربا * وان جر أسباب الحياة له الدهر

قال الهيثم بن عدي كان قول بالكوفة من لم يرو هذه الابيات فلا مروأة له أنشدها أبو علي في نوادره وأنشد أيضا

رأيت النبيذ يذل العزيز * ويكسو التقي السني اتساخا
فهبني عذرت الفتى جاهلا * فما العذر فيه اذا المرء شاخا

وأنشد أيضا في نوادره لمن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية عمر وأنه جملة أشعار شهرتها في الكتاب أغنت عن ذكرها أن شرف أولئك في جاهليتهم على أن الخمر مباحة لهم من مجون جماعة من الاسلاميين على تحريمها عليهم مثل الرمادي في قوله

أفي الخمر لامت خلتي مستهامها * كفرت بمن سني ان أطعت ملامها
لمحمولة في الفلك في بنية المنى * فقد اوصى لنوح غرسها وضمامها
تخادعه ابليس عنها لعلمه * بما فيها أي كتمانها واغتنامها
ففاز بثلثيها ونوح بثلثها * ولولا مضى عنه لم يك رامها
له حظ أنثى وهو حظ مذكر * قليل لعيني ان أطيل انسجامها
وانا الورثات وقد مات جدنا * عنينا وانا لا نجيز اقتسامها

أخذ هذا من خبر يروى أن نوحا عليه الصلاة والسلام لما نزل من السفينة نازعه ابليس آدم

الحنب

العتب فاصطلحا أنّ لنوح الثلث ولابليس الثلثين ولما قيل للحسن نزعت عن اللهو الى التوبة قال

قالوا نزعت ولما يعلموا وطرى * فى وصل أغيد ساجى الطرف مياس
كيف النزوع وقلبى قد تقسمه * لحظ العيون ولوح الراح فى الكاس
اذا نزعت على رشدى تكنفنى * وأيان قد شغلا يسرى وافلاسى
فاليسر فى القصف واللذات أخلسها * والعمر فى وصل من أهوى من الناس
لاخير للعيش الا فى المجون مع الأكفاء والخمر والنسرين والآس
ومسمع يتغنى والكؤس لها * حث علينا باخماس وأسداس
ياموري النار قد أعيت قوادحه * اقبس اذا شئت من قلبى بمقباس

(قوله شمخ) أى تكبر ورفع أنفه (صلفا) قحة وصلابة وجه وفى فلان صلف أى قلة انطباع وموافقة اذا أردت منه شيأ تهاون بك والصليفان ناحيتا العنق كانه اذا كلمته فى شئ أعرض عنك ولوى عنك صليفه والصلف مجاوزة قدر الظرف وفى الشهاب آفة الظرف الصلف (ناء) نهض ويروى نأى تباعد (أنفا) غضبا وأنفت من كذا تنزهت عنه وترفعت وأصله من رفع الانف فكأنه رفع أنفه تيها عليهم وتكبرا عن منادمتهم لاحتقاره لهم أولا قبل اختباره ثم تبدل لهم آخر بعد اعتباره واعتذر لذلك بالشيب ونذكرهنا فصلا أدبيا يأتى على جميع أغراض هذه الابيات * قال بعض الظرفاء يذم الخمر الشراب أول الخراب ومفتاح كل باب يمحق الاموال ويذهب الجمال ويهدم المروأة ويوهن القوة ويضع الشريف ويذل العزيز ويبيح الحرائر ويفلس التجار ويهتك الاستار ويورث الشنار * وقال بعضهم لابنه كثرة الشراب تكسد القلب وتقل المكسب وتغير اللب واعلم أن الظمأ الذابح خير من الرى الفاضح وقال يزيد بن محمد المهلبى يذمه

فشمخ بانفه صلفا وناء بجانبه أنفا

لعمرك ما يحصى على الناس شرها * وان كان فيها لذة ورخاء
مرارا تريك الغى رشدا وتارة * تخيل أن المحسنين أساؤا
وان الصديق الماحض الود مبغض * وان مديح المادحين هجاء
وجربت اخوان النبيذ فقلما * يدور لاخوان النبيذ اخاء

وقال ابن الرومى

مودة اخوان النبيذ سلافة * يبولونها عند انقضاء المجالس
فبينا تراهم أهل الف واثرة * وبينا تراهم بينهم حرب داحس
فأما اذا نادمتهم لملمة * فما دا التصاوير التى فى الكائس

ولهذا كتب الحسن الى صديق له يستهدى منه مشروبا

لما رأيت اللحظ للقاعد * والناس من واش ومن حاسد
خلوت فى بيتى وحدى ولا * أقل فى الاعداد من واحد
فابعث بما تشغلنى واكفنى * رؤية هذا العالم الفاسد

(وقال أيضا)

خلوت بالخمر أناجيها * أشرب منها وأعاطيها
نادمتها اذلم أجد صاحبا * أرضاه أن يشركنى فيها
شربتها صرفا على وجهها * فكنت ساقيها وحاكيها

قيل لبعضهم لم لا تتخذ لك نديما قال لانه مأخوذ من الندم واختلفوا فى اختيار استعمال النديم فمنهم من اختار نديما واحدا ومنهم من انتهى فى الاختيار الى ستة بالساقى وصاحب البيت وما زاد على ذلك فمذموم باجماع منهم قال وأنشدوا فى ذلك

وخير الندامى ستة من ذوى الحجى * فخمسة اخوان وآخر يمنع
ويحمد فى الاخوان من كان محسنا * بصوت بعينيه ولا يتمنع

(قوله نهاني الشيب) جعله الناهي عن اللذات لانه الداعي الى الفناء والنذير بالموت وما يقول بعير هذا الامتكلف عذر كقول اعرابي ويروى لابراهيم بن المهدي

لقد جل قدرا لشيب ان كان كلما * بدت شيبة يعرى من اللهو مركب

وقال المعذل لاح شيبي فظلت أمرح فيه * مرح الطرف في اللجام المحلى

وتولى الشباب فارددت ركضا * في ميادين باطل اذ تولى

ان من ساءه الزمان بشيب * لاحق أمره بأن يتسلى

أتراني أسوء نفسي لما * ساءني الدهر لا لعمري كلا

(وقال البحتري يعتذر منه)

عيرتني بالشيب وهي رمته * في عذاري بالصد والاجتناب

لا تريه عارا فما هو بالشيب ولكنه جلاء الشباب

وبياض البازي أصدق حسنا * ان تأملت من سواد الغراب

وأنشد
مالى الشيب مما فيه أفراحي

(أخذه ابن رشيق فقال)

وان لم تعجبي ببياض شعر * فلا تستغربي بلق الغراب

تعافين المشيب وليس هذا * ولكن هذه شيمة الشباب

(وقال حبيب يتشكاه)

أصبحت روضة الشباب هشيما * وغدت ريحه البليل سموما

شعلة في المفارق استودعتني * في صميم الفؤاد ثكلا صميما

غرة غرة ألا انما كنت أغرا أيام كنت بهيما

رقة في الحياة تدعى جلالا * مثل ما سمي اللديغ سليما

(وقال مسلم بن الوليد)

الشيب كره وكره أن يفارقني * أعجب بشئ على البغضاء مورود

يمضي المشيب فلا يأتي له خلف * والشيب يذهب مفقودا بمفقود

أخذه سليمان بن وهب حين نظر الى المرآة فقال عيب لاعدمناه وقال أبو الفتح البستي

ياشيبتي دومي ولا تترحلي * وتيقني اني بوصلك مولع

قد كنت أجزع من حلولك مدة * والآن من خوف ارتحالك أجزع

وزاد أبو الطيب على هذا فقال وذكر أنه يتمنى الشيب في زمن الشباب

متى كان لي ان البياض خضاب * فيخفى بتبييض القرون شباب

ليالي عند البيض فودي فتنة * وفخر وذاك الفخر عندي عاب

فكيف أذم اليوم ما كنت أشتهي * وأدعو بما أشكوه حين أجاب

كان أبا الطيب نسي ما قاله في الشيب في الزمن الذي زعم أنه كان يشتهيه ويتمناه

ابعد بعدت بياضا لا بياض له * لانت أسود في عيني من الظلم

وقال ربعي من كان يبكي الشباب من أسف * فلست أبكي عليه من أسف

كيف وشرخ الشباب أوقفني * يوم حسابي مواقف التلف

لاصحبت شرة الشباب ولا * عدمت ما في المشيب من خلف

وقال ابن رشيق أرابك للشيب ذا اكتئاب * فأين تمضي عن الصواب

ان كنت ترعى الوفاء حقا * فالشيب أوفى من الشباب

وحقيقة

وحقيقة الامر أنه مازال الناس يكرهون الشيب ويذمونه نثرا ونظما لما فيه من دليل الفناء والهيبة عند النساء وقطع اللذات بالرقبة والحياء ويحبون الشباب ويمدحونه لما فيه من عذرة الجاهل واتيان العاجل وحسن الشمائل الا أن لطف الحذاق من الشعراء فى تحسين ما كانوا يكرهون وتقبيح ما كانوا يمدحون رياضة للنفوس وتوسعا فى القول كما قال أحدهم

تفاريق شيب فى العذار لوامع * وما حسن ليل ليس فيه نجوم

وقالوا فى الشيب استحكام الوقار وتناهى الجلال وميسم التجربة وشاهد الحلية وهذه مقاصدهم فقف عليها (قوله افراحى) جمع فرح (الراح) الخمر والثانى جمع راحة وهى الكف (معتقة) خمر قديمة شديدة الحمرة (أنار) بيض (اصباحى) احمرار شعرى والصبح حمرة الشعر وضعه موضع السواد لان كليهما من حلية الشباب وحمله على هذا ما ضمن الشيب من التحسين فيقول مستفهما هل يجوز شربى فى البكور من خمر صافية فى حال تغيير الكبر شبابى وتبديله حلية الشباب بحلية الشيوخ (خامرتنى) خالطتنى (افصاحى) تبيينى (السلاف) الخمر (أجلت) صرفت (قداحى) سهام الميسر (أقداح) جمع قدح وهو الكأس (صرفت) رددت (صرف) خمر (مشعشعة) رقيقة المزاج (همى) همتى وارادتى (رحت) مشيت بالعشى (مرتاحا) مهتزا من الطرب وارتاح وجد راحة الطلب أو خفة الكرم (نظمت) جمعت (مشمولة) خمر وهى الشمول سميت بذلك لاشتمالها على عقل صاحبها وقيل لانها تشمل القوم ريحها أى تعمهم وقيل لها عصفة كعصفة الريح الشمال (شملى) مجموع أمرى و(الندمان) هو النديم (الصاحى) المفيق من سكره (محا) أزال (مراحى) طربى (خط) كتب (أبغض به) أى ما أبغضه الى (لاح) ظهر (يلحى) يلوم ويغلظ القول (جرى العنان) أى انهماكى فى الملاهى (ملهى) لهو (سحقا) بعدا (لائح) ظاهر فى الرأس (لاح) شاتم وعائب يريد أن شيبه لاح فى رأسه فلحاه عن اللهو والصبا (فودى) جانب رأسى (شائب) فيه الشيب (خبا) طفئ وسكن ضوؤه (غسان) قبيلة وأحسن ما سمعت فى شيب الفود وفى وخط المشيب الذى ذكر قول عبد الرحيم بن هرون

رأيت الشيب مبتسما بفودى * ففاضت أدمعى بدم الفؤاد
وعمرى كل يوم فى انتقاص * وذاك النقص لقب بالزيادى
ولى خط وللايام خط * وبينهما مخالفة المداد
فأكتبه سوادا فى بياض * وتكتبه بياضا فى سواد

أنشدها الفنجديهى وقال عند انشادها ولعبد الحميد أبيات كأنها روضات جنات (قوله سجاياهم) أى طبائعهم (ياصاح) أراد يا صاحب فرخم لكثرة الاستعمال ولما جعل غسان من عادتهم توقير الضيف والشيب ضيف وجب عليه توقيره ومراعاة مثل هذا العموم قد تقدم له فى ذم الزجاج الذى جرت عليه سبيله وأخذ هذا من قول دعبل

أحب الشيب لما قيل ضيف * لحبى للضيوف النازلينا

وقال المتنبى فى ذم هذا الضيف

ضيف ألم برأسى غير محتشم * والسيف أحسن فعلا منه باللمم
ابعد بعدت بياضا لا بياض له * لأنت اسود فى عينى من الظلم

وقال محمود الوراق

للضيف أن يقرى ويعرف حقه * والشيب ضيف فاقره بخضاب
وافى بأصدق شاهد ولربما * وافى المشيب بشاهد كذاب
فافسخ شهادته عليك بخضبة * تنفى الظنون بها عن المرتاب
فاذا دنا وقت الرحيل فخله * والشيب يذهب فيه كل ذهاب

فكيف أجمع بين الراح والراح
وهل يجوز اصطباحى من معتقة
وقد أنار مشيب الرأس اصباحى
آليت لاخامرتنى الخمر ما علقت
روحى بجسمى وألفاظى بافصاحى
ولا اكتست لى بكاسات السلاف يد
ولا أجلت قداحى بين أقداح
ولا صرفت الى صرف مشعشعة
همى ولا رحت مرتاحا الى راح
ولا نظمت على مشمولة أبدا
شملى ولا اخترت ندمانا سوى الصاحى
محا المشيب مراحى حين خط على
رأسى فأبغض به من كاتب ماحى
ولاح يلحى على جرى العنان الى
ملهى فسحقا له من لائح لاحى
ولو لهوت وفودى شائب لخبا
بين المصابيح من غسان مصباحى
قوم سجاياهم توقير ضيفهم

والشيب ضيف له التوقير يا صاح ثم انه انساب انسياب الايم واجفل اجفال الغيم فعلمت انه سراج ممزوج وبدر الادب الذى بحتاب البروج وكان قصارانا التحرق لبعده والتفرق من بعده ﴿تفسير ما أودع هذه المقامة من النكت العربية والاحاجى النحوية﴾ أما صدر البيت الآخر من الاغنية الذى هو (فان وصل ألذ به فوصل) فانه نظير قولهم المرء مجزى بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر وهذه المسئلة أودعها سيبويه كتابه وجوز فى اعرابها أربعة أوجه أحدها وهو أجودها أن تنصب خيرا الاول وترفع الثانى وتنصب شرا الاول وترفع الثانى ويكون تقديره ان كان عمله خيرا فجزاؤه خير وان كان عمله شرا فجزاؤه شر فتنصب الاول على انه خبر كان وترفع الثانى على أنه خبر مبتدا محذوف وقد حذفت فى هذا الوجه كان واسمها لدلالة حرف الشرط الذى هو ان على تقديرهما وحذفت أيضا المبتدأ لدلالة الفاء التى هى جواب الشرط عليه لانه كثيرا ما يقع بعدها والوجه الثانى أن تنصبهما جميعا ويكون تقدير الكلام ان كان عمله خيرا فهو يجزى خيرا وان كان عمله شرا فهو يجزى شرا فينتصب الاول على انه خبر كان وينتصب الثانى انتصاب المفعول به والوجه الثالث أن ترفعهما جميعا ويكون تقدير الكلام ان كان فى عمله خير فجزاؤه خير فيرتفع خير الاول على انه اسم كان ويرتفع خير الثانى على ما بين فى شرح الوجه الاول وقد يجوز أن يرتفع خير الاول على انه فاعل كان وتجعل كان المقدرة ههنا هى التامة التى تأتى بمعنى حدث ووقع فلا تحتاج الى خبر كقوله تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة ويكون التقدير فى المسئلة ان كان خير فجزاؤه خير أى ان حدث خير فجزاؤه خير والوجه الرابع وهو أضعفها ان ترفع الاول على ما تقدم شرحه فى الوجه الثالث وتنصب الثانى على ما بين ذكره فى الوجه الثانى ويكون التقدير ان كان فى عمله خير فهو يجزى خيرا وعلى حسب هذا التقدير والمقدرات المحذوفات فيه يجرى اعراب البيت الذى غنى به ومما ينتظم فى هذا السلك قولهم المرء مقتول بما قتل به ان سيفا فسيف وان خنجرا فخنجر (وأما الكلمة التى هى حرف محبوب أو اسم لما فيه حرف حلوب) فهى نعم ان أردت بها تصديق الاخبار أو العدة عند السؤال فهى حرف وان عنيت بها الابل فهى اسم والنعم تذكر وتؤنث ويطلق على الابل وعلى كل ماشية فيها ابل وفى الابل الحرف وهى الناقة الضامرة سميت حرفا تشبيها لها بحرف السيف وقيل انها الضخمة تشبيها لها بحرف الجبل (وأما الاسم المتردد بين فرد حازم وجمع ملازم) فهو سراويل قال بعضهم هو واحد وجمعه سراويلات فعلى ٢٣ هذا القول هو فرد. وكى عن ضمه الحصر بأنه حازم وقال آخرون بل هو جمع واحده سروال مثل شملال وشماليل وسربال وسرابيل فهو على هذا القول جمع ومعنى قوله ملازم أى لا ينصرف وانما لم ينصرف هذا النوع من الجمع وهو كل جمع ثالثه ألف وبعدها حرف مشدد أو حرفان أو ثلاثة أوسطها ساكن لثقله وتفرده دون غيره من الجموع بأن لا نظير له فى الاسماء الآحاد وقد كنى فى هذه الاحجية عما لا ينصرف بالملازم كما كنى فى التى قبلها عما ينصرف باللازم (وأما الهاء التى اذا التحقت أماطت الثقل وأطلقت المعتقل) فهى الهاء اللاحقة بالجمع المقدم ذكره كقولك صيارفة وصياقلة فينصرف هذا الجمع عند التحاق الهاء به لانها قد اصارته الى أمثال الآحاد نحو رفاهية وكراهية تخف بهذا السبب وصرف لهذه العلة وقد كنى فى هذه الاحجية عما لا ينصرف بالمعتقل كما كنى فى التى قبلها عما لا ينصرف بالملازم (وأما السين التى تعزل العامل من غير أن تجامل) فهى التى تدخل على الفعل المستقبل وتفصل بينه وبين أن التى كانت قبل دخولها من أدوات النصب فيرتفع حينئذ الفعل وتنتقل أن عن كونها الناصبة للفعل الى أن تصير المخففة من الثقيلة وذلك كقوله تعالى علم أن سيكون منكم مرضى وتقديره علم أنه سيكون (وأما المنصوب على الظرف الذى لا يخفضه سوى حرف) فهو عند اذ لا يجره غير من خاصة وقول العامة ذهبت الى عنده لحن (وأما المضاف الذى أخل من عرا الاضافة بعروة واختلف حكمه بين مساء وغدوة) فهو لدن ولدن من الاسماء الملازمة للاضافة وكل ما يأتى بعدها مجرور بها الا غدوة فان العرب نصبتها بلدن لكثرة استعمالهم اياها فى الكلام ثم نونتها أيضا ليتبين بذلك أنها منصوبة لا أنها من نوع المجرورات التى لا تنصرف وعند بعض النحويين أن لدن بمعنى عند والصحيح أن بينهما فرقا لطيفا وهو أن عند يشتمل معناها على ما هو فى ملكك ومكنتك مما دنا منك وبعد عنك ولدن يختص معناها بما حضرك وقرب منك (وأما العامل الذى يتصل آخره باوله ويعمل معكوسه مثل عمله) فهو يا ومعكوسها أى وكلتاهما من حروف النداء وعملهما فى الاسم المنادى سيان وان كانت يا أجول فى الكلام وأكثر فى الاستعمال وقد اختار بعضهم أن ينادى بأى القريب فقط كالهمزة (وأما العامل الذى نائبه أرحب منه وكرا وأعظم مكرا وأكثر لله تعالى ذكرا) فهو باء القسم وهذه الباء هى أصل حروف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور فعل القسم فى قولك أقسم بالله ولدخولها أيضا على المضمر كقولك بك فعلن وانما أبدلت الواو منها فى القسم لانهما جميعا من حروف الشفة ثم لتقارب معنييهما لان الواو تفيد الجمع والباء تفيد الالصاق وكلاهما متفق والمعنيان متقاربان ثم صارت الواو المبدلة من الباء أدور فى الكلام وأعلق بالاقسام ولهذا ألغز بانها أكثر لله تعالى ذكرا ثم ان الواو أكثر موطنا من الباء لان الباء لا تدخل الا على الاسم ولا تعمل غير الجر والواو تدخل

(وقوله والشيب ضيف له التوقير) قام وكيع لسفيان

فكر

على الاسم والفعل والحرف وتجر تارة بالقسم وتارة باضمار رب وتنتظم أيضا مع نواصب الفعل وأدوات العطف فلهذا وصفها برحب الوكر وعظم المكر (وأما الموطن الذي يلبس فيه الذكران براقع النسوان وتبرز فيه ربات الحجال بعمائم الرجال) فهو أول مراتب العدد المضاف وذلك ما بين الثلاثة الى العشرة فانه يكون مع المذكر بالهاء ومع المؤنث بحذفها كقوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام والهاء في غير هذا الموطن من خصائص المؤنث كقولك قائم وقائمة ٢٣ وعلم وعلامة فقد رأيت كيف انعكس في هذا الموطن حكم المذكر والمؤنث حتى انقلب كل منهما في ضد قالبه وبرز في بزة صاحبه (وأما الموضع الذي يجب فيه حفظ المراتب على المضروب والضارب) فهو حيث يشتبه الفاعل بالمفعول لتعذر ظهور علامة الاعراب فيهما أو في أحدهما وذلك اذا كانا مقصورين مثل موسى وعيسى أو من أسماء الاشارة نحو ذا وذاك وهذا فيجب حينئذ لازالة اللبس اقرار كل منهما في رتبته ليعرف الفاعل منهما بتقدمه والمفعول بتأخره (وأما الاسم الذي لا يفهم الا باستضافة كلمتين أو الاقتصار منه على حرفين) فهو مهما وفيها قولان أحدهما أنها مركبة من مه التي هي بمعنى اكفف ومن ما والقول الثاني وهو الصحيح ان الاصل ما ما زيدت عليها ما أخرى كما تزاد على ان فصار لفظها ما ما فثقل عليهم توالي كلمتين بلفظ واحد فأبدلوا من ألف ما الاولى هاء فصار تامهما وهما من أدوات الشرط والجزاء ومتى نطقت بها لم يتم الكلام ولا عقل المعنى الا بايراد كلمتين بعدها كقولك مهما تفعل أفعل وتكون حينئذ ملتزما الفعل وان اقتصرت منها على حرفين وهو مه التي بمعنى اكفف فهم المعنى وكنت ملتزما من خاطبته أن يكف (وأما الوصف الذي اذا أردف بالنون نقص صاحبه في العيون وقوم بالدون وخرج من الزبون وتعرض للهون) فهو ضيف اذا لحقته النون استحال الى ضيفن وهو الذي يتبع الضيف وينزل في النقد منزلة الزيف ❊ (المقامة الخامسة والعشرون الكرجية) ❊ (حكى الحرث بن همام قال شتوت بالكرج لدين

فنكر قيامه ابيه فقال أتنكر لي قيامي اليك وأنت حدثتني عن عمرو بن دينار عن أنس بن مالك رضي الله عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اجلال الله عز وجل اجلال ذي الشيبة المسلم قال فأخذ سفيان بيده فأقعده الى جانبه وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما أكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله تعالى له من يكرمه عند كبر سنه وقال صلى الله عليه وسلم أوحى الي ربي يقول الشيب على عبدي المؤمن نور من نوري وأنا أكرم من أن أحرق نوري بناري وحدث محمد بن مسلم الخواص الرجل الصالح قال رأيت يحيى بن أكثم القاضي في المنام فقلت له ما فعل الله بك قال أوقفني بين يديه وقال يا شيخ السوء لولا شيبتك لاحرقتك بالنار فأخذني ما يأخذ العبد بين يدي مولاه فلما أفقت قالها ثانية وثالثة فلما أفقت قلت يارب ما هكذا حدثت عنك فقال تعالى وما حدثت عني قلت حدثني عبد الرزاق قال حدثني معمر بن راشد عن ابن شهاب الزهري عن أنس بن مالك عن نبيك محمد صلى الله عليه وسلم عن جبريل عنك يا عظيم انك قلت ما شاب لي عبد في الاسلام شيبة الا استحييت منه أن أعذبه بالنار فقال الله عز وجل صدق عبد الرزاق وصدق معمر وصدق الزهري وصدق أنس وصدق نبيي وصدق جبريل أنا قلت ذلك انطلقوا به الى الجنة

(شرح المقامة الخامسة والعشرين وتعرف بالكرجية) ❊

(شتوت) أقمت في الشتاء (الكرج) مدينة معروفة وبشدة البرد موصوفة وهي بين أصبهان وهمذان وقد تقدم برده ذان في الارل ومن همذان الى نهاوند مرحلتان ومن الكرج الى مدينة أصبهان ستون فرسخا وهي منازل عيسى بن ادريس بن معقل العجلي ولم تكن في أيام العجم مدينة مشهورة وانما كانت في عداد القرى العظام من رساتيق كورة أصبهان فنزلها العجليون فبنوا بها الحصون والقصور وجعلها أبو دلف مدينة عظيمة وقال أبو دلف دخلت على الرشيد فقال لي يا قاسم ما خبر أرضك قلت خراب يباب خربها الاكراد والاعراب فقال قائل هذا آفة الجبل وهو أفسده فقلت فأنا أصلحه قال الرشيد وكيف ذلك قلت أفسدته وأنت علي وأصلحه وأنت معي ففعل ذلك وعمر الكرج حتى صار دار أجناد ومحل وفود وقصاد ❊ وقال علي بن جبلة زرته في الجبل فلما حللت بالكرج أظهر من بري واكرامي أمرا مفرطا حتى تأخرت عنه تأخرا كبيرا فوصل الي معقل بن عيسى فقال يقول الامير انقطعت عني واستقللت بري فلا يغضبنك ذلك فسأزيد فيه حتى ترضى فقلت والله ما قطعني عنه الا افراطه بالبر نالي وكتب اليه في ذلك

هجرتك لم أهجرك من كفر نعمة ❊ وهل يرتجى نيل الزيادة بالكفر
ولكنني لما أتيتك زائرا ❊ فأفرطت في بري عجزت عن الشكر
فآليت لا آتيك الا مسلما ❊ أزورك في الشهرين يوما أو الشهر
فان زدتني برا تزايدت جفوة ❊ ولم تلقني طول الحياة الى الحشر

فلما وصلت اليه قال لله أنت ما أشعرك وأدق معانيك فأجابني لوقته وكان حسن البديهة

ألا رب ضيف طارق قد بسطته * وآنسته قبل الضيافة بالبشر
أتاني يرجيني فما حال دونه * ودون القرى والعرف من نيله ستري
وجدت له فضلا علي بقصده * الي وبرا زاد فيه على بري
فزودته مالا يقل بقاؤه * وزودني مدحا يدوم مع الدهر
وبعث الى جهاو بألف دينار مع وصيفة فقلت حينئذ
إنما الدنيا أبودلف * بين مبداه ومحتضره
فاذا ولى أبودلف * ولت الدنيا على أثره
ملك تندى أنامله * كانبلاج النوء عن مطره
مستهل عن مواهبه * كابتسام الزهر عن زهره
جبل عزت مناكبه * أمنت عدنان في ثغره
كل من في الارض من عرب * بين باديه ومحتضره
مستعير منه مكرمة * يكتسيها يوم مفتخره

أقتضبه وأرب أقتضبه فبلوت من شناتها الكالح وصرها النافح ما عرفني جهد البلاء وعكف بي على الاصطلاء فلم أكن أزايل وجاري ولا مستوقد ناري الالضرورة أدفعاليها أو اقامة جماعة أحافظ عليها فاضطررت في يوم جوه مزمهر ودجنه مكفهر الى أن برزت من كاني لمهم عناني فاذا شيخ عاري الجلدة بادي الجردة وقد اعتم بريطة واستثفر بفوطة

والبيت الثاني أحفظ المأمون على ابن جبلة حتى سل لسانه من قفاه (قوله أقتضبه) أي أجعله (ارب) حاجة (بلوت) قاسيت (الكالح) الشديد وكلح كلوحا أبدى أسنانه عند العبوس والبرد الشديد يبدي الاسنان عند رعدته (صرها) بردها الشديد (النافح) المتحرك بالريح الباردة (جهد البلاء) مشقة الضرو يقال بلغ جهده أي أقصى قوته فأراد بجهد البلاء المشقة التي يتمنى الانسان عندها الموت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعيذ منه * أبو هريرة رضي الله تعالى عنه علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الدعاء اللهم اني أعوذبك من سوء القضاء وجهد البلاء ودرك الشقاء وشماتة الاعداء وروي في جهد البلاء أنه القتل صبرا * أنس رضي الله تعالى عنه يرفعه قال قتل الصبر جهد البلاء وقال صلى الله عليه وسلم جهد البلاء أن تحتاج الى ما في أيدي الناس فيمنعونك * مجاهد قال كنت جالسا عند عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بالكوفة فأتي برجل أن يضرب عنقه فقلت هذا والله جهد البلاء فقال والله ما هذا الا كشرطة حجام بمشراط ولكن جهد البلاء فقر مدقع بعد غنى موسع * الاحنف جهد البلاء خمسة خادم مذموم وحطب رطب وبيت يصف وخوان ينتظر وحمار على الباب يدق (عكف بي على الاصطلاء) ألزمني التسخن بالنار وعكف على الشئ عكوفا لزمه (أزايل وجاري) أفارق بيتي والوجار جحر الضبع (اقامة جماعة) أي حضور الصلاة مع الجماعة وبردشكير بغرناطة كان أشد على ابن صارة حيث منعه الصلاة من برد الكرج على ابن همام حيث يقول ابن صارة
أحل لنا ترك الصلاة بأرضكم * وشرب الحميا وهو شئ محرم
فرارا الى نار الجحيم فانها * أرق علينا من شكير وأرحم
لئن كان ربي مدخلي في جهنم * ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم
(جوه مزمهر) هواؤه بارد والزمهرير البرد (دجنه مكفهر) سحابه متراكم مظلم (كاني) بيتي (مهم) أمر لا يؤخر (عناني) عرض لي وقصدني (الجردة) الجلدة التي تجرد عنها ثوبها وفلان حسن الجردة والتجرد أي حسن العري وقيل الجردة الثوب المتجرد البالي و(الريطة) عند العرب شئ رقيق شبه الملحفة ولذلك سمي به المرأة ولا معنى لهذه الصفة لانه قد وصفه بالعري وانما أراد به هنا شبه الكرار فهو لفظ مغير عن أصله كالفوطة عند نا ضرب مما يعتم به وهي مغيرة عن أصلها وانما أصل الفوطة ثوب يجلب من الهند غليظ وتصغيرها فويطة يلبسه أهل مصر وأهل المشرق كما يلبس أهل المغرب وأهل الاندلس الاحرام والمئزر (واستثفر) بالثوب اذا لواه على فخذيه ثم أخرجه

من

من بينهما فشدّه فى حجزته واستثفر الكلب بذنبه جعله بين فخذيه فتخيل صورة السروجى هنا التى هى نهاية فى القبح على ما يتصف به أبدا او قد لوى على رأسه قطعة من عمامة بالية واستثفر بمثلها افلا تجد له مثلا الا ما قال أبو دلامة فى نفسه

اذا لبس العمامة كان قردا * وخنزيرا اذا نزع العمامه

وأين هذا من قول ابن رشيق فى غلام معتمّ بعمامة حمراء

يا من يمرّ ولا تمرّ به القلوب من الحرق

بعمامة من خدّه * أو خدّه منها سرق

فكأنه وكأنها * قمر أحاط به شفق

شغل الجوارح والجوا * نح والخواطر والحدق

وقال السلامى فى عمامة

حسناء ضافية بيضاء صافية * كأن رونقها فى صارم ذكر

يزين أطرافها طرز كما رقمت * على المجرة طرز الانجم الزهر

(كثيف) خشن منضم بعض حواشيه الى بعض من الكثرة (يحاشى) يستثنى (ينبئ) يخبر (أوان القرّ) وقت البرد (حاذروا) خافوا (سلم) صلح (نبيه القدر) رفيع المنزلة (آوى) ارجع (وفر) مال كثير (يفرى) يقطع (تفيد) تأتى بالفوائد (صفرى) دنانيرى (تبيد) تتلف (سمرى) رماحى (كومى) ابلى والكوماء الناقة العظيمة السنام (اقرى) أطعم الاضياف أى تشتكى ابلى من كثرة ما أنحرها للضيفان (شن) فرّق (الرزايا) المصائب (الغبر) الآتية فى الزمان المحل (يسحتنى) يستأصل مالى (يبرى) يقطع لحمى (عفت) درست (غاض) ذهب وجف (درى) لبن ابلى (بار) كسد وضاع (سعرى) سوقى (نضو) هزيل (فاقة) حاجة وفقر (عسر) ضيق حال (المطا) الظهر (قشرى) ثيابى و (الدفء) ذهاب البرد وقد دفئ يدفأ أى سخن وذهب برده (الصن والصنبر) يومان من أيام العجوز وهى سبعة أربعة من آخر فبراير وثلاثة من أول مارس وقال الشاعر يجمعها

كسع الشتاء بسبعة غبر * بالصن والصنبر والوبر

وبآمر وأخيه مؤتمر * ومعلل وبمطفئ الجمر

(التضحى) الجلوس للشمس (خضم) كريم شبه بالبحر وهو الخضم (ذورداء غمر) ذو عطاء كثير (مطرف) ثوب مربع فى طرفه علم * الفراء قيل مطرف لانه أطرف أى جعل فى طرفيه العلمان (طمر) ثوب خلق (أرباب الثراء) أصحاب المال (الرافلين) الماشين بخيلاء وتبختر (الفراء) جمع فروة (أوتى) أعطى (خيرا) مالا (يرفق) يعين وأرفقته أعطيته ما يرتفق به (غرور) كثير الخداع (عثور) واقع بأهله (المكنة) الغنى (طيف) ما يرى فى النوم * ابن الانبارى فى طيف الخيال قولان قيل أصله طيف نخفف وقال الاصمعى رحمه الله تعالى هو مصدر طاف وبه أخذ السهيلى رحمه الله تعالى فقال هو مصدر طاف الخيال يطيف طيفا ولا يقال منه طائف على فاعل لانه لا حقيقة للخيال انما هو توهم وتخيل فان كان شئ له حقيقة قلت فيه طائف نحو قوله تعالى فطاف عليها طائف من ربك لان الذى طاف عليها له حقيقة و يقال انه جبريل عليه الصلاة والسلام وأما قوله تعالى اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فقد قرئ طائف أيضا فطائف لان له حقيقة وطيف لانه غرور الشيطان وأمانيه تشبه بالخيال وما لا حقيقة له فتحصل من هذا ثلاث مراتب الخيال ولا حقيقة له فيعبر بالطيف ويقال فى وسوسة الشيطان طائف وطيف وما عدا هذين فهو باسم الفاعل ولا يعبر عنه بطيف فقف عليه (الفرصة) ما تهيأ لك وتيسر لك من مطالبك (مزنة صيف) أى سحابة لا دوام لها وأراد قول عمران بن حطان

وحواليه جمع كثيف الحواشى

وهو ينشد ولا يحاشى

يا قوم لا ينبئكم عن فقرى

أصدق من عربى أوان القرّ

فاعتبروا بما بدا من ضرّى

باطن حالى وخفىّ أمرى

وحاذروا انقلاب سلم الدهر

فاننى كنت نبيه القدر

آوى الى وفر وحدّ يفرى

تفيد صفرى وتبيد سمرى

وتشتكى كومى غداة أقرى

فجرّد الدهر سيوف الغدر

وشن غارات الرزايا الغبر

ولم يزل يسحتنى و يبرى

حتى عفت دارى وغاض درّى

وبار سعرى فى الورى وشعرى

وصرت نضو فاقة وعسر

عارى المطا مجرّدا من قشرى

كأننى المغزل فى التعرّى

لا دفء لى فى الصنّ والصنبر

غير التضحى واصطلاء الجمر

فهل خضمّ ذورداء غمر

يسترنى بمطرف أو طمر

طلاب وجه الله لا الشكرى

ثم قال يا أرباب الثراء الرافلين

فى الفراء من أوتى خيرا

فلينفق ومن استطاع أن

يرفق فليرفق فان الدنيا

غرور والدهر عثور والمكنة

زورة طيف والفرصة

مزنة صيف وانى والله لطالما

أرى أشقياء الناس لا يسئمونها * على أنهم فيها عراة وجوع

أراها وإن كانت تحب فإنها * سحابة صيف عن قريب تقشع

ولما ولي بلال بن أبي بردة البصرة كان اذا اجتاز في موالية بخالد بن صفوان يقول سحابة صيف عن قريب تقشع * فبلغ قوله بلالا فقال والله لا تقشع حتى يصيبك منها شؤبوب فرده ثم ضربه مائة سوط (كافات) جمع كاف وأراد بها آلتيه وما يستعدله بها وهي الأهب التي أراد (موافاته) مجيئه وحضوره (ساعدي) ذراعي (بردتي) ثوبي (الحفنة) ما يملأ الكف (الجفنة) الصحفة (فليتعظ) أي يعتبر ويجعلني عبرة (صرف) تقلب (استعد) أعد (لمسراه) مثواه وقال الالبيري في هذا المعنى

وذي غنى أوهمته همته * أن الغنى عنه غير منفصل

جر أذيال عجبه بطرا * واختال للكبر ياء في حلل

رنه أيدي الخطوب بريته * فاعتاض بعد الجديد بالسمل

فلا تثق بالغنى فآفته الـ * فقر وصرف الزمان ذو دول

كفى بنيل الكفاف منه غنى * عنه فكن فيه غير محتفل

*ومن مقامات البديع حدثنا عيسى بن هشام قال أحلني جامع حار ريا وقد انتظمت مع رفقة في سلك الثريا وحين احتفل الجامع بأهله طلع الينا ذو طمرين قد أرسل صوانا واستتلى طفلا عريانا يضيق بالضر وسعه ويأخذه القر ويدعه لا يملك غير القشرة بردة ولا يكتنفي بحماية رعدة فوقف الرجل وقال لا ينظر لهذا الطفل الامن يرحم الله طفله ولا يرق لهذا الضر الامن لا يأمن مثله يا أصحاب الخدود المفروزة والاردية المطروزة والدور المنجدة والقصور المشيدة انكم لن تأمنوا حادثا ولن تعدموا وارثا فبادروا الخير ما أمكن وأحسنوا مع الدهر ما أحسن فقد والله طعمنا السكباج وركبنا الهملاج ولبسنا الديباج وافترشنا الحشايا بالعشايا فما راعنا الا هبوب الدهر بغدره وانقلاب المجن لظهره فعاد الهملاج قطوفا والديباج صوفا وهلم جرا الى ما تشاهدون من حلي ومن تشاهدون في زي فها نحن نرتضع من الدهر ثدي عقيم ونركب من الفقر ظهر بهيم فلا نرنو الابعين اليتيم ولا نمد الا يد الغريم فهل من كريم يجلو غياهب هذه البؤس ويفل أسباد هذه النحوس ثم قعد مرتفعا وقال للطفل أنت وشأنك فقال ما أكاد أقول وهذا الكلام لو لقي الشعر لحلقه أو الصخر لفلقه وان قلبا لم ينضجه لنيء وقد سمعتم يا قوم مالم تسمعوا قبل اليوم فليشغل كل منكم بالجود يده وليذكر غداه وافيا ولده وامنحوني أشكركم واذكروني أذكركم وتمامها في العشرين (قوله جلوت) أظهرت وكشفت (اجل) اكشف وبين عنه (تبا) خسرانا (نحر) بال (المنتقى) المختار (تجلى) تبدى وظهر (الرميم) البالي (يبغي) يطلب وقوله تبا لمفتخر بعظم نخر كانت العرب تتفاخر بالاحساب وتتعاظم بكرم الآباء فنزل القرآن العظيم بترك ذلك في قوله تعالى انما المؤمنون اخوة وان أكرمكم عند الله أتقاكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع أيها الناس انما الناس اخوة وليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب وأكرمكم عند الله أتقاكم فلذلك قال انما الفخر بالتقى وقال علي كرم الله وجهه ورضي عنه

الناس من جهة التمثيل أكفاء * أبوهم آدم والأم حواء

فان يكن لهم من قبل ذا نسب * يفاخرون به فالطين والماء

﴿وقال عامر بن الطفيل﴾

واني وان كنت ابن سيد عامر * وفي السر منها والصريح المهذب

تلقيت الشتاء بكافاته
وأعددت الاهب له قبل
موافاته وها أنا اليوم
يا سادتي ساعدي وسادتي
وجلدتي بردتي وحفنتي
جفنتي فليتعظ العاقل
بحالي وليبادر صرف الليالي
فان السعيد من اتعظ
بسواه واستعد لمسراه
فقيل له قد جلوت علينا أدبك
فاجل لنا نسبك فقال تبا
لمفتخر بعظم نخر انما الفخر
بالتقى

فما سودتني عامر عن وراثة * أبى الله ان أسمو بأم ولا أب
ولكنني أحمى حماها وأتقى * أذاها وأرمى من رماها بمنكب

فهذا مع امكانه الفخر بالآباء لم يفخر الا بنفسه وأخذه عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب فقال

لسنا وان احسابنا كرمت * يوما على الاحساب نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا * تبنى ونفعل مثل مافعلوا

وهذا مثل قول الحسن رضى الله تعالى عنه وقد أجزل صلة شاعر فليم في ذلك فقال أتراني خفت أن يقول انى لست ابن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ولا ابن على بن أبي طالب كرم الله وجهه ولكنى خفت أن يقول لست كمثلهما فيصدق ويحمل عنه ويبقى مخلدا في الكتاب محفوظا على ألسنة الرواة فقال الشاعر أنت والله يا ابن رسول الله أعرف بالمدح والذم منى (قوله والادب المنتقى) حدثنى يحيى بن اكثم قال بينما أنا جالس مع المأمون اذ دخل الدار فتى أبدع الناس زيا وهيبة ووقارا وهو لا يلتفت اعجابا بنفسه فنظر اليه المأمون فقال يا يحيى ان هذا الفتى لا يخلو أن يكون هاشميا أو نحويا ثم بعثنا من يتعرف ذلك منه فعاد الرسول فأخبر انه نحوى فقال المأمون يا يحيى أعلمت ان علم النحو قد بلغ باهله من عزة النفس وعلو الهمة منزلة بنى هاشم في شرفهم يا يحيى من قعد به نسبه قام به أدبه قال وأنشد الشاعر

كن ابن من شئت واتخذ أدبا * يغنيك مأثوره عن النسب
ان الفتى من يقول ها أناذا * ليس الفتى من يقول كان أبى
مالى عقلى وهمتى حسبى * ما أنا مولى ولا أنا عربى
ان انتمى منتم الى احد * فاننى منتم الى أدبى

وتكلم رجل عند عبد الملك بكلام ذهب فيه كل مذهب فقال له وقد أعجبه ابن من أنت يا غلام فقال ابن نفسى يا أمير المؤمنين التى نلت بها هذا المقعد منك قال صدقت أخذه ابن دريد فقال

كن ابن من شئت وكن مؤدبا * فانما المرء بفضل حسه
وليس من تكرمه لغيره * مثل الذى تكرمه لنفسه

وقالت عائشة رضى الله عنها كل كرم دونه لؤم فاللؤم أولى به وكل لؤم دونه كرم فالكرم أولى به يعنى ان أفعال الانسان اذا كرمت لم يضره لؤم آبائه واذا لؤمت لم ينفعه كرم آبائه وقال المعرى

لو يعلم الانسان مقداره * لم يفخر المولى على عبده
لولا سجاياه وأخلاقه * لكان كالمعدوم فى وجده
ومجده أفعاله لا الذى * من قبله كان ولا بعده

(قوله على ما تجلى يومه) أى على ما ظهر وانكشف يومه من أفعاله المحمودة أو المذمومة (محقوقفا) منحنيا (اجرنثم) انقبض (مقفقفا) مرتعدا ويقال قف شعره اذا ارتفع من ذعر أصابه وقف جلدى من هذا الحديث اذا اقشعر من استشناع ما سمع فاذا ضعف الفعل فرد على فعفل زاد معناه مبالغة (غمر بنواله) أى غطى بعطاياه (وأمر بسؤاله) يريد قوله تعالى واسألوا الله من فضله (آله) أهله (أهواله) شدائده ومخاوفه (أتح) قدر (يؤثر) يفضل غيره على نفسه (خصاصة) جوع وهذا منتزع من القرآن و(العصامية) منسوبة الى عصام بن شهر بن الحرث الجرمى حاجب النعمان بن المنذر الذى يقول له النابغة

فانى لا ألام على دخول * ولكن ماوراءك يا عصام

والادب المنتقى ثم أنشد
لعمرك ما الانسان الا ابن يومه
على ما تجلى يومه لا ابن امه
وما الفخر بالعظم الرميم وانما
فخار الذى يبغى الفخار بنفسه
ثم انه جلس محقوقفا
واجرنثم مقفقفا وقال
اللهم يا من غمر بنواله وأمر
بسؤاله صل على محمد وآله
واعنى على البر وأهواله
وأتح لى حرا يؤثر من خصاصة
ويواسى ولو بقصاصة
(قال الراوى) فلما جلى
عن النفس العصامية
والملح الاصمعية جعلت

ولم يكن عصام شريفا ولا نشأ في قومه ولكن كان من أشد الناس بأسا وأفصحهم لسانا وأحزمهم رأيا وأقربهم الى النعمان وقال له رجل يوما كيف بلغت هذه المنزلة من الملك وأنت دنيء الاصل فقال

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والاقداما * وصيرته سيدا اهماما

ويقال كن عصاميا ولا تكن عظاميا أي افتخر بنفسك لا بآبائك الذين ماتوا وبقيت عظامهم فكل من ليس له شرف قديم وشرف بنفسه يقال له عصامي وكانت لرجل عند الحجاج حاجة فوصف بالجهل والحمق فأراد أن يختبره فقال أعصامي أنت أم عظامي فقال له الرجل عصامي عظامي فظن انه يريد افتخاره بنفسه لفضله وبآبائه لشرفهم فقال الحجاج هذا من أفضل الناس وقضى حاجته ثم جربه بعد ذلك فوجده أجهل الناس فقال له اصدقني والا قتلتك كيف أجبتني بعصامي وعظامي فقال له الرجل لم أعلم معناهما فخشيت أن أقول أحدهما فأخطئ فقلت في نفسي أقولهما معا فان ضرني أحدهما نفعني الآخر فقال الحجاج المعاذير تصير الغبي خطيبا فذهب مثلا وسمع المأمون رجلا يفخر بنفسه وهو ناقص فقال أنت عظامي لا عصامي ولهذا أشار بما تقدم من قوله تبالمفخر بعظم نخر يريد ان عصاما ساد بنفسه لا بآبائه وكذلك السروجي لم يفخر الا بنفسه (الاصمعية) التي حكاها الاصمعي وقدمر من ملح الاصمعي في هذا الكتاب جملة كافية بحمد الله تعالى والاصمعي عصامي لانه من باهلة وهي أهجن قبيلة في العرب والأئمة ذكر المبرد في كامله جملة أخبار في أمثالها قال فيها الشاعر

ولو قيل للكلب يا باهلي * عوى الكلب من لؤم ذاك النسب

وهو مع ذلك خامل المنشا وقد ذكر انه في الاربعين خمول أبيه الا انه ساد الناس بنفسه أدبا وعلما ودينا ومن ملحه انه قال بينما انا في طرق البصرة اذا انا بكناس يكنس كنيفا واذا هو يقول

فاياك والسكنى بارض مذلة * تعد مسيأ فيه ان كنت محسنا

فنفسك اكرمها وان ضاق مسكن * عليك بها فاطلب لنفسك مسكنا

قال فوقفت عليه فقلت والله ما بقي عليك من الهون شيء الاوقد اهنتها به فما الذي نلت من كرامتها قال والله لكنس الف كنيف احسن من القيام على باب مثلك ساعة * الاصمعي كان اعرابيان متواخيين بالبادية ثم ان احدهما استوطن الريف واختلف الى باب الحجاج فولاه اصبهان فسمع اخوه خبره فضرب اليه فأقام ببابه حينا لا يصل اليه ثم اذن له بالدخول فأخذه الحاجب فمشى به وهو يقول فلست مسلما ما دمت حيا * على زيد بتسليم الامير

فقال زيد لا أبالي فقال الاعرابي

أتذكر اذ لحافك جلد شاة * واذ نعلاك من جلد البعير

فقال نعم فقال الاعرابي

فسبحان الذي أعطاك ملكا * وعلمك القعود على السرير

ملامح عيني تجمه ومرامى لحظي ترجه حتى استبنت انه ابو زيد وان تعزيه احبولة صيد ولمح هو ان عرفاني قد أدركه ولم يأمن ان يهتكه فقال اقسم بالسمر والقمر والزهر والزهر انه لن يسترني الامن طاب خيمه وأشرب ماء المروءة أديمه فعقلت ما عناه وان لم يدر القوم معناه وساءني ما يعانيه من الرعدة واقشعرار الجلدة فعمدت لفروة هي بالنهار رياشي وفي الليل فراشي فنضوتها عني وقلت له اقبلها مني فما كذب أن افتراها وعيني تراها ثم أنشد لله من ألبسني فروة أضحت من الرعدة لي جنه

(تجمه) تختبره (مرامي لحظي) نظرات عيني وسهام نظري واحد المرامي مرماة وهي السهم (ترجه) ترميه وتقع عليه (أحبولة) شبكة (يهتكه) يكشفه (السمر) ظل القمر ثم سمي حديث الليل سمرا به (الزهر) النجوم (خيمه) طبعه (أشرب) سقي (المروأة) الفعل الجميل (أديمه) وجهه ويقال أشرب فلان حب فلان اذا خالط حبه قلبه (ماعناه) ما أراده يريد انه لما قال لن يسترني انما اراد لن يستر علي هذه الحيلة التي أريد بها خداع الناس بعد ما عرفتها الامن هو كما وصف وقال النبي صلى الله عليه وسلم من رأى عورة أخيه فسترها كان كمن أحيا موؤدة من قبرها (ساءني) شق علي (يعانيه) يقاسيه (اقشعرار) انقباض وارتعاد (عمدت) قصدت (رياشي) لباسي (نضوتها) جردتها (افتراها)

اتخذها (جنة) ستراووقاية (واقيا) صائنا (مهجتى) نفسى (وقى) كفى (الجنة) الجن (سندس) ثياب خضر (افتنانه) تنوعه (البراعة) الجودة والفصاحة (المغشاة) المغطاة بغيرها من الثياب (الموشاة) المزينة بالرقم (آده) أثقله (يقله) يرفعه (مستسقيا) داعيا بأن يسقيها الله تعالى (التقية) الخشية (قوله بدت السماء نقية) مثل ضرب لخلو الموضع من الناس وظهوره فيه وحده (ويك) أى عجبا لك (العذل) اللوم (تقف) تتبع يقال قفوت أثره أقفوه قفوا اذا تتبعته ومنه قفا فلان فلانا اذا اتبعه بكلام قبيح ويقال قفاه بالتخفيف * أبو عبيدة رحمه الله تعالى أصل القفو والتقافى البهتان يرمى به الرجل صاحبه واحتج بحديث حبان بن عطية من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله تعالى فى ردغة الخبال حتى يأتى بالمخرج قال الفراء رحمه الله تعالى القفو مأخوذ من القيافة وهو تتبع الاثر يقال قاف القائف يقوف قيافة فهو قائف بتقديم الفاء على الواو كما قالوا فى جذب جبذ وقرئ ولا تقف مثل تقل (نور) بيض (طيبة) مدينة النبى صلى الله عليه وسلم وطيب الله تربتها بأن صيرها موطنا لنبيه صلى الله عليه وسلم فى حياته ومستقرا له بعد مماته وذكر شيخنا ابن جبير المدينة فقال للمدينة المكرمة أربعة أبواب وهى تحت سورين فى كل سور باب يقابله آخر باب الحديد وباب الشريعة وباب القبلة وباب البقيع وبين سورها الغربى وخندق النبى صلى الله عليه وسلم مقدار غلوة وبين السور والخندق عين النبى صلى الله عليه وسلم وعليه حلق عظيم مستدير ومنبع العين وسطه كأنه الحوض المستطيل وتحت العين سقايتان بينهما حدار لطهر الناس وغسل أثوابهم والعين للاستقاء والعين عند السقايتين وتهبط اليها على خمس وعشرين درجة وماؤها يعم أهل الارض فضلا عن أهل المدينة ويقرب من الحوض مما يلى الحوض حجر الزيت يقال ان الزيت رشح للنبى صلى الله عليه وسلم من ذلك الحجر بحرمة الحوف وبالقرب منه بئر بضاعة وبازائها من الجهة اليسار جبل الشيطان حيث صرخ يوم أحد قتل نبيكم وعلى شفير الخندق حصن الغراب وهو خرب كان عمر رضى الله عنه بناه لغراب المدينة وأمامه لجهة الغرب على بعد بئر رومة التى اشتراها عثمان رضى الله عنه بعشرين ألفا وداخل باب الحديد سقاية يهبط اليها على أدراج وهى بمقربة من الحرم المكرم وبقبلى الحرم دار مالك بن أنس رضى الله عنه ويطيف بالحرم شارع مبلط بالحجر المنحوت وفى جوفى المدينة جبل أحد على ثلاثة أميال منها وبقبليه مسجد حمزة وقبره برحبة بجوفى المسجد وبازائه قبور الشهداء وحوله تربة حمراء أنزل فيها سورة الفتح الشريفة وشرقى المدينة بقيع الغرقد واذا خرجت على باب البقيع تلقى على يسارك قبر صفية عمة النبى صلى الله عليه وسلم وأم الزبير وأمامها قبة مختصرة البناء على قبر مالك بن أنس وأمامه قبر السلالة الطاهرة ابراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم عليه قبة بيضاء وعلى يمينها قبر عبد الرحمن بن عمر الذى جلده أبوه الحد نفسه وبازائه قبر عقيل بن أبى طالب وعبد الله ابن جعفر وبازائه روضة صغيرة فيها ثلاثة من أبنائه صلى الله عليه وسلم ويليها روضة العباس والحسن رضى الله عنهما وعليها قبة مرتفعة فى الهواء وقبراهما مرتفعان على الارض مغشيان بألواح ملتصقة أبدع التصاق مرصعة بالصفائح الصفر مسكوكة بمسامير على أبدع صفة وعلى هذا الشكل قبر ابراهيم عليه السلام ابن النبى صلى الله عليه وسلم وفى آخر البقيع قبر عثمان بن عفان الشهيد وعليه قبة مختصرة البناء وبمقربة منه قبر فاطمة بنت أسد أم على كرم الله وجهه ومشاهد البقيع أكثر من أن تحصى لانها مدفن الصحابة رضى الله عنهم وقبلى المدينة على نحو الميلين قباء وكانت مدينة كبيرة متصلة بالمدينة المكرمة وبها المسجد الذى أسس على التقوى وهو مربع مستوى الطول والعرض له باب واحد من جهة الغرب وهو مربع بلاطات فى الطول ومثلها فى العرض وفيه صومعة طويلة بيضاء تظهر على البعد وفى وسطه مبرك الناقة بالنبى صلى الله عليه وسلم عليه

ألبسنيها واقيا مهجتى
وقى شر الانس والجنة
سيكسنى اليوم ثنائى وفى
غد سيكسى سندس الجنة
قال فلما فتن قلوب الجماعة
بافتنانه فى البراعة ألقوا
عليه من الفراء المغشاة
والجباب الموشاة ما آده
ثقله ولم يكد يقله
فانطلق مستبشرا بالفرج
مستسقيا للكرج وتبعته
الى حيث ارتفعت التقية
وبدت السماء نقية فقلت
له اشد ما قرسك البرد فلا
تتعر من بعد فقال ويك
ليس من العدل سرعة
العذل فلا تعجل بلوم هو
ظلم ولا تقف ما ليس لك به
علم فوالذى نور الشيبة
وطيب تربة طيبة لولم
أتعر لرحت بالخيبة

﴿ذكر طيبة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام﴾

حلق قصير شبه الروضة يتبرك الناس بالصلاة فيه وفى صحنه مما يلى القبلة شبه محراب على مسطبة وهو أول موضع ركع فيه النبى صلى الله عليه وسلم وفى قبلته دار بنى النجار وهى دار أبى أيوب الانصارى ويليها دار عائشة رضى الله تعالى عنها وبازائها دار عمر ودار فاطمة ودار أبى بكر رضى الله عنهم أجمعين ورضى عنا بهم وبازائها بئر أريس حيث تفل فيه النبى صلى الله عليه وسلم فعاد عذبا بعد أن كان أجاجا وفيه وقع خاتمه من يد عثمان رضى الله عنه وحديثه مشهور وفى آخره تل مشرف يعرف بعرفات لانه كان موقف النبى صلى الله عليه وسلم يوم عرفة ومنه زويت له الارض فأبصر الناس بعرفات ويدخل من التل على دار الصفة وبها كان عمار وسلمان وأصحابهما والطريق من قبل قباء الى المدينة بين حدائق النخل المتصلة والنخيل تحدق بالمدينة من جهاتها وأعظمها جهة القبلة والشرق وأقلها جهة الغرب وآثار المدينة وقباء لا تحصى فلما خص الله تعالى تربة طيبة بصفوة عباده أقسم الحريرى بها طيبها (صفر العيبة) خلو الوعاء (نزع) مال وحن وتبرقع وستر وجهه (الاكفهرار) العبوس (شنشنتى) طبيعتى (الانعطاف) الرجوع (عقتنى) حبستنى (عققتنى) قطعتنى (أفتنى) حرمتنى (أفدتنى) أكسبتنى فائدة (اعفنى) أرحنى وعافنى (لغولك) باطلك (التلعابة) كثرة اللعب ورجل تلعابة حسن اللعب مزاح وفى الحماسة

هو الظفر الميمون ان عاد واغتدى * به الركب والتلعابة المتحبب

(جعجعت) صحت ودعوت به والجعجعة رغاء الابل (الدعابة) المزاح (أوارك) أسترك (عوارك) عيبك (صلة) عطية (سترى لك) أى ثوبى وأراد (عليك) سكوتى عنك حين قلت لن يسترنى الا من طاب خيمه (ازمهر) توقدت عيناه غضبا (المتغضب) المستعمل الغضب (الدابر) الماضى و (العابر) الذاهب وقوله (سبحان من طبع) معناه تنزيها لك يا ربنا من الولد والصاحب والشريك أى برهانك من ذلك وانتصابه على المصدر كأنك قلت سبحت الله تسبيحا فجعلت سبحان فى موضع التسبيح ومعنى طبع على قلبك أى غشاه بالصدا والدنس والوسخ قال الله تعالى فطبع على قلوبهم وقال كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون وفى الحديث نعوذ بالله من طمع يدنى الى طبع وقال الشاعر

لا تطمعن طمعا يدنى الى طبع * ان المطامع فقر والغنى يأس

وأنشد يعقوب

لا خير فى طمع يدنى الى طبع * وعفة من قوام العيش تكفينى

و (الذهن) قوة ادراك العقل (أوهى) أضعف (خزنك) تثقيف سلك وحرزك (الدسكرة) هنا قرية معروفة بينها وبين بغداد على طريق خراسان ستة عشر فرسخا و (ابن سكرة) من شعراء اليتيمة قال صاحبها ابن سكرة الهاشمى هو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد شاعر متسع الباع فى أنواع الابداع فائق فى قول الظرف والملح صاحب الفحول والافراد وجاء فى ميدان المجون والسخف بما أراد وكان يقال ببغداد ان زماننا جاد بابن سكرة وابن الحجاج لسخى جدا وما أشبههما الا بجرير والفرزدق فى عصرهما ويقال ان ديوان ابن سكرة يربو على خمسين ألف بيت ومن شعره فى غلام فى يده غصن نوار

غصن بان بدا وفى اليد منه * غصن فيه لؤلؤ منظوم

فتحيرت بين غصنين فى ذا * قمر طالع وفى ذا نجوم

وله فى غلام يعرف بابن برغوث

بليت ولا أقول بمن لانى * اذا أنا قلت من هو تعشقوه

حبيب قد نفى عنى رقادى * فان غمضت أيقظنى أبوه

وله فى غلام أعرج

قالوا بليت بأعرج فأجبتهم * العيب يحدث فى غصون البان

صفر العيبة ثم نزع الى الفرار وتبرقع بالاكفهرار وقال أما تعلم أن شنشنتى الانتقال من صيد الى صيد والانعطاف من عمرو الى زيد وأراك قد عقتنى وعققتنى وأفتنى أضعاف ما أفدتنى فأعفنى عفاك الله من لغولك واسدد دونى باب جدلك ولهوك فجبذته جبذ التلعابة وجعجعت به للدعابة وقلت له والله لولم أوارك وأغطى على عوارك لما وصلت الى صلة ولا انقلبت أكسى من بصلة فجازنى عن احسانى اليك وسترى لك وعليك بأن تسمح لى برد الفروة أو تعرفنى كافات الشتوة فنظر الى نظر المتعجب وازمهر ازمهرار المتغضب ثم قال أما رد الفروة فأبعد من رد أمس الدابر والميت الغابر وأما كافات الشتوة فسبحان من طبع على ذهنك وأوهى وعاء خزنك حتى أنسيت ما أنشدتك بالدسكرة لابن سكره

جاء الشتاء وعندى من حوائجه

ماذا على اذا استجدت شمائلا * ورواد فاتغنى عن الكثبان
انى أحب جلوسه وأريده * للنوم لا للجرى فى الميدان
فى كل غصن منه حسن كامل * ماضره ان زلت القدمان

وله فى غلام سميه

اذا باسمى دعيت حننت شوقا * وذكرنى به الداعى حبيبى
فليت كما اتفقنا فى الاسامى * وألفتها اتفقنا فى القلوب

وله أيضا

بنفسى عذار بدا طالعا * على ناضر الورد ما أملحا
كتمت هواه زمان الصبا * وبوحت بالحب لما التحى
وقالوا محا الشعر لما بدا * محاسنه منه فاستقبحا
فقلت لهم ما محا حسنه * ولكن صبرى عنه محا

وله فى مثله

وغزال لولا غمه شعر * ذكرته لقلت بعض الجوارى
شارب أشرب الصبابة قلبى * وعذار خلعت فيه عذارى

وله فى مثله أيضا

من عذيرى من شادن لا يرانى * وهو روحى أهلا لرد السلام
أنا من خده وعينيه والثغر * ومن ريقه البعيد المرام
بين ورد ونرجس ولآل * أقحوان وبابلى مدام

وله فى مثله أيضا

فى وجه انسانة كلفت بها * أربعة ما اجتمعن فى أحد
الخد ورد والصدغ غالية * والريق خمر والثغر من برد

وله فى مثله أيضا

لقد أمسكت من عمرو بن يحيى * بحبل ما أخاف له انبتاتا
حبانى فى الحياة ورم حالى * وأوصى بى أبا حسن وماتا
فكنت مجاور اللبحر منه * فلما مات جاورت الفراتا

سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا

وله فى وزير المهلبى

لا عذب الله ميتا كان ينعشنى * فقد لقيت بضريه مثل ما لاقى
طواه موت طوى عنى مكارمه * فذقت من بعده بالفقر ماذاقا

وقال فيه أيضا

مضى ملك عم البرية جوده * رؤف وان راع الاسود شفيق
سكرت بنعماه وجود وزيره * فقالت لى الايام سوف تذوق

وقال رحمه الله أيضا

لقد كان الشباب فكان غضا * له ثمر وأوراق تظلك
وكان البعض منك فات فاعلم * متى ما مات بعضك مات كلك

ويا بعد ما بين حاله وقت قوله جاء الشتاء البيتين وبين حاله وقت موت المهلبى وقد أدركه فاقة فسئل عما أعد للشتوة فقال

فقيل ما أعددت للبر * د فقد جاء بشده قات دراعة عرى * تحتها جبة رعده

(قوله اذا القطر عن حاجاتنا حبسا) فى معنى ذلك أن الحسن بن وهب تأخر عن ابن الزيات وهو يكتب له فاستبطأه فكتب الحسن اليه

أوجب العذر فى تراخى اللقاء * ما ترى بى من هذه الانواء
لست أدرى ماذا أقول وأشكو * من سماء تعوقنى عن سماء
غير أنى أدعو على تلك بالثكـ * ـل وأدعو لهذه بالبقاء

فســـلام الاله أهديه منى * لك غضا باسيد الوزراء

كان لابن عبدربه فتى يهواه فأعلمه انى راحل غدا فلما أصبح عاقه عن السفر تكاثر المطر فانجلى عن ابن عبدربه همه وكتب اليه

هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر * هيهات يأبى عليك الله والقدر

مازالت أبكى حذار البين ملتهبا * حتى رثالى فيك الريح والمطر

يابرده من حيا مزن على كبد * نيرانها بغليل الشوق تستعر

آليت أن لا أرى شمسا ولا قمرا * حتى أراك فأنت الشمس والقمر

وعد ابن رشيق محبوبه الصائغ أن يكون عنده يوم عيد فصلى وارتقبه فاذا بالسماء قد أرعدت وأبرقت فكتب اليه

تجهم العيد وانهلت مدامعه * وكنت أعهد منه البشر والضحكا

كأنه جاء يطوى الارض من بعد * شوقا اليك فلما لم يجدك بكى

وكتب السلامى الى أصحابه والمطر قد قطعه عنهم

قطيعتكم برغم المجد شهرا * أشد على من شهر الحرام

وكيف أزوركم والمزن تبكى * على دارى بأربعة سجام

وكانت منزلا طلق الحيا * فصارت واديا صعب المرام

تهافت ركع الجدران فيها * سجودا للرعود بلا امام

أنادى كلما ارتفعت سحاب * فابكيت البوارق بابتسام

حوالينا كذاك ولا علينا * كفانا الله شرك من غمام

كن وكيس وكانون وكأس طلا
بعد الكباب وكس ناعم وكسا

(كن) أى بيت (كيس) وعاء الدراهم (كانون) حيث تجعل النار فيه (طلا) خمر (كباب) لحم يشرح ويشوى وكبيته فعلت ذلك به وقيل الكباب قطع الكرش تلوى عليها المصارين وأرادبها ههنا شواء اللحم و(الكس) اسم فرج المرأة وليس بعربى قال الفنجديهى رحمه الله تعالى سمعت بعض الفضلاء يقول كتب ابن سكرة فى يوم مطر الى صديق له

يوم مطير وعندى من خواطره * سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا

حروف كافاتها فيها مقومة * اذا تلاها الفتى ذو اللب أودرسا

كن وكيس وكانون وكأس طلا * مع الكباب وكس ناعم وكسا

فلو مطرت البحار الدهر لم ترنى * أقول أحسن هذا اليوم بى وأسا

وزاد ابن مسعود عليه كافا ثامنة فقال

وكم ليلة فى شهر كانون بتها * أعانق من حبى بها الدعص والغصنا

سمعت من الكافات فيها ثمانيا * فاشئت من مرأى أنيق حوى الحسنا

كبابا وكيزانا وكيسا وكاعبا * كساء وكوبا والكوانين والكنا

كانقصه الامير تميم بن المعز السابعة فقال

اذا هب سلطان المريسى ضاحكا * سحيرا وحل الغرب كل نقاب

وودع الى الارض الغمام ثيابه * فقم والهه فى عدة وحراب

بكن وكانون وكأس مدامة * وكيس وكس وافر وكباب

نقلت أبيات ابن مسعود من شرح شيخنا ابن اللبان قال ولما جمعنا فى أيام الشتاء ما جمعنا من الكافات قلت فى ضدها من الحر بيتين جمعت فيهما من الراآت ثمانية وهى

ثم قال بلجواب بشق خير من جلباب يدفى فاكتف بما وعيت وانكفى ففارقته وقد ذهبت فروتى لشقوتى وحصلت على الرعدة طول شتوتى (المقامة السادسة والعشرون وتعرف بالرقطاء) (حدث الحرث بن همام) (٣٣) قال حللت سوق الاهواز لابسا حلة الاعواز فلبثت فيها مدة أكابد شدة وأزجى أياما مسودة الى ان رأيت تمادى المقام من عوادى الانتقام فرمقتها بعين القالى وفارقتها مفارقة الطلل البالى فظعنت عن وشلها كميش الازار راكضا الى لمياه الغزار حتى أذا سرت منها مرحلتين وبعدت سرى ليلتين تراءت لى خيمة مضروبة ونار مشبوبة فقلت آتيهما لعلى أنقع صدى أو أجد على النار هدى فلما انتهيت الى ظل الخيمة رأيت غلمة روقة وشارة مرموقة وشيخا عليه بزة سنية ولديه فاكهة جنية فحييته ثم تحاميته فضحك الى وأحسن الرد على وقال ألا تجلس الى من تروق فاكهته وتشوق مفاكهته فجلست لاغتنام محاضرته لا لالتهام ما بحضرته فحين سفر عن آدابه وكشر عن أنيابه عرفت أنه أبو زيد بحسن ملحه وقبح قلحه فتعارفنا حينئذ وحفت بى فرحتان ساعتئذ ولم ادر بأيهما أنا أضفى فرحا وأوفى مرحا أباسفاره من دجنة أسفاره أم بخصب رحاله بعد امحاله وتاقت نفسى الى أن أفض ختم سره وأبطن داعية يسره فقلت له من أين ايابك والى أين انسيابك وبم امتلأت عيابك فقال أما المقدم فمن طوس وأما المقصد فالى السوس وأما الجدة التى أصبتها فمن رسالة اقتضبتها فسألته أن يفرشنى دخلته ويسرد على رسالته فقال دون مرامك حوب البسوس أو تصحبنى الى السوس فصاحبته اليها قهرا وعكفت عليه بها شهرا وهو يعلنى كاسات التعليل

(٥ - شريشى ثانى)

عنـدى فديتك راآت ثمانيـة * ألقى بها الحران وافى وان بردا
رق وروح وريحان وريق رشا * ورفرف ورياض ناعـم وردا

(جلباب) ثوب يلبس على الثياب (اكتف) اقتنع (وعيت) حفظت (انكفى) ارجع الى موضعك (طول) مدة والله تعالى أعلم ﴿شرح المقامة السادسة والعشرين وتعرف بالرقطاء﴾

(حللت) نزلت و(الاهواز) مدينة واسعة لها سبع كور بين البصرة وفارس قال الرشاطى الاهواز متصلة بالجبل وأصبهان وقيل ان الاهواز بلد من سكن قصبته ضعف عقله ولزمته الحمى (حلة الاعواز) ثوب الفقر والحلة ازار ورداء ولا يقال لثوب واحد حلة (لبثت) أقمت (أكابد) أقاسى (أزجى) أسوق (مسودة) شداد مشؤمة (تمادى) دوام وطول (المقام) الاقامة (عوادى) جمع عادية من العدوان وهو الظلم و(الانتقام) العذاب والنكاية (رمقتها) نظرتها (القالى) المبغض (الطلل) ما شخص من آثار الدار (ظعنت) ارتحلت (وشلها) ماؤها القليل (كميش) مشمر وانكمش فى طلب حاجته اسرع فيها و(الازار) والمئزر ما يلبس عرضا من السراويل ولا تعرف العرب السراويل ووجدها اعرابى فظنها قيصا فأدخل يديه من على ساقيها والتمس من أين يخرج رأسه فلم يجد فرمى بها وقال هذا قيص الشيطان (قوله راكضا) أى جاريا وهمزة ماء مبدلة من هاء مياه (الغزار) الكثيرة (سرى ليلتين) أى سرت مقدار ما يسار فيه ليلتين (تراءت) ظهرت (مشبوبة) موقودة (أنقع صدى) أروى عطشا (أجد على النار هدى) أى أجد عليها من يرشدنى الى الطريق (روقة) حسانا وغلام روقة اذا أعجبك وغلمان روقة الواحد والجمع سواء وقيل روقة لفظ مفرد والجمع روق والهاء للمبالغة (شارة) هيئة حسنة يشار اليها (مرموقة) محبوبة (بزة سنية) ثياب حسان والبزة والبز أفضل الثياب (جنية) طرية كما اجتنيت (حييته) سلمت عليه (تحاميته) تباعدت عنه (تروق) تعجب (تشوق) تشوق وتدعو الى الطرب (مفاكهته) ممازحته وفاكهته حدثته بما يعجب (التهام) ابتلاع (سفر) كشف وبين أنه من أهل الادب (كشر عن أنيابه) كشف عن أسنانه عند الضحك (ملحه) مليح كلامه (قلحه) صفرة أسنانه (تعارفنا) عرفته من أنا وعرفنى من هو (حفت) أحاطت و(المرح) شدة الفرح وأوفى مرحا أى أكمل طربا ونشاطا (اسفاره) طلوعه واضاءته (دجنة) سواد وظلام (أسفاره) جمع سفر (رحاله) أوقاره يصف كثرة ماله وأنه اذا نزل منزلا أخصب بكثرة احماله (امحاله) جدبه (تاقت) اشتاقت (أفض) أكسر (ختم) رباط وشد (أبطن) أعرف باطنه (يسره) غناه (ايابك) رجوعك (انسيابك) ذهابك (عيابك) أوعية متاعك (طوس) مدينة منها الى نيسابور مرحلتان قال اليعقوبى مدينة طوس العظمى يقال لها نوبان وبها قبر الرشيد وبها توفى الرضا على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين وهى من ثغور الجبال المتصلة بخراسان ومجاورتها أيضا مدينة أصبهان وهى عظيمة وأما (السوس) فمدينة بارض فارس تعمل بها الثياب السوسية من الخز قال الرشاطى السوس من كور الاهواز والسوس فى بلاد الغرب وذكر الجاحظ أن من طنجة اليها عشرين يوما وسوسة من بلاد افريقية على البحر يصنع بها ثياب رفاع والسوس اسم مشترك والذى قصد الحريرى منهما الاولى (الجدة) الغنى (اقتضبتها) ارتجلتها (يفرشنى دخلته) يبسط لى باطن أمره وافرشتك حديثى بسطته لك وبينته (يسرد) يقرأ (مرامك) مطلبك وتقدمت (حوب البسوس) فى التاسعة عشرة (عكفت) أقمت (يعلنى) يسقينى مرة بعد مرة و(التعليل) أن يطمعك فى قضاء حاجتك فاذا تقاضيته أظهر لك عللا وعوائق ثم

بمنيك فني ماجئته اعتل لك بعلة مانعة من قضاء نحو انجاز (يجزني) يعاقبها بي و يجعلني أجزها (أعنة) جمع عنان (التأميل) مصـدر أمله اذا رجاه وحقق له أمله (حرج صدره) اذا ضاق (عيـل) غلب وعالني الامر يعولني عولا غلبني وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه وان خفتم عيلة عائلة أى خصلة تعولكم وتغلبكم (نعلة) ماتبديه من العلل فى اعتذارك لمن يتقاضاك (وفى غد أزجر غراب البين) أى التفاؤل به لفراقك وانما ينسبون الفراق للغراب لانهم اذا ارتحلوا عن موضع اجتمعت الغربان فيـه يلتقطن ماتركوا من بقايا طعامهم وزبل دوابهم واذا أخذوا فى هدم البيوت للرحيل وأبصرهم الغراب صاح رغبـة فيما يلتقط فيقولون عنـد ذلك نعق غراب البين فصاروا يتشاءمون به وزجر الطير يذكر فى الثامنة والثلاثين قال المعرّى فى صدق التفاؤل بالغراب

نبى من الغربان ليس على شرع * يخـبرنا أنّ الشعوب عـلى صدع
أصـدّقه فى مرية وقد امـترت * صحابة موسى بعــد آياته التسع
كان بفيـه كاهنا أومنجما * يخــبرنا عمـا لقينا من الفجع
وما كان أفعى أهـل نجران مثله * ولا كان للانس الفضيلة فى السمع
أتى وهو طيار الجناح وان مشى * أشاح عما أعيا سطيحا من السجع

(قوله أخلفك) أكذب وعـدك (أرجأت) أخرت (لا ألبثك) لا أبطئك وأجعلك تقيم معى (استربت) تشككت ودا خلتك الريبة (أغرالك) حرضك وأصفك (أصخ) اسمع (قصص) خبر وحديث (سيرتى) عادتى (أضفها) ضمها و(أخبار الفرج بعد الشدّة) ان ينزل بالانسان شدّة فيشرف منها على الهلاك ثم ينزل الله تعالى تفريجها فالحديث بما يسمى خبر الفرج بعد الشـدّة ومنها ماجاء فى حـديث أنس رضى الله عنه قال كان رجل على عهد النبى صلى الله عليه وسلم يتجر من بلاد الشأم الى المدينة ولا يصحب القوافل توكلا منـه على الله تعالى فبيناهو جاء من الشأم عرض له لص على فرس فصاح بالتاجر قف فوقف التاجر وقال له شأنك بمالى فقال له اللص المال مالى وانما أريد نفسـك فقال له أنظرنى حتى أصلى قال افعل مابدالك فصلى أربع ركعات ورفع رأسه الى السماء يقول ياودود ياودود ياذا العرش المجيد يامبدئ يامعيد يافعالا لما يريد أسألك بنور وجهك الذى ملأ أركان عرشك وأسألك بقدرتك التى قدرت بها على جميع خلقك وأسألك برحمتك التى وسعت كل شئ لا اله الا أنت يامغيث أغثنى ثلاث مرّات واذا بفارس بيده حربة فلما نظره اللص ترك التاجر ومضى نحوه فلما دنا منه طعنه فأرداه عن فرسـه ثم قتله وقال للتاجر اعلم أنى ملك من السماء الثالثة لما دعوت الاولى سمعنا لابواب السماء قعقعة فقلنا أمر حـدث ثم دعوت الثانيـة ففتحت أبواب السماء ولها شرر ثم دعوت الثالثـة فهبط جبريل عليه السـلام ينادى من لهذا المكروب فدعوت الله أن يولينى قتله واعلم ياعبد الله أن من دعا بدعائك فى كل شدّة أغاثه الله وفرج عنه ثم جاء التاجر الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فقال لقد لقنك الله أسماءه الحسـنى التى اذا دعى بها أجاب واذا سـئل بها أعطى وقال عمرو الاسرايا كنت أعبر فى بلاد الروم وحـدى فبينا أنا نائم اذ ورد علىّ علج فحركنى ثم قال يا أعرابى اختر امامسايفة واما مطاعنة أو مصارعة فقلت المسايفة والمطاعنة لامعنى لهما ولكن المصارعة فلم ينهنهنى ان صرعنى وقعد على صدرى وقال أى قتلة تريد أن أقتلك فذكرت الدعاء ورفعت رأسى الى السماء وقلت أشـهد أن كل معبود مادون عرشك الى منتهى الارضين باطل عز وجهك الكريم فقد ترى مانزل بى وأغمى علىّ فأفقت والرومى قتيل الى جانبى فقمت وكنت أعلم الناس هـذا الدعا ووجه سليمان بن عبـد الملك محمـد بن يزيد الى العراق فأطلق أهل سجون الحجاج وضيق على يزيد بن أبى مسـلم كاتبه فظفر به يزيد لما ولى افريقية فجعل محمد يقول اللهم احفظ لى اطلاق الاسرى واعطاء الفقراء فلما دنا يزيد منه وفى يده عنقود قال يامحـمد مازلت أسأل الله أن يظفرنى بك فقال له محـمد وما زلت أستجير الله منك قال

ويجرنى أعنـة التأميل حـتى اذا حرج صدرى وعيل صبرى قلت له انه لم يبق لك عـلة ولا لى فى المقام تعـلة وفى غد أزجر غراب البين وأرحل عنك بخفى حنين فقال حاش لله أن أخلفك أو أخالفـك وما أرجأت أن أحـدثك الا لالبثك واذا كنت قد استربت بعدتى وأغرالك ظن السوء بمباعدتى فأصخ لقصص سيرتى الممتدّة وأضفها الى اخبار الفرج بعد الشدّة فقلت له هات

فوالله ما أجارك ولا أعاذك مني ووالله لاقتلنك قبل أن آكل هذه الحبة من العنب ووالله لو رأيت ملكا يريد قبض روحك لسبقته اليها وأقيمت الصلاة فوضع حبة العنب بين يديه وتقدم فصلى بهم وكان أهل افريقية اجتمعوا على قتل يزيد فلما ركع ضربه رجل بعمود حديد فقتله وقال لمحمد اذهب حيث شئت * وقال حماد الراوية كنت منقطعا الى يزيد بن عبد الملك وكان أخوه هشام يجفوني في أيامه لذلك فلما مات يزيد وأفضت الخلافة الى هشام جفته فمكثت في بيتي سنة لا أخرج الا لمن آمن اليه من اخواني سرا فلما لم أسمع أحدا يذكرني في السنة أمنت فخرجت وصليت الجمعة في الرصافة فاذا شرطيان قد وقفا علي وقالا يا حماد أجب الامير يوسف بن عمر فقلت في نفسي من هذا كنت أخاف ثم قلت للشرطيين هل لكما أن تدعاني حتى آتي أهلي فأودعهم وداع من لا يرجع اليهم أبدا ثم أسير معكما اليه فقالا ما الى ذلك من سبيل فاستسلمت في أيديهما وسرت الى يوسف بن عمر وهو في الايوان الاحمر فسلمت عليه فرد علي السلام ورمى الي كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هشام أمير المؤمنين الى يوسف بن عمر أما بعد فاذا قرأت كتابي هذا فابعث الى حماد الراوية من يأتيك به من غير ترويع ولا تتعتع وادفع اليه خمسمائة دينار وجملا مهريا يسير عليه اثنتي عشرة ليلة الى دمشق فأخذت الدنانير وجعلت رجلي في غرز جمل أعد لي ووافيت دمشق لاثنتي عشرة ليلة واستأذنت على هشام فأذن لي فدخلت عليه فوافى دارا مفروشة بالرخام وبين كل رخامتين قضيب من ذهب وهو جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب حمر من الخز وقد تضمخ بالمسك والعنبر فسلمت عليه فرد علي السلام واستدناني فدنوت منه حتى قبلت رجله فاذا جاريتان لم أر مثلهما قط في أذني كل واحدة منهما حلقتان فيهما لؤلؤتان تتوقدان فقال كيف أنت يا حماد وكيف حالك فقلت بخير يا أمير المؤمنين قال أتدري فيم بعثت اليك قلت لا قال في بيت خطر ببالي لم أدر من قائله قلت وما هو قال

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت * قينة في يمينها ابريق

فقلت هو لعدي بن زيد في قصيدة له قال أنشدنيها فأنشدته

بكر العاذلون في وضح الصبح يقولون لي أما تستفيق
ويلومون فيك يا ابنة عبد الله والقلب عندكم موثوق
لست أدري اذ أكثروا العذل فيها * أعدو يلومني أم صديق

حتى انتهيت الى قوله * ودعوا بالصبوح يوما البيت

قدمته على سلاف كعين الديك صفى سلافها الراووق
مرة قبل مزجها فاذا ما * مزجت لذ طعمها من يذوق
وطفا فوقها فقاقيع كاليا * قوت حمر يزينها التصفيق
ثم كان المزاج ماء سحاب * لا صرى آجن ولا مطروق

قال فطرب ثم قال لي أحسنت والله يا حماد ثم قال لاحدى الجاريتين اسقيه فسقتني شربة ذهبت بثلث عقلي ثم قال أعده فأعدته عليه فاستخفه الطرب حتى نزل عن فرشه ثم قال للاخرى اسقيه فسقتني شربة فذهب ثلث آخر من عقلي ثم قال سل حاجتك فقلت احدى الجاريتين فقال هما جميعا لك ثم قال للاولى اسقيه فسقتني شربة سقطت منها فلم أفق الا والجاريتان عند رأسي وعشرة من الخدم مع كل واحد بدرة فقيل لي يقول لك أمير المؤمنين انتفع بهذا في سفرك فأخذتها والجاريتين وعاودت أهلي وذكر أبو محمد هذه الحكاية في الدرة وقال هذه حكاية تنشر مآثر الاجواد وترغب المتأدب في الارداد وهذه النبذة دالة على أخبار الفرج بعد الشدة فلنقتصر عليها (قوله ما أطول طيلك) أي ما أكثر حيلتك يقال ذلك للكثير الدهاء والتصرف والطيل الحبل (أهول) أخوف وأغرب (وقير) اتباع لفقير وفائدة الاتباع المبالغة في معنى الاول وذلك أنك تقول فلان فقير فيكون له الشئ اليسير

فما أطول طيلك وأهول حيلك فقال اعلم ان الدهر العبوس ألفاني الى طوس وأنا يومئذ فقير وقير

لاقتيل لى ولانقير فألجأنى صفر اليدين الى التطوق بالدين فادنت لسوء الانفاق ممن هو عسر الاخلاق وتوهمت تسنى النفاق فتوسعت فى الانفاق فما أفقت حتى بهظنى دين لزمنى حقه ولازمنى مستحقه فخرت فى أمرى وأطلعت غريمى على عسرى فلم يصدق املاقى ولا نزع عن ارهاقى بل جد فى التقاضى ولج فى اقتيادى الى القاضى وكلما حضعت له فى الكلام واستنزلت منه رفق الكرام ورغبته فى أن ينظرلى بمياسرة أو ينظرنى الى ميسرة قال لا تطمع فى الانظار واحتجان النضار فوحق ما ترى مسالك الخلاص أوترينى سبائك الخلاص فلما رأيت احتداد لدده وان لامناص لى من يده شاغبته ثم واثبته ليرافعنى الى والى الجرائم لا الى الحاكم فى المظالم لما كان بلغنى من افضال الوالى وفضله وتشدد القاضى وبخله فلما حضرنا باب أميرطوس آنست أن لا بأس ولا بوس فاستدعيت دواة وبيضاء وأنشأت رسالة

من المال فاذا قلت وقير فليس له شئ البتة وقيل معى وقير مثقل بالدين موقربه والاتباع قصد لانه فسره بقوله لافتيل لى ولا نقير كان انسانا توهم أن له شيأ فذكر وقيرا لنفيه ثم زاده بيانا بما بعده ولانه ذكر استئناف الدين بعد ذلك ويكون الوقير أيضا من الوقر فى العظم وهو الكسر كانه مكسور العظم كما ان الفقير أصله المكسور الفقار و (الفتيل) الخيط الذى فى شق النواة مثل الفتيلة والنقير الفرض الصغير الذى فى ظهرها وفيه كالنقطة ومنه تنبت النخيل والقطمير اللفافة التى عليها وهى القشرة اللطيفة (صفر اليدين) فراغهما من المال (التطوق) لبس الطوق وأراد انه لبس من الدين طوقا (ادنت) أخذت الدين و (الانفاق) ضد الاختلاف (عسر) صعب (توهمت) حسبت (تسنى) تيسر (النفاق) ضد الكساد (توسعت) كثرت (بهظنى) غلبنى وثقل على (حقه) واجبه أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان أبواب الرزق مفتوحة الى باب العرش فينزل الله تعالى الى عباده أرزاقهم على قدر نفقاتهم فمن قلل قال له ومن كثر كثر عليه (مستحقه) صاحبه (خرت فى أمرى) أى فى هم الدين وقال النبى صلى الله عليه وسلم علمنى جبريل دعاء فى الدين وهو ان يصلى اذا زالت الشمس أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة بأم القرآن وآية الكرسى وقل هو الله أحد فاذا سلم قرأ قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب ثم يقول يا فارج الهم يا كاشف الغم يا مجيب دعوة المضطر يا رحيم الدنيا والآخرة ارحمنى رحمة تغنينى بها عمن سواك واقض دينى فان الله تعالى يقضى دينه عنه وفيها اسم الله الاعظم (غريمى) صاحب دينى سمى غريما لادامته التقاضى والحاحه وملازمته من عليه الدين ويكون الغريم أيضا المطلوب بالدين لان الدين لازم له كما قال الشماخ

يلوذ ثعالب الشرفين منها * كما لاذ الغريم من التبيع

(عسرى) فقرى ومثله (املاقى) وأملق ذهب ماله مشتق من الملقات وهى الصخور الملس كانه افتقر حتى لم يبق له ما يلبس الا جلده الاملس (نزع) كف (ارهاقى) تكليفى ما لا أطيق وأرهقته كلفته مشقة والرهق الظلم (جد) عزم واجتهد (التقاضى) طلب المال (لج) عزم وركب رأسه (استنزلت) طلبت (رفق الكرام) لطفهم وحنانهم على الفقير (مياسرة) لين ومساهلة (ينظرنى) يؤخرنى والانظار الامهال وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا من أنظر معسرا أظله الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله (ميسرة) غنى (احتجان) اختزان واحتجنت الشئ ضممته بالمحجن وهو عود معقف (النضار) الذهب (مسالك الخلاص) طرق النجاة (سبائك) فقر وقطع (الخلاص) بالكسر الذهب الخالص (احتداد) اشتداد وقد احتد (لدده) خصامه والحاحه (مناص) مخلص ومفر وناص عن قرينه نوصا ومناصا اذا فزع وفر وما أحسن ما قال العبدى فى محمد بن ابراهيم يشكو غريما لازمه

اقض عنى يا ابن عم المصطفى * أنا بالله من الدين وبك
من غريم فاحش قد عزنى * أسود الوجه لعرضى منتهك
أنا والظل وهو ثالثنا * أينما زلت من الارض سلك

(شاغبته) شاررته أى أوقعت بينى وبينه الشغاب (واثبته) ضاربته ووثبت اليه ووثب الى (والى الجرائم) حاكم الجنايات و (الحاكم فى المظالم) هو القاضى (افضال) انعام (فضله) جوده وكرمه (وتشدد) بخل ورجل شديد ومتشدد أى بخيل قال الله تعالى وانه لحب الخير لشديد أى لبخيل من أجل حبه الخير وهو المال أو تشدده تشدده على من تعين قبله حق (آنست) علمت وأحسست (أس) ضر (وبوس) شدة (بيضاء) ورقة يكتب فيها ولابن الرقاق فيهما

وواضحة مثل النصل تجرى * مع الابصار كالماء القراح
ترى حبك المداد بجسم نور * كمخضر الفرند على الصفاح
كان سواده فى صفحتيها * بقايا الليل فى وجه الصباح

(رقطاء) فيها حرف منقوط وآخر غير منقوط والرقطاء عندهم الدجاجة المرقشة وهى المنقطة بسواد و بياض ومنه قيل للنمر أرقط لان فيه تنقيطا خلاف لونه ولو شكر لمعطيه الدواة لانشد هذه الابيات وهى لابن سكرة

أخ مزجت روحى روحه وحرى * منه بجرى دمى فى الجسم أفديه
أهدى الى دواة لو كتبت بها * دهرى أياديه لم تنفد أياديه

وهذه الرسالة التى أنشأها أبو محمد أبدع فيها ما أراد وأغرب بها وأجاد وننشد من الشعر النفيس فى مدح الرسائل ما يجرى لها كالوصف و يسرى بذكرها طيب العرف فمن ذلك قول أبى تمام رقطاء وهى

مداد مثل خافية الغراب * وقرطاس كرقراق السراب
وألفاظ كالفاظ المثانى * وخط مثل وشم يد الكعاب
كتبت ولو قدرت هوى وشوقا * لكنت اليك سطرا فى الكتاب

وله فى كتاب جاء من الحسن بن وهب

لقد جلى كتابك كل بث * جوى وأصاب شاكلة الرمى
وكان أغض فى عينى وأندى * على كبدى من الزهر الجنى
وأحسن موقعا منى وعندى * من البشرى أتت بعد النعى
فكائن فيه من معنى خطير * وكائن فيه من لفظ بهى
فيا ثلج الفؤاد وكان رضفا * ويا شبهى برونقه وريى

من أبيات كلها عيون وفيما ذكرناه دليل على ما تركناه وقال أبو نواس فى كتاب ورد عليه من صديق

ووارد ورد انشاء يؤكده * صدوره عن سليم الورد والصدر
شدت بتيجانه منه على نزه * تقسم الحسن بين السمع والبصر
عذوبة صدرت عن منطق يتبع * كالماء يخرج ينبوعا من الحجر
وروضة من رياض الفكر بهجتها * صوب القرائح لا صوب من المطر
كانما نشرت أيدى الربيع بها * بردا من الوشى أو ثوبا من الحبر

﴿ولابن طاهر فى ابن ثوابة﴾

فى كل يوم صدور الكتب صادرة * عن رأيه وندى كفيه عن مثل
عن خط أقلامه خط القضاء على الاعداء بالموت بين البيض والاسل
لعابها عسل فى الصدر تبعثه * وربما كان فيه النفع للعلل
كان أسطارها فى بطن مهرقة * نور يضاحك دمع الواكف الخضل

وقال بعضهم

كتاب فيه من غرر المعانى * قلائد لا تنظمها اليدان
اذا نشرت صحائفه تجلت * بروضتها أزاهير المعانى
ترود العين منها فى مراد * مريع جاده فيض البنان
كان مجال عين الفكر فيه * مجال اللحظ فى غرر الحسان

وقال آخر

يدير على القرطاس أسمر مرهفا * اذا دارلم تلحق به البيض والسمر
كان المعانى روضة وهو غيثها * فهما سقى أغصانها ضحك الزهر

وقال الرمادى

قلم الوزير وكفه * هذا يصول وذا يطول

أضحى كليث خفية * ودواته لليث غيـــل

(قوله أخلاق سيدنا تحب) حسن أخلاق الانسان من كمال سعادته وكرم فضيلته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي مع ان الله عزوجل يقول فيه وانك لعلى خلق عظيم (قوله وبعقوته يلب) أي بمنزله يقام لحماية الممدوح من يلوذ به واكرامه له (وقربه تحف) أي من قرب منه أتحفه وهاداه ومن بعد منه فقد الامن فهلك (والنأى) البعد ولما كان القرب سببا للتحف والنأى سببا للتلف جعل نفس القرب والبعد هما الحياة والموت (خلته) صداقته (نسب) أي هو للصديق بمنزلة النسيب قيل لبزرجمهر من أحب اليك أخوك أم صديقك فقال لا أحب أخي الا اذا كان صديقي وقال أكثم بن صيفي القرابة تحتاج الى مودة والمودة لا تحتاج الى قرابة وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما القرابة قد تقطع والمعروف قد يكفر ومارأيت كتقارب القلوب أخذه ابن مناذر وقال

قد تقطع الرحم القريب وتكفر النعمى ولا كتقارب القلبين

يدني الهوى هذا ويدني ذا هوى * فاذا هما نفس ترى نفسين

أخذه أبو تمام فحسنه فقال

فان الفتى في كل حال مناسب * تناسب روحانية من يشاكل

ولن ينظم العقد الكعاب لزينة * كما تنظم الشمل الاشت الشمائل

وقد تقدم حديث الارواح جنود مجندة ونظم الحسن له وقال الشاعر

لا خير في قربى بغير مودة * ولرب منتفع بود أباعـــد

واذا وجدت من البعيد مودة * فامدد له كف القبول بساعد

(قوله وقطيعته نصب) أي عداوته هم وتعب وقد قال أبو تمام

والا فاعلمه بأنك ساخط * ودعه فان الخوف لا شك قاتله

(غربه) أي حده (ذلق) أي حاد (شهبه) نجومه يعني أخلاقه ومكارمه (تأتلق) تضيء (وظلفه) منعه وكفه وظلفت نفسي عن الشيء منعتها منه (زان) يزين يقول ان قمعه من تجاوز قدره ومنعه من سأل مالا يجب زين بالممنوع وشرف بالمقموع فتأديب الملوك لا عار به وانما العار أن يهينك كفؤك ومن لا حكم له عليك وقال المتنبي

ومن شرف الاقدام انك فيهم * على القتل موموق كأنك شاكد

وان دما أجريتـــه بك فاخر * وان فؤادا رعته لك حامد

وقال حبيب خشعوا لصولتك التي هي عندهم * كالموت يأتي ليس فيه عار

وقال آخر وان أمير المؤمنين وعتبه * لك الدهر لا عار بما فعل الدهر

واذا زين بمنعه فاظنك بعطائه على أن اليد القابلة للجدوى وهي اليد السفلى لا تنفك عن حشمة أو ذلة وقد اعتذر والهذا المعنى قال أبو تمام

رأيت رجائي فيك وحدك همة * ولكنه في سائر الناس مطمع

وقال أيضا تدعى عطاياه وفرا وهي ان شهرت * كانت فخارا لمن يعروه مؤتنفا

مازلت منتظرا أعجوبة زمنا * حتى رأيت نوالا يقتضي شرفا

وقال ابراهيم بن العباس

اذا طمع يوما عراني منعته * كتائب يأس كرها وطرادها

سوى طمع يدني اليك فانه * يبلغ أسباب العلا من أرادها

وقال الجرمي عطاؤك زين لامرئ ان أصبته * بخير وما كل العطاء يزين

أخلاق سيدنا تحب
وبعقوته يلب وقربه تحف
ونأيه تلف وخلته نسب
وقطيعته نصب وغربه
ذلق وشهبه تأتلق وظلفه

وليس بعار لامرئ بذل وجهه * اليك كما بعض السؤال يشين

وقال أبو الطيب وفيض نواله شرف وزين * وفيض نوال بعض الناس ذم

وقال ابن أبي خالد شرف للشريف منك نوال * رب نيل تعافه الاحرار

فزاد بقوله للشريف على من سبق (قوله قويم نهجه) أي مستقيم طريقه (بان) تبين (قلب) بحث (شرق وغرب) أي مشى بوصفه المهاد حوت شرقا وغربا وأنشد المتنبي وزاد فيه معنى

ستحيا بك السمار مالاح كوكب * وتحدو بك السفار ماذر شارق

تخلى من الدنيا لينسى فما خلت * مغاربها من ذكره والمشارق

(قلب) درب بالامور وفلان حول قلب اذا كان متصرفا في أموره نفاعا لاوليائه ضرارا لاعدائه كأنه لمعرفته بالامور قد حول الامور وقلبها و (مسبر) أي غالب لاعدائه (فطن) ذكي (مغرب) يأتي بالغرائب (عزوف) نزيه النفس بعيد من الريب (عيوف) كاره للدنايا (والمتلف عند العرب الذي يتلف ماله بالجود و (المخلف) الذي يخلف ما أتلف بالاغارة على الاعداء وأخذ أموالهم يصفه بالشجاعة والكرم وقال البحتري

بأروع من طبي كأن قميصه * يزر على الشيخين زيد وحاتم

سماحا وبأسا كالصواعق والحيا * اذا اجتمعا في العارض المتراكم

وقال ابن الرومي لم تخلني قط من صنائعك الغر ولا من حروبك الضرس

تصرف الغيث في صواعقه * وتارة في سجاله البجس

وقال البحتري فحول الى الابطال وهو قريعهم * وللسيف حدّ حين يسطو ورونق

حياة وموت واحد منتهاهما * كذلك غمر الماء يروي ويغرق

وقال ديك الجن هو عارض زحل فمن شاء الحيا * أرضى ومن شاء الصواعق أغضبا

وقال أبو مسهر تحيا الانام به في الجدب ان قحطوا * جودا وتشقى به يوم الوغى الهام

كالمزن يجتمع الحالان فيه معا * ماء ونار وارهام واضرام *

وقال ابن الرومي والناس طرا بين مرتقب * سطواته ومؤمل نفعه

كالعارض انهبت صواعقه * وسقى البلاد فلم يدع بقعه

(قوله أغر) مشهور (فريد) ليس له نظير (نابه) رفيع الذكر (ذكي) متوقد الفطنة ويروى زكي وهو الطاهر العفيف وقيل هو النامي المتزيد في الخير والزكاء النماء والزيادة (أنوف) كثير الحمية والغضب لما يستراب منه (مفلق) فصيح وأفلق جاء بالفلق وهي الداهية كأنه جاء من الفصاحة بما لا يطاق (أبان) بين كلامه (طب) حاذق حسن التدبير (ناب هياج) حدث شر واختلاف (جل خطب) عظم أمر (مناظم) جمع منظوم (تأتلف) تجتمع يريد أن ما ينظم في شرفه من المدائح يأتلف بلا تكلف على الشعراء لكثرة صفات الفضل والسودد كما قال حبيب

تغاير الشعر فيه اذ سهرت له * حتى ظننت قوافيه ستقتتل

وقال أبو الطيب لك الحمد في الدر الذي لي لفظه * فانك معطيه واني ناظم

وقال آخر ما القينا من فضل جود ابن يحيى * صير الناس كلهم شعراء

(شؤبوب حبائه) دفع عطائه والشؤبوب دفع المطر (يكف) يقطر ويسقط (نائل) عطاء (فاض) سال وخرج على الارض (غاض) غاب وجف (والخلف) حلمة الضرع الذي يحلب منه اللبن وهو أيضا اسم للضرع (سخائه) جوده (عيابه) جمع عيبة (يحترب) يستلب أي لكثرة جوده كأن ماله يسلبه القاصدون له (من الف لفه) أي من التف به ودخل في جماعته واللف لفيف الناس والف القوم اجتمعوا والتف بعضهم ببعض وأخذ هذا اللفظ من قول الاعشى

زان وقويم نهجه بان
وذهنه قلب وجوب ونعته
شرق وغرب
سيد قلب سبوق مبر
فطن مغرب عزوف عيوف
مخلف متلف أغر فريد
نابه فاضل ذكي أنوف
مفلق ان أبان طب اذا نا
ب هياج وجل خطب مخوف
مناظم شرفه تأتلف وشؤبوب
حبائه يكف ونائل يديه
فاض وشح قلبه غاض
وخلف سخائه يحتلب
وذهب عيابه يحترب من
الف لفه

وقد ملأت بكر ومن لف لفها * نبا كافا حواض الربا فالنواعصا

بكر قبيلة ومن لف لفها أى من التف بها (فلج) أى ظفر بما أحب (جلب) ساق أى التاجر الذى يقصد بابه بما جلب اليه من الفوائد يجازيه على ذلك بالعطاء الكثير ولكثرة ما أخذ فكأنه قد خدعه والملك المفضال يوصف أنه يخدع لكثرة هباته وقيل اعرابة بم سدت قومك قال أنخدع لهم فى مالى (هضم) نقص أراد أنه لا يهضم ولا يظلم من لم يذنب اليه (غوى) ضال مفسد (لبانه) أى ابن خلقه (بعز) بمنع و بعظم والعزة فى اللغة الشدة والمنعة والعزاز الارض الصلبة يريد أن الامير اذا انبسط لم يهب واذا اشتدت سطوته لم يؤلف فالقهذا الممدوح بين العزة واللين وقال أبو تمام

الجد شيمته وفيه فكاهة * سمح ولا جد لمن لم يلعب

شرس ويتبع ذاك لين خليقة * لا خير فى الصهباء مالم تقطب

(نكب) عدل ومال (مذهب) طريق (كز) بخيل قليل الخير (وثاب) عجول كثير الوثوب (نهزة) فرصة وغنيمة (يعف) يكف نفسه (بر) مطيع لله أراد أنه عفيف عن المحارم (قوله شعفا) أى حبا بطلب الغاية وشعاف القلب أعلاه يريد أن عفافه بلغ غاية الحب من القلوب وفلان مشعوف بفلان اذا ذهب به حبه كل مذهب * الفراء هو من الشعف وهى رؤس الجبال واحدها شعفة فكان معنى شعف بفلان ارتفع حبه الى أعلى موضع فيه (لبابه) خالصه (خلاب) آخذ للنفس غالب عليها (غر) حسان (ترف) تتلألأ وتشرق والرفيف بريق اللون (وفوقه) سهمه (والفوق) طرف السهم الذى يلى الوتر (ناضلته) راميته يقول سهمه (غلاب) لمن راماه (سمح) سهل الخلق (بهش) يهتز طربا (تلاف) تدارك (هفا) زل وسقط والهفوة الزلة (خل) صاحب (يرتاب) يشك (خرق) كريم جواد يتخرق فى العطاء (يعتر) يقصد (برز) ظاهر غير محتجب قال الفنجديهى رجل برز أى عفيف عاقل كريم (لا يليه باب) أى لا يحتجب ببابه دون قصاده ومما قيل فى الحجاب

شاد الملوك قصورهم وتحصنوا * من كل طالب حاجة أو راغب

غالوا بأبواب الحديد لعزها * وتنافسوا فى قبح وجه الحاجب

فاذا تلطف للدخول عليهم * راج تلقوه بعذر كاذب

فاطلب الى ملك الملوك ولا تكن * بادى الضراعة طالبا من طالب

هى لمحمود الوراق وقال أبو مسهر أتيت أبا جعفر محمد بن عبد الكافى فحجبنى فكتبت اليه

انى أتيتك للتسليم أمس فلم * تأذن عليك لى الاستار والحجب

وقد علمت بأنى لم أرد ولا * والله ماردّ الا الحلم والادب

فأجابنى بهذا القول

لو كنت كافأت بالحسنى لقلت كما * قال ابن أوس وفيما قاله أدب

ليس الحجاب بمقص عنك لى أملا * ان السماء ترجى حين تحتجب

وقال حبيب

سأترك هذا الباب مادام اذنه * على ما أرى حتى يلين قليلا

فما خاب من لم يأته متعمدا * ولا فاز من قد نال منه وصولا

ولا جعلت أرزاقنا بيد امرئ * حمى بابه من أن ينال دخولا

اذا لم أجد للاذن عندك موضعا * وجدت الى ترك المجيء سبيلا

وحجب أبو العتاهية عن بعض الهاشميين وقال له تكون لك عودة فقال

لئن عدت بعد اليوم انى لظالم * سأصرف نفسى حيث تبغى المكارم

متى يظفر الغادى اليك بحاجة * ونصفك محجوب ونصفك نائم

قال المتنبى

أصخت تأمر بالحجاب لخلوة * هيهات لست على الحجاب بقادر

فلج وغاب وتاجر بابه جلب
وخلب كف عن هضم
برئ وبرئ من دنس
غوى وقرن لبانه بعز
ونكب عن مذهب كز
لبس بوثاب عند نهزة
شرير بل يعف عفة بر
فلا يعجب ويستحق عفافه
شعفا به فلبابه خلاب
أخلاقه غر ترف وفوقه
فوق اذا ناضلته غلاب
سمح بهش وذو تلاف ان هفا
خل فليس بحقه يرتاب
لا باخل بل باذل خرق اذا
يعتر برز لا يليه باب

من

من كان ضوء جبينه ونواله * لم يحجبا لم يحتجب عن ناظر
فاذا احتجبت فأنت غير محجب * واذا بطنت فأنت عين الظاهر

وقال جرير
قوم اذا حضر الملوك وفودهم * نتفت شوار بهم على الابواب

وقال آخر
نهيت جميع الناس عن كل خطة * يدبرها في رأيها ابن هشام
فلما وردنا الباب أيقنت أننا * على الله والسلطان غير كرام

وقال آخر
وكل خفيف الشان يدعى مشمرا * اذا فتح البواب بابك اصبعا
ونحن الجلوس الماكثون توقرا * حياء الى أن يفتح الباب أجمعا

(قوله عض أزل) أى اشتد زمان والازل ضيق العيش من الجدب والقحط وعض قبض باسنانه (فل) كسر (غرب) حد (بعبابه) بكفايته (انحت) انكسر (ناب) سن يقول ان عضت الشدائد الناس وأضرت بهم دفعها وكسر أنيابها بمواهبه وخيره لمن افقرته ومن مليح ماقيل فى هذا المعنى قول المتنبى

اظمتنى الدنيا فلما جئتها * مستسقيا مطرت على مصائبا
حال متى علم ابن منصور بها * جاء الزمان الى منها تائبا

نقل المتنبى اللفظ والمعنى من قول أبى تمام

كثرت خطايا الدهر فى وقد يرى * لنداك وهو الى منها تائب

وألم به الحصنى أيضا فى قوله

وقد تحسن الايام بعد اساءة * ويذنب صرف الدهر ثم يتوب

وقال ابن المعتز
وعوقنى الدهر عن قربه * زمانا فقد تاب عن ظلمه

قال ابن الرومى
أساءت لى الايام يا ابن محمد * وهن الى اليوم معتذرات
رأين مطافى حول عفوك عائذا * فهن لما أبصرنه حذرات

وقال أبو تمام
اذا العيس لاقت بى أبا دلف غدا * تقطع ما بينى وبين النوائب

وقال أبو نواس
أخذت بحبل من حبال محمد * أمنت به من طارق الحدثان
تغطيت من دهرى بظل جناحه * فعينى ترى دهرى وليس يرانى
فلو تسأل الايام عنى مادرت * وأين مكانى ماعرفن مكانى

وقال أيضا
أنا فى ذمة الخصيب مقيم * حيث لا تهتدى صروف الزمان
قد عرفنا من الخصيب خلالا * آمنتنا طوارق الحدثان
كيف أخشى من الليالى اغتيالا * ومكانى من الخصيب مكانى

ان عض أزل فل غرب عضاضه
بعبابه فانحت منه ناب
وجدير عن لب وفطن
وقرب وشطن أن أذعن
لقريع زمن وجابر زمن
مذ رضع ثدى لبانه خمص

(قوله جدير) أى حقيق (لب) كان لبيبا وعاقلا (شطن) بعد (أذعن) ذل وانقاد (القريع) السيد يدفع ضر الزمن ويقرعه (جابر زمن) أى مغنى فقير والزمن الفقير الذى لازمه الفقر أو المريض الذى لازمه المرض وبه زمانة وأصل ذلك من الزمن (لبانه) أى لبن أمه وقال فى الدرة وقولهم الرضيع الانسان ارتضع بلبنه صوابه بلبانه لان اللبن هو المشروب واللبان هو مصدر لابنه أى شاركه فى شرب اللبن هذا معنى كلامهم الذى نحوا اليه ولفظوا به (التهتان) سيلان المطر و(افاصته) صبه وأراد فى لبن أمه ارتضع الجود فداوم عليه كقول المتنبى

سموا للمعالى وهم صبية * وسادوا وقادوا وهم فى المهود

وقد غلط المتنبى فى هذا ونسب فيه الى الكذب والمحال الفاضح لان سيادة الاطفال فى المهود وقود الجيوش من أمحل المحال وهذا وان كان ظاهره كذلك فقد اتسعت العرب وأهل الادب فى هذا القدر ولقاموا تخيل النجابة فى المولود فى مهده مقام وجودها فى كبره ثم اذا وجدوا صفة الكمال فى الرجل التام حكموا بكمالها لانه رضعها فى ثدى أمه أوغذى بها فى بطن أمه ألا ترى قوله تعلمت العلم قبل أن

يقطع سرك وسرر لك وقبل أن يقطع ذاك كان في بطن أمه وهذا الرى يكره أحدومن شعر الحماسة في الذى رأى المهلب في مهده فقال

خذوني به ان لم يسد سرواتهم * ويبرع حتى لا يصاب له مثل

وفيها أيضا

لئن فرحت بى معقل عند شيبتى * لقد فرحت بى بين أيدى القوابل

وذلك لتخيل النجابة فيه في ذلك الوقت ألا ترى ما تثبت نساء العرب من بلوغ السيادة لابنائهن عند ترقيصهن وانظر الى ذلك ان شئت في فصل نظمناه في كتابنا الموضوع لاختصار نوادر أبي على فقد سقط عن المتنبي والحريري بهذا ما عيب عليهما وقال سوار بن أبي شراعة

تعرف السودد في مولودهم * وتراه سيدا ان أيفعا

(نعش) رفع الضعيف بجوده (فرج) أزال همه (منافر) فاخر (أبهج) أدخل السرور على أحبابه اذا كان له الغلب (نافر) حاكم في النسب وكانوا في الجاهلية اذا تنازع الرجلان الشرف تنافرا الى حكامهم فيفضلون الاشرف وسميت منافرة لانهم كانوا يقولون عند المفاخرة أينا أعز نفرا وأشهر منافرة في الجاهلية منافرة عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب مع علقمة بن علاثة بن عوف بن الاحوص بن جعفر حين قال له علقمة الرياسة لجدى الاحوص وانما صارت الى عمك أبى براء من اجله وقد أسن عمك وقعد عنها فانا أولى بها منك وان شئت نافرتك فقال عامر قد شئت والله لانا أكرم منك حسبا وأثبت نسبا وأطول قصبا فقال علقمة أنافرك وانى لبر وانك لفاجر وانى لولود وانك لعاقر وانى لعف وانك لعاهر وانى لواف وانك لغادر فقال عامر أنافرك أنا أسنى منك سنة وأطول قة وأحسن لمة وأجعد جمة وأبعد همة فقال علقمة أنت جسيم وانا قضيف وأنت جميل وانا قبيح ولكن انافرك أنا اولى بالخيرات منك فخرجت أم عامر فقالت نافره ايكما أولى بالخيرات ففعلوا على ان جعلوا مائة من الابل يعطاها الحكم الذى ينفر عليه صاحبه فخرج علقمة ببنى خالد بن الاصفر وبنى الاحوص ومعهما القباب والجزور والقدور ينحرون في كل منزل يطعمون وخرج عامر ببنى مالك وقال انها المقارعة عن احسابكم فاشخصوا بمثل ما اشخص به وقال لعمه أبي براء أعنى فقال سبنى فقال لا أسبك وأنت عمى فقال وأنا لا أسب الاحوص وهو عمى ولكن دونك نعلى فانى ربعت فيها أربعين سنة ولم ينهض معه فجعلا منافرتهما الى أبى سفيان بن حرب ابن أمية ثم الى أبي جهل بن هشام فلم يقولا بينهما شيأ ثم رجعا آخرا الى هرم بن قطبة بن سيار بن عمرو الفزارى فقال لعمرى لاحكمن بينكما فأعطيانى موثقا أطمئن اليه أن ترضيا بحكمي وتسلما ماقضيت بينكما ففعلا فأقاموا عنده أياما فارسل الى عامر فأتاه سرا فقال قد كنت أحسب ان لك رأيا وأن فيك خيرا وما حبستك هذه المدة الا لتنصرف عن صاحبك أتنافر رجلا لا تفتخر أنت وقومك الا بآبائه فما الذى أنت به خير منه فقال عامر نشدتك الله والرحم أن لا تفضل علي علقمة فوالله لئن فعلت لا أفلح بعدها هذه ناصيتى فاجزها واحتكم في مالى فان كنت ولا بد فاعلا فسو بينى وبينه فقال هرم انصرف فسوف أرى رأيي فانصرف عامر وهو لا يشك انه ينفره عليه ثم أرسل الى علقمة سرا فقال له ما قال لعامر فقال له أتفاخر رجلا هو ابن عمك في النسب وأبوه أبوك وهو مع ذلك أعظم منك غناء وأحمد لقاء وأسمح سماحا فما الذى أنت به خير منه فرد عليه علقمة ما رد عامر وانصرف وهو لا يشك أنه ينفر عامرا عليه وأرسل هرم الى بنيه وبنى أخيه وقال لهم انى قائل غدا بينهما مقالة فاذا عرفت فليطرد بعضكم عشر جزائر فلينحرها عن علقمة وليطرد بعضكم مثلها فلينحرها عن عامر وفرقوا بين الناس لا يكون بينهم جماعة ثم أصبح هرم فجلس مجلسه وأقبل عامر وعلقمة حتى جلسا فقال هرم انكما يا بنى جعفر قد تحاكمتما الى وأنتما كركبتي البعير الآدم الفحل تقعان على الارض وليس فيكما واحد الا وفيه ما ليس في صاحبه وكلا كما سيد كريم ولم يفضل واحدا منهما على

باواضة تهنانه نعش وفرج وضافر فابهج ونافر فأزعج

صاحبه لئلا يحاب بذلك شرا بين الحيين ونحرت الجزر وفرق على الناس وعاش هرم حتى أدرك خلافة عمر رضى الله عنه فقال يا هرم أى الرجلين كنت مفضلا لو فعلت فقال لو قلت ذلك اليوم عادت جذعة ولبلغت شعفات هجر فقال عمر نعم مستودع السر أنت يا هرم مثلك فليستودع العشيرة اسرارهم والحكاية طويلة وقال فيه الاعشى

حكمتموه فقضى بينكم * أبلج مثل القمر الباهر

لا يقبل الرشوة فى حكمه * ولا يبالى غبن الخاسر

(قوله فاء) أى رجع (أبلج) بين ظاهر (أتعب من سيلى) يقول ان الامير الذى يأتى بعده فى تعب لانه يروم أن يفعل مثل ما فعل فيعجز عنه وأعاد هذا المعنى منظوما فى السابعة والثلاثين حين قال

سماحه ازرى بمن قبله * وعدله أتعب من بعده

أخذه من قول رجل قال لاحد الامراء وقد عزل عن عمله أصبحت والله فاضحا متعبا أما فاضحا فلكل وال قبلك بحسن سيرتك وأما متعبا فلكل وال بعدك أن يلحقك (قرظ) مدح (هز) حرك بالثناء عليه (بلى) جرب (توج صفاته) أى زينها وشرفها (عفاته) قصاده (بهجة) سرور وكنى بخصبه عن ماله ودعاله بالبركة والكثرة اذ جعله ممتدا الظل (بر) مكرم (آنس) أبصر (شهبه) نيرانه الساطعة واحدها شهاب وأصلها انه التثقيل فخففت وكانت العرب توقد النيران فيقصدها الاضياف بالليل أراد أنه كثير الاكرام لمن يقصد ناره وأخذ اللفظ من قوله تعالى آنس من جانب الطور نارا (مزايا) فضائل (ظرفه) حسن هيئته وعذوبة لسانه وهو مصدر ظرف يظرف ظرفا فهو ظريف فمن قال الظريف البليغ وقصره على اللسان لم يجز له أن يقول ما أظرف زيد على الاستفهام ومن جعل الظرف حسن الوجه والهيئة جاز له ذلك وكذلك من جعل الظرف عاما فيكون معناه أى شئ فيه الظرف أوجهه أم هيئته أم ذكاؤه وبلاغته (بلبس) اختلاط أراد أنه يخلط الهزل بالجد والمزاح وخفة الطرب بالانقباض والحشمة وقد تقدم فى صفة التنوخى مثل هذا (والمزايا) جمع مزية وهى التمام والكمال وأصلها من الزى (فوزه) ظفره (تأثلت) تقدمت واتصلت (جلت) عظمت (فوته) سبقه (صنائع) أفعال جميلة (نمت) اشتهرت (يلائم) يوافق (حضرته) موضعه الذى يحضر فيه والقرب جمع قربة وهى ما يتقرب به من أعمال البر الى الله تعالى ومن الهدايا الى الملوك (غوث) اغاثة وكشف ضر (رقه) عبده (حظ) نصيب (حظوته) مكانته ورفعته (تليد ندب) تقول ندبت القوم دعوتهم يريد أنه عبد للدعوة التى دعاه بها خصمه الى الوالى والتليد من العبيد ما ولد عند غيرك ثم اشتريته صغيرا فكبر عندك وجعل نفسه عبدا للدعوة لما تعبد بها أو يريد بالتليد القديم فان التليد والتالد المال القديم والندب الهم من ندبت الميت ندبا يريد أنه قديم هم ورجل ندب أى خفيف فى قضاء الحوائج لاصحابه فيريد على هذا بتليد ندب أى خفيف ومن هذه صفته فقد وجبت حرمته (وشريد جدب) طريد فقر وجوع والجدب ضد الخصب (نوب) نوازل (أثرت) أبقت به أثرا وأثرها أخذها ماله حتى عاد فقيرا فمن نظره رأى أثر النوائب عليه (ناظم قلائد) قائل قصائد ورسائل (تسيرت) مشت فى الناس والبلاد (جاش لخطبة) تحرك صدره للكلام بها يريد أنه اذا أراد قول خطبة ازدحم الكلام فى صدره وارتفع كما يجيش القدر أى يغلى وتقدم هذا الكلام (قس) فصيح العرب ويأتى ذكره فى الاربعين (ثم) معناه هنالك (باقل) تقدم يريد أن قسا على فصاحته لو حضر مع الموصوف لنظم أو نثر لرجع فى عى باقل والعادة انما يذكر مع سحبان للزوم الرسالة وقال حبيب وذكر ثلاثة من أصحاب عبد الله بن طاهر

أول حازوا خلائق قد تيقنت العلا * كل التيقن انهن نجومها

ثان لو أن باقلا المفهت ينبرى * فى مدحها سهلت عليه حزومها

وفاء بحق أبلج أتعب من سيلى وقرظ اذ هز وبلى وتوج صفاته بحب عفاته فلا خلا ذا بهجة عند ظل خصبه فانه بر بمن آنس ضوء شهبه زان مزايا ظرفه بلبس خوف ربه فليهن سيدنا فوزه بمفاخر تأثلت وجلت وفوته بصنائع تمت ونمت ويلائم قرب حضرته غوث رقه بحظ من حظوته فانه تليد ندب وشريد جدب وجريح نوب أثرت وناظم قلائد تسيرت اذا جاش لخطبة فلا يوجد قائل ثم فسر ثم باقل

ثالث ولوان سحبا يسحب ذيله * فى ذمها لم يدر كيف يذيعها

(حبر) قال شعرا أو رسالة وأصل حبر وشى وزين (حبر) ثياب موشاة (نمنمت) زينت ورقت (نمت) تحركت بالروائح العطرة وقال الصابى فى المهلبى وكانه يصف هذا الكلام

وان استنطق الانامل جاءت * ببيان كالجوهر المنضود
فى سطور كانما نشرت منـ * ـناه منها عصائبا من برود
فقر لم يزل فقيرا اليها * كل مبدى بلاغة ومعيد
يغتدى البارع المفيد لديها * لاحقا بالمقصر المستفيد
ببيان شاف ولفظ مصيب * واختصار كاف ومعنى سديد

وله فى مثله أيضا وكم من يد بيضاء حارت جمالها * يدلك لا تسود الا من النفس
اذا رقشت بيض الصحائف خلتها * تطرز بالظلماء أردية الشمس

(وقال السرى رحمه الله تعالى)

شغلتك عن حسن الشآم مدائح * حسنت فما تنفك تطرب سامعا
زهر اذا ما الحسن سمع معاقد * خفض الكلام وغض طرفا خاشعا
جاءتك مثل بدائع الوشى الذى * مازال فى صنعاء يتعب صانعا
أو كالربيع بريك أخضر يانعا * متوردا ترفا وأصفر فاقعا

وله أيضا فى مثله سأبعث الحمد موشيا سبائبه * الى الامير صغير مؤتشب
الا المدائح لا تهدى لناقدها * الا وألفاظها أصفى من الذهب
كم رضت بالفكر منها روضة انفا * تفتح الزهر فيها عن جنى الادب
لفظ يروح له الريحان مطرحا * اذا جعلناه ريحانا على النجب

فان حبر قلت حبر نمنمت ونمت رياضا قد نمت هذا ثم شربه برض وقوته قرض وفلقه غسق وجلبابه خلق وقد قلق لتوغر غريم غاشم يستحثه بحق لازم فان من سيدنا بكفه بهبات كفه توشح بمجد فاق وباء بأجر فكى من وثاق لا خلت سجايا خلقه ترفد شائم برقه بمن رب أزلى حى أبدى

(قوله شربه) أى حظه من الماء (برض) قليل (قرض) سلف والقرض ما أخذ ليعوض منه (وفلقه) ضوء صبحه (غسق) ظلام يريد أن حاله متغيرة (جلبابه) ثوبه (خلق) بال (توغر) توقد واشتد غضبه والتوغر التوقد لشدة الغيظ والوغرة شدة الحر (غاشم) ظالم جاف (يستحثه) يستعجله (لازم) واجب (من) أنعم واحسن (بكفه) برده عنى (هبات) عطايا (توشح) تحزم وتزين وتوشح الرجل بثوبه جعله موضع الوشاح وتحزم (فاق) فضل بهذا المجد كل أحد (باء) رجع (فكى) انقاذى (وثاق) شد ورباط (سجايا) طبائع (ترفد) تصل وتعين والرفد المعونة (شائم برقه) راجى خيره ونازل أمره ونزل البرق منزلة الجود لانه يأتى بالمطر والمطر يشبه به الجود (بمن) باحسان وانعام (أزلى) قديم (أبدى) باق مع الابد وهو الدهر * واذ قد فرغنا من شرح هذه الرسالة على صعوبتها فانا نعتذر الى من وقف على شرحنا لها من صعوبة هذا المقام فان هذه الرسالة وأمثالها انما يؤتى بها على جهة الملح والاقتدار لا على أنها من نفيس الكلام الفصيح ألا ترى الحريرى كيف اعتذر فى مثلها حيث قال اجل الابيات العرائس وان لم يكن نفائس ولا شك ان الشارح لمثل هذه الرسالة يقارب تعب منشئها فى انه يغوص على تلك الاستعارات البعيدة فيريد أن يبرز المعنى فى غاية البيان واللفظ فى أغلبها موضوع على غاية الابهام فوقع التمانع فلا يصل الى عبارة متوسطة تتعلق بالمعنى ولا تبعد من اللفظ الا بعد جهد فهذا عذرنا فى هذه الرسالة الرقطاء والقهقرية والخيفاء المتقدمتين وما علمت أحدا شرحها شرحنا ولا بلغ منها مبلغنا ولله منشئها من عالم بارع فما اتفق له انشاؤها الا بعد التبحر فى علوم اللغات حتى كان أبا حفص بن برد يخاطبه بهذه الابيات

أبا العلاء استمع تعريض ذى مقة * أهدى لك الود محضا غير مقطوب
أنت الذى لم نعاشر مثله رجلا * فى العلم والظرف والآداب والطيب

تحصيل فضلك للحساد معجزة * وكنه علمك شئ غير محسوب
اما اللغات فما يعقوب يبلغها * وعيت منها ولا أشياخ يعقوب

(قوله استشف) نظر (لآليها) جواهر كلامها (لمح) رأى (المودع) المضمن المجعول وعنى بالسر ما ذكر من النقط لحرف والترك لآخر (أوعز) تقدم (فصل) قطع (استخلصنى) ضمنى وأنقذنى منه (لمكاثرته) لزيادة عدده يريد ان الامير خلصه من غريمه وضمه اليه وجعله فيمن حواليه فكثر به (اختصنى بأثرته) افردنى بعطيته وآثرنى بها على غيرى (لبثت) أقمت (بضع سنين) قال أبو عبيدة رحمه الله البضع من واحد الى أربعة وقال الاخفش من واحد الى عشرة وقال الفراء ما دون العشرة وقال ابن عباس رضى الله عنهما البضع من الثلاثة الى عشرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر لما نزلت فى بضع سنين البضع ما بين السبع والتسع قال ابن سلام فلما انقضت سبع سنين ظهرت الروم على فارس وقال أبو محمد فى الدرة البضع أكثر ما يستعمل فيما بين الثلاث الى العشر وأسر ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم فى تفسير قوله تعالى وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين وذلك ان المسلمين كانوا يحبون أن تظهر الروم على فارس لانهم أهل الكتاب والمشركون يميلون الى أهل فارس لانهم أهل أوثان فلما بشر الله المسلمين بان الروم سيغلبون سر المسلمون ثم ان أبا بكر رضى الله عنه أخبر مشركى قريش بما نزل عليهم فقال أمية بن خلف خاطرنى على ذلك نخاطره على خمس قلائص فى مدة ثلاث سنين ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عن البضع فقال ما بين الثلاثة الى العشرة فأخبره بخطاره مع ابن خلف فقال له ما حملك على تقريب المدة قال الثقة بالله ورسوله فقال له عد اليهم فزدهم فى الخطر وازدد فى الاجل فزادهم قلوصين وزادوه سنتين فظفرت الروم بفارس قبل انقضاء الاجل الثانى تصديقا لتقدير أبى بكر رضى الله عنه ويقال البضع بغير هاء للمؤنث مثل خمس وبضعة للمذكر مثل خمسة (أرتع) آكل وأتنعم و(الريف) الخصب و(الرأفة) الرفق (غمرتنى مواهبه) غطتنى عطاياه وأراد باطالة ذيله كثرة ماله حتى صار منه فضول وصار يجر ذيله تبخترا (تلطفت) تسللت برفق (أتاح) قدر (لقيان) لقاء (الضغطة) التضييق وضغطه ضيق عليه (الجد) الحظ والسعد و(الالد) الشديد الخصومة (أحذيك) أعطيك (أتحفك) أهدى لك و(املاء الرسالة) القاؤها عليه ليكتبها (نحلة) عطية (يلج) يدخل (الاردان) الأكمام (أنف) كبر ذلك عليه واستنكفه (والحذيا) العطية (فصلت) زلت (أبت) رجعت (قرير العين) مسرورا بالفائدة (حزت) جمعت وصار فى حوزى أى فى ملكى (والعين) الذهب الاحمر

﴿شرح المقامة السابعة والعشرين وهى الوبرية﴾

(غبر) تقدم (أهل الوبر) أصحاب البوادى الذين مالهم الابل وكنى بالوبر عنها (الابية) العزيزة التى تأبى الذل (بألو جهدا) بقصر فى الاجتهاد (أضرب) أمشى فى الارض و(غورا ونجدا) مرتفعا ومنخفضا (أقتنيت) اكتسبت لنفسى لا للبيع وشرح الحريرى ألفاظا فى المقامة فنقتصر فيها على شرحه الا بقدر ما يزيد الكلام بيانا مثل قوله (آخذ أخذ نفوسهم) أى أتخلق باخلاقهم وطباعهم ويقال لو كنت منا لاخذت باخذنا بكسر الهمزة وفتحها أى بخلائقنا وشكلنا واستعمل فلان على الشأم وما أخذ أخذه أى وما والاه وكان فى حيزه (وقوله أرداف اقيال) يفسر القيل بالملك وبردف الملك وقيل القيل بالمشرق كالقائد بالاندلس والردافة فى الجاهلية كالوزارة فى الاسلام والردافة أن يرتدف مع الملك على مركوبه وان يستخلفه فى موضعه متى غزا و(أويت) رجعت واتخذته مأوى (أوطنونى) أنزلونى (جناب) جانب (فلوا) كسروا (ناب) ضرس (تأوبنى) أتانى ليلا (ولا قرع صفاتى سهم) أى لم ينلنى ضر (أضللت) أتلفت وضلت الناقة واضللتها (منيرة) مضيئة (اللقحة) الناقة لها لبن (غزيرة الدر) كثيرة اللبن (الغاء) ترك (غاربها) أعلى سنامها (اللدن) الرخو اللين (الخطار)

استخلصنى لمكاثرته واختصنى بأثرته فلبثت بضع سنين أنعم فى ضيافته وأرتع فى ريف رأفته حتى اذا غمرتنى مواهبه وأطال ذيلى ذهبه تلطفت فى الارتحال على ما ترى من حسن الحال قال فقلت له شكر المن أتاح لك لقيان السمح الكريم وأنقذك به من ضغطة الغريم فقال الحمد لله على سعادة الجد والخلوص من الخصم الالد ثم قال أيما أحب اليك أن أحذيك من العطاء أم أتحفك بالرسالة الرقطاء فقلت املاء الرسالة أحب الى فقال وهو وحقك أخف على فان نحلة ما يلج فى الآذان أهون من نحلة ما يخرج من الاردان ثم كأنه أنف واستحيا فجمع لى بين الرسالة والحذيا ففزت منه بسهمين وفصلت عنه بخفين وأبت الى وطنى قرير العين بما حزت من الرسالة والعين

(المقامة السابعة والعشرون الوبرية)

(حكى الحرث بن همام) قال ملت فى ريق زمانى الذى غبر الى مجاورة أهل الوبر لآخذ أخذ نفوسهم الابية وألسنتهم العربية فشمرت تشمير من لا يألو جهدا وجعلت أضرب فى الارض غورا ونجدا الى أن اقتنيت هجمة من الراغية وثلة من الثاغية ثم أويت الى عرب أرداف أقيال وأبناء أقوال فأوطنونى أمنع جناب وفلوا عنى حد كل ناب فما تأوبنى عندهم هم ولا قرع صفاتى سهم الى أن أضللت فى ليلة منيرة البدر لقحة غزيرة الدر فلم أطب نفسا بالغاء طلبها والقاء حبلها على غاربها فتبدرت فرسا محضارا

الطويل المضطرب (واعتقلت) الرمح جعلته ما بين سرجك ورجلك (أجوب البيداء) أقطع القفر وفسر (حيعل) بأنه قول المؤذن حي على الصلاة حي على الفلاح وشاهده

الا رب طيف بات منك معانقي * الى ان دعا داعي الصلاة فحيعلا

وقال آخر أقول لها ودمع العين جار * ألم تحزنك حيعلة المنادى

ومعنى حي هلم وأقبل والفلاح الفوز وأفلح الرجل اذا فاز وأصاب خيرا والمفلحون الفائزون وقيل الفلاح البقاء أي أقبلوا على بيت البقاء في الجنة والمفلحون الباقون و (الصلاة) المعلومة والصلاة الرحمة كقوله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وكقوله عليه الصلاة والسلام اللهم صل على آل أبي أوفى والصلاة بمعنى الدعاء كالصلاة على الميت وكقوله صلى الله عليه وسلم اذا دعي أحدكم الى طعام فليجب فان كان مفطرا فليأكل ومن كان صائما فليصل (اداء) قضاء (حلت في صهوتها) ركبت ظهرها ووثبت عليها (فررت) كشفت (قفوته) اتبعته (نشزا) مرتفعا (استطلعته) استخبرته وسألته (جدي) عرمي واجتهادي (هدرا) باطلا (ورده صدرا) أي سؤاله خبرا والورد اتيان الماء والصدر الرجوع عنه (لفح) تحرك (هجير) حر (يذهل) يشغل و (غيلان) اسم ذي الرمة وهو غيلان ابن عقبة بن بهيس بن مسعود بن حارثة عداده في الرباب والرباب عدي بن عبد مناة وتيم بن عبد مناة وعكل وهو عوف بن عبد مناة وثور بن عبد مناة وضبة بن أد وهو عمهم وأد بن طابخة بن الياس بن مضر وسمي ذا الرمة بقوله يصف وتدا

وغير موضوح القفا موتود * أشعث باقي رمة التقليد

نعم فأنت اليوم كالمعمود * من الهوى أو شبه المورود

بمي ذات المبسم المبرود * والمقلتين وبياض الجيد

وقيل سمي به لانه خشي عليه من المس فأتي به رجل من الحي فكتب له معاذة علقت في عنقه وشدت بحبل وقيل سمته بذلك خرقاء التي يذكرها في شعره وذلك انه رآها وهي في جوار على سهم فأعجبته وأدام الالتفات اليها ثم قال لها يا جارية اخرزي لي هذه القربة فعلمت مراده فقالت له اني خرقاء فولى وفي يده قطعة حبل بال فنادته يا ذا الرمة ان كنت خرقاء فجاريتي صناع فاذهب اليها فمضى عليه ذو الرمة وسماها في شعره خرقاء فمضت عليها وهي مي بنت عاصم بن طلبة بن قيس بن عاصم وتكنى أم نور وغلبت عليه حتى عرف بها فقيل غيلان مي كما قيل كثير عزة وأول أمره مع مي فيما حكى الاصبهاني عن أمه لام مي قالت كنا نازلين بأسافل الدهناء ورهط ذي الرمة مجاورون لنا فجلست مية تغسل ثيابا لها ولامها في بيت رث فيه خروق وهي فتاة أحسن من رأيته حين بدا ثديا ها فلما فرغت لبست ثيابها وجلست عند أمها وأقبل ذو الرمة ينشد ضالة فدخل وجلس ساعة ثم خرج فقالت مية اني لأرى ان هذا العذري قد رآني منكشفة واطلع علي من حيث لا أشعر فان بني عذرة أخبث قوم في الارض فاذهبي فقصي أثره قالت فقصصت أثره فوجدته قد تردد أكثر من ثلاثين مرة كل ذلك يدنو فيطلع عليها ثم يرجع على عقبه ثم يعود فأخبرتها بذلك ثم لم يلبث ان جاء ناشره فيها من وجه وكان وحدث أيضا بسنده عن عمارة بن ثقيف ان ذا الرمة حدثه ان أول أمره معها انه خرج مع أخيه وابن عمه في بغاء ابل لهم فوردوا على ماء وقد جهدهم العطش قال فأتيت خباء عظيما أستسقي لهما ماء فاذا عجوز جالسة في رواقه فالتفتت وراءها وقالت يا مي اسقي الغلام فدخلت عليها وهي تنسج شقة فقالت لي اقصد كلفك أهلك السفر على ما أرى من حداثة سنك ثم قامت تصب في ركوتي ماء وعليها شوذن فلما انحطت على القربة رأيت مرأى لم أر أحسن منه فلهوت بالنظر اليها وهي تصب الماء فيذهب يمينا وشمالا فقالت العجوز يا بني الهتك مي عما بعثك له أهلك أما ترى الماء يذهب يمينا وشمالا قلت أما والله ليطولن هيامي بها ثم أتيت بالماء أخي وابن عمي فلففت رأسي وانتبذت ناحية

واعتقلت لدنا خطارا وسريت ليلتي جمعاء أجوب البيداء وافترى كل شجراء ومرداء الى أن نشر الصبح راياته وحيعل الداعي الى صلاته فنزلت عن متن الركوبة لاداء المكتوبة ثم حلت في صهوتها وفررت عن شعوتها وسرت لا أرى أثرا الا قفوته ولا نشزا الا علوته ولا واديا الا جزعته ولا رأيا كالا استطلعته وجدي مع ذلك يذهب هدرا ولا يجد ورده صدرا الى أن حانت صكة عمي ولفح هجير يذهل غيلان عن مي

(أخبار غيلان مع مي)

وقلت قد سمعت اخت بنى لبيد * منى ومن سلم ومن وليد
رأت غلامى سفر بعيد * يدرعان الليل ذا الصدود
مثل الذراع اليلمق الحديد

وهى أول قصيدة قلت ثم مكثت أهيم بها فى ديارها عشرين سنة وأما ابن قتيبة فقال مكثت مى تسمع شعر ذى الرمة ولا تراه فجعلت لله ان تنحر بدنة يوم تراه وكانت من أجل الناس فلما رأته دميما أسود صاحت واسوأتاه واضيعة بدنتاه فقال

على وجه مى مسحة من ملاحة * وتحت الثياب الشين لو كان باديا

فكشفت عن جسدها وقالت أشينا ترى لا أم لك فقال

ألم تر أن الماء يخبث طعمه * وان كان لون الماء أبيض صافيا

فقالت له قد رأيت ما تحت الثياب فلم يبق الا أن أقول لك هلم فذق ما وراءه فوالله لاذقت ذلك أبدا ثم صلح الامر بينهما فعادا لما كانا من حبهما وهو شاعر مجيد مكثر وصاف للاطلال والديار والصبر على قطع القفراء * أبو الفرج كان سليمان بن أبى شيخ راوية لشعر ذى الرمة فأنشد يوما قصيدة له ولاعرابى من بنى عدى يسمعه فقال أشهد أنك فقيه تحسن ما تلوته وكان يحسبه قرآنا وكان أهل البادية يعجبهم شعره وكان جرير والفرزدق يحسدانه وقال حماد الراوية ما أخر القوم ذكره الا لحداثة سنه وأنهم حسدوه وقال أبو المطرف لم يكن أحد منهم فى زمانه أبلغ منه ولا أحسن جوابا وكان كلامه أحسن من شعره وقال مولى لبنى هاشم رأيته بسوق المربد وقد عارضه رجل فقال يا اعرابى يهزأ به أتشهد بما لم تر قال نعم قال بماذا قال أشهد أن أباك ناك أمك * الاصمعى ما أعلم أحدا من العشاق شكا أحسن من شكوى ذى الرمة مع عفة وعقل * أبو عبيدة يخبر ذو الرمة فيحسن الخبر ثم يرد على نفسه فيحسن الرد ثم يعتذر فيحسن التخلص مع حسن انصاف فى الحكم وعفاف وقال ذو الرمة من شعرى ما ساعدنى فيه القول ومنه ما أجهدت نفسى فيه ومنه ما جننت فيه جنونا فاما الذى طاوعنى فيه القول فقولى

خليلى عوجا فى صدور الرواحل * بجمهور حزوى فابكيا فى المنازل
لعل انحدار الدمع يعقب راحة * من الوجد أو يشفى نجى البلابل

(وأما ما أجهدت نفسى فيه فقولى)

أأن توسمت من خرقاء منزلة * ماء الصبابة من عينيك مسجوم
كأنها بعد أحوال مضين لها * بالاشيمين يمان فيه تسهيم

(وأما الذى جننت فيه جنونا فقولى)

ما بال عينك منها الماء منسكب * كأنه من كلا مفرية سرب
براقة الجيد واللبات واضحة * كأنها ظبية أفضى بها لبب
زين الثياب وان أثوابها سلبت * فوق الحشية يوما زانها السلب
اذا أخو لذة الدنيا تبطنها * والبيت فوقهما بالستر محتجب
ساقت مطيبة العرنين مارنها * بالمسك والعنبر الهندى مختضب
لمياء فى شفتيها حوة لعس * وفى اللثات وفى أنيابها شنب
كحلاء فى برج بيضاء فى دعج * كأنها فضة قد زانها ذهب

وهذه القصيدة من المطولات التى نيفت على المائة وربعها وتصرف فيها ما شاء من أوصاف الاطلال والديار والثور والحمار والكلاب والظبى وغير ذلك وفى خلاف ذلك يأتى بتشبيهات بديعات وهو أشعر الشعراء الاسلاميين فى التشبيه وكان يقول اذا قلت كان فلم أجد مخرجا فقطع الله لسانى واحتذى فى ذلك حذوه من المولدين ابن المعتز وقصده الحريرى فى هذا الموضع لمعنيين أحدهما لانه

كان صادقا فى حب مية كان لا يشغله عنها شئ لا مثل كثير عزة وغيره ممن لا يصدق فى حبه والثانى أنه يكثر فى شعره صبره على قطع الهواجر لمية مثل قوله

وهاجرة من دون مية لم تقل * قلوصى بها والجندب الجون يرمح
اذا جعل الحرباء مما أصابه * من الحر يلوى رأسه ويرنح
لئن كانت الدنيا على كما أرى * تباريح من مى فللموت أروح
ولما شكوت الحب كيما تثيبنى * بودى قالت انما أنت تمزح

فذكر الحريرى ان هذه الهاجرة شغلته عن ذكرى حتى طلب ظلا يلوذ به (أستكن) أستتر وأطلب كنا (الوقدة) شدة الحر (أستجم) أستريح فأتقوى (أدنفنى) أمرضنى (اللغوب) التعب * وذكر طول اليوم وأنشد عليه فى الشرح ويوم كظل الرمح وذكر أن اليوم القصير يوصف بابهام القطاة ولم ينشد عليه شيأ وقال جرير

ويوم كابهام القطاة محبب * الى صباه غالب لى باطله
رزقنا به الصيد الغزير فلم يكن * كمن نبله محرومة وحبائله
فيالك يوم خيره قبل شره * تغيب واشيه وأقصر عاذله

قال الاصمعى قال لى خلف الاحمر ويحه فما ينفعه حين يؤل الى الشر قلت فكيف يجب أن يقول قال خيره دون شره قلت والله لا أرويه بعدها الا هكذا (محت) ملت (سرحة) شجرة (كثيفة) ملتفة (الاغصان وريقة) كثيرة الورق و(الافنان) الاغصان أوما تفرع منها وما أحسن ما نظم فى الفرار من الحر الى الظل المازنى كاتب هرون صاحب ميافارقين حين قال

وقانا وقدة الرمضاء روض * وقاه مضاعف الظل العميم
قصدنا نحوه فحنا علينا * حنو الوالدات على الفطيم
يراعى الشمس أنى قابلتنا * فيحجبها ويأذن للنسيم

وهذا ما يتعلق بالغرض وزاد فيه معنى بديعا بقوله

ويسقينا على ظما زلالا * ألذ من المدام مع الكريم
تروع حصاه حالية الغوانى * فتلمس جانب العقد النظيم

تأمل هذه الصفة تجدها غاية فى بابها وتخيل هذه الجارية كيف نظرت بياض الحصى فى الماء فارتاعت وحسبت عقدها تناثر فالتمسته بيدها وقال السرى فأحسن

أدرها فقد اللوم احدى الغنائم * ولا تخش اثما ليست فيها بآثم
ولا عيش الا فى اعتصام بقهوة * يروح الفتى منها خضيب المعاصم
ولا ظل الا ظل كرم معرش * تغنيك من قطريه ورق الحمائم
سماء غصون تحجب الشمس ان ترى * على الارض الا مثل نثر الدراهم

وقال ابن ليال فى منتزه بشريش يسمى اجانة

أيا حبذا الاجانة كيفما اغتدت * زمان ربيع أوزمان عصير
مذانب ماء كاللجين على حصى * كدر بلا ثقب أغر نثير
ورمل اذا ما ابتل بالماء عطفه * غنينا به عن عنبر وذرور
وتين كما قامت على حلماتها * نهود عذارى الزنج فوق صدور
كأن القباب الخضر فيها عرائس * على سرر مفروشة بحرير

(وله أيضا عفا الله تعالى عنه)

كأن جنى القوطى فى رونق الضحى * وقد حملته راحة الورقات

وكان يوما أطول من ظل القناة وأحر من دمع المقلاة فأيقنت أنى ان لم أستكن من الوقدة وأستجم بالرقدة أدنفنى اللغوب وعلقت بى شعوب فجت الى سرحة كثيفة الاغصان وريقة الافنان لاغور تحتها الى المغيربان

نهود عذارى زحزحت عن مقرها * فقامت على الاطراف والحلمات

(قوله استروح نفسى) أى استنشقت الريح فتنفست فيه من التعب أى ماسكنت عنى أنفاس التعب واستروحت الشئ وجدت ريحه (سانح) خاطر و (سائح) عابر يسيح فى الارض أى يمشى فى جهاتها ويقال للمكدى سائح لانه يسيح فى الكدية (ينتجع نجعتى) أى يقصد قصدى فى طلب الراحة والانتجاع طلب المرعى (يشتد) يجرى (بقعتى) موضعى (انعياجه) انعطافه (معاجى) مكانى الذى عجت اليه (مفاجى) آت على غفلة (يتصدّى) يتعرض (منشدا) دالا على الضالة تقول نشدت الضالة طلبتها وأنشدتها دللت عليها طالبها (مرشدا) هاديا للطريق (ساحتى) موضعى الذى أنا فيه (ألفيته) وجدته (متشحا بجرابه) أى جعل جرابه موضع الوشاح (أهبة تجوابه) أى عدة جولانه (ورد) وصل (ماشرد) نفر يعنى الضالة (استوضحته) سألته أن يوضح لى أمره (بديها) مرتجلا من غير فكرة (المستطلع) الذى يحب أن يطلع على الامر (دخيلة أمرى) باطنه (عزازة) عزة ورفعة (جوب) قطع (سرى) مشى الليل (مفازة) قال الاصمعى هى المهلكة سميت بذلك تفاؤلا لسالكها بالفوز كما سمى اللديغ سليما تفاؤلا بالسلامة * ابن الاعرابى هى مأخوذة من فوز الرجل اذا هلك والعرب تسمى النعل مطية مجازا حيث يستعان بها على قطع المفازة وأنشد أبو على الفارسى رحمه الله

رواحلنا ست ونحن ثلاثة * نجنبهن الماء فى كل مشرب

﴿وقال أبو نواس﴾

اليك أبا العباس ياخير من مشى * عليها امتطينا الحضرمىّ الملسنا
قلائص لم تعرف حنينا على طلا * ولم تدر ماقرع العقيق ولا الضنى

﴿وأخذه أبو الطيب فقال﴾

لاناقتى تقبل الرديف ولا * بالسوط يوم الرهان أجهدها
شراكها كورها ومشفرها * زمامها والشسوع مقودها
أشدّ عصف الرياح تسبقه * تحتى من خطوها تأيدها

وكان السروجى أكثر عدة من أبى الشمقمق فى قوله

كلما كنت فى جموع فقالوا * قربوا للرحيل قربت نعلى
أترى أننى من الدهر يوما * لى فيه مطية غير رجلى
حيثما كنت لا أخلف رحلا * من رآنى فقد رآنى ورحلى

﴿ومن أبيات المعانى فى نعل﴾

وسوداء المناسب يمتطيها * أخو الحاجات ليس له نكير
فيحملها وتحمله وفيها * منافع حيث يبتدر السفير
على أن السفار ينال منها * فيرفعها اذا جدّ المسير

السفير ورق الشجر والمسفرة المكنسة (والجهاز) مايحتاج اليه المسافر من العدة (والعكازة) العصا (مصرا) بلدا (الخان) الفندق (والنديم) الصاحب على الشراب و (جزازة) قيل انه خليع مشهور عندهم وهذا لايبعد وأخبرنى الاستاذ أبو ذر وغيره أنها القراطيس الصغار يكتب الناس فيها صفة حاله فيستجديهم بها فيريد أن نديمه اذا دخل بلدة قطع من قرطاس يجزها ورقة كبيرة يكتب فيها ما يجلب ما يؤكل ويشرب والجزازة ما يسقط من الشئ تجزه كالقصاصة ما يسقط مما يقص والنحاتة والقلامة وغير ذلك فلما كانت القطعة صغيرة تسقط من الورقة سموها جزازة ثم اشتهر عندهم ماصغر من القراطيس بهذا الاسم قال الفنجديهى جزازة أى قطعة كاغد عليها

فوالله ما أستروح نفسى ولا استراح فرسى حتى نظرت الى سائح فى هيئة سائح وهو ينتجع نجعتى ويشتد الى بقعتى فكرهت انعياجه الى معاجى فاستعذت بالله من شر كل مفاجى ثم رجيت أن يتصدى منشدا أو يتبدىٔ مرشدا فلما اقترب من سرحتى وكاد يحل بساحتى ألفيته شيخنا السروجى متشحا بجرابه ومضطغنا أهبة تجوابه فآنسنى اذ ورد وآسانى ماشرد ثم استوضحته من أين أثره وكيف عجره وبجره فأنشد بديها ولم يقل ايها

قل لمستطلع دخيلة أمرى * لك عندى كرامة وعزازه
أنا مابين جوب أرض فأرض * وسرى فى مفازة فمفازه
زادى الصيد والمطية نعلى * وجهازى الجراب والعكازه
واذا ما هبطت مصرا فبيتى * غرفة الخان والنديم جزازه
ليس لى ما أساء ان فات أو أحـ * ـزن ان حاول الزمان ابتزازه

غير أني أبيت خلوا من الهم ونفسي عن الاسى متحازه
أرقد الليل مل ء جفني وقلبي بارد من حرارة وحزازه
لا أبالي من أي كأس تفوقت ولا ما حلاوة من مزازه
لا ولا أستجيز أن أجعل الذل مجازا الى تسني اجازه
واذا مطلب كساحلة العار فبعد المنى يروم نجازه
ومتى اهتز للدناءة نكس عاف طبعي طباعه واهتزازه
فالمنايا ولا الدنايا وخير من ركوب الخنى ركوب الجنازه

ثم رفع الى طرفه وقال لامر ما جدع قصير أنفه فأخبرته خبر ناقتي السارحة وما عاينته في يومي والبارحة فقال دع الالتفات الى ما فات والطماح الى ما طاح ولا تأس على ما ذهب ولو أنه واد من ذهب ولا تستمل من مال عن ريحك وأضرم نار تباريحك ولو كان ابن بوحك أو شقيق روحك ثم قال هل لك في ان تقيل وتتحامى القال والقيل فان الابدان انضاء تعب والهاجرة ذات لهب ولن يصقل الخاطر وينشط الفاتر كقائلة الهواجر وخصوصا في شهري ناجر فقلت ذاك اليك وما أريد أن أشق عليك فافترش التراب واضطجع وأظهر أن قد

شيء مكتوب والجزازة ما يقطع من الشيء قال وأنشد بعضهم

وقالوا كيف حالك قلت حالي * تقضى حاجتي وتفوت حاجي
نديمي هرتي وسمير أنسي * دفاتري ومعشوقي سراجي

(أساء) أصاب فيه بسوء و(أحزن) عليه (حاول) طلب (ابتزازه) تجريده وازالته (خلو) فارغ البال (الاسى) الحزن (متحازة) متنحية ومنعزلة منقبضة وانحاز انعزل (مل ء جفني) أي أرقد هنيأ لقلة همي فتمتلئ عيني بالنوم وهو من قول المتنبي* أنام مل ء جفوني عن شواردها* و(الحزازة) في القلب تأثير الهم كانه يحز فيه أي يقطع وقال الشاعر

اذا كان أولاد الرجال حزازة * فأنت الحلال الحلو والبارد العذب

والحزازة هنا الولد السوء ولا شيء أنكى للقلب من همه والحزازة أيضا الحقد والغيظ وفي قلبي منه حزازة أي حرقة وحزن (تفوقت) أي شربت فواقها وهو أخذه ما فيها شيأ فشيأ فما بين عبة وعبة فواق وأصله ما بين حلبة من الضرع وحلبة (مزازة) بين الحموضة والحلاوة (مجازا) طريقا يجاز عليه (تسني) تيسر (اجازة) عطية وصلة (يروم) يطلب (نجازه) قضاءه وتمامه ولبعضهم في هذا المعنى

أشد من عيلة وجوع * اغضاء حر على الخضوع
فاقنع من الدهر قوت يوم * وأنت بالمنزل الرفيع
* ولا ترد ثروة بمال * ينال بالذل والخشوع
وارحل اذا أجدبت بلاد * منها الى الخصب والربيع

(الدناءة) الفعل القبيح (نكس) دنيء (عاف) كره (اهتزازه) طربه وخفته ولبعضهم في هذا المعنى

ويجتنب اللبيب ورود ماء * اذا كان الكلاب يلغن فيه
كما سقط الذباب على طعام * فتتركه ونفسك تشتهيه

وقال أبو محمد المصري يخاطب المعتمد وقد فر منه

رحلت وفي القلب جمر الغضى * وهجري لكم دون شك صواب
كما تهجر النفس حر الطعام * اذا ما تساقط فيه الذباب

(المنايا ولا الدنايا) أي اتيان المنية ولا فعل الدنية قال أوس بن حارثة يا مالك المنية ولا الدنية في وصية طويلة والمنية معناها المقدورة المحكوم بها وهي مفعولة من المنى وهو المقدر والقدر يقال مناك الله بما يسرك وأصلها ممنووة فصرفت مفعولة فعيلة كمطبوخ وطبيخ وأدغمت الياء في الياء (الخنى) الفساد (الجنازة) النعش (قوله لامر ما جدع قصير أنفه) أي ما جدع قصير أنفه الالمعنى وكذلك أنت ما خرجت في هذا الوقت لشدة حره الى هذه القفار المخوفة الالمعنى فأخبرني به فلذلك قال (فأخبرته خبر ناقتي) وأيضا فان أول الكلام يدل عليه لانه قال فاستوضحته من أين أثره فأخبره السروجي في الشعر بقصته فلما أكملها سأل ابن همام عن قصته فأخبره بالناقة الضائعة و(السارحة) التي سرحت أي مشت حيث شاءت (عاينته) شاهدته ورأيته (الالتفات) النظر الى جهة (والطماح) ارتفاع العين بالنظر و(طاح) ذهب وتلف (لا تأس) لا تحزن (تستمل) تستدع حبه وأن يميل اليك بوده (مال) انحرف (عن ريحك) عن طريقك وهواك (أضرم) أوقد (تباريحك) أحزانك (تقيل) تنام في القائلة (تتحامى) تتباعد عنها (أنضاء) جمع نضو وهو المهزول أي قد أهزل التعب أبداننا (الهاجرة) القائلة سميت هاجرة لانها تهجر البرد أو لانها أكثر حرا من سائر النهار يقال فلان أهجر من فلان اذا كان أضخم منه (لهب) نار و(شهري ناجر) يونيه ويوليه وهما أشد الحر قال الازهري هما حزيران وتموز النجران العطشان* ابن سيده

ظن

ظن قوم انهما خزبران وتموز وهذا غلط وانما هما وقت طلوع نجمين من نجوم القيظ * الليث كل شهر فى صميم الحر واسمه ناجر لان الابل تنجر فيه أى تشتد عطشا حتى تيبس جلودها فلا تكاد تروى من الماء (هجع) رقد (وارتفقت) توكأت على مرفق (السنة) النوم القليل (زمت) ربطت ومنعت (تولج) دخل (تبلج) أضاء وظهر (المسرج) الفرس عليه سرجه (أساور) أواثب (الوجوم) السكوت على غيظ والمعنى أن الغيظ اذا اشتد عليه عالج كظمه ودفعه عن نفسه فكأنه يواثبه (أساهر) أسامر والسهر امتناع النوم (الرجلة) بضم الراء القوة على المشى ورجل يرجل رجلا ورجلة اذا مشى فى السفر وحده بلا دابة (وضح) تبين (افترار) انكشاف وافتر كشف أسنانه عند الضحك (يخد) يسرع (الدو) الصحراء (الراكب) من يركب البعير (الجو) نواحى السماء (يعرج الى صوبى) يميل الى جهتى وقصدى (يعبأ) يبال (الماعى) اشارتى وهو مصدر ألمعت اليك أى أشرت اليك فاذا بعد عنك الرجل فلم يسمع صوتك جردت ثوبك وأشرت اليه والاشارة بالثوب هى الالماع (أوى) أشفق (التياعى) تحرقى وتوجعى (هينته) سكينته (أصمانى) أصاب مقتلى (اهانته) احتقاره (أوفضت) أسرعت (أستردفه) أطلب اليه أن يردفنى (تغطرفه) تكبره والغطريف السيد العظيم (الاين) الفتور (أجلت) صرفت (مسرح) موضع تسرحها وجولانها بالنظر و(اللقطة) ما يجده الانسان قد سقط لغيره فيأخذه ويلتقطه (أذريته) رميت به عنها (مضلها) أى الذى ضلت له وتلفت (رسلها) لبنها (أشعب) الطماع رجل مدنى صاحب نوادر وملاه وله صنعة فى الغناء وكان أبخل الناس وأكثرهم طمعا ويقال فى المثل أطمع من أشعب ولهذا قال الحريرى فلا تك كأشعب أى لا تطمع فى أخذ الناقة فتكون مثله فى طمعه فى مال غيره (فتتعب) من تعلقت له بشئ (وتتعب) أنت معه فى المخاصمة *(ومن حكايات أشعب)* قال سالم بن عبد الله بن عمر لاشعب ما بلغ من طمعك قال لم أنظر الى اثنين يتساران فى جنازة الا قدرت أن الميت أوصى لى بشئ وقال له ابن أبى الزناد ما بلغ من طمعك قال مازفت بالمدينة امرأة الا كنست بيتى رجاء أن يغلط بها الى وكانت عائشة بنت عثمان كفلته مع ابن أبى الزناد فقال أشعب تربيت معه فى مكان واحد وكنت أسفل ويعلو حتى بلغنا ما ترون وقيل لعائشة هل آنست من أشعب رشدا فقالت أسلمته منذ سنة فى البزفسألته بالامس أين بلغت فى الصناعة فقال يا أمه قد تعلمت نصف العمل وبقى نصفه تعلمت النشر فى سنة وبقى على تعلم الطى وسمعته اليوم يخاطب رجلا وقد ساومه قوس بندق فقال بدينار فقال أشعب والله لو كنت اذا رميت عليها طائرا وقع فى حجرى مشويا مع رغيفين ما اشتريتها بدينار فأى رشد يؤنس منه ونظر الى رجل يعمل طبقا فقال له أسألك بالله الا ما زدت فى سعته طوقا أو طوقين فقال له الرجل ما معنى ذلك قال لعله أن يهدى الى يوما فيه شئ وقيل له أرأيت أطمع منك قال نعم خرجت الى الشام مع رفيق لى فنزلنا عند دير فيه راهب فقلت له الكاذب منا اير الراهب فى استه فنزل الراهب من صومعته وقد أنعظ فقال أيكما الكاذب ثم قال دعوا هذا امر أتى أطمع منى ومن الراهب فقيل له وكيف ذلك فقال انها قالت ما يخطر على قلبك شئ يكون بين الشك واليقين الا وأنا أتيقنه ودعوا هذا شاتى أطمع منى ومنها قيل وكيف قال صعدت على سطح فنظرت الى قوس قزح فظننته حبل قت فأهوت اليه فسقطت فاندقت عنقها وقيل له هل رأيت أطمع منك قال كلبة آل فلان رأت رجلا يمضغ علكا فتبعته فرسخين تظن انه يأكل شيأ وقيل له ما بلغ من طمعك قال أضجرنى الصبيان يوما فأردت أن أشغلهم عنى فقلت لهم ان بموضع كذا عرسا فامضوا نحوه فلما ذهبوا ظننت أن ثم عرسا فتبعتهم وقال ابن شرف

وما بلوغ الامانى فى مواعدها * الا كأشعب يرجو وعد عرقوب
وقد تخالف مكتوب القضاء به * فكيف لى بقضاء غير مكتوب

هجع وارتفقت على ان أحرس ولا أنعش فأخذتنى السنة اذ زمت الالسنة فلم أفق الا والليل قد تولج والنجم قد تبلج ولا السروجى ولا المسرج فبت بليلة نابغية وأحزان يعقوبية أساور الوجوم وأساهر النجوم أفكر تارة فى رجلتى وأخرى فى رجعتى الى ان وضح لى عند افترار ثغر الضوء فى وجه الجو راكب يخد فى الدو فألمعت اليه بثوبى ورجوت ان يعرج الى صوبى فلم يعبأ بالماعى ولا أوى لالتياعى بل سار على هينته وأصمانى بسهم اهانته فأوفضت اليه لأستردفه وأحتمل تغطرفه فلما أدركته بعد الأين وأجلت فيه مسرح العين وجدت ناقتى مطيته وضالتى لقطته فما كذبت أن أذريته عن سنامها وجاذبته طرف زمامها وقلت له أنا صاحبها ومضلها ولى رسلها ونسلها ولا تكن كأشعب فتتعب وتتعب فأخذ يلدغ ويصى ويتقى

(نبذة من حكايات أشعب)

وقال ابن حجاج فديت من نفسى من كلما * لقيتـه والحق لا يغضـب
فقلت يا عرقوب أطمعتنى * فقال لم نفسـك يا أشـعب

(قوله يتفح) أى يبدى الوقاحة (ينزو) يقفز (يستأسد) يتشبه بالاسد فيتقوى (يستكين) يذل يريد انه كان مرة يتقوى ومرة يذل (غشينا) جاءنا بغأة (لابسا جلد النمر) أى وقحا شجاعا (هاجما) آتيا على غفلة (المنهمر) الكثير الانصباب وتقدم أثر خبر بعد عين (الامسية) المنسوبة الى أمس *الفنجديهى رأيت بخط الحريرى النسبة الى أمس أمسى وهو من شاذ النسب (ناشدته) حلفته (أوانى) أجاء وأتى (التلافى) التدارك قبل فوته (معاذ الله) أى استجير بالله مما ذكرت (أجهز) أتم عليه (مكلومى) مجروحى وفى أخبار على رضى الله عنه انه ما أجهز على مكلوم قط (أخبر) أعلم (كنه) حقيقة (جاشى) نفسى قاله ابن سيده وقيل الجاش القلب وقيل رباطته وشدته عند الشئ يسمعه ما يدرى ما هو وقيل جاشى روع قلبى واضطرابه عند الفزع و (استوحش) من الشئ لم يأنس به (انجاب) انقشع وزال (أطلعته طلعها) أخبرته سرها وعلوت طلع الاكمة أى مكانا يطلع منه على ما حولها او يشرف عليه و (القحة) صلابة الوجه كأنه جعل مهابرقعا على وجهه (العريسة) مأوى الاسد و (الفريسة) الصيد يفترسه أى يكسر عنقه وهى اكيلة الاسد (أشرع) صوب (أنار) نور (ينج منجى) يخلص مخلص وشبه خلوصه بخلوص الذباب لانه يقع على الجسد أو الطعام فيقذره الانسان بعقره فيشرده وهو واجد عليه فينجو الذباب سالما بعد اذايته وأخذه من قول ابراهيم بن العباس الصولى لمحمد بن الزيات

فان كيف شئت وقل ما تشا * وأبرق يمينا وأرعد شمالا
نجا بك قومك منجى الذباب * حمته مقاذيره أن ينالا

وأخذه ابراهيم من قول الآخر

أسمعنى عبد بنى مسمع * فصنت عنه النفس والعرضا
ولم أجبه لاحتقارى له * ومن يعض الكلاب ان عضا

ومن قول الآخر قوم اذا ما جنى جانيهم وأمنوا * للؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا

وهو كثير وانما اخترع ابراهيم لفظ الذباب وعرض أى بعض الادباء على صاحب له بحضرة جماعة شعرا فجعل يعرض عن محاسن الشعر ويتتبع مواضع النقد حسدا فقال له صاحب الشعر أراك كالذباب تعرض عن المواضع السليمة وتتبع قروح الجسد وتدنيسه وقال ابن الرومى

تأمل العيب عيب * ما بالذى قلت ريب
والشعر كالشعر فيه * مع الشبيبة شيب
فليصفح الناس عنه * فطعنهم فيه عيب

ومنكيات الذباب لابن آدم كثيرة منها نزوله على الوجه عند النوم فيلقى منه بلاء أو فى الصلاة فيصير أضر من ابليس للتشاغل وأما اذا تساقط فى الطعام فتنغيصه وتنفيره للطباع اضرارا لا يخفى وقد قدمت آنفا فى ذلك من الشعر شيأ ولذلك تضرب به العرب المثل فتقول أجرأ من ذباب لانه ينزل على الاسد والامير *وتذكرهنا ما هو أشد اذاية منه وهو البعوض ولولا أن أيامه قلائل لاخلى البلاد وقال ابن رشيق يتشكاه يا رب لا أقوى على دفع الاذى * وبك استعنت على الضعيف المؤذى
مالى بعثت الى ألف بعوضة * وبعثت واحدة الى النمروذ

وقال ابن شرف لك منزل كملت ستارته لنا * للهو لكن تحت ذاك حديث
غنى الذباب وظل يزمر حوله * فيه البعوض ويرقص البرغوث

وقال آخر ليل البراغيث والبعوض * ليل طويل بلا غموض

ولا يستحى وبينا هو ينزو ويلين ويستأسد ويستكين اذ غشينا أبو زيد لابسا جلد النمر وهاجما هجوم السيل المنهمر فخفت والله أن يكون يومه كأمسه وبدره مثل شمسه فألحق بالقارظين وأصير خبرا بعد عين فلم أر الآن أن ذكرته العهود المنسية والفعلة الامسية وناشدته الله أوانى للتلافى أم لما فيه اتلافى فقال معاذ الله أن أجهز على مكلومى أو أصل حرورى بسمومى بل وافيتك لأخبر كنه حالك وأكون يمينا لشمالك فسكن عند ذلك جاشى وانجاب استيحاشى وأطلعته طلع اللقحة وتبرقع صاحبى بالقحة فنظر اليه نظر ابث العريسة الى الفريسة ثم أشرع قبله الرمح وأقسم له بمن أنار الصبح لئن لم ينج منجى الذباب

ويرض من الغنيمة بالاياب ليوردن سنانه وريده وليفجعن به وليده ووديده فنبذ زمام الناقة وحاص وآفلت وله حصاص فقال لي أبو زيد تسلمها وتسنمها فانها احدى الحسنيين وويل أهون من ويلين (قال الحرث بن همام) فحرت بين لوم أبي زيد وشكره وزنة نفعه بضره فكأنه نوجي بذات صدري أو تكهن ما خامر سري فقابلني بوجه طليق وأنشد بلسان ذليق

يا أخي الحامل ضيمي * دون اخواني وقومي ان يكن ساءك أمسي * فلقد سرك يومي فاغتفر ذاك لهذا * واطرح شكري ولومي

ثم قال أنا نتق وأنت متق فكيف نتفق وولى يفري أديم الارض ويركض طرفه أيما ركض فما عدوت أن اقتعدت مطيتي وعدت لطيتي حتى وصلت الى حلتي بعد اللتيا والتي

(تفسير ما أودع هذه المقامة من الالفاظ اللغوية والامثال العربية)

(قوله ريق زماني) وريقه يعني أوله وقد يخفف فيقال ريق وقوله (آخذ آخذ نفوسهم الابية) يعني أقتدي بهم يقال منه أخذ أخذه واخذه بكسر الهمزة وفتحها (والهجمة) نحو المائة من الابل (والثلة) القطيع من الغنم و (الراغية) الابل و (الثاغية) الشاء ومنه قولهم ماله راغية ولا ثاغية أي لا ناقة له ولا شاة وقوله (أرداف أقيال) أي يخلفون الملوك اذا غابوا وقوله (أبناء أقوال) أي فصحاء يقال للمنطيق انه ابن أقوال (وقوله فتدثرت فرسا محضارا) التدثر الوثوب على ظهر الفرس والحضار والمحضير الشديد العدو مأخوذ من الحضر وهو العدو وقوله (أقترى كل شجراء ومرداء) الاقتراء تتبع الارض والشجراء ذات الشجر والمرداء الخالية من النبات ومنه اشتقاق الامرد لخلو وجهه عن الشعر وقوله (حيعل الداعي الى صلاته) يعني به قول المؤذن حي على الصلاة حي على الفلاح والمصدر منه الحيعلة ومثله من المصادر الهيللة والحمدلة والحولقة والبسملة والحسبلة والسبحلة والجعلفة فالهيللة حكاية قول لا اله الا الله والحمدلة حكاية قول الحمد لله والحولقة حكاية قول لا حول ولا قوة الا بالله والبسملة حكاية قول بسم الله والحسبلة حكاية قول حسبنا الله والسبحلة حكاية قول سبحان الله والجعلفة حكاية قول جعلت فداك

فذاك يهزو بغير رقص * وذا يغني بلا عروض

(وقوله ويرض من الغنيمة بالاياب) منقول من قول امرئ القيس وقد طفت البيت وهو مشهور (ليوردن) يدخلن (وريده) صفحة عنقه والوريدان العرقان يجري فيهما النفس وهما في مقدم العنق وفجعته المصيبة فجعا أوجعته فهو فجيع ومفجوع وموت فاجع والفجيعة الرزية الموجعة (يفجعن) يحزنن (وليده) ابنه (وديده) صاحبه (نبذ) رمى (حاص) مال الى الهرب ويقال حاص يحيص حيصا اذا عدل ومنه ما لهم من محيص أي من ملجأ ومحيد (تسلمها) خذها (تسنمها) اركب سنامها (احدى الحسنيين) أي المسرتين ولو رجع له الفرس لكملتا له فالناقة احداهما (بذات صدري) علم بحاجة نفسي وبحقيقة ما أضمرته في صدري (تكهن) علم (خامر) خالط (طليق) مستبشر (ذليق) حديد (ضيمي) ذلي وضري (ساءك) أحزنك (اطرح) اترك وقد أعاد هذا في السابعة والثلاثين فقال وهبها الا خطأ ولا اصابة * وسأل الحطيئة عتيبة النهاس العجلي فرده فقال له قومه عرضتنا ونفسك للشر هذا الحطيئة وهو هاجينا أخبث هجاء فقال ردوه فردوه فقال كتمتنا نفسك ولك عندنا ما يسرك ثم قال له من أشعر الناس فقال الذي يقول

ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

فقال له وهذه من مقدمات أفاعيك ثم قال لوكيله اذهب به الى السوق فابتع له كل ما أحب فعرض عليه الخزوز ورقيق الثياب فعرض هو الى الاكسية الغلاظ فاشترى له ما أراد فرجع الى عتيبة فقال له اسمع

سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلا * فسيان لا ذم عليك ولا حمد
وأنت امرؤ لا الجود منك سجية * فتعطي وقد يعدي على النائل الوجد

وامتدح أبو تمام ابراهيم بن المهدي فوجده عليلا فقبل منه المدحة وأباه ما يصلحه وقال له عسى أن أقوم من مرضي فأكافئك فأقام شهرا ثم كتب له

ان حراما قبول مدحتنا * وترك ما نرتجي من الصفد
كما الدنانير والدراهم في الـ * ـبيع حرام الا يدا بيد

فقال لحاجبه أعطه ثلاثين ألفا وجئني بدواة فكتب اليه

عاجلتنا فأتاك عاجل برنا * قلا ولو أمهلتنا لم نقلل
فخذ القليل وكن كأنك لم تقل * ونكون نحن كأننا لم نفعل

وقال الخوارزمي

ولما ان رأيت ابني وليد * وبينهما اختلاف في الفعال
وهبت قبيح ذا لجميل هذا * وأسلمت العواقب لليالي
اذا اليد أحسنت منها يمين * تسوغنا الهاذنب الشمال

(قوله يفري) أي يقطع (أديم الارض) وجهها (يركض طرفه) يجري فرسه (أيما) صفة لمصدر محذوف وفيه معنى التعجب من كثرة جريه تقديره يركض ركضا أي ركض (اقتعدت) ركبت القعود وتقدمت في الاولى (ماعدوت) ما جاوزت أي ما عملت شيأ قبل القعود على الناقة (حلتي)

وقوله (فنزلت عن متن الركوبة) يعني المركوبة يقال ناقة ركوب وركوبة وحلوب وحلوبة وقد قرئ فمنها ركوبتهم و (الصهوة) مقعد الفارس و (الشحوة) الخطوة (والجزع) قطع الوادي عرضا وقوله (صكة عمي) يعني به قائم الظهيرة وقد اختلف في أصله فقيل كان عمي رجلا مغوارا فغزا قوما عند قائم الظهيرة وصكهم صكة شديدة فصار مثلا لكل من جاء ذلك الوقت وقيل المراد به الظبي لانه يسدر في الهواجر ويذهب بصره فيصطك وكذلك الحية واصطكاك الظبي عما يستقبله كاصطكاك الاعمى ثم صغر الاعمى تصغير الترخيم فقيل عمي كما صغروا أسود وأزهر فقالوا سويد وزهير وقوله (وكان يوما أطول من ظل القناة) يوصف اليوم الطويل بظل القناة كما يوصف اليوم القصير بابهام القطاة والعرب تزعم أن ظل الرمح أطول ظل ومنه قول شبرمة بن الطفيل ويوم كظل الرمح قصر طوله * دم الزق عنا واصطفاق المزاهر (وقوله أحر من دمع المقلاة) المقلاة هي المرأة التي لا يعيش لها ولد فدمعها أبدا حار لحزنها الا انه يقال ان دمعة الحزن حارة ودمعة السرور باردة ولهذا قيل للمدعو له أقر الله عينه مأخوذ من القر وهو البرد وقيل للمدعو عليه أسخن الله عينه مأخوذ من السخنة وهي الحرارة وقيل ان اقرار العين مأخوذ من القرار فكأنه دعا له أن يرزق ما يقر عينه حتى لا تطمح الى ما لغيره وكانت الجاهلية تزعم أن المقلاة اذا وطئت على قتيل شريف عاش ولدها والى هذا أشار بشر بن أبي خازم في قوله تظل مقاليت النساء يطأنه * يقلن ألا يلقى على المرء مئزر وقوله (علقت بي شعوب) يعني المنية ولا يدخل هذا الاسم أداة التعريف مثل دجلة وعرفة وقوله (لا غور تحتها الى المغيربان) التغوير النزول للقائلة كما أن التعريس النزول آخر الليل للتهويم أو الاستراحة والمغيربان تصغير المغرب وكان قياس تصغيره المغيرب الا ان العرب ألحقت آخره ألفا ونونا على طريق الشذوذ وقوله (مضطغنا أهبة تجوابه) الاضطغان أن يحمل الشئ تحت حضنه والاضطبان ان يحمله تحت ضبنه والضبن ما بين الابط والكشح وكلاهما متقارب ويقال أول مراتب الحمل الابط ثم الضبن وهو أسفل الابط ثم الحضن وهو عند الجنب والتجواب مصدر جاب وجميع المصادر التي جاءت على تفعال هي بفتح التاء الا قولهم تبيان وتلقاء لا غير وزاد بعضهم تبصال وقوله (عجري وبجري) يريد به جميع أمري الظاهر والباطن وأصل العجر العقد الناتئة في العصب والبجر العقد الناتئة في البطن وقوله (ولم يقل ايها) أي لم يأمر بالكف يقال للمستزاد ايه وللمستكف ايها وقوله (لامر ما جدع قصير أنفه) (٥٤) قصير هذا هو مولى جذيمة الابرش وكان جدع أنفه بيده حين قتلت الزباء مولاه ثم أتاها وأوهمها أن عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة هو الذي جدع أنفه اتهاما له بأنه غش خاله جذيمة اذ أشار عليه بقصدها فحظي بهذا القول عندها حتى جهزته مرارا الى العراق فكان يأتيها بالطرف منه الى ان استصحب في آخر نوبة الرجال في الصناديق وتوصل الى قتلها والاخذ بثار مولاه منها وقصته مشهورة وقوله (ولو كان ابن بوحك) يعني ولد الصلب اشارة الى أنه ولد في باحة الدار وهي عرصتها وجمعها بوح وقيل ان البوح من أسماء الذكر وقوله (في شهري ناجر) هما شهرا الحر وقيل انهما حزيران وتموز وأنكر أبو بكر بن دريد هذا القول وقال هما طلوع نجمين وقوله (بت بليلة نابغية) أومأ به الى قول النابغة فبت كأني ساورتني ضئيلة * من الرقش في أنيابها السم ناقع وقوله (فالمعت اليه بثوبي) يعني أشرت اليه يقال منه ألمع ولمع بمعنى وقوله (ويلدغ ويصي) هذا مثل يضرب لمن يظلم ويشكو يقال صأت العقرب تصأى صأيا وصئيا بفتح الصاد وكسرها اذا صوتت وكذلك الفرخ وما أحسن قول ابن الرومي في هذا المعنى تشكى المحب وتشكو وهي ظالمة * كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان وقوله (ينزو ويلين) هذا المثل يضرب لمن يتعزز ثم يذل ويقال ان أصله ان الجدي ينزو وهو صغير فاذا كبر لان وقوله (لا بسا جلد النمر) هذا المثل يضرب للمتقحم الجرىء لان النمر أجرأ سبع وأقله احتمالا للضيم ومن هذا الاشتقاق قولهم تنمر أي صار مثل النمر وقوله (فألحق بالقارظين) الاصل في القارظ انه الذي يجني القرظ وهو النبات المدبوغ به والقارظان المشار اليهما أحدهما من عنزة والآخر من النمر بن قاسط وكانا خرجا يجتنيان القرظ فلم يرجعا ولا عرف لهما خبر فضرب بهما المثل لكل غائب لا يرجى ايابه واليهما أشار أبو ذؤيب في قوله وحتى يؤب القارظان كلاهما * وينشر في القتلى كليب لوائل وقوله (حروري بسمومي) الحرور الريح الحارة ليلا والسموم الريح الحارة نهارا وقد يقام احداهما مقام الاخرى مجازا وقال بعضهم الحرور يكون ليلا ونهارا والسموم يختص بالنهار وقوله (ليث العريسة) يعني مأوى السبع ويقال فيه عريس وعريسة باثبات الهاء وحذفها كما يقال غاب وغابة وعرين وعرينة فأما الغيل والخيس فلم يلحقوا بهما الهاء وقوله (أفلت وله حصاص) هذا المثل يضرب لمن نجا من هلكة أشفى عليها بعد ما كاد يهوي فيها والحصاص العدو وقيل انه الضراط وقوله (وبل أهون من وبلين) هذا المثل يضرب تسلية لمن ناله بعض المكروه ومثله قول الراجز أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشر أهون من بعض وقوله (أنا تئق وأنت مئق فكيف نتفق) هذا المثل يضرب للمتنافيين في الخلق فان التئق هو الممتلئ غيظا مأخوذ من قولهم أتأقت الاناء اذا ملأته والمئق هو الباكي فكأن التئق ينزع الى الشر لغيظه والمئق يضيق ذرعا باحتماله ومثله قول بعضهم أنا كاف وأنت صلف فكيف نأتلف وقوله (لطيتي) يعني لقصدي وجهتي وقد يقال فيها طية بالتخفيف وقوله (بعد اللتيا والتي) اللتيا تصغير التي وهو على غير قياس التصغير المطرد لان

موضعي الذي هو سكني ونزولي وحل نزل

(شرح

﴿شرح المقامة الثامنة والعشرين وهى السمرقندية﴾

(استبضعت) اتخذت بضاعة (القند) عسل السكر و (سمرقند) بلد عظيم من بلاد خراسان غزاها ملك من ملوك اليمن اسمه شمر فملكها وهدمها فسميت شمركند بمعنى خرابة شمر ثم عربت فقيل سمرقند وأهلها السغد وفى رواية انه لما انتهى الى السغد قاتلهم أياما فتحولوا الى مدينتهم فحاصرهم حولا حتى افتتحها عنوة فقتل منهم وسبى وهدمها ثم ثاب له رأى فأمر ببنائها فبنيت خيرا مما كانت ثم أمر بصخرة فبنيت عند بابها وكتب عليها هذا بناء ملك العرب لا العجم شمر الملك الأشم ووجد فى سورها لوح من نحاس فيه كتاب وهو هذا ما أمر ببنائه شمر وقد تقدم أن فرغانة من أعمالها التى هى آخر خراسان وبين سمرقند وبغداد ستة أشهر وتقدم ان مدينة سمرقند من أحسن بلاد الله تعالى ولما أشرف قتيبة بن مسلم عليها فرأى ما أدهشه لافراط حسنها قال كأنها السماء فى الخضرة وكأن قصورها النجوم والزهرة وكأن أنهارها المجرة (قوله قويم الشطاط) أى معتدل القامة (جوم النشاط) أى كثير القوة والخفة و (المراح) النشاط و (الافراح) جمع فرح و (ماء الشباب) نضارة الفتوة ونعمة الصبا (ملامح السراب) مواضع يلمح السراب فيها أى يلمع و يظهر فأراد انه استعان بقوة فتوته على قطع الصحراء (وافيتها) أتيتها (عروبة) اسم يوم الجمعة سمى بذلك لحسنه حيث كان موسما وهو من قولهم جارية عروب أى حسناء وكانت العرب تسمى أيام الاسبوع بأسماء يجمعها بيتان وهما

أؤمل ان أعيش وأن يومى * بأول أو بأهون أو جبار

أو التالى دبار فان أفته * فؤنس أو عروبة أو شيار

وعروبة من الاسماء التى تدخلها الالف واللام مرة وتسقط منها أخرى قال الشاعر

* يوم كيوم عروبة المتطاول * وقال آخر * يوم العروبة أورادا بأوراد *

وحكوا ان سيبويه كان فى حلقة بالبصرة فتذاكروا شيأ من حديث قتادة فذكر سيبويه حديثا غريبا وقال لم يروه الا سعيد بن أبى العروبة فقال له بعض الفضلاء ما هاتان الزيادتان يعنى الالف واللام فى العروبة فقال سيبويه هكذا ينبغى أن يقال لان العروبة هى يوم الجمعة فمن قال عروبة فقد أخطأ قال محمد بن سلام فذكرت ذلك ليونس بن حبيب فقال أصاب سيبويه لله دره وسمى يوم الجمعة لما جاء فى حديث سلمان قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرى لم سمى يوم الجمعة قلت الله ورسوله أعلم قال لان فيه جمع أبوك آدم وقال بعضهم فذكر عروبة

فى العيد زار وكان يوم عروبة * يا فرحتى بثلاثة الاعياد

وكان المتوكل صاحب بطليوس ينتظر وفود أخيه عليه من شنتير بن يوم الجمعة فأتاه يوم السبت فلما تلقاه عانقه وأنشد

تخيرت اليهود السبت عيدا * وقلنا فى العروبة يوم عيد

فلما ان طلع السبت فينا * أطلت لسان محتج اليهود

﴿وقال ابن الرومى﴾

وحبب يوم السبت عندى اننى * ينادمنى فيه الذى أنا أحببت

ومن عجب الاشياء انى مسلم * حنيف ولكن خير أيامى السبت

(قوله كابدت) أى قاسيت (سعيت وما ونيت) جريت وما فترت ويقال ونى ينى أى ضعف والونى الضعف والفتور والاعياء (ملكت قول عندى) يريد أن المسافر فى الطريق لا يحسب ماله ملكا له حتى يدخل المدينة لانه متعرض للهلاك فى الطريق فاذا دخل المدينة وحصل فى بيته ملكه فصار ملكت قول عندى عبارة عن سلامة ماله وخلاصه من حوادث الاسفار نحو السرق والنهب والغرق والغصب أو يكون عبارة عن الحصول فى البيت يقول عندى كذا أى فى بيتى (عجت) أى ملت على

القياس أن يضم أول الاسم اذا صغر وقد أقر هذا الاسم على فتحته الاصلية عند تصغيره الا أن العرب عوضته عن ضم أوله بأن زادت ألفا فى آخره وأجرت أسماء الاشارة عند تصغيرها على حكمه فقالت فى تصغير الذى والتى اللذيا واللتيا وفى تصغير ذا وذاك ذيا وذياك وقد اختلف فى معنى قولهم بعد اللتيا والتى فقيل هما من أسماء الداهية وقيل المراد بهما بعد صغير المكروه وكبيره

﴿المقامة الثامنة والعشرون السمرقندية﴾

(أخبر الحرث بن همام) قال استبضعت فى بعض أسفارى القند وقصدت به سمرقند وكنت يومئذ قويم الشطاط جوم النشاط أرمى عن قوس المراح الى غرض الافراح وأستعين بماء الشباب على ملامح السراب فوافيتها بكرة عروبة بعدان كابدت الصعوبة فسعيت وما ونيت الى ان حصل البيت فلما نقلت اليه قندى وملكت قول عندى عجت الى الحمام على الاثر

فامطت عنى وعثاء السفر
وأخذت فى غسل الجمعة
بالاثر ثم بادرت فى هيئة
الخاشع الى مسجدها الجامع
لالحق بمن يقرب من الامام
ويقرب أفضل الانعام
فحظيت بأن جليت فى الحلبة
وتخيرت المركز لاستماع
الخطبة ولم يزل الناس
يدخلون فى دين الله أفواجا
ويردون فرادى وأزواجا
حتى اذا اكتظ الجامع بحفله
وأظل

الاثر أى فى الحين ورجع على الاثر أى مستعجلا كأنه مشى على أثره فى طريقه قبل غيره فعنى ثم ثبت الى الحمام على الاثر أى دخلته على الفور فى الحال وقد ذكرنا بابا أدبيا من الشعر فى الحمام فى الرابعة ونذكر هنا فيه فنا آخر من الادب قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم ستفتح عليكم أرض الاعاجم وتجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات فلا يدخلها الرجل الا بازار وامنعوا النساء أن يدخلنها الا مريضة أو نفساء وروى أن عبيد بن قرط الاسدى دخل مع صاحبين له بلدا فيها حمام فأحب صاحباه دخوله فيها فنهاهما عبيد فأبيا الا دخوله فلما دخلاه رأيا فيه رجلا يتنور أى يستعمل النورة فسألاه عنها فأخبرهما بإذهابها الشعر فاستعملاها فلم يحسناها فأحرقتهما وأضرت بهما فقال عبيد

لعمرى قد حذرت قرطا وجاره * ولا ينفع التحذير من ليس يحذر
نهيتهما عن نورة أحرقتهما * وحمام سوء ناره تتسعر
فما منهما الا أتانى موقعا * به أثر من مسها يتقشر
أجدكما لم تعلما ان جارنا * أبا الحسل بالبيداء لا يتنور
ولم تعلما حمامنا فى بلادنا * اذا جعل الحرباء فى الجذب يخضر

وورد اعرابى البصرة فنزل على ابن عم له فلما رأى البصرى شعث الاعرابى أراد ان ينظفه فقال له يوم جمعة ان الناس يتطهرون للجمعة ويتنظفون ويلبسون أحسن الملابس فتعال أدخلك الحمام لتتنظف من قشف السفر والبادية وتتطهر للصلاة فدخل معه الحمام فعند ما وطئ الاعرابى فرش أول بيت فى الحمام لم يحسن المشى عليها لشدة ملاستها فزلق وسقط لوجهه وصادفت جبهته حرف مدخل البيت فشجه شجة منكرة فخرج مرعوبا وهو ينشد ودماؤه تسيل

وقالوا تطهر انه يوم جمعة * فأبت من الحمام غير مطهر
تزودت منه شجة فوق حاجبى * بغير جهاد بئسما كان متجرى
يقول لى الاعراب حين رأيتنى * به لا بظبى بالصريمة أعفر
وما تعرف الاعراب مشيا بأرضها * فكيف ببيت ذى رخام ومرمر

وقال ابن سكرة دخلت حماما فخرجت وقد سرق مداسى فعدت الى دارى حافيا وأنا أقول

اليك أذم حمام ابن موسى * فاق فاق المنى طيبا وحرا
تكاثرت اللصوص عليه حتى * ليحفى من يطيف به ويعرى
ولم أفقد به ثوبا ولكن * دخلت محمدا وخرجت بشرا

يريد بشرا الحافى وكان من كبار الزهاد ولزم المشى حافيا فلقب به (وقوله أمطت) أى أزلت (وعثاء السفر) شدته ومشقته وفى الحديث اللهم انى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وأصله من الوعث وهو الدهس أى الرمل الدقيق وقيل الوعث الرمل تغيب فيه القوائم وقيل هو الطريق الخشن الصعب (بالاثر) أى بالحديث المروى وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من اغتسل يوم جمعة غسل الجنابة ثم راح فى الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ومن راح فى الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح فى الثالثة فكأنما قرب كبشا ومن راح فى الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح فى الخامسة فكأنما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر و(الانعام) هى الابل والبقر والغنم وقال فى الدرة فرقت العرب بين النعم والانعام فجعلت النعم اسما للابل خاصة وللماشية التى فيها الابل وتذكر وتؤنث وجعلت الانعام اسما لانواع المواشى مثل الابل والبقر والغنم (حظيت) سعدت (جليت) سبقت و(الحلبة) جماعة الخيل وأراد بها الناس المبادرين للصلاة وأنه سبقهم (المركز) الموضع تنتظر فيه الصلاة (دين) طاعة (أفواجا) جماعات (يردون) يأتون الجامع (اكتظ) امتلأ وضاق بأهله (حفله) اجتماع الناس فيه (أظل)

تساوى الشخص وظله برز الخطيب فى أهبته متهاديا خاف عصبته فارتقى فى منبر الدعوة الى أن مثل بالذروة فسلم مشيرا باليمين ثم جلس حتى ختم نظم التأذين ثم قام وقال الحمد لله الممدوح الاسماء المحمود الآلاء الواسع العطاء المدعو لحسم اللأواء مالك الامم ومصور الرمم وأهل السماح والكرم ومهلك عاد وارم درك كل سر علمه ووسع كل مصر حلمه وعم كل عالم طوله وهد كل مارد حوله أحمده حمد موحد مسلم وأدعوه دعاء مؤمل مسلم وهو الله لا اله الا هو الواحد الاحد العادل الصمد لا ولد له ولا والد ولا ردء معه ولا مساعد أرسل محمدا للاسلام

دنا وقرب (تساوى الشخص وظله) يريد حديث عمر رضى الله عنه أن صلّ الظهر اذا صار ظلك مثلك (برز) خرج (أهبته) عدته للصلاة (متهاديا) متمايلا لوقاره (عصبته) جماعة المؤذنين (ارتقى) طلع (مثل بالذروة) جلس بأعلى المنبر أو ظهر بأعلاه (والماثل) اللاطئ بالارض أو القائم المنتصب وهو من الاضداد وسمى المنبر منبر الارتفاعه وعلوه من النبر وهو ارتفاع الصوت ونبر الرجل نبرة تكلم بكلمة فيها علو وأنشد أبو الحسن بن البراء

انى لاسمع نبرة من قولها * فأكاد أن يغشى على سرورا

(مشيرا باليمين) مذهب الشافعى رضى الله عنه أن الخطيب اذا جلس على المنبر أشار الى الناس بيمينه مسلما من غير كلام قال ابن عمر رضى الله عنهما انطلقت مع النبى صلى الله عليه وسلم الى مسجد قباء فصلى فيه فخرج على صهيب فقلت يا صهيب كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد على من يسلم عليه قال يشير بيده (قوله جلس) قال الخليل يقال لمن كان قائما اقعد ولمن كان نائما أو ساجدا اجلس وهذا صحيح لان القعود هو الانتقال من علو الى سفل ولهذا يقال لمن أصيب برجله مقعد والجلوس هو الانتقال من سفل الى علو ورجل جالس آت نجدا وهو المكان المرتفع وذكره الحريرى فى الدرة (ختم) أكمل (قوله الآلاء) أى النعم الواسعة الكثيرة (حسم اللأواء) قطع الشدة (الرمم) العظام البالية (مصورها) منشئ صورتها وأراد قوله تعالى قل يحييها الذى أنشأها أول مرة (عاد وارم) أمتان قديمتان وقيل ارم قبيلة من عاد فيها مملكة عاد وقيل ارم اسم لقبائل كثيرة كالعماليق وطسم وجديس هلكوا وهم من ولد ارم بن سام بن نوح ومن لم يصرف ارم جعله اسما للقبيلة وقال سابق البربرى فى ذهاب الامم

وكيف يأمن ريب الدهر مرتهن * بعدوة الدهران الدهر عداء
ألقى على الجبل من عاد كلاكله * وقوم هود فهم هام وأصداء

وقال أيضا

أين الملوك التى عن خطها غفلت * حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
غرت زمانا بملك لا دوام له * جهلا كما غر نفسا من يمنيها
وصبحت قوم عاد فى ديارهم * بمقطع يوم عاد ثم عواديها
وتبعا وثمود الحجر غادرهم * ريب المنون رميما فى مغانيها
فكيف يبقى على الاحداث غابرنا * كأننا قد أظلتنا دواهيها

وقال الالبيرى

أين الملوك وأين ماجمعوا وما * ذخروه من ذهب المتاع الذاهب
ومن السوابغ والصوارم والقنا * ومن الصواهل بدن وشوارب
كانت سوابقها تحمل منهم * أقمار أندية وأسد كتائب
كانوا البيوت حقيبة لكنهم * سكنوا اغياض أسنة وقواضب
فسفتهم ريح الردى ورمتهم * كف المنون بكل سهم صائب

(قوله مصر) أى مقيم على الذنب و(العالم) كل مخلوق وأراد به الحيوان (طوله) فضله (هد) أذل وأهلك وهد البناء كسره وهدمه و(المارد) العاتى وهو المبالغ فى الطغيان والفساد والكثير الشر (حوله) قوته (مؤمل) راج (مسلم) مفوض (الصمد) من أسماء الله تعالى والسيد المطاع والصمد الذى لا يولد له وقيل الصمد الذى لا جوف له وقال ابن الانبارى أجمع أهل اللغة بلا خلاف على أن الصمد الذى ليس فوقه أحد الذى يصمد اليه الناس فى أمورهم وأنشد لورقة بن نوفل

سبحان ذى العرش سبحانا يدوم له * ورب البرية فرد واحد صمد

وأنشد لعمرو بن مسعود * وبالسيد الصمد * وأنشد * ولا رهينة الا سيد صمد * وأنشد * خذها حذيف فانت السيد الصمد * (قوله ردء) معين وأردأته على الامر أعنته (مساعد)

مهدا وللملة موطدا ولادلة الرسل مؤكدا وللاسود والاحمر مسددا ووصل الارحام وعلم الاحكام ووسم الحلال والحرام ورسم الاحلال والاحرام كرم الله محله وكمل الصلاة والسلام له ورحم آله الكرماء وأهله الرحماء ماهمر ركام وهدر حمام وسرح سوام وسطا حسام اعملوا رحمكم الله عمل الصلحاء واكدحوا لمعادكم كدح الاصحاء وادرعوا أهواء كم ردع الاعداء وأعدوا الرحلة اعداد السعداء وادرعوا حلل الورع وداووا علل الطمع وسووا أود العمل وعاصوا وساوس الامل وصوروا لاوهامكم حؤل الاحوال وحلول الاهوال ومساورة الاعلال ومصارمة المال والآل وادكروا الحمام وسكرة مصرعه والرمس وهول مطلعه واللحد ووحدة مودعه والملك وروعة سؤاله ومطلعه

موافق لمراده (ممهدا) باسطا و(الملة) الدين (الاحمر) أراد به الابيض وأراد لكل الناس وقيل الاحمر العجم مثل الروم والفرس لانهم بيض تعلوهم حمرة والاسود العرب لانهم اسكاهم الصحارى تغلب السمرة على ألوانهم (الارحام) فى الاصل الفروج ثم يكنى بها عن القرابات الذين بينهم رحم (وسم) بين وجعل له علامة والسمة العلامة (رسم) كتب وبين وأصل الرسم الاثر ورسمت الشئ أثرت به أثرا (الاحلال) الدخول فى الحل (الاحرام) الدخول فى الحرم وأراد انه علم موضع الحل والحرم (آله) أهله (همر ركام) انصب سحاب (هدر) صوت (وسرح) تفرق فى المرعى (سوام) ابل راعية (سطا) اهتز ليقطع (اكدحوا) اعملوا والكدح عمل انسان من خير وشر واكتسابه للدنيا والآخرة (لمعادكم) أى ليوم بعثكم والمعاد المرجع (الاصحاء) جمع صحيح (اردعوا) كفوا (ادرعوا) لبسوا الخوف (أود) اعوجاج (وساوس الامل) أحاديث الطمع والرجاء (أوهامكم) نفوسكم (حؤل) تغير (حلول) نزول (الاهوال) المخاوف (مساورة) مواثبة (الاعلال) الاصابة بعلة (مصارمة) مقاطعة (الآل) الاهل والقرابة (اذكروا الحمام) اذكروا الموت (الرمس) تراب القبر (هول مطلعه) خوف ما يراه الانسان فيه (اللحد) الحفيرة فى جانب القبر (مودعه) المجعول فيه كأنه وديعة فيه (الملك) منكر ونكير اللذين يفتنان الناس فى قبورهم (روعة) تفريع وتخويف (المطلع) المأتى قال الجوهرى رحمه الله تعالى يقال أين مطلع هذا الامر أى مأتاه وهو موضع الاطلاع من اشراف الى انحدار وجاء هول المطلع فى الحديث حدث واثلة بن الاسقع وغيره قالوا خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس اذكروا الموت وهول مطلعه وما تقدمون عليه من أعمالكم فانما أنتم عابر وسبيل الى دار الخلود ازهدوا فى دنيا ناقصة غير زائدة مفرقة غير مجمعة وارغبوا فى دار لا تخرب قصورها ولا يبلى سرورها ولا يموت سكانها أعمار أهل الجنة أبناء ثلاث وثلاثين سنة مكحلون يأكلون ويشربون لا يخرج من أجوافهم شئ الا يعرقون عرقهم ذلك مسك فلم أر مثل الجنة نام طالبها ولم أر مثل النار نام هاربها وقال ابن سكرة

محمد ما أعددت للترب والبلى * وللملكين الواقفين على القبر
وأنت مصر لا تراجع توبة * ولا ترعوى عما يذم من الامر
سيأتيك يوم لا تحاول دفعه * فقدم له زادا الى البعث والحشر

وتقدم الباب موفى حقه فى الحادية عشرة * ونذكر هنا بعض ما قيل فى الامل والطمع المانعين للناس من أعمال البر قال أبو العتاهية

تعلقت بآمال * طوال أى آمال
فأقبلت على الدهر * ملحا أى اقبال
أيا هذا تجهز لـ * فراق الاهل والمال
فلا بد من الموت * على حال من الحال

وقال أبو تمام

ألا للعمر فى الدنيا تجد وتعمر * وأنت غدا فيها تموت وتقبر
تلقح آمالا وترجو نتاجها * وعمرك مما قد ترجيه أقصر
وهذا صباح اليوم ينعاك ضوءه * وليلته تنعاك لو كنت تشعر
تحوم على ادراك ما قد كفيته * وتقبل بالآمال فيها وتدبر
ورزقك لا يعدوك اما معجل * على حاله يوما واما مؤخر

وقال محمود الوراق علام يسعى الحريص فى طلب الرزق بطول الرواح والدلج

يا قارع الباب رب مجتهد * قد أدمن القرع ثم لم يلج
فاطو على الهم كف مصطبر * فآخر الهم أول الفرج

﴿وقال عبد الصمد بن المعذل﴾

وأعلم أن بنات الرجا * تحل العزيز محل الذليل
وأن ليس مستغنيا بالكثير * ومن ليس مستغنيا بالقليل

(قوله المحوا) انظروا (كرّه) رجوعه (محاله) شدته ومعاداته وخداعه (طمس) محا وأذهب (معلما) موضعا من نفعا تعلم به الجهة التي هو فيها (طحطح) أهلك وفرق (عرمرما) جيشا كبيرا (دمر) أهلك والدمار الهلاك * ونذكر بعض من ذم الدهر من ملوك الاسلام من ذلك أن سليمان بن عبد الملك لبس في يوم الجمعة لباسا شهر به ودعا بتخت فيه عمائم وبيده مرآة فلم يزل يعتم بواحدة بعد أخرى وأرخى سدولها وأخذ بيده مخصرة واعتلى منبره ناظرا في عطفيه وجمع حشمه وقال أنا الملك الشاب السيد المهاب الكريم الوهاب فتمثلت له احدى جواريه فقال كيف ترين أمير المؤمنين فقالت أراه منى النفس وقرة العين لولا ما قال الشاعر

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى * غير أن لا بقاء للانسان
أنت خلو من العيوب ومما * يكره الناس غير أنك فاني

فدمعت عيناه وخرج على الناس باكيا فلما فرغ من صلاته رجع ودعا بالجارية وقال لها ما حملك على ما قلت قالت والله ما رأيتك ولا دخلت عليك فأكبر ذلك ودعا بقية جواريه فصدقنها على ذلك فراعه ذلك ولم يبق الا مديدة حتى مات * الفضل بن الربيع قال كنت مع المنصور في السفر الذي مات فيه فنزلنا بعض المنازل فدعاني وهو في قبته الى حائط وقال ألم أنهكم أن تدعوا العامة تدخل هذه المنازل فيكتبون فيها ما لا خير فيه قلت وما هو قال ألا ترى ما على الحائط مكتوبا

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت * سنوك وأمر الله لابد نازل
أبا جعفر هل كاهن أو منجم * يرد قضاء الله أم أنت جاهل

فقلت والله ما على الحائط شئ وانه لنقي أبيض قال الله قلت الله قال انها والله نفسي نعيت الى الرحيل بادر بي الى حرم الله وأمنه هاربا من ذنوبي واسرافي على نفسي فرحلنا وثقل حتى بلغ بئر ميمون فقلت له قد دخلت الحرم قال الحمد لله وقبض من يومه ولما حضرته الوفاة قال هذا السلطان لا سلطان من يموت * علي بن يقطين قال لما كنا مع المهدي بماسبذان قال لي أصبحت جائعا فأتني بارغفة ولحم بارد فأكل ونام في البهو فاستيقظنا الا لبكائه فبادرنا فقال أما رأيتم ما رأيت وقف علي رجل لو كان في ألف ما خفي علي فقال

كأني بهذا القصر قد باد أهله * وأوحش منه ربعه ومنازله
وصار عميد الملك من بعد بهجة * الى قبره تحثى عليه جنادله
فلم يبق الا ذكره وحديثه * ينادي عليه معولات حلائله

فما أتت عليه عشرة أيام حتى توفي قال الاصمعي دخلت على الرشيد يوما وهو ينظر في كتاب ودموعه تنحدر على خده فالتفت وقال اجلس أرأيت ما كان مني قلت نعم قال أما انه لو كان من أمر الدنيا ما رأيت هذا ثم رمى الي به فاذا فيه مكتوب لابي العتاهية

يا مؤثر الدنيا بلذتها * والمستعد لمن يفاخره
نل ما بدا لك أن تنال من الدنيا فان الموت آخره
هل أنت معتبر بمن خربت * منه غداة قضى عساكره
وبمن خلت منه أسرته * وبمن خلت منه منابره
أين الملوك وأين غيرهم * صاروا مصيرا أنت صائره

ثم قال كأني أخاطب بهذا دون كل الناس فلم يلبث الا قليلا حتى مات * ولما رجع المأمون من غزوته

والمحوا الدهر واسوم كرّه
وسوء محاله ومكره كم
طمس معلما وأمر طحطحا
وطحطح عرمرما ودمر
ملكا مكرما

التى افتتح فيها أربعة عشر حصنا نزل على عين تعرف بالعشيرة ينتظر رجوع رسله من الحصون فأعجبه بردمائها وصفاؤه وحسن بياضه وكثرة الخضرة والخصب بالموضع وجلس على خشب بسطله على الماء وطرح فيه درهما فقرأ كتابته فى قرار الماء لصفائه ولم يقدر أحد يدخل الماء لشدة برده فلاحت سمكة نحو الذراع كأنها سبيكة فضة فنزل بعض الفراشين فأخذها فاضطربت فى يده وتملصت ووقعت فى الماء فنضح منه على صدر المأمون ثم أخذها ووضعها بين يديه فى منديل تضطرب فأمر بأن تقلى الساعة فأخذته رعدة من ساعته ولم يقدر يتحرك فغطى باللحف وهو يرتعد ويصيح البرد فأتى بالسمكة فلم يقدر عليها وسال على جسمه عرق كالرب لم يعرفه الاطباء فلما ثقل قال اخرجونى أنظر الى عسكرى وأنظر الى مالى وملكى وذلك ليلا فأشرف على الجيش وانتشاره ونيرانه فقال يامن لايزول ملكه ارحم من قدزال ملكه فلما ثقل رنا بطرفه نحو السماء وقد امتلأت عيناه دموعا فقال يامن لايموت ارحم من يموت وقضى عليه من ساعته وكان كثيرا ماينشد

ومن لم يزل غرضا للمنو * ن تترك ذات يوم عميدا
وان أخطأت مرة نفسه * فيوشك مخطئها أن يعودا
فبينا يحيد وتخطئه * قصدن فأعجلنه أن يحيدا

*وذكر أبو الموار يث قاضى نصيبين أنه رأى فى المنام ليلة قائلا يقول

يانائم الليل فى جثمان يقظان * مابال عينيك لاتبكى بتهتان
ان الليالى لم تحسن الى أحد * الا أساءت اليه بعد احسان
هلا رأيت صروف الدهر مافعلت * بالهاشمى وبالفتح بن خاقان

يعنى المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان قال فأتى البريد بقتلهما فى تلك الليلة وقال سابق البربرى

ورب أغيد ساجى الطرف معتصب * بالتاج نيرانه للحرب تستعر
يظل مفترش الديباج محتجبا * اليه تبنى قباب الملك والحجر
قد غادرته المنايا فهو مستلب * مجندل ترب الخدين منعفر

(همه) مراده (سك المسامع) قطع الآذان وقد سك أذنه اذا استأصلها بالقطع والمقطوع الاذن يقال له أسك وسككت الشئ واستك أى سددته فانسد (سح) صب (اكداء) قطع ومنع (ارداء) اهلاك (الرعاع) سقط الناس (المسود) من ليس بسيد (المطاع) الذى يقول ما أراد فيطاع ولا يعصى (الاساود) الحيات (والآساد) جمع أسد (مول) أعطى مالا (مال) انحرف وخرج عن طريقه (عكس) قلب (الآمال) جمع أمل وهو الرجاء وقال مسلم بن الوليد

الدهر آخذ ما أعطى مكدر ما * أصفى ومفسد ما أهدى له بيد
فلا يغرنك من دهر عطيته * فليس يترك ما أعطى على أحد

وقال أبو تمام

أقول لنفسى حين مالت لصفوها * الى خطوات قد تجن أمانيا
فهبنى من الدنيا ظفرت بكل ما * تمنيت أو أعطيت فوق منائيا
أليس الليالى غاصباتى مهجتى * كما غصبت قبل القرون الخواليا

(قوله صال) صاح وهدر (كلم) جرح (الاوصال) المفاصل وهو موصل عظم عضو فى عضو (لؤم) صار لئيما (روع الاوداء) فزع الاحباب (السهو) الغلط (الاصرار) الاقامة على الذنب (الآصار) الاثقال يريد اثقال الذنوب (اطراح) ترك ورمى (مسلككم) طريقكم (الساهرة) وجه الارض وقيل الارض البيضاء (المورد) موضع الماء الذى يرده الناس والبهائم ولا غنى لاحد من قصد الماء فجعل الساهرة موردا على هذا المعنى (أهوال الطامة) مخاوف القيامة ومافيها من الهول والخوف واصابت الناس طامة أى داهية وأمر عظيم وقد طم الامر اذا عظم وجاوز الحد (مرصدة)

همه سك المسامع وسح المدامع واكداء المطامع وارداء المسمع والسامع حم حكمه الملوك والرعاع والمسود والمطاع والمحسود والحساد والاساود والآساد ماموّل الامال وعكس الآمال وماوصل الاوصال وكلم الاوصال ولاسر الاوساء ولؤم وأساء ولا أصح الاولد الداء وروّع الاوداء الله الله رعاكم الله الام مداومة اللهو ومواصلة السهو وطول الاصرار وحمل الآصار واطراح كلام الحكماء ومعاصاة اله السماء أما الهرم حصادكم والمدر مهادكم أما الحمام مدرككم والصراط مسلككم أما الساعة موعدكم والساهرة موردكم أما أهوال الطامة لكم مرصدة أما دار العصاة

معدة ينتظرون بها و (الحطمة) التى تحطم الناس أى تكسرهم يعنى جهنم أعاذنا الله منها وهو اسم علم من أسماء جهنم دخلته اللام ايذانا بالصفة (المؤصدة) المغلقة (رواؤهم) منظرهم الحسن (حالك) أسود (السموم) جمع سم و (السموم) الريح الحارة (أم) قصد (أحكم) أتقن (كدح) عمل (روح مأواه) راحة مسكنه (موادعا) مباركا ومصالحا قال ابن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك (دهمه) غشيه وأتاه فجأة ودهمه يدهمه لغة (المرام) المطلب (حصر) حبس (المسام) نزول (الآلام) الاسقام (حوم الحمام) دنو الموت (هدو) سكون (الحواس) الإدراكات وهى التى يحس بها الانسان الاشياء ويدركها وهى خمسة العين يدرك بها النظر والانف والاذن يدرك بهما الشم والسمع واللسان واليد يدرك بهما الذوق واللمس فيريد أن هذه الجوارح تسكن بالموت ولا تتحرك وننشد هنا أبياتا لها بالموضع بعض تعلق ونذكر فيها الاطباء الذين لا حيلة لهم فى الموت قال عدى بن زيد

أين أهل الديار من قوم نوح * ثم عاد من بعدهم وثمود
بينما هم على الاسرة والانماط أفضت الى التراب الخدود
والاطباء بعدهم لحقوهم * ضل عنهم سعوطهم واللدود
وصحيح أضحى يعود مريضا * وهو أدنى للموت ممن يعود

(وقال الخليل بن أحمد)

فكن مستعد الداعى الفناء * فان الذى هو آت قريب
وقبلك داوى المريض الطبيب * فعاش المريض ومات الطبيب

ولابن الرومى وفصده بعض الاطباء فزعم أن الفصد زاد فى علته فقال

غلط الطبيب على غلطة مورد * عجزت محالته عن الاصدار
والناس يلحون الطبيب وانما * غلط الطبيب اصابة المقدار

(وقال غيره)

قد قلت لما قال لى قائل * قد صار نعمان الى رمسه
فأين ما يذكر من طبه * وحذقه بالماء مع جسه
هيهات لا يدفع عن غيره * من كان لا يدفع عن نفسه

(ومنه قول الآخر)

أقول لنعمان وقد ساق طبه * نفوسا نفيسات الى باطن الارض
أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشر أهون من بعض

(ويحكى) أن القاضى ابن منظور بلغه أن أبا العلاء بن زهر مرض فضحك وقال فأين طبه فبلغت أبا العلاء فقال

قالوا ابن منظور تبسم هازئا * لما مرضت فقلت يعثر من مشى
قد كان جالينوس يمرض دائما * فن الامام المرتضى قبل الرشا

(وقال المتنبى)

لابد للانسان من ضجعة * لا تقلب الانسان عن جنبه
ينسى بها ما مر من عجبه * وما أذاق الموت من كربه
نحن بنو الموت فما بالنا * نعاف ما لابد من شربه
تبخل أيدينا بأرواحنا * على زمان هى من كسبه
فهذه الارواح من جوه * وهذه الاجساد من تربه
يموت راعى الضأن فى جهله * كموت جالينوس فى طبه

(أصيب الجرمى فى عينيه فقال)

الحطمة المؤصدة جارسهم مالك ورواءهم حالك وطعامهم السموم وهواؤهم السموم لا مال أسعدهم ولا ولد ولا عدد حماهم ولا عدد ألا رحم الله أمرأ ملك هواه وأم مسالك هداه وأحكم طاعة مولاه وكدح لروح مأواه وعمل مادام العمر مطاوعا والدهر موادعا والصحة كاملة والسلامة حاصلة والا دهمه عدم المرام وحصر الكلام والمام الآلام وحوم الحمام وهدو الحواس

وهراس الارماس آهالها حسرة ألمها مؤكد وأمدها سرمد ومعارسها مكمد مالوله حاسم ولا لسدمه راحم ولا لمعا عراه عاصم الهمكم الله أحمد الالهام ورداكم رداء الاكرام وأحلكم دار السلام وأسأله الرحمة لكم ولاهل ملة الاسلام وهو أسمح الكرام والمسلم والسلام (قال الحرث ابن همام) فلما رأيت الخطبة نخبة بلاسقط وعروسا بغير نقط دعاني الاعجاب بنمطها العجيب الى استجلاء وجه الخطيب فأخذت أتوسمه جدا وأقلب الطرف فيه مجدا الى أن وضح لى بصدق العلامات أنه شيخنا ذو المقامات ولم يكن بد من الصمت فى ذلك الوقت فامسكت حتى تحالل من الفرض وحل الانتشار فى الارض ثم واجهت تلقاءه وابتدرت لقاءه فلما لحظنى خف فى القيام وأحفى الاكرام ثم استصحبنى الى داره وأودعنى خصائص أسراره وحين انتشر جناح الظلام وحان ميقات المنام أحضر أباريق المدام معكومة بالفدام فقلت أتحسوها امام القوم وأنت امام القوم

اذا مامات بعضك فابك بعضا * فبعض الشئ من بعض قريب
يمنينى الطبيب شفاء عينى * وما غير الاله لها طبيب

(قوله هراس) أصله معالجة الشئ الشديد وكل شئ التصق بشئ واحتك به فقد مارسه وهرست الدواء بالماء دلكته و(الارماس) القبور واحدها رمس فيريد بها ما يلقاه الانسان فى قبره من الدواهى وتقدمت فى الحادية عشرة ويروى الامراس جمع مرس وهو حبل من ليف يفتل على ثلاثة هراسه حريانه على البكرة فالبكرة تأكل قوته كل يوم فتقطعه كذا الايام تأكل قوة ابن آدم فتقطعه فاذا مات أكل بدنه القبر (آها) كلمة توجع (حسرة) فجيعة والهاء فى لها كناية عن الحسرة أضمرها بشريطة التفسير أى ما أعظمها من حسرة آها أى تأوها (ألمها مؤكد) أى وجعها شديد متتابع (سرمد) دائم (ممارسها) معالجها ومخالطها (مكمد) مهموم محزون (ولهه) حزنه (حاسم) مزيل قاطع (سدمه) حيرته (عراه) قصده (عاصم) مانع (ألهمكم) ذكركم ونبهكم (أحلكم) أنزلكم (دار السلام) الجنة من دخلها سلم من العذاب وبقى فى سلامة (ملة) دين (أسمح) أكرم (السلام) الذى هو من أسماء الله سبحانه وتعالى ومعناه المسلم لعبده أو هو على حذف المضاف ومعناه ذو السلام أى صاحب السلام ويحتمل أن يريد به اللفظة التى يقطع بها الكلام كما تقول لمن تقطع كلامه والسلام أى لا زيادة عندى على هذا أو أردت والسلام عليكم فحذفت اختصارا وفى تأويل السلام عليكم وجهان احدهما أنه اسم الله بمعنى الله تعالى عليكم أى على حفظكم أو بمعنى السلامة عليكم فالسلام جمع سلامة * قال ابن الانبارى السلام فى كلام العرب على أربعة أقسام السلام التسليم تقول سلمت سلاما والسلام الله تعالى والسلام جمع سلامة والسلام شجر عظام واحدها سلامة قال الاخطل

ورابية السكران قفر فيابها * لهم شبح الاسلام وحرمل

(نخبة) مختارة (سقط) لفظ ردىء (استجلاء) نظر (أتوسمه) أنظر سمته أى علامته التى يعرف بها (جدا) كثيرا (مجدا) مجتهدا (وضح) تبين (ذو المقامات) صاحب المجالس (البد) الفرار قال الفراء رحمه الله تعالى يقال لابد اليوم من قضاء حاجتى أى لافرار ويقال ليس لهذا الامر بد أى لا محالة (الصمت) السكوت والانصات لاستماع الخطبة فرض عند الشافعى رضى الله عنه لقوله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا أى لاستماع الخطبة وقال جماعة من المفسرين انه انما نزلت الآية فى السكوت لاستماع الخطبة * أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قلت لصاحبك والامام يخطب أنصت فقد لغوت * أبو هريرة وأبو سعيد انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خرج الى الجمعة وعليه الوقار ثم رجع ثم أنصت الى ان جلس الامام فلم يتكلم حتى ينزل ثم صلى الجمعة غفر الله له ما بينه وبين الجمعة التى تليها قال أبو هريرة وثلاثة أيام يريد من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها (تحالل من الفرض) تخلص من الصلاة (الانتشار) انحلال الجموع من الصلاة وانبساطهم على الارض (تلقاءه) مقابلته (أحفى) بالغ واستقصى وتحفيت بفلان أظهرت العناية به فى سؤاله اياه (ميقاته) وقته (معكومة) مشدودة وعكمت البعير شددت فمه والوعاء شددت رأسه (الفدام) خرقة يشد بها فم الابريق ليصفى بها ما فيه (تحسوها) تشربها (وأنت امام القوم) توبيخ له على قبح فعله مع الفضل الذى سبق له والعيب الكبير يصغر فى حق أهل الريب كما ان الصغير يعظم فى حق أهل المروآت وقال المتنبى فى المعنى وان كان من غير الباب

وما يوجع الحرمان من كف حارم * كما يوجع الحرمان من كف رازق

(وقال المخزومى)

والعيب فى الجاهل المغمور مغمور * وعيب ذى الشرف المذكور مذكور
كفوفة الظفر تخفى من حقارتها * ومثلها فى سواد العين مشهور

(وقال

﴿وقال ابراهيم بن المهدى﴾

لولا الحياء وانى مشهور ✽ والعيب بالرجل الكبير كبير
لحللت منزله الذى يحتله ✽ ولكان منزلنا هو المهجور

(مه) اسكت ومعنى قوله (انا بالنهار خطيب و بالليل أطيب) مما وقع فى كتاب مفتاح السرور والافراح حكاية عن بعضهم أنه قال رأيت قاصا يقص غداة يوم ثم رأيته بالعشى فى حانة والقدح فى يده فقلت ما هذا فقال انا بالغداة قاص و بالعشى عاص ومن ذلك ما كتب به يحيى بن خالد لابنه الفضل حين بعث فيه أهل خراسان كتابا الى الرشيد انه مشتغل بالصيد وادمان اللذات فرمى به الى يحيى وقال يا أبت اكتب اليه بما يردعه فكتب على ظهر الكتاب حفظك الله يا بنى وأمتع بك فقد انتهى الى أمير المؤمنين ما أنت عليه من التشاغل بالصيد وادمان اللذات فعاود ما هو اليق بك وأزين لك فانه من عاد الى ما يزينه وترك ما يشينه لم يعرفه أهل دهره الا به وقد قلت أبياتا فالتزمها وان جاوزتها عزلتك عن سخط ولم أكلمك حولا وكتب اليه

انصب نهارا فى طلاب العلا ✽ واصبر على فقد لقاء الحبيب
حتى اذا الليل أتى مقبلا ✽ واستترت فيه عيون الرقيب
فباشر الليل بما تشتهى ✽ فانما الليل نهار الاريب
كم من فتى تحسبه ناسكا ✽ قد لقى الليل بأمر عجيب
ألقى عليه الليل أثوابه ✽ فبات فى لهو وعيش خصيب
ولذة الاحمق مشهورة ✽ يرصدها كل حسود رقيب

فامتثل ما فيها حتى عزل عنها وقال الحلوانى فى ضده

أنت الذى قسم الزمان لنفسه ✽ قسمين بين رياسة ومتاب
أعطى لمرتبة العلاء نهاره ✽ منها وجنح الليل للمعراب

وقال الفنجديهى فى قوله انا بالنهار خطيب و بالليل أطيب معناه أنا صالح المنظر فاسد المخبر انظر فى مرآة المرآة وأسر مساواة المساآت وأديم المناجاة جلوة وأقيم المداجاة خلوة آمر الناس بالرشاد وأنا أتوسد وسادة الفساد وقال ابن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الصلاة حين يراه الناس ثم أساءها حين يخلو فتلك استهانة يستهين بها ربه (قوله تسليك عن أناسك) أى اشتغالك عن أهلك و بلدك وهو مسقط رأسه أى الموضع الذى سقط فيه رأسه عند ولادته (خطابتك) فصاحتك فى خطبتك (ادناسك) عيبك وتلطيخ عرضك (مدار) دورانه فى أيدى الشاربين (أشاح) نحى معرضا وأشاح فى الامر صمم عليه (الفا) صاحبا (نأى) بعد يقول له جوابا للومه لاتبك صاحبا بعد عنك ولا منزلا تغربت عنه وتقلب مع الدهر كما ينقلب مع أهله (ودر) من الدوران (سكا) أهلا والفا تسكن اليه (ومثل الارض كلها دارا) أى بلدا والدار البلد فى قوله تعالى فأصبحوا فى دارهم جاثمين وتمتعوا فى داركم (داره) لاينه وسايسه (اللبيب) العاقل (دارى) أحسن مخالطة الناس واصلها الخداع تقول العرب دريت الصيد أدريه دريا ودار يته اداريه مداراة والدرية بعير يقعد عنده الصائد يستتر به فيجىء الصيد فيأنس بالبعير فيرميه من قرب وكان الحسن يقول المداراة تستجلب مودة القلوب فخذعهم فى عقولهم وفى الحديث أحب الناس تحببا الى الله أكثرهم تحببا الى الناس وفيه اذا أحب الله عبدا حببه الى للناس

﴿وقال ابن عبد ربه﴾

وجه عليه من الحياء مهابة ✽ ومحبة تجرى مع الانفاس
واذا أحب الله يوما عبده ✽ ألقى عليه محبة للناس

فقال مه أنا بالنهار خطيب
و بالليل أطيب فقلت والله
ما أدرى أأعجب من تسليك
عن أناسك ومسقط راسك
أم من خطابتك مع ادناسك
ومدار كاسك فأشاح بوجهه
عنى ثم قال اسمع منى
لاتبك الفا نأى ولا دارا
ودر مع الدهر كيفما دارا
واتخذ الناس كلهم سكا
ومثل الارض كلها دارا
واصبر على خلق من تعاشره
وداره فاللبيب من دارى

كتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى سعد بن أبى وقاص ان الله اذا أحب عبدا حببه الى الناس واعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس واعلم ان مالك من الله بمنزلة ما للناس عندك وقال بعضهم أتيت الخليل فوجدته على طنفسة صغيرة فوسع لى فكرهت أن أضيق عليه فتأخرت فأخذ بعضدى وقدمنى الى نفسه وقال لا يضيق سم الخياط بمتحابين ولا تسع الارض متباغضين أخذه ابن عبد ربه فقال

صل من هويت وان أبدى مباغضة * فأطيب العيش وصل بين الفين
واقطع حبائل خدن لا تلائمه * فقلما تسع الدنيا بغيضين

ولابى محمد بن أبى الوليد المالقى

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين
ولا تسامح بغيضا فى معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

ولابن الرقاق

ألا ادن وان ضاق المندى فانه * رحيب بود ضمنته الاضالع
يضيق الفضاء عن صاحبين تباغضا * وسم خياط بالحبيبين واسع

وقال التهامى

بين المحبين مجلس واسع * والود حال يقرب الشاسع
والبيت ان ضاق عن ثمانية * متسع بالوداد للتاسع

(فرصة) نهزة وغنيمة (دارا) دهرا وقال السرى

قم فانتصف من صروف الدهر والنوب * واجمع بكأسك بين اللهو والطرب
واخلع عذارك واشرب قهوة مزجت * بقهوة الفلج المعسول والشنب
توج بكأسك قبل الحادثات يدى * فالكأس تاج يد المثرى من الادب

(جائلة) دائرة (كسرى) اسم ملك الفرس وكسرى ملك الملوك أنوشروان بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام الملك العادل ملك العرب والعجم كان موصوفا بالعدل معروفا بحسن الرعاية والفضل وشهرته فى كتب الآداب مغنية فى ذكره عن الاطناب قيل كان مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لاثنتين وأربعين سنة مضت من ملكه وملك تسعا وأربعين سنة وكسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان كان ملكا شديد البطش نافذ الرأى قد بلغ من الظفر ومساعدة الدهر حدا لم يبلغه ملك من الملوك كان ملكه ثمانى وثلاثين سنة وفى سنة ثلاثين من ملكه بعث نبينا صلى الله عليه وسلم وحدث خالد بن ربوة وكان رأسا فى المجوس فأسلم قال كان كسرى اذا ركب ركب معه رجلان فيقولان له ساعتئذ أنت عبد ولست برب فيشير برأسه أن نعم فركب يوما فقالا ذلك له فلم يشر برأسه فشكواه الى صاحب الشرطة فركب ليعاتبه وكان كسرى قد نام فلما وقع صوت حوافر الدواب فى أذنه استيقظ فدخل عليه صاحب الشرطة فقال أيقظتمونى انى رأيت كأنه رقى بى فوق سبع سموات فوقفت بين يدى الله تعالى واذا رجل بين يديه عليه ازار ورداء فقال لى سلم مفاتيح خزائن الارض الى هذا ألست المأمور بكذا فلم تفعل وانى أردت أن أقولها فاسترد هامنه فأيقظتمونى وصاحب الازار والرداء هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبعث له رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة بن قيس وكتب له بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله النبى الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله عز وجل فانى رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فأسلم تسلم فان أبيت فان اثم المجوس عليك فلما اقرأ الكتاب شقه وقال يكتب الى بهذا وهو عبدى فبلغ الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مزقه مزق الله ملكه أو قال اللهم مزقهم كل ممزق ثم كتب كسرى الى باذان وهو على اليمن ان ابعث الى هذا الرجل الذى بالحجاز رجلين جلدين يأتيانى به

ولا تضع فرصة السرور فما
تدرى أيوما تعيش أم دارا
واعلم بأن المنون جائلة
وقد أدارت على الورى دارا
وأقسمت لا تزال قانصة
ما كرّ عسكر الحيا ومادارا
فكيف ترجى النجاة من شرك
لم ينج منه كسرى ولا دارا

فبعث باذان قهرمانه وكان كاتبا حاسبا وهو بابومة وبعث معه برجل من الفرس وكتب معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره أن ينصرف معهما الى كسرى وقال لبابومة ويلك انظر من الرجل وكلمه وائتني بخبره فخرجا حتى قدما الطائف فسألا عنه فقالوا هو بالمدينة واستبشر أهل الطائف وقالوا انصب له كسرى كفيتم الرجل فخرجا حتى قدما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه بابومة وقال ان شاهانشاه ملك الملوك كسرى كتب الى باذان يأمره أن يبعث اليك من يأتيه بك وقد بعثني اليك لتنطلق معي فان فعلت كتبت فيك الى ملك الملوك بكتاب ينفعك و يكف عنك به وان أبيت فهو من قد علمت وهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك فقال لهما ارجعا حتى تأتياني غدا وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر أن الله تعالى قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله في ليلة كذا في شهر كذا بعد ما مضى من الليل كذا سلط الله عليه ابنه فقتله فقال لهما هل تدريان ما تقول فانا قد نقمنا منك ما هو أيسر من هذا أفنكتب به عنك ونخبر الملك قال نعم أخبراه ذلك عني وقولا له ان ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى وقولا له ان أسلمت أعطيتك ما تحت يدك وملكتك على قومك من الابناء فخرجا من عنده حتى قدما على باذان فأخبراه الخبر فقال والله ما هذا بكلام ملك وانى لأرى الرجل نبيا فان كان ما قال حقا فهو نبي مرسل فان لم يكن فسأرى فيه رأيا فلم يلبث ان قدم عليه كتاب شيرويه وفيه أما بعد فاني قد قتلت كسرى ولم أقتله الا غضبا لفارس مما كان استحل من قتل اشرافهم فاذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك وانظر الى الرجل الذي كتب لك فيه فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه فقال باذان ان هذا الرجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وأسلمت الابناء من فارس وكسرى أنوشروان هو الذي بنى سور الابواب وهو من عجائب الدنيا فلما بناه هادته الملوك وكاتبته وهو الذي افتتح كثيرا من بلاد الشام الرومية ونقل منها الرخام الى العراق وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم ولد لاثنين وعشرين سنة من ملكه وقيل انه ولد في آخر ملكه كما قدمناه وولى من بعده ابنه هرمز وكان مضعفا فاغزته الملوك وطمعت فيه ثم خلعته الفرس وسملت عينيه وعقد الملك لابنه ابرويز في حياته فبعد حروب شديدة اجتمع لابرويز أمره وكان وزيره بزرجمهر أكثر الفرس حكما ومواعظ وفي ملكه كانت وقعة ذي قار بين بكر بن وائل والهامرز صاحب أبرويز لاربعين سنة لمولد النبي صلى الله عليه وسلم وقيل انها كانت في غزوة بدر وقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نصرت وكان على مربط أبرويز خمسون ألف دابة وألف فيل تخرج في أحد أعياده وقد صفت له الجيوش وأحدقت به مائة ألف فارس دون الرجالة وصفت له الفيلة فلما مرت به سجدت له فما رفعت رؤسها حتى رفعت خراطيمها بالمحاجن فأعلم بذلك وقال وددت أنها فارسية ولم تكن هندية انظر والى أدبها من بين سائر الدواب ثم هدم الله تعالى هذا الملك العظيم بالاسلام قال الالبيري ﴿ذكر دارا﴾

قطف البلاد لكي ترى آثار من * قد كان يعمرها من الاقيال
عصفت بهم ريح الردى فذرتهم * ذرو الرياح الهوج حقف رمال
فتقطعت أسبابهم وتفرقت * واطالما كانوا كنظم لآلي

قيل لابرويز وكان حكيما ما شهوة ساعة قال الجماع قيل فما شهوة يوم قال دخول الحمام قيل فما شهوة جمعة قال غسل الثياب قيل فما شهوة شهر قال تجديد الثياب قيل فما شهوة سنة قال تزوج الابكار قيل فما شهوة الابد قال أماني الدنيا فمشاهدة الاخوان وأماني الآخرة فنعيم الجنة ونظر الى قذاة في طعام فدعا الطباخ فقال ما هذا فقال حاولته بالليل في وقت لم يكن فيه ماء معين فأمر بضرب عنقه فغضب الطباخ وقال يا ابن الاشتور بان تفسيره يا ابن سائس الدواب فعفا عنه وقال انا معشر

الملوك نعاقب في الصغير ونعفو عن الكبير * وأما دارا بن دارا بن بهمن وهو آخر ملوك الفرس الاول فانه كان ضخم الملك ذا قدرة ومكانة وهو الذي بنى بأرض الجزيرة مدينة دارا بجرد وكانت جنده ستمائة ألف ولقيه الاسكندر بالجزيرة فدارت بينهم الحروب أربعين يوما وخندق دارا على عسكره خمس خنادق وجعل على كل خندق اثني عشر ألف رجل وكانت النوبة لا تصيب الرجل الا يوما في كل خمسة أيام فوجد الاسكندر من ذلك وجدا شديدا فبعث الى دارا انا كدنا نتفانى ورأيت رأيا فيه البقاء لنا ولك وذلك أن تفرج لي فأخرق صفك خرقا الى جانب بلادك وأرجع الى بلادي فانا لا نرى الفرار من الزحف وهو عار لا يغسل فاجابه دارا الى السبيل الى ذلك فلما رأى الاسكندر ذلك وضع البرنس وحسر عن رأسه وقال يا معشر الروم هذا هو العجز والذل عن الانتصار هل فيكم من يحتال لي في هذا الامر وله نصف مال الروم والعجم ونصف ما في بيوت الاموال فقد أدركتني الحمية فبلغ الخبر الى صاحب حرس دارا فقال أنا أفعل ذلك وآخذ ما لا عظيما فلما التحم القتال حمل على دارا فطعنه بحربة في ظهره فوقع على الارض وانهزم عسكر دارا فجاء الاسكندر ووضع رأس دارا في حجره ومسح التراب عن وجهه وقبله وبكى وقال الحمد لله الذي لم يجعل قتلك على يدي ولا على يد أحد من جندي فسل ما بدا لك أقضه فقال له دارا من حاجتي عندك أن لا تخرب بيوت النيران وأن تنصفني من قاتلي قبل موتي فانه ان بقي عندك سيكفر معروفك كما كفر معروفي فقال له الاسكندر حاجتي عندك أن تزوجني بنتك روشنك فقال دارا على أن تجعل الملك من بعدك لولدك منها فاجابه الى ذلك وزوجه ابنته وأخذ الاسكندر قاتله وقطعه أربع قطع واستولى على جميع مملكته وملك دارا أربع عشرة سنة وقيل ست سنين وقسم الاسكندر غنائم عسكره في ثلاثين يوما وشاور الاسكندر معلمه ارسطاطاليس في أن يقتل من بقي من الفرس فقال له لا تفعل ولكن ول على كل جهة شريفا من أهلها فيتنافسون ولا يجمعهم ملك أبدا ففعل فهم ملوك الطوائف حتى انتزع اردشير منهم الملك وقال ان كلمة فرقت خمسمائة سنة وتسع عشرة سنة يعني كلمة ارسطاطاليس لكلمة بالغة وملوك الفرس الاول ستة عشر ملكا وملوك الفرس الثواني اثنان وثلاثون منهم امرأتان وملك بعد اردشير سابور وهو من عظمائهم ففتح الحصون ومدن المدن وبنى الايوان وهو بالجانب الشرقي من المدائن وهو من عجائب البنيان وعجائب الفرس كثيرة وفي هذه النبذة غنية توافق ما شرطناه (قوله اعتورتنا) أي قصدتنا ودارت علينا (الغموس) الشديدة وهي في الجاهلية التي تغمس صاحبها في العار وفي الاسلام تغمس صاحبها في الاوزار والغمس ارتباط الشئ في الشئ في ماء أو صبغ حتى اللقمة في الخل والغموس قيل انها اليمين التي يقطع بها الرجل حق غيره فيحلف كاذبا * الليث رحمه الله هي اليمين التي لا استثناء فيها وفي الحديث اليمين الغموس تدع الديار بلاقع أي قفرا فارغة من كل رزق و (الناموس) اظهار فعل الخير وتنامس الرجل اذا ظهر بما لا يعتقد وأصل النمس الستر وكل شئ سترت به شيأ فهو ناموس له وناموس الرجل صاحب سره ويقال لصاحب سر الخير ناموس ولصاحب سر الشر جاسوس قال أبو عبيدة هما بمعنى * غيره الناموس صاحب سر الملك وقد غس ينمس غسا ونامسته منامسة (مرامه) مطلبه ومراده (رعيت ذمامه) حفظت حقه وما بيني وبينه مما يجب ان يراعى (الملا) الجماعة (الفضيل) هو ابن عياض التيمي كنيته أبو علي وهو ممن شهر بالزهد والخير وهو من رجال رسالة القشيري قال صاحبها أبو علي خراساني من ناحية مرو ولد بسمرقند ومات في الحرم سنة سبع وثمانين ومائتين وكان شاطرا يقطع الطريق وسبب توبته أنه عشق جارية فبينما هو ذات يوم يرتقي الجدار اليها اذ سمع تاليا يتلو ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق فقال يارب قد آن فرجع فأوى الى خربة فاذا فيها رفقة فقال بعضهم نرتحل وقال بعضهم حتى نصبح فان فضيلا في الطريق فيقطع علينا فأمنهم وسار معهم حتى بلغوا وجاور الحرم وقال الفضيل اذا أحب الله

قال فلما اعتورتنا الكؤوس وطربت النفوس جرعني اليمين الغموس على أن أحفظ عليه الناموس فاتبعت مرامه ورعيت ذمامه ونزلته بين الملا منزلة الفضيل

عبداً أكثرهمه واذا أبغض عبداوسع عليه دنياه وقال الكامل المروأة من بر والديه وأصلح ماله وأنفق من فضله وأكرم اخوانه وحسن خلقه ولزم بيته وقال اذا رأيت الليل مقبلا فرحت وقلت أخلو بربي واذا أبصرت الصبح استرجعت كراهة أن يجيء من يشغلني واطلع عليه بعض اخوانه من كوة ولحيته تقطر دموعا فقال ياهؤلاء ليس هذا زمن حديث انما هو زمن احفظ لسانك وعالج قلبك وأخف مكانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وقال لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت على لا أحاسب بها لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة اذا مر بها أن تصيب ثيابه وقال ترك العمل لاجل الناس رياء والعمل لاجل الناس هو الشرك وقال أبو على سلمان الداراني صحبت الفضيل ثلاثين سنة مارأيته ضاحكا ولا متبسما الا يوم مات ابنه على فقلت له في ذلك فقال ان الله تعالى أحب أمرا فاحببته وقال اني لاعصى الله فاعرف ذلك في خلق حماري وأخباره كثيرة وهذه اللمعة دالة عليها (قوله سدلت) أي أرخيت (مخازي) قبائح ومايخزى عليها فاعلها لو اطلع على فعله (دأبه ودابي) عادته وعادتي (ايابي) رجوعي (مصر) مقيم (التدليس) تلبيس الامر وكتمان العيب ويشبه عذل ابن همام السروجي في شرب الخمر ثم مساعدته اياه بعد لومه وشربه معه قول ابن أبي ربيعة وهو أحسن ماقيل في المساعدة

وخل كنت عين النصح منه * اذا نظرت ومستمعا سميعا
أطاف بغية فنهيت عنها * وقلت له أرى أمرا شنيعا
أردت رشاده جهدي فلما * أبى وعصى أتيناها جميعا

وقال اعرابي

وكنت اذا علقت حبال قوم * صحبتهم وشيمتي الوفاء
فأحسن حين يحسن محسنوهم * وأجتنب الاساءة ان أساؤا
أشاء سوى مشيئتهم فآتي * مشيئتهم وأترك ما أشاء

(شرح المقامة التاسعة والعشرين وهي الواسطية)

(ألجأني) اضطرني (قاسط) جائر (أنتجع) أقصد لطلب الرزق (واسط) بلد معروف بناه الحجاج وسط المسافة التي بين البصرة والكوفة منها الى كل واحدة منهما خمسون فرسخا وسكنه ومات فيه وقال اليعقوبي واسط مدينتان على حافتي دجلة فالمدينة القديمة التي هي منازل الدهاقين هي الشرقية من دجلة وهي مدينة كسكر وابتنى الحجاج مدينة في الجانب الغربي وجعل بينهما جسرا من السفن وبنى بها قصره والقبة الخضراء التي يقال لها خضراء واسط والمسجد الجامع وعليها سور ونزلها الولاة بعد الحجاج وهي بين البصرة والكوفة والاهواز متوسطة فسميت واسط بذلك قال الطبري خرج الحجاج يرتاد منزلا لاهل الشام فأمعن حتى نزل اطراف كسكر فبينما هو كذلك اذ هو براهب قد أقبل على أتان له فعبر دجلة فلما كان بموضع واسط تفاجت الاتان فبالت فنزل الراهب فاحتفر ذلك البول وحمله حتى رمى به دجلة وذلك بعين الحجاج فقال على به فلما أتاه قال ما حملك على ما صنعت فقال انا نجد في كتبنا انه يبنى في هذا الموضع مسجد يعبد الله فيه مادام أحد في الارض يوحد فاختط الحجاج مدينة واسط وبنى المسجد في ذلك الموضع وذلك سنة ثلاث وثمانين (قوله سكنا) أي صاحبا يسكن اليه ويؤنس به و(المسكن) المنزل الذي يسكن فيه (البيداء) الصحراء أراد أنه غريب ليس له صاحب ولا منزل كالحوت في الصحراء و(اللمة) الجمة من الشعر تلم بالمنكب (قادني) ساقني (الحظ) النصيب و (الجد) السعد (الناكص) الراجع الى خلفه يريد ان سعده يمشي الى جهة خلف ونكص ينكص رجع القهقرى (خان) فندق و (الشذاذ) الغرباء الذين شذوا عن أوطانهم أي فروا منها او بعدوا والشذاذ التفرق وكلمة شاذة مفترقة من جنسها وشذ الرجل انفرد عن أصحابه و (الآفاق) النواحي (اخلاط الرفاق) من لا يتخصص منهم ولا يتعين (ايطانه) سكناه (هوى أوطانه) حب بلاده

وسدلت الذيل على مخازي الليل ولم يزل ذلك دأبه ودابي الى أن تهيأ ايابي فودعته وهو مصر على التدليس ومسر حسو الخندريس

(المقامة التاسعة والعشرون الواسطية)

حكى الحرث بن همام قال ألجأني حكم دهر قاسط الى أن أنتجع أرض واسط فقصدتها وأنا لا أعرف بها سكنا ولا أملك فيها مسكنا ولما حللتها حلول الحوت بالبيداء والشعرة البيضاء في اللمة السوداء قادني الحظ الناقص والجد الناكص الى خان ينزله شذاذ الآفاق وأخلاط الرفاق وهو لنظافة مكانه وظرافة سكانه يرغب الغريب في ايطانه وينسيه

(ذكر مدينة واسط)

(استفردت) سكنتها منفردا و (الجرة) البيت (أنافس) أغال من قولهم نفست عليه بالشئ اذا ضننت به ولم تحب أن يصير اليه (لمح الطرف) نظر العين (بيت بيت) أى بيته ملاصق بيتى وهما اسمان جعلا كاسم واحد وبنيا على الفتح (نزيله) النازل معه (جدلك) سعدك (ضدلك) عدوك المخالف لك (البدرى) الابيض المستدير كالبدر يريد الرغيف شبهه بالبدر فى بياضه واستدارته وقال ابن الرومى مررت بخباز يبسط الرقاق كاسرع من رجوع الطرف ما بين أن ترى العجين فى يده كالكرة حتى ينداحى فيصير كالقمر الا مقدار لحظة فشبهت سرعة انبساطها بسرعة الدائرة فى الماء يقذف فيه بالحجر فقلت

ما أنس لا أنس خبازا مررت به * يدحو الرقاق كوشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها فى كفه كرة * وبين رؤيتها نوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة * فى صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

ويتعلق بهذا ما قيل من الشعر فيمن ليس له نباهة من الغلمان كان ابن وضاح جالسا مع جملة من الادباء فمر بهم غلام ظريف يبيع الخبز فلم يحد فيه لاحد فيه شئ الا ابن وضاح فانه قال

خابز الخبز ظريف * عذبت فيه الحتوف
خامل الانساب لكن * هو فى الحسن شريف
خصره أهيف شخت * وكذا الغزلان هيف
من يخاصم مقلتيه * حكمت فيه السيوف

نظر ادريس بن اليمانى الى غلام وسيم بالحمام عليه اسمال فقال

توشح بالظلماء وهو صباح * وامرض بالاجفان وهى صحاح
وظل فؤادى طائرا عن جوانحى * وليس له الا الغرام جناح
قضيب صباح فى وشاح دجنة * ألا ليتنى تحت الوشاح وشاح
ولا عجب أن أفسدتنى جفونه * فكل فساد فى هواه صلاح

وقال الرصافى

يقولون لى يوما وقدمر ضاربا * بمعوله ضرب المرجم بالغيب
تعلم صفارا فقلت استعارها * غداة رنا من صبغة العاشق الصب
يعود النحاس الاحمر التبر عسجدا * بكفيه عند السبك والمدوا الضرب
فحمرته مشتقة من حيائه * وصفرته مما يخاف من العتب

(قوله الدرى) الابيض الذى يشبه الدر فى لونه ويقال كوكب درى منسوب الى الدر مشبها به لصفائه وحسنه بضم الدال وتشديد الياء ودرىء بالضم والهمز ودرىء بكسر الدال مع الياء ومع الهمزة ودرىء بالفتح والهمز فمن كسر وهمز فهو فعيل من درأ الكوكب اذا جرى فى أفق السماء ومن كسر بلا همز فلاجل الياء بعد الراء ومن ضم وهمز خطأه الفراء فقال فعيل ليس فى أبنية العرب وأثبته سيبويه قال أبو عبيدة أصله درىء مثل سبوح فجعلوا الواو ياء وجعلوا الضمة قبلها كسرة ومثله عتو وعتى (قوله الاصل النقى) يعنى القمح الذى صنع منه كان نقيا من الزبل وغيره و (شقاء جسمه) قد فسر فى التاسعة عشرة وهو الآن يبين بعض شقائه (فقبض ونشر) وقت العجن أو وقت الخبز لانه يقطع قبضة ثم يبسط للخبز (سجن) خزن قمحه فى المخازن (وشهر) أبرز منها للسوق وشهر على الناس أو يكون سجنه الفرن وشهرته البيع فى السوق أو عند ما يطاف به على الاسواق وقال المعرى يلغز فى القمح

وسمراء فى بيض الحسان شربتها * بصفر من العين الشبيهة بالشمس
وقد غيبت فى الخدر عصرا مصونة * محجبة عن أعين الجن والانس
فلما بدت عنه بدت سمة النوى * عليها ولم تجزع لحادثة الامس
فأهلا بأنثى لم ترد بد لامس * بسوء ولا أبدت نفارا من اللمس

هوى أوطانه فاستفردت منه بحجرة ولم أنافس فى أجرة فما كان الا كلمح طرف أوخط حرف حتى سمعت جارى بيت بيت يقول لنزيله فى البيت قم يا بنى لاقعد جدك ولا قام ضدك واستصحب ذا الوجه البدرى واللون الدرى والاصل النقى والجسم الشقى الذى قبض ونشر وسجن وشهر

(سقى) جعل الماء عليه للعجين (فطم) قطع عنه الماء (لطم) سوّى بالكف وعامتنا تشدد الطاء (أركض) أسرع (المشوق) الكثير الشوق وشاقك الشئ يشوقك اذا هاجك (قايض) عاوض وقايضت الرجل فعلت معه ما يفعل معك (اللاقح) فى الاصل الناقة يعلوها الفحل فتحمل منه ولقحت حملت والملقح الفحل يعلوها عند السفاد وقد بين انه يريد حجر الزند جعله لاقحا لانه حامل بالنار وملقحا لان به تخرج النار من الزند فكأنه القحه بالنار أى جعلها فيه والزند أيضا لاقح ملقح لان النار لا توجد فى واحد منهما على انفراده والنار تصلح فى موضع وتفسد فى آخر فلذلك وصفه بهما (المعنى) المتعب باحراقه (المروح) المدخل الراحة باصلاحه وان جعله للزند فمعنى اذا شح ومروح اذا أورى ونحوه (المكمد) أى المحزن (المفرح) ضده و(الزفير) التنفس وزفرة الحجر هى النار وهى تحرق كل ما تعلقت به وهو (الجنين) أى المستور فى الحجر فاذا ظهر أشرق وأضاء و(اللفظ) صوت الحجر فى الزند واذا أبدى النار أقنعك واكتفيت به وهو (نيله) أى عطاؤه و(الممتع) الكثير وقليل النار كثير وقد قال الاعرابى ان السقط يحرق الدوحة أراد ما يسقط من الزند من النار الضعيفة يحرق الشجر الكثير الملتف (طرق) ضرب (رعد) صوت (برق) لمعت ناره (باح) أظهر ما يسر فيه (الحرق) التهاب القلب بالهم فكنى به عما فى الحجر من النار (نفث) بزق (الخرق) التى تسقط فيها نار الزند وهذه ألفاظ كلها متقاربة بعضها يفسر بعضا الا انها من مليح الكلام (قرت) سكنت (الهادر) الفحل و(شقشقته) ما يخرج من لهاته وتقدمت فى الاولى ويزعمون انها لا توجد عند نحر الفحل وكذلك بيضه لا يوجد قال وأنشد بشر بن المعتمد

خصيتـه تبطل من حطمه * عند حدوث الذبح والنحر
ما ان يرى الراؤن من بعدها * شقشقة مائلة الهـدر

وأراد به سكت المتكلم (صدر الصادر) خروج الخارج من الماء بعد شربه (برز) خرج (يميس) يتبختر ويتثنى (عضلة) داهية وأمر صعب (تعرى) تحرض وتلصق (نحوى) معنى (يسعى) يجرى (العفاريت) شرار الشياطين وأدهاها (نضائد) ما جعل شيأ على شئ (الرواح) العشى (القداح) حجر الزند تقدح النار منه (ناول) أعطى (لطيفا) دقيقا (فطانة) ذكاء (وما كذبت) أى ما خيبت (منطلق العنان) مسيب حيث شاء (كنه) حقيقة (قرطس) أصاب الغرض مرة بعد أخرى والقرطاس يجعل غرضا فاذا توالى ضربه قيل قرطس و(التكهن) الحديث بما يكون (والفراسة) النظر بالظن (وصيد الخان) فناء الفندق وقيل بابه من أوصدت الباب أغلقته وقيل عتبة بابه (تهادينا) أهديته وأهدانى (البشرى) السرور أى فرح كل واحد منا بصاحبه فتهادينا البشرى (تقارضنا) اندفعنا بالسلام يريد حالة الصديقين اذا التقيا بعد سفر فيبالغ كل واحد منهما فى سلام صاحبه ويتابعه و(التحية) السلام ومنه التحيات لله ومنه قوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أى سلم عليكم وقيل التحيات الملك وكان الملك يحيا بأنعم صباحا وأبيت اللعن وقيل معناه البقاء لله وقال زهير بن خباب

من كل ما نال الفتى قد نلته * الا التحية من اله قادر

أى البقاء (نابك) نزل بك (جنابك) بلدك وناحيتك والجناب فناء الدار (هاض) كسر (فاض) كثر (الغمام) السحاب (والثمر) الثمار و(أكمامها) ما يكون فيها ثمرها وكل ما وارى شيأ فهو كمام له وكم (عم) شمل (العدوان) الفساد (المعوان) ما يستعان به وقال الشاعر

لله در أبيـك أى زمان * أصبحت فيه وأى أهل زمان
كل يدانيك المحبة جاهلا * يعطى ويأخذ منك بالميزان
فاذا رأى رجحان حبة خردل * مالت مودته مع الرجحان

﴿وقال ابن السكيت﴾

وسقى وفطم وأدخل النار بعد ما لطم ثم أركض الى السوق ركض المشوق فقايض به اللاقح الملقح المفسد المصلح المكمد المفرح المعنى المروّح ذا الزفير المحرق والجنين المشرق واللفظ المقنع والنيل الممتع الذى اذا طرق رعد وبرق وباح بالحرق ونفث فى الخرق قال فلما قرت شقشقة الهادر ولم يبق الا صدر الصادر برز فتى يميس ومامعه أنيس فرأيتها عضلة تلعب بالعقول وتغرى بالدخول فى الفضول فانطلقت فى اثر الغلام لأخبر نحوى الكلام فلم يزل يسعى سعى العفاريت ويتفقد نضائد الحوانيت حتى انتهى عند الرواح الى حجارة القداح فناول بائعها رغيفا وتناول منه حجرا لطيفا فعجبت من فطانة المرسل والمرسل وعلمت أنها سروجية وان لم أسأل وما كذبت أن بادرت الى الخان منطلق العنان لا تطر كنه فهمى وهل قرطس فى التكهن سهمى فاذا أنا فى الفراسة فارس وأبو زيد بوصيد الخان جالس فتهادينا بشرى الالتقاء وتقارضنا تحية الاصدقاء ثم قال ما الذى نابك حتى زايلت جنابك فقلت دهر هاض وجور فاض فقال والذى أنزل المطر من الغمام وأخرج الثمر من الاكمام لقد فسد الزمان وعم العدوان وعدم المعوان والله المستعان

نحن مع الدهر في أعاجيب * فنسأل الله صبر أيوب
أقفرت الارض من محاسنها * فابك عليها بكاء يعقوب

(وصفيك) حاليك من الخير والشر وهي حالة السفر (أجفلت) هربت مسرعا والاجفال الهروب ثم قال مشيت في ظلام الليل فصار لي كالقميص (ادلجت) مشيت في السحر (خميصا) جائعا (أطرق) أمال رأسه ساكتا (ينكت) يخط في الارض (ارتياد) طلب (الفرض) من العطية مافرضت على نفسك عطاءه على أن لا تجازى عليه و (القرض) ما أعطى من غير فرض قال الحريري القرض بالقاف ما يستعاد عوضه والفرض بالفاء مالا عوض فيه وأنشد في الدرة لابي عبد الله النميري يرثي أبا عبد الله الازدي

مضى الازدي والنمري يمضي * وبعض الشكل مقرون ببعض
أخي والمجتني ثمرات ودي * وان لم يجز في قرض وفرض
وكانت بيننا أبدا هنات * توفر عرضه فيها وعرضي
وما هانت رجال الازد بعدي * وان لم تدن أرضهم من ارضي

الهنات كناية عن المنكرات فأراد أنه أمال رأسه الى الارض مفكرا وجعل يخط فيها بيده أو بعود وهو فعل المهموم الكثير الفكر كما قال امرؤ القيس

ظللت ردائي فوق رأسي قاعدا * أعد الحصى ما تنقضي عبراتي

فلم يرد أنه يعدها ليعلم كم فيها وحاله من البكاء والحيرة تنفي الثبات على العدد وانما أراد أنه كان يعبث فيها بيده اشتغالا وفي قلبه من الهم ما غلب على الصبر وقد بالغ ذو الرمة في بيان هذا المعنى بقوله

عشية مالي همة غير أنني * بلقط الحصى والخط في الدار مولع
أخط وأمحو تارة وأعيده * بكفي والغربان في الدار وقع

﴿وقال ابن جعيل في ذلك﴾

لا ينكتون الارض عند سؤالهم * لتطلب العلات بالعيدان
بل يبسطون وجوههم فترى لهم * عند السؤال كأحسن الالوان

(وقال الشريف الرضي فأحسن)

تفري أنامله التراب تعللا * وأنامل في سني المقروع

(قوله اكشبه) أي دنا منه (قنص) صيد (فرص) جمع فرصة وهي كالغنيمة (يأسو) يطب (يريش) يجعل عليه الريش (الغل) الزوجة هنا وقالت عائشة رضي الله عنها انما النساء أغلال فلينظر أحدكم غلا يجعل في عنقه وتقول العرب للمرأة السيئة الخلق غل قمل وعوتب الكسائي في ترك التزوج فقال وجدت معاناة العفة أيسر من معاناة العيال (القل) القلة (وضل بن ضل) مجهول لا يعرف وفلان ضل اذا كان مجهولا لا متمكنا في الضلال (المشير بك والبك) يقال أشار به اذا رفعه وأشار النار وأشار بها وتشورها أي رفعها فعني أنا المشير بك أي أرفع قدرك وأعظم منزلتك أي أثني عليك بخير في غيبتك عند أصهارك والمشير اليك اذا حضرت أشرت اليك ان تتزوج فيهم اذا رأيتهم أكفاءك (والوكيل لك) عليهم حتى يزوجوك والوكيل عليك لتمتثل ما آمرك به من الزواج فيهم حسبنا الله ونعم الوكيل قيل فيه الكافي هو وقال الفراء يكون المعنى كافينا الله ونعم الكافي كقولك رازقنا الله ونعم الرازق ابن الانباري وهو أحسن في اللفظ من قولك كافينا الله ونعم الوكيل (دينهم) عادتهم (جبر) اصلاح (فك) حل (احترام) اعزاز وتقريب وهو افتعال من الحرمة أي يجعلونه في حرمتهم (العشير) الصاحب (استنصاح المشير) أي من أشار عليهم بشئ رأوه ناصحا (ابراهيم بن أدهم) هو من شيوخ الصوفية وهو من رجال رسالة القشيري قال صاحبها فمنهم أبو اسحق ابراهيم بن أدهم بن منصور بن اسحق البلخي

فكيف أفلت وصلي أي وصفيك أجفلت فقلت اتخذت الليل قميصا وأدلجت فيه خميصا فأطرق ينكت في الارض ويفكر في ارتياد الفرض والقرض ثم اهتز هزة من أكشبه قنص أو بدت له فرص وقال قد علق بقلبي أن تصاهر من يأسو جراحك ويريش جناحك فقلت وكيف أجمع بين غل وقل ومن الذي يرغب في ضل بن ضل فقال أنا المشير بك والبك والوكيل لك وعليك مع أن دين القوم جبر الكسير وفك الاسير واحترام العشير واستنصاح المشير الا أنهم لو خطب اليهم ابراهيم بن أدهم

﴿ترجمة ابراهيم بن أدهم﴾

من كورة بلخ من أبناء الملوك وحدث ابراهيم بن بشار قال صحبت ابراهيم بن أدهم بن منصور بن اسحق البلخي بالشأم فقلت له يا أبا اسحق خبرني عن بدء أمرك كيف كان فقال كان أبي من ملوك خراسان وكنت شابا فركبت يوما على دابة ومعي كلب وخرجت الى الصيد فأثرت ثعلبا فبينا أنا في طلبه اذ هتف بي هاتف ألهذا خلقت أم بهذا أمرت ففزعت ووقفت ثم عدت فركضت الثانية ففعل مثل ذلك ثلاث مرات ثم هتف بي من قربوس السرج لا والله ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت قال فنزلت وصادفت راعيا لابي فأخذت منه جبة من صوف فلبستها وأعطيته الفرس وما كان معي ثم دخلت البادية متوجها الى مكة فبينا أنا يوما في مسيري اذا برجل يسير وليس معه اناء ولا زاد فلما أمسى وصلى المغرب حرك شفتيه بكلام لا أفهمه واذا أنا باناء فيه طعام واناء فيه شراب فأكلت وشربت وكنت على ذلك معه أياما وعلمني اسم الله الاعظم ثم غاب عني وبقيت وحدي فبينا أنا ذات يوم مستوحش من الوحدة دعوت الله فاذا أنا بشخص آخذ بحجزتي فقال لي سل تعط فراعني صوته فقال لا روعة عليك ولا باس أنا أخوك الخضر ان أخي داود علمك اسم الله الاعظم فلا تدع على أحد بينك وبينه شحناء فتهلكه ولكن ادع الله به ان يقوي ضعفك ويؤنس وحشتك ويجدد به في كل يوم نيتك ورغبتك ثم تركني وانصرف وصحبه سفيان الثوري والفضيل بن عياض ودخل الشأم ومات بها وكان يأكل من عمل يده مثل الحصاد وحفظ البساتين وكان كبير الشأن في الورع وقال أطب مطعمك ولا عليك أن لا تقوم بالليل ولا تصوم بالنهار وكان عامة دعائه اللهم انقلني من ذل معصيتك الى عز طاعتك وقال لرجل في الطواف اعلم انك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات وهي أن تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة وتغلق باب العز وتفتح باب الذل وتغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد وتغلق باب النوم وتفتح باب السهر وتغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر وتغلق باب الامن وتفتح باب الاستعداد للموت وقال محمد بن المبارك الصوري كنت مع ابراهيم بن أدهم في طريق بيت المقدس فنزلنا وقت القيلولة تحت شجرة رمان فصلينا ركعات فسمعت صوتا من أصل الرمان يا أبا اسحق أكرمنا بأن تأكل منا شيأ فطأطأ رأسه فقال ذلك ثلاث مرات ثم قال يا محمد كن شفيعا اليه ليتناول منا شيأ فقلت يا أبا اسحق لقد سمعت فقام وأخذ رمانتين فأكل واحدة وناولني الاخرى فأكلتها وهي حامضة وكانت قصيرة فلما رجعنا مررنا بها وهي شجرة عالية ورمانها حلو وهي تثمر في كل عام مرتين وسموها رمانة العابدين وركب ابراهيم في مركب فهاجت ريح شديدة فلف ابراهيم رأسه بعباءة وطرح نفسه مع الناس فسمعوا صوتا من البحر يقول لا تخافوا وفيكم ابراهيم بن أدهم وصاح الناس في المركب أين ابراهيم ابن أدهم ثم سكنت الريح فخرج وما عرفوه وقال له رجل من أين كسبك فقال

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

وأخباره في كتب التصوف كثيرة تطول (وأما جبلة بن الايهم) بن جبلة بن الحرث الاوسط بن ثعلبة ابن الحرث الاكبر بن عمرو بن جفنة وفي نسبه اختلاف وهو آخر ملوك غسان وكان طوله اثنى عشر شبرا فاذا ركب مسح الارض بقدميه ولما أراد ان يسلم كتب الى عمر ليستأذنه في القدوم عليه فسر بذلك وكتب اليه ان اقدم فلك مالنا وعليك ما علينا فخرج في مائة فارس من عك وجفنة فلما دنا الى المدينة ألبسهم ثياب الوشي المنسوجة بالذهب الاحمر والحرير الاصفر وجلل الخيل بجلال الديباج وطوقها أطواق الذهب والفضة ولبس تاجه وفيه قرط مارية فلم يبق في المدينة الا من خرج اليه وفرح المسلمون بقدومه واسلامه ثم حضر الموسم مع عمر فبينما هو يطوف بالبيت اذ وطئ على ازاره رجل من فزارة فحله فالتفت اليه جبلة مغضبا فلطمه فهشم أنفه فاستعدى عليه الفزاري عمر فقال ما دعاك الى أن لطمت أخاك فقال انه وطئ ازاري ولولا حرمة هذا البيت لاخذت الذي فيه عيناه فقال له عمر أما أنت فقد أقررت فاما أن ترضيه واما أن أقيده منك قال أتقيده مني وهو رجل سوقة

أو جبلة بن الايهم لما زوجوه الاعلى خمسمائة درهم

(ذكر جبلة بن الايهم)

قال قد شملك واياه الاسلام فما تفضله الا بالعافية قال قد رجوت ان أكون فى الاسلام أعز منى فى الجاهلية فقال هو ذاك قال اذا أتنصر قال ان تنصرت ضربت عنقك واجتمع وفد فزارة ووفد جبلة وكادت تكون فتنة فقال جبلة انظرنى الى غد يا أمير المؤمنين قال ذلك اليك فلما كان فى جنح الليل خرج فى أصحابه الى القسطنطينية فتنصر وأعظم هرقل قدومه وسر به وأقطع له الاموال والرباع فلما بعث عمر رضى الله عنه رسوله الى هرقل يدعوه الى الاسلام فأجابه الى المصالحة ثم قال للرسول أرأيت ابن عمك الذى أتانا راغبا فى ديننا يعنى جبلة قال لا قال القه ثم ائتنى وخذ الجواب فذهب فوجد على باب جبلة من الجمع والحجاب والبهجة مثل ما على باب قيصر قال فتلطفت فى الاذن حتى دخلت عليه فرأيت رجلا أصهب اللحية ذا سبال وكان عهدى به أسود اللحية فأنكرته فاذا هو قد دعا بسحالة الذهب فذرها على لحيته حتى عاد أصهب وهو قاعد على سرير من قوارير فلما عرفنى رفعنى معه على السرير وجعل يسائلنى عن المسلمين فقلت قد أضعفوا أضعافا على ما تعرف وسأل عن عمر رضى الله عنه فقلت بخير حال فاغتم بسلامة عمر فانحدرت عن السرير فقال لم تأبى الكرامة فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا قال نعم صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك من الدنس ولا تبال علام قعدت فطمعت فيه عند صلاته على النبى صلى الله عليه وسلم فقلت ويحك يا جبلة ألا تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله قال أبعد ما كان منى قلت نعم قد فعل رجل من فزارة أكثر مما فعلت ارتد وضرب أوجه المسلمين بالسيف ثم أسلم وقبل منه وخلفته بالمدينة مسلما قال ذرنى من هذا ان كنت تضمن لى أن يزوجنى عمر ابنته ويولينى الامر من بعده رجعت الى الاسلام فضمنت له التزويج ولم أضمن الخلافة فأومأ الى وصيف بين يديه فذهب مسرعا فاذا خدم قد جاؤا يحملون الصناديق فيها آنية الفضة فقال لى كل فقبضت يدى وقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الاكل فى آنية الذهب والفضة فقال نعم صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك وكل فيما أحببت فأكل فى الذهب والفضة وأكلت فى الخلنج ثم جىء بطست من الذهب فغسل فيها وغسلت فى الصفر ثم أومأ الى خادم عن يمينه فذهب مسرعا فسمعت حسا فاذا خدم معهم كراسى مرصعة بالجواهر فوضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن يساره واذا عشر جوار فى الشعور عليهن ثياب الوشى مكسرا فى الحلى فقعدن عن يمينه وقعد مثلهن عن يساره واذا بجارية قد خرجت كالشمس حسنا وعلى رأسها تاج عليه طائر وفى يدها اليمنى جامة وفيها مسك وعنبر فتيت وفى يدها اليسرى جامة فيها ماء الورد فصفرت بالطائر فوقع فى جامة ماء الورد فاضطرب فيه ثم وقع فى جامة المسك فتمرغ فيه ثم طار فوقع على صليب فى تاج جبلة فرفرف حتى نفض ما فى ريشه عليه وضحك جبلة من شدة السرور ثم قال أيتها اللاتى عن يمينه بالله أضحكننا فاندفعن يغنين تخفق عيدانهن يقلن

لله در عصابة نادمتهم * يوما بجلق فى الزمان الاول

يسقون من ورد البريص عليهم * بردى يصفق بالرحيق السلسل

أولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل

يغشون حتى ما تهر كلابهم * لا يسألون عن السواد المقبل

بيض الوجوه نقية أحسابهم * شم الانوف من الطراز الاول

فضحك ثم قال أتدرى من قائل هذا قلت لا قال حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للاتى عن يساره بالله أبكيننا فاندفعن بعيدانهن يغنين

لمن الدار أقفرت بعمان * بين أعلى اليرموك والصمان

ذاك مغنى لآل جفنة فى الدهر محلا لحادثات الزمان

قد أرانى هناك دهرا مكينا * عند ذى التاج مجلسى ومكانى

ثكلت أمهم وقد ثكلتهم * يوم حلوا بحادث الجولان
ودنا الفصح فالولائد ينظمن سراعاً أكلة المرجان

فبكى حتى سالت الدموع على لحيته ثم قال لي وهذا الحسان أيضاً ثم أنشأ يقول

تنصرت الاشراف من أجل لطمة * وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني فيها لجاج ونخوة * وبعت بها العين الصحيحة بالعور
فياليت أمي لم تلدني وليتني * رجعت الى الامر الذي قال لي عمر
ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة * وكنت أسيراً في ربيعة أو مضر
ويا ليت لي بالشام أدنى معيشة * أجالس قومي ذاهب السمع والبصر

ثم سألني عن حسان أحي هو قلت نعم ثم أمر بمال وكسوة ونوق موفورة براً وقال أقرئه سلامي وادفع له هذا وان وجدته ميتاً فادفعه الى أهله وانحر الجمال على قبره فلما قدمت على عمر أخبرته الخبر فقال هلا ضمنت له الامر فاذا أسلم قضى الله علينا بحكمه ثم بعث الى حسان فأقبل وقد كف بصره فلما دخل قال يا أمير المؤمنين اني وجدت ريح آل جفنة قال نعم هذا رجل أقبل من عنده قال هات يا ابن أخي ما بعث به الي معك قلت وما علمك قال انه كريم من عصبة رجال كرام مدحتهم في الجاهلية فخلف أن لا يلقى أحداً يعرفني الا أهدى الي معه شيأ فدفعته اليه وأخبرته بأمره في الابل فقال وددت اني كنت ميتاً فنحرت على قبري ثم أخذها وانصرف وهو يقول

ان ابن جفنة من بقية معشر * لم يغذهم آباؤهم باللوم
لم ينسني بالشام اذ هو ربها * كلا ولا متنصراً بالروم
يعطي الجزيل ولا يراه عنده * الا كبعض عطية المذموم
فأتيته يوماً فقرب مجلسي * وسقى ورواني من الخرطوم

وذكر الثعالبي ان رسول عمر لما أرسله الى قيصر قال وأمرني ان أضمن لجبلة ما شرط فلما قدمت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته فعلمت أن الشقاء قد غلب عليه وحدثت أن صاحب برطونة اليوم من ذريته وذكر الثعالبي أنه وجد للصابي فصلاً من كتاب استظرفه جداً يذكر صلة وصلت اليه من الصاحب وهو وصل أطال الله بقا سيدنا أبو العباس أحمد بن الحسين وأبو محمد أحمد بن جعفر بن شعيب حاجين فعرجا علي مسلمين وعاجا على مسلمين فحين عرفتهما وقبل أن أرد السلام عليهما مددت اليد الى ما معهما كما مدها حسان بن ثابت الى رسول جبلة بن الايهم ثقة مني بصلته وشوقاً الى تكرمته واعتماداً لاحسانه والفا بموارد انعامه وتيقناً ان الخطرة مني على باله مقرونة بالنصيب من ماله وان ذكراه لي مشفوعة بجدواه * رجع ما انقطع فيريد انه لو خطب

﴿ذكر مغالاة الصدقات﴾

لهؤلاء القوم ابن أدهم على زهده وفضله أو ابن الايهم على ملوكيته وعزته لسووا بينهما في الصداق اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وجاء في الترمذي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لا تغالوا صدقات النساء فانها لو كانت مكرمة أو تقوى عند الله لكان أولاهم بها نبي الله صلى الله عليه وسلم وما أعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيأ من نسائه على أكثر من اثنتي عشرة أوقية قال ابن عيينة والاوقية عند أهل العلم أربعون درهماً واثنتا عشرة أوقية أربعمائة وثمانون درهماً وفي غير الترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تياسروا في الصداق وكانت صدقات أزواج النبي صلى الله عليه وسلم على عظم قدره وعلو مرتبته اثنتي عشرة أوقية ونشا والنش عشرون درهماً فذلك خمسمائة درهم وروى عن عمر رضي الله عنه أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال ألا لا تغالوا صدقات النساء فانه لا يبلغني عن أحد أنه ساق أكثر من شئ ساقه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سيق اليه الا جعلت فضل ذلك في بيت المال فعرضت له امرأة فقالت يا أمير المؤمنين كتاب الله أحق أن يتبع أو قولك

اقتداء بما مهر الرسول صلى الله عليه وسلم زوجاته وعقد به أنكحة بناته على انك لن تطالب بصداق ولا تلجأ الى طلاق ثم انى سأخطب فى موقف عقدك ومجمع حشدك خطبة لم تفتق رتق سمع ولا خطب بمثلها فى جمع (قال الحرث ابن همام) فازدهانى بوصف الخطبة المتلوة دون الخطبة المجلوة حتى قلت له قد وكلت اليك هذا الخطب فدبره تدبير من طب لمن حب فنهض مهرولا ثم عاد متهللا وقال أبشر باعتاب الدهر واختلاب الدر فقد وليت العقد وأكفلت النقد وكأن قد ثم أخذنى مواعدة أهل الخان واعداد حلواء الخوان فلما مد الليل أطنابه وأغلق كل ذى باب بابه أذن فى الجماعة ألا احضروا فى هذه الساعة فلم يبق فيهم الا من لبى صوته وحضر بيته فلما اصطفوا لديه واجتمع الشاهد والمشهود عليه جعل يرفع الاصطرلاب ويضعه ويلحظ التقويم ويدعه الى أن نعس القوم وغشى النوم فقلت له ياهذا ضع الفاس فى الراس وخلص الناس من النعاس فنظر نظرة فى النجوم ثم انتشط من عقلة الوجوم واقسم بالطور والكتاب المسطور لينكشفن سر هذا الامر المستور ولينتشرن ذكره الى يوم النشور ثم انه جثا على ركبته واسترعى الاسماع لخطبته وقال

قال كتاب الله تعالى قال فيم ذلك قالت الله تعالى يقول وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ قال عمر رضى الله عنه كل أحد أفقه من عمر ثم رجع الى المنبر فقال انى كنت نهيتكم عن ان تغالوا فى صدقات النساء فليفعل كل رجل منكم فى ماله ما أحب فرجع عمر عن اجتهاده الى ماقامت عليه الحجة فأباحه للناس واستعمله فى نفسه فأصدق أم كلثوم بنت على بن أبى طالب رضى الله عنهم أربعين ألفا والقنطار ألف دينار ومائتا دينار الا أن المياسرة فى الصداق أحب عند أهل العلم من المغالاة *ومن الملح فى صداق خمسمائة ماحدث به ابن أبى شيبة قال كان حجاج جارنا فسمعته يقول لابيه تزوجت أمى على خمسمائة درهم وبقيت أنا لك ربحا فقال له أبوه من سخنة عين هذا الربح أخشى (قوله مهر) يقال مهر المرأة يمهرها وأمهرها اعطاها مهرا (لن تطالب بصداق) أى ان القصة ليس لها حقيقة فليس ثم من يطالبك بصداق ولا طلاق (حشدك) جمعك وأصله مصدر ثم استعمل للجماعة الناس (تفتق) تشق (رتق) غلق و(السمع) الاذن (ازدهانى) دعانى الى الزهو وهو العجب والكبر أى أعجبت بوصفها (المتلوة) المقروأة و(الخطبة) الزوجة المخطوبة (المجلوة) التى كشف وجهها لينظر اليها (وكلت) أى أسندت (اليك) وجعلتك القائم (الخطب) الامر (طب) أصلح حال العليل فيقول دبر هذا الامر تدبير الطبيب أمر حبيبه اذا كان عليلا وطبه أى عناه وقيل معنى طب حذق بالشئ وجاد فيه ذهنه والطب الحاذق بالامر فيكون معناه دبر أمرى تدبير المميز الحاذق أمر حبيبه قال ابن الانبارى قولهم من حب طب أى من أحب حذق وفطن واحتال لمن يحب والطب فى اللغة الحذق والفطنة ورجل طبيب وطب اذا كان حاذقا وسمى الطبيب لفطنته ومعنى حب أحب وقال البصريون لا يقال حب يحب وجاء عنهم محبوب على فعل لا يتكلم به *الكسائى والفراء يقال حببت وأحببت وحب فى المثل يدل على صحته والبصريون يقولون حب اتباع لطب (مهرولا) مسرعا (متهللا) مستبشرا (اعتاب) ارضاء (الدر) اللبن (وليت العقد) أى أعطيت النكاح أى جعلنى أبو الزوجة وليا لها (أكفلت النقد) أى جعلت كفيلا على أخذه والكفيل الضامن أو يكون معنى أكفلت ضمن لى وأعطيت كفيلا والنقد المال الحاضر (وكأن قد) أى وكأن قد أحضر المال وتيسر النكاح (الخوان) المائدة (اذن) صاح (لبى) أجاب وقال لبيك (الاصطرلاب) آلة للمنجمين يأخذون بها الاوقات (يلحظ) ينظر (التقويم) التعديل (غشى النوم) غطى العيون وخمرها (ضع الفاس فى الراس) أى اقصد الى عين الخبر وهى كلمة تقال عند التوكيد فى العزم على الامر ومعناه اقطع ماتريده من الامر وافصله *والذى نظر نظرة فى النجوم هو ابراهيم عليه السلام لانه تفكر ما الذى يصرفهم عنه اذا كلفوه الخروج معهم فقال انى سقيم (انتشط) انحل و(العقلة) ماينشب فيها الانسان فتعقله ويقال لفلان عقلة يعتقل بها الناس وذلك اذا صارعهم عقل أرجلهم و(الوجوم) العبوس والحزن الشديد أراد أنه كان فى تقويمه طالع نحس فكان معبسا حزينا فلما زالت ساعته ودخلت ساعة طالع سعد استبشر وزال عبوسه وانما عقد هذا النكاح ليلا لان قصده المكر ولانهم كانوا يختارون نكاح آخر النهار على أوله قال بعض العلماء ذهبوا فى ذلك الى اتباع السنة فى الفال فآثر الناس استقبال الليل بعقد النكاح تيمنا بما فيه من الهدو والاجتماع على صدر النهار لما فيه من التفرق والانتشار وذهبوا الى تأويل القرآن لان الله سمى الليل فى كتابه سكنا وجعل النهار نشورا كما يستحبون النكاح يوم الجمعة للاجتماع وقال الشاعر

ويوم الجمعة التنعيم فيه * وتزويج الرجال من النساء

(الطور) جبل موسى عليه السلام الذى آنس من جانبه النار وكلمه الله عنده (سر هذا الامر) أراد ما أضمره لهم من الخداع انه سينكشف ويتحدث به الى يوم القيامة (جثا) يجثو جثوا جلس على ركبتيه (استرعى) استدعى (الاسماع) الآذان ويقال أرعنى سمعك أى اسمع منى وأخل أذنيك

لاستماع

لاستماع حديثى (قوله مآل) أى ملجأ (مطرود) منفى (ساطح) باسط (المهاد) الارض (موطد الاطواد) مثبت الجبال و(الاوطار) الحاجات (مدمر الاملاك) أى مهلك الملوك والاملاك جمع ملك وهذا كما قال عدى بن زيد

أين كسرى كسرى الملوك أنوشر * وان أم أين قبله سابور
وبنو الاصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور
وأخو الحصن اذ بناه واذ دجـ * ـلة تجبى اليه والخابور
وتفكر رب الخورنق اذ أشـ * ـرف يوما وللهدى تذكير
لم يهبه ريب المنون فباد الـ * ـملك عنه فبابه مهجور
ثم بعد الفلاح والملك والامـ * ـرة وارتهم هناك القبور
ثم راحوا كأنهم قصب جف فألوت به الصبا والدبور

﴿وقال الاسود بن يعفر﴾

ولقد علمت لوان علمى نافعى * ان السبيل سبيل ذى الاعواد
ماذا أؤمل بعد آل محرق * تركوا منازلهم وبعد اياد
جرت الرياح على محل ديارهم * فكأنهم كانوا على ميعاد
ولقد غنوا فيها بأكرم غنية * فى ظل ملك ثابت الاوتاد
فاذا النعيم وكل ما يلهى به * يوما يصير الى بلى ونفاد

الاصمعى أصيب فى حفير حول الحيرة تابوت فيه رجل عليه خفان وعند رأسه لوح فيه أنا عبد المسيح ابن حيان بن نفيلة

حلبت الدهر أشطره حياتى * ونلت من المنى فوق المزيد
وكافحت الامور وكافحتنى * ولم أخضع لمعضلة كؤد
وكدت أنال بالشرف الثريا * ولكن لا سبيل الى الخلود

دخل أرطاة بن سهية على عبد الملك فقال كيف حالك وكان قد أسن فقال ضعف حالى وقل مالى وكثر منى ما كنت أحب أن يقل وقل منى ما كنت أحب أن يكثر قال فكيف أنت فى شعرك فقال والله ما أغضب ولا أطرب ولا أرهب وما الشعر الا من نتائج هذه على انى القائل

رأيت المرء تأكله الليالى * كأكل الارض ساقطة الحديد
وما تبغى المنية حين تأتى * على نفس ابن آدم من مزيد
وأعلم أنها عما قليل * ستوفى نذرها بأبى الوليد

فارتاع عبد الملك ثم قال بل توفى نذرها بك مالى ولك قال يا أمير المؤمنين لا ترع فما عنيت الا نفسى فقال أما والله لتلمن بى وأبو الوليد كنية لعبد الملك ولارطاة و(التكوير) ادخال الليل على النهار والنهار على الليل وكورت الشئ رددته ولويت بعضه على بعض (هطل وهمل) معناهما صب (الركام) السحاب المتراكم (السؤل) المطلوب (أوسع) أغنى (المرمل) الذى نفد زاده (الارمل) الفقير أو الذى ماتت زوجته والتى مات زوجها يقال لها أرمل وأرملة ومنع قوم أن يقال للفاقد زوجته أرمل وأجازه بعضهم (مداه) غايته (الاواه) ابراهيم عليه السلام وهو من التأوه وهو التوجع والتحزن والنطق بأوّاه أوّاه (صادع) مفسد والصدع الشق فى زجاجة أو حائط (علما) أى اماما يهتدى به (مسددا) مصلحا و(الرعاع) السقاط والضعفة من الناس (وذو سواع) صنمان (حكم) قضى (احكم) أتقن (أصل) ثبت الاصول (مهد) سوى ووطأ (الوعود) جمع وعد (أوعد) هدد وخوّف (واصل) داوم (أودع روحه دار السلام) أدخله الجنة (آل) سراب (ملع) أسرع (رال) فرخ النعام (اهلال) رفع الصوت بالتلبية بمكة (اطرحوا) اتركوا وارموا به (عوه) احفظوه

الحمد لله الملك المحمود المالك الودود مصوّر كل مولود ومآل كل مطرود ساطح المهاد وموطد الاطواد ومرسل الامطار ومسهل الاوطار عالم الاسرار ومدركها ومدمر الاملاك ومهلكها ومكوّر الدهور ومكررها ومورد الامور ومصدرها عم سماحه وكمل وهطل ركامه وهمل وطاوع السؤل والامل وأوسع المرمل والارمل أحمده حمدا ممدودا مداه وأوحده كما وحده الاواه وهو الله لا اله للامم سواه ولا صادع لما عدله وسوّاه ارسل محمدا علما للاسلام واماما للحكام ومسددا للرعاع ومعطلا أحكام ود وسواع أعلم وعلم وحكم وأحكم وأصل الاصول ومهد وأكد الوعود وأوعد واصل الله له الاكرام وأودع روحه دار السلام ورحم آله وأهله الكرام ما لمع آل وملع رال وطلع هلال وسمع اهلال اعملوا رعاكم الله اصلح الاعمال واسلكوا مسالك الحلال واطرحوا الحرام ودعوه واسمعوا أمر الله وعوه وصلوا

(الارحام) القرابات الواحد رحم والارحام من النساء الواحد رحم (راعوها) احفظوها وحاموا عليها (الاهواء) دواعي النفس (اردعوها) كفوها (صاهروا) ناكحوا (لحم) قرابات ولحمة النسب التحام القرابة وانضمامها (صارموا) قاطعوا (مصاهركم) ختنكم المتزوج اليكم (أسراهم) أشرفهم وأكثرهم مروأة وقد سرى فهو سري (أمكم) قصدكم (حل) نزل (حرمكم) بلدكم وموضعكم الذي هو كالحرم في أمنه (مملكا) متزوجا والاملاك التزويج الذي تملك به المرأة * قال ابن هشام أم سلمة بنت أمية بن المغيرة تزوج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وقعة بدر في سنة اثنتين من التاريخ واسمها هند بنت أمية زاد الركب بن المغيرة وفي حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج أم سلمة على متاع قيمته عشرة دراهم (سها) أخطأ (مملكه) منكحه الذي أعطاه وليته (وكس) غبن و (وهم) في الحساب غلط فيه و (ملاحمه) أي مصاهره (وصم) عيب والوصم العيب و (أحمد) الرجل احمادا أي صار أمره الى الحمد أراد انه من أهل الاحساب فلا ينقص من يصاهره (الاعداد للمعاد) أي الاستعداد لليوم الذي يعاد فيه الى نشأته الاولى (السرمد) الدائم (والرسول) الذي يتابع أخبار الذي بعثه أخذا من قولهم جاءت الابل أرسالا أي متتابعة ويثنى رسولان ويجمع رسل ومنهم من يوحده في كل حال قال الله تعالى انا رسول رب العالمين وحده لانه في معنى الرسالة وأنشد

فأبلغ أبا بكر رسولا سريعة * فمالك يا ابن الحضرمي وماليا

قال الفراء رحمه الله وحده اكتفاء بالرسول من الرسولين وأنشد

ألكني اليها وخير الرسو * ل أعلمهم بنواحي الخبر

أراد الرسل فاكتفى بالواحد عن الجمع واذ كملت الخطبة فلنسق من خطب النكاح ما يحسن بالوضع * ومن مشاهير الخطب فيه خطبة أبي طالب في تزويج النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة رضي الله عنها وهي الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم عليه الصلاة والسلام وزرع اسمعيل وجعل لنا حرما آمنا وبيتا محجوجا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان محمد بن عبد الله ابن أخي ممن لا يوازن في قريش الا رجح به برا وفضلا وكرما وعقلا ومجدا ونبلا وان كان في المال قل فانما المال ظل زائل وعارية مسترجعة وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك وما أحببتم من الصداق فعلي فهذه الخطبة من أفضل خطب الجاهلية * وعن يحيى بن أكثم أراد المأمون أن يزوج ابنته من علي الرضا فقال يا يحيى تكلم فأجللت أن أقول أنكحت فقلت يا أمير المؤمنين أنت الحاكم الاكبر والامام الاعظم وأنت أولى بالكلام فقال الحمد لله الذي تصاغرت الامور بمشيئته ولا اله الا الله اقرارا بربوبيته وصلى الله على سيدنا محمد عند ذكره وعترته أما بعد فان الله سبحانه قد جعل النكاح دينا ورضيه حكما وأنزله وحيا ليكون سببا للمناسلة واني قد زوجت ابنة المأمون من علي بن موسى الرضا وأمهرتها أربعمائة دينار اقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهاء الى ما درج اليه السلف الصالح والحمد لله رب العالمين وحضر المأمون املاكا وهو أمير فسأله من حضر أن يخطب فقال الحمد لله والصلاة على المصطفى رسوله وخير ما عمل به كتاب الله وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ولو لم يكن في المناكحة آية منزلة ولا سنة متبعة الا ما جعل الله في ذلك من تأليف البعيد وبر القريب لسارع اليه الموفق المصيب وبادر اليه العاقل اللبيب وفلان قد عرفتموه في نسب لم تجهلوه خطب اليكم فتاتكم فلانة وقد بذل لها من الصداق كذا فشفعوا شافعنا وأنكحوا خاطبنا وقولوا خيرا تحمدوا عليه وتؤجروا فيه أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وخطب رجل من بني أمية الى عمر بن عبد العزيز أخته فأطال فقال عمر الحمد لله ذي الكبرياء وصلى الله على محمد خاتم الانبياء أما بعد فان الرغبة منك دعت الينا وان الرغبة منا فيك أجابت بنا وقد أحسن بك ظنا من أودعك كريمته واختارك ولم يختر عليك وقد زوجناك على كتاب الله تعالى امساك بمعروف أو

* ذكر خطب في النكاح *

الارحام وراعوها وعاصوا الاهواء واردعوها وصاهروا لحم الصلاح والورع وصارموا رهط اللهو والطمع ومصاهركم أطهر الاحرار مولدا وأسراهم سوددا وأحلاهم موردا وأصحهم موعدا وها هو أمكم وحل حرمكم مملكا عروسكم المكرمة وماهرا لها كما مهر الرسول أم سلمة وهو أكرم صهر أودع الاولاد وملك ما أراد وما سها مملكه ولا وهم ولا وكس ملاحمه ولا وصم أسأل الله لكم احماد وصاله ودوام اسعاده وألهم كلا اصلاح حاله والاعداد لمعاده وله الحمد السرمد والمدح لرسوله محمد فلما فرغ من خطبته

تسريح باحسان * وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول فى خطبة النكاح بعد الحمد والثناء أما بعد فان الله تعالى جمع لهذا النكاح الارحام المنقطعة والانساب المفترقة وجعل ذلك فى سنة من دينه ومنهاج من أمره وقد خطب فلان اليكم وعليه وعليكم من الله نعمة وهو يبذل من الصداق كذا فاستخيروا الله وردوا خيرا يرحمكم الله * الاصمعى رحمه الله كانوا يستحسنون من الخاطب أن يطيل ليدل على الرغبة ومن المخطوب اليه الايجاز ليدل على الاجابة (قوله البديعة النظام) أى الغريبة التأليف (العرية من الاعجام) أى العاطلة من النقط (الرفاء) السكون والالتحام ويدعى للمتزوج فيقال له بالرفاء والبنين أى بالاتفاق مع الزوجة ووجود البنين مما يكون منها وهو من رفأت الثوب اذا ضممت بعضه الى بعض أو من رفوت الرجل اذا سكنته قال أبو زيد رحمه الله هو من المرافاة غير مهموز وهى الموافقة وتزوج عقيل بن أبى طالب فقيل له بالرفاء والبنين فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفأ أحدكم أخاه فليقل على الخير والبركة بارك الله لك وبارك عليك (الآبدة) الداهية وجاء بآبدة أى بكلمة أو خصلة وحشية منكرة واشتقاقه من الاوابد وهى الوحش وكذلك الآبد يقال أبد الشاعر اذا أتى بالعويص فى شعره فمعنى أبدى الآبدة أى أظهر الداهية التى يبقى ذكرها على الابد (زجرنى) نهانى (أنهضنى) أقامنى وقدمنى (المناولة) اعطاء الطعام (تصافح الاجفان) غلقها وفتحها بسرعة كقولك طرفة العيون (خروا للاذقان) أى سقطوا على وجوههم والذقن مجمع اللحيين يعبر به عن الوجه لان العرب تسمى الشئ ببعض ما فيه واذا خر على وجهه فأقرب شئ الى الارض ذقنه فخصه بالذكر لهذا قال الله تعالى يخرون للاذقان سجدا (أعجاز) أصول (خاوية) فارغة متأكلة ويقال خاوية ساقطة باليه (صرعى) قتلى وأراد به السكارى و(بنت الخابية) هى الخمر ومعنى الخابية التى تخبأ فيها الاشياء مأخوذة من خبأت فبنيت على ترك الهمز ويقال خبأت الشئ وخبأته وخبيته وقرأت الشئ وقريته (احدى الكبر) واحدة من الكبائر (أم العبر) أى أعظم الدواهى وما يتعظ به (لم أعد) لم أتجاوز (الخبيص) نوع من الحلواء (البنج) نبات يسكر منه وهو لبن الخشخاش البرى المعروف بالافيون و(الخلنج) ضرب من الخشب (زهرا) مضيئة يعنى الكواكب (السارين) الماشين بالليل (طرا) جمعا (نكرا) منكرا (المخزيات) جمع مخزية وهى الخصلة الرديئة يخزى صاحبها متى ذكرت له والخزى الهوان (صيور) مآل ورجوع أى ما يصير اليه أمره (عدوى عره) أى انتقال ضرره والعر الجرب والعدوى انتقال المرض من المريض الى الصحيح ومعناه عند العرب اذا كان الجرب بواحدة من الابل سرى فى غيرها وفى الصحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هامة ولا يورد ممرض على مصح فقال أعرابى يا رسول الله فما بال الابل التى تكون فى الرمل كأنها الظباء فيجيء البعير الاجرب فيدخل فيها فيجربها كلها قال فمن أعدى الاول وقال النابغة

فلا تتركنى بالوعيد كأننى * الى الناس مطلى به القار أجرب

فأراد أنه خاف أن يؤخذ بذنب السروجى (شعاعا) متفرقة فى كل جهة يقال نفس شعاع أى تفرقت همتها ورأى شعاع أى متفرق (والفرائص) جمع فريصة وهى بضعة عند الكبد ترعد عند الفزع قال امرؤ القيس * وترعد منهن الكلى والفرائص * (ارتياعا) فزعا (استطارة فرقى) انتشار فزعى (واستشاطة) التهاب واحتراق (المرمض) المحرق وهو من لفظ الرمضاء و(الروع) الفزع (المومض) الذى يدع صاحبه مبهوتا شاخص البصر من شدته وأومضت المرأة بعينها اذا برقت (الاجل) بالتحريك التأخير وبتسكينها الجناية يقول ان تفكرت فى تأخيرى من الهرب بسبب جنايتى فالآن أجمع أموالهم وأفر قال الفنجديهى ان يكن فكرك فى أجلى أى فى جنايتى يقال أجل الرجل عليهم شرا يأجل ويأجل أجلا أى جناية وهيجه من أجلى أى من جرائى (أرتع) آكل أموالهم (أطفر) أقفز

البديعة النظام العرية من الاعجام عقد العقد على الخمس المئين وقال لى بالرفاء والبنين ثم أحضر الحلواء التى كان أعدها وأبدى الآبدة عندها فأقبلت اقبال الجماعة عليها وكدت أهوى بيدى اليها فزجرنى عن المؤاكلة وأنهضنى للمناولة فوالله ما كان بأسرع من تصافح الاجفان حتى خر القوم للاذقان فلما رأيتهم كأعجاز نخل خاوية أو كصرعى بنت خابية علمت أنها احدى الكبر وأم العبر فقلت له يا عدى نفسه وعبيد فلسه أعددت للقوم حلوى أم بلوى فقال لم أعد خبيص البنج فى صحاف الخلنج فقلت أقسم بمن أطلعها زهرا وهدى بها السارين طرا لقد جئت شيأ نكرا وأبقيت لك فى المخزيات ذكرا ثم حرت فكرة فى صيور أمره وخيفة من عدوى عره حتى طارت نفسى شعاعا وأرعدت فرائصى ارتياعا فلما رأى استطارة فرقى واستشاطة قلقى قال ما هذا الفكر المرمض والروع المومض فان يكن فكرك فى أجلى من أجلى فأنا الآن أرتع وأطفر

وأقوى هذه البقعة مني وأقفر * وكم مثلها فارقتها وهي تصفر * وان يكن نظر النفسك وحذرا من حبسك فتناول فضالة الخبيص وطب نفسا عن القميص حتى تأمن المستعدي والمعدي ويتمهد لك المقام بعدي والا فالمفر المفر قبل أن تسحب وتجر ثم عمد لاستخراج ما في البيوت من الاكياس والتخوت وجعل يستخلص خالصة كل مخزون ونخبة كل مذروع وموزون حتى غادر ما آلفاه نخه كعظم استخرج مخه فلما همس ما اصطفاه ورزم وشمر عن ذراعيه وتحزم أقبل على اقبال من لبس الصفاقة وخلع الصدافة وقال هل لك في المصاحبة الى البطيحة لازوجك باخرى مليحة فاقسمت له بالذي جعله مباركا أينما كان ولم يجعله ممن خان في خان انه لا قبل لي بنكاح حرتين ومعاشرة ضرتين ثم قلت له قول المتطبع بطباعه الكائل له بصاعه قد كفتني الاولى نخرا فاطلب آخر للاخرى فتبسم من كلامي وداف لالتزامي فلويت عنه عذاري وأبديت له ازوراري فلما بصر بانقباضي وتجلى له اعراضي أنشد

يا صارفا عني المودة والزمان له صروف
ومعنفي في فضح من جاورت تعنيف العسوف
لا تلحني فيما أتيت فانني بهم عروف
ولقد نزلت بهم فلم أرهم يراعون الضيوف
وبلوتهم فوجدتهم لما سبكتهم زيوف
ما فيهم الا مخيف ان تمكن أو مخوف
لا بالصفي ولا الوفي ولا الحفي ولا العطوف
فوثبت فيهم وثبة الذئب الضري على الخروف
وتركتهم صرعى كانهم سقوا كأس الحتوف
وتحكمت فيما اقتنوه يدي وهم رغم الانوف
ثم انثنيت بغنم * حلوا المجاني والقطوف
ولطالما خلفت مكلوم الحشى خلفي يطوف
ووترت أرباب الارائك والدرانك والسجوف
ولكم بلغت بحيلتي * ما ليس يبلغ بالسيوف
ووقفت في هول تراع الاسد فيه من الوقوف
ولكم سفكت وكم فتكت * وكم هتكت حمى أنوف

ارتكاض

هاربا وطفر وثب وسار مسرعا (أقوى وأقفر) معناهما أخلي موضعي وأقفر الرجل من أهله انفرد عنهم وبقي وحده والدار خلت وكذلك أقوت وقويت وأقفرت الارض من الكلا ورأسه من الشعر وجسده من اللحم وأقوى وأقفر لا يتعديان (تصفر) تصوت وهذا عجز بيت لتأبط شرا وصدره * فأبت الى فهم وما كدت آيبا * تصفر أي تنفخ ندما على فوتي والنادم على الشيء يتابع النفخ يقول كم مثل هذه الخصلة فارقتها وهي تصفر تندما على ما فاتها (تناول) خذ (فضالة) بقية (طب نفسا) عنه أي لتكن نفسك طيبة على فقده فانك اذا أكلت الخبيص سكرت بخردلك فصرت في جملة من أكل ماله فتأمن بذلك (المستعدي) هو الشاكي (والمعدي) هو الحاكم ويقال استعديت الحاكم فأعداني أي استعنته فأعانني (يتمهد) يتوطأ (المفر المفر) أي بادر الفرار (تسحب) هو (تجر) (الاكياس) أوعية الدراهم والدنانير (التخوت) أوعية الثياب (يستخلص) يختار (خالصة) خياره وكذلك (نخبة * مذروع) مكيل بالذراع يعني الثياب (موزون) يعني الجواهر وما في معناها مما يباع بالوزن مثل العطريات وغيرها من شبهها (المخ) آلة للصيد يحسن أن يكني به عن المكيدة (همس) شده بالهميان نوع من التكة (اصطفاه) اختاره (رزم) جعله رزمة والرزمة في كلام العرب التي فيها ضروب من الثياب واخلاط يقال رازم الرجل في أكله اذا خلط بعضه ببعض ورازمت علف الدابة خلطته وقد يريد به ما شد على وسطه من المال بهميانه (الصفاقة) صلابة الوجه (خلع) أزال (البطيحة) قرية عامرة بقرب البصرة من جهة واسط وبينها وبين البصرة وواسط جهة كبيرة تعرف بالبطاح وتتوسطها البطيحة (معاشرة ضرتين) مصاحبة زوجتين (المتطبع بطباعه) المتخلق بخلقه (الكائل له بصاعه) أي الذي أعطاه من الهزل مثل ما أعطاه (داف) أسرع (التزامي) معانقتي وضمي له (لويت) عطفت أي أعرضت عنه بوجهي (ازوراري) انقباضي (تجلى) ظهر (اعراضي) تركي اقبالي عليه (صارفا) منحيا (المودة) المحبة (صروف) دفوع (معنفي) موبخي ولائمي (فضح) كشف و(العسوف) الآخذ بجهالة قبل التجربة (تلحني) تلمني (يراعون) يحفظون حقوقهم (بلوتهم) خبرتهم ومثله (سبكتهم زيوف) دراهم رديئة يريد أنهم قوم لا خير فيهم (مخيف) مضر مفزع (ان تمكن) ارتفع وكانت له مكانة (مخوف) لا يقدم عليه خوف ضرره (الصفي الوفي) الصادق الود (الحفي) المكرم لصديقه المعتني به (العطوف) الرحيم (الضري) المعتاد الذي ضري أخذ الخرفان (صرعى) مطروحون على الارض و(الحتوف) جمع حتف وهو الهلاك (اقتنوه) اكتسبوه (رغم) اذلال (انثنيت) أي رجعت (المجاني) ما يجنى من الثمار (والقطوف) ما يقتطف منها وهي جمع قطف وهو العنقود (خلفت) تركت خلفي (مكلوم) مجروح (الحشى) اسقاط الجوف (وترت) أخذت منهم ثأري وحقي (أرباب الارائك) أصحاب الاسرة (والدرانك) البسط (السجوف) جمع سجف وهو الستر والارائك جمع أريكة والدرانك واحدها درنوك (الهول) الامر المفزع (تراع) تفزع و(فيه) متعلقه وقوف يريد ان الاسد تفزع أن تقف في الهول الذي وقع فيه (سفكت) قتلت (فتكت) عتبت (هتكت) قطعت (حمى) ما يحمى ويمنع (أنوف) كثير الانفة والحمية

(ارتكاض) جرى واضطراب وتحرك (موبق) مهلك (خفوف) اسراع (الرؤف) الكثير الرفق والرحمة قال ابن رشيق في معنى هذا الخروج بعد تعديد ذنوبه

اذا أتى الله يوم الحشر في ظلل * وجيء بالامم الماضين والرسل
وحاسب الخلق من احصى بقدرته * أنفاسهم وتوفاهم الى أجل
ولم أجد في كتابي غير سيئة * تسوءني وعسى الاسلام يسلم لي
رجوت رحمة ربي وهي واسعة * ورحمة الله أرجى لي من العمل

*(ولابن لنكك) اذا خفق اللواء على يوما * وقد أخذ امرؤ القيس اللواء
رجوت الله لا أرجو سواه * لعل الله يرحم من أساء

(وقال ابن الرقاق) ياعالم السر مني * اصفح بفضلك عني
منيت نفسي بعفو * مولاي منك ومني
وكان ظني جميلا * فكن اذا عند ظني

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما يشاء *توفي رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مسرفا على نفسه فلما حضرته الوفاة رفع رأسه فاذا أبواه يبكيان عليه فقال لهما ما يبكيكما قالا نبكي لاسرافك على نفسك قال فلا تبكيا فوالله ما يسرني أن الذي بيد الله من أمري بأيديكما فأتى جبريل عليه الصلاة والسلام النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أن فتى توفي اليوم فاشهده فانه من أهل الجنة فاستكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه عن عمله فقالا ما علمنا عنده شيأ من خير الا أنه قال عند الموت كذا قال من ههنا أتى حسن الظن بالله من أفضل العمل عنده وعن أنس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم لايموتن أحدكم حتى يحسن ظنه بالله تعالى فان حسن الظن ثمن الجنة *أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال حسن الظن من حسن العبادة *وكان محمد بن نافع الواعظ صديقا لابي نواس قال فلما بلغني موته أشفقت عليه فرأيته في النوم فقلت أبا نواس فقال لات حين كناية قلت الحسن قال نعم قلت ما فعل الله بك قال غفر الله لي قلت بأي شيء قال بتوبة تبتها قبل موتي بأبيات قلتها قلت أين هي قال عند أهلي فسرت الى أمه فلما رأتني أجهشت بالبكاء فقلت اني رأيت كذا فكأنها سكنت وأخرجت الي كتبا مقطعة فوجدت بخطه كأنه قريب

يارب ان عظمت ذنوبي كثرة * فلقد علمت بان عفوك أعظم
ان كان لايرجوك الا محسن * فمن الذي يدعو ويرجو المجرم
أدعوك رب كما أمرت تضرعا * فاذا رددت يدي فمن ذا يرحم
مالي اليك وسيلة الا الرجا * وجميل ظني ثم اني مسلم

وانما قال لات حين كناية لان العرب لاتكني الميت انما تدعوه باسمه قال الراجز

وقام نسوة بجنب حفرتي * بنات أختي وبنات اخوتي
* يدعون باسمي وتناسوا كنيتي *

وقال آخر فقد جعلت تدعى كلاب بن جعفر * بأسمائها الا بالكنى لاتجيبها

(قوله لج في الاستعبار) أي أكثر في البكاء (ألظ) ألح وألظ به دار عليه (استمال) استعطف وأماله اليه (المنحرف) المائل عنه (المقترف) المكتسب الاثم ويقال قرف فلان فلانا اذا ألصق به عيبا وكسبه ذنبا واقترف فلان ذنبا أي اكتسبه وألصقه بنفسه (المعترف) المقر بذنبه *أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل ملائكة يترحمون على المقرين على أنفسهم بالذنوب وروى أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه ابن آدم انك ان يبلغ

وكم ارتكاض موبق لي في الذنوب وكم خفوف لكنني أعددت حسن الظن بالمولى الرؤف (قال) فلما انتهى الى هذا البيت لج في الاستعبار وألظ بالاستغفار حتى استمال هوى قلبي المنحرف ورجوت له ما يرجى للمقترف المعترف ثم انه غيض دمعه

ذ تبلغ عنان السماء ثم تستغفرني أغفر لك ولا أبالي (غيض) جفف وغيب من غيض الماء اذا انتقص وجف (المنهل) السائل (تأبط) أي جعله تحت ابطه (انسل) خرج مخفيا نفسه متحرزا أن يراه أحد (انسياب) مشى لايحس به (الحية) يعني الشيخ سماه حية لاذايته أهل الخان بالبنج فجعله كسم الحية فمن ألقمه ويقال أيضا في تصغير الحية حوية وأصلها الواو ولامها من تحوت أي تلوت وقيل هي من الحياة لطول عمرها (انتهاء الداء الى الكية) مثل يضرب لانتهاء الداء الى أقصاه تقول العرب آخر الطب الكي تريد ان المريض يعالج بكل دواء فلا يوافقه فاذا عولج بالكي لم يبق بعده دواء والا فهو الموت فيريد أنه ان أقام بعد هما انتهى الى هوان وعذاب (تربثي) تثبطي وتربث بالمكان أطال الجلوس فيه (مجلبة) أي سبب جلبه وسوقه (رحيلي) يريد متاعه وصغره لفقره وقلة ماعنده ورحل الانسان ماله ومتاعه في السفر (أسرى) أمشي بالليل (الطيب) قرية بالعراق بقرب واسط بينها وبين البطيحة المتقدمة وسميت الطيب لطيب هوائها وخصبها (أحتسب) أدعو وأقول حسيبه الله ومجازيه على قبيح أفعاله والاحتساب طلب الاجر فمعنى أحتسب (الله على الخطيب) أطلب الى الله تعالى الثواب بانكاري على الخطيب والله تعالى ربي عليه توكلت واليه أنيب

المنهل وتأبط جرابه وانسل وقال لابنه احتمل الباقي والله الواقي (قال المخبر بهذه الحكاية) فلما رأيت انسياب الحية والحية وانتهاء الداء الى الكية علمت أن تربثي بالخان مجلبة للهوان فضممت رحيلي وجعت للرحلة ذيلي وبت ليلتي أسرى الى الطيب وأحتسب الله على الخطيب

(المقامة الثلاثون الصورية)

(حكى الحرث بن همام) قال ارتحلت من مدينة المنصور الى بلدة صور فلما حصلت بها

(شرح المقامة الثلاثين وهي الصورية)

(قوله مدينة المنصور) هي بغداد والمنصور هو أمير المؤمنين أبو جعفر بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس استخلف بعد أخيه السفاح وبويع له يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين ومائة وهو ابن احدى وأربعين سنة وعشرة أشهر وكان حاجا وقت وفاة السفاح فعقد له البيعة عمه موسى بن علي بن عبد الله بالانبار وورد الخبر على المنصور في أربعة عشر يوما وقد بشر به النبي صلى الله عليه وسلم ونظر الى عمه العباس فقال هذا عمي أبو الخلفاء الاربعين أجود قريش كفا من ولده السفاح والمنصور والمهدي وقال المنصور رأيت في المنام كأني في المسجد الحرام فنودي أين عبد الله فقمت أنا وعبد الله بن يحيى نستبق حتى وصلنا الى الدرجة العليا فجلس هو وأخذ بيدي فأصعدت وأدخلت الكعبة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ومعه أبو بكر وعمر وبلال قال فأقعدني وأوصاني بأمته وعممني فكان كورها ثلاثا وعشرين كورا وقال خذها اليك أبا الخلفاء الى يوم القيامة * وقال المنصور الخليفة لا يصلحه الا التقوى والسلطان لا يصلحه الا الطاعة والرعية لا يصلحها الا العدل وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه * وولد المنصور في سنة خمس وتسعين في اليوم الذي مات فيه الحجاج ومات بمكة ببئر ميمون لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة (صور) مدينة بالشام بينها وبين دمشق ثلاثون فرسخا * وقال شيخنا ابن جبير مدينة صور يضرب بها المثل في الحصانة لا يلقي لطالبها بيد طاعة ولا استكانة قد أعدها الافرنج مفزعا لحادثة زمانهم وجعلوها مثابة لامانهم وحصانتها ومناعتها أعجب ما يحدث به وذلك أنها راجعة الى بابين أحدهما في البر والثاني في البحر والبحر يحيط بها الا من جهة واحدة فالبري يفضي اليها بعد ولوج ثلاثة أبواب أو أربعة كلها في ستائر مشيدة محيطة بالباب والبحري يدخل اليه بين برجين مشيدين الى مرسى ليس في البلاد أعجب منه وصفا يحيط به سور المدينة من ثلاثة جوانب ويحدق به من جانب آخر جدار معقود بالجص والسفن تدخل تحت السور وترسى فيه وتعرض من البرجين المذكورين سلسلة عظيمة معقودة تمنع عند اعتراضها الداخل والخارج ولا مجال للمراكب الاعند ازالتها وعلى الباب حراس لا يدخل الداخل ولا يخرج الا على أعينهم فشأن هذا المرسى شأن عظيم وعند الباب البري عين معينة تنحدر اليها على أدراج والآبار والجباب بها كثيرة لا تخلو دار منها ولا بساتين بها انما تجلب لها الفواكه من أقطارها التي بالقرب منها ولها أعمال متصلة والجبال التي بالقرب منها معمورة بالضياع ومنها تجيء الثمرات

قوله ابن يحيى في نسخة ابن علي اه

(ترجمة المنصور)

(ذكر مدينة صور)

اليها

اليها وللمسلمين الباقين بها مسجدان وأعلمنى أحد أشياخنا أنها أخذت من أيديهم سنة ثمان عشرة وخمسمائة بعد محاصرة طويلة وبها كانت دار الصنعة ومنها تخرج مراكب المسلمين للغزو (قوله ذارفعة) أى عزة ومكانة (خفض) طيب عيش ومعنى (مالك رفع وخفض) أى صاحب احمال ترفع على الابل فى السفر وتحط عنها للنزول ويريد أنه ذو قدرة وتمكن يخفض ويرفع من أراد (قوله تقت) أى اشتقت (مصر) قال الهمذانى سميت بمصر بن هرمس بن هرمس جد الاسكندر وقال أهل اللغة المصر الحد فسميت مصر لانها حد بين المشرق والمغرب * ابن دريد كل بلد عظيم مصر نحو البصرة والكوفة طول مصر من الشجرتين اللتين بين أجم والعريش الى أسوان وعرضها من برقة الى ايلة فهى مسيرة أربعين ليلة وافتتحت كلها فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه على يدى عمرو بن العاص بن وائل السهمى ولما افتتحت مصر أتى أهلها الى عمرو فقالوا له أيها الامير ان لنيلنا هذا سنة لا يجرى الا بها فقال لهم ماذاك فقالوا له اذا كان اثنتا عشرة ليلة تخلو من بؤنة من أشهر العجم عمدنا

﴿ذكر مصر﴾

الى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وحملنا عليها من الحلى والحلل أفضل ما يكون ثم ألقيناها فى النيل فقال لهم عمرو ان هذا لا يكون فى الاسلام وان الاسلام يهدم ما قبله فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى وهى أسماء ثلاثة أشهر لاقبط لا يجرى النيل فيها لا قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء منها فلما رأى ذلك عمرو بن العاص كتب بذلك الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب عمر بطاقة وكتب

ذارفعة وخفض ومالك رفع وخفض تقت الى مصر

الى عمرو انى بعثت اليك بطاقة فألقها فى النيل فأخذ عمرو البطاقة فاذا فيها من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى نيل مصر أما بعد فان كنت انما تجرى من قبلك فلا تجر وان كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك فألقى البطاقة فى النيل قبيل يوم الصليب بيوم وقد تهيأ أهل مصر للجلاء فلما ألقى البطاقة فى النيل أصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة فقطع الله تعالى تلك السنة السوء من أهل مصر قال ابن جبير ومدينة مصر

﴿ذكر المقياس﴾

كبيرة عامرة مختلفة الاسواق من المدن التى سارت بأوصافها الرفاق وهى على شط النيل وعلى النيل فى مقابلتها قرية كبيرة الشان كثيرة البنيان تعرف بالجيزة وتعترض بينهما جزيرة فيها مساكن حسان وعلالى مشرفة وهى مجتمع لهو أهل مصر ومتنزههم وبينها وبين مصر خليج يذهب بطولها نحو الميل ولا مخرج له وبالجزيرة جامع يخطب فيه ويتصل بهذا الجامع المقياس الذى يعتبر فيه قدر زيادة فيض

(ذكر الاهرام)

النيل كل سنة وابتداؤه من شهر بؤنة ومعظم انتهائه اغشت وآخرها أول شهر اكتوبر * والمقياس عمود رخام مثمن فى موضع ينحصر فيه الماء عند انتهائه اليه وهو مفصل على اثنين وعشرين ذراعا وكل ذراع مفصلة على أربعة وعشرين قسما أقساما متساوية تعرف بالاصابع فاذا استوى الماء تسع عشرة ذراعا فى الفيض فهى الغاية عندهم فى طيب العام وربما كان الماء فيها كثيرا العموم الفيض والمتوسط ما استوى سبع عشرة ذراعا وهو أحسن مما زاد عليه والذى يستحق به السلطان خراجه ست عشرة ذراعا فصاعدا وعليها تعطى البشارة للذى يرقب الزيادة فى كل يوم ويعلم بها مياومة وان قصر عن ست عشرة فلا يجبى لذلك السلطان فى ذلك العام ولا خراج الا ما يعول عليه وبقرية الجيزة يوم الاحد سوق عظيمة يتحدث بها * وعلى نحو سبعة أميال فى الصحراء التى يفضى منها الى الاسكندرية الاهرام القديمة المعجزة البناء الغريبة المنظر المربعة الشكل كأنها القباب المضروبة قد قامت فى جو السماء لا سيما الاثنان منها فى سعة الواحد منهما من ركنه الى ركنه ثلثمائة خطوة وست وستون خطوة محددة الاطراف فى رأى العين وربما أمكن الصعود اليها على خطر ومشقة فتلقى أطرافها المحددة كأوسع ما يكون من الرحاب قد أقيمت من الصخور العظام المنحوتة وركبت تركيبا بديع الالصاق يكاد يعجز أهل الارض نقض بنيانها * وبمصر أيضا المسجد المنسوب الى عمرو بن العاص وبها الجبانة المعروفة بالقرافة وهى من عجائب الدنيا لما تحتوى عليه من مشاهد

والكريم الى المواساة
فرفضت علائق الأستقامة
ونفضت عوائق الاقامة
واعروريت ظهر ابن
النعامة وأجفلت نحوها
اجفال النعامة فلما دخلتها
بعد معاناة الاين ومداناة
الحين كلفت بها كلف
النشوان بالاصطباح
والحيران بتنفس الصباح
فبينما أنا يوما بها أطوف
وتحتي فرس قطوف اذ
رأيت على جرد من الخيل
عصبة كمصابيح الليل
فسألت لانتجاع النزهة
عن العصبة والوجهة
فقيل أما القوم فشهود
وأما المقصد فاملاك مشهود
فحدتني ميعة النشاط على
أن سرت مع الفراط
لافوز بحلاوة اللقاط وأحوز
حلواء السماط فأفضينا
بعد مكابدة العناء الى
دار رفيعة البناء وسيعة
الفناء تشهد لبانيها بالثراء

(٣) قوله فجعل بياض الفجر تنفس أى انتشر الخ كذا فى النسخ التى بايدينا ولعل فيها اسقاطا أو تحريفا من النساخ ونعوذ بالله من سقم النسخ الناشئ من عدم الاعتناء بها ومقابلتها على أصلها الصحيح ولعل الاصل والله أعلم فجعل بياض الفجر تنفس الصباح أى انتشار ضوئه فى الظلام أو نحو ذلك تأمل والله ولى الهداية اه مصححه

الانبياء وأهل البيت والصالحين والعلماء وذوى الكرامات من أهل الزهد * وبها قبر آسية امرأة فرعون وبها مساجد معمورة بالليل والنهار يبيت بها الصالحون * وبها قبر الشافعى محمد بن ادريس الامام رضى الله عنه وهو من المشاهد العظيمة احتفالا واتساعا * والمشهد العظيم الشأن الذى بالقاهرة حيث رأس سيدنا الحسين بن على رضى الله عنهما وهو فى تابوت من فضة مدفون قد بنى عليه بنيان يقصر الوصف عنه مجللى بأنواع الديباج محفوف بأمثال العمد الكبار شمعا بيضاء أكثرها موضوع فى أتوار الفضة وحف أعلاه كله بأمثال التفافيح ذهبا فى مصنع شبه الروضة يبهر الابصار حسنا وجمالا وفيه من أنواع الرخام المجزع الغريب الصنعة البديع الترصيع مالا يتخيله المتخيلون والمدخل اليها على مسجد على مثالها فى التأنق حيطانه كلها رخام وأغرب ما فيه حجر موضوع فى الجدار الذى يستقبله الداخل شديد السواد والبصيص يصف الاشخاص كلها كأنه المرآة الهندية ولتزاحم الناس على القبر وانكبابهم عليه وتمسحهم به وبالكسوة التى عليه مرأى هائل وأخبار مصر كثيرة فلنقتصر على هذه النبذة (الاساة) الاطباء (المواساة) أن يجعله أسوة نفسه فى ماله فيما يملكه (رفضت) تركت (علائق) أسباب تتعلق به فتحبسه (نفضت) أزلت واطرحت ونفضت ثوبى من الغبار أزلته عنه (عوائق) موانع وهى ما يصرف الانسان عن وجهه الذى يحرفيه ويريده (اعروريت) ركبته عريا (ابن النعامة) الطريق وقيل صدر القدم قال عنترة * وابن النعامة عند ذلك مركبى * وقيل ابن النعامة الساق وقيل عرق فى الرجل وقيل الفرس الفاره (أجفلت) أسرعت (النعامة) واحدة النعام (معاناة) مقاساة (الاين) الفتور من التعب (مداناة الحين) مقاربة الهلاك (كلفت بها) أى أحببتها وولعت بها (النشوان) السكران يريد أنه فرح فرح السكران اذا أصبح للشرب وهو الاصطباح والمهموم بالليل اذا طلع ضوء النهار انجلى همه فجعل بياض الفجر (تنفس) أى انتشر (٣) فى الظلام (قطوف) متقارب الخطو كأنه يقطف خطوه أى يقطعه (جرد) ملس والاجرد القصير الشعر (عصبة) جماعة (مصابيح) سرج ويريد بها النجوم (قوله الوجهة كالجهة) وهو كل موضع استقبلته وقصدته وتوجهت اليه (املاك) نكاح وأملك الرجل املاكا تزوج وأملكه غيره زوجه وشهدنا املاكه أى عرسه * ابن عمر رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم من شهد املاك امرئ مسلم فكأنما صام يوما فى سبيل الله واليوم بسبعمائة (مشهود) أى محضور (حدتنى) ساقتنى (ميعة) حدة ونشاط والميعة أول الشباب وأول جرى الفرس وميعة كل شئ معظمه (والفراط) السباق المتقدمون الواحد فارط (اللقاط) ما يلتقط من العرس مما ينثر فيه للحاضرين نحو الكعك والخبيص وما ينثر فيه يسمى نثرا وكان نثار العرب فى عرسهم التمر (أحوز) أحصل (السماط) السوق التى جوانبها صفان متقابلان والسماط أيضا أن يصطف العسكر صفين متقابلين والسماط فى الطعام أن تلصق مائدة بأخرى ويجلس الناس عليها صفين متقابلين والسماط الصف منه ومنه سمط الجوهر ومنه الشعر المسمط وهو الذى أبياته مفصلة على أجزاء متقابلة وقد نبهنا عليه فى الحادية عشرة (مكابدة) مقاساة وهى من الكبد كأن الكبد يتعب بها و(العناء) التعب (رفيعة البناء) قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد هوانا أنفق ماله فى البناء وقال النبى صلى الله عليه وسلم من بنى بناء فى غير ظلم ولا اعتداء أو غرس غرسا فى غير ظلم ولا اعتداء فان أجره جار ما انتفع به أحد من خلق الرحمن وقال بعض الحكماء اذا أيسر الرجل ابتلى بثلاثة أشياء صديقه القديم يجفوه وامرأته يتزوج عليها وداره يهدمها ويبنيها وعلى قوله أما القوم فشهود جاء فيهم حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا الشهود فان الله عز وجل يستخرج بهم الحقوق ويدفع بهم الظلم (قوله وسيعة) أى واسعة و(الفناء) الساحة وهى ما حول الدار (الثراء) كثرة المال

(السناء)

(السناء) الشرف والرفعة (صهوات) ظهور (دهليز) مدخل الدار الذى تسميه عامتنا الاسطوان والاسطوان عند العرب السوارى واحدها اسطوانة وأنشد أبو موسى الجاحظ فى نوادره وذكر الدهليز فقال

أويت فى الدهليز مذ أربع * ولم أكن آوى الدهاليزا
خبزى من السوق وشعرى لكم * تلك لعمرى قسمة ضيزى

(بجلال) مغطى (أطمار) ثياب خلقة (مكلا) محلقا (مخارف) قفف أو تعاليق للغرباء يجعلون فيها ما يأخذونه من الصدقة والمخارف عند العرب جمع مخرف وهى قفيفة تشبه الزنبيل يخترف فيها الرطب أى يجتنى فيها (قطيفة) نوع من البسط (دكة) هى الدكان (رابنى) شككنى وخوفنى (عنوان) دليل (الصحيفة) الكتاب أراد تطيرت بتلك المخارف وأراد انها دار خيبة وحرمان وكان ابن همام فى هذه القصة طفيليا على ما وصف به نفسه من الرفاهية وربما يتولع أهل الظرف والادب بمثل هذا فقد حكينا عن ابراهيم بن المهدى واسحق الموصلى مثل هذا فى أخبار الطفيليين على منادمتهما للخلفاء وكثرة أموالهما (البدعة) ٣ الشئ المبدع الذى لم يفعل قبله مثله و (الطريقة) الغريبة المستظرفة (التطير) التشاؤم (المناحس) جمع منحوس وهو الذى لا يفارقه النحس وأراد به المخارف والاطمار التى قدم (مصرف الاقدار) هو الله تعالى (رب الدار) مالكها أو الناظر فى اصلاحها ماذكره مما لا يفهم له معنى ٤ (المقيفين) المكدين وقيل المقيفون جمع مقيف وهو الذى يقفو آثار الناس أى يتبعهم يطلب لهم شيأ و يدعو لهم و (المدروزين) المكدين ودروزة كلمة أعجمية معناها الكدية و (المشقشق) الذى يحاكى أصوات الطيور فتجتمع اليه فيصطادها و (الجلوز) والجلواز الشرطى الذى يتصرف حول السلطان (قوله وليجة) أى مدخل والوليجة الموضع الذى يلج الانسان فيه أى يدخله أو كهف يستتر فيه (القهقرة) الرجوع الى خلف (ضلة) ضلالة (المسعى) المشى بعجلة أراد ان مشيه كان لغير فائدة (المحال) يبوسة وجفوف (فورى) حينى من قبل أن أسكن (الغصص) جمع غصة وهى ما يختنق بها وتجرعها صعب (ارائك) سرر مزينة (طنافس) بسط (ونمارق) مخاد (سجوف) ستور (مرصوفة) مضمومة ملتصقة وجعل البيت بهذه الامتعة الكثيرة لانه بيت عرس فهى تستعد له وان كان قد رأى فى دهليزه مرقعات تدل على فقر فان الغرباء فى البلاد يعلقون مرقعاتهم فى دهاليز الفندق و بيته فى غاية الرفاهية والدار المذكورة انما كانت فندقا للفقراء الغرباء والمكدين والجالس فى دهليزها خادم الفندق وحين سأله عنها أخبره انها ليس لها رب معين انما هى دار المكدين والخارفين وقيل لاحد المكدين أتبيع مرقعتك فقال هل رأيت صائدا يبيع شبكته (المملك) العروس (يميس) يتبختر و (يتبهنس) مثله فى المعنى (حفدته) خدمه واتباعه و يقال حفد العبد يحفد حفدا اذا خدم وفى الدعاء واليك نسعى ونحفد أى نخدمك ونعمل لك وقال الشاعر

حفد الولائد بينهن وأسلمت * بأكفهن أزمة الاجمال

أبو عبيد يقال حفد يحفد وأحفد يحفد وفسر طاوس قوله تعالى بنين وحفدة أى خدما فهو مطابق للغة وفسره ابن مسعود رضى الله عنه بالاختان وهو مطابق لما فى المقامة لان المكدين لا خدم لهم وقال الفراء رحمه الله الحفدة جمع حافد ككامل وكملة (ابن السماء) الجوهرى ماء السماء لقب عامر ابن حارثة الازدى أبو عمرو مزيقياء الذى خرج من اليمن لما أحس بسيل العرم وسمى ماء السماء لانه كان اذا أجدب قومه مانهم أى كفاهم مؤنتهم حتى يأتيهم الخصب فكانه خلف من ماء السماء وقيل لولده بنو ماء السماء وهم ملوك الشأم والعرب تسمى أيضا بنى ماء السماء لانهم يعيشون بماء السماء قال الازهرى رحمه الله السماوة ماء بالبادية وكان اسم أم المنذر ماء لسماء فسمته العرب ابن ماء السماء وهو المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى وأمه ماء السماء وهى امرأة من النمر بن قاسط سميت بذلك لجمالها ولما ملك كسرى الذى اسمه قباذ بن فيروز خرج فى أيامه رجل يقال له مردك

والسناء فلما نزلنا عن صهوات الخيول وقدمنا الاقدام للدخول رأيت دهليزها مجللا باطمار ومخر ومكللا بمخارف معلقة وهنالك شخص على قطيفة فوق دكة لطيفة فرابنى عنوان الصحيفة ومرأى هذه الطريقة ودعانى التطير بتلك المناحس الى أن عمدت لذلك الجالس فعزمت عليه بمصرف الاقدار ليعرفنى من رب هذه الدار فقال ليس لها مالك معين ولا صاحب مبين انما هى مصطبة المقيفين والمدروزين ووليجة المشقشقين والجلوزين فقلت فى نفسى انا لله على ضلة المسعى والمحال المرعى وهممت فى الحال بالرجعى لكنى استهجنت العود من فورى والقهقرة دون غيرى فولجت الدار متجرعا الغصص كما يلج العصفور القفص فاذا فيها ارائك منقوشة وطنافس مفروشة ونمارق مصفوفة وسجوف مرصوفة وقد اقبل المملك يميس فى بردته ويتبهنس بين حفدته فحين جلس كانه ابن ماء السماء نادى مناد من قبل

(أخبار المنذر الملقب بماء السماء)

٣ قوله البدعة ليست فى نسخة المتن كما ترى وكان فى نسخة البدعة الطريفة اه

فدعا الناس الى الزندقة وا باحة الحرم وان لايمنع أحد أخاه ما يريد فدعا قباذ المنذر ليدخل فى هذا المذهب فأنف وأبى المنذر هذا الفعل الخبيس فطرده قباذ من مملكته ونفاه عن الحيرة ودعا الحرث ابن عمرو بن حجر آكل المرار فأجابه وكان الحرث شديد الملك فشدد له ملكه وكانت أم أنوشروان بين يدى قباذ يوما فدخل عليه مردك فلما رآها قال لقباذ ادفعها الىّ لاقضى حاجتى منها فقال له قباذ دونكها فوثب اليه أنوشروان فلم يزل يسأله أن يهب له أمه حتى قبل رجليه فتركها له فلما هلك قباذ وتولى أنوشروان وجلس فى مجلسه أقبل المنذر اليه وأذن للناس فدخل عليه مردك ودخل عليه المنذر فقال أنوشروان كنت أتمنى أمنيتين أرجو ان يكون الله تعالى قد جمعهما لى فقال مردك وماهما أيها الملك قال تمنيت أن أملك فاستعمل هذا الرجل الشريف يعنى المنذر وأن أقتل هؤلاء الزنادقة فقال له مردك أوتستطيع أن تقتل الناس كلهم فقال انك لههنا يا ابن الزانية والله ماذهب نتن ريح جوربك من أنفى مذ قبلت رجليك الى يومى هذا وأمر به فقتل وصلب وقتل فى ضحوة واحدة من الزنادقة مائة ألف وصلبهم وطلب الحرث فخرج هاربا بجميع مامعه وأخذ المنذر فى طلبهم فأخذ من بنى آكل المرار ثمانية وأربعين رجلا فضرب رقابهم وألح فى طلب امرئ القيس فلحق السموأل وتمام القصة فى الثالثة والعشرين (قوله الاحماء) أى الاختان (ساسان) شيخ المكدين قال الفنجديهى ساسان هو أستاذ المكدين ومقدمهم وواضع طرائقهم ومعلمهم قال أبو الفتح اسمعيل بن الفضل بن الاخشيد السراج المكدى فى كتابه حدثنا أبو بكر البطار فى المكدى حدثنا محمد بن على بن أحمد الفقيه المكدى حدثنا مليك بن صالح المكدى قال سمعت طرارة المكدى قال قال ساسان ألا أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى قلت بلى قال هى الكدية وقوله (أستاذ الاستاذين) حدث أحمد بن الحسن قال كنت عند أبى الحسن بن أبى الفضل فدخل رجل فذكر انه شاعر فقال الشعراء ثلاثة شاعر وشعرور وشعرة فأما الشاعر فالمفلق والشعرور المستملح والشعرة المستثقل لرداءة شعره والاستاذون ثلاثة أستاذ فى الدين كالعلماء والفضلاء وأستاذ فى الدنيا كالوزراء والعمال والولاة وأستاذ لادين عنده يتعلم منه ولادنيا ينتفع بها كالحجام يسمى أستاذا والبناء والملاح وبنو ساسان ملوك الفرس (قدوة) مقدم (الشحاذين) المكدين والشحاذ الملح فى المسئلة وشحذت السيف بالغت فى صقالته (المبجل) المعظم يقال بجلته تبجيلا أى عظمته تعظيما مأخوذ من البجيل والبجال وهو الرجل الضخم وفى الحديث أصبتم خيرا بجيلا أى كثيرا ضخما (الاغرّ) المشهور لحسنه (المحجل) الابيض (شب) ترعرع ونشأ (الملوان والفتيان) الليل والنهار و (ثغامته) شعرته (نورها) بيضها والثغام نبت أبيض وهو ضرب من البهمى منابته الجبال اذا يبس ابيض بياضا شديدا * أبو حنيفة تنبت الثغامة خيوطا طوالا دقاقا من أصل واحد فاذا جفت ابيضت كلها واذا أمحل الثغام كان أشد بياضا ويشبه به الشيب قال المرار الفقعسى

أعلاقة أم الوليد بعيدما * أفنان رأسك كالثغام المخلس

(وقال حسان رضى الله عنه)

أوماترى رأسى تغيرلونه * شمطا فأصبح كالثغام الممحل

والثغام مرعى وتعلفه الخيل قال بشر وذكر الخيل

فباتت ليلة وأديم يوم * على البهمى يجزلها الثغاما

(قوله زربيته) طنفسته والجمع الزرابى وقيل هى الوسائد وقيل الثياب الموشاة و (الضوضاء) الاصوات (ازدلف) قرب (مسنده) موضع اسناده (سبلته) لحيته وقيل شاربه وهذه الخطبة التى ذكر ليس فيها لفظ الا وهو يتضمن اشارة للكدية (قوله المبتدع) أى الفاعل له قبل أن يفعل (النوال) العطاء (المؤمل) المرجو (شرع) فرض و (نهر السؤال) من قوله تعالى وأما السائل

ع قوله ماذكره مما لايفهم له معنى هكذا فى النسخ التى بأيدينا وهى مع ماقبلها لاتلتئم ولايفهم لها معنى ولعل هنا كلاما سقط من النساخ تلتئم معه هذه الجملة ونعوذ بالله من سقم النسخ ه مصححه

الاحماء وحرمة ساسان استاذ الاستاذين وقدوة الشحاذين لاعقد هذا العقد المبجل فى هذا اليوم الاغر المحجل الا الذى جال وجاب وشب فى الكدية وشاب فأعجب رهط الصهر ما أشاروا اليه وأذنوا فى احضار المنصوص عليه فبرز حينئذ شيخ قد أمال الملوان قامته ونور الفتيان ثغامته فتباشرت الجماعة باقباله وتبادرت الى استقباله فلما جلس على زربيته وسكنت الضوضاء لهيبته ازدلف الى مسنده ومسح سبلته بيده ثم قال الحمد لله المبتدئ بالافضال المبتدع للنوال المتقرب اليه بالسؤال المؤمل لتحقيق الآمال لذى شرع الزكاة فى الاموال وزجر عن نهر السؤال

فلاتنهر وقال ابن عمران

ان ابن آدم حين يلحف سائل * ينقد من حنق عليه فينهره
والله ان يقصده عبد ملحف * بسؤاله يدنيه منه ويشكره
فسل الاله ولذ به لا تنسه * فالله يذكر عبده اذ يذكره

وقال أيضا
سؤالنا دعاؤنا للجنة * لهم علينا بالقبول منه
من سال منهم ويك أعطينه * ولو بتمرة فواسينه
أو أجمل الرد لا تنهرنه ٣ * وان يكن يلحف فاعذرنه * وادع له الله وصيرنه

(قوله ندب) أى دعا وحرض (المضطر) الشديد الحاجة (القانع) المتذلل عند السؤال (والمعتر) المتعرض للمعروف (والمحروم) الذى لا يسأل أحدا شيأ وهو محتاج (طعمة هنية) الكدية لا بل فائدتها تحصل بلا تحمل تكلف ولا مشقة (دعوة بلانية) قولك للسائل الله يعطيك وسع الله عليك ونحوه وأنشدوا فيهم

ورجال ونساء * وبنات وبنونا
واذا يدعى لهم يو * ما تراهم يغضبونا

وقال آخر
ألم ترنى أبغضت ليلى وذكرها * كما أبغض المسكين دعوة سائله

لان السائل لا يطلب من المسؤل الدعاء انما يطلب ما يشبع الامعاء * ومما يستظرف من هذا ما حكى الاصمعى قال مر بى أعرابى سائلا فقلت له كيف حالك قال أسأل الناس الحافا فيعطونى كرها ولا يؤجرون على ما يعطونى ولا يبارك لى فيما آخذ والعمر بين ذلك فان والاجل قريب والامل بعيد * سأل اعرابى رجلا يكنى أبا عمرو عند داره فقال يرزقك الله فعاد اليه يوما آخر فقال بمثل ما قال أمس وتنحنح ففلتت منه ضرطة فقال الاعرابى

ان أبا عمرو لمكبوس الوسط * اذا سألناه تمطى وضرط * اعطاؤه يرزقك الله فقط

(قوله أشهد أن لا اله الا الله) أى أعلم وأبين ومنه شهد الله أى أعلم وبين أنه لا اله الا هو ومنه شهد الشاهد عند الحاكم أى بين له ما عنده وأعلمه الخبر (يمحق) يزيل ويستأصل (الربا) الحرام وأصله الزيادة (ويربى) يزيد ويكثر أى يضعفها له (ينسخ) يزيل (المسكين) الضعيف الذليل (وخفض جناحه) ألان جانبه فهو مثل للاشفاق والحنان وأصله أن الطائر انما يخفض جناحه على فراخه ويلحقها به شفقة عليها قال الله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة و (استكان) خضع وذل وهو استفعل من كان أصله استكون نقلت حركة الواو الى الكاف فانقلبت ألفا لتحركها فى الحكم وانفتاح ما قبلها فهى فى الاصل كاستقام وبابه أو يكون افتعل من السكون لان الخاضع يقلل الكلام وأصله استكن فوصلت فتحة الكاف بألف كقوله قلت وقد خرت على الكلكال * أراد الكلكل وقال تعالى فما استكانوا لربهم وما يتضرعون وأنشد أبو على

* فما استكان لما لاقى ولا خضعا * (قوله المثرين) الاغنياء (الزلفة) القربة يتقرب بها الى الله تعالى (أصفيائه) أحبابه (الصفة) تشبه القبلة والصفة كالسقيفة وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الغرباء يظعنون اليه من الجهات وليس عندهم شئ فيسكنون سقائف المسجد فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرض الناس على الصدقة عليهم وكان يجلس لهم فيعلمهم القرآن وخصهم الحريرى بالذكر لان لهم حالة يشبهون بها المكدين من لباس الخلقان والعيش من صدقات الناس فهم يتأسون بأهل الصفة ويجعلونهم حجة على من زجرهم ومما يحسن أن ينشد فى هذا المعنى قول ابن عمران

السائلون عيال الله والمال * لله فابذله فيهم خاب من لوما

ونذب الى مواساة المضطر وأمر باطعام القانع والمعتر ووصف عباده المقربين فى كتابه المبين فقال وهو أصدق القائلين والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم أحمده على ما رزق من طعمة هنية وأعوذ به من استماع دعوة بلانية وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الها يجزى المتصدقين والمتصدقات ويمحق الربا ويربى الصدقات وأشهد أن محمدا عبده الرحيم ورسوله الكريم ابتعثه لينسخ الظلمة بالضياء وينتصف للفقراء من الاغنياء فرفق صلى الله عليه وسلم بالمسكين وخفض جناحه للمستكين وفرض الحقوق فى أموال المثرين وبين ما يجب للمقلين على المكثرين صلى الله عليه صلاة تحظيه بالزلفة وعلى أصفيائه أهل الصفة أما بعد فان الله تعالى شرع النكاح لتتعففوا وسن التناسل لكى تتضاعفوا فقال سبحانه لتعرفوا يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى

٣ قوله لا تنهرنه أى لا تزجرنه ويقرأ بحذف ألف لا لضرورة الوزن اه مصححه

فجد على ثقة بالله من خلف * ياويح من كان للرحمن متهما
واحذر من الرد ان الله يعقبه * من غير عذر وشؤم الشح قد علما

(الشعوب) جمع شعب وهو أكبر من القبيلة (الدراج) كأنه بذلك لكثرة حركته (ولاج) كثير الولوج على الناس للكدية (خراج) كثير الخروج فى طلب رزقه والولاج الخراج الذى يحسن الدخول فى أموره والخروج منها ويقال فلان ولاج خراج اذا كان متصرفا فى أموره نفاعا لاوليائه ضرارا لاعدائه (والافك) سوء الكذب (الصراح) الظاهر البين يريد أنه اذا وصف حالته فى كديته لا يتكلم الا بالكذب (الهرير) كثرة الصياح والشر وهرير الكلب صوته دون نباحه من قلة صبره على البرد (والابرام) الاثقال والاضجار يريد أنه يوالى الصياح على من يكديهم ويثقل عليهم بالعتب على ترك الصدقة حتى يفتدوا منه (والالحاح) المداومة والاكثار من السؤال *وقدم الحطيئة المدينة فى سنة مجدبة فمشى أشرافها بعضهم لبعض خوفا من لسانه وقالوا قدم علينا هذا الرجل وهو يأتى الشريف منا فان أعطاه جهد نفسه وان حرمه هجاه فجمعوا له بينهم أربعمائة دينار فاتوه فقالوا هذه صلة آل فلان وهذه صلة آل فلان فأخذها وظنوا أنهم قد كفوه المسئلة فاذا هو يوم الجمعة قد استقبل وهو يقول من يحملنى على بغلين كفاه الله كبة النار (السليطة) الحديدة اللسان وقد سلطت فهى سليطة (شريطة) موافقة (بعلها) أى زوجها أى جاءت على شرط زوجها فهى مثله فى خصالها كلها (قنبس) اسمها وهو من القبس وهى الشعلة كأنه لحدتها شعلة نار تحرق ما مرّت به (عنبس) من العبوس ونونه ونون قنبس زائدتان (التحافها) ارتدائها والتواثها فيه (الحافها) الحاحها فى السؤال (اسفافها) تساقطها على ما تجمع من الناس والاسفاف التتبع لمداق الامور والاسفاف الدخول فى الامر الدنىء وقد أسف تعرض للامر الدنىء (انكماشها) انحفازها واجتهادها (انتعاشها) قيامها وارتفاعها (هراشها) مشارتها القرابتها والمهارشة أصلها للكلاب وهى أن يترافع الكلبات ويتناجا بعض كل واحد صاحبه فجعل مدافعتها عند الشر لاقرانها ومضارتها كالهراش للكلاب ولا تكمل عندهم نجابتها حتى تفوق أقرانها فى الشر والسب بالقبائح وضرب الكف على ذلك والا فهى ناقصة (بذل) أعطى (شلاقا) ثوب مرقع وليس بعربى وقيل هو شبه المخلاة وقيل هو خريطة تجعل فيها كسر الخبز (عكازا) عصا تقرع بها الابواب وتضرب بها الكلاب (صقاعا) خرقة بالية تجعلها على رأسها (كرازا) اناء تعلقه فى ذراعها تجعل فيه الصدقة وقيل الكراز اناء لشرب الماء وتسميه عامتنا الكرازة فكان صداق هذه المرأة ثوبا مرقعا تلبسه للكدية وخرقة بالية لرأسها وعصا تقرع بها الابواب واناء اما أن تجعل فيه ما يدق من الصدقة أو تجعل فيه ماء للشرب بها عند طوافها للكدية والكرز هو الخرج والكراز كبش يحمل عليه الراعى أداته (عيلة) فقرا (شملكم) عددكم (المعاطب) المهالك وخطأ أبو محمد فى الدرة من يذهب من الخواص بالعيلة الى العيال وقال انما العيلة الفقر بدليل قوله تعالى وان خفتم عيلة وتصريف الفعل منه عال يعيل فهو عائل والجمع عالة وفى التنزيل العزيز ووجدك عائلا فأغنى وفى الحديث لان تدع ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس وأما الذين يعالون فهم عيال واحدهم عيل كجيد وجياد وجمع عيال على عيائل كركاب وركائب وأعال فهو معيل كثر عياله وعالهم يعولهم وفى الحديث ابدأ بمن تعول ومن كلام العرب والله لقد علت حتى علت أى صفت عيالى حتى افتقرت وأما قوله تعالى ذلك أدنى أن لا تعولوا فمعناه أن لا تجوروا وقال بعض العرب لحاكم حكم عليه بما لم يوافقه والله لقد عات على فى الحكم أى جرت به ومن فسر فى الآية تعولوا بأن معناه تكثر عيالكم فقد وهم * واذ فرغنا من تفسير هذه الخطبة الهزلية وقد قدمنا ان ابن همام فى هذه المقامة طفيلى فلنذكر هنا العهد الذى كتب

وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا وهذا أبو الدراج ولاج بن خراج ذو الوجه الوقاح والافك الصراح والهرير والصياح والابرام والالحاح يخطب سليطة أهلها وشريطة بعلها قنبس بنت أبى العنبس لما بلغه من التحافها بالحافها واسرافها فى اسفافها وانكماشها على معاشها وانتعاشها عند هراشها وقد بذل لها من الصداق شلاقا وعكازا وصقاعا وكرازا فأنكحوه انكاح مثله وصلوا حبلكم بحبله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم وأسأله أن يكثر فى المصاطب نسلكم ويحرس من المعاطب شملكم

قوله ومن فسر فى الآية الخ فى الكشاف والذى يحكى عن الشافعى رحمه الله انه فسر أن لا تعولوا أن لا تكثر عيالكم فوجهه أن يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولهم مانهم يمونهم اذا أنفق عليهم لان من كثر عياله لزمه أن يعولهم وفى ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من أعلام العلم وأئمة الشرع ورؤس المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة والسداد وان لا يظن به تحريف

الصابى بأمر معز الدولة لمحمد بن فريعة الطفيلى ببغداد وقد استخلفه على التطفيل فان هذا العهد
يوافق خطبة المقامة فى كثير من اغراضها وذلك عهد عهده محمد بن عبد الرحمن الى الفضل بن
النعمان حين استخلفه على سنته واستنابه على حياطة رسومه وسنته من التطفيل على أهل
مدينة السلام وما يتصل بها من أرباضها وأكنافها وما يجرى معها من سوادها وبياضها وأطرافها
لما توسمه فيه من قلة الحياء وشدة اللقاء وكثرة اللقم وجودة الهضم وأمره أن يتوسم اسم
التطفيل ومعناه ويعرف مغزاه ومنحاه ويتصفحه تصفح الباحث عن حظه بمجهوده غير القائل
فيه بتسليمه وتقليده فان كثيرا من الناس قد نسب صاحبه للشره والنهم وحمله على الجشع والقرم
فمنهم من غلط فى استدلاله فأساء فى مقاله ومنهم من شح بماله فدفع عنه باحتياله وكلا الفريقين
مذموم وجميعهما مليم ملوم لا يتعلقان بعذر واضح ولا يتعريان من لباس فاضح وقد عرفت
يا أخى بالتطفيل ولا عار فيه عند ذوى التحصيل لان التطفيل مشتق من الطفل وهو وقت المساء
وأوان العشاء فلما كثر استعمل فى صدر النهار وعجزه وأوله وآخره كما قيل القمران للشمس
والقمر وكما قيل العمران لابى بكر وعمر وأمره أن يعتمد موائد الكبراء والعظماء بعراياه
ويبسط الامر بسراياه فانه يظفر من ارادته بالغنيمة الباردة ويصل بها الى الغريبة الشاردة
فيجد بها من طرائف الالوان الملذذة للسان وبدائع الطعوم السائغة فى الحلقوم ما لا يجده
عند غيرهم ولا يناله الا لديهم لحذق صناعتهم وجودة أدواتهم وخصب ناديهم وكثرة ذات
أيديهم والله يوفر من ذلك حظنا ويسدد نحوه لحظنا ويوضح عليه دليلنا ويسهل اليه سبيلنا
وأمره أن يجتلب التكرمة ممن يحصل منهم وده ويستدعى بالتلطف نائله ورفده وكثيرا ما يتفق
ذلك للمداخلين ويتيسر للمتوصلين وأمره أن يصادق قهارمة الدور ومدبريها ويرافق وكلاء
المطابخ ومدبريها فانهم يملكون من أصحابهم أزمة مطاعمهم ومشاربهم وأمره أن يتعهد أسواق
المتسوقين ومواسم المتبايعين فاذا رأى وظيفة قد زيد فيها أو أطعمة قد احتشد منها اتبعها الى
القصد بها وشيعها الى المنزل الحاوى لها واستعلم ميقات الدعوة ومن يحضرها من أهل اليسار
والثروة وأمره أن يجتنب مجامع العوام المقلين ومحافل الرعاع المقترين وأن لا ينقل اليها قدما
ولا يفغر لما كلها فما فانها عصابة تجتمع على مضض النفوس والاحوال وقلة الاحلام والاموال
وفى التطفيل عليها اجحاف بها يؤلم وازراء بمروأة التطفيل يثلم وأمره أن يحوز الخوان اذا حصل
والطعام اذا نقل حتى يعرف بالحدس والتخمين عدد الالوان فى الكثرة والقلة وافتنانها فى الطيب
واللذة فيقدر لنفسه أن يشبع مع آخرها وينتهى عند انتهائها فلا يفوته نصيب من كثيرها وقليلها
ولا يخطئه الحظ من دقيقها وجليلها ومتى أحس بنقلة الطعام وحره أمعن فى أوله امعان الكيس
فى سعيه والرشيد فى أمره فانه اذا فعل ذلك سلم من عواقب الاغمار الذين يكفون طرفا ويقلون تأدبا
ويظنون أن المائدة تبلغهم الى آخر حاجتهم وتنتهى بهم الى حد غايتهم فلا يلبثون أن يخجلوا خجلة
الوامق الراغب وينقلبوا بحسرة الراهق الخائب وأمره ان يروض نفسه ويغالط حسه ويضرب
عن كثير مما يلحقه صفحا ويطوى دونه كشحا ويستحسن الصمم عن الفحشاء ويغمض
عن اللقمة الخشناء وان أتته الوكزة فى حلقه صبر عليها لاجل الوصول الى حقه وان وقعت
الصفعة فى رأسه عض عليها بواقع أضراسه وان لقيه لاق بالجفاء قابله باللطف والصفاء
اذا كان ولج الابواب وخالط الاصحاب وجلس مع الحضور واختلط بالجمهور فلا بد أن يلقاه
المنكر لامره ويعربه المستغرب لوجهه فان كان حرا حسنا أمسك وتذمم وان كان فظا غليظا
وهمهم وتكلم وان يستعمل مع المخاطب له الملاينة وأن يجتنب عند ذلك المخاشنة ليرد غيظه
ويفل حده ويكف غربه ويأمن سعيه وأمره أن يتعهد الجوارشات المعدة للعدد

= تعيلوا الى تعولوا فقد روى عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من فى أخيك سوأ وأنت تجد لها فى الخير محملا وكفى بكتابنا المترجم بكتاب شافى العى من كلام الشافعى شاهدا بأنه كان أعلى كعبا وأطول باعا فى علم كلام العرب من أن يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا وأساليب فسلك فى تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات اه نقله مصححه

والمقوية للمعد المشهية للطعام المسهلة سبيل الانهضام وأن يكون اتخاذها كالكاتب الذى يخط أقلامه والفارس الذى يصقل حسامه وأمره اذا غشى أبواب الملوك أهل السلطان أن يصانع البواب والحجاب ويخدم القواد والكتاب فاذا دخل السواد الاعظم توسط الجمع لا يتأخر ولا يتقدم بعد أن يجمل ثيابه ويحسن كلامه وجوابه فطعام الامراء تدعى اليه الحفلاء احتفالا و يتكفل بالوفود على العموم اكتفالا فهذا العهد مطابق لاحوال هذه المقامة * ومما يتصل بخطبة المقامة من الخطب الهزلية ما حدثوا أن رجلا خطب الى قوم وجاء يخطب فاستفتح خطبة النكاح بحمد الله فأطال ثم ذكر خلق السموات والارض واقتصر ثم ذكر القرون حتى ضجر من حضر ثم التفت الى الخاطب فقال ما اسمك أعزك الله فقال والله قد نسيت اسمى من طول خطبتك وهى طالق ثلاثا ان تزوجتها بهذه الخطبة فضحك القوم وعقد واله فى مجلس آخر * أنكح خالد بن صفوان عبده أمته فقال له العبد لو دعوت الناس نخطبت قال ادعهم أنت فدعاهم فلما اجتمعوا تكلم خالد فقال ان الله أعظم وأجل من أن يذكر فى نكاح هذين الكلبين وأنا أشهدكم أنى قد زوجت هذه الزانية من هذا ابن الزانية * خطب مصعب بن حيان خطبة نكاح فحصر فقال لقنوا موتاكم لا اله الا الله فقالت له الجارية عجل الله موتك ألهذا دعوناك * خطب ثقيل فى تزويج فأطال فقام واحد من القوم وقال اذا فرغ الثقيل بارك الله لكم فان على شغلا أريد المبادرة فيه وخطب رجل امرأة فجعل يخطب و ينعظ فضرب رأس ذكره بيده وقال مه اليك يساق الحديث (قوله أبرم) أى أحكم وشدد و (الختن) ولى الزوجة مثل الاب والاخ وابن العم فهم الاختان وكل شئ من قبل الزوج فهم الاحماء واحدهم حما مثل قفا وحمو مثل أبو وحم مثل دم والاصهار تجمعهما و (الخطبة) مراسلة المرأة للزواج و (النثار) ما نثر عليه من الدراهم وقد نثرت الشئ نثرا اذا رميت به متفرقا وأصحاب الزوج تدخلهم حمية عند ذلك فينثر كل واحد منهم من الدراهم ما أمكنه فتجمع و يشترى منها أنواع الاطعمة ولذلك قال (أغرى الشحيح بالايثار) أى حرضه على أن يتكرم و (استغرق) جاوز وحدث ابن قتيبة عن أبى عثمان قال مررت بمحضر قد اجتمع فيه خلق كثيرون فسألت بعضهم ما جمعهم فقال هذا سيد الحى تزوج مناقتاة فتكلم الشيخ فقال الحمد لله وصلى الله على رسول الله اما بعد فان الله جعل المناكحة التى رضيها فعلا وأنزلها وحيا سبب المناسلة وان فلانا ذكر فلانة وبذل لها من الصداق كذا وقد زوجته اياها وأوصيته بوصية الله فيها ثم قال هاتوا نثاركم فقلبت على رؤسنا غرائر التمر (قوله ذلاذله) أى أطراف ثوبه والذلذل ما يلى الارض من أسفل القميص (أراذله) جمع أرذل وهو الدنى والرذل والمرذل والرذيل الدون و (العرجة) التعريج و يقال ما لى فيه عرجة ولا تعريج أى اقامة و (بهجة الشئ) حسنه ونضارته و (عاج) مال و (السماط) كل مستو على نسق وصف الناس سماط وأراد به المائدة و (الطهاة) الطباخون من الناس (تناصفت) اعتدلت وانصف كل جزء منها صاحبه والتناصف اعتدال الحسن (ربع) جلس يقال ربعت بالمكان أقمت وربعت الحجر رفعته باليد لا نظر شدتى وربع وقف وتحبس (ربضته) موضعه الذى يقعد فيه والربضة القطعة الغليظة من الثريد (يرتع) يأكل وفلان يرتع أى هو مخصب لا يعدم شيأ يريده (الروضة) موضع العشب وأراد بها ما بين أيديهم من الطعام (الزحف) الضرب والوثوب الى الشر وأراد انه لما جلس كل انسان أن يأكل خشى هو ان جلس للاكل أن يغرم ويشتهر بأنه طفيلى فيحتاج أن يتدافع وان يتواثب مع صاحب الحانوت فى ثمن ما أكل ففر من ذلك والزحف مشى الاعمى (لفتة) نظرة بالتواء كانه يلوى عنقه فينظر والفت اليه لفتا والتفت صرف وجهه اليه و (هجم) دخل عليه بغتة (برم) بخيل وهو الذى لا يدخل مع القوم فيما دخلوا فيه من المغرم (والمعاشرة) ترك المخالفة فى الصحبة (طباقا) جمع طبق أى هى طبق فوق طبق يعنى السماء (وطبقها) ملأها وعمها يقال طبق الغيم تطبيقا اذا أصاب بمطره جميع الارض (اشراقا)

(ذكر خطبه هزليه فى النكاح)

فلما فرغ الشيخ من خطبته وأبرم للختن عقد خطبته تساقط من النثار ما استغرق حد الاكثار وأغرى الشحيح بالايثار ثم نهض الشيخ يسحب ذلاذله ويقدم أراذله (قال الحرث بن همام) فتبعته لانظر عرجة القوم وأكمل بهجة اليوم فعاج بهم الى سماط زينته طهاته وتناصفت فى الحسن جهاته فحين ربع كل شخص فى ربضته وطفق يرتع فى روضته انسللت من الصف وفررت من الزحف فحانت من الشيخ لفتة الى ونظرة هجم بها طرفه على فقال الى أين يابرم هلا عاشرت معاشرة من فيه كرم فقلت والذى خلقها طباقا وطبقها اشراقا

نوراوضوأ (لماقا) الاصمعى رحمه الله هومايشرب فان أردت نفيه قلت ماذقت لماقا وأنشد

كبرق لاح يعجب من رآه * ولا يشفى الحوائم من لماق

الحوائم العطاش وحكى يعقوب أن اللماق يصلح فى الاكل والشرب قال ابن كيسان هو الشئ اليسير من الطعام والشراب (لست رقاقا) أكلت خبزا مرققا واللوس تتبع بقية الشئ الحلو فى فك * ان سيده لاس لوسا تتبع الحلاوة فأكلها وماذاق لوساولا لواسا أى ذواقا ولا يلوس كذا أى لا يتناوله (أو تخبرنى) حتى تخبرنى (أين مدب صبالك) يريد أين ولدت فدببت صغيرا (مهب صبالك) مجئ ريحك وأراد أين بلدك (الصعداء) التنفس بتوجع وهى من فعل المهموم (استنزف الدمع) استفرغه بالبكاء حتى انقطع ونزف وأنزفه أفناه بالبكاء (استنصت) أمرهم بالسكوت (مسقط الرأس) يريد الموضع الذى سقط فيه رأسه عند ماولد (أموج) أتصرف وأتحرك والمائج المضطرب (بروج) يتجعل (وردها) ماؤها (السلسبيل) عين فى الجنة والسلسبيل الخمرو (المروج) المواضع الخصبة (مغانيهم) منازلهم و (البروج) منازل القمر وأراد أنهم فى الحسن والرفعة كالنجوم وأن دورهم فى العلو والاستواء كالبروج وسبقه الحلوانى القيروانى الى هذا التشبيه فقال يتشوق الى القيروان بعد خرابها

ليت شعرى وليت حرف تمن * ربما عال الفؤاد السقيما
كيف ياقيروان حالك لما * نثر البين سلكك المنظوما
كنت أم البلاد شرقا وغربا * فمحا الدهر وشيك المرقوما
نحن أولادها ولكن عققنا * بعدان لم نطق بها أن نقيما
دمن كانت البروج وكنا * أقرافى بنائها ونجوما

وقال السرى يتشوق الى الموصل وكان بحلب

أمحل صبوتنا دعاء مشوق * يرتاح منك الى الهوى الموموق
فمتى أزورقباب مشرفة الذرا * فأدور بين النسروالعيوق
فأرى الصوامع فى غوارب أكمها * مثل الهوادج فى غوارب نوق
مجمرة الجدران ينفح طيبها * فكأنما مبنية بخلوق
حمرتلوح خلالها بيض كما * فصلت بالكافور بين عقيق
كانت تذكر قبل ناهية النهى * ظلين ظل هوى وظل حديق
فتفرقت عبراته فى خده * اذلا مجير له من التفريق

وقال الثعالبى ماتظرت الى الصوامع مذبرزت من نيسابور الاذكرت بيته فارى الصوامع واستأنفت العجب من حسن هذا التشبيه وبراعته (قوله نفحة رياها) أى حركة رائحتها الطيبة (مرآها البهيج) منظرها الحسن (وأزاهير رباها) أنوار كداها وهى جمع أزهار وأزهار جمع زهر وهو النور (تجاب) تزول * ثم قال سروج هى الموضع الذى أرست به جنة الدنيا أى ثبتت فيه فكأنه قال جنة الدنيا هى سروج وسروج هذه بلد بقرى وعمارات وهى من بلاد الجزيرة وكورها المشهورة والجزيرة انقسمت قسمين ديار ربيعة وديار مضر وسروج من كورديار مضر وهى ثغرية اذا كان للمسلمين قوة يملكونها واذا ضعفوا غلبهم الروم عليها وهى كثيرة الثلج والبرد (قوله ينزاح) يبعد (النشيج) البكاء (والزفرة) تنفس المهموم (زحزحنى) نحانى (تهمى) تسيل (شجو) حزن (فر) سكن (يهيج) يتحرك (خطبها) أمرها (مريج) مختلط (مساع) مواضع تصرفه ويكون المسعى مصدرا بمعنى السعى (قاصرات) أى قصيرة وكذا استعمالها الان فعلها قصر واسم فاعلها فعيل مثل ظرف فهو ظريف (الخطو) جمع خطوة (عوج) معوجة (يومى حم) أى يوم موتى قدر أراد ليت انى مت ولا أرى خروجى منها * أنس رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يتمنين أحدكم الموت لضرنزل به فان كان

لاذقت لماقا ولالست رقاقا أو تخبرنى أين مدب صبالك ومن أين مهب صبالك فتنفس الصعداء مرارا وأرسل البكاء مدرارا حتى اذا استنزف الدمع استنصت الجمع وقال لى أرعنى السمع

مسقط الرأس سروج
وبها كنت أموج
بلدة يوجد فيها
كل شئ ويروج
وردها من سلسبيل
وصحاريها مروج
وبنوها ومغانيهم
نجوم وبروج
حبذا نفحة رياها
ومرآها البهيج
وأزاهير رباها
حين تجاب الثلوج
من رآها قال مرسى
جنة الدنيا سروج
ولمن ينزاح عنها
زفرات ونشيج
مثل مالاقيت مذزحزحنى عنها العلوج
عبرة تهمى وشجو
كلما قر يهيج
وهموم كل يوم
خطبها خطب مريج
ومساع فى الترجى
قاصرات الخطو عوج
ليت يومى حم لما
حم لى منها الخروج

لابدّ فاعلا فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي *جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تمنوا الموت فان هول المطلع شديد وان من السعادة أن يطول عمر العبد وان يرزقه الله الانابة وفي معنى وصفه سروج وبكائه عليها قال الحضرمي الاعمى يتشوق الى القيروان

أيا سقى الله ارض القيروان حيا * كأنه عبراتي المستهلات
كأنها لذة الجنات تربتها * مسكية وحصاها جوهريات
أرض أريضة أقطار مباركة * لله فيها راهبين وآيات

وحدثني الفقيه أبو عبد الله بن زرقون في بستانه بطريانة أيام قراءتي عليه النوادر والكامل وكان رحمه الله ذاكرا بالطريقة الادبية مع تميزه بالطريقة الفقهية فدارت بيني وبينه في احدى العشيات أنواع من المذاكرات في فنون ادبيات فاهتز رحمه الله وهش وأظهر السرور بي وأنا يومئذ غلام ما بقل عذاري فقال لقد علمت أن بيني وبينك اخوة قلت وكيف ذاك ياسيدي فقال اني ولدت ببلدك شريش فزدت بالحديث غبطة واستزدت منه فقال لي ومع ذلك فثم قصة مستظرفة اعلم اني كنت اجتزت بشريش قافلا من العدوة مع الفقيه أبي بكر عبد الله بن العربي رحمه الله فلما صرنا في بطاحها وبين كرماتها وجنانها أخذ الفقيه أبو بكر يثني عليها بكل لسان على كثرة ما رأى من البلدان ويقول ان الاشياء التي جمعت فيها لا تكاد تجتمع في بلدة من كثرة الزرع والضرع والزيت والعصير والملح وغير ذلك فقلت له أعلمت أني ولدت بها فقال لي أبو بكر أتقول أنت الآن

*مسقط الرأس شريش*فقلت له مجيزا* وبها كنت أعيش *
فقال أبو بكر * بلدة يوجد فيها * فقلت * كل شئ ويريش *
فقال أبو بكر * وردها من سلسبيل * فقلت * وصحاريها عريش *

ثم سرنا في طريقنا على قوافي السروجية فوردناها شريشية وقطعنا بها الطريق ونحن لا نشعر فكانت أسرع عشية رأيت بمجالسة مثل هذا الفاضل وسنه قد نيف على الثمانين بسنتين يحدثني عن ابن العربي وابن عبدون الكاتب ونظرائهم في رياض كالها نزهة على نهر اشبيلية وهي أمامنا على بهجتها وجمالها ما دحالي ولبلدي ليدخل علي بذلك مسرة نسأل الله تعالى أن يبلغه غاية السرور في دار البقاء (قوله وعيت) أي حفظت (علامتنا) عالمنا المشهور بالعلم (أوثقه) ربطه وشده وقد تقدم هذا القبيل من الهرم في اخبار واشعار حسان (مصافحته) معانقته ووضع كفي على كفه * ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرئ يصافح أخاه ليس في صدر واحد منهما على أخيه احنة لم تتفرق أيديهما حتى يغفر الله عز وجل ما مضى من ذنوبهما الاحنة الحقد (اغتنمت) حسبتها غنيمة (مؤاكلته) الاكل معه *ابن عمر رضي الله عنهما طعام السخي دواء وطعام الشحيح داء (ظلت) أي دمت قال الله تعالى الذي ظلت عليه عاكفا أي دمت عليه مقيما قال سيبويه رحمه الله أصله ظللت الليث يقال ظل نهاره صائما ولا تقول العرب ظل الا لكل عمل بالنهار كما لا تقول بات الا للعمل بالليل (أعشو) أنظر ببصر ضعيف (شواظه) ناره والشواظ لهب النار الذي لا دخان فيه (صدفتي) اذني (نعب) صاح (البين) الفراق والغراب اذا صاح عندهم تشاءموا به وقد تقدم ذلك (مفارقة الجفن للعين) أي مسرعا بقدر ما تفتح عينك

(شرح المقامة الحادية والثلاثين وهي الرملية)

(عنفوان وريعان) معناهما أول و(اللباب) الخالص (أقلي) أبغض (الاكتنان) الاستتار والاقامة في الكن و(الغاب) الشجر الملتف وهو بيت الاسد وأراد به بلدته وانه كان يكره الاقامة بها ويحب السفر (أهوى) احب (الاندلاق) الخروج بسرعة وسهولة و(القراب) وعاء يجعل فيه

قال فلما بين بلده ووعيت ما أنشده أيقنت أنه علامتنا أبو زيد وان كان الهرم قد أوثقه بقيد فبادرت الى مصافحته واغتنمت مؤاكلته من محفته وظلت مدة مقامي بمصر أعشو الى شواظه وأحشو صدفتي من درر ألفاظه الى أن نعب بيننا غراب البين ففارقته مفارقة الجفن للعين

المقامة الحادية والثلاثون الرملية

(حكى الحرث بن همام) قال كنت في عنفوان الشباب وريعان العيش اللباب أقلي الاكتنان بالغاب وأهوى الاندلاق من القراب لعلمي

السيف وهو غمده (السفر) جمع سفرة وهي التي يجعل فيها الخبز ويضم عليها بحلق وتستعمل في السفر (ينفح) يكثر أي تكثر المأكولات في السفر فتنفح به (ينتج) يولد (الظفر) الفوز بالحاجة (معاقرة الوطن) ملازمة بلد الانسان (تعقر الفطن) تميت القلوب وتبلد الاذهان (قطن) سكن وأقام فيريد أن الاقامة في بلد الانسان تحقر شأنه وتبلد خاطره قال الشاعر

أنفق من الصبر الجميل فانه * لم يخش فقرا منفق من صبره
والمرء ليس ببالغ في أرضه * كالصقر ليس بصائد في وكره

وأنشد الفنجديهي

نقل ركابك في الفلا * ودع العوالي والقصور
فمحالفو أوطانهم * أشباه سكان القبور
لولا التغرب ما ارتقى * در البحور الى النحور

أن السفر ينفح السفر وينتج الظفر ومعاقرة الوطن تعقر الفطن وتحقر من قطن

وقالوا من لم يصاحب البر والفاجر ولم يؤدبه الرخاء مرة والشدة أخرى ولم يخرج من الظل الى الشمس فلا ترجه وتقدم مثل هذا في التاسعة وقال أبو العباس الاعمى

مللت حمص وملتني فلو نطقت * كما نطقت تلاحينا على قدر
وسولت لي نفسي أن أفارقها * والماء في المزن أصفى منه في الغدر
أما اشتفت مني الايام في وطني * حتى تضايق بي ما عز من وطري
ولا قضت من سواد العين حاجتها * حتى تكر على ما كان في السفر

﴿وقال البحتري﴾

وليس اغترابي من سجستان انني * عدمت بها الاخوان والدار والاهلا
ولكنني مالي بها من مشاكل * وان الغريب الفرد من يعدم الشكلا

﴿ولابي الفتح البستي عفا الله عنه﴾

ما أنصفت بغداد حين توحشت * لنزيلها وهي المحل الآنس
لم يرع لي حق القرابة مجتر * فيها ولا حق المروءة فارس

وتعقب عليه المعري في هذا فقال في أبي القاسم علي بن الحسن التنوخي القاضي

ذم الوليد ولم أذمم جواركم * فقال ما أنصفت بغداد حينا
فان لقيت وليدا والنوى قذف * يوم القيامة لم أعدمه تبكيتا
أحسنت ما شئت في تأنيس مغترب * ولو بلغت المدى أحسنت ما شينا

﴿وقال أبو الفتح البستي﴾

وما غربة الانسان في شقة النوى * ولكنها والله في عدم الشكل
واني غريب بين بست وأهلها * وان كان فيها أسرتي وبها أهلي

(ولابي بكر بن تقي)

أقمت فيكم على الاقتار والعدم * لو كنت حرا أبي النفس لم أقم
فلا حديقتكم يجنى لها ثمر * ولا سماؤكم تنهل بالديم
أنا امرؤ ان نبت بي أرض أندلس * جئت العراق فقامت لي على قدم
ما العيش بالعلم الا حالة ضعفت * وحرفة وكلت بالقعدد الهرم

(وللفقيه أبي محمد بن حزم)

ولي حول أكناف العراق صبابة * ولا غرو أن يستوحش الكلف الصب
فان ينزل الرحمن رحلي بينهم * فحينئذ يبدو التأسف والكرب

هنالك يدري أن للبعد قصة * وان كساد العلم آفته القرب

(قوله أجلت) أي صرفت (قداح) سهام (الاستشارة) مشاورة غيره في رأيه واجالة القداح تأتي في الثالثة والاربعين واستعارها لمن يستشيره في أمر السفر قدا حاوان وافق رأيه فكأنه خرج له على السهم افعل وان خالفه فكأنه خرج عليه لا تفعل (اقتدحت) ضربت (زناد) ما يكون فيه النار (الاستخارة) طلب الخيرة من الله تعالى (استجشت) حركت (جأشا) نفسا وهي في سكونها عن السفر كالحجر فلا تتحرك للسفر (أصعدت) طلعت (خبت) أتت (الرملة) بلدة بالشام سمتها العرب بالرملة لما غلب عليها الرمل وهي من كورة فلسطين بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلا وكانت لد مدينة فلسطين القديمة فلما ولي الخلافة سليمان بن عبد الملك ابتنى مدينة الرملة وخرب لد ونقل أهل لد اليها فصارت الرملة مدينة فلسطين (ألقيت) تركت (الرحلة) الارتحال وكنى بالقاء العصا عن الاقامة بعد أن تهيأ (أم القرى) مكة وكانوا ينازلون ذكر مكة لشهرتها ثم وجد ناشيخنا ابن جبير قد ذكر فيها أشياء قل من يضبطها فأثبتنا ها اعلاما لمن أحب استطلاعها وتبركا بذكر البيت الشريف أعزه الله تعالى * قال شيخنا مكة بلدة قد وضعها الله تعالى بين جبال محدقة بها وهي في بطن واد مدينة كبيرة مستطيلة لها ثلاثة أبواب باب المعلاة يخرج منه الى الجبانة بالموضع الذي يعرف بالحجون عن يسار المار اليها جبل في أعلاه ثنية عليها علم يشبه البرج يخرج منها الى العمرة وتعرف الثنية بكداء وهي التي جعلها حسان موعد خيل الاسلام في قوله * تثير النقع موعدها كداء * ومنها دخلت مكة يوم الفتح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخلوها من حيث قال حسان والحجون هو الذي قال فيه الحرث بن مضاض

(ذكر مكة شرفها الله تعالى)

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وعن يسار المار اليها جبل وفي جبانة الحجون مدفن جماعة من الصحابة دثرت اليوم قبورهم وفيها بقية علم الظاهر وهو موضع خشبة عبد الله بن الزبير كان في موضعه بناء مرتفع فهدمه أهل الطائف غيرة منهم على لعنة الحجاج صاحبهم وعن يمينك اذا استقبلت الجبانة مسجد في مسيل بين جبلين وهو الذي بايعت الجن فيه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى باب الحجون طريق الطائف والعراق والصعود الى عرفات والباب بين الشرق والشمال مائلا الى الشرق الباب الثاني باب السفلي الى جهة الجنوب عليه طريق اليمن ومنه دخل خالد بن الوليد يوم الفتح الباب الثالث باب العمرة يعرف بالباب الزاهر عليه طريق المدينة والشأم وجدة وهو غربي ومنه يخرج الى التنعيم وهو على فرسخ من مكة وهو أقرب ميقات للمعتمرين وطريقه حسن فيه الآبار العذبة المسماة بالشبيكة وعلى ميل من مكة في طريق التنعيم يلفي مسجد بازائه حجر كالمصطبة يعلوه حجر آخر مسند فيه نقش دائر يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قعد عليه مستريحا عند مجيئه من العمرة فيمسح الناس خدودهم به تبركا وبعده بغلوة على يسار الطريق قبر أبي لهب وامرأته قد علاهما جبلان عظيمان من الحجر لرجم الناس على قديم الدهر وعلى قدر ميل يلفي الزاهر وهو مبني على جانبي الطريق يحتوي على دار وبساتين لاحد المكيين وفيه مكان مستطيل عليه كيزان الماء ومراكن مملوأة وهي القصارى للشرب والطهور وفيه منفعة كبيرة للمعتمرين وعلى جانبي الطريق في الزاهر أربعة أجبال جبلان من هنا وجبلان من هنا يذكر أنها التي جعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام أجزاء الطير عليها ثم دعاها عند قوله رب أرني كيف تحيي الموتى وعند ما جازتك بالزاهر تمر بالوادي المعروف بذي طوى كان ابن عمر رضي الله عنهما يغتسل فيه عند دخوله مكة وفيه نزل النبي عليه الصلاة والسلام عند دخوله وفيه مسجد ابراهيم عليه الصلاة والسلام وفيه آبار تعرف بالشبيكة ثم تخرج من الوادي الى أعلام وهي أحجار موضوعة بين الحل والحرم كالابراج المصفوفة فداخلها الى جهة مكة حرم والابراج واخذة من أعلى

فأجلت قداح الاستشارة واقتدحت زناد الاستخارة ثم استجشت جاشا أثبت من الحجارة وأصعدت الى ساحل الشام للتجارة فلما خبت بالرملة وألقيت بها عصا الرحلة صادفت بها ركابا تعد للسرى ورحالا تشد الى أم القرى

جبل

جبل يعترض عن يمين الطريق الى العمرة و ينشق الطريق الى جبل عن يساره وهما ميقات المعتمرين وخارجها بنحو غلوتين مسجد عائشة رضى الله عنها * ومن جبال مكة جبل أبي قبيس وهو على الحرم فى الجهة الشرقية يقال ان الحجر الاسود فى أعلاه مسجد عليه سطح يشرف على مكة و يظهر حسنها وحسن الحرم واتساعه وجمال الكعبة وهو مستودع الحجر الاسود زمن الطوفان حتى أداه الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام وفيه قبر آدم عليه السلام وهو أحد أخشبي مكة والاخشب الثاني المتصل بقعيقعان فى الجهة الغربية وفيه موقف النبي صلى الله عليه وسلم عند انشقاق القمر * ومن جبالها حراء على مقدار فرسخ ومشرف على منى وهو مرتفع فى الهواء كان متعبد النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذى اهتز تحته فقال اسكن حرا فما عليك الا نبي وصديق وشهيدان لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما وفيه نزلت أول آية من القرآن وهو آخذ من الغرب الى الشمال وعلى طرفه الشمالى جبانة الجون المتقدمة * ومن جبالها جبل ثور وهو فى الجهة اليمانية على فرسخ أو أزيد وفيه الغار الذى أوى اليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى مقربة من الغار قبة جبريل وهي عمود منقطع من الجبال قد قام شبه الذراع المرتفعة مقدار نصف القامة وانبسط من أعلاه شبه الكف كأنه قبة مبسوطة يستظل تحتها نحو العشرين رجلا ومن مكة الى منى نحو خمسة أميال * ومنى مدينة عظيمة الآثار واسعة الاختطاط وقد خربت اليوم الا منازل يسيرة محدثة للنزول كان الطريق اليها الميدان اتساعا وانفساحا وأول ما يلقى المتوجه اليها بقربها مسجد البيعة التى عقدها العباس للنبي صلى الله عليه وسلم على الانصار ثم يفضى بها الى جمرة العقبة وهي أول منى وعليها مسجد وبها علم منصوب شبه أعلام الحرم المذكورة يجعله الرامى عن يمينه مستقبلا مكة ويرمي بها سبع حصيات يوم النحر اثر طلوع الشمس ثم ينحر أو يذبح ويحلق أو يقصر ومنى كلها منحر ويحل له كل الاشياء الا النساء وبعدها الجمرة الوسطى وبها أيضا علم وبين الجمرتين قدر غلوة وبعدها بقدار غلوة الجمرة الاولى التى ترمى وقت الزوال ثاني يوم النحر بسبع حصيات وفى الوسطى بسبع وفى جمرة العقبة بسبع فتلك احدى وعشرون حصاة ويفعل ذلك فى ثالث يوم النحر فتلك اثنتان وأربعون حصاة وسبع تقدمت يوم النحر فتكمل تسع وأربعون حصاة وفى اثر ذلك ينفض الحاج الى مكة وعند الجمرة الاولى يلي مجرى الذبيح عليه السلام وفى موضع المجرى حجر ملصق بجدار فيه أثر قدم صغيرة يقال انها أثر قدمه عند تحركه لان له الحجر اشفاقا فيقبله الناس و يلمسونه تبركا به * ومسجد الخيف آخر منى وهو متسع الساحة كأكبر ما يكون من الجوامع وصومعته فى رحبة المسجد وله فى القبلة أربع بلاطات وهو مسجد مشهور البركة ومن منى الى المزدلفة نحو خمسة أميال والمزدلفة تسمى المشعر الحرام وجمعا فلها ثلاثة أسماء ووادى محسر حد بين المزدلفة ومنى والمزدلفة بسيط من الارض فسيح حولها صهاريج للماء وفى وسط البسيط حلق فى وسطها قبة فى أعلاها مسجد يصعد اليه على أدراج من جهتين يزدحم الناس عليه للصلاة فيه عند مبيتهم بها وبين المزدلفة وعرفات أزيد من خمسة أميال وعرفات بسيط من الارض مد البصر لو حشر الخلائق فيه لوسعهم تحدق به جبال كثيرة وفى آخر البسيط جبل الرحمة وهو موقف الناس والعلمان قبله فما أمامهما الى عرفات حل وما دونهما حرم وجبل الرحمة منقطع عن الجبال قائم فى البسيط فهو كله حجارة وكان صعب المرتقى فأحدثوا فيه من أربع جهاته أدراجا وطيئة يصعد فيها بالدواب الموقرة وفى أعلاه قبة تنسب لام سلمة رضى الله عنها وفى وسطها مسجد يحدق به سطح فسيح الساحة جميل المنظر يزدحم الناس عليه للصلاة فيه فيشرف منه على بسيط عرفات وفى أسفله عن يسار القبلة دار عتيقة البنيان فيها غرف لها طيقان تنسب الى آدم عليه الصلاة والسلام وعن يسارها مسجد صغير وبقربه من العلمين مسجد ابراهيم عليه الصلاة والسلام بقي منه الجدار القبلى يخطب فيه الخطيب يوم الوقفة ثم يجمع بين الظهر

والعصر ثم يقف الناس بعد جمعهم الظهر والعصر باكين داعين متضرعين حتى يغيب قرص الشمس ثم يدفع الامام المالكي بالناس بالتفرد فعا ترتج منه الجبال فيصلون بمزدلفة المغرب والعشاء الآخرة فيبيتون بها والدنيا كلها شموع مسرجة فاذا صلوا الصبح غدوة النحر وقفوا داعين ومزدلفة كلها موقف الا وادى محسر فان فيه تقع الهرولة الى منى فاذا بلغوا منى رموا بها جمرة العقبة ثم ينفر الناس الى البيت المكرم الى طواف الافاضة وهو كمال الحج * وأما البيت المكرم فهو قريب من التربيع له أربعة أركان ركن ينظر الى الشرق وفيه الحجر الاسود ومنه ابتداء الطواف ويبعد الطائف عنه قليلا والبيت عن يساره ثم يلقى بعد ذلك فى طوافه الركن العراقى وهو ناظر الى الشمال ثم الركن الشامى وهو ناظر الى المغرب ثم الركن اليمانى وهو ناظر الى الجنوب ثم يعود الى الركن الحجر الاسود وذلك شوط واحد وباب البيت فى الصفح الذى بين ركن الحجر والركن العراقى وهو قريب من الحجر بعشرة أشبار وما بين الحجر والباب يسمى الملتزم وهو موضع استجابة الدعاء ويرتفع الباب من الارض أحد عشر شبرا ونصفا والباب من فضة مذهب بديع الصنعة يستوقف الابصار حسنا وعضادتاه كذلك وعتبته العليا كذلك وعلى رأسها لوح ذهب خالص ابريز فى سعة نحو شبرين وله نقاراتا فضة كبيرتان يتعلق عليهما قفل الباب والباب ناظر الى الشرق وسعته ثمانية أشبار وطوله ثلاثة عشر شبرا وغلظ الحائط الذى ينطوى عليه الباب خمسة أشبار وداخل البيت مفروش بالرخام المجزع وحيطانه كلها رخام مجزع قد قام على ثلاثة أعمدة من الساج مفرطة الطول بين كل عمود وعمود أربع خطا ودائر البيت كله من نصفه الاعلى مطلى بالفضة المذهبة يخيل اليك أنها صفيحة ذهب لغلظها بالجوانب الاربع وللبيت خمسة مضاو وعليها زجاج عراقى بديع النقش أدرجت فى وسط السقف ومع كل ركن مضوا ويلقى الداخل من الباب عن يساره ركن الحجر الاسود وباب الرحمة هو الذى يصعد عليه الى السطح والمقام حجر مغشى بالفضة ارتفاعه ثلاثة أشبار وسعته شبران اعلاه أوسع من أسفله وآثار القدمين والاصابع فيه صب لنا فيه ماء زمزم فشربناه منه ومن الباب الى الركن العراقى حوض طوله اثنا عشر شبرا وعرضه خمسة أشبار وارتفاعه شبر هو علامة موضع المقام وهو مصب ماء البيت وموضع المقام الذى يصلى فيه ما بين الباب والركن العراقى وموضع المقام قبة حديد موضوعة الى جانب قبة زمزم ترفع فى أشهر الحج وتزال قبة الخشب لانها أجعل لازدحام الناس ومن ركن الحجر الى الركن العراقى أربعة وخمسون شبرا ومن الحجر الاسود الى الارض ستة أشبار فالطويل يتطامن لتقبيله والقصير يتطاول له وموضع الطواف مفروش بحجارة مبسوطة كانها الرخام سود وحمر وبيض تتسع عن البيت مقدار تسع خطا وسائر الحرم مفروش برمل أبيض وطواف النساء فى آخر الحجارة المفروشة والحجر ستة أذرع وهو الذى تركته قريش من البيت وعليه جدار دوره تسع وعشرون خطوة وهى أربعة وسبعون شبرا من داخل الدويرة ودور جداره كله مجزع بديع الالصاق من الرخام وهو مفروش بالرخام المجزع البديع التفاريع والتقاطيع فرآه عجيب والحرم له ثلثمائة سوار من الرخام وذرع الحرم فى الطول أربعمائة ذراع وفى العرض ثلثمائة ذراع فتكسيره ثمانية وأربعون مرجعا وله تسع صوامع وتسعة عشر بابا أكثرها مفتح على الابواب منها باب الصفا وهو مفتح على خمسة أبواب وهو أكبرها وعليه يخرج الى السعى بين الصفا والمروة وللصفا أربع عشرة درجة وللمروة خمسة وما بين الصفا والمروة ميل وهو اليوم سوق جليل يجمع الفواكه وحوانيت الباعة يمين وشمال فلا يكاد الساعون يخلصون للسعى لكثرة الزحام وقبة بئر زمزم تقابل الحجر الاسود ومنها اليه أربع وعشرون خطوة وداخلها مفروش بالرخام الابيض وتنور البئر فى وسطها من رخام دوره أربعون شبرا وارتفاعه أربعة أشبار ونصف وغلظه شبر وعمقه احدى عشرة قامة وعمق الماء سبع وباب القبة ناظر الى الشرق ثم ذكر

فعصفت بى ريح الغرام واهتاج لى شوق الى البيت الحرام نبسذفزممت ناقتى ونبذت علقى وعلاقتى وقلت للائمى أقصر فانى سأختار المقام على المقام وأنفق ماجمعت بأرض جمع * وأسلو بالحطيم عن الحطام ثم (٩٥) انتظمت مع رفقة كنجوم الليل لهم فى السير جرية السيل والى الخير جرى الخيل فلم نزل بين ادلاج وتأويب وايجاف وتقريب الى أن حبتنا أيدى المطايا بالتحفة فى ايصالنا الى الجحفة فحللناها متأهبين للاحرام متباشرين بادراك المرام فلم يك الا أن أنخنا بها الركائب وحططنا الحقائب حتى طلع علينا من بين الهضاب شخص ضاحى الاهاب وهو ينادى يا أهل ذا النادى هلم الى ماينجى يوم التنادى فانخرط اليه الحجيج وانصلتوا واحتفوا به وأنصتوا فلما رأى تأثفهم حوله واستطعامهم قوله تسنم احدى الآكام ثم تنحنح مستفتحا للكلام وقال يامعشر الحجاج الناسلين من الفجاج أتعقلون ماتواجهون والى من تتوجهون أم تدرون على من تقدمون وعلام تقدمون أتخالون أن الحج هو اختيار الرواحل وقطع المراحل واتخاذ المحامل وايقار الزوامل أم تظنون أن النسك هو نضو الأردان وانضاء الابدان ومفارقة الولدان والتنائى عن البلدان كلا والله بل هو اجتناب الخطية قبل اجتلاب المطية. واخلاص النية فى قصد تلك البنية واخاض الطاعة عند وجدان الاستطاعة واصلاح المعاملات أمام اعمال اليعملات فوالذى شرع المناسك للناسك وأرشد السالك فى الليل الحالك ماينقى الاغتسال بالذوب من الانغماس فى الذنوب

فى البيت ومايتصل به من البئر من ذلك غرائب من صنع الرخام والنقوش وغير ذلك أشياء لايسع كتابنا ذكرها فلنقتصر على هذا القدر (قوله عصفت) تحركت واشتدت (الغرام) الشوق (اهتاج) تحرك (زممت) شددت زمامها (نبذت) رميت (علقى) مايتعلق به ويمسكه عن ارادته (علاقتى) مايتعلق بقلبى (أقصر) كف (المقام) مقام ابراهيم عليه السلام (المقام) الاقامة و(جمع) اسم المزدلفة سميت بذلك لاجتماع الناس فيها (الحطيم) حجر مكة (الحطام) كسب الدنيا (انتظمت) ارتفقت (كنجوم الليل) أى هم اشراف وأهل أحساب (جرية) انصباب (الادلاج) سير الليل (تأويب) سير النهار (ايجاف) اسراع (تقريب) جرى متقارب (حبتنا) أوصلتنا واعطتنا (التحفة) الهدية (ايصالنا) توصلنا (الجحفة) ميقات أهل الشأم ومصر والمغرب وبينها وبين البحر ثمانية أميال (حللناها) نزلنافيها (الاحرام) الدخول فى الحرم (متباشرين) يبشر بعضنا بعضا (بادراك المرام) بلوغ الحاجة (أنخنا الركائب) بركنا الابل بالارض (حططنا الحقائب) أنزلنا الاحمال عن ظهورها (الهضاب) الكدى واحدتها هضبة (ضاحى الاهاب) بارز الجلد أى ثوبه خلق لايستره (النادى) المنزل (هلم) أى أقبلوا (يوم التنادى) أى يوم البعث لاجتماع الناس فيه أولانه ينادى للحساب (انخرط) اندفع بسرعة (الحجيج) اسم لجماعة الحجاج (انصلتوا) خرجوا اليه مسرعين (احتفوا) استداروا (وانصتوا) سكتوا (تأثفهم) اجتماعهم وثبوتهم حتى صاروا له كالاثافى للقدر (استطعامهم قوله) استدعاءهم كلامه (تسنم) ارتفع عليها واصل تسنم ركب البعير و(الآكام) الكدى (الناسلين) المسرعين (الفجاج) الطرق و(تعقلون) تفهمون (تواجهون) تستقبلون بوجوهكم يريد البيت (الى من تتوجهون) تقصدون (الرواحل) الابل (المراحل) المواضع يرحل اليها وينزل فيها (المحامل) آلات من خشب يركب عليها واحدها محمل يقال ان الحجاج أول من أحدثها ولذلك قال الشاعر

أول عبد صنع المحاملا * أخزاه ربى عاجلا وآجلا

(قوله الزوامل) جمع زاملة وهى البعير وغيره من الدواب يحمل عليها الطعام وايقارها رفع الاوقار عليها وهى الاحمال والوقر الحمل (النسك) التعبد (نضو الاردان) تجريد المخيط من الثياب (التنائى) التباعد (اجتناب) بعد واجتنبته بعدت عنه وتركته (الخطية) الذنب يريد ان اول مايجب على الحجاج أن يقدموا التوبة و(البنية) هى الكعبة (امحاض) اخلاص (وجدان) اصابة (الاستطاعة) القدرة على الشئ وهى شرط وجوب الحج (المعاملات) الافعال التى يتعامل بها الناس بينهم من المبايعات وغيرها وأراد اصلاح فعل العبد بينه وبين ربه (اعمال اليعملات) استعمال الابل للمشى واليعملة الناقة تعمل كثيرا فى المشى (شرع) فرض (المناسك) مواضع الذبح والنحر و(الناسك) الذى يأتى بنسك وهو مايذبح أو ينحر فى الحرم (ارشد السالك) على الطريق للمشى فيها (الحالك) الشديد السواد (الذوب) الدلو (الانغماس) الغطس يريد أن التطهر لايزيل الذنوب وما أحسن قول الحلوانى فى غلام وسيم أراد النهوض للحج

ياطالب الحج وهو ذو صغر * عجلت فاستأنه الى الكبر
ان كنت تبغى مثوبة فعسى * تحمل لى قبلة الى الحجر
وان رميت الجمار فارم بها * كل فؤاد عليك لم يطر
فقال دعنى وزمزما فعسى * أغسل عن وجنتى دم البشر

ولا تعدل تعرية الاجرام بتعبية الاجرام (٩٦) ولا تغني لبسة الاحرام عن التلبس بالحرام ولا ينفع الاضطباع بالازار مع

الاضطلاع بالاوزار ولا يجدى التقرب بالحلق مع التقلب فى ظلم الخلق ولا يرحض التنسك فى التقصير درن التمسك بالتقصير ولا يسعد بعرفة غير أهل المعرفة ولا يزكو بالخيف من يرغب فى الحيف ولا يشهد المقام الامن استقام ولا يحظى بقبول الحجة من زاغ عن المحجة فرحم الله امرأ صفا قبل مسعاه الى الصفا وورد شريعة الرضا قبل شروعه على الاضا ونزع عن تلبيسه قبل نزع ملبوسه وفاض بمعروفه قبل الافاضة من تعريفه ثم رفع عقيرته بصوت أسمع الصم وكاد يزعزع الجبال الشم وأنشد

ما الحج سيرك تأويبا وادلاجا
ولا اعتيامك أجمالا وأحداجا
الحج أن تقصد البيت الحرام على
تجريدك الحج لا تقضى به حاجا
وتمتطى كاهل الانصاف متخذا
ردع الهوى هاديا والحق منهاجا
وأن تواسى ما أوتيت مقدرة
من كد كفا الى جدواك محتاجا
فهذه ان حوتها حجة كملت

(قوله تعدل) أى تقاوم وتساوى (الاجرام) الاجسام واحدها جرم (تعبية الاجرام) تحمل أعباء الذنوب (لبسة) هيئة اللباس (التلبس) التعلق والاختلاط (الاضطباع) الاشتمال والالتحاف واضطبع الرجل بثوبه اذا أدخله تحت عضده الايمن وألقاه على منكبه الايسر و(الاضطلاع) القيام بها و(الاوزار) أثقال الذنوب (يجدى) ينفع (يرحض) يغسل (التقصير) الاخذ من الشعر (درن) وسخ (التمسك) التعلق (التقصير) التضييع وترك الاجتهاد (عرفة) يوم من أيام الحج سميت بذلك لان آدم عليه السلام لما أهبط من الجنة نزل بالهند وحواء بجدة فالتقيا بعرفة فسمى موضع التقائهما ويوم التقائهما عرفة وقيل هى من العرف وهو الصبر ورجل عارف أى صابر فسمى الموضع عرفة لصبر الناس على القيام به للدعاء وقيل هى من العرف وهو الريح الطيبة لانها طيبة بنسبتها الى منى لما بمنى من أقذار الفروث والدماء لان بمنى ينحر الهدى (يزكو) يكون ناميا والزكاء النماء والصلاح و(الخيف) موضع بمكة سمى بالخيف وهو ما ارتفع من الارض عن موضع السيل وانحدر عن غلظ الجبل و(الحيف) الظلم (يحظى) يسعد ويظفر (زاغ) مال وخرج (المحجة) الطريق المستقيم (صفا) خلص قلبه (مسعاه) سعيه وجريه (الصفا) صخرة بمكة (ورد) دخل (شريعة الرضا) طريقة الخير والشريعة فى النهر والغدير الطريق يهبط عليه الى الماء وبه سميت شريعة الدين لانه طريق موصل الى الله تعالى فورد الشريعة دخل فيها ووصل الى الماء وشرعت الدواب فى الماء دخلت فيه (الاضا) الغدران (نزع) زال وكف (تلبيسه) تخليطه و(الافاضة) آخر الطواف (تعريفه) وقوفه بعرفة (عقيرته) كناية عن صوته (يزعزع) يحرك (الشم) المرتفعة (اعتيامك) اختيارك (أحداجا) جمع حدج وهو ما يجعل على ظهر البعير يركب عليه (حاجا) جمع حاجة (تمتطى) تركب (كاهل) مقدم الظهر (ردع) كف ورد (هاديا) دليلا (منهاجا) طريقا (تواسى) تعطى (جدواك) عطيتك (حوتها) جمعتها (اخداجا) نقصانا (المرائين) المظهرين الخير وهم على خلافه و(حسب) بمعنى يكفى (كدا) عجلة وشدة (الازعاج) ضد السكون والقرار وأزعجته لم تدعه يستقر (٣حرزا) تحصيلا وأحرزه جعله تحت حرز (ألجوه) أمكنوه من لجمه (العرض) ما يسب من الرجل أو يمدح (هاجى) شاتم وساب * ومما قيل فى الرياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء وقال صلى الله عليه وسلم لا رياء ولا سمعة من يسمع يسمع الله به وقال صلى الله عليه وسلم من أسر سريرة ألبسه الله رداءها ان خيرا فخير وان شرا فشر وقال من أصلح سريرته أصلح الله علانيته وقال الشاعر

واذا أظهرت شيأ حسنا * فليكن أحسن منه ما تسر
فمسر الخير موسوم به * ومسر الشر موسوم بشر

﴿وقال يحيى بن اكثم﴾

يقول لى القاضى معاذ مشاورا * وولى امرأ فيما يرى من ذوى الفضل
بعيشك ماذا تحسب المرء فاعلا * فقلت وماذا يفعل الذئب فى النحل
يدق خلاياها ويأكل شهدها * ويترك للزبال ما كان من فضل

وأنشد الفرزدق رئيس السوق محمود السجايا * يقصر عن مدائحه البليغ
نسميه بيحيى وهو ميت * كأن السليم هو اللديغ
يعاف الوردان ظمئت حشاه * وفى مال اليتيم له ولوغ

﴿وللابيض فى الفقهاء المرائين﴾

وان خلا الحج منها كان اخداجا
حسب المرائين غبنا أنهم غرسوا * وما جنوا ولقوا كدا وازعاجا
اهل
وأنهم حرموا أجرا ومحمدة * وألجوا عرضهم من عاب أو هاجى

٣ قوله حرزا كذا فى نسخ الشرح ونسخ المتن أجرا اه

أهل الرياء لبستم ناموسكم * كالذئب يدلج في الظلام العاتم
فلكتم الدنيا بمذهب مالك * وقسمتم الاموال بابن القاسم
وركبتم شهب البغال بأشهب * وبأصبغ صبغت لكم في العالم

وله في نحوه أيضا

قل للامام سنا الائمة مالك * نور العيون ونزهة الاسماع
لله درك من همام ماجد * قد كنت راعينا فنعم الراعي
فمضيت محمود النقيبة طاهرا * وتركتنا قنصا لشر سباع
أكلوا بك الدنيا وأنت بمعزل * طاوي الحشى متكفت الاضلاع
نشكوك ذنيا لم تزل بك برة * ماذا رفعت بها من الاوضاع

وفي الاسرائيليات جاءت عصفورة فوقفت على فخ فقالت له مالي أراك منحنيا قال لكثرة صلاتي انحنيت قالت فمالي أرى بادية عظامك قال لكثرة صيامي بدت عظامي قالت فما هذا الصوف عليك قال لزهادتي لبست الصوف قالت فما هذه الحبة في يدك قال قربان ان مر بي مسكين ناولته اياها قالت فاني مسكينة قال خذيها فقبضت على الحبة فاذا الفخ في عنقها فصاحت قعي قعي تفسيره لا غرني مراء بعدك أبدا قال الشاعر

نعوذ بالله من أناس * تشيخوا قبل أن يشيخوا
تقوسوا وانحنوا رياء * فاحذرهم انهم فخوخ

*وكان صائد يصيد العصافير في يوم بارد فكان يذبحها والدموع تسيل فقال عصفور لصاحبه لا بأس عليك من الرجل أما تراه يبكي فقال له الآخر لا تنظر دموعه وانظر ما تصنع يداه *ورأى بعضهم ثم هتك الله ستره فقال

بينا أنا في توبتي مقبلا * قد شبهوني بابن دواد
وقد جلت العلم مستظهرا * وحدثوا عني باسناد
اذ خطر الشيطان بي خطرة * نكست منها في أبي جاد

ابن دواد عابد بمكة *صلى رجل مراء فقيل له ما أحسن صلاتك قال ومع ذلك فاني صائم *وقال طاهر بن الحسين لابي عبد الله المروزي كم لك منذ نزلت العراق قال منذ عشرين سنة وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة قال يا أبا عبد الله سألناك عن مسئلة فأجبتنا عن مسئلتين *وأمر عمر لرجل بكيس فقال آخذ الخيط فقال عمر ضع الكيس *وكتب رجل عند الحسين كتابا فقال أتجعلني في حل من تراب الحائط فقال يا أخي بل ورعك لا يتكسر وأخبارهم كثيرة (قوله ابغ) أي اطلب (القرب) أفعال البر التي تقرب من الله تعالى واحدها قربة (ولا جاو خراجا) أي كيف تصرف فيها (داجي) ساتر العداوة ونافق (الحسنى) اسم للفعل الحسن وتكون الحسنى مؤنثة الاحسن فتلزمها اللام كالكبرى والاكبر وبابه وتكون الحسنى كالبشرى والرجعى (ينهنه) يزجر ويكف (فاجا) جاء بغتة ولبعضهم

وهل نحن الا رامي السهام * ويحفزها نابل دائب
طرائد تطلبنا النائبات * ولا بد أن يدرك الطالب
حبائل للدهر مبثوثة * بردائي جذبها الهارب

وقال آخر في معناه

تحاربنا جنود لا تجاري * ولا نلقى بأساد الحروب
تفوق اسهما عن ظهر غيب * وما اغراضها غير القلوب
فأني باحتراس من جنود * مؤيدة تمد من الغيوب

وقال ابن جبلة

وأرى الليالي ما طوت من شرتي * زادته في عظتي وفي افهامي
وعلمت ان المرء من سنن الردى * حيث الرمية من سهام الرامي

(قوله اقن) أي اكتسب والتزم (خلقا) طبيعة *وقال صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله

أخي فابغ بما تبديه من قرب وجه المهيمن ولا جاو خراجا
فليس تخفى على الرحمن خافية ان اخلص العبد في الطاعات أو داجا
وبادر الموت بالحسنى تقدمها فاينهنه داعي الموت ان فاجا
واقن التواضع خلقا لا تزايله عنك الليالي ولو البستك التاجا

وقالت الحكماء كل ذى نعمة محسود عليها الا المتواضع وقال عبد الملك أفضل الرجال من تواضع عن رفعة وعفا عن قدرة وأنصف عن قوة * وقال رجل لبكر بن عبد الله علمنى التواضع فقال له اذا رأيت من هو أكبر منك فقل سبقنى الى الاسلام والعمل الصالح فهو خير منى واذا رأيت من هو أصغر منك فقل سبقته الى الذنوب فهو خير منى وقال أبو العتاهية

يا من تشرف بالدنيا ولذتها * ليس التشرف رفع الطين بالطين
اذا رأيت شريف القوم كلهم * فانظر الى ملك فى زى مسكين

﴿وقال أبو الفتح البستى﴾

من شاء عيشا رغيدا يستفيد به * فى دينه ثم فى دنياه اقبالا
فلينظرن الى من فوقه أدبا * ولينظرن الى من دونه مالا

ولا تشم كل خال لاح بارقه
ولو تراءى هتون السكب ثجاجا
ما كل داع بأهل أن يصاخ له
كم قد أصم بنعى بعض من ناجى
وما اللبيب سوى من بات مقتنعا
ببلغة تدرج الايام ادراجا
فكل كثر الى قل مغبته
وكل ناز الى لين وان هاجا
(قال الراوى) فلما ألقح عقم الافهام بسحر الكلام استروحت ريح أبى زيد وماد بى الارتياح اليه أى ميد فمكثت حتى استوعب نث حكمته وانحدر من أكمته ثم دلفت اليه لأتصفح صفحات محياه وأستشف جوهر حلاه فاذا هو الضالة التى أنشدها وناظم القلائد اللاتى أنشدها فعانقته عناق اللام للالف

(قوله لا تشم) أى لا تنظر (خال) سحاب (لاح بارقه) ظهر برقه (تراءى) تظاهر (هتون) كثير الماء (السكب) الصب (ثجاجا) صبابا ثج الماء ثجا وثجته أنا (يصاخ) يسمع (أصم) كسب الصمم و(النعى) الخبر بالموت (ناجى) حدث (اللبيب) العاقل (بلغة) قوت يوم (تدرج) تطوى (كثر) كثرة (قل) قلة (مغبته) عاقبته وآخره (ناز) من نفع ونزا الفحل ينزو نزوا قفز على الانثى (لين) فتور (هاج) اضطرب ويروى وكل ناز الى لين وهو الصحيح أخذه من المثل فلان ينزو ويلين يقول لا تخدع عما يكون له ظهور فى ملبسه وهيئته فقد يخيب ظنك وتقل فائدته أو يكون مضر الانفاعا كما قد ينادى بك فتظن النداء لمنفعة فاذا سمعته فاجأك بمصيبة وأخذ لفظ كم قد أصم بنعى من قول أبى تمام

أصم بك الناعى وان كان اسمعا * وأصبح مغنى الجود بعدك بلقعا

والسابق الى هذا المعنى جزء بن ضرار أخو الشماخ بقوله

أتانى فلم أسرر به حين جاءنى * حديث بأعلى القنتين عجيب
تصاممته حتى أتانى نعيه * وأفزع منه مخطئ ومصيب

وقال المتنبى

طوى الجزيرة لما جاءنى خبر * فزعت منه بآمالى الى الكذب
حتى اذا لم يدع لى صدقه أملا * شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى

أشار بعد ذلك بالبيتين الى القناعة وأن كثير الدنيا مصيره الى قليل وقد تقدمت أمثال هذا

(وقال أبو تمام)

يا قليل البقاء فى هذه الدا * ر الى كم يغرك التسويف
عجبا لامرئ يذل لذى الما * ل ويكفيه كل يوم رغيف

ولابن عمران

عجبا لما نبغى الغنى والفقر فى * نيل الغنى لو صحت الالباب
فيما يلقى المحل كفاية * والفضل فيه تكاثر وحساب

(قوله فلما ألقح عقم الافهام) أى جعل العقيم منها حاملا بالعلم والفهم (استروحت) شممت فوجدت رائحته (ماد) مال (الارتياح) الطرب (مكثت) أقمت (استوعب) استوفى (نث) نشر (أكمته) كدبته (دلفت) أسرعت (أتصفح) أنظر (صفحات محياه) جهات وجهه (أستشف) أبالغ النظر فيها (جوهر حلاه) خلقه صفاته (الضالة) التالفة (أنشدها) أطلبها (القلائد) جمع قلادة وهى ما يجعل فى العنق من سلوك الجوهر وغيرها ومنه تقليد البدن بمكة وتقلدت بالسيف جعلته فى عنقى وقلدتك الامر جعلته فى عنقك وناظم القلائد جامعها فى خيطها ويعنى بالقلائد ما نثر من وعظه وأنشده من شعره وصدق لعمرى ان كلامه المنظوم والمنثور أبهى من القلائد فى أعناق الخرائد وقوله (عناق اللام للالف) أما بخط المغرب فلا معانقة بينهما الا فى الطرفين وربما وقعت فى بعض هذا الخط

كالصليب وفي بعضه لا التقاء بينهما البتة وانما يريد صورة لام ألف بالخط الكوفي وهما بذلك الخط متعانقان متلازمان من الاعلى الى الاسفل وأخذ اللفظ من قول بكر بن خارجة

يامن اذا قرأ الانجيل ظل له * قلب الحنيف عن الاسلام منصرفا
رأيت شخصك في نومي يعانقني * كما تعانق لام الكاتب الالفا

ونذكر ههنا ما يستحسن في العناق قال البحتري

ثلاث نعم لو أنعمت بوصال * لشكرنا في الوصل انعام نعم
نسيت موقف الجمار وشخصا * نا كشخص أرمي الجمار وترمي

وقال أيضا

ولم أنس ليلتنا في العناق * لف الصبا بقضيب قضيبا
كما مرت الريح في سيرها * فطورا خفوقا وطورا هبوبا

وقال ابن المعتز

كانما عانقت ريحانة * تنفست في ليلها البارد
فلو ترانا في قميص الدجى * حسبتنا من جسد واحد

(وقال علي بن الجهم)

سقى الله ليلا ضمنا بعد هجعة * وأدنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة * من الماء فيما بيننا لم تسرب

وقال ابن عبدوس الفاسي سرت يوما الى ابن الجهم فأنشدني البيتين في العناق فاقتدح زندي لا براد مثله فقلت

لا والمنازل من نجد وليلتنا * بعيد اذ جسدانا بيننا جسد
كم رام فينا الكرى مع لطف مسلكه * نوما فما انفك لا خد ولا عضد
ما أنصفوني دعوني فاستجبت لهم * حتى اذا قربوني منهم بعدوا

أخذ هذا البيت من قول الآخر

أشكو الذين أذاقوني مودتهم * حتى اذا أيقظوني للهوى رقدوا

(وقال أبو نواس)

لبسنا رداء الليل والليل راضع * الى أن تردى رأسه بمشيب
وبتنا كغصني بانة عصفتهما * مع الصبح ريحا شمأل وجنوب
الى ان بدا ضوء الصباح كأنه * مبادي نصول في عذار خضيب
فيا ليل قد فارقت غير مذمم * ويا صبح قد أصبحت غير حبيب

(قال صالح بن موسى)

لي سيد ما مثله سيد * تصدت الحمى له فاشتكى
عانقته عند موافاتها * والافق بالليل قد احلولكا
فحاءت الحمى لعاداتها * فلم تجد ما بيننا مسلكا

ولابن الرومي

طالما التفت الى الصبح * لنا ساق بساق
في نقاب من وداد * ولثام من عناق

وقال أيضا

أعانقها والنفس بعد مشوقة * اليها وهل بعد العناق تدان
وألثم فاها كي تموت حرارتي * فيشتد ما ألقى من الهيجان
كأن فؤادي ليس يشفي غليله * سوى أن يرى الروحان يمتزجان

وقال ابن المعتز

يارب فتيان صحبتهم * لا يرفعون لسلوة قلبا
لو تستطيع قلوبهم نفذت * أجسامهم فتعانقت حبا

(قال ابن رشيق)

ومهفهف يحميه عن نظر الورى * غيران سكنى الموت تحت قبابه
فلثمت خدا منه ضرم لوعتى * وجعلت أطفىء حرها برضابه
وضممته للصدر حتى استوهبت * منى ثيابى بعض طيب ثيابه
فكأن قلبى من وراء ضلوعه * طربا يخبر قلبه عمابه

(وقال ابن لبال)

ما كنت أحسب قبل رؤية وجهه * أن البدور تدور فى الاغصان
غازلته حتى بدا لى ثغره * فحسبته دررا على مرجان
كم ليلة عانقته فكأنما * عانقت من عطفيه غصن البان
يطغى و يلعب عند عقد سواعدى * كالمهر يلعب عند ثنى عنان

وقال آخر

مشتاقة طرقت فى الليل مشتاقا * أهلا بمن لم تخن عهدا وميثاقا
يازائرا زار من قرب على بعد * آنست مستوحشا الاذقت ماذاقا
ياليل عرج على الفين قد جعلا * عقد السواعد للاعناق أطواقا

(وقال ابن الرقاق)

ومرتجة الاعطاف أماقوامها * فلدن وأماردفها فرداح
سريت فبات الليل من قصر بها * يطير وماغير السرور جناح
و بت وقد زارت بأنعم ليلة * يعانقنى حتى الصباح صباح
على عاتقى من ساعديها حمائل * وفى خصرها من ساعدى وشاح

ونظير هذا قول ابن برهون الغرناطى

لله در ليال ما أحيسنها * وما أحيسن منها ليلة الاحد
لو كنت حاضرنا فيها وقد غفلت * عين الرقيب فلم تنظر الى أحد
أبصرت شمس الضحى فى ساعدى قمر * ريم موسدة فى ساعدى أسد

(وقال ابن قاضى ميلة)

حيث التقى أسد العرين وظبية * تحت اللحاف وصارم وسوار
قالت أرى بينى و بينك ثالثا * ولقد عهدتك للدخيل تغار
أأمنت نشر حديثنا فأجبتها * هذا الذى تطوى له الاسرار

أخذ هذا من قول امرئ القيس

تجافى عن المأثور بينى و بينها * وتدنى على السابرى المضلعا

يعنى بالمأثور السيف (قوله الدنف) المريض (يزاملنى) يرادفنى والزميل الرديف (نبا) ارتفع وامتنع (أحتقب) أركب موضع الحقيبة وهى ما يعلق خلف الراكب فيريد أنه حلف أن لا يكون رديفا ويريد بأحتقب أتخذ حقيبة للزاد يريد أنه لا يحمل زادا اتكالا على ماعند الله تعالى (أعتقب) أركب عقبة يعنى نوبة وهما يعتقبان و يتعاقبان اذا ركب أحدهما جاء الآخر فمكان مكانه والاعتقاب ركوب واحد ونزول آخر ولحاتم فى المعنى

وما أنا بالساعى بفضل زمامها * لتشرب ماء الحوض قبل الركائب
وما أنا بالطاوى حقيبة رحلها * لابعثها خفا وأترك صاحبى
اذا كنت ربا للقلوص فلا تدع * رفيقك يمشى خلفها غير راكب
أنخها فأردفه فان حملتكما * فذاك وان كان العقاب فعاقب

(أرتفق) أستعين (أرافق) أطلب رفيقا (يهرول) يسرع المشى (غادرنى) تركنى (أولول) أصيح

ونزلته منزلة البرء عند الدنف وسألته أن يلازمنى فأبى أن يزاملنى فنبا وقال آليت فى حجتى هذه أن لا أحتقب ولا أعتقب ولا أكتسب ولا أنتسب ولا أرتفق ولا أرافق ولا أوافق من ينافق ثم ذهب يهرول وغادرنى أولول فلم أزل

في الكثبان وقع بالبنان على البنان واندفع ينشد ليس من زار را كبا مثل ساع على القدم لاولا خادم أطا ع كعاص من الخدم كيف يا قوم يستوى سعي بان ومن هدم سيقيم المفرطو ن غدا مأتم الندم ويقول الذي تقر رب طوبى لمن خدم ويك يا نفس قدّمي صالحا عند ذي القدم وازدري زخرف الحيا ة فوجدانه عدم واذكري مصرع الحما م اذا خطبه صدم واندبي فعلك القبيـ ح وسحى له بدم وادبغيه بتوبة قبل ان يحلم الادم فعسى الله ان يقيـ ك السعير الذي احتدم يوم لا عثرة تقا ل ولا ينفع السدم ثم انه أغمد عضب لسانه وانطلق لشانه فما زلت في كل مورد نرده ومعرس نتوسده أتفقده فأفقده واستنجد من ينشده فلا يجده حتى خلت ان الجن اختطفته أو الارض اقتطفته فما كابدت في الغربة كهذه الكربة ولا منيت في سفرة بمثلها من زفرة

يا ويلي (أقريه) أتبعه (توقل) صعد (الاطواد) الجبال (بالمرصاد) بمضيق الطريق بحيث يرتصد فيه جميع الناس والمرصد والمرصاد عند العرب الطريق (ايضاع) سرعة وقد أوضع في سيره أسرع كأنه يهتز ويركض (الكثبان) أكداس الرمل (وقع) ضرب (بالبنان على البنان) أي صفق بيديه وقد تطلق البنان مرادا بها اليد قال الله تعالى واضربوا منهم كل بنان أي الايدي والارجل وأنشد الفنجديهي

أقاموا الديدبان على يفاع * وقالوا لا تنم للديدبان
اذا أبصرت ضيفا من بعيد * فوقع بالبنان على البنان
تراهم خشية الاضياف خرسا * يقيمون الصلاة بلا أذان

(قوله ليس من زار راكبا) البيت يريد أن ثواب الماشي في الحج أكثر من ثواب الراكب وقال ابن عباس لبنيه اخرجوا من مكة مشاة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعين حسنة وللماشي بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قالوا يا رسول الله وما حسنات الحرم قال الحسنة منها بمائة ألف وقوله سعي بان ومن هدم من قول بشار

متى يبلغ البنيان يوما تمامه * اذا كنت تبنيه وآخر يهدم

(المفرطون) المقصرون (مأتم) مناحة (ويك) تعجب (ازدري) احتقري (زخرف) زينة (وجدان) مصدر وجدت الشئ (اندبي) ابكي (الحمام) الموت (مصرعه) طرحه للميت بالارض (خطبه) أمره الشديد (صدم) ضرب والصدم ضرب الشئ الصلب بمثله وأراد أنه أصاب من قولهم صدمهم أمر أي أصابهم (سحى) صبي (يحلم) يثقب (الادم) الجلد وهو مثل يضرب للشئ يفوت قال الشاعر * كدابغة وقد حلم الاديم * (السعير) النار المتقدة (احتدم) التهب واشتد اتقاده (السدم) هم مع ندم (عضب) حد وأراد باغماده سكوته (لشأنه) لامره (مورد) موضع الماء (نرده) نقصده (معرس) موضع النزول بالسحر للاستراحة (نتوسده) ننزل فيه (أتفقده) أطلبه والتفقد طلب المفقود قال الله تعالى وتفقد الطير أي طلبه بعد ما فقده (أستنجد) أستعين (ينشده) يطلبه (اختطفته) أخذته بسرعة (اقتطفته) اقتطعته (كابدت) قاسيت (الكربة) الهم (منيت) بليت (زفرة) تنفس المهموم

(ولابي طالب الرقي في غلام محرم)

ومشتمل عطفي عفاف وفتنة * يرى قتل من يهوى الى النسك مسلكا
جنى اللحظ من خديه وردا مكفورا * ومن عارضيه ياسمينا ممسكا
فيا راحما منه بأوفر فتنة * تجهز لعام بعد هذا العلكا

وقال صالح بن موسى

عشقت صوفيا له شاهد * يقيم عذري عند عذالي
قد عبد الله بأحواله * فليته ينظر في حالي

(شرح المقامة الثانية والثلاثين وتعرف بالطيبية)

(أجمعت) عزمت عليه كأنه جمع نفسه له و(مناسك الحج) متعبداته (وظائف) لوازم والوظيفة النصيب الذي يلزمك عزمه (العج) رفع الصوت بالتلبية وكانوا في الجاهلية اذا أتموا حجهم يتفاخرون بمآثر آبائهم فأمروا بالثناء على الله تعالى (والثج) اراقة الدماء وعج يعج عجا وعجيجا رفع صوته وثججت الدمع أثجه أسلته وهو لازم ومتعد وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الاعمال فقال

(المقامة الثانية والثلاثون الطيبية) (حكى الحرث بن همام) قال أجمعت حين قضيت مناسك الحج وأقمت وظائف العج والثج

إن أقصد طيبة مع رفقة من بني شيبة لأزور قبر النبي المصطفى وأخرج من قبيل من حج وجفا فأرجف بأن المسالك شاغرة وعرب الحرمين متشاجرة فحرت بين اشفاق يثبطني وأشواق تنشطني الى أن ألقى في روعي الاستسلام وتغليب زيارة قبره عليه السلام فاعتمت القعدة واعددت العدة وسرت والرفقة لاتلوي على عرجة ولاتني في تأويب ولا دلجة حتى وافينا بني حرب وقد آبوا من حرب فأزمعنا ان نقضي ظل اليوم في حلة القوم وبينما نحن نتخير المناخ ونرود الورد النقاخ اذ رأيناهم يركضون كأنهم الى نصب يوفضون فرابنا انثيالهم وسألنا ما بالهم فقيل قد حضر ناديهم فقيه العرب فاهراعهم لهذا السبب فقلت لرفقتي الا نشهد مجمع الحي لنتبين الرشد من الغي فقالوا لقد أسمعت اذ دعوت ونصحت وما ألوت ثم نهضنا نتبع الهادي ونؤم النادي حتى اذا أطللنا عليه واستشرفنا الفقيه المنهود اليه الفيته ابازيد ذا الشقر والبقر والفواقر والفقر وقد اعتم القفداء واشتمل الصماء

العج والثج (طيبة) مدينة النبي صلى الله عليه وسلم (بنو شيبة) حجبة البيت وشيبة هو عبد المطلب وسمي بذلك لانه نشأ بالمدينة عند أخواله صغيرا فلما مات أبوه هاشم ذهب اليه المطلب فأتى به فرآه معه أهل مكة فقالوا اما هو الاعبد اشتراه فغلب عليه عبد المطلب (جفا) أراد به قول النبي صلى الله عليه وسلم من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني ومن زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءني زائرا لا يهمه الا زيارتي كان حقا على الله أن أكون له شفيعا يوم القيامة وفي رواية من زار قبري وجبت له شفاعتي و(أرجف) الرجل خاض في الفتنة والاخبار السيئة و(شغر الطريق) خلا من حماته والمدينة خلت من حماتها وبلد شاغر بعيد من القاضي والسلطان فلا يمتنع من غارة أحد والشغر التفرقة ومنه خرجوا اشغر بغر أي تفرقوا وشغر عن بلده شغرا وشغارا اذا طرحوه ونفوه واشتغرت الحرب بينهم اتسعت وعظمت وامرأة شاغرة اذا رفعت رجلها لكل من نكحها والمعنى أن المسالك شاغرة أي ان الطرق مضطربة خالية من حماتها (الحرمين) مكة والمدينة (متشاجرة) مختلفة (اشفاق) خوف (يثبطني) يحبسني (تنشطني) تحرضني (روعي) نفسي (الاستسلام) الانقياد لامر الله تعالى (اعتمت) اخترت (القعدة) الراحلة المتخذة للركوب (تلوي) تعطف (عرجة) شيء يشغل ليعرج عليه (تني) تفتر و(تأويب ودلجة) مشي النهار والسحر والدلجة بضم الدال الاسم من الادلاج وهو سير جميع الليل والتأويب سير النهار أجمع والدلجة بفتح الدال الوزن ٣ من الادلاج بوزن الافتعال وهو أن يسير من آخر الليل * يعقوب خرجنا بدلجة ودلجة اذا خرجوا في آخر الليل (وافينا) وصلنا (آبوا) رجعوا (أزمعنا) عزمنا (نقضي) نتم أراد عزمنا على أن ننزل ونتم بقية يومنا عندهم و(ظل) الشيء انما يبقى ببقائه (والحلة) النزول و(القوم) اسم للجمع والحلة هيئة الحلول والحلة مجلس القوم ومجتمعهم لانهم يحلونه والجمع حلال والحلة جماعة بيوت الناس (المناخ) موضع النزول (نرود) نطلب (الورد النقاخ) الماء البارد العذب وأنشد أبو علي

تركت النبيذ لاهل النبيذ * وأصبحت أشرب عذبا نقاخا

سمي نقاخا لانه ينقخ الفؤاد ببرده أي يكسره (يركضون) يجرون مسرعين (نصب) صنم كانوا في الجاهلية ينصبونه ويذبحون عليه لاوثانهم وجمعه أنصاب والنصب الشر قال الله تعالى بنصب وعذاب (يوفضون) يسرعون (اهراعهم) اسراعهم وأهرع أسرع فزعا من تعد او يرعون يستحثون (ألوت) قصرت (الهادي) الدليل (نؤم) نقصد (النادي) مجمع القوم (أطللنا) قربنا منه ودنونا وأشرفنا عليه (استشرفنا) نظرنا وتأملنا والاستشراف أن تضع يدك على حاجبك من الشمس اذا أردت النظر الى شيء يبعد منك (المنهود) المقصود ونهدت اليه ونهضت بمعنى ونهد ينهد نهدا أي شخص ونهض وقيل أكثر ما يستعمل هذا في الحرب يقال نهد الى العدو اذا نهض لقتاله (ألفيته) وجدته (ذا الشقر والبقر) صاحب الدواهي يقال جاء بالشقر والبقر اذا جاء بالكذب المستفظع وجاء بالشقاري والبقاري أي بالكذب و(الفواقر) قواصم الظهر يراد بها الدواهي والفاقرة الكاسرة للفقار وهو عظم الصلب و(الفقر) في النثر مثل القوافي في الشعر (القفداء) بالقاف قبل الفاء أن يلف عمامته على رأسه ولا يرسل منها شيئا ابن سيده القفداء والقفد اذا لوى عمامته على رأسه ولم يسدلها قال الازهري رحمه الله تعالى العمة القفداء معروفة وهي الميلاء والسنة أن يتعمم ويسدل خلف ظهره ابن عمر رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا تعمم سدل عمامته بين كتفيه (والصماء) أن تجلل نفسك بالثوب غير المخيط ولا ترفع شيئا من جوانبه فتكون فيه فرجة تخرج منها اليد وانما نهى عن ذلك مخافة أن تصيبه شدة في تلك الحالة وهو لا يقدر على اخراج يده فيسد فمها فيهلك وقال الفنجديهي رأيت بخط الحريري اشتمل الصماء أي التحف بثوب جلل جسده وقيل لها صماء لانه لا منفذ فيها كالصخرة الصماء التي لا صدع فيها ولا خرق

٣ قوله الوزن من الادلاج كذا بالاصل ولعله اسم مصدر أو المرة من الادلاج اه مصححه

وهي

وهى عند الفقهاء أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبيه فتبدو عورته فنهى عن ذلك وقال الازهرى هذا أصح الكلام والفقهاء أعلم بتأويل هذه و (القرفصاء) أن يقعد على أليتيه وينصب ساقيه ويلصق فخذيه ببطنه ويحتبى بيديه فيضعهما على ساقيه قاله أبو عبيد وقيل هى جلسة المحتبى ثم يرفع فخذيه وركبتيه الى صدره ويديه على ساقيه ويشدهما فاذا فعلت ذلك بالرجل وشددت يديك عليه فقد قرفصته الفنجديهى رأيت بخط الحريرى معناه أن يحتبى بيديه قال أبو أمامة كان النبى صلى الله عليه وسلم يجلس القرفصاء فيضع يده اليمنى على الشمال عند المفصل وتقرفص الرجل اذا جمع يديه وانضم من جرب أو قروح به (أعيان) أشراف (محتفون) محلقون والمنزل محفوف بالناس اذا اجتمعوا بحفافيه أى بجانبيه و (الاخلاط) الدون من الناس و (المعضلات) الغامضات من الكلام الصعب (واستوضحوا) أى اطلبوا منى ايضاحها أى بيانها (فطر) خلق وفطر الله الخلق ابتدأ خلقهم قال ابن عباس ما كنت أدرى ما فاطر السموات والارض حتى احتكم الىّ اعرابيان فى بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى ابتدأتها وقال الله تعالى الا الذى فطرنى أى خلقنى وينفطرن يتشققن وانفطرت تشققت (وعلم آدم الاسماء) كلها أى علمه أسماء كل شئ من المخلوقات و (فقيه العرب) أى عالمهم وقال تعالى ليتفقهوا فى الدين أى ليكونوا علماء به وكل عالم بشئ فهو فقيه فيه ويقال فقهت عنك أى فهمت وفقهت فقها أى صرت فقيها وهو الحاذق بما يعلمه وفقهت الرجل غلبته فى الفقه (العرباء) الخالصة وهذا الادعاء الذى يدعى الآن يسمى انتحال العلم وقال بعض الحكماء لا ينبغى لاحد أن ينتحل العلم وقال مقاتل بن سليمان يوما وقد دخلته أبهة العلم سلونى عما تحت العرش الى أسفل الثرى فقال له رجل ما نسألك عن شئ من ذلك انما نسألك عما معك فى الارض أخبرنى عن كلب أهل الكهف ما كان لونه فأفحمه ولما شهرت تآليف ابن قتيبة ولحظ بعين العالم المتفنن صعد المنبر وقد غص المحفل واعتلى تبريزا على علماء وقته مع فضل جاه اشتمل به من السلطان فقال ليسألنى من شاء عما شاء فقام اليه أحد الاغفال فقال له ما الفتيل والقطمير فلم يحر جوابا وأفحم ونزل خجلا وانصرف الى منزله كسلا فلما نظر اللفظتين وجد نفسه أذكر الناس بهما وهذا من عقاب العجب * ورأيت فى بعض الاخبار أن ابن قتيبة سئل عن حرف لغة فلم يعلمه وقت السؤال وكان أبيض مشربا بحمرة فلما وجد الحرف غلبت الحمرة على وجهه حتى طفئ أسفا على فوت الحرف وقت الحاجة ولعله كان ما قدمنا فى الحكاية وقال قتادة ما سمعت قط شيأ الا حفظته ولا حفظت قط شيأ فنسيته ثم قال يا غلام هات نعلىّ فقال هما فى رجليك ففضحه الله وقال قتادة حفظت مالم يحفظ أحد قط ونسيت مالم ينس أحد قط حفظت القرآن فى سبعة أشهر وقبضت على لحيتى وأنا أريد أن أقطع ما تحت يدى فقطعت ما فوقها * وكان بشريش رجل من أهل الدين والورع وحج فى أيام أبى حامد وصحبه ففاتت صلاة الصبح يوما لاحد أصحابه فلامه على ذلك فاعتذر له صاحبه فلم يعذره ثم قال له على معنى الترغيب كملت لى اليوم عشرون سنة ما فاتتنى صلاة الصبح فى جماعة فلما كان فى اليوم الثانى أدرك الحاج من صلاة الصبح ركعة واحدة فلما لقيه صاحبه بعد الصلاة قال له هذا كما رأيت وانما ذكرت عملك على معنى التبصرة والارشاد فلو ذكرته على غير ذلك لفاتتك الثانية واذا كان موسى كليم الله قد عاتبه الله على الانتحال حين سئل أى الناس اليوم أعلم قال أنا وابتلى بالسفر حتى لقى الخضر وجلس اليه راغبا فى أن يعلمه والخضر لا ينبسط له فى التعليم ونقر عصفور فى البحر فقال له الخضر ما علمى وعلمك فى علم الله تعالى الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر وروى عن عبد الملك بن حبيب من طريق وهب بن منبه ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام أتدرى لم كلمتك قال لا يارب قال انى اطلعت على قلوب العباد فلم أر فيها قلبا أشد تواضعا من قلبك قال المنجم

وقعد القرفصاء
وأعيان الحى به محتفون
وأخلاطهم عليه ملتفون
وهو يقول سلونى عن
المعضلات واستوضحوا
منى المشكلات فوالذى
فطر السماء وعلم آدم
الاسماء انى لفقيه
العرب العرباء

لكل شئ فى الورى آفـة * وآفة المـرء من الكبر

وقال آخر

الكبر بأس والتواضع رفعة * والمزح والضحك الكثير سقوط
والحرص فقر والقناعة نعمة * واليأس من روح الاله قنوط

فينبغى لكل عاقل أن يقول ما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله رب زدنى علما ولا يرى لنفسه حظا و يشكر الله تعالى على ما أعطاه فهو بالادب أليق و بالشرع أوفق ومن سخيف الشعر فى الانتحال

وما عن لى من غامض العلم غامض * مدى الدهر الا بت منه على علم

وقال عدى بن الرقاع

وعلمت حتى ما أشاور عالما * عن علم واحدة لكى أزدادها

وسمعه كثير ينشده الوليد بن عبد الملك فقال له كذبت ورب البيت الحرام فليمتحنك أمير المؤمنين فى صغار الامور دون كبارها حتى يتبين جهلك وما كنت قط أحمق منك اليوم حين تظن هذا من نفسك وقال أبو موسى المنجم ما أحـد تمنيت أن أراه فلما رأيتـه أمرت بصفعه الاعـدبا فقيـل له ولم ذلك قال لقوله هذا البيت كنت أعرض عليـه أصناف العلوم فكلما مر عليـه بشئ لا يحسنه أمرت بصفعه (قوله وأعلم من تحت الجرباء) سميت السماء جرباء لان النجوم فيها كالجرب فى البـدن وقال ابن الرومى فى غلام يهواه وخرج عليه جدرى وأشار الى جرب السماء

وقالوا شانه الجدرى فانظر * الى وجه به أثر الكلوم
فقلت ملاحـة نثرت عليه * وما حسن السماء بلا نجوم

وقال أبو بكر بن السراج فى الفتح بن مسروق البلخى وقيـل قالها فى ابن ياسر المغنى وكان من أحسن الناس وجها

لى قمر جـدر لما استوى * فزاده حسنا وزاد الهموم
كأنما غـنى لشمس الضحى * فنقطتـه طربا بالنجوم

وقال آخر

كأن آثار تجدير بوجنته * عشر معوذة فى صحف وراق

وقال ذو الوزارتين أبو الوليد بن زيدون

قال لى اعتل من هويت حسود * قلت أنت العليل ويحك لا هو
ما الذى تنقمون مس بثرات * ضاعفت حسنه وزانت حلاه
وجهـه فى الصفاء والرقـة الما * ء فلا غرو أن حباب عـلاه

(قوله صمد) أى قصـد (فتيق) طليق (جرىء الجنان) ماضى القلب قويه (انتحلت) اخترت (الفتيا) لغـة فى الفتوى وهما اسمان يوضعان موضع الافتاء تقول أفتانى افتاء وفتيا وفتوى (بنات غـير) كناية عن الكذب * الفنجديهى رأيت بخط الحريرى بنات الغير الكذب * الفراء يقال للرجل أبو بنات غير وهو الباطل بغين مهملة و ياء منقوطة واحـدة (مير) رزق وصلة وأصله جلب الطعام للاكل (الله أكبر) حكى أهل اللغة ان معناه كبير وقال الفرزدق

ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمـه أعز وأطول

أى عزيزة طويلة * قال معن بن أوس

لعمرك ما أدرى وانى لاوجـل * على أينا تعـدو المنيـة أول

أى لوجل وقال النحويون الكسائى والفراء وهشام معناه أكبر من كل شئ فحـذفت من لان أفعل خبر كقولك أبوك أفضل وأعقل أى من غـيره ولو كان اسما لم يحـذف منـه شئ الا ترى أن من قال أخوك أفضل لم يقل ان أفضل أخوك فحذفت من فى الخـبر لان الخبر يدل على أشياء غير موجودة فى اللفظ نحو أخوك قام فيدل على المصدر والزمان والمكان والاسم لا يحـذف منه شئ يدل عليـه و (المخبر) مصـدر خبرت خبرة ومخبرا اذا جربته فأراد سيتبين لك بالتجربة ما ادعيتـه من العـلوم

واعـلم من تحت الجرباء فصمد له فتى فتيق اللسان جرىء الجنان وقال انى حاضرت فقهاء الدنيا حتى انتحلت منهم مائة فتيا فان كنت ممن رغب عن بنات غير و يرغب منا فى مير فاستمع وأجب لتقابل عما يجب فقال الله أكبر سيبين المخبر وينكشف المضمر

فاصدع بما تؤمر قال ما تقول فيمن توضأ ثم لمس ظهر نعله قال انتقض وضوءه بفعله (النعل الزوجة) قال فان توضأ ثم أتكأه البرد قال يجدد الوضوء من بعد (البرد النوم) قال أيمسح المتوضئ أنثييه قال قد ندب اليه ولم يوجب عليه (الانثيان الاذنان) قال أيجوز الوضوء مما يقذفه الثعبان قال وهل أنظف منه للعربان (الثعبان جمع ثعب وهو مسيل الوادى) قال أيستباح ماء الضرير قال نعم ويجتنب ماء البصير (الضرير حرف الوادى والبصير الكلب) قال أيحل التطوف فى الربيع قال يكره ذلك للحدث الشنيع (التطوف التغوط والربيع النهر الصغير) قال أيجب الغسل على من أمنى قال لا ولو ثنى (أمنى نزل منى ويقال منه منى وأمنى وامتنى) قال فهل يجب على الجنب غسل فروته قال أجل وغسل ابرته (الفروة جلدة الرأس والابرة عظم المرفق) قال أيجب عليه غسل صحيفته قال نعم كغسل شفته (الصحيفة أسرة الوجه) قال فان أخل بغسل فأسه قال هو كما لو ألغى غسل رأسه (الفأس العظم المشرف على نقرة القفا) قال أيجوز الغسل فى الجراب قال هو كالغسل فى الجباب (الجراب جوف البئر) قال فما تقول فيمن تيمم ثم رأى روضا قال بطل تيممه فليتوضأ (الروض ههنا جمع روضة وهى الصبابة تبقى فى الحوض) قال أيجوز أن يسجد الرجل فى العذرة قال نعم وليجانب القذرة (العذرة فناء الدار) قال فهل له السجود على الخلاف قال لا ولا على أحد الاطراف (الخلاف الكم) قال فان سجد على شماله قال لا بأس بفعاله (الشمال جمع شملة) قال (١٠٥) فهل يجوز السجود على الكراع قال نعم دون الذراع (الكراع ما استطال من الحرة وهى أرض ذات حجارة سود) قال أيصلى على رأس الكلب قال نعم كسائر الهضب (رأس الكلب ثنية معروفة) قال أيجوز للدارس حمل المصاحف قال لا ولا حملها فى الملاحف (الدارس الحائض) قال ما تقول فيمن صلى وعانته بارزة قال صلاته جائزة (العانة الجماعة من حمر الوحش) قال فان صلى وعليه صوم قال يعيد ولو صلى مائة يوم (الصوم ذرق النعام) قال فان حمل جروا وصلى قال هو كما لو حمل باقلى (الجرو الصغار من القثاء والرمان) قال أتصح صلاة حامل القروة قال لا ولو صلى فوق المروة (القروة ميلغة الكلب) قال فان قطر على ثوب المصلى نجو قال يمضى فى صلاته ولا غرو (النجو السحاب الذى قد هراق ماءه) قال أيجوز أن يؤم الرجال مقنع قال نعم ويؤمهم مدرع (المقنع لابس المغفر والمدرع لابس الدرع) قال فان أمهم من فى يده وقف قال يعيدون ولو أنهم ألف (الوقف السوار من العاج أو الذبل وأراد أنه لا يجوز للرجال الا تشبه بالنساء) قال فان أمهم من فخذه بادية قال صلاته وصلاتهم ماضية (الفخذ العشيرة وبادية أى يسكنون البدو واختار بعض أهل اللغة تسكين الخاء من هذه الفخذ ليحصل الفرق بينها وبين العضو) قال فان أمهم الثور الاجم قال صل وخلاك ذم (الثور السيد والاجم الذى لا رمح معه) قال أيدخل القصر فى صلاة الشاهد قال لا والغائب الشاهد (صلاة الشاهد صلاة المغرب سميت بذلك لاقامتها عند طلوع النجم لان النجم يسمى الشاهد) قال أيجوز للمعذور أن يفطر فى شهر رمضان قال ما رخص فيه الا للصبيان (المعذور المختون وهو أيضا المعذر) قال فهل للمعرس أن يأكل فيه قال نعم بملء فيه (المعرس المسافر الذى ينزل فى آخر ليله ليستريح ثم يرتحل) قال فان أفطر فيه العراة قال لا تنكر عليهم الولاة (العراة الذين تأخذهم العرواء وهى الحمى برعدة) قال فان أكل الصائم بعد ما أصبح قال هو أحوط له وأصلح (أصبح أى استصبح بالمصباح) قال فان عمد لان أكل ليلا قال ليشمر للقضاء ذيلا (ذكر ابن دريد أن الليل فرخ الحبارى وقال غيره هو ولد الكروان) قال فان أكل قبل ان تتوارى البيضاء قال

ويتكشف لك ما أضمرته منها (اصدع) تكلم وأظهر وصدعت بالحق تكلمت به جهارا وقوله تعالى فاصدع بما تؤمر أى اظهر دينك وانما اعتمد الشيخ أبو محمد الحريرى فى شرح الالفاظ التى ألغز بها على الوجه المعمى ولنشرح ما سوى ذلك مما اشتملت عليه ان شاء الله تعالى (قوله لمس) جر أصابعه عليها (أتكأه) جعله متكئا (يقذفه) يطرحه من بطنه و(الضرير) الاعمى و(البصير) السالم البصر والطوف مصدر طاف حول الشئ اذا دار به و(الحدث) الغائط وجعله شنيعا لان الانسان اذا فعله فى الماء ظهر على وجه الماء فكانت به شنعة واستقذر الماء فلم يستعمل وان كان مباحا استعماله (قوله أخل) نقص (نقرة) حفرة (الروض) مواضع الغيث و(الصبابة) البقية و(الكراع) الرجل وكراع كل شئ طرفه و(الحرة) أرض فيها حجارة سود و(الهضب) جمع هضبة وهى الصخرة العظيمة والكدية الصغيرة وقيل الهضبة الجبل المنبسط على وجه الارض وقيل الجبل الطويل الممتنع والجمع هضاب (ثنية) عقبة و(الميلغة) ما يشرب فيه الكلب الماء وهى من ولغ الكلب اذا تناول الماء بلسانه و(القروة) نقير من خشب تشرب منه الكلاب و(القثاء) هو الفقوس و(النجو) هو الحدث (لا غرو) لا عجب و(المقنع) لابس القناع يريد المرأة و(الوقف) ما وقف وحبس من الاموال على المساكين والمساجد و(الذبل) جلد السلحفاة البرية ويقال انها تعظم فربما يضع الناجر يلا عليها حمله يظنها صخرة فتحل به ويستعمل من الطبق الذى عليها خلاخل للحشم والعبيد و(العاج) عظم الفيل و(الاجم) الذى ليس له قرنان (وخلاك ذم) باعدك ذم و(المعذور) الذى

يلزمه والله القضاء (البيضاء من أسماء الشمس) قال فان استأثر الصائم الكبد قال أفطر ومن أحل الصيد (الكبد القى واستأثره أى استدعاه) قال أله أن يفطر بالحاح الطابخ قال نعم لا بطاهى المطابخ (الطابخ الحمى الصالب) قال فان ضحكت المرأة فى صومها قال بطل صوم يومها (ضحكت ههنا أى حاضت ومنه قوله تعالى فضحكت فبشرناها باسحق) قال فان ظهر الجدرى على ضرتها قال تفطران آذن بعضرتها (الضرة أصل الابهام واصل الثدى أيضا) قال ما يجب فى مائة مصباح قال حقتان يا صاح (المصباح الناقة التى تصبح فى المبرك) قال فان ملك عشر خناجر قال يخرج شاتين ولا يشاجر (الخناجر النوق الغزار الدر واحدتها خنجر وخنجور) قال فان سعى للساعى بحميته قال يا بشرى له يوم قيامته (الساعى جابى الصدقة والحمية خيار المال) قال أيستحق حملة الاوزار من الزكاة جزا قال نعم اذا كانوا غزا (الاوزار السلاح وغزى جمع غاز) قال أيجوز للحاج أن يعتمر قال لا ولا أن يختمر (الاعتمار لبس العمارة وهى العمامة والاختمار لبس الخمار) قال فهل له أن يقتل الشجاع قال نعم كما يقتل السباع (الشجاع الحية) قال فان قتل زمارة فى الحرم قال عليه بدنة من النعم (الزمارة النعامة واسم صوتها الزمار) قال فان رمى ساق حر فجدله قال يخرج شاة بدله (ساق حر ذكر القمارى) قال فان قتل أم عوف بعد الاحرام قال يتصدق بقبضة من طعام (أم عوف الجرادة) قال أيجب على الحاج استصحاب القارب قال نعم ليسوقهم الى المشارب (القارب طالب الماء بالليل) قال ما تقول فى الحرام بعد السبت قال قد حل فى ذلك الوقت (الحرام المحرم (١٠٦) والسبت حلق الرأس وحل من تحليل الحج) قال ما تقول فى بيع الكميت قال حرام كبيع الميت (الكميت الخمر) قال أيجوز بيع الخل بلحم الجمل قال ولا بلحم الحمل (الخل ابن المخاض ولا يحل بيع اللحم بالحيوان سواء كان من جنسه أو من غير جنسه) قال أيحل بيع الهدية قال لا ولا بيع السبية (الهدية بالتشديد ما يهدى الى الكعبة ويقال فيها هدية بتسكين الدال وتخفيف الياء والسبية الخمر) قال ما تقول فى بيع العقيقة قال محظور على الحقيقة (العقيقة ما يذبح عن المولود فى اليوم السابع من ولادته) قال أيجوز بيع الداعى على الراعى قال لا ولا على الساعى (الداعى بقية اللبن فى الضرع والساعى جابى الصدقة) قال أيباع الصقر بالتمر قال لا ومالك الخلق والامر (الصقر الدبس) قال أيشترى المسلم سلب المسلمات قال نعم ويورث عنه اذا مات (السلب لحاء الشجر وهو أيضا خوص الثمام) قال فهل يجوز أن يبتاع الشافع قال ما لجوازه من دافع (الشافع الشاة التى يتبعها سخلها) قال أيباع الابريق على بنى الاصفر قال يكره كبيع المغفر (الابريق السيف الصقيل الكثير الماء وبنو الاصفر الروم) قال أيجوز أن يبيع الرجل صيفيه قال لا ولكن ليبيع صفيه (الصيفى الولد على الكبر والصفى الناقة الغزيرة الدر) قال فان اشترى عبدا فبان بأمه جراح قال ما فى رده من الجناح (الام مجمع الدماغ) قال أتثبت الشفعة للشريك فى الصحراء قال لا ولا الشريك فى الصفراء (الصحراء الاتان التى يمازج بياضها غبرة والصفراء الناقة) قال أيحل أن يحمى ماء البئر والخلا قال ان كان فى الفلاة فلا (يحمى يمنع والخلا الكلأ) قال ما تقول فى ميتة الكافر قال حل للمقيم والمسافر (الكافر البحر وميتته السمك الطافى فوق مائه) قال أيجوز أن يضحى بالحول قال هو أجدر بالقبول (الحول جمع حائل) قال فهل يضحى بالطالق قال نعم ويقرى منها الطارق (الطالق الناقة ترسل ترعى حيث شاءت) قال فان ضحى قبل ظهور الغزالة قال شاته لحم بلا محالة (الغزالة الشمس) قال بعضهم قال طلعت الغزالة ولا يقال غربت وضدها الجونة تسمى بها عند مغيبها لانها تسود حين تغيب كما قال الشاعر * تبادر الجونة أن تغيبا * قال أيحل التكسب بالطرق قال هو كالقمار بلا فرق (الطرق الضرب بالحصى وهو من أفعال الكهنة) قال أيسلم الله ثم علي القاعد قال محظور

تبين عذره و (الطاهى) طابخ اللحم و (الصالب) الحمى لا ترعد والحاحها ملازمتها و (الجدرى) قروح صغار تخرج على الصبيان (وضرتها) شريكتها فى زوجها و (الحقة) التى استحقت أن يركب عليها و (الخناجر) نوع من السكاكين الكبار و (يشاجر) يخالف و (الجابى) الجامع للصدقة ومنه الجباية و (الاوزار) أثقال الذنوب و (الغزى) هؤلاء الرماة بالنشاب و (يعتمر) يحج بعمرة و (يختمر) يستعمل الخبز لختمر و (الزمارة) المرأة تضرب بالمزمار و (البدنة) الناقة سميت بذلك لضخامتها وبدن الرجل ضخم (جدله) قتله وطرحه على الجدالة وهى الارض ومن أبيات اللغز فى الجرادة

وما صفراء تكنى أم عوف * كأن سويقتيها منجلان

و (القارب) السفينة الصغيرة و (الكميت) الفرس الاسود العرف والذنب والكمتة حمرة تضرب الى السواد و (الجمل) الخروف و (العقيقة) خرزة حمراء (محظور) ممنوع و (الصقر) من جوارح الطير (الدبس) عسل التمر (خوص) ورق (الثمام) شجر ضعيف ورقه كورق الدوم مزدوجة (الابريق) آنية الخمر (الصيفى) ما ولد فى زمن الصيف و (الصفى) الصاحب الخالص و (الدر) اللبن و (بان) ظهر و (جناح) اثم و (الاتان) الانثى من الحمير و (الطافى) المرتفع على وجه الماء و (الحول) جمع أحول وحولاء (أجدر) أحق (والطرق) السير بالليل (محظور) ممنوع و (الرقيع)

فيما بين الاباعد (القاعد التى قعدت عن الحيض أو عن الازواج) قال أينام العاقل تحت الرقيع قال أحبب به فى البقيع (الرقيع السماء وعنى بالبقيع بقيع المدينة) قال أيمنع الذمى من قتل العجوز قال معارضته فى العجوز لاتجوز (العجوز الخمر وقتلها مزجها) قال أيجوز أن ينتقل الرجل عن عمارة أبيه قال ماجوزنا الحامل ولانبيه (العمارة القبيلة) قال ماتقول فى التهوّد قال هو مفتاح التزهد (التهود التوبة ومنه قوله تعالى انا هدنا اليك) قال ماتقول فى صبر البلية قال أعظم به من خطية (الصبر الحبس والبلية الناقة تحبس عند قبر صاحبها فلا تسقى ولا تعلف الى أن تموت وكانت الجاهلية تزعم ان صاحبها يحشر عليها) قال أيحل ضرب السفير قال نعم والحمل على المستشير (السفير ماتساقط من ورق الشجر والمستشير الجمل السمين وهو أيضا الجمل الذى يعرف اللاقح من الحائل) قال أيعزر الرجل أباه قال يفعله البر ولا يأباه (التعزير التعظيم والنصرة والتوقير) قال ماتقول فيمن أفقر أخاه قال حبذا ماتوخاه (أفقره أعاره ناقة يركب فقارها) قال فان أعرى ولده قال ياحسن مااعتمده (أعراه أعطاه ثمرة نخلة عاما) قال فان أصلى مملوكه النار قال لا اثم عليه ولا عار (المملوك العجين الذى قد أجيد عجنه حتى قوى) قال أيجوز للمرأة أن تصرم بعلها قال ماحظر أحد فعلها (البعل النخل الذى يشرب بعروقه من الارض) قال فهل تؤدب المرأة على الخجل قال أجل (الخجل سوء احتمال الغنى ومنه قوله صلى الله عليه وسلم للنساء انكن اذا جعتن دقعتن واذا شبعتن خجلتن) قال ماتقول فيمن نحت أثلة أخيه قال أثم ولو أذن له فيه (نحت أثلته اذا اغتابه وقدح فى عرضه) قال أيحجر الحاكم على صاحب الثور (١٠٧) قال نعم ليأمن من غائلة الجور (الثور الجنون) قال فهل له أن يضرب على يد اليتيم قال نعم الى أن يستقيم (يقال ضرب على يده اذا حجر عليه) قال فهل يجوز أن يتخذ له ربضا قال لا ولو كان له رضا (الربض الزوجة) قال فمتى يبيع بدن السفيه قال حين يرى الحظ فيه (البدن الدرع القصيرة) قال فهل يجوز أن يبتاع له حشا قال نعم اذا لم يكن مغشى (الحش النخل المجتمع) قال أيجوز أن يكون الحاكم ظالما قال نعم اذا كان عالما (الظالم الذى يشرب اللبن قبل أن يروب ويخرج زبده) قال أيستقضى من ليست له بصيرة قال نعم اذا احسنت منه السيرة (البصيرة الترس) قال فان تعرى من العقل قال ذلك عنوان الفضل (العقل ضرب من الوشى) قال فان كان له زهو وجبار قال لا انكار عليه ولا اكبار (الزهو البسر المتلون والجبار النخل الذى فات اليد وضده القاعد) قال أيجوز أن يكون الشاهد مريبا قال نعم اذا كان أريبا (المريب الذى يكثر عنده اللبن الرائب) قال فان بان أنه لاط قال هو كما لو خاط (لاط الحوض اذا طينه) قال فان عثر على أنه غربل قال ترد شهادته ولا تقبل (غربل أى قتل ومنه قول الراجز * ترى الملوك حوله مغربله) قال فان وضح أنه مائن قال هو وصف له زائن (المائن ههنا الذى يعول ويكفى المؤنة من مان يمون لا من مان يمين) قال مايجب على عابد الحق قال يحلف بالله الخلق (العابد ههنا الجاحد والحق الدين) قال ماتقول فيمن فقأ عين بلبل عامدا قال تفقأ عينه قولا واحدا (البلبل الرجل الخفيف) قال فان جرح قطاة امرأة فماتت قال النفس بالنفس اذا فاتت (القطاة مابين الوركين) قال فان ألقت الحامل حشيشا من ضربه قال ليكفر بالاعتاق عن ذنبه (الحشيش الجنين الملقى ميتا) قال مايجب على المختفى فى الشرع قال القطع لاقامة الردع (المختفى نباش القبور) قال فما يصنع عن سرق أساود الدار قال يقطع ان ساوين ربع دينار (الاساود الآلات المستعملة كالاجانة والقدر والجفنة) قال فان سرق ثمينا من ذهب قال لا قطع كما لو غصب (الثمين الثمن كما يقال فى النصف نصيف وفى السدس سديس) قال فان بان على المرأة السرق قال لا حرج عليها ولا فرق (السرق الحرير الابيض) قال أينعقد نكاح لم يشهده القوارى قال لا والخالق البارى (القوارى الشهود لانهم يقرون الاشياء أى يتتبعونها) قال ماتقول فى عروس باتت بليلة حرة

و (الرقيع) الاحمق الذى يتخرق عليه رأيه حتى يحتاج الى أن يرقع ثم كثر حتى صار الرقيع الماجن القليل الحياء فاراد أيرقد عاقل تحت رقيع فقال ماأحسن ذلك اذا كان فى البقيع هذا معناه فى الظاهر وماقصد به قد فسره و (البقيع) فى الاصل كل موضع فيه أصول أشجار مختلفة (التهوّد) الدخول فى دين اليهودية (عمارة أبيه) ماكان أبوه يعمره من دار يسكنها ومال يعمره (السفير) الرسول (المستشير) المسترشد الذى يستشيرك فى أموره والحمل عليه اهانته وظلمه (اللاقح) الحامل بالولد و (الحائل) ضدها و (يعزر) يؤدب والتعزير ضرب دون الحد و (البر) المكرم لابيه (توخاه) قصده وكذلك اعتمده (أصلاه) جعله فيها (تصرّم) تقطع وتباعد وأصل الصرم القطع (بعلها) زوجها (حظر) منع (الخجل) الاستحياء وأراد (بسوء احتمال الغنى) أن تكون مبذرة لمالها سفيهة فكأن الغنى لما أتاها لم تحتمله فأفسدته (نحت) نجر (الاثلة) شجرة (غائلة) ضرر (الربض) بقاع من الارض تباع وتشترى (الحش) الكنيف (مغشى) يغشاه الناس ويدخلونه (البصيرة) اليقين والنظر السديد (السيرة) العادة (عنوان) دليل وعلامة و (الزهو) التكبر والاعجاب (الاريب) العاقل (لاط) عمل عمل قوم لوط (وضح) تبين (مائن) كاذب (القطاة) نوع من الحمام وفقأ العين أخرجها و (البلبل) طائر (الحشيش) نبات يابس (الردع) الكف والمنع (الاساود) الحيات (الثمين) الرفيع الثمن (القوارى) طير خضر وقد بين هو أنه أراد بالقوارى

الشهود و يقال المسلمون قوارى الله فى الارض أى شهوده قال جرير * المسلمون لما أقول قوارى *
وباتت العروس بليلة شيباء اذا غشيها زوجها * الفجديهى رأيت بخط الحريرى رحمه الله تعالى

طيبوها ولم أطيب بطيب * رب منع ألذ من اعطاء
بت فى درعها وباتت ضجيعى * فى بصير وليلة شيباء

البصير هنا قطعة من دم وقد أتينا على ما فى هذه المسائل من الغريب فى الظاهر وأما ما قصده من المعمى فهو مفسر فى الاصل ولقد أحسن أبو محمد فى هذه الفتاوى وأجاد وبلغ من الاقتدار والاتساع فوق المراد وان كان لا يوصف فيها بالابتداع فلقد أحسن فى الاتباع والسابق الى هذا المعنى أبو بكر بن دريد رحمه الله تعالى فى كتاب سماه بالملاحن وهى من اللحن وهو أن تورى بلفظ عن لفظ ثم تمم تلك الاعراض وحسنها أحمد بن عبيد الله فى كتاب سماه بالمنقذ وفائدة حفظ هذه الاعراض أن يخوف الرجل أو يروعه أمير ظالم أو مسلط غاشم فيتخلص منه بهذه المعاريض فأما أن يقطع بها حق مسلم فلا سبيل اليها ومعتمدهم فيها حديث عمران بن حصين أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى المعاريض مندوحة عن الكذب وفى حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه عجبت لمن يحسن المعاريض كيف يكذب ولمن لاحن الناس كيف لا يعرف جوامع الكلم وقول النبى صلى الله عليه وسلم لطلائع المشركين حين لقوه فى نفر من أصحابه فقالوا ممن أنتم من ماء فتركوهم وأراد فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق وقوله صلى الله عليه وسلم فى مزاحه لاحدى عماته ان الجنة لا تدخلها عجوز فلما جزعت قال لها ان الله تعالى يخلقهم يوم القيامة شواب أبكارا وقال لامرأة ما فعل زوجك الذى فى عينيه بياض فلما جزعت قال لها أوليس فى كل عين بياض وقال له رجل احملنى قال ما عندى الا ولد الناقة فقال وما أصنع بولد الناقة فقال صلى الله عليه وسلم وهل الابل الا من النوق فاستجيزت المعاريض على هذا النحو من المزاح أو التخويف * ومن ذلك أن بعض العرب أدخل على الواثق وكان يقول بخلق القرآن و يعاقب من خالفه فقال له ما تقول فى القرآن فتصامم عليه فأعاد السؤال فقال من تعنى يا أمير المؤمنين فقال اياك أعنى فقال مخلوق يعنى نفسه وتخلص منه وقال لآخر من الصالحين ما تقول فى القرآن فأخرج يده وجعل يعد أصابعه و يقول التوراة والانجيل والقرآن هؤلاء الثلاثة مخلوقة فعنى أصابعه وتخلص منه وتعذر على رجل لقاء المأمون فى ظلامة فصاح على بابه أنا أحمد النبى المبعوث فادخل اليه وأعلم انه تنبأ فقال له ما تقول فذكر ظلامته فقال له ما تقول فيما حكى عنك فقال وما هو قال ذكروا أنك تقول انك نبى فقال معاذ الله انما قلت أنا أحمد النبى المبعوث أفأنت يا أمير المؤمنين ممن لا يحمده فاستظرفه وأمر بانصافه * وخرج شريح القاضى من عند زياد وتركه يجود بنفسه فسأله الناس عن حاله فقال تركته يأمر وينهى فجزعوا السلامته فراعهم الاصياح النائحات عليه فسئل شريح عن قوله فقال تركته يأمر بالوصية و ينهى عن البكاء * وسئل ابن شبرمة عن رجل ليستعمل فقال ان له شرفا وقدما وبيتا فنظروا فاذا هو ساقط سفلة فقيل له فى ذلك فقال شرفه أذناه وبيته الذى يأوى اليه وقدمه الذى يمشى عليه وقال صاحب المنقذ اذا حلفت بالأيمان اللازمة لك فانو بالأيمان الأيدى قال تعالى وعن أيمانهم وعن شمائلهم فان قلت كل امرأة لك طالق فاعن الطالق من الابل وهى التى يطلقها الراعى والطالق التى يحمل عليها اعقالها فان قيل احلف بظهارامرأتك كظهر أمك فاعن بالظهر ما يركب من الخيل والبغال والحمير ولا جناح عليه فى ركوب دواب أمه فان قال احلف بما لك على المسلمين صدقة فاعن ما لك على المساكين من دين وليس لك عليهم شئ فان أحلفك بأن كل مملوك لك حر فالمملوك الدقيق الملتوت بالماء والزيت أو السمن فان قال كل غلام لك حر فالحر الحية الذكر والحر من الرمل الذى ما وطئ والحر ذكر الحمام قال حميد

ثم ردت فى حافرتها بعمرة قال يجب لها نصف الصداق ولا تلزمها عدة الطلاق (يقال باتت العروس بليلة حرة اذا امتنعت على زوجها فان افتضها قيل باتت بليلة شيباء والرد فى الحافرة بمعنى الرجوع فى الطريق الاول وكنى به عن طلاقها وردها الى أهلها

دعت ساق حر ترحة وترنما * فان أحلفك بأن كل جارية للحرة فالجارية السفينة والريح والشمس فان قال احلف والا كل أمة للحرة فالحرة الاذن والحرة السحابة الغزيرة المطر فان أحلفك والا فمالك حبس فحبس بلد معروف قال ابن حلزة * لمن الديار عفون بالحبس * فان قال والا فهو كافر فالكافر الليل أو البحر أو الزراع للبذر قال الله تعالى أعجب الكفار نباته وأصله الساتر وتقول كل امرأة تزوجتها فقد طلقتها بتاتا فتزوجت اتخذت زوجا من النبات أى لونا قال الله تعالى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج وقال تعالى فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى وطلقتها ألبستها الطاق وهو قبة من جلود والبتات الزاد وتقول ما تطيبت ولا تمسكت فتطيبت أتيت الطيب وهو بلد بين واسط والسوس أو طيبة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وتمسكت لبست مسكا وهو الجلد أو تفعلت من الامساك وتقول ماله قبلي درهم ولا دينار فدرهم قبيلة من ربيعة لهم خطة فى البصرة ودينار اسم رجل معروف وماله قبلي ثوب ولا شقة ولا قميص الثوب الرجوع من ثاب يثوب والشقة العبد والقميص غشاء القلب وماله قبلي شئ بوجه من الوجوه ولا بسبب من الاسباب الشئ مصدر شويت اللحم والوجوه صور مختلفة من التصاوير والوجه المقصد والجمع وجوه والاسباب الحبال وما أوصيت اليه وما أوصى الى أوصى دخل فى الواصى وهو بيت متصل بعضه ببعض ولا أعلم له دارا ولا عقارا فدارا بلد معروف بالجزيرة قال الشاعر

والله قلت لرجلي * بين حران ودارا اصبرى يارجل حتى * يرزق الله حمارا

والعقار النخل ولا أعرف للمرأة بعلا ولا وليا فالبعل النخل او الشجر يشرب بماء السحاب والولى المطر يلي الوسمي وتقول ما اشتريت لفلانة ضرتك قميصا ولا ازارا ولا رداء ولا قناعا ولا غلالة ولا حليتها خاتما ولا خلخالا ولا طوقا ولا سوارا ولا قرطتها ولا شنفتها ولا كسوتها ولا جلست مع قينة ولا مغنية ولا ضاربة بعود ولا بطبل ولا رباب ولا سمعت زمارة ولا ذقت نبيذا فالقميص غشاء القلب والرداء السيف أو الدين أو الغطاء والازار قبل المرأة أو جسم الرجل قال الشاعر

* فدى لك من أخى ثقة ازار * والازار العفاف والقناع جمع قنع وهو طبق يجعل عليه الفاكهة وفى الحديث ان الربيع ابنة معوذ أتت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب وآخر من زغب فأكل منه والزغب القثاء والغلالة مسمار من مسامير الدروع قال * فهن وضاء صافيات الغلائل * والغلالة الجماعة من الناس والخاتم شعرات بيض فى قوائم الفرس والسوار مصدر ساورت الرجل والخلخال الرمل الجريش والطوق المصدر من الطاقة وقرطتها من القرط وهو العلف الرطب تأكله الدواب فاذا يبس فهو القت وشنفتها جعلتها مشنفة أى مبغضة من شنفت الرجل اذا أبغضته وكسوتها ضربت كساها وهو جانبها وجانب كل شئ كساه والجمع أكساء والقينة هزمة بين الورك وعجب الذنب من الفرس والعود الذى يتبخر به والزمارة الفاجرة ومنه نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كسب الزمارة والزمارة الغل وفى خبر الحجاج أتى سعيد بن جبير وفى عنقه الزمارة أى ساجور والطبل السلة التى يجعل فيها الطعام والطبل الخراج والمغنية ناقة تضرب بنابها والرباب سحاب متراكب قريب من الارض والنبيذ ما نبذته النعام أو الحمير بأرجلها من الحصى

* وتقول مالى مركوب وما بعت عبدا وقد افتقرت حتى مافى ملكى نفقة يوم مالى يعنى ملكى ومركوب ضربت ركبته وثنيه بالحجاز وعبد جبل من جبال طيئ وافتقر اشتد فقاره أو كسر فقار جدى أو جمل والملك الجمة وتقول ما أضعت عملك ولا قصرت ولا أهملت ولا فرطت ولا سامحت أحدا ولا تركت واجبا ولا ارتفقت بحبة ولا أبقيت غاية فى مناصحتك أضعت كثرت ضياعى وفرطت بعثت فارطا وهو طالب الماء وقصرت بنيت قصرا وأهملت كثرت هواملى وهى الابل السارحة فى المرعى بلا راع وسامحت نظرت أينا أكرم والواجب الساقط وارتفقت نمت على

مرفق والغاية راية الخمار وتقول ماشمت له أبا ولا عما ولا عمة ولا خالا ولا خالة ولا صحبته ولا شاهدته ولا راسلته ولا شاربته ولا نادمته ولا رأيته منذ دهر أبادا ء يأخذ المعزى قال

* أبا لا اخال الضان منه نواجيا * وعم قطعة من الناس وقرية بالشأم والعمة النخلة قال صلى الله عليه وسلم نعمت العمة لكم النخلة وقيل لها عمة لانها خلقت من بقية طينة آدم عليه السلام والخال السحاب والخال من البرود والخال من الخيلان والخالة جمع خال من الكبر وصحبته منعته قال تعالى ولا هم منا يصحبون أى يمنعون وشاهدته أكلت معه الشهد وراسلته شربت معه الرسل وهو اللبن وشاربته من الشوارب ونادمته من الندم ورأيته ضربت رئته ودهر قبيلة من اياد *وتقول ما كتبت له حرفا ولا خططت له بقلم ولا شتمته ولا هجوته ولا افتريت عليه ولا أعرف عليه سوأ الحرف الناقة المضمرة والقلم القدح قال الله تعالى اذ يلقون أقلامهم يعني قداح الميسر والشتم قبح الوجه وهجوته أزلت نعمته وهو الهجا مقصور. وافتريت لبست الفرو والسوء البرص *وتقول رأيته في السوق متوفى مقبورا وما أخذ دواء ولا مجنونا فالسوق أصول الشجر وأعناقها متوفى دائما مقبورا مبخرا بالعود الهندى الذي فيه قبر أى رخاوة والدواء والدواية جلدة اللبن والمجنون المضروب على مجانه *وتقول هو مجنون مصاب قد غل مرارا فما اعتذرت له ولا تنصلت لانه ليس من الاجواد ولا الشجعان الذين يقدح فى انسابهم المجنون المستور مصاب منحدر من صاب يصوب وغل من الغلة واعتذر وتنصل اتخذ عذارا ونصلا والاجواد العطاش والشجعان الحيات والانساب أسنان المشط * وتقول رأيت الجيش بالثغر والفارس فى الفوارس فما أفضل عليه أحدا من العرب والعجم الجيش الغليان والثغر شجر له شوك والفارس الحسن الفراسة أو الفوارس كثبان رمل والعرب فساد المعدة وعربت معدته والعجم النوى وما أكلت دابتى شعيرا الشعير جمع شعيرة وهو مسمار من الفضة فى قائم السيف والباب مقسع وفيه تأنس لماذكره أبو محمد * ومن المعاريض ان الحجاج لما أخرج ابن القبعثرى من سجنه قال له سمنت يا غضبان قال القيد والرتعة والخفض والدعة ومن يكن ضيف الامير يسمن قال لاحملنك على الادهم قال مثل الامير يحمل على الادهم والورد والكميت قال انه حديد قال يكون حديدا خير من أن يكون بليدا قال اضربوا به الارض قال منها خلقنا كم وفيها نعيدكم قال جروه قال بسم الله مجراها ومرساها قال احملوه على الايدى فلما حمل قال سبحان الذى سخر لنا هذا فضحك الحجاج وقال غلبنا هذا الخبيث خلوه الى صفحى عنه قال فاصفح عنهم وقل سلام * وقال خالد بن الوليد لعبد المسيح بن عمرو الغسانى وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة من أين أقصى أثرك قال من صلب أبى قال من أين خرجت قال من بطن أمى قال فعلام أنت قال على الارض قال ففيم أنت قال فى ثيابى قال أتعقل لا عقلت قال اى والله وأقيد قال ابن كم أنت قال ابن رجل واحد قال فما سنك قال عظم قال ما تزيد فى مسئلتك الاعيا قال ما أجبتك الاعن مسئلتك *الربيع بن عبد الرحمن قلت لاعرابى أتهمز اسرائيل قال انى اذا لرجل سوء أراد قوله هماز مشاء بنميم قلت أتجر فلسطين قال انى اذا لقوى *خلف الاحمر قلت لاعرابى ألقى عليك بيتا قال على نفسك فألقه *قيل لاعرابى أتهمز الفأرة قال الهر يهمزها ودخل رجل من محارب قيس على عبد الله بن يزيد الهلالى عامل ارمينية وقد بات على قرب من غدير فيه ضفادع فقال عبد الله ما تركتنا شيوخ محارب ننام فى هذه الليلة لشدة أصواتها فقال المحاربى أصلح الله الامير انها أضلت برقعا فهى فى بغائه أراد الهلالى قول الاخطل

تنق بلا شئ شيوخ محارب * وما خلتها كانت تريش ولا تبرى
ضفادع فى ظلماء ليل تجاوبت * فدل عليها صوتها حية البحر

﴿وأراد المحاربى قول الآخر﴾

لكل هلالى من اللؤم برقع * ولابن هلال برقع وقبص

وهذا النحو من التعريض كثير وقال أبو الحسن بن سراج رحمه الله تعالى

يا ضرة الشمس التى أشرقت * قد أشرقت حجة مشتاقك
لحظك أوخصرك قدضمنا * ماضمنت عهدة ميثاقك
ثأر الهوى بطليه ثائر * مصرعه مابين احداقك
لاتدخرى أنفس صوت فقد * رغب فى أنفس أعلاقك
رفقا بمن ملكته فى الهوى * فانه آخر عشاقك

فأنفس أعلاق المرأة معلوم والظرف كله فى قوله فانه آخر عشاقك يعرض انها أسنت فلاعاشق لها من بعده والقينة التى داعبها ومازحها تفهم ماخوطبت به لانها المسدة ولادة بنت المكتفى وولادة شاعرة بارعة التندير فمن تندرها قولها فى ذى الوزارتين بن زيدون عاشقها تعرض له بشئ كان يزن به

مالابن زيدون على فضله * يغتابنى ظلما ولاذنب لى
يلحظنى شزرا اذاجئته * كانما جئت لاخصى على

وعلى صبيه وكان يمزح معه (قوله يغضغضه) ينقصه (المائح) المستقى من أعلى البئر والماتح بالياء من قعرها (حبر) عالم (أطرق) أمال رأسه ساكتا (وأرم) سكت (العى) الذى ان كلمته لم يحسن ردجوابه (ايه) بمعنى زدنى من سؤالك * ابن السرى اذا قلت ايه يارجل فانما تأمره أن يزيدك من الحديث المعهود بينكما كانك قلت هات الحديث وان قلت ايه بالتنوين فكانك قلت هات حديثا ما (فالى متى) سكوتك (مرماة) سهم يرمى به السبق وقيل هو سهم مدور النصل (بعد اشراق صبحك) أى بعد ظهور فضلك واشراق ضوء (مماراة) شك (أبنت) بينت (ذلق) حديد (صهصلق) شديد (مثلة) مغير الخلق فهى فعلة من المثل ويقال المثلة والمثل بمعنى * ونذكر على قوله انا فى العالم مثلة فصلا فى ذكر قباح الوجوه من العلماء وغيرهم فمنهم الجاحظ وأراد المتوكل ان يعلم بنيه الثلاثة وولاة عهده فأدخل عليهم فارتاعوا من قبح وجهه فأخرج عنهم بعنف * وحكى المسعودى أن الجاحظ قال ذكرت للمتوكل لتعليم بعض ولده فلما رآنى استبشع منظرى فأمر لى بعشرة آلاف درهم وصرفنى وقال الجدونى

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا * لرأيته فى دون قبح الجاحظ
رجل ينوب عن الجحيم بوجهه * وهو العدو لكل عين لاحظ

قال الاصمعى رحمه الله دخلت يوما على جعفر بن يحيى فقال لى هل لك يا أصمعى من زوجة قلت لا قال فجارية قلت للمهنة قال فهل لك ان أهب لك جارية نظيفة قلت انى لمحتاج الى ذلك فأمر بجارية فأخرجت وهى فى غاية الحسن والجمال والهيئة والظرف فقال لها قد وهبتك لهذا وقال لى خذ هذه فشكرته وبكت الجارية وقالت ياسيدى أتدفعنى لهذا الشيخ مع ماأرى من سماجته وقبح منظره وجزعت جزعا شديدا فقال لى يا أصمعى هل لك ان أعوضك منها ألف دينار فقلت ماأكره ذلك فأمر لى به ودخلت الجارية فقال لى يا أصمعى أنكرت عليها شيأ فأردت عقوبتها بك ثم رحمتها منك فقلت أيها الامير أفلا أعلمتنى قبل ذلك فانى لم آتك حتى سرحت لحيتى وأصلحت وجهى وعمتى فلو عرفت الخبر اسمرت على هيئتى وخلقتى فوالله لو رأتنى كذلك لما عاودت شيأ تنكره أبدا وماذكرنا قبحهم مع العلم الذى زينهم الله به وكذا ينبغى لمن خلق قبيح الصورة أن يستعمل لها الاخلاق الحسان والافعال الحسان لئلا يجمع بين قبيحين * كان الاوقص المخزومى أقبح الناس خلقة ومارؤى مثله فى العفاف والزهد وكان قاضى مكة فقال يوما لجلسائه قالت لى أمى يابنى انك خلقت خلقة لاتصلح معها المجالسة الفتيان فى بيوت القيان فعليك بالدين فان الله تعالى يرفع به الخسيسة ويتم به النقيصة فنفعنى الله بكلامها فوليت القضاء * وروى أن أم مالك بن أنس أوصته بمثل هذه الوصية حين أراد ان يتعلم

فقال له السائل لله درك من بحر لا يغضغضه المائح وحبر لا يبلغ مدحه المادح ثم أطرق اطراق الحيى وأرم ارمام العيى فقال له أبو زيد ايه يافتى فالى متى والى متى فقال له انه لم يبق فى كنانتى مرماة ولا بعد اشراق صبحك مماراة فبالله أى ابن أرض أنت فما أحسن ما أبنت فأنشد بلسان ذلق وصوت صهصلق
أنا فى العالم مثله
ولا هل العلم قبله

﴿ذكر قباح الوجوه من أهل العلم وغيرهم﴾

الغناء في حداثته فتركه وتعلم العلم فذهب به حيث بلغ * وكان عطاء بن أبي رباح أعور أسود أفطس أشل أعرج ثم عمي وأمه سوداء تسمى بركة وقيل لاهل مكة بعد موته كيف كان عطاء بن أبي رباح فيكم قالوا كان مثل العافية التي لا يعرف فضلها حتى تفقد وكان في خلقة أبان بن عثمان كل عيب وكان يضرب بعيوبه المثل في المدينة * كان معن بن زائدة أمير اليمن يوما جالسا اذ أتته امرأة من بني سهم ومعها ابن صغير يتبعها ويطأ أذيالها فقالت أصلح الله الامير ان عمي زوجني من ليس بكفء فقال من هو فقالت ابن ذي مناجب فقال علي به فدخل أقبح من خلق الله وأشوههم خلقا فقال من هذه منك قال امرأتي قال خل سبيلها ففعل فأطرق معن ساعة ثم رفع رأسه فقال

لعمري لقد أصبحت غير محبب * ولا حسن في عينها ذا مناجب
فما لمته لما تبينت وجهه * وعيناه خوصاء من تحت حاجب
وأنفا كأنف البكر يقطر نائنا * على لحية عضباء منه وشارب
أتيت بها مثل المهاة تسوقها * فياحسن مجلوب ويا شر جالب

وكان تزوجها بمكة وقدم بها اليمن والصبي هو ابن جامع المغني المشهور * وحكى البحتري في نوادره عن رجل سماه قال مررت بامرأة من أجمل الناس معها رجل من أقبحهم فقلت لها يا أمة الله من هذا منك قالت وجليه فقلت ومن قرنك به قالت أخيه فقلت

جزى الرحمن عنك أخاك شرا * فقد أخزاك في الدنيا وزادا
فلم أر مغزلا قرنت بكلب * ولا خزا بطانته بجادا

وقال آخر

ألا رب بيضاء المحاجر طفلة * تساق الى وغد من القوم تنبال
يقولون جرتها اليك قرابة * فويح العذارى من بني العم والخال

وقال آخر

لابن عبد النور وجه * صار للقبح ملاذا
قال قرد اذ رآه * لعنة الله على ذا

وقال في بشار

نواتئ اقمارا وأنت مشوه * وأقرب خلق الله من شبه القرد

وكان بشار ضخما قبيح الوجه جاحظ الحدقتين أقبح الناس عمى ومنظرا فقال فيه حماد عجرد

ألا من مبلغ عني الذي والده برد
اذا ما نسب الناس * فلا قبل ولا بعد
وأعمى يشبه القردا * اذا ما عمي القرد

فقال بشار عندما سمع هذا البيت ما أخطأ ابن الزانية من صفتي نقرة وجعل يبكي ويقول ما حيلتي يراني ويشبهني ولا أراه فأشبهه وبعده

ولو تلقيه في صلد * صفا لانصدع الصلد
هو الكلب اذا ماما * ت لم يوجد له فقد

وأنشده رجل قول حماد

دعيت الى برد وأنت لغيره * وهبك لبرد نكت أمك من برد

فقال له ههنا أحد قال لا قال أحسن والله ابن الزانية ولقد تعين له في بيت واحد على خمسة معان من الهجو وهي دعيت الى برد معنى وأنت لغيره معنى ثان وهبك لبرد معنى ثالث نكت أمك شتم واستخفاف مجرد وهو معنى رابع ثم ختمها بقوله من برد فأتى بالطامة الكبرى وأوجع ما مر عليه من قول حماد

لو طليت جلدته عنبرا * لافسدت جلدته العنبرا
أو طليت مسكا ذكيا اذا * تحول المسك عليه خرا

* كان حفص بن أبي وردة افطس أعمص مقبح الوجه وكان حماد صديقه فتناشدوا الشعر يوما

قطعن حفص على مرقش فقال حماد

لقد كان فى عينيك يا حفص شاغل * وأنف كثيل العود عما تتبع
تشتنع لحنا فى كلام مرقش * ووجهك مبنى على اللحن أجمع
فاذناك اقواء وأنفك مكفأ * وعيناك ايطاء فأنت المرقع

أخذ تشبيه الانف بالثيل من قول كعب فى الوليد بن عبد الملك

فقدت الوليد وأنفاله * كثيل البعير أبى أن يبولا

قال أبو زيد رأيت اعرابيا كان أنفه كوز من عظمه فرآنا نضحك فقال لنا ما يضحككم فوالله لقد كنت فى قوم يسمونى الافطس وقال الشاعر

اذا أنت أقبلت فى حاجة * اليه فكلمه من خلفه
فان أنت واجهته بالكلا * م لم يسمع الصوت من أنفه

وقال آخر

ان عيسى انف أنفه * أنفه ضعف لضعفه
لو تراه راكبا والا * نف قد مال بعطفه
لرأيت الانف فى السر * ج وعيسى ردف أنفه

﴿وقال الحسن فى جعفر بن يحيى﴾

ذاك الوزير الذى طالت علاوته * كانه ناظر فى السيف بالطول

(وقال أبو على الخليع)

سابور ويحك ما أخسك بل أخصك بالعيوب
وجه قبيح فى التبسم كيف يحسن فى القطوب

كان جحظة البرمكى ناتئ العينين جدا قبيح الوجه فقال فيه ابن الرومى

نبيت جحظة تستعير جحوظه * من فيل شطرنج ومن سرطان
يا رحمة لمنادميه تحملوا * ألم العيون للذة الآذان

وكان طيب الغناء وحضر مجلسه على بن بسام فتفرق القوم المخاد فقال جحظة مالى لا أعطى مخدة فقال له ابن بسام غن فالمخاد كلها اليك تصير وقال فيه

يا من هجوناه فغنانا * أنت وحق الله أهجانا
سيان ان غنى لنا جحظة * أوصر مجنون فزنانا

وله فيه أيضا

لجحظة المحسن عندى يد * أشكرها منه الى المحشر
لما رآنى رد برذونه * وصاننى عن وجهه المنكر

كان الحطيئة قبيح المنظر كثير الشر فالتمس يوما انسانا يهجوه فلم يجد فجعل يقول

أبت شفتاى اليوم الا تكلما * بشر فما أدرى لمن أنا قائله

فاطلع فى ماء فرأى وجهه فقال

أرى لى وجها قبح الله شخصه * فقبح من وجه وقبح حامله

نظر الى هذا اسمعيل بن معمر القراطيسى فقال

ويلى على ساكن شط الفراه * مزار حبه على الحياه
ما تنقضى من عجب فكرتى * من خصلة فرط فيها الولاه
ترك المحبين بلا حاكم * لم يقعدوا للعاشقين القضاه
وقد أتانى خبر ساءنى * مقالها فى السر واسوأتاه
أمثل هذا يبتغى وصلنا * أما يرى ذا وجهه فى المراه

وقال الاصبهانى ان القراطيسى سأل العباس بن الاحنف فقال له يا أبا الفضل هل قلت فى معنى قولى هذا شيأ فقال قلت

جارية أعجبها حسنها * ومثلها فى الناس لم يخلق
خبرتها أنى محب لها * فاقبلت تضحك من منطقى
والتفتت نحو فتاة لها * كالرشا الوسنان فى قرطق
قالت لها قولى لهذا الفتى * انظر الى وجهك ثم اعشق

(وقال الصقلى فى صفة عذول قبيح)

رأى وجه من أهوى عذولى فقال لى * أحلك عن وجه أراه كريها
فقلت له بل وجه حبى مراءة * فأنت ترى تمثال وجهك فيها

(ولابن القابلة السبتى)

ووجه حبيب رق حسنا أديمه * يرى الصب فيه وجهه حين ينظر
تعرض لى عند اللقاء به رشا * تكاد الحيا من حياه تقطر
ولم يتعرض كى أراه وانما * أراد يرينى أن وجهك أصفر

(ولبعض المصريين فى غلام يهواه)

يجرى النسيم على غلالة خده * وأرق منه ما يمر عليه
ناولته المرآة ينظر وجهه * فعكست فتنة ناظريه اليه

(وقال الرمادى)

واذا أراد تنزها فى روضة * أخذ المراة بكفه فتنزها

كان للفضل بن سهل وصيفة ظريفة كثيرة الملح والنوادر وكانت ساقيته وكان أبو نواس يولع بها ويمازحها فقال لها يوما انى أحبك وتبغضينى فلم ذلك فقالت له وجهك والحرام لا يجتمعان فقال

مذكرة مؤنثة مهاة * اذا برزت تشبها غلاما
تعاف الماء والعسل المصفى * وتشرب من فتوتها المداما
تقول لمحظها يا سيف أبشر * ستروى من دم وتشق هاما
وقائلة لها فى وجه نصح * علام قتلت هذا المستهاما
فكان جوابها فى حسن مس * أأجمع وجه هذا والحراما

(ومن ملح ابن لنكك فى أهاجى أبى رياش)

على القبح الفظيع أبو رياش * يعاشرنا بأخلاق ملاح
يبيح أكفنا أبدا قفاه * فنصفعه على وجه المزاح

(وله فيه أيضا)

قل للوضيع أبى رياش لا تبل * تيه كل تيه بالولاية والعمل
ما ازددت حين وليت الا خسة * كالكلب أنجس ما يكون اذا اغتسل

(قوله تعريس) أى نزول آخر الليل (يهدى) الاول يرشد ويدل على الطريق ويقال هداه يهديه هدى فى الدين وهداه يهديه هداية فى الطريق (يهدى) يعطى هدية ويقال أهداه هدية يهديها اهداء اذا أعطاها (الذود) ما بين الثلاث الى العشر من الابل ولا تكون الا اناثا (قينة) جارية مغنية ويقال القينة الامة كانت مغنية أو غير مغنية (الفينة) الساعة والحين ويقال انى لآتيه الفينة بعد الفينة وفينة بعد فينة يستعمل بالالف واللام وبتركهما أى أديم الاختلاف اليه الحين بعد الحين والوقت بعد الوقت (يزجى) يسوق (السفيه) البطال المشتغل باللهو (هنيهة) سويعة تصغير هنة

غير أنى كل يوم
بين تعريس ورحله
والعريب الدار لوحل
ل بطوبى لم تطب له
ثم قال اللهم كما جعلتنا ممن
هدى ويهدى فاجعلهم
ممن يهتدى ويهدى فساق
اليه القوم ذودا مع قينة
وسألوه أن يزورهم الفينة
بعد الفينة فنهض عنهم
العود ويزجى الامة والذود
(قال الحرث بن همام)
فاعترضته وقلت له عهدى
بك سفيها فتى صرت فقيها
فظل هنيهة

ويقال

ويقال فى تصغيرها هنية وهنيهة كما تصغر سنة سنية وسنيهة (يجول) يتصرف (لبوسا) ثوبا يشاكله أخذه من قول النابغة

البس لكل حالة لبوسها * اما نعيمها واما بوسها

(لابست) خالطت (صرفيه) حاليه من الخير والشر (عاشرت) صاحبت (يلائمه) يوافقه (أروق) أعجب والصرف اسم لحادث الدهر لانه يصرف الاشياء عن وجوهها (طورا) مرة (أقرى المسامع) أعطى الآذان واجعل فيها البيان (اما نطقت) أى ان نطقت (الحرون) الذى يأبى المشى والانقياد (الشموس) الذى اذا نخس وثب وقيل الذى يمنع الركاب (البراع) الاقلام ارعفها أسالها بالمداد (يحلى) يزين (الطروس) الكتب سميت بذلك لانها ممحوة والمطروس الممحو قال رؤبة

* كما رأيت الطلل المطروسا * وعلى ذكر اليراع قال محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمى فى قلم

وأهيف طاوى الكشح اسمر ناطق * له جولان فى بطون المهارق

كان اللآلى والزبرجد نطقه * ونور الخزامى فى عيون الحدائق

اذا استعجلته الكف أمطر خاله * بلا صوت ارعاد ولا صوب بارق

(وقال ابن عبد ربه)

بكفه ساحر البيان اذا * أداره فى صحيفة سحرا

مهفهف تزدهى به صحف * كأنما حليت به دررا

يكاد عنوانها روعته * ينبيك عن سرها الذى استترا

(وقال التهامى)

يلقى العدا من كتبه بكتائب * يجررن من زرد الحروف ذيولا

فترى الصحيفة حلبة وجيادها * أقلامها وصريرهن صهيلا

فى كفه قلم أتم من القنا * طولا وهن أتم منه طولا

وله أيضا

واذا راش بالانامل منه * قلما واستمد ساء وسرا

قلما دبر الاقاليم حتى * قال فيه أهل التناسخ أمرا

يتبع الرمح أمره فابن عشرين ذراعا بالرأى يخدم شبرا

(السها) نجم خفى (خلبن) خدعن (أسأرن) أبقين والسؤر البقية وفى الحديث اذا أكلتم فأسئروا وأخذت سائره معناه بقيته (الرسيس) أول برد الحمى يريد أن هذه الملح لعذوبتها اذا حلت فى القلب أحدثت فيه حركة وهزة واذا سمع ذو الذكاء كلاما مستظرفا من نثر أو نظم وجد له دبيبا وقشعريرة وأخذ وكم مشكلات من قول على رضى الله عنه

(ذكر مدح الشعراء للشعر)

اذا المشكلات تصدين لى * كشفت حقائقها بالنظر

وان برقت فى مخيل الصوا * ب عمياء لا يجتليها البصر

مقنعة بغيوب الامور * وضعت عليها صحيح الفكر

لسانا كشقشقة الارحبى أو كالحسام اليمانى الذكر

وقلبا اذا استنطقته الفنو * ن أبرز عليها بها نداه درر

(عذراء) قصيدة بكر لم يسبق اليها (فهت) نطقت (انثنى) رجع (طليقا) منتشرا فى الناس (حبيسا) موقوفا عليها لا يتعداها لغيرها ومدح الشعراء للشعر باب شأوه بعيد وسنذكر لحبيب وهو المبرز فيه ولغيره ما يستحسن ويستجاد قال حبيب

جاءتك من نظم اللسان قلادة * سمطان فيها اللؤلؤ المكنون

حذيت حذاء الحضرمية أرهفت * فأجادها التخصين والتبيين

يجول ثم أنشد يقول

لبست لكل زمان لبوسا
ولابست صرفيه نعمى وبوسا
وعاشرت كل جليس بما
يلائمه لاروق الجليسا
فعند الرواة أدير الكلام
وبين السقاة أدير الكؤسا
وطورا بوعظى أسيل الدموع
وطورا بلهوى أسر النفوسا
وأقرى المسامع اما نطقت
بيانا يقود الحرون الشموسا
وان شئت أرعف كفى اليراع
فساقط درا يحلى الطروسا
وكم مشكلات حكين السها
خفاء فصرن بكشفى شموسا
وكم ملح لى خلبن العقول
وأسأرن فى كل قلب رسيسا
وعذراء فهت بها فانثنى
عليها الثناء طليقا حبيسا

انسية وحشية كثرت بها * حركات أهل الارض وهي سكوت
أما المعاني فهي أبكار اذا * فضت ولكن القوافي عون

وقال أيضا
فوالله لا أنفك أحدو قصائدا * اليك يحملن الثناء المبجلا
يحال بها برد عليك مجدد * وتحسبه دراً عليك مفصلا
ألذ من السلوى وأطيب نفحة * من المسك مفتوقا وأيسر محملا
أخف على سمع وأثقل قيمة * وأقصر في سمع الجليس وأطولا

﴿وقال البحتري﴾

تطوف القوافي فيكم فكأنما * يطير اليكم من علو قصيرها
وكم لي من محبوكة الوشي فيكم * اذا انشدت قام امرؤ يستعيرها

وقال أيضا
ألست الموالي فيك نظم قصائد * هي الانجم اقتادت مع الليل أنجما
ثناء كان الروض منه مروض * ضحى وكان الوشي فيه مسهما

وقال أيضا
اليك القوافي نازعات قواصد * يسير ضاحي وشيها وينمنم
ومشرقة في النظم غرا يزيدها * بهاء وحسنا أنها لك تنظم
ضوامن للحاجات اما شوافعا * مشفعة أو حاكمات تحكم

﴿وقال على بن الجهم﴾

ولكن احسان الخليفة جعفر * دعاني الى ماقلت فيه من الشعر
فسار مسير الشمس في كل بلدة * وهب هبوب الريح في البر والبحر

﴿ولابن الرومي يهجو﴾

خذها اليك منيحة سيارة * في الناس من باد ومن متحضر
تغدو اليك بحاصب وبنارب * وعلى الرواة بلؤلؤ متخير

﴿وقال السري الموصلي﴾

أتتك يجول ماء الطبع فيها * مجال الماء في السيف الصقيل
قواف ان ثنت للمرء عطفا * ثنى الاعطاف في برد جميل

وقال أيضا
شرقت بماء الطبع حتى خلتها * شرقت لرونقها بتبر ذائب
ويقول سامعها اذا ما أنشدت * اعقود حمد أم عقود كواكب

وقال أيضا
ألفاظها كالدر في الفاظه * لا بل تزيد عليه في لألائه
من كل رائعة الجمال كأنما * جاد الشباب لها بماء رونق مائه
والشعر بحر حزت أنفس دره * وتنافس الشعراء في حصبائه

وقال أيضا
لفظ صقلت متونه فكأنه * في مشرقات النظم در سحاب
وكأنما أجريت في صفحاته * سحر العيون وخالص الزرياب
أغربت في تحبيره فرواته * في نزهة منه وفي استغراب
وقطعت منه شبيبة لم تشتغل * عن حسنه بصبا ولا بتصاب
واذا ترقرق في الصحيفة ماؤه * عبق النسيم فذاك ماء شباب
يصغي اللبيب له فيقسم لبه * بين التعجب منه والاعجاب
جد يطير شراره وفكاهة * تستعطف الاحباب للاحباب

قال يحيى بن أكثم لمحمد بن حازم مافي شعرك شيء غير انك لا تطيله فقال

أبى لي أن أطيل الشعر قصدي * الى المعنى وعلمي بالصواب

فأبعثهن أربعـــة وخمسا * مثقفة بألفاظ عـــذاب
خــوالد ماحــدا ليــل نهارا * وماحسن الصبا بأخي الشباب
وهن اذا وسمت بهــن قوما * كاطواق الحمائم في الرقاب
وهــن اذا أقمن مسافرات * تهاداها الرواة مع الركاب

(قوله على انني) أي مع انني (وقوله ولا كيد فرعون موسى) أضاف فرعون الى موسى لان الفراعنة كانوا جماعة وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل أمة فرعونا وفرعون هذه الامة أبو جهل وفرعون موسى كان أكبر الفراعنة كيدا وأطولهم عمرا وأعتاهم على الله وأسراهم مملكة * ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال موسى عليه الصلاة والسلام يارب أمهلت فرعون أربعمائة سنة وهو يقول أنا ربكم الاعلى ويكذب بآياتك ويجحد رسلك فأوحى الله تعالى اليه انه كان حسن الخلق سهل الحجاب فاحببت ان أكافئه وأما عذابه لبني اسرائيل فقد قدمناه في الخامســة * ومما يحكى عنه انه كان يأمر بالقصب فيشق ويجعل أمثال الشفار ثم يضيف بعضه الى بعض ثم يؤتى بالحبالى من بني اسرائيل فيوقفن عليه فيحز أقدامهن حتى ان المرأة لتضع ولدها فيقع بين رجليها فتظل فتطؤه تتقي به حد القصب عن رجليها قال وهب بن منبه بلغني انه ذبح في طلب موسى تسعين ألف ولد ونسب الثعالبي المفسر فرعون فقال هو أبو العباس الوليد بن مصعب بن الريان بن اراشة بن ثروان بن عمرو بن فازم بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام (قوله يسعر) أي يهيج (وغى) حرب (لظاها) حرها (وطيسا) شدة وحمي الوطيس اشتدت الحرب وأصله تنور من حديد يطبخ فيــه فشبهت شدة الحرب وحرارتها به وقيل هو حفرة يختبز فيها والوطيس الوطء الشديد والبلاء الذي يطس الناس أي يدقهم ويقتلهم (يطرقني) يقصدني ليلا (الخطوب) الامور الشداد (خساسة) حقارة (حظي) نصيبي * ومما قيل في معنى قوله * ويدني الي البعيد البغيض * البيت قول الزاهد بن عمران

المام كل ثقيل قد أضر بنا * نروم نقصهم والشئ يزداد
ومن يخف علينا الايلم بنا * وللثقيل مع الساعات ترداد

* (ويقرب منه قول الشاعر) *

وكيف يود القلب من لا يوده * بلى قد تريد النفس من لا يريدها

* (وقال عدي بن الرقاع) *

نبلتك أخت بني لؤي اذ رمت * وأصاب نبلك اذ رميت سواها
وأعارها الحدثان منك مودة * وأعار غــيرك ودها وهواها

* (وهذا من قول الاعشى) *

علقتها عرضا وعلقت رجلا * غيري وعلق أخرى غيرها الرجل

وقال مسلم بن الوليد وهو صريع الغواني وكان خاملا فولاه بنو سهل جرجان فشرف فقال

أهل الصفاء نأيتم بعد قربكم * فما انتفعت بعيش بعـدكم صافي
وقد قصدت ندى من لا يوافقني * فكان سهمي عنه الطائش الطافي
أردت عمرا وشاء الله خارجــة * أما كفى الدهر من خلفي واخلافي

ولهذا أشار ابن شرف بقوله

سل عن رضاي عن الزمان وانه * كرضا الفرزدق عن بني يربوع
لله حال قــد تنقــل عهدها * كخلاف نقــل الدهر حال صريع
دارت دراري الخطوب قواصدا * حــتى نظرن الي من تربيع

على انني من زماني خصصت
بكيد ولا كيد فرعون موسى
يسعر لي كل يوم وغى
أطا من لظاها وطيسا وطيسا
ويطرقني بالخطوب التي
يذبن القوي ويشبن الرؤسا
ويدني الي البعيد البغيض
ويبعد عني القريب الانيسا
ولولا خساسة اخلاقه
لما كان حظي منه خسيسا

(وله أيضا يشكى)

مالى أجاذب ذى الدنيا مولية * فكل ثوب عليها قد من دبر
أتى الزمان على يأس به لبسنى الدنيا كبشرى بمولود على كبر

وقال أيضا
انى وان عزنى نيل المنى لارى * حرص الفتى خلة زيدت على العدم
تقلدتنى الليالى وهى مدبرة * كأننى صارم فى كف منهزم

وقال جحظة
ضاقت على وجوه الرأى فى نفر * يلقون بالجحد والكفران احسانى
أقلب الطرف تصعيدا ومنحدرا * فما أقابل انسانا بانسانى

وقال أيضا
لقد مات اخوتى الصالحون * فمالى صديق ومالى عماد .
اذا أقبل الصبح ولى السرور * وان أقبل الليل ولى الرقاد

فقلت له خفض الاحزان ولا تلم الزمان واشكر لمن نقلك عن مذهب ابليس الى مذهب ابن ادريس

(قوله خفض) أى سكن و(ابن ادريس) هو الامام الشافعى محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف يلتقى نسبه مع بنى هاشم و بنى أمية فى عبد مناف وقال صلى الله عليه وسلم نحن و بنو المطلب كهاتين وأشار باصبعيه السبابة والوسطى مضمومتين وحاصرت قريش بنى المطلب مع بنى هاشم فى الشعب وكان الشافعى أعلم الناس وأورعهم وأعبدهم وأجودهم فان أردت أن تقف على حفظه ومبلغ علمه فانظر رحلته ووصفه بعض أهل العلم فقال هو شقيق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسبه وشريكه فى حسبه زوج المطلب ابنه هاشما الشفاء بنت هاشم بن عبد مناف أخيه فولدت له عبد يزيد جد الشافعى رضى الله عنه فكان يقال لعبد يزيد المحض لاقذى فيه فولد الشافعى رضى الله تعالى عنه هاشمان هاشم بن المطلب وهاشم ابن عبد مناف فالشافعى ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم وابن عمته لان الشفاء أخت عبد المطلب فهى عمة النبى صلى الله عليه وسلم وأسلم السائب جده يوم بدر وكان صاحب راية بنى هاشم بن عبد مناف أسر وفدى نفسه فأسلم فقيل له لم لم تسلم قبل أن تفتدى فقال ما كنت أحرم المؤمنين طمعا لهم فى قال أبو ثور ما رأيت ولا رأى الراؤن مثله وقال أحمد بن حنبل ما صليت صلاة منذ أربعين سنة الا وأنا أدعو الله للشافعى وقال له ابنه أى رجل كان الشافعى حتى تدعو له هذا الدعاء فقال يابنى كان كالشمس للدنيا أو كالعافية للناس وحدث صالح بن أحمد بن حنبل قال مشى أبى مع بغلة الشافعى فى ركابه فبعث اليه يحيى بن معين فقال له يا أبا عبد الله أما رضيت الا أن تمشى مع بغلته فقال يا أبا زكريا لو مشيت من الجانب الآخر لكان أنفع لك وما يمس أحد محبرة الا وللشافعى فى عنقه منة *وقال الشافعى رضى الله عنه ما شبعت منذ ست عشرة سنة لان الشبع يثقل البدن و يقسى القلب و يزيل الفطنة و يجلب النوم و يضعف صاحبه عن العبادة وقال ما حلفت بالله لا صادقا ولا كاذبا وقال ما ناظرت أحدا قط فاحببت أن يخطئ وما كلمت أحدا الا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه من الله رعاية وحفظ وما كلمت أحدا الا وأنا لا أبالى أن الله يبين الحق على لسانه أو لسانى وما أوردت الحجة على أحد فقبل منى الا هبته واعتقدت محبته ولا نابرنى على الحق أحد ودافع الحجة الا سقط من عينى ورفضته وكان يختم القرآن فى رمضان ستين مرة كل ذلك فى الصلاة* وقال الكرابيسى بت معه غير ليلة فكان يصلى نحوا من ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية فاذا أكثر فمائة آية وكان لا يمر بآية فيها رحمة الا سأل الله لنفسه ولجميع المسلمين ولا بآية عذاب الا تعوذ منها وسأل النجاة منها لنفسه ولجميع المسلمين* وقال عمر بن عبد الله البلوى جلسنا يوما نتذاكر الزهاد والعباد والعلماء وما بلغ من زهدهم وفصاحتهم وعلمهم فبينما نحن كذلك اذ دخل علينا عمر بن نباتة وقال فيم تتحاورون فأعلمناه فقال عمر والله ما رأيت رجلا قط أورع ولا أخشع ولا أفصح ولا أسمح ولا أعلم ولا أكرم ولا أجمل ولا أجل ولا أفضل من محمد بن ادريس الشافعى خرجت أنا وهو والحرث بن اللبيد

ذكر الامام الشافعى رضى الله عنه

الى

الى الصفا وكان الحرث صاحب صالح المرى وكان من المتقين الخاشعين وكان حسن الصوت فقرأ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فرأيت الشافعى رضى الله عنه قد تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا ثم خر مغشيا على وجهه فلما أفاق جعل يقول أعوذ بك من مقام الكاذبين واعراض الغافلين اللهم خضعت لك قلوب العارفين وذلت لك قلوب المشتاقين اللهم هب لى جودك وجللنى بسترك واعف عن تقصيرى بكرم وجهك ثم قمنا وتفرقنا * وقال الربيع بن سليمان سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول أتى على عيد وليس عندى نفقة فاستسلفت سبعين دينارا النفقة أهلى فبينا أنا كذلك اذ أتانى رجل من قريش يشتكى الى الحاجة فاخبرته خبرى وقلت له خذ ما تحب فقال لى ما يقنعنى الا أكثر من هذه الدنانير فقلت له خذها وبت وما معى دينار ولا درهم فبينا أنا فى منزلى اذ أتانى رسول جعفر بن يحيى البرمكى يقول أجب الوزير فأجبته فقال ما شأنك فى هذه الليلة يهتف بى هاتف كلما دخلت فى النوم يقول الشافعى الشافعى فأخبرته بالخبر فأعطانى خمسمائة دينار ثم قال أزيدك فاعطانى خمسمائة أخرى فلم يزل يزيدنى حتى أعطانى ألفى دينار ومن جوده أن سوطه وقع من يده فأعطى من ناوله اياه خمسين دينارا وورد مكة بعشرة آلاف درهم فضرب خباءه خارجها فأتاه الناس فما برح من موضعه حتى فرقها وكان شاعرا مجيدا قال أبو القاسم بن الازرق دخلت عليه فقلت له يا أبا عبد الله أما تنصفنا لك هذا الفقه تفوز بفوائده ولنا هذا الشعر وقد جئت تداخلنا فيه فاما أفردتنا أو أشركتنا فى الفقه وقد أتيت بابيات ان أجزتها بمثلها تبت من الشعر وان عجزت تب منه فقال لى ايه يا هذا فانشدته هذا الكلام

ماهمتى الا مقارعة العدا * خلق الزمان وهمتى لم تخلق
والناس أعينهم الى سلب الغنى * لا ينظرون الى الحجا والأولق
لكن من رزق الحجا حرم الغنى * ضدان مفترقان أى تفرق
لو كان بالحيل الغنى لوجدتنى * بنجوم أقطار السماء تعلق

فقال الشافعى رضى الله تعالى عنه ألا قلت كما أقول ارتجالا

ان الذى رزق اليسار فلم ينل * حمدا ولا أجرا لغير موفق
فالجد يدنى كل أمر شاسع * والجد يفتح كل باب مغلق
فاذا سمعت بأن مجدودا حوى * عودا فأثمر فى يديه فحقق
واذا سمعت بأن محروما أتى * ماء ليشربه فغاض فصدق
وأحق خلق الله بالهم امرؤ * ذو همة يبلى بعيش ضيق
ومن الدليل على القضاء وكونه * بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق

فقلت له لا قلت شعرا بعدها * قال المبرد كان الشافعى رضى الله عنه أشعر الناس وآدب الناس وأعرفهم بالفقه والقرا آت ولقد أخبرنى بعض أصحابى أنه مات ولد لعبد الرحمن بن مهدى فكتب اليه الشافعى رضى الله عنه يا أخى عز نفسك بما تعزى به غيرك واستقبح من فعلك ما تستقبحه من غيرك واعلم ان أمض المصائب فقد سرور وحرمان أجر فكيف اذا اجتمعا مع اكتساب وزر فتناول حظك يا أخى اذا قرب منك قبل أن تطلبه وقد نأى عنك ألهمك الله عند المصائب صبرا وأحرز لنا ولك بالصبر أجرا وكتب اليه

انى أعزيك لا أنى على ثقة * من الحياة ولكن سنة الدين
فما المعزى بباق بعد ميته * ولا المعزى وان عاشا الى حين

وقال أيضا علمى معى حيثما يممت ينفعنى * قلبى وعاء له لا بطن صندوق
ان كنت فى البيت كان العلم فيه معى * أو كنت فى السوق كان العلم فى السوق

وقال أيضا ومنزلة السفيه من الفقيه * كمنزلة الفقيه من السفيه
فهذا زاهد في قرب هذا * وهذا فيه أزهد منه فيه
اذا غلب الشقاء على سفيه * تقطع في مخالفة الفقيه

وناظر الشافعي محمد بن الحسن الكوفي بالرقة فقطعه الشافعي فبلغ ذلك هرون الرشيد فقال أما علم محمد بن الحسن اذا ناظر رجلا من قريش أنه يقطعه سائلا أو مجيبا والنبي صلى الله عليه وسلم يقول قدموا قريشا ولا تقدموا عليها وتعلموا منها ولا تعلموها فان علم العالم منها يسع طباق الارض وكان الشافعي يعظم محمد بن الحسن لعلمه واستعاره شيأ من كتبه فلم يسعفه بذلك فكتب اليه الشافعي رضي الله تعالى عنه

قل للذي لم ترعين من رآه مثله * ومن كأن من رآه قد رأى من قبله
العلم ينهى أهله * ان يمنعوه أهله لعله يبذله * لأهله لعله

فبعث اليه بما سأل وقال في الفقيه ابن عبد الحكم وقد اعتل فعاده

مرض الحبيب فعدته * فمرضت من حذرى عليه
شفي الحبيب فعادني * فشفيت من نظرى اليه

وقال أبو سعيد سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول بيتين وهما

اني أرى نفسي تتوق الى مصر * ومن دونها عرض المهامه والقفر
فوالله ما أدرى أللخفض والغنى * أقاد اليها أم أقاد الى القبر

قال فوالله ما كان الا قليل حتى سيق اليهما جميعا ورأيته بعد وفاته فقلت له ما فعل الله بك فقال اجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب * وقال المزني دخلت عليه غداة وفاته فقلت له كيف أصبحت يا أبا عبد الله قال أصبحت من الدنيا راحلا ولاخواني مفارقا ولكاس المنية شاربا ولا أدرى الى الجنة تصير نفسي فأهنيها أم الى النار فاعزيها ثم أنشأ يقول

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي * جعلت الرجا مني لعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته * بعفوك ربي كان عفوك أعظما

وكانت وفاته في رجب ليلة الجمعة سنة أربع ومائتين ودفن في صبيحتها وهو ابن أربع وخمسين سنة وصلى عليه السري بن الحكم أمير مصر ودفن بها نحو قبور الشهداء في مقبرة بني عبد الحكم وعند رأسه عمود من الحجر كبير وفيه مكتوب هذا قبر محمد بن ادريس الشافعي أمين الله وقال الشافعي أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ورغب في مودة من لا ينفعه وقبل مدح من لا يعرفه *وقال من غلبت عليه شدة الشهوة بحب الدنيا لزمته العبودية لأهلها ومن رضي بالقنع زال عنه الخضوع وقال الربيع بن سليمان سمعت الشافعي يقول

وأنزلني طول النوى دار غربة * يجاورني من ليس مثلي يشاكله
أحامقه حتى يقال سجية * ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

(قال وسمعته ينشد)

صن النفس واحملها على ما يزينها * تعش سالما والقول فيك جميل
ولا تولين الناس الا تجملا * نبابك دهر أو جفاك خليل
وان ضاق رزق اليوم فاصبر الى غد * عسى نكبات الدهر عنك تزول
ولا خير في ود امرئ متلون * اذا الريح مالت مال حيث تميل
وما أكثر الاخوان حين تعدهم * ولكنهم في النائبات قليل

قال وسمع رجلا يسفه على رجل من أهل العلم فقال لأصحابه نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا كما

تنزهون ألسنتكم عن النطق به فان المستمع شريك القائل فان السفيه ينظر الى أخبث شئ فى وعائه فيحرص على أن يفرغه فى أوعيتكم * نظم بعضهم هذا المعنى فقال

فسمعك صن عن سماع الخنى * كصون اللسان عن النطق به
فانك عند استماع الخنى * شريك لقائله فانتبه

وكان الحسن البصرى رحمه الله اذا خطب الحجاج وذكر السلف يتكلم تشاغلا عن خطبته فقيل له فى ذلك فقال ان السامع والمتكلم شريكان ألم تسمع قول الشاعر

فجاء به ناطق منهم * بليغ ومستمع صامت
فكل له حظه أنه * أعان مع الناطق الساكت

وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود

ان كنت لا ترهب ذمى لما * تعلم من صفحى عن الجاهل
فاخش سكوتى اذا أنا منصت * فيك لمسموعى خنى القائل
فالسامع القول كمن قاله * والموكل المأكول كالآكل

وذكر الفنجديهى الشافعى فقال هو امام الانام ونظام الاسلام أحد الائمة الاربعة الاطود الشامخة فى الدين الاجواد رضيع لبان النبوة أفضل العلماء وأعلم الفضلاء وصدرا لبدور وبدر الصدور وهادى الدعاة وداعى الهداة اكسير العلوم واكليل الرسوم علم العلماء شظية من علمه وحلم الحلماء جذوة من حلمه وعقائد الاصول مقتدحة من زناد كلماته وقواعد الفروع مقترحة من عداد نغماته فارس هيجاء المشكلات ومقوم عوجاء المعضلات منبع السنن ومتبع السنن فاز بغلبات الاقران وحاز قصبات الرهان بطهارة الاعراق ودماثة الاخلاق وفخامة شرف الامومة وكرامة طرفى الابوة والعمومة درة الاصداف من صميم آل عبد مناف كشف الظلمة عن الامة وصرف عنهم المظلمة المدلهمة بعلم كالعرالحبى ورأى كالبدر فى الليل الدجى مذهبه مؤيد بنصوص القرآن وفصول الفرقان أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان فهو بين المذاهب والاديان كالناظر فى الاجفان والسمع فى الآذان والعقل فى الانسان والعدل للسلطان أحله الله محل القدس وأدلى اليه سحاب الانس فى كلام أكثر من هذا (قوله دع الهتار) أى اترك تمزيق العرض وفلان يهاتر فلانا أى يسابه بالباطل من القول والقبيح من اللفظ وأصل الهتر سقط الكلام والباطل والمهاترة القول الذى ينقض بعضه بعضا وأهتر الرجل فهو مهتر اذا أولع بالقول فى الشئ واستهتر فهو مستهتر ذهب عقله فيه وانصرفت اليه همته (تهتك) تخرق وتكشف يريد انه لما عرض له بنقائصه قال له دع الضمير وكشف العيب فليس هذا موضعه (انهض) تقدم (لنضرب) لنمشى فى الارض (نرحض) نغسل (المزار) زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم (درن الاوزار) وسخ الذنوب (هيهات) معناه بعد ذلك عنك (أفقه) أفهم و(ذمما) جمع ذمة وهى العهد (أمما) شيئا قريبا والامم القصد (هاك) أى خذ (المعمى) المغطى المشكل المعنى وأراد به شرح المسائل الفتيا الملغزة ويقال لمن يطلب ما يمكن ولم يشتط طلب أمما قال قيس الرقيات

كوفية نازح محلتها * لا أمم دارها ولا صقب

الصقب القرب (الغمى) هى الغمة التى تغطى على الذهن والمعمى الامر الملتبس (الاكوار) ماهو للابل كالبراذع للدواب (الشقة) السفر البعيد و(السول) المراد والمسؤل (أشأم وأعرقت) قصد الشأم وقصدت العراق * ونذكر هنا فصلا فى زيارة القبر المعظم وتوديع زائره له ووصف الروضة والمسجد وذكر يثرب وهى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم ومهاجره سماها طيبة لما كان اشتقاقها من التثريب وكان صلى الله عليه وسلم يغير الاسماء التى تدل على الاستقباح الى ضدها وقال صلى

فقال دع الهتار ولا تهتك الأستار وانهض بنا لنضرب الى مسجد يثرب فعسى أن نرحض بالمزار درن الاوزار فقلت هيهات أن أسير أو أفقه التفسير فقال تالله لقد أوجبت ذمما وطلبت اذ طلبت أمما فهاك ما يشفى النفس وينفى اللبس (قال) فلما أوضح لى المعمى وكشف عنى الغمى شددنا الاكوار وسرت وسار ولم أزل من مسامرته مدة مسايرته فيما أنسانى طعم المشقة ووددت معه بعد الشقة حتى اذا دخلنا مدينة الرسول وفزنا من الزيارة بالسول أشأم وأعرق وغرب وشرقت

(نبذة فى زيارة قبره عليه الصلاة والسلام)

الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي * ابن عمر رضي الله عنهما يثرب أرض مدينة الرسول في ناحية منها وقال شيخنا ابن جبير في روضته صلى الله عليه وسلم شاهدنا الروضة المكرمة وقد وقع الاذان بوصول صدر الدين رئيس الشافعية الاصبهاني الذي ورث النباهة والوجاهة في العلم كابرا عن كابر المعروف برئيس العلماء توارثه عن أب فأب وقد غص الحرم بالمنتظرين وقد أعد له كرسي بازاء الروضة المقدسة فصعد وحضر قراؤه أمامه فابتدؤا بالقراءة بنغمات عجيبة وتلاحين مطربة بهيجة وهو يلحظ الروضة المقدسة ويعلن بالبكاء ثم أخذ في خطبة من انشائه سحرية البيان وسلك في أساليب من الوعظ باللسان وأنشد أبياتا بديعة من قوله كان يردد منها هذا البيت ويشير الى الروضة المعظمة المطهرة

ها تيك روضته تفوح نسيما * صلوا عليه وسلموا تسليما

وتمادى في وعظه الى أن أطار النفوس من خشية ورقة وهو يعتذر من التقصير لهول ذلك المقام ويقول عجبا لألكن العجم كيف ينطق عند أفصح العرب وتهافتت الاعاجم عليه معلنين بالتوبة وقد طاشت ألبابهم ودهشت عقولهم فيلقون نواصيهم بين يديه فيستدعي الجلمين ويجزها ناصية ناصية وكلما جز ناصية كساها عمامة فتوضع عليه للحين عمامة أخرى ثم ختم مجلسه بأن قال معشر الحاضرين قد تكلمت لكم ليلة بحرم الله وهذه الليلة بحرم رسوله ولابد للواعظ من كدية وأنا أسألكم حاجة ان ضمنتموها الى أرقت لكم ماء وجهي في ذكرها فاعلن الناس بالاسعاف وشهيقهم قد علا فقال حاجتي أن تكشفوا رؤسكم وتبسطوا أيديكم ضارعين لهذا النبي الكريم في أن يرضى عني ويسترضي الله عز وجل لي ثم أخذ في تعداد ذنوبه والاعتراف بها فأطار الناس عمائمهم وبسطوا أيديهم للنبي صلى الله عليه وسلم داعين له باكين متضرعين فما رأيت ليلة أكثر دموعا ولا أعظم خشوعا من تلك الليلة ثم انفض المجلس قال ابن جبير رحمه الله ثم كان في اليوم التالي لهذه الليلة وداعنا للروضة المكرمة فيا له وداعا ذهلت له النفوس ارتياعا حتى طارت شعاعا وما ظنك بموقف ينادي بالتوديع فيه سيد المرسلين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين انه لموقف تنفطر فيه الافئدة وتطيش له الالباب المتئدة فوا أسفاه وا أسفاه كل يبوح لديه بأشواقه ولا يجد بدا من فراقه فما تستطيع الى الصبر سبيلا ولا تسمع في ذلك المقام الا رنة وعويلا وكل بلسان الحال ينشد

محبتي تقتضي مقامي * وحالتي تقتضي الرحيلا

بوأنا الله بزيارة هذا النبي الكريم منزل الكرامة وجعله شفيعا لنا يوم القيامة وأحلنا بفضله في جواره الكريم دار المقامة ثم ذكر الروضة المقدسة مع المسجد العتيق الذي احتوى على الروضة فقال المسجد المبارك مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مستطيل وتحفه من جهاته الاربع بلاطات مستطيلة ووسطه كله صحن مفروش بالحصى والرمل وفي الصحن خمس عشرة نخلة فالجهة القبلية لها خمس بلاطات مستطيلة من غرب الى شرق والجنوبية كذلك على الصفة المذكورة والشرقية لها ثلاث بلاطات والغربية لها أربع بلاطات وطول المسجد مائة خطوة وست وتسعون خطوة وسعته مائة وست وعشرون خطوة وعدد سواريه مائتان وتسعون وهي أعمدة متصلة بالسمك دون قسي تعطف عليها فكأنها دعائم قوائم وهي من حجر منحوت قطعا قطعا ململمة مثقوبة توضع أنثى في ذكر ويفرغ بينهما الرصاص المذاب الى أن تتصل عمودا قائما وتكسى بغلالة جير ويبالغ في صقلها ودلكها فتظهر كأنها رخام أبيض وتحف بالبلاط المتصل بالقبلة من البلاطات الخمس مقصورة تكتنفه من غرب الى شرق والمحراب فيها وعلى رأس المحراب حجر مربع أصفر قدر شبر في شبر ظاهر البريق يقال انه كان مرآة كسرى وفي أعلى داخل المحراب مسمار مثبت في جداره فيه شبه حق صغير لا يعرف من أي شيء هو ويزعمون انه كان كأس كسرى ونصف جدار القبلة الاسفل رخام موضوع ازارا على ازار مختلف الصنعة واللون مجزع أبدع تجزيع والنصف

الاعلى من الجدار مزين كله بفصوص الذهب المعروفة بالفسيفساء قد نتج الصانع فيه نتائج غريبة من الصنعة تضمنت تصاوير أشجار مختلفة الصفات مائلة الاغصان بثمرها والجدارات الشرقي والغربي الناظران الى الصحن مجردات أبيضان مقرفصان قد زينا برسم يتضمن أنواعا من الاصبغة الى مايطول وصفه من الاحتفال فى هذا المسجد المبارك وفى الجهة الشرقية بيت مصنوع من عود لمبيت بعض سدنته وسدنته فتيان أحابيش صقالب ظراف الهيآت نظاف الملابس والمؤذن الراتب فيه أحد أولاد بلال وفى جوف الصحن قبة كبيرة تعرف بقبة الزيت هى مخزن لجميع آلات المسجد وله تسعة عشر بابا لم يبق منها مفتوحا سوى أربعة اثنان فى الغرب ويعرفان بباب الرحمة وباب الخشية واثنان فى الشرق باب جبريل ويقابله دار عثمان التى استشهد بها وباب الرجاء وفى الشرق خمسة مغلقة وفى الغرب كذلك وفى الجنوب أربعة وفى القبلة واحد صغير وله ثلاث صوامع احداها فى الركن الشرقي على هيئة الصوامع واثنتان فى ركنى الجهة الجنوبية صغيرتان على هيئة برجين والروضة المقدسة مع آخر الجهتين الجهة القبلية مما يلى الشرق وقد انتظمت من بلاطاته مما يلى الصحن فى السعة اثنين ونيفت الى البلاط الثالث بمقدار أربعة أشبار ولها خمسة أركان بخمس صفحات وشكلها شكل عجيب لا يكاد يتأتى تصويره ولا تمثيله والصفحات الاربع محرفة عن القبلة تحريفا بديعا لا يتأتى لاحد معه استقبالها فى صلاته لانه ينحرف عن القبلة والذى اخترع ذلك فى تدبيرها مخافة أن يتخذها الناس مصلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وأخذت من الجهة الشرقية سعة بلاطين وانتظم داخلها من أعمدة الابلطة ستة وسعة الصفحة القبلية منها أربعة وأربعون شبرا وسعة الصفحة الشرقية ثلاثون شبرا ومن الركن الشرقي الى الركن الجنوبي صفحة سعتها خمسة وثلاثون شبرا ومن الركن الجنوبي الى الغربي صفحة سعتها تسعة وثلاثون شبرا ومن الركن الغربي الى القبلي صفحة سعتها أربعة وعشرون شبرا وفى هذه الصفحة صندوق آبنوس مختم بالصندل مصفح بالفضة مكوكب بها طوله خمسة أشبار وعرضه ثلاثة أشبار وارتفاعه أربعة وهو قبالة رأس النبي صلى الله عليه وسلم فجميع سعة الروضة من جميع جهاتها مائة شبر واثنان وسبعون شبرا وهى مؤزرة بالرخام البديع النحت الرائع النعت وينتهى الازار منها الى نحو الثلث أو أقل يسيرا وعليه من الجدار المكرم ثلث آخر قد علاه تضميخ المسك والطيب مقدار نصف شبر مسودا مترا كما متشققا مع طول الازمنة والايام والذى يعلوه من الجدار شبابيك عود متصلة بالسمك الاعلى لان اعلى الروضة متصل بسمك المسجد والى حيز ازار الرخام تنتهى الاستار وهى لازوردية اللون مختمة بخواتم بيض مثمنة ومربعة وفى داخل الخواتيم دوائر مستديرة ونقط بيض تحف بها فنظرها منظر بديع الشكل وفى أعلاها رسم مائل الى البياض وفى الصفحة القبلية امام وجه النبي صلى الله عليه وسلم مسمار فضة هو قبالة الوجه المكرم فيقف الناس امامه للسلام والى قدميه صلى الله عليه وسلم رأس أبى بكر رضى الله عنه ومما يلى كتفى أبى بكر رأس عمر رضى الله عنهما فيقف المسلم مستدبر القبلة ومستقبل الوجه الكريم فيسلم ثم ينصرف يمينا الى وجه أبى بكر ثم الى وجه عمر رضى الله تعالى عنهما وأمام هذه الصفحة مرخم فى نحو العشرين قنديلا معلقة من الفضة وفيها اثنان من ذهب وفى جوفى الروضة حوض صغير المكرمة قبلته شكل محراب قيل انه بيت فاطمة رضى الله تعالى عنها ويقال هو قبرها وعن يمين الروضة المكرمة المنبر الكريم ومنه اليها اثنتان وأربعون خطوة وهو فى الحوض المبارك الذى طوله أربع عشرة خطوة وعرضه ست خطا وهو مرخم كله وارتفاعه شبر ونصف وارتفاع المنبر نحو القامة أو أزيد وسعته خمسة أشبار وطوله خمس خطوات وأدراجه ثمانية وبابه على هيئة الشباك مقفل يفتح يوم الجمعة وطوله أربعة أشبار ونصف شبر والمنبر مغشى بعود الآبنوس ومقعد النبي صلى الله

عليه وسلم من أعلاه ظاهر وقد طبق عليه لوح من الآبنوس غير متصل به يصونه من القعود عليه يدخل الناس أيديهم اليه ويمسحونه تبركا بلمس ذلك المقعد الكريم وعلى رأس رجل المنبر اليمنى حيث يضع الخطيب يده حلقة فضة مجوفة مستطيلة تشبه حلقة الخياط لكنها أكبر لاعبة تستدير في موضعها يزعمون أنها كانت لعبة للحسن والحسين في حال خطبة جدهما صلوات الله عليهم أجمعين وفي الروضة الصغيرة التي بين القبر والمنبر جاء الاثر انها روضة من رياض الجنة وقدرها ثمان خطا ويتزاحم الناس في هذه الروضة للصلاة وبازائها الجهة القبلة عمود يقال انه مطبق على بقية الجذع الذي حن للنبي صلى الله عليه وسلم وقطعة منه في وسط العمود ظاهرة يقبلها الناس ويمسحون خدودهم فيها وعلى حافتها في القبلة منها صندوق كبير للشمع والانوار التي توقد أمام الروضة كل ليلة ومصلى الامام في الروضة الصغيرة المذكورة الى جانب الصندوق وبينها وبين الروضة الكبيرة محمل كبير مدهون عليه مصحف كبير في غشاء مقفل هو أحد المصاحف الاربعة التي وجه بها عثمان الى البلاد وبازاء المقصورة لجهة المشرق خزانتان كبيرتان محتويتان على كتب ومصاحف موقوفة على المسجد ويليها في البلاط الثاني دفة لجهة الشرق ودفة مطبقة على وجه الارض الى سرداب يهبط اليه على ادراج تحت الارض يفضي الى خارج المسجد الى دار أبي بكر وهو كان طريق عائشة رضي الله عنهما اليها وذلك الموضع هو موضع الخوخة المفضية لدار أبي بكر رضي الله عنه التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بابقائها وبازاء دار أبي بكر دار عمر وابنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهم أجمعين وفيما ذكرناه كفاية والله تعالى أعلم

﴿شرح المقامة الثالثة والثلاثين وتعرف بالتفليسية﴾

(يفعت) شببت ولم أبلغ الحلم وقاربت ذلك * ابن أبي الخير يفع الغلام وأيفع اذا كان ابن سبع سنين فاذا ناهز الحلم قيل مراهق وكوكب فاذا ادرك قيل فيه حزور * غيره غلام يفعة غض الشباب وجارية يفعة والجمع ايفاع وأيفع فهو يافع على غير قياس قال ابن سيده رحمه الله ولم يقل أحد منهم يفع الغلام ولا موفع ومثله أبقل الموضع وأورس والورس نبت أصفر (جوب) قطع (الخلوات) حيث يخلو للذاته (أراعي) أحفظ (مأثم) اثم (الفوات) فوت الوقت (رافقت في رحلة) صاحبت في ارتحال وسفر (حللت بحلة) نزلت ببلدة والحلة جماعة البيوت والحلة القوم الحلول والجمع حلال (مرحبت) قلت مرحبا (الداعي) هو المؤذن وجاء من الاثر في تأخير الصلاة قوله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليصلي الصلاة ومافاته وقتها ولما فاته من وقتها أعظم أو أفضل من أهله وماله فهذا وقد أدرك آخر الوقت سيندم على فوات أوله وقال عليه الصلاة والسلام الوقت الاول من الصلاة رضوان الله والثاني عفو الله فقال أبو بكر رضي الله عنه رضوان الله أحب الي من عفوه وانما قال ذلك لان عفو الله لا يتصور الا عند اكتساب خطيئة * وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوما فقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة من النار ومن لم يحافظ عليها كان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي ابن خلف وقال عليه الصلاة والسلام ان الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله وكتب عمر رضي الله عنه الى عماله ان أهم أموركم عندي الصلاة من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع وجاء في القرآن فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وفي التفسير لم يتركوا الصلاة وانما أضاعوا وقتها وقال صلى الله عليه وسلم لا تفريط في النوم وانما التفريط في الذي يؤخر الصلاة الى وقت الاخرى وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون فقال هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها ومما يستظرف من هذا الباب أن المنصور قيل له ان أبا دلامة لا يحضر الصلاة لانه معتكف على الخمر

﴿المقامة الثالثة والثلاثون التفليسية﴾

(حكى الحرث بن همام) قال عاهدت الله تعالى مذ يفعت أن لا أؤخر الصلاة ما استطعت فكنت مع جوب الفلوات ولهو الخلوات أراعي أوقات الصلات وأحاذر من مأثم الفوات واذا رافقت في رحلة أو حللت بحلة مرحبت بصوت الداعي اليها واقتديت بمن يحافظ عليها

﴿ذكر النهي عن فوات وقت الصلاة﴾

وقد

وقد أفسد قينان العسكر فلو أمرته بالصلاة معك لاصلحته وغيره فلما دخل عليه قال أبو دلامة الماجن قال يا أمير المؤمنين ما أنا والمجون وقد ساورت باب قبري فقال دعني من استكانتك وتضرعك واياك وأن تفوتك صلاة الظهر والعصر في مسجدي فان فاتتك لاحسنن أدبك ولاطيلن حبسك فوقع في شر أمر فلزم المسجد أياما ثم كتب رقعة ودفعها الى المهدي فاوصلها الى أبيه وفيها

ألم تعلما ان الخليفة لزني * لمسجده والقصر مالي وللقصر
أصلي به الاولى جميعا وعصرها * فويلي من الاولى وويلي من العصر
أصليهما بالكره في غير مسجدي * فمالي في الاولى وفي العصر من أجر
يكلفني من بعد ماشبت توبة * يحط بها عني الثقيل من الوزر
ووالله مالي نية في صلاتها * ولا البر والاحسان والخير من أمري
لقد كان في قومي مساجد جمة * ولم ينشرح يوما لغشيانها صدري
وماضره والله يغفر ذنبه * لوان ذنوب العالمين على ظهري

فقال صدق دعوه يضل من يشاء وما يضرني ذلك والله لا يفلح هذا أبدا فدعوه يفعل ما يشاء وكان الجماز منقطعا الى أبي حزو الباهلي فتناسك أبو حز فقال للجماز لا أحب أن تخالطني الا أن تتنسك فأظهر النسك ثم كتب اليه

قد جفاني الامير كي أتقرى * فتقربت مكرها لجفائه
والذي أنطوي عليه المعاصي * علم الله نيتي من سمائه
ما قراة لمكره بقراة * قد رواه الامير عن فقهائه

ومن مجون أبي نواس ان الامير لما نهاه عن الخمر وحبسه فكلمه فيه الفضل بن الربيع وأخرجه كتب اليه

أنت يا ابن الربيع علمتني الخير * وعودتنيه والخير عاده
فارعوى باطلي وراجعني الحلم * فأحدثت رهبة وزهاده
لو تراني ذكرت بي الحسن البصري * في حال نسكه أو قتاده
التسابيح في ذراعي والمصحف * في لبتي مكان القلاده
فاذا شئت أن ترى طرفة تعجب * منها مليحة مستفاده
فادع بي لاعدمت تقديم مثلي * فتأمل بعينك السجاده
لو رآها بعض المرائين يوما * لاشتراها يعدها للشهاده
أثر لاح للصلاة بوجهي * توقن النفس أنه من عباده

وأذن بشار لاصحابه والمائدة بين يديه فأكل ولم يدعهم لطعامه ثم دعا بطشت وكشف عن سوأته فبال ثم حضر الظهر والعصر والعشاء الاولى والآخرة فلم يصل فقالوا له أنت أستاذنا وقد رأينا منك أشياء أنكرناها عليك قال وما هي قالوا دخلنا والطعام بين يديك فلم تدعنا اليه قال انما أذنت لكم لتأكلوا ثم ماذا قالوا دعوت بالطشت ونحن حضور فبلت ونحن نراك فقال أنا مكفوف وأنتم بصراء وأنتم المأمورون بغض البصر دوني ثم ماذا قالوا حضرت الصلاة فلم تصل فقال ان الذي يقبلها تفاريق يقبلها جملة هذا على أنه القائل

ألم تر أن الدهر يقدح في الصفا * وان بقائي ان حييت قليل
خليلي ماقدمت من عمل التقى * وليس لايام المنون خليل
فعش خائفا للموت أو غير خائف * على كل نفس للحمام دليل

(وقال الحسن رحمه الله تعالى)

وندمان يرى عيبا عليه * بأن عيي وليس له انتشاء

اللقوة بالى الكسوة والقوة فقال عزمت على من خلق من طينة الحرية وتفوق در العصبية الاما تكلف لى لبثة واستمع منى نفثة ثم له الخيار من بعد وبيده البذل والرد فعقد له القوم الحبا ورسوا أمثال الربا فلما آنس حسن انصاتهم ورزانة حصاتهم قال يا أولى الابصار الرامقة والبصائر الرائقة أما يغنى عن الخبر العيان وينبئ عن النار الدخان شيب لائح ووهن فادح وداء واضح والباطن فاضح ولقد كنت والله ممن ملك ومال وولى وآل ورفد وأنال ووصل وصال فلم تزل الجوائح تسحت والنوائب تنحت حتى الوكر قفر والكف صفر والشعار ضر والعيش مر والصبية يتضاغون من الطوى ويتمنون مصاصة النوى ولم أقم هذا المقام الشائن وأكشف لكم الدفائن الا بعد ما شقيت ولقيت وشبت مما لقيت فليتنى لم أكن بقيت ثم تأوه تأوه الاسيف وأنشد بصوت ضعيف

أشكو الى الرحمن سبحانه * تقلب الدهر وعدوانه
وحادثات قرعت مروتى * وقوضت مجدى وبنيانه
واهتصرت عودى وياويل من * تهتصر الاحداث أغصانه
وأمحلت ربعى حتى جلت * من ربعى الممحل جرذانه
وغادرتنى حائرا بائرا * أكابد الفقر وأشجانه
من بعد ما كنت أخا ثروة * يسحب فى النعمة أردانه
يختبط العافون أوراقه *

(السارون) (ذكر مدينة تفليس)

اذا نبهته من نوم سكر * كفاه مرة منك النداء
اذا ما أدركته الظهر صحيا * فلا ظهر عليه ولا عشاء
يصلى هذه فى وقت هذى * فكل صلاته أبدا قضاء

(تفليس) مدينة بأرمينية بينها وبين قالى قلا ثلاثون فرسخا ومن قالى قلا ابتداء الانهار العظام أولها الفرات وقد تقدم يأخذ من قالى قلا فرسخين ثم يشق مغربا الى دبيل الى ورثان ثم يصب الى بحر الخزر والثانى الكبير يخرج من مدينة قالى قلا ثم يشق الى مدينة تفليس مشرقا الى مدينة بردعة وأرضها ثم يقرب من بحر الخزر فيلتقى مع الرس ويصيران نهرا واحدا ويقال ان خلف الرس ثلثمائة مدينة خراب وهى التى ذكرها الله تعالى وأصحاب الرس بعث اليهم حنظلة بن صفوان فقتلوه فأهلكوا وقيل فى أصحاب الرس غير ذلك وارمينية مقسومة على ثلاثة أقسام فالقسم الاول مدينة دبيل ومدينة قالى قلا ومدينة خلاط ومدينة شمشاط ومدينة السواد والجزء الثانى مدينة بردعة ومدينة البيلقان ومدينة قبلة ومدينة الباب والابواب والثالث مدينة خزران ومدينة تفليس والمدينة التى تعرف بمسجد ذى القرنين وافتتحت ارمينية فى خلافة عثمان افتتحها سلمان بن ربيعة الباهلى فى سنة أربع وعشرين (عصبة) جماعة (مفاليس) فقراء وأفلس الرجل صار صاحب فلوس بعد أن كان صاحب دنانير (أزمعنا الانفلات) عزمنا على الخروج (اللقوة) داء يأخذ فى الوجه و (الفواق) ما بين الحلبتين (در العصبية) لبن الجبة وهو مثل (نفثة) كلمة (البذل) العطاء (والرد) المنع (الحبا) عقد اليدين على الركبتين (رسوا) ثبتوا (الربا) المكدى (آنس) أبصر (انصاتهم) سكوتهم (رزانة حصاتهم) رجاحة عقولهم والحصاة يكنى بها عن العقل قال طرفة

وان لسان المرء مالم يكن له * حصاة على عوراته لدليل

(الابصار الرامقة) العيون الناظرة (البصائر) جمع بصيرة وهى المعتقد (الرائقة) المعجبة (العيان) المعاينة يقول معاينتك الشئ تغنى عن خبرته وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم ليس الخبر كالمعاينة (ينبئ) يخبر (لائح) ظاهر (وهن) ضعف (فادح) مثقل بين (فاضح) أى صاحبه فى شهرة وفضيحة (ملك) كان ملكا أو ملك الاموال العظام فصار ذا ملك (مال) صار ذا مال (ولى) صار واليا (آل) ساس أى صار يسوس الناس أى يكون عليهم أميرا قال عمر رضى الله عنه ألنا وايل علينا (رفد) وهب الرفد (أنال) أعطى النيل والنوال يقال منه نلته وأنلته (وصل) أعطى صلة والرفد والنوال العطاء والايالة السياسة آل الامير رعيته أحسن سياستهم وآل ماله يؤله أصلحه (صال) بطش وهدد وصال الفحل هدد فى قطيعه (الجوائح) المصائب (تسحت) تستأصل الاموال (تنحت) تنجر وتأخذ (النوائب) النوازل (الوكر) قعر المنزل (صفر) خالية من الدراهم (الشعار) اللباس (يتضاغون) يصيحون والضغاء صياح الذئب اذا جاع والضغاء البكاء بذل وخشوع (الطوى) الجوع (مصاصة) ما يمص منه (الشائن) العائب صاحبه (شقيت) أدركنى الشقاء (لقيت) أصابتنى لقوة (تأوه) توجع وقال أوه (الاسيف) الحزين (عدوانه) ظلمه (قرعت مروتى) ضربت صخرتى وأراد بها نفسه (قوضت) نقضت وهدمت (اهتصرت) كسرت وحنت وهصر الغصن تعطفه وانحناؤه وضرب بالمروة والعود أمثالا وهو يريد جسده وماله (أمحلته) جعلته محلا (جلت) نقت (الممحل) الذى لانبات فيه ولا رزق (جرذانه) فئرانه وقد تقدم فائدة هذا المعنى (بائرا) هالكا (أكابد) أقاسى (أشجانه) أحزانه (أخا ثروة) صاحب غنى (يسحب) يجر (اردانه) أذياله (يختبط) يطلب (العافون) الطالبون للرزق وخبطت الورق ضربتها بالعصا فتسقط فتعلفها الابل فيضرب بها المثل لعطية الكريم قال وأنشد زهير

وليس مانع ذى قربى وذى رحم * يوما ولا معدما من خابط ورقا

(السارون) الماشون بالليل (عانه) أصابه بالعين (ازور) انقبض (عاف) كره (عافى العرف) طالب المعروف (عرفانه) معرفته (همه) أذابه (وشانه) عابه * ومن كلام العرب فى هذا الباب ماحكى الاصمعى رحمه الله أن الاعراب أصابتهم سنوات كثيرة جدبة فدخلت طائفة منهم البصرة وبين أيديهم أعرابى يقول أيها الناس اخوانكم فى الدين وشركاؤكم فى الاسلام عابرو سبيل وفلال بؤس وصرعى جدب تتابعت علينا سنون ثلاث غيرت النعم وأكلت النعم فأكلنا ما بقى من جلودها فوق عظامها فلم تزل نعلل بذلك نفوسنا ونمنى بالغيث قلوبنا حتى عاد مخنا رارا وعاد اشراقنا ظلاما فأقبلنا اليكم يصرعنا الوعر وينكبنا السهل وهذه آثار مصائبنا لائحة فى قسماتنا فرحم الله متصدقا من كثير أو مواسيا من قليل فلقد عظمت الحاجة وكسف البال وبلغ المجهود والله يجزى المتصدقين * ووقف أعرابى على حلقة يونس النحوى فقال الحمد لله وأعوذ به ان أذكر به وأنساه انا أناس قدمنا هذه المدينة ثلاثون رجلا لا ندفن ميتا ولا نتحول عن منزل وان كرهناه فرحم الله عبدا تصدق على ابن سبيل ونضو طريق وفل سنة فانه لا قليل من الاجر ولا غنى عن الله ولا عمل بعد الموت يقول الله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له ان الله لا يستقرض من عوز ولكن ليبلو أخيار عباده * قال الاصمعى رحمه الله وقف أعرابى علينا فقال تتابعت علينا سنون بتغيير وانتقاص فما تركت لنا ضيعا ولا ربعا ولا نافطة ولا عافطة ولا ثاغية ولا راغية فأماتت الضرع وأفنت الزرع وعندكم من فضل الله نعمة فأعينوا من عطية الله اياكم وارحموا أبا أيتام وأنضاء زمان فلقد خلفت أقواما لا يمرضون مريضهم ولا يكفنون ميتهم ولا ينتقلون من المنزل وان كرهوه ولقد مشيت اليكم حتى انتعلت الدماء وجعت حتى أكلت النوى المحرقة * ووقفت اعرابية على عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقالت انى أتيت من أرض شاسعة تهبطنى هابطة وترفعنى رافعة فى ملمات من البلايا برين لحمى وهضن عظمى وتركننى والهة وقد ضاق بى البلد بعد الاهل والولد وكثرة العدد لا قرابة تؤوينى ولا عشيرة تحمينى فسألت أحياء العرب من المرتجى سيبه المأمون عيبه الكثير نائله المكفى سائله فدللت عليك وأنا امرأة من هوازن فقدت الوالد والرافد فاصنع فى أمرى واحدة من ثلاث اما أن تحسن صفدى واما أن تقيم أودى واما أن تردنى الى بلدى فقال بل أجمعهن لك ففعل بها ذلك * خرج المهدى يطوف بالبيت بعد هدأة من الليل فسمع أعرابية من جانب المسجد وهى تقول قوم متظلمون نبت عنهم العيون وفدحتهم الديون وعضتهم السنون بادت رجالهم وذهبت أموالهم أبناء سبيل وأنضاء طريق وصية الله ووصية رسوله صلى الله عليه وسلم فهل من آمر بخير كلأه الله فى سفره وخلفه فى أهله فأمر لها بخمسمائة درهم * ومما جاء فى ذم السؤال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب فيه أهون من أن يأتى رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه وقال صلى الله عليه وسلم من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر وقال أكثم بن صيفى كل سؤال وان قل أكثر من كل نوال وان جل وقال ابن عباس رضى الله عنهما المساكين لا يعودون مريضا ولا يشهدون جنازة ولا يحضرون جمعة واذا اجتمع الناس فى أعيادهم ومساجدهم يسألون الله من فضله اجتمعوا يسألون الناس ما بأيديهم * سأل سائل بمسجد الكوفة فلم يعط شيأ فقال اللهم انك بحاجتى عالم لا تعلم أنت الذى لا يعوزك نائل ولا يحفك سائل ولا يبلغ مدحك قائل أسألك صبرا جميلا وفرجا قريبا وبصرا بالهدى وقوة فيما تحب وترضى فتبادروا اليه بالعطية فقال لا والله لا أرزؤكم الليلة شيأ ثم خرج وهو يقول

مانال باذل وجهه بسؤاله * عوضا ولونال الغنى بسؤال
واذا النوال مع السؤال وزنته * رجح السؤال وخف كل نوال

ويحمد االسارون قبرانه
فأصبح اليوم كان لم يكن
عانه الدهر الذى عانه
وازور من كان له زائرا
وعاف عافى العرف عرفانه
فهل فتى يحزنه مايرى
من ضرشيخ دهره خانه
فيفرج الهم الذى همه
ويصلح الشأن الذى شانه
(قال الراوى) فصبت الجماعة

الى أن نستثبته لنستنجش خبأنه (١٣٨) ونستنفض حقيبته فقالت له قد عرفنا قدر رتبتك ورأينا درّ من نثك فعرفنا دوحة شعبتك

واحسر اللثام عن نسبتك
فأعرض اعراض من منى
بالاعنات أو بشر بالبنات
وجعل يلعن الضرورات
ويتأفف من تغيض
المروآت ثم أنشد بلفظ صادع
وجرس خادع

لعمرك ما كل فرع يدل
جناه اللذيذ على أصله
فكل ما حلى حين تؤتى به
ولا تسأل الشهد عن نحله
وميز اذا ما اعتصرت
الكروم
سلافة عصرك من خله
لتغلى وترخص عن خبرة
وتشرى كلا شرا مثله

فعار على الفطن اللوذعى
دخول الغميزة فى عقله
قال فازدهى القوم بذكائه
ودهائه واختلبهم بحسن
أدائه مع دائه حتى جمعوا له
خبايا الخبن وخفايا الثبن
وقالوا له يا هذا انك حت
على ركية بكية وتعرضت
لخلية خلية فخذ هذه
الصبابة وهبها الاخطاولا
اصابة فنزل قلهم منزلة
الكثر ووصل قبوله بالشكر
ثم تولى يجر شقه وينهب
بالخبط طرقه (قال المخبر بهذه
الحكاية) فصور لى انه محيل
لحليته متصنع فى مشيته
فنهضت أنهج منهاجه
وأقفو أدراجه وهو
يلحظنى شزرا ويوسعنى
هجرا حتى اذا خلا الطريق
وأمكن التحقيق نظر الىّ
نظر من هش وبش ومحض
بعد ما غش وقال انى لأخالك أخا غربة ورائد صحبة فهل لك فى رفيق يرفق بك ويرفق

واذا بليت ببذل وجهك سائلا * فابذله للمتكرم المفضال

وقال بعض الادباء المخذول من كان له الى اللئام حاجة وأنشد الجاحظ فى نوادره لاعرابى

سير النواعج باللميعة فى الضحى * عشى الذليل بها على بلبال
خير من الطمع الدنىء ومجلس * بفناء لا طلق ولا مفضال
فابتث حوائجك المليك فانه * يغنيك قبل تخشع بسؤال

(قوله نستثبته) نحقق من هو (نستنجش) نستخرج والنجش استخراج الشئ المجهول المستور وقيل تنفير الوحش وهو من الاول لان تنفير المطمئن كاظهار الكامن (خبأته) سره الذى أخبرهم بظاهره حيث قال كيت وكيت (الحقيبة) وعاء يعلقه الرجل خلف رحله يجعل فيه ما يعز عليه مما يحتاج أن يتناوله متى شاء وأراد بها ههنا موضع سره (نستنفض) ننثر ما فيها (رتبتك) قدرك ومنزلتك (درّ من نثك) ما سحابك وأراد ما أبدى لهم من البلاغة (دوحة) شجرة (شعبتك) فرعك وغصنك (احسر) أزل واكشف (اللثام) ما يجعل على الانف والفم يريد عرفنا أصلك ومن أين أنت (منى) بلى (الاعنات) المشقة وعنته وأعنته كلفته ما يشق عليه (وبشر بالبنات) أخبر بولادتهن وقد أخبر الله تعالى أن من بشر بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به وقد تقدم وأد البنات وهو دسهن فى التراب وقال النبى صلى الله عليه وسلم من طريق عقبة بن عامر لا تكرهوا البنات فانهن المؤنسات الغاليات وقال عليه الصلاة والسلام أحبوا البنات فانى أبو البنات وان الرجل اذا ولدت له ابنة هبط اليها ملكان فمسحا على ظهرها وقالا ضعيفة خرجت من ضعيف من أعان عليك لم يزل يعان الى يوم القيامة (قوله يتأفف) يقول أف أف وهو من فعل المهموم الملهوف (تغيض المروآت) ذهاب الافعال الحسان (صادع) شديد يشق الاذن (جرس) صوت (جناه) ما يجتنى منه (الشهد) العسل أى كل العسل ولا تسل عن النحل التى صنعته ولا من أين هو ضربه مثلا لترك سؤالهم عنه اذ أفادهم (سلافة) خمر لم تعصر (عصرك) تعصيرك (خبرة) معرفة وتجربة (اللوذعى) الذكى (الغميزة) ضعف التدبير والنظر لان الذى لا يحسن التدبير والنظر اذا سقط غمزه الناس وعابوه (ازدهى) دعاهم الى الزهو والاعجاب به (ذكائه) حدة ذهنه (اختلبهم) خدعهم (الخبن) أطراف الثوب كالكم وغيره و(الثبن) أطراف الرداء وشبهه والخبنة فى الثوب المخيط وقد خبنته عطفته وكففته بالخياطة وقيل الخبن القبض والخبنة لما يلى البطن من حجزة السراويل والازار والجمع خبن والثبنة ما يلى الظهر من السراويل والازار (حت) حلفت (ركية) بئر (بكية) قليلة الماء (خلية) جبح النحل حيث كان من حجر أو شجر وقيل الخلية الخشبة المنقورة لها خاصة والخلية فى غير هذا السفينة فشبهت خلية النحل بها (خلية) فارغة (الصبابة) الشئ القليل اذا أخذ منه بكثرة (الخبط) أراد به أخذ الاموال بالسؤال يقال خبطت الشجرة خبطا نفضت ورقها أراد أنه كان يجر جانبه المعل فكل من مر به وسأله رحمه (محيل) مغير (حليته) خلقته وصفاته (نهضت) تقدمت للمشى (أنهج منهاجه) أمشى فى طريقه (أقفو أدراجه) أتبع آثاره (يلحظنى) ينظرنى (شزرا) أى فى جهة بمؤخر عينه قال ابن الانبارى نظر الىّ شزرا أى نظر الىّ من جانب عينه من شدة العداوة والبغضاء يقال شزر يشزر اذا نظر من جانب عينه من العداوة أو من الفرق (ويوسعنى هجرا) أى يكثر تجنبى ومباعدتى (هش) خف واهتز (بش) حسن اللقاء ويقال بش فلان بفلان اذا سر به وفرح وانبسط اليه ويقال تبشبش به بمعنى بش به والبشاشة والهشاشة الطلاقة والتبسم (ماحض) أخلص وده (غش) ضد أخلص ويقال غشه أى عمل فيما يحبه شيأ قليلا وخلطه بما يسوءه أخذ من الغشش وهو الشراب الكدر (اخالك) أحسبك (رائد) طالب (يرفق بك) يلاطفك ويكون بك رفيقا (يرفق) يوليك مرافقه أى يعينك بماله حتى يجد

معها الرفق (لو آتاني) لو وافقني (اغتبط) أي كن به مغتبطا أي محبا في بقائه والغبطة حسن الحال
(استكرمت فارتبط) أي اتخذت كريما وجاء هذا اللفظ في حكاية ذكرها أبو علي وهي ان فتى من
العرب جاء الى أمه وقد عميت فقال لها يا أمه اني اشتريت فرسا فقالت صفه لي قال اذا استقبل
فظبي ناصب واذا استدبر فهقل هاضب واذا استعرض فسيد قارب موالي المسمعين طامح الناظرين
مدعاق الطيبين قالت أجودت ان كنت أعربت قال انه مشرف التليل سبط الخصيل وهواه
الصهيل قالت أكرمت فارتبط (قوله مليا) أي طويلا (قلبة) علة قال الكسائي رحمه الله ما به قلبة
أي شئ يقلقه فينقلب من أجله على فراشه لغمه وقال الفراء رحمه الله ما به من وجع يخاف عليه منه
من قولهم قلب الرجل اذا أصابه وجع في قلبه فلا يكاد ينقلب منه قال الاصمعي رحمه الله معناه ما به داء
مأخوذ من القلاب وهو داء يصيب الابل في رؤسها فيقلبها الى فوق (شبهة) التباس وتغير (وسمه)
صفاته (اللقيه) المرة الواحدة من اللقاء وقال في الدرة العرب تقول لقيته لقية ولقاءة ولقاية اذا
أرادوا المرة الواحدة فان أرادوا المصدر قالوا لقيته لقاء ولقى ولقيا هذا وأنشد

وان لقاها في المنام وغيره * وان لم تجد بالبذل عندي لرابح

وخطأ من يقول لقيته لقاءة واحدة وأغفل ان سيبويه قال في كتابه أتيته اتيانة ولقيته لقاءة واحدة
(واللقوه) استرخاء اللحي وعوجه (مقامته) مجلسه الذي كدى به (شصاه) فتحه قال جرير

وضع الخزير فقيل ابن مجاشع * فشحا جحافله جراف هبلع

الخزير بنقط الخاء ثم زاي دقيق يلبك بشحم وجراف الشئ سخونه (أحماه) ألزمه (يزجى) يسوق
(المزجى) القليل الخير وهذا كما قال لبست الخبيصة أبغي الخبيصة (فلجت) أصبت بفالج (الرثاثه)
سوء الحال (التفالج) استعمال الفالج وهو خدر يصيب الجسد (فلجا) فوزا وظفرا (مرتع) موضع يرعى
فيه (منجردين) مسرعين والمنجرد الرجل في سيره اذا جد في الذهاب (أجردين) تامين كاملين وسرت
يوما وشهرا وحولا أجرد وجريدا أي تاما قال سويد بن كراع

وجشمني خوف ابن عفان ردها * فثقفتها حولا جريدا ومربعا

(المشت) المفرق

﴿شرح المقامة الرابعة والثلاثين وتعرف بالزبيدية﴾

(جبت) قطعت (البيد) الصحاري (زبيد) بلدة باليمن بينها وبين صنعاء أربعون فرسخا وليس في
اليمن بعد صنعاء أكبر منها ولا أغنى من أهلها ولا أكثر خيرا واسعة البساتين كثيرة المياه والفواكه من
الموز وغيره وهي برية لا ساحلية و (بلغ أشده) أي بلغ الحلم وقيل ثلاثين سنة قال الازهري رحمه
الله تعالى الاشد في كتاب الله تعالى على ثلاث معان أما قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام ولما بلغ
أشده آتيناه حكما وعلما فبلوغه مبلغ الرجال وكذا في اليتيم حكمه أن يحفظ عليه ماله حتى يبلغ أشده
و بلوغه أشده ان يؤنس الرشد منه مع أن يكون بالغا وأما قوله تعالى في قصة موسى عليه الصلاة
والسلام ولما بلغ أشده واستوى فقرن بلوغ الاشد بالاستواء وهو أن تجتمع قوته ويكتهل وذلك من
ثمان وعشرين الى ثلاث وثلاثين سنة وذلك منتهى الشباب وأما قوله تعالى حتى اذا بلغ أشده و بلغ
أربعين سنة فهي نهاية بلوغ الاشد وعندها بعث محمد صلى الله عليه وسلم وقد اجتمعت حكمته وتمام
عقله فبلوغ الاشد محصور البداية محصور النهاية ما بين ذلك (ثقفته) قومته وحذقته (خبر) أي
جرب وعرف (مجالب وفاقي) أي عرف من أين يجلب ما يوافقني (يتخطى) يتجاوز (مرامي) مرادي
ومقصدي (لاجرم) أي لا محالة ولابد ثم صارت بمعنى حقا (قربه) ما يتقرب به الى من المبرة (النياطت)
لصقت (بصفري) بنفسي وقلبي والصفر دود في البطن اذا جاع الانسان عضت شراسيفه وهي
رفيق البطن قال أعشى باهلة * ولا يعض على شرسوفه الصفر * فيريد أن هذا الغلام مهذب

وينفق عليك وينفق فقلت له
لو آتاني هذا الرفيق لو آتاني
التوفيق فقال لي قد وجدت
فاغتبط واستكرمت فارتبط
ثم ضحك مليا وتمثل لي بشرا
سويا فاذا هو شيخنا السروجي
لا قلبة بجسمه ولا شبهة في
وسمه ففرحت بلقيته
وكذب لقوته وهممت
بملامته على سوء مقامته
فشصاه وأنشد قبل أن
أحماه

ظهرت برث لكيما يقال
فقير يزجى الزمان المزجي
وأظهرت للناس أن قد
فلجت
فكم نال قلبي به ما رتجي
ولولا الرثاثة لم يرث لي
ولولا التفالج لم ألق فلجا

ثم قال انه لم يبق لي بهذه
الارض مرتع ولا في أهلها
مطمع فان كنت الرفيق
فالطريق الطريق فسرنا
منها منجردين ووافقته
عامين أجردين وكنت على
ان أصحبه ما عشت فأبى
الدهر المشت

﴿المقامة الرابعة والثلاثون الزبيدية﴾

(أخبر الحرث بن همام) قال
لما جبت البيد الى زبيد
صحبني غلام قد كنت ربيته
الى أن بلغ أشده وثقفته
حتى أكمل رشده وكان قد
أنس بأخلاقي وخبر مجالب
وفاقي فلم يكن يتخطى مرامي
ولا يخطئ في المرامي لاجرم
أن قربه النطاط بصفري

وأخلصته لحضرى وسفرى فألوى به الدهر المبيد حين ضمتنا زبيد فلما شالت نعامته وسكنت نامته بقيت عاما لا أسيغ طعاما ولا أريغ غلاما حتى ألجأتنى شوائب الوحدة ومتاعب القومة والقعدة الى ان أعتاض عن الدر الخرز وأرتاد من هو سداد من عوز فقصدت من يبيع العبيد بسوق زبيد فقلت أريد غلاما يعجب اذا قلب ويحمد اذا جرب وليكن ممن خرجه الاكياس وأخرجه الى السوق الافلاس فاهتز كل منهم لطلبى ووثب وبذل تحصيله عن كثب ثم دارت الاهلة

يأتى بمعاولانه على الوفاق ويقرب الطعام من مولاه وقت الحاجة ومن حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال نعما للمملوك أن يتوفاه الله بحسن عبادة ربه وطاعة سيده نعماله وقال عليه الصلاة والسلام اذا نصح العبد لسيده وأحسن عبادة ربه فله أجران (أخلصته) أفردته (ألوى) ذهب به وأهلكه (المبيد) المهلك وننشد هنا أبياتا لابن الحضرمى فى غلام هلك للمتوكل ببطليوس

غالته أيدى المنايا * وكنّ فى مقلتيه
وكان يسقى الندامى * بطرفه ويديه
غصن ذوى وهلال * جاء الكسوف عليه

ويستحسن لابن همام أن ينشد فى وصف هذا الغلام

حين تمت آدابه وتردى * برداء من الشباب جديد
وسقاه ماء الشبيبة فاهتز اهتزاز الغصن الندى الاملود
وسمت نحوه العيون وما كا * ن عليه لزائد من مزيد
وكأنى أدعوه وهو قريب * حين أدعوه من مكان بعيد

وأنشد بعضهم

نأى آخر الايام عنك حبيب * فللعين سح دائم وغروب
كأن لم يكن كالغصن فى ميعة الضحى * سقاه الندى فاهتز وهو رطيب
وريحان صدرى كان حين أشمه * ومؤنس قصرى كان حين أغيب
وكانت يدى ملأى به ثم أصبحت * بحمد الهى وهى منه سليب

(شالت نعامته) أى ارتفع نعشه ويقال فى المصلوب شالت نعامته أى ارتفعت خشبته وشالت نعامة القوم أى ولوا منهزمين وهو مثل يضرب للانهزام وللهلاك وللتفرق وأنشد الشاعر

نلقى خصاصة بيننا ارماحنا * شالت نعامة أينا لم يفعل

يخاطب أعداءه وقد وافقهم يقول هلم نلقى فى الفرجة التى بيننا أرماحنا ونضرب بالسيوف هلك وانهزم من لم يفعل يدعو عليه وينسب ذلك للنعامة لان النعام موصوف بالسخف والرق والشراد فاذا قالوا شالت نعامتهم وخفت نعامتهم ورق رأيهم فمعناه اذا تركوا مواضعهم بجلاء أو بموت ويقال أحمق من نعامة لانها تنشمر للطعام فربما رأت بيضة نعامة أخرى وحدها فتحضنها وتنسى بيضتها ثم تجىء الاخرى فترى على بيضها غيرها فتمضى لوجهها واياها عنى ابن هرمة بقوله

كتاركة بيضها بالعرا * وملبسة بيض أخرى جناحا

قاله الجاحظ وأما أبو عبيدة فقال عنى الحمامة وقال ابن الاعرابى بيضة البلد التى سار بها المثل هى بيضة النعامة التى تتركها فلا تهتدى اليها فتفسد فلا يقربها شئ قال الراعى

لو كنت من أحد يهجى هجوتكم * يا ابن الرقاع ولكن لست من أحد
تأبى قضاعة أن ترضى لكم نسبا * وابنا نزار فأنتم بيضة البلد

(قوله نامته) أى حركته التى تنم بحياته وزعموا ان النامة بوزن العامة عرق اليافوخ (أسيغ طعاما) استسهل بلعه (أريغ غلاما) أطلبه (السداد) اسم ما يسد به الشئ مثل سداد القارورة وهو صمامها وسداد الفقر ما يذهبه ويكتفى به من المال وسداد الثغر ما يذهب خوفه من الخيل والرجال والسداد بالفتح الاصابة فى المنطق وقال يعقوب السداد والسداد بمعنى واحد وسنعيد ذكره فى أخبار العرجى (والعوز) فقد الشئ فانه أراد عبدا يسد به فقد غلامه الميت (اذا قلب) أى اذا قلبت خلقته وجدت كل جزء منها حسنا (خرجه) حذقه ورباه (الاكياس) أهل الفطنة والحذق (والافلاس) الفقر (وثب) قفز وعجل الى المشى (بذل) أعطى و(تحصيله) وجوده وحصوله (كثب) قرب يريد أنه أعطى من نفسه القدرة على حصوله فى أقرب مدة (دارت الاهلة

دورها)

دورها) أى كملت السنة وكملت الاهلة فيها بالطلوع (كورها وحورها) زيادتها ونقصانها وقد تقدم الكور والحور (نجز) حضر (سح) أمطر (النخاسين) الدلالين للعبيد والدواب * ثعلب أخذ من النخس وهو الدفع فعنى النخاسين الذين يشترون العبيد ليدفعوهم الى غيرهم (ليس كل من خلق يفرى) مثل وخلق قدر يقال خلق الصانع الجلد اذا قدر ما يقطع منه وقيل الخلق القطع والفرى القطع أيضا ولكن تقديرا فعنى المثل ليس كل من قطع شيأ قدر ما يقطع به و يفرى أيضا يحسن القطع على جهة الاصلاح قال زهير

ولانت تفرى ما خلقت و بعـ * ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

و يقال أيضا خلق الشئ صنعه وفراه أفسده وأراد ليس كل الناس يحسن شراء العبيد (قوله يحك جلدى مثل ظفرى) هو مثل يضرب فى ترك الاتكال على الناس قال الامام الشافعى رضى الله عنه

ما حك جلدك مثل ظفرك * فتول أنت جميع أمرك
واذا قصدت لحاجة * فاقصد لمعترف بقدرك

(رفضت) تركت (التفويض) أن يتكل الرجل على غيره و يسلم أمره اليه (الصفر والبيض) الدنانير والدراهم (أستعرض) أطلب أن يعرض على و (عارضنى) قابلنى (استعرف) أطلب معرفته (اختطم) جعل اللثام على طرف الانف وهو الخطم والخرطوم للسباع واللثام ما كان على الانف من النقاب (والزند) طرف عظم الساعد المتصل بالكف فهو قد قبض على أرق موضع فى الذراع (الصنع) الحاذق بالصناعة والمرأة صناع (برع) فضل وفاق غيره (نطت) علقت (مضطلعا) مكتفيا قو يا عليه (وعى) حفظ (لعا) كلمة تقال للعاثر يعنى أقال الله عثرتك وسلمك الله (تسمه السعى) تكلفه المشى (رعى) حفظ الصحبة (الظلف) للشاة بمنزلة الحافر للدابة (الكيس) الحذق (فاه) تكلم * ثم قال لم يدعه الطمع قط فأجابه (استجاز) استحل (نث) نشر وافشاء (أبدع) أغرب وأتى بما لم يسبق اليه (ضنك) ضيق (صدع) كسر وأنشدوا فى هذا المعنى

وقد تخرج الحاجات يا أم مالك * علائق من رب بهن ضنين

(خلقه القويم) المعتدل القامة (الصميم) الخالص وهو فعيل من صم الشئ اذا لم يكن فيه فرجة ولا خلل (خلته) حسبته * وننشد فى هذه المقامة فى الغلمان ماله سبب وتعلق بذكر يوسف عليه السلام أو يكون الغلام مملوكا حتى يوافق غرض المقامة كان شفيع غلام المتوكل أحسن الفتيان وأظرفهم وكان المتوكل يجن به جنونا فأحب يوما أن ينادم حسين بن الضحاك وان يرى ما بقى من شهوته وكان قد أسن فأحضره وسقاه حتى سكر وقال لشفيع اسقه فسقاه وحياه بوردة وكانت على شفيع ثياب موردة فمد حسين يده الى ذراع شفيع فقال المتوكل أتجمش أخص خدمى بحضرتى فكيف لو خلوت به ما أحوجك الى الادب وكان قد غمز شفيعا على العبث به فدعا بدواة فكتب

وكالوردة الحمراء حيا بوردة * من الورد يمشى فى قراطق كالورد
له عبثات عند كل تحية * بكفيه تستدعى الحليم الى الوجد
تمنيت أن أسقى بعينيه شربة * تذكرنى ما قد نسيت من العهد
سقى الله دهرا لم أبت فيه ليلة * خليا ولكن من حبيب على وعد

ثم دفعها لشفيع فأعطاها المتوكل فاستملحها وقال أحسنت والله يا حسين ولو كان شفيع ممن تجوز هبته لوهبته لك ولكن بحياتى يا شفيع الا كنت ساقيه بقية يومنا وأمر له بمال كثير * وكان لمعز الدولة غلام تركى وكان وضىء الوجه منهمكا فى الشراب ولفرط ميل مولاه اليه جعله رئيس سرية جردها لحرب بنى حمدان وكان المهلبى يستظرفه و يستحسنه فقال

ظبى يروق الماء فى * وجناته و يروق عوده

دورها وتقلبت كورها وحورها وما نجز من وعودهم وعد ولا سح لها رعد فلما رأيت النخاسين ناسين أو متناسين علمت أن ليس من خلق يفرى وأن ان يحك جلدى مثل ظفرى فرفضت مذهب التفويض وبرزت الى السوق بالصفر والبيض فانى لاستعرض الغلمان وأستعرف الاثمان اذ عارضنى رجل قد اختطم باللثام وقبض على زند غلام وقال

من يشترى منى غلاما صنعا
فى خلقه وخلقه قد برعا
بكل ما نطت به مضطلعا
يشفيك ان قال وان قلت وعى
وان تصبك عثرة يقل لعا
وان تسمه السعى فى النار سعى
وان تصاحبه ولو يوما رعى
وان تقنعه بظلف قنعا
وهو على الكيس الذى قد جمعا
ما فاه قط كاذبا ولا ادعى
ولا أجاب مطمعا حين دعا
ولا استجاز نث سر أودعا
وطالما أبدع فيما صنعا
وفاق فى النثر وفى النظم معا
والله لولا ضنك عيش صدعا
وصبية أضحوا عراة جوعا
ما بعته بملك كسرى أجمعا

قال فلما تأملت خلقه القويم وحسنه الصميم خلته من ولدان جنة النعيم وقلت ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم

ويكاد من شبه العذا * رى فيه أن تبدو نهوده
ناطوا بمعقد خصره * سيفا ومنطقة تؤده
جعلوه قائد عسكر * ضاع الرعيل ومن يقوده

فكانت الدائرة على جيش الغلام كما أشار اليه ولو غزاهم بالسلاح الذى أمر به البغا غلاما غازيا وهو

ياغازيا أنت الاحزان غازية * الى فؤادى والاحشاء حين غزا
ان بارزتك رماة الروم فارمهم * بسهم عينيك تقتل كل من برزا

لكان الظافر الغالب * وكان بديع غلام عمير المأمورى أحسن خلق الله وجها وكان الوزير بن الزيات مفتونا به فاجتاز عليه راكبا بآلة الحرب فقال فيه

راح علينا راكبا طرفه * أغيد مثل الرشا الآنس
قد لبس القرطق واستمسكت * كفاه من ذى بدن مائس
وقلد السيف على غنجه * كأنه فى وقعة الداحس
أقول لما أن بدا مقبلا * ياليتنى فارس ذا الفارس

ثم استنطقته عن اسمه لا لرغبة فى علمه بل لانظر أين فصاحته من صباحته وكيف لهجته من بهجته فلم ينطق بحلوة ولا مرة ولا فاه فوهة ابن أمة ولا حرة فضربت عنه صفحا وقلت

﴿وقال ابن الرقاق﴾

ومهند عضب براحة أغيد * فى جفنه عضب يقد مفاصلى
يسطو بذاك وذا فيغدو قرنه * بهما صريع لواحظ ومناصل
ماض كلا السيفين لكن لحظه * أمضى والافاسأل مقاتلى

وكان لابى عيسى بن الرشيد غلام اسمه بشير وكان آية فى الجمال وكان صالح أخوه يتعشقه فبلغت لابى عيسى قصة جرت بينهما فحجبه ومنعه أن يخرج من داره الا بحافظ وكاد حسين بن الضحاك يموت فيه عشقا فقال فيه

ظن من لا كان ظنا * بحبيبى فحماه
أرصد الباب رقيبـ * ـن له فاكتنفاه
فاذا ما اشتاق قربى * ولقائى منعاه
جعل الله رقيبيـ * ـه من السوء فداه

وقال فيه

ان من لا يرى وليس يرانى * نصب عينى ممثل بالامانى
بأبى من ضميره وضميرى * أبدا بالمغيب ينتجيان
نحن شخصان ان نظرت وروحا * ن اذا ما اختبرت ممتزجان
فاذا ماهممت بالامر أوهمّ بشئ بدأته وبدانى
كان وفقا لما كان منه ومنى * فكأنى حكيته وحكانى
خطرات النفوس منا سواء * وسواء تحرك الابدان

وجاء يوما فحدث معه فأشار لتقبيله فقال له بشير اياك والتعرض لى وانج بنفسك وكانت فيه عربدة فقال فيه حسين

أيها النفاث فى العقد * أنا مطوىّ على الكمد
انما زخرفت لى خدعا * فدحت فى الروح والجسد
مالانس كان مبتذلا * منك لى بالامس لم يعد
يوم تعطينى وتأخذها * دون ندمانى يدا بيد
ذاك يوم كان حاسدنا * فيه معذورا على الحسد

(قوله استنطقته) أى سألته أن ينطق (صباحته) حسنه (لهجته) لفظه وأصلها طرف اللسان فكنى بها عن حلاوته (بهجته) حسنه ونضارته وأصلها حسن اللون (لم ينطق بحلوة ولا مرة) أى بكلمة جيدة ولا رديئة (فاه) نطق (ضربت عنه) أعرضت عنه (صفحا) أى أوليته صفحة وجهى

له قبحا لعيبك وشقحا فغار في الضحك وأنجد ثم أنغض رأسه الىّ وأنشد يامن تلهب غيظه اذ لم أبح * باسمى له ماهكذا من ينصف
ذان كان لا يرضيك الا كشفه * فأصخ له أنا يوسف أنا يوسف ولقد كشفت لك الغطاء فان تكن * فطنا عرفت وما أخالك تعرف
قال فسرى عنى بشعره واستبى لبى بسحره حتى شدهت عن التحقيق وأنسيت قصة يوسف الصديق

ولم يكن لى همّ الا مساومة مولاه فيه واستطلاع طلع الثمن لاوفيه وكنت أحسب انه سينظر شزرا الى ويغلى السيمة على فما حاق الى حيث حلقت ولا اعتاق بما به اعتلقت بل قال ان الغلام اذا زرّ ثمنه وخفت مؤنه تبرك به مولاه والتحف عليه هواه وانى لاوثر تحبيب هذا الغلام اليك بان أخفف ثمنه عليك فزن مائتى درهم ان شيت واشكر لى ما حييت فنقدته المبلغ فى الحال كما ينقد فى الرخيص الحلال ولم يخطر لى ببال أن كل مرخص غال فلما تحققت الصفقة وحقت الفرقة هملت عينا الغلام ولا همول دمع الغمام ثم أقبل على صاحبه وقال

لحاك الله هل مثلى يباع * لكيما تشبع الكرش الجياع
وهل فى شرعة الانصاف أنى * أكلف خطة لا تستطاع
وأن ابلى بروع بعد روع * ومثلى حين يبلى لا يراع
اما جربتنى فخبرت منى * نصائح لم يمازجها خداع
وكم أرصدتنى شركا كالصيد * فعدت وفى حبائلى السباع
ونطت بى المصاعب فاستقادت * مطاوعة وكان بها امتناع
وأى كريهة لم أبل فيها * وغنم لم يكن لى فيه باع
وما أبدت لى الايام جرما * فيكشف فى مصارمتى القناع
ولم تعثر بحمد الله منى * على عيب بكتم أو يذاع
فأنى ساغ عندك نبذ عهدى * كما نبذت برايتها الصناع

وهى جانبه (شقحا) اتباع لقبح وقيل هى من شقح البسر اذا تغيرت خضرته بحمرة أو صفرة وهو اقبح مايكون فى رأى العين وقيل هو من شقحت العود اذا كسرته وقيل هو من أشقاح الكلاب وهى أدبارها ويقال قبحا وشقحا بضم أولهما وفتحه (غار) أتى الغور وهو المنخفض من الارض (أنجد) أتى نجدا ومعناه بالغ فى الضحك وذهب فى جهاته (أنغض رأسه) أى حركه كانه يهدد ويستخف به (تلهب) اشتعل (أبح) أتكلم (اصخ) استمع (أنا يوسف) أى أنا حر مثل يوسف صلوات الله عليه اذ باعه اخوته (سرى عنى) أزال لومى (استبى لبى) أى تملك عقلى بسحره وحلاوة كلامه (شدهت) تحيرت وهو مقلوب دهشت (التحقيق) التمييز وهذا كما قال الشاعر

والله ما فتنت نفسى محاسنه * الا وقد سحرت ألفاظه أذنى
ما تصدر العين عنه لحظة ملل * كانه كل شئ مرتضى حسن

(استطلاع طلعه) استخبار خبره والسؤال عن قدره (لاوفيه) لاعطيه له كاملا وافيا (شزرا) نظر فيه اعراض (السيمة) السوم وهو السؤال عن الثمن (ما حلق الى حيث حلقت) أى ما دار الى حيث درت أى ما كان عنده شئ مما ظننت به من طلبه سوما غاليا ويروى الامكان الى (زر) قل (مؤنه) لوازمه وما يحتاج اليه (تبرك) رآه مباركا والبركة الكثرة والسعة (التحف) انضم (هواه) حبه (أوثر) أفضل (تحققت الصفقة) تم البيع (هملت) سالت (الغمام) السحاب (لحاه الله) لعنه وأبعده ولحيت الرجل لمته وأصله من لحوت العود ألحوه ولحيته ألحاه اذا قشرته وأنشد ابن الاعرابى فى نوادره

لحيت شماسا كما تلحى العصا * سبا لو ان السب يدمى لدمى

ويقال لاحاه ملاحاة ولحاء وأصلها المبالغة ثم كثرت حتى جعلت كل ممانعة ومدافعة ملاحاة (الكرش) العيال وكرش الرجل عياله وصغار ولده ويقال فى المعيل عليه كرش منثورة واذا أكثرت المرأة أولادها قيل نثرت كرشها وقد قدم أن صبيته جوّع (الشرعة) الطريق و(الخطة) مثل القصة الامر يقع بين القوم (ابلى) امتحن (الروع) الفزع لانه يصيب الروع وهو القلب (يمازجها) يخالطها (أرصدتنى) جعلتنى رصدا والرصد من يرقبك وأنت لا تعلم فاذا جئته هجم عليك (والشرك) آلة الصيد (حبائلى) شباكى (نطت) علقت (المصاعب) الامور الشاقة (استقادت) انقادت (ابل) أبالغ واجهد نفسى فيه (غنم) غنيمة (جرم) ذنب (مصارمتى) مقاطعتى وكشفت فى الامر القناع اذا جاهدت فيه وبالغت (تعثر) تطلع (يكتم) يستر (يذاع) يفشى ويحمد الله فى البيت وقعت اعتراضا بين العامل والمعمول كما وقعت فى التاسعة والاربعين اعتراضا بين المبتدا وخبره فى قوله وأنت بحمد الله ولى عهدى وتعلقها بمحذوف تقديره ابتدئ بحمد الله أو افتتح بحمد الله الذى خلصنى من عيب يعثر لى عليه أو الذى جعلك ولى عهدى ومنه سبحان الله وبحمده معناه أنزه الله وابتدئ بحمده أو افتتح بحمده ودخلت الواو هنا لغير معنى العطف ألا ترى أنك لو قلت سبحان الله وحمده لكان المعنى أسبحه تسبيحا وأحمده حمدا هكذا يقتضى ماجاء من المصادر منصوبا فى هذا الباب وفى قولنا وبحمده لا يكون المعنى ما تقدم فى المنصوب ولكن الباء آذنت بمعنى ابتدأت أو أبدأ بحمد الله كانك قلت حمدت الله على الهامه اياى تسبيحه وتأمل قوله تعالى يسبحون بحمد ربهم (قوله ساغ) أى سهل (نبذ) ترك (البراية) ما يتساقط من العود اذا بجر ومن القلم اذا برى وكذا

يأتى فى مثل البرادة والنحاتة ونحوها (الصناع) الحاذقة بالصنعة والرجل صنع بغير ألف (قرونك) نفسه (سمحت) جادت (أشرى) أباع (عنه) أى عن البيع (صونى حديثك) أى صيانتى للحديث الذى أحدثت من بيعى وأناحر (يوم جدّبنا الوداع) أى فى هذه الساعة التى تريد أن تودعنى فيها (سكاب) اسم فرس لرجل من العرب من بنى تميم سأله بعض الملوك أن يبيعها منه فأبى عليه وقال

أبيت اللعن ان سكاب علق * كريم لا يعار ولا يباع
مفداة مكرمة علينا * يجاع لها العيال ولا تجاع

(الطرف) الفرس الكريم يقول لست أنا دون ذلك الفرس لكن طباع مالكه أفضل من طباعك حيث كان يجيع عياله ويشبعه ولم يهنه بالبيع كما أهنتنى به وعجز البيت الاخير صدر بيت لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنهم وهو العرجى سمى بذلك لانه ولد بالعرج من مكة وقيل بل كان له بها مال وكان يكثر الاختلاف اليه فنسب اليه يكنى أباعمرو وهو شاعر مطبوع بالغزل مجيد ويشبه فى غزله ومقصده بعمر بن أبى ربيعة وكان يهوى جيداء أم ابراهيم بن هشام المخزومى ولها يقول

أبصرت وجها لها فى جيده تلع * تحت العقود وفى القرطين تشهير
وجه تحير فيه الماء فى بشر * صاف له حسين أبدته لنا نور

ولها يقول

الى جيداء قد بعثوا رسولا * ليخبرها فلا صحب الرسول
كأن العام ليس بعام حج * تغيرت المواسم والشكول

ولها يقول

عوجى علينا ربة الهودج * انك ان لا تفعلى تحرجى
فالحج ان حجت وماذا منى * وأهله ان هى لم تحجج
فما استطاعت غير أن أومأت * نحوى بعينى شادن أدعج

وقال أيضا

باتا بأنعم ليلة حتى بدا * صبح يلوح كالأغر الاشقر
فتلازما عند الفراق صبابة * أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فلما شاع نسيبه بها قبض عليه ابنها محمد عندولايته الحجاز بسبب طلبة عليه فضربه بالسياط وألقى الزيت على رأسه وأوقفه للناس فى الشمس حتى غشى عليه وسجنه بضع سنين حتى مات فى سجنه فقال فى السجن

أضاعونى وأى فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر
وخلونى ومعترك المنايا * وقد شرعت أسنتهم لنحرى
كأنى لم أكن فيهم وسيطا * ولم تك نسبتى فى آل عمرو
أجرر فى الجامع كل يوم * فيالله مظلمتى وقسرى
عسى الملك المجيب لمن دعاه * ينجينى ويعلم كيف شكرى
فأجزى بالكرامة أهل ودى * وأجزى بالعداوة أهل وترى

فلما أفضت الخلافة الى الوليد بن يزيد بن عبد الملك قبض على محمد بن هشام وأخيه ابراهيم ودعا لهما بالسياط فقال له محمد أسألك بالقرابة قال وأى قرابة بينى وبينك قال فاسألك بصهر عبد الملك فقال لم تحفظه فقال يا أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يضرب قرشى الا فى حد فقال ففى حد أضربك وقود قال وماذاك قال أنت أول من سن ذلك على العرجى وهو ابن عمى وابن أمير المؤمنين عثمان بن عفان فما رعيت جده ولا نسبه بهشام من قبل أمه اضربهما يا غلام فضربهما ضربا مبرحا وأثقلا بالحديد ووجه بهما الى يوسف بن عمر وأمره بتعذيبهما فضربهما حتى ماتا * وغنى اسحق الموصلى الرشيد قوله * أضاعونى وأى فتى أضاعوا * فسأل عن سبب هذا الشعر فأخبره بحديث العرجى قال اسحق فرأيته يتغيظ فلما أخبرته بما فعل بابنى هشام جعل وجهه يسفر وغيظه يسكن ثم قال يا اسحق لولا ما حدثتنى به من فعل الوليد لما تركت أحدا من أمثال بنى مخزوم الاقتلته

ولم سمحت قرونك بامتهانى
وأن أشرى كما يشرى المتاع
وهلا صنت عرضى عنه صونى
حديثك يوم جدّبنا الوداع
وقلت لمن يساوم فى هذا
سكاب فما يعار ولا يباع
فما أنا دون ذاك الطرف لكن
طباعك فوقها تلك الطباع
على انى سأنشد عند بيعى
أضاعونى وأى فتى أضاعوا

بالعرجي ومن جيد شعر العرجي

فهل أنت آت أهل ليلى فناظر * لذنب جفوني أم جفوني تجرما
فان يك من ذنب ففي ذاك حكمهم * وحسب امرئ في حقه أن يحكما
كمثل شهاب النار في كف فارس * اذا الريح هبت وهو كرار أضرما

ومن جيده

أخبرت انك قلت نقتله * لا تفعلين فقد تكم نفسي
والله لا آتي لكم سخطا * حتى أغيب في ثرى رمسي
والله لا أنسى تطوفها * تهتز بين كواعب خمس
كالبدر صورتها اذا سفرت * واذا تنقب فهي كالشمس

ومنه

حور بعثن رسولا في ملاطفة * ثبتا اذا أسقط المنساءة الوهم
فجئت أمشي على هول أجشمه * تجشم المرء هولا في الهوى كرم
أمشي كما حركت ريح يمانية * غصنا من البان رطبا بله رهم
حتى جلست ازاء البيت مكتتما * وطالب الحاج تحت الليل يكتتم
فبت أسقى بأكواس أعل بها * من بارد طاب منه الطعم والقسم

وفي معنى قوله أمشي كما حركت البيت يقول ابن دعبل

قالت لقد أعييتنا حجة * فأت اذا ما هجع السامر
واسقط علينا كسقوط الندى * ليلة لا ناه ولا آمر

وقال الواثق

قالت اذا الليل دجا فأتنا * فجئتها حين دجا الليل
خفي وطء الرجل من حارس * ولو دنا حل به الويل

ومن ظرف العرجي أنه وعد هوى له أن تزوره في منتزه فجاءته على اتان ومعها جارية لها وجاء العرجي على عير ومعه غلام فواقعها العرجي ثم خرج فرأى الغلام يواقع الجارية والعير على الاتان فلما نظر الحال قال هذا يوم غاب عذاله ويسمى أخذ الحريري شطر بيت العرجي التضمين وليس بسرقة والتضمين يكون في بيت وفي شطر بيت والشعراء تتولع به كثيرا وهو من صنعة البديع فمن الثاني قول الاخطل ولقد سما للخيرمي فلم تقل * بعد الوغى لكن تضايق مقدمي
ومثله قول الآخر وجزت على باب الامير كأنني * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
ومن تضمين بيت بكماله قول الحسن بن هانئ

اني عجبت وفي الايام معتبر * والدهر يأتي بألوان الاعاجيب
من صاحب كان دنياي وآخرتي * عدا علي جهارا عدوة الذيب
قد كان لي مثل لو كنت أعقله * من رأى غالب أمر غير مغلوب
لا تحمدن امرأ حتى تجربه * ولا تذمنه من غير تجريب

فضمن هذا البيت وقال ابن حجاج

قد قلت لما ان رجعت موليا * ومعي مزابير من الكتاب
نحن الذين يقال عنا كلنا * فل العصا وطريدة الحجاب
قوم اذا قصدوا الملوك لمطلب * نتفت شواربهم على الابواب

وقال ابن رشيق سألني بعض أصحابنا ان أضمن له قول الشاعر

فان فخرت بآباء لهم شرف * قلنا صدقت ولكن بئس ما ولدوا

ولا أزيد على بيت واحد فقلت

أصبحت من جلة الاشراف ان ذكروا * كواحد الاس لا يزكو له عدد

والتضمين كثير وعلى بيت العرجي * أضاعوني وأي فتى أضاعوا * حديث النضر بن شميل قال كنت أدخل على المأمون في سمره فدخلت ذات ليلة وعلي أطمار أخلاق فقال يا نضر ما هذا التقشف تدخل على أمير المؤمنين في هذه الخلقان فقلت يا أمير المؤمنين أنا شيخ ضعيف وحر مرو شديد فأتبرد بهذه الخلقان قال لا ولكنك قشف فحمل منك هذا على التقشف ثم أجرينا الحديث فقال حدثنا هشيم عن بشر عن مجاهد عن الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها وكمالها كان فيها سداد من عوز فأورده بفتح السين قلت يا أمير المؤمنين حدثنا عوف بن أبي جميلة الاعرابي عن الحسن عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها وكمالها كان فيها سداد من عوز وكان متكئا فاستوى جالسا وقال كيف قلت يا نضر سداد قلت سداد لان السداد هنا لحن قال أو تلحنني قلت انما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه فقال فما الفرق بين السداد والسداد قلت السداد القصد في الدين والسبيل والسداد بالكسر البلغة في الشئ وكل ما سددت به شيأ فهو سداد قال أو تعرف العرب ذلك قلت نعم هذا العرجي من ولد عثمان يقول

أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

ثم أطرق مليا وقال قبح الله من لا أدب له ثم تجارينا الحديث فقال كيف روايتك للشعر قلت قد رويت الكثير منه قال فأنشدني أحسن ما قالته العرب في الحلم فأنشدته

اذا كان دوني من بليت بجهله * أبيت لنفسي أن أقابل بالجهل
وان كان مثلي في محل من العلا * هويت اذا حلما وصفحا عن المثل
وان كنت أدنى منه في الفضل والحجا * رأيت له حق التقدم والفضل

فقال ما أحسن ما قال فأنشدني أحسن ما قالته العرب في الحزم فأنشدته

على كل حال فاجعل الحزم عدة * لما أنت باغيه وعونا على الدهر
فان نلت أمرا نلته عن عزيمة * وان قصرت عنه الحقوق فمن عذر

قال فما أحسن ما قال فانشدني أحسن ما قالته العرب في اصلاح العدو حتى يكون صديقا فأنشدته

وذي غيلة سالمته فقهرته * فأوقرته مني بعبء التحمل
ومن لا يدافع سيآت عدوه * باحسانه لم يأخذ الطول من عل
ولم أر في الاشياء أسرع مهلكا * لضغن قديم من وداد معجل

فقال ما أحسن ما قال فأنشدني أحسن ما قالته العرب في السكوت فانشدته

اني ليهجرني الصديق تجنبا * فأريه ان لهجره أسبابا
وأراه ان عاتبته أغريته * فيكون تركي للعتاب عتابا
واذا بليت بجاهل متحكم * يجد المحال من الامور صوابا
أوليته مني السكوت وربما * كان السكوت عن الجواب جوابا

فقال ما أحسن ما قال ثم قال ما مالك يا نضر قلت أريضة بمرو الروذ أتصابها وأتمززها قال أفلا نفيدك مالا معها قلت ان رأى ذلك أمير المؤمنين فاني لذلك لمحتاج فأخذ القرطاس وكتب وأنا لا أدري ما يكتب ثم قال كيف تأمر اذا أردت أن تترب الكتاب قلت يا غلام أترب الكتاب قال فهو ماذا قلت مترب قال فمن السحاة قلت يا غلام اسح الكتاب قال فهو ماذا قلت مسحى قال فمن الطين قلت يا غلام طن الكتاب قال فهو ماذا قلت مطين ومطان فقال هذه أحسن من الاولى ثم قال يا غلام أتربه واسحه وطنه ثم صلى بنا العشاء ثم قال لغلامه امض معه الى الفضل بن سهل بهذا الكتاب فلما قرأه قال يا نضر ان أمير المؤمنين أمر لك بخمسين ألف درهم وما سبب ذلك فأخبرته الحديث على جهته

قوله أتصابها أي أشرب صبابتها اه من درة الغواص اه

فقال

فقال لحنت أمير المؤمنين فقلت كلا انما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين ألفاظه وقد تتبع ألفاظ الفقهاء ورواة الاخبار فجعل لي ما في الكتاب وأمر لي من عنده بأربعين ألف درهم فانصرفت بتسعين ألف درهم بحرف استفاده مني وهذا الخبر جاء في أخبار النحويين وذكره الحريري في درة الغواص باخصر مما ذكرناه ثم قال باثر الخبر وقد أذكرني هذا المثل أبياتا أنشدنيها أحد أشياخي رحمهم الله لابن أبي الهيدام

لي صديق هو عندي عوز * من سداد لا سداد من عوز
وجهه يذكرني دار البلى * كلما أقبل نحوي وضمز
واذا جالسني جرعني * غصص الموت بكرب وعلز
يصف الود اذا شاهدني * واذا غاب وشى بي وهمز
كحمار السوء يبدي مرحا * فاذا سيق الى الحمل غمز
ليتني أعطيت منه بدلا * بنصيبي شر أولاد المعز
قد رضينا بيضة فاسدة * عوضا منه اذا البيع نجز

وكان لابي حنيفة رحمه الله جار اسكاف بالكوفة يعمل نهاره أجمع فاذا أجنه الليل رجع الى منزله بالخبز ولحم أو سمك فيطبخ اللحم أو يشوي السمك حتى اذا دب الشراب فيه رفع عقيرته ينشد

أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يغلبه النوم وكان أبو حنيفة رحمه الله يصلي الليل كله ويسمع جلبته وانشاده ففقد صوته ليالي فسأل عنه فقيل له أخذه العسس منذ ثلاث ليال وهو محبوس فصلى الفجر وركب بغلته ومشى فاستأذن على الامير فقال ائذنوا له وأقبلوا به راكبا ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ففعل به ذلك فوسع له الامير مجلسه وقال له ما حاجتك فقال لي جار اسكاف أخذه العسس منذ ثلاث ليال فتأمر بتخليته فقال نعم وكل من أخذ من تلك الليلة الى يومنا هذا ثم أمر بتخليتهم أجمعين فركب أبو حنيفة وتبعه جاره الاسكاف فلما أوصله داره قال له أبو حنيفة أترانا يا فتى أضعناك قال لا بل حفظت ورعيت جزاك الله خيرا عن صحبة الجوار ورعاية الحق ولله علي أن لا أشرب الخمر أبدا فتاب ولم يعد الى ما كان عليه * ومما يوافق هذا الموضع في المقامات من ظرف الحكايات التي تضمنت بيع المماليك عند الضرورات وما للاجواد من جزيل الهبات مما ذكروا من أحسن أخبار الغلمان ان جعفر بن يحيى عرض عليه في بعض متوجهاته مملوك من مماليك لرجل جفاه السلطان فقبض ماله وأمر ببيع مماليكه فعرض عليه من جلتهم غلام كأطر شاربه أجمل الناس يدير بين فكيه لسانا أبين من الصبح قال جعفر فقلت له ما اسمك قال ماهر فقلت له وما صنعتك قال الادب والغناء والشعر وماشئت من بعد فسألته عن ثمنه فقال خمسمائة دينار على الضرورة قال فأديت ثمنه وسألته أن يسمعني شيأ من غنائه فأخذ العود وغنى

حملتم جبال الحب فوقي وانني * لأعجز عن حمل القميص وأضعف
ظفرتم بكتمان اللسان فمن لكم * بكتمان عين دمعها الدهر يذرف

فأطربني غناؤه وشجاني فأجزته ووهبت له وخلعت عليه وأمرته بمعادلتي فلما اجتزت منزل مولاه بقدر ميل أنشأ يقول

وما كنت أخشى معبدا أن يبيعني * بشئ ولو أضحت أنامله صفرا
أخوهم ومولاهم وحامل سرهم * ومن قد ثوى فيهم وعاشرهم دهرا
أشوقا ولما تمض لي غير ساعة * فكيف اذا خب المطي بنا شهرا

فقلت يا غلام أتعرف منزل مولاك من ههنا فقال هيهات وهل تخفى معالم الصب فقلت اذهب فأنت حر

فلما وعى الشيخ أبياته وعقل مناغاته تنفس الصعداء وبكى حتى أبكى البعداء ثم قال لي انى أحل هذا الغلام محل ولدي

ولا أميزه عن أفلاذ كبدي
ولولا خلو مراحي وخبو
مصباحي لما درج عن
عشي الى أن يشيع نعشي
وقد رأيت ما نزل به من
لوعة البين والمؤمن هين
لين فهل لك في تسلية
قلبه وتسرية كربه بأن
تعاهدني على الاقالة فيه
متى استقلت وأن لا
تستقلني اذا استقلت ففي
الآثار المنتقاة المروية
عن الثقات من أقال
نادما بيعته أقاله الله
عثرته (قال الحرث بن
همام) فوعدته وعدا
أبرزه الحياء وفي القلب
أشياء فاستدنى حينئذ
الغلام اليه وقبل ما بين
عينيه وأنشد والدمع
يرفض من جفنيه

خفض فدتك النفس ما تلاقي
من برحاء الوجد والاشفاق
بما أطول مدة الفراق
ولا تني ركائب التلاقي
بحسن عون القادر الخلاق

ثم قال له أستودعك من
هو نعم المولى وشمر ذيله
وولى فلبث الغلام في
زفير وعويل ريثما يقطع
مدى ميل فلما استفاق
وكفكف دمعه
المهراق قال أتدري لم أعولت
وعلام عولت فقلت
أظن فراق مولاك هو الذي
أبكاك فقال انك لفي واد
وأنا في واد ولكم بين
مريد ومراد ثم أنشد

لم أبك والله على الف نزح * ولا على فوت نعيم وفرح
وانما مدمع اجفاني سفح * على غبي لحظه حين طمح

لوجه الله تعالى ووهبت له ألف دينار فقال لي زميلي أمثل هذا يعتق فقلت أومثله يملك فولى وهو يقول

لا يوجد الخير الا في معادنه * والشر حيث طلبت الشر موجود

* وحدث ابن عائشة قال كان لرجل من قيس عيلان جارية وكان بها معجبا ولها مكرما فاصابته حاجة وجهد فقالت له لو بعتني فان نلت طائلا عدت به عليك فعرضها للبيع فعرضت على عمر بن عبد الله بن معمر المذحجي فأعجبته فاشتراها بمائة ألف درهم فلما مضت لتدخل القصر ودعت مولاها وأنشدته

هنيأ لك المال الذي قد أصبته * ولم يبق في كفي الا تفكري
أقول لنفسي وهي في كرب غشية * أقلي فقد بان الحبيب أو اكثري
اذا لم يكن للوصل عندك حيلة * ولم تجدي بدا من الصبر فاصبري

(فأجابها مولاها)

فلولا قعود الدهر بي عنك لم يكن * لفرقتنا شيء سوى الموت فاعذري
أؤوب بحزن من فراقك موجع * أناجي به قلبا طويل التفكر
عليك سلام لا زيارة بيننا * ولا وصل الا أن يشاء ابن معمر

فقال ابن معمر قد شئت خذ بيدها فهي لك وثمنها (قوله عقل مناغاته) أي فهم كلامه والمناغاة تكليم الطفل بما يهوى ويفرح به فاذا رد الصبي كلاما أو حاكى ذلك فقد ناغاك (الصعداء) ارتفاع نفس المهموم (أفلاذ) قطع يريد أولاده والفلذة قطعة من الكبد ولفرط الاشفاق به والمحبة في الولد يخاطبه أبواه بقلبي وكبدي وقالوا أولادنا أكبادنا وقال الشاعر

وانما أولادنا بيننا * أكبادنا تمشي على الارض

(مراحي) موضع ابلي ودوابي يكني بخلو المراح عن الفقر وذهاب المال (درج) مشى (لوعة البين) حرقة الفراق (هين لين) هما مع الازدواج مخففان فان أفردتا شددتا (قوله لما درج عن عشي) يقول لولا الفقر ما بعته ما دمت حيا (وتسرية كربه) ازالة همه (المنتقاة) المختارة المدونة المكتوبة المجموعة والحديث معروف من طريق أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أقال نادما بيعته أقاله الله عثرته أي عفا عن زلته (أبرزه) أظهره ويريد بقوله (وفي القلب أشياء) أنه أضمر أن لا يقيله أبدا (يرفض) يسقط متفرقا (خفض) سكن (برحاء) شدة (الوجد) الحزن (الاشفاق) الخوف (تني) تفتر (زفير) أنفاس مرتفعة (عويل) بكاء (ريث) قدر (مدى) غاية (والميل) قدر مد البصر من الارض ويقال انه ألف خطوة من خطا البعير والفرسخ ثلاثة أميال والبريد أربعة فراسخ (استفاق) استراح وخف ما يجده (كفكف) رد وأذهب (المهراق) المصبوب (أعولت) بكيت بصوت عال وأعول اعوالا صاح ورفع صوته وعولت على كذا اتكلت عليه وعلى الله معولي اتكالي وقال الشاعر * وليس على ريب الزمان معول *
(كم بين مريد ومراد) يريد انهما متقاربان في اللفظ متباعدان في المعنى لان المريد في الشيء المحب فيه والمراد الشيء المطلوب وهو المحبوب فأنت قد تريد الشيء فتمنعه وغيرك قد يراد له فيأباه ولا يريده فاللفظان متضادان فيقول التبس عليك سر بكائي فظننت انه على فراق مولاي فتفطن الآن انه على سخف عقلك كما التبس اللفظان على غيرنا فقد فاذا انفطن لهما تباعدا عليه والمريد عند أهل الارادة المبتدي والمراد المنتهي فالمريد هو الذي نصب للتعب والمقاساة والمراد الذي لقي الامر من غير مشقة فهو مرفوق به مرفه وقيل المريد متحمل والمراد محمول * الجنيد المريد تتولاه سياسة العلم والمراد تتولاه رعاية الحق لان المريد يسير والمراد يطير فمتى يلحق السائر الطائر * القشيري كل مريد في الحقيقة مراد لانه اذا أراده الحق للخصوصية وفقه للارادة ولكنهم فرقوا بينهما (قوله الف) أي صاحب (نزح) بعد (سفح) جرى (غبي) جاهل (لحظه) نظره (طمح) ارتفع (ورطه) أنشبه والورطة

ورطه حتى تعنى وافتضح * وضيع المنقوشة البيض الوضح ويك أما ابنك هاتيك الملح * بأننى حر وبيعى لم يبح اذ كان فى يوسف معنى قد وضح

قال فتمثلت مقاله فى مرآة المداعب ومعرض الملاعب فتصلب تصلب المحق وتبرأ من طينة الرق فجلنا فى محاصمة اتصلت علا كمة وأفضت الى محاكمة فلما أوضحنا للقاضى الصورة وتلونا عليه السورة قال ألا ان من أنذر فقد أعذر ومن حذر كمن بشر ومن بصر فاقصر وان فيما شرحتماه لدليلا على أن هذا الغلام قد نبهك فما ارعويت ونصح لك فما وعيت فاستردأ بلهك واكتمه ولم نفسك ولا تلمه وحذار من اعتلاقه والطمع فى استرقاقه فانه حر الاديم غير معرض للتقويم وقد كان أبوه أحضره أمس قبيل أفول الشمس واعترف بأنه فرعه الذى أنشاه وان لا وارث له سواه فقلت للقاضى أو تعرف أباه أخزاه الله فقال وهل يجهل أبو زيد الذى جرحه جبار وعند كل قاص له اخبار وأخبار فتحرقت حينئذ وحولقت وأفقت ولكن حين فات الوقت وأيقنت أن لثامه كان شرك مكيدته وبيت قصيدته فنكس طرفى مالقيت وآليت أن لا أعامل ملثما ما بقيت ولم أزل أتأوه لخسر صفقتى وافتضاحى بين رفقتى فقال لى القاضى حين رأى امتعاضى وتبين حر ارتماضى ياهذا

أهوية تكون فى رأس الجبل يشق على من وقع فيها الخروج منها وتورطت الماشية وقعت فى الورطة قال طفيل

تهاب طريق الحق تحسب أنه * وعور وراط وهو بيداء بلقع

وقيل الورطة الوحل تقع فيه الغنم فلا يمكنها التخلص ثم ضرب مثلا فى كل شدة يقع فيها الانسان وأورطت فلانا فتورط هو أى وقع فيما يعسر التخلص منه * أبو عمرو الورطة الهلكة قال الراجز

ان تأت يوما مثل هذى الخطه * تلاق من ضرب عمير ورطه

(قوله تعنى) أى تعب (افتضح) اشتهر و(الوضح) الشديدة البياض النقية أى ضيع الدراهم المنقوشة البيض والوضح البيان والضوء والغرة والفضة والدرهم الصحيح وقيل انه وصف الدراهم بالمصدر كما يقال امرأة زور وكرم (ويك) عجبا لك (وقوله هاتيك) يقال للمذكر ذا وهو للقريب وذاك لما هو أبعد وذلك لا بعد الثلاثة وللمؤنث ذه وذى وذ بلا يا وتا وتى وهى للقريبة وتيك للتى هى أبعد منه وتلك وتالك لا بعدهن وتدخل ها التنبيه على كل ما ليس فيه لام لان اللام موضوعة للبعيد وها موضوعة للقريب فلا يجمع بينهما نحو هذا وهذاك وهاتا وشاهده * وليست دارنا هاتا بدار * وهذه وهذى وهذه وهاتيك وشاهده قول ذى الرمة

قد احتملت مى فهاتيك دارها * بها السحم تروى والحمام المطوق

(قوله لم يبح) أى لم يجعل مباحا * أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أنا خصمهم ومن كنت خصمه خصمته رجل عاهد ثم غدر ورجل باع حرا ورجل استأجر أجيرا فلم يوفه أجره (وضح) تبين (تمثلت) تصورت (المداعب) الممازح (والمعرض) بفتح الميم الموضع الذى تعرض فيه الاشياء والمعرض الثوب تعرض فيه الجارية (تصلب) تقوى وهو تفعل من الصلابة وهى الشدة والارض الصلبة القوية ولا أعلم أحدا خالف فى هذه الرواية الا ابن ظفر فانه رواه تصلت بالتاء بنقطتين وفسره بتجرد وجد وكل حاذ مجاهد مسرع فى أمره فهو منصلت فيه فذكروا أنه تصحف عليه اللفظ فشرحه على تصحيفه (المحق) صاحب الحق (الرق) العبودية وذكر الطينة لانها أصل الخلق (وتبرأ) منها تباعد (جلنا) تصرفنا (ملاكمة) مدافعة ومضاربة واللكم الضرب بجمع الكف (أفضت) اتصلت (أوضحنا) بينا (الصورة) القصة (تلونا) قرأنا وذكرناها له (أنذر) أعلم (أعذر) أتى بعذر ويقال قد أعذر من أنذر أى قد بلغ أقصى العذر من أنذرك وعذر الرجل فهو معذر اذا اعتذر ولم يأت بعذر ومنه قوله تعالى وجاء المعذرون من الاعراب (ارعويت) رجعت عن جهلك وانكففت (البله) غفلتك وجهلك (حذار) أى احذر أن تتعلق به (استرقاقه) تملكه وتعبده ومنه قولهم سوق الرقيق ومنه سمى العبد رقيقا لانهم يرقون لمالكهم ويخضعون له ويذلون و(الاديم) الجلد (للتقويم) لمعرفة قيمته (أفول) غروب (أنشاه) أحدثه وولده (جبار) باطل (اخبار) اعلام (وأخبار) جمع خبر وأخبره أعلمه (تحرقت) عضضت أسنانى حتى صوتت من شدة الغيظ (حولقت) قلت لا حول ولا قوة الا بالله (أفقت) انتبهت وأنشد الفنجديهى فى معنى هذا

يفتضح الجاهل لكنه * من بعد ما غربه الناصح
ويصلح ابن السوء لكنه * من بعد ما مات الاب الصالح

(قوله وأيقنت أن لثامه كان شرك مكيدته) أى شبكة حيلته (وبيت القصيدة) أحسن بيت فيها فأراد أن حيلته كانت لثامه (نكس طرفى) أى كسر عينى وأمال نظرى (أتأوه) أتوجع (رفقتى) أصحابى (امتعاضى) توجعى (ارتماضى) حرقة قلبى من شدة الهم ولا يكون الممتعض كاظما فلا بد من

ماذهب من مالك ماوعظك ولا أجرم اليك من أيقظك فاتعظ بما نابك وكاتم أصحابك ما أصابك وتذكرأبداماد همك لتبق الذكردراهمك وتخلق بخلق من ابتلى فصبر وتجلت له العبرفاعتبر (قال الحرث ابن همام) فودعته لابسا ثوب الخجل والحزن ساحبا ذيلي الغبن والغبن ونويت مكاشفة أبي زيد بالهجر ومصارمته يد الدهر فجعلت أتنكب عن ذراه وأتجنب ان أراه الى أن غشيني في طريق ضيق فحياني تحية شيق فازدت على أن عبست وما نبست فقال ما بالك شمخت بأنفك على الفك فقلت أنسيت انك احتلت وختلت وفعلت فعلتك التي فعلت فأضرط بي متهازيا ثم أنشد متلافيا

يامن بدامنه صدود موحش وتجهم
وغدا يريش ملاوما من دونهن الاسهم
ويقول هل حر يبا ع كما يباع الادهم
أقصر فما أنا فيه بد عامثل ماتتوهم
قدباعت الاسباط قبـ لي يوسفا وهم هم

(قصة يوسف عليه السلام)

ظهور الكرب عليه وأمر ممعض وماعض أي ممض كارب (قوله ماذهب من مالك ماوعظك) هو مثل ومعناه اذا ذهب من مالك شئ حذرك أن يحل بك مثله فتأديبه اياك عوض من ذهابه (أجرم) أذنب (نابك) نزل بك (دهمك) غشيك (تجلت) ظهرت (العبر) العلامات المخوفة واعتبرت بالشئ اذا اتعظت به (الخجل) الحياء (ساحبا) جارا (الغبن) بسكون الباء في البيع وبفتحها في الرأي يريد انه غبن في رأيه وبيعه قال في الدرة الغبن باسكان الباء في المال وبفتحها في الرأي والعقل (نويت) أضمرت (مصارمته) مقاطعته وصرمت فلانا قطعت مابيني وبينه من المودة والصرم القطع وقيل لليل صريم لانقطاعه عن النهار وهو في تأويل مصروم أي مقطوع وكذلك الصريم من الرمل وهو الذي انقطع من معظمه (يد الدهر) أي أبد الدهر * أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل للمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام والسابق السابق الى الجنة (ذراه) جهته (غشيني) قصدني وأتاني على غفلة (شيق) شديد الحب (مانبست) ماتكلمت (شمخت) رفعت أنفك كبرا وشمخ تكبر (ختلت) خدعت وخاتل في معنى ختل وأصل المخاتلة المشي للصيد قليلا قليلا خفية لئلا يسمع حسك ثم جعلت مثلا لكل شئ ورى به وستر على صاحبه (متلافيا) متداركا للالفة (تجهم) عبوس (ملاوما) جمع ملام أو ملاومة وهي اللوم والعتاب يريد أن لومه أنفذ من السهام (الادهم) قيل أراد به الفرس وقصد لونه للقافية وقيل أراد العبد الاسود (بدعا) أي أولا أي ما أنا أول من فعل ذلك (الاسباط) اخوة يوسف عليه السلام (وهم هم) أي وهم أنبياء لم يتغيروا عن مراتبهم ويقال هو هو أي هو كما عهدته لم يتغير * وقد جرى ذكر يعقوب والاسباط في المقامات في مواضع وبني هذه المقامة على ذكر يوسف وجماله وبيع اخوته اياه ونريد أن نلم بطرف من أخبارهم على شرط الكتاب ذكر أهل الاخبار أن يعقوب وهو اسرائيل عليه السلام تزوج بنت خاله ليا بنت ليان بن تويل فولدت له روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا وغيرهم ثم توفيت وخلف على أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وكان يوسف وأمه قد قسم لهما من الحسن شطره فكفلت يوسف عمته وكانت أكبر ولد اسحق وكانت عندها منطقة لاسحق يتوارثونها على قدر أسنانهم فلما ترعرع يوسف أراد يعقوب أخذه منها وقال لها والله لا أقدر على الصبر عنه فقالت له والله لا أقدر على صرفه اليك فلما رأت عزمه على أخذه حزمت المنطقة تحت ثياب يوسف وهو نائم ثم ادعت فقدها فطلبت فوجدت عنده وكان من سنتهم ان من سرق شيأ أخذ فيه فتركها حتى ماتت فلما رجع الى أبيه شغل به عن سائر بنيه فحسدوه فسألوا أباهم ارساله معهم للنزهة بعد أن ضمنوا حفظه فأخرجوه الى البرية وأخذوا يضربونه وكلما ضربه واحد استغاث بالآخر فيضربه الآخر فلما كادوا يقتلونه منعهم يهوذا وذكرهم بما ضمنوا لابيه من حفظه فانطلقوا فأدلوه في الجب وهو يقول يا أباه لو تعلم ما يصنع بابنك بنو الآباء وكان بعض اخوته لامه فجعل يتعلق بشفير الجب فربطوا يديه وألقوه فيه فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا يجولك ثم أرادوا أن يرضخوه بصخرة فمنعهم يهوذا وكان يأتيه بالطعام خفية منهم ثم مرت سيارة فأدلى واردهم دلوه فتعلق به فلما رآه بشر به السيارة وقال السدي ان الذي أخرجه انما دعا صاحباله اسمه بشرى فأتى اخوته الذين أخرجوه وقالوا انه عبد لنا فباعوه منهم بعشرين درهما على أن يخرجوه من أرض الشام وشرطوا لاخوته أن يغربوه ويذهبوا به الى مصر فحينئذ رجعوا الى أبيهم عشاء يبكون فهذه قصة بيع الاسباط يوسف على اختصار ثم انه لما بلغ مصر بيع من العزيز وكان فرعون وهو الريان بن الوليد قد ولاه خزائنها فكان من قصته مع امرأة العزيز ومن حبها فيه ومن دعائها اياه لنفسها ومن تأبيه من ذلك واستنزالها اياه حتى هم بها ورؤيته برهان ربه وهو رؤيته صورة يعقوب يعض على اصبعه وقيل انه رأى في الحائط مكتوبا ولا تقربوا الزنا ومبادرته الباب فارا منها وقدها قميصه من دبر ووجوده العزيز على باب الدار جالسا مع ابن

عم له وهو الشاهد من أهلها وقيل انه كان صبيا فى المهد واشتهار أمرهما بمصر حتى تحدثت به نسوة فى المدينة وقلن امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه واحضارها لهن واعدادها لهن ما يتكئن عليه وقيلى المتكأ الاترج وأمرها له أن يخرج عليهن واعظامهن اياه حتى شغلن به عن أنفسهن وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا تنزيها له عن أن يأتى مثله ريبة فكان من هذا الخبر ما قص الله فى القرآن ونطقت به التفاسير والاخبار ثم ان امرأة العزيز قالت للعزيز ان عبدك فضحنى فى الناس فاما سجنته واما برزت للناس أعتذر عن نفسى فحبسه فدخل معه رجلان أحدهما خباز الملك والآخر نديمه وكان لما بلغ الحلم آتاه الله حكما وعلما من العبارة فكان فى السجن يفسر الرؤيا للمسجونين ويعرض مرضاهم ويوسع على من ضاق عليه مكانه فقال أحد الفتيين لصاحبه هلم نجرب هذا العبد فسألاه من غير أن يريا شيأ وقالا له انا نراك من المحسنين فى معاشرتك أهل السجن فقال لهما أما أحدكما فينادم الملك وأما الآخر فيصلب فقالا له ما رأينا شيأ فقال لهما قضى الامر فيكما ثم قال للذى ظن أنه ناج منهما اذكرنى عند ربك وأخبره أنى محبوس ظلما فأوحى الله تعالى اليه ان اتخذت من دونى وكيلا لاطيلن سجنك فعوقب بالسجن حيث هم بامرأة العزيز وباطالته حيث اتكل فى أمره على غير ربه ثم كان من رؤيا الملك وجهل أهل دولته وتفسير يوسف لها وقول الملك ائتونى به وتأبيه من الخروج حتى يسأل النسوة عن شأنه وشهادتهن عند الملك بتبرئته واعتراف امرأة العزيز بانها راودته وقوله فى العزيز ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ويقال ان جبريل قال له عند ذلك ولا يوم هممت بما هممت به فقال وما أبرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى الآية واستخلاص الملك اياه لنفسه وجعله على خزائن أرضه ما اشتهر قرآنا وتفسيرا ويقال ان العزيز مات فى تلك المدة وان يوسف تزوجها وقال لها أليس هذا خيرا فقالت لا تلمنى كنت امرأة حسناء فى ملك ودنيا وكان صاحبى لا يأتى النساء وكنت كما جعلك الله فى حسنك فغلبتنى نفسى على ما رأيت فيزعمون انه وجدها عذراء وأنها ولدت له ابنين ثم أجدبت الارض فأتاه اخوته منتجعين فكان من أمره معهم واحسانه اليهم فى الكيل وطلبه لهم أن يأتوه بشقيقه بنيامين ورجوعهم موقرين ورغبته اياهم فى ارساله معهم وأخذه بسرقة الصواع وتأذيهم بذلك ورجوعهم الى أبيهم وتوالى الحزن على يعقوب بفقدا بنيه وأمره لبنيه أن يرجعوا طالبين ليوسف وأخيه ودخولهم على يوسف أذلاء صاغرين وتعريفه اياهم بمكانه وبعثه بالقميص على أبيه وجمع شملهم بعد طول مدة الفراق ما نص الله تعالى أنه عبرة لأولى الالباب ولولا أن الامر فى كتب التفسير أشهر من أن يجهل لفسرناه فصلا فصلا (قوله وأقسم بالتى يسرى اليها المتهم) يعنى مكة والمتهم الآتى تهامة وتهامة اسم مكة قال الاصمعى سمعت العرب تقول اذا انحدرت من ذات عرق فقد أتهمت (شعث سهم) أى متغيرة ألوانهم وشعورهم (قوله اعذر أخاك) قال زيد بن على ثلاثة لا يجتمعن الا فى كريم حسن المحضر واحتمال زلات الاخوان وقلة الملالة للصديق (لاحت) ظهرت (طاحت) هلكت (اقشعرارك) انقباضك قال والقشعريرة رعدة وانقباض (ازورارك) انقباضك وميلك (لفرط شفقتك) لكثرة خوفك (غير نفقتك) أى تخاف على ما بقى من نفقتك وان آخذها (يوطئ) أى يجعل غيره يطأ الجمر أى لا أضر مرتين و(الكشح) الخصر وقيل الجنب وقيل هو اسم لما بين الاضلاع ورأس الورك وكلها متقاربة وطوى كشحه على أمر استمره ليسه وطوى كشحه مثل يضرب للمعاتبة والمكاتمة قال الشاعر

طوى كشحا خليلك والجماحا * لبين منك ثم غدا وراحا

و(الشح) البخل مع الحرص و(اضطرنى) ألجأنى (الخالب) الخادع (صفيا) صاحبا مخلصا (حفيا) معينا كريما مكرما (نبذت) رميت وطرحت (ظهريا) أى خلف ظهرى واتخذه ظهريا أى عدة يستظهر بها أى يجعلها خلف ظهره حتى متى احتاجها استعملها (فريا) عجبا ومنكرا والفرى الامر

هذا وأقسم بالتى يسرى اليها المتهم والطائفين بها وهم شعث النواصى سهم ماقمت ذاك الموقف المخزى وعندى درهم فاعذر أخاك وكف عنه ملام من لا يفهم ثم قال أما معذرتى فقد لاحت وأما دراهمك فقد طاحت فان كان اقشعرارك منى وازورارك عنى لفرط شفقتك على غبر نفقتك فلست ممن يلسع مرتين ويوطئ على جمرتين وان كنت طويت كشحك وأطعت شحك لتستنقذ ما علق باشراكى فلتبك على عقلك البواكى (قال الحرث بن همام) فاضطرنى بلفظ الخالب وسحره الغالب الى أن عدت له صفيا وبه حفيا ونبذت فعلته ظهريا وان كانت شيأ فريا

العظيم والفرى الكذاب ومما جاء فى الشعر على أخبار يوسف عليه السلام قال ابن الرقاق

بأبى وغير أبى أغن مهفهف * مهضوم ما خلف الوشاح خميصه
لبس الفؤاد فرقته جفونه * فأتى كيوسف حين قد قميصه

وقال أيضا

وسافر عن قمر * مبتسم عن درر
لولاح للصور وقد * سل حسام الحور
لقد منه شغفا * قميصه من دبر

(ومن الملح فى ذلك قول ابن حجاج فى بختيار)

فديت وجه الامير من قمر * يجلو القذى نوره عن البصر
ان زليخا لو أبصرتك لما * ملت الى الحشر لذة النظر
بل وحياتى لو كنت يوسفها * لم تلك من تهمه العزيز برى
فاننى عالم بأنك لو * شممت ريا نسيمها العطر
سبقتها واندلقت تتبعها * من بين تلك البيوت والحجر
ولم تزل بالكد تنفرها * من قبل وقت العشا الى السحر
طبعك كالماء فى سهولته * لكن أبو الزبرقان من حجر
ان الملوك الشباب ما خلقوا * الاصلاب القياش والكمر

وقال آخر

قميص يوسف لما قد من دبر * كانت براءته فيه من الكذب
وفى قميصك لما قد من دبر * مما يدل على الفحشاء والريب

وقال آخر فى الحسن بن وهب

اذا لقيت بنى وهب بمنزلة * لم تدر أيهما الانثى من الذكر
مؤدبون على الفحشاء من صغر * مدربون على النكراء من كبر
قميص انثاهم ينشق من قبل * وقمص ذكرانهم تنقد من دبر
محكون ولم تقطع سرائرهم * بين الحواضن والدايات بالكمر

(المقامة الخامسة والثلاثون الشيرازية)

(حكى الحرث بن همام) قال مررت فى تطوافى بشيراز على ناد يستوقف المجتاز ولو كان على أوفاز فلم استطع تعديه ولا تخطت قدمى فى تخطيه فجت اليه لاسبك سرجوهره وأنظر كيف ثمره من زهره فاذا أهله أفراد والعائج اليهم مفاد وبينما نحن

(شرح المقامة الخامسة والثلاثين وهى الشيرازية)

(التطواف) مصدر طوفت حول الشئ اذا أكثرت المشى حوله وقد طفت به واطفت واذا درت وأكثرت ذلك قلت طوفت و (شيراز) مدينة فارس العظمى وهى مدينة جليلة عظيمة ينزلها الولاة ولها سعة حتى انه ليس فيها منزل الا وفيه لصاحبه بستان فيه جميع الثمار والرياحين والبقول وكل ما يكون فى البساتين وشرب أهلها من عيون تجرى فى أنهار تأتى من جبال يسقط عليها الثلج (قوله ناد) مجلس (يستوقف) يحبس ويجعله يقف (المجتاز) خاطر الطريق المار عليه (أوفاز) انحفار وعجلة ومنه قولهم قعد مستوفزا معناه قعد على وفز من الارض والاوفاز جمع وفز وهو أن لا يطمئن فى قعوده قال الجوهرى رحمه الله تعالى تقول نحن على أوفاز ولا تقول على وفز ومعناه أن لا تلقاه معدا الازهرى الوفزة الوثبة بعجلة وقعد مستوفزا اذا رفع أليتيه ووضع ركبتيه ولم يطمئن (تعديه) تخطيه وجوازه و (خطت) مشت (جت) ملت (أسبك) أجرب (سرجوهره) أراد باطن أهله اذ كانوا فى الظاهر ذوى مناظر فأراد أن يعرف هل هم أهل علوم وآداب حتى يكملوا فى الظاهر والباطن أم أمرهم على خلاف ذلك وبين ذلك بقوله (كيف ثمره من زهره) فكنى بالزهر عن ظاهرهم وبالثمر عن سرهم الباطن وسر كل شئ باطنه وخالصه وقال المعرى

فلا يغرنك سر من سواه بدا * ولو أنار فكم نور بلا ثمر

(قوله أفراد) أى كبراء لا نظير لهم فمن مال اليهم استفاد وأفراد نجوم الدرارى (والعائج) المائل

(فكاهة) حديث مطرب (الاغاريد) أصوات الطير ويطلقون على ما كان فيه حنان ورقة منها اسم التغريد والغناء الا الحمام فانهم يسمون أصواتها غناء وتغريدا وبكاء ونياحا ويأخذونه من حال السامع لها وقرئ على أبي الحسن بن السراج قول سويد بن الاعلم

لقد تركت فؤادك مستجنا * مطوقة على فنن تغنى

يميل بها وتركبه بلحن * اذا ماعنّ للمحزون أنا

فقال انما تكون أصوات الحمام على ما في نفس المستمع فاذا سمعها من يطرب سماها غناء واذا سمعها من يحزن سماها بكاء وقال ابن قاضي ميلة مصدقا لما قاله ابن السراج

لقد عرض الحمام لنا بسجع * اذا أصغى له ركب تلاحى

شجا قلب الخلى فقال غنى * وبرح بالشجى فقال ناحا

(وسبقه المعرى بقوله)

بأرض للحمامة أن تغنى * بها ولمن تأسف أن تنوحا

وقد قدمنا في شرح الصدر فصلا للحمام وما أحسن قول البحترى

حييك عنا شمال طاف طائفها * في جنة نفحت روحا وريحانا

غنت سحيرا فناجي الغصن صاحبه * سرا بها وتداعى الطير اعلانا

ورق تغنى على غصن مهدلة * تسمو بها وتمس الارض أحيانا

تخال طائرها نشوان من طرب * والغصن من هزه عطفيه نشوانا

وهذه ديباجة أبي عبادة و (حلب العناقيد) الخمر (احتف) انتظم (طمرين) أي ثوبين خلقين (يناهز) يقارب (العمرين) ثمانين سنة وذلك ان الانسان من الشبيبة الى الاربعين في نماء وزيادة وقوة ومن الاربعين الى الثمانين في نقص فالبالغ الثمانين قد استوفى عمرى الزيادة والنقص وسئل ذو الرمة عن سنه فقال بلغت نصف عمر الهرم أربعين سنة وقيل العمر ستون سنة لقوله عليه الصلاة والسلام أعمار أمتي ما بين الستين الى السبعين ومن حديث أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من أتت عليه ستون سنة فقد أعذر الله اليه فالعمران على هذا مائة وعشرون سنة والحكماء يزعمون أنه منتهى ما يبلغ عمر ابن آدم والاظهر من سياق المقامة انه أراد الاول لان من قارب مائة وعشرين سنة لا يلتذ بخمر ولا بغيره وهو يزعم في المقامة انه يحاول شربها والغناء وغير ذلك (قوله أبان) بين (منطيق) فصيح (احتبى حبوتهم) أي جلس مثل جلوسهم (المنتدين) أهل المجلس (ازدراه) احتقره (أصغريه) قلبه ولسانه وقيل لهما الاصغران لصغر حجمهما من بين الاعضاء لفضلهما وشرفهما في الاعضاء قال على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه ولكني مدرب الاصغرين وجليهما القيام والكمال كأنه قال المرء يقوم أموره بلسانه وقلبه ويكمل المرء بهما قال الاصمعي رحمه الله تعالى كان ضمرة بن أبي ضمرة قصيرا وكان يقول المرء باصغريه بقلبه ولسانه (يتداعون) يدعو بعضهم بعضا الى ذكر الفصاحة والاشبه أن يكون من الادعية وهي الاحجية والاغلوطة كأنهم يتحاجون و (فصل الخطاب) كناية عن الفصاحة (يعتدون) يحسبون و (الاحطاب) جمع حطب ولا يقال للعود حطب حتى يجف ماؤه وييبس فأراد أنهم حسبوا أبازيد من جنس الحطب لانضارة فيه كأنه لاعلم عنده وقال الشاعر

اذا العود لم يثمر وان كان شعبة * من المثمرات اعتده الناس للحطب

(يفيص) يتكلم ويندفع في القول وفاص لسانه وأفاص أي أبان (يبين) يبين (سمة) علامة (سبر) قاس وجرب (قرائحهم) أذهانهم (خبر) جرب (شائلهم) ناقصهم (راجحهم) وافيهم والشائل من الدراهم الناقص الذي يشول به الميزان أي يرتفع والراجح ضده وقال في الدرة الشائل المرتفع وأنشد

في فكاهة أطرب من الاغاريد وأطيب من حلب العناقيد اذا احتف بشاذ وطمرين قد كاد يناهز العمرين غيبا بلسان طليق وأبان ابانة منطيق ثم احتبى حبوة المنتدين وقال اللهم اجعلنا من المهتدين فازدراه القوم لطمريه ونسوا ان المرء باصغريه وأخذوا يتداعون فصل الخطاب ويعتدون عوده من الاحطاب وهو لا يفيص بكلمة ولا يبين عن سمة الى أن سبر قرائحهم وخبر شائلهم وراجحهم

ياقوم من يعذر من عجرد * القائل المرء على الدانق
لما رأى ميزانه شائلا * وجاه بين الاذن والعاتق

(استنثل كنائنهم) استخرج ما عندهم والكنانة جعبة السهام (الفدام) خرقة تجعل على فم الابريق ليصفو الخمر بها (أخلاق) ثياب بالية (خلاق) نصيب وافر من الخير (ينابيع) مخارج الماء من العيون (النكت) المعانى الغامضة والنكتة نقطة فى شئ تخالف لونه فاذا كانت فى الكلام فهى عيونه (النخب) المختارة (بدائع) غرائب (ذوب الذهب) ماذاب منه ولو أنشدهم شعرا يوافق مجالسهم لم يكن الا أبيات الناشى

كانهم فى صدور الناس أفئدة * تحس ما أخطروا فيها وما اعتمدوا
يبدون للناس ما تخفى ضمائرهم * كانهم وجدوا منها الذى وجدوا
دلوا على باطن الدنيا بظاهرها * وعلم ما غاب عنهم بالذى شهدوا
مطالع الحق ما من شبهة غسقت * الا ومنهم لديها كوكب يقد

أو أبيات ابن شهيد حيث قال

وقتية كالنجوم حسنا * كلهم شاعر نبيل
متقد الجانبين ماض * كانه الصارم الصقيل
راموا انصرامى عن المعالى * والقرب من دونها كليل
فاشتد فى اثرها مسح * كل كثير به قليل
فى مجلس شأنه التصابى * تطيش فى وصفه العقول

(قوله خلب) أى خدع و(الخلب) الحجاب الذى بين سواد القلب وسواد البطن (تحلحل) تحرك وأصله للبعير اذا حركته للقيام تقول له حل حل (عاقت) منعت وحبست (مسرب) طريق مسيل الماء وسرب يسرب سروبا مضى على وجهه فى سفر بعيد وسرب الماء يسرب سربا ومسربا فهو سرب سال والمعنى منعته المشى (وسم قدحك) علامة سهمك والقدح السهم قبل أن يراش ويركب نصله (وارو يتنا من نضحك) أى اسقينا من بلك والنضح الرش الخفيف (قيضك ومحك) أى ظاهرك وباطنك لان القيض قشرة البيضة العليا وقلبها الاصفر هو المح بحاء غير منقوطة * الفنجديهى عن قيضك ومحك أى عن سبلك وبلدك (صمت) سكت (أغم) غلب وقطع عن الكلام (أعول) بكى (وشوب أبى زيد وروبه) أى تخليطه فى حيله والشوب الخلط تقول شبت الماء باللبن أى خلطتهما والروب اتخاذ الرائب والشوب اللبن الممزوج بالماء هنا والروب الخالص ويقال ما عنده شوب ولا روب أى لا مرق ولا لبن وقيل الشوب العسل والروب اللبن وفلان يشوب ويروب أى يخلط ويصفى وأصله يريب قلبت يروب طلبا للازدواج يضرب مثلا لمن يخلط فى القول والعمل والشوب والروب جميعا الخلط وراب الرجل روبا اختلط عقله ورأيه (أسلوبه) طريقه (المألوف) الملتزم (صوبه) قصده وجانبه وصوابه (سهومة محياه) تغير وجهه (سهوكة رياه) نتن رائحته من البخر وغيره (وقوله فاذا هو اياه) استعمل اياه وهو ضمير منصوب فى موضع الرفع وهو غير جائز عند سيبويه وجوزه الكسائى فى مسئلة مشهورة جرت بينهما قال الفنجديهى سألت شيخنا العلامة امام النحاة جمال العلماء أبا محمد عبد الوهاب بن برى بن عبد الجبار المقدسى عن شرحها فقال أيده الله سألت شرح الله صدرك وأعلى فى منازل الشرف قدرك عن المسئلة التى جرت بين سيبويه والكسائى وهى قوله كنت أظن ان العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو اياها وسألت عن وجه النصب فى اياها عند من أجاز ذلك واعلم ان مذهب النحويين البصريين فى مثل هذه المسئلة أن يكون ما بعد اذا مرفوعا بالابتداء والخبر فيقال فاذا هو هى على حد ما فى الكتاب العزيز فاذا هى بيضاء للناظرين

نحين استخرج دفائنهم واستنثل كنائنهم قال ياقوم لو علمتم أن وراء الفدام صفو المدام لما احتقرتم ذا أخلاق وقلتم ماله من خلاق ثم نحير من ينابيع الادب والنكت النخب ما جلب به بدائع العجب واستوجب أن يكتب بذوب الذهب فلما خلب كل خلب وقلب اليه كل قلب تحلحل ليرحل وتاهب ليذهب فعلقت الجماعة بذيله وعاقت مسرب سيله وقالت له قد أرويتنا وسم قدحك وأرويتنا من نضحك نخبرنا عن قيضك ومحك فصمت صموت من أغم ثم أعول حتى رحم (قال الراوى) فلما رأيت شوب أبى زيد وروبه وأسلوبه المالوف وصوبه تأملت الشيخ على سهومة محياه وسهوكة رياه فاذا هو اياه فكتمت سره كما يكتم

الداء الدخيل وسترت مكره
وان لم يكن بحيل حتى اذا
نزع عن اعواله وقد عرف
عشورى على حاله رمقنى
بعين مضحك ثم طفق ينشد
بلسان متباك
أستغفر الله وأعنو له
من فرطات أثقلت ظهر يه
ياقوم كم من عاتق عانس
ممدوحة الاوصاف فى الانديه
قتلتها الا أتقى وار ثا
يطلب منى قودا أوديه
وكلما استذنبت فى قتلها
أحلت بالذنب على الاقضيه

وقوله فاذا هى ثعبان مبين فاذا هنا ظرف مكان وليست كالزمانيـة وسأفرق بينهما وتقديرها فى نحو خرجت فاذا زيد قائم خرجت فبالحضرة زيد قائم والعامل فى اذا قائم وان شئت نصبت قائما على الحال وجعلت الخبر فى اذا كما تقول خرجت فاذا زيد القائم والقائم فالقائم بالرفع على الخبر والنصب على الحال ومذهب الكوفيين فى الحال أن تكون نكرة ومعرفة ومن هنا منع سيبويه من اياها فى المسئلة لان المضمر لا يقع حالا لتعريفه وعدم الاشتقاق فيـه والحال تكون نكرة مشتقة والكوفيون يجيزون النصب على معنى خرجت فاذا زيد قائما والاقرب عنـدى أن يريدوا فاذا هو موجود اياها فحذف الخبر وهو موجود لدلالة الكلام عليه ومثل هـذا عندهم لئن ضربته ليضربنه السيد الشريف فينصبون السيد باضمار فاذا حملته على هذا التخرج * وحكى عن أبى زيد انه سمع هـذه المسئلة من العرب بنصب اياها وان صح انه سمعها فهذا اوجه ويجوز فى قياس قولهم أن يكون على اسقاط الكاف وهم يروون فى الخبر ذكاة الجنين ذكاة أمه بنصب ذكاة يقدرون كذكاة أمه فتقـديرها فاذا هو كها أى فاذا الزنبور كالعقرب وهم يجيزون ادخال الكاف على الضمير وسيبويه يمنعه الا فى الشعر كقول العجاج * وأم أوعال كها أو أقربا * وقال رؤبة

فلا أرى بعلا ولا حلائلا * كهو ولا كهن الا حاظلا

وأجاز بعض النحويين أن يكون اياها كناية عن الجملة المقدرة فاذا هو اسمه كاسمها فكنى عن الجملة بقوله اياها وينصب على الحال لانها كناية عن الجملة وهى نكرة فتصير فى حكم النكرة كما صارت الهاء فى ربه رجلا نكرة فى المعنى لكونها كناية عن نكرة ولذا دخلت رب عليها وهى لا تدخل الا على نكرة فهذا ما يقتضيه وجه النصب فى اياها على ما ذكره الكوفيون والفرق بين اذا الزمانية والمكانيـة من أوجه أحـدها ان الزمانية تقتضى الجملة الفعليـة لما فيها من معنى الشرط والمكانية تقع بعدها الجملة الابتدائيـة أو المبتدأ وحـده والثانى ان الزمانيـة تقتضى جوابا والمكانية لا تقتضيه والثالث ان الزمانية مضافة الى الجملة التى بعدها والمكانيـة ليست مضافة الى ما بعدها بدليل خرجت فاذا زيد فزيد مبتدأ واذا خبره والرابع ان الزمانيـة تكون فى صدر الكلام نحو اذا جاء زيد فأكرمه والمكانية لا يبتـدأ بها الا أن تكون جوابا للشرط كالفاء فى قوله وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون والخامس ان الزمانيـة تقتضى الاستقبال والمكانية تقتضى معنى الحضور لانها للمفاجأة والمفاجأة للحاضر دون المستقبل انقضى الكلام عليها على جهة الاختصار (وقوله الداء الدخيل) هو الذى لا يتكلم به استقباحا له أولحله (يحيل) يشتبه ويشكل وخال يخيل اشتبه (نزع) كف (اعواله) بكائه (عشورى) اطلاعى (رمقنى) نظر الى (بعين مضحك) أى كثير الضحك (متباك) مستعمل للبكاء بتكلف (أعنو) أذل (فرطات) سقطات وزلات (عاتق) شابة قد أدركت ولم يبن بها زوجها بل هى بكر ويريد بها الخمر التى لم يفض أحد خاتمها و(عانس) طالت اقامتها فى بيت أبيها (الانديه) المجالس (القود) قتل النفس بالنفس (استذنبت) نسبت الى الذنب (الاقضية) جمع قضاء أى كلما قيل لى فعلت هذا الذنب قلت انما هو قضاء الله وقدره وأخذ هذا المعنى من قول الحسن بن الضحاك

واترك العذل على من قاله * وانسب جورى الى حكم القضا

ولهذا البيت حكاية أدبيـة قال الحسن كانت لى نوبة فى دار الواثق فبينا أنا نائم ذات ليلة اذ جاءنى خادم من خدام الحرم فقال لى ان أمير المؤمنين يدعوك فقلت له وما الخبر قال انه كان نائما الى جنب حظيته فقام وهو يظنها نائمة فـلم بجارية أخرى وعاد الى فراشـه فغضبت حظيته وتركته حتى نام فقامت ودخلت حجرتها فانتبه وهو يظنها عنـده فطلبها فلم يجدها فقال من اختلس كرى ويحكم أين هى فأخبره انها قامت غضبى ومضت الى حجرتها فدعا بك قال فمضيت مع الرسول

ورويت أبياتا في طريقي فلما جئته خبرني القصة وقال لي قل في هذا شيئا ففكرت هنيهة كأني أقول شعرا ثم أنشدته الابيات

غضبت أن زرت أخرى غضبة * فلها العتبى علينا والرضا
يا فدتك النفس كانت هفوة * فاغفريها واصفحي عما مضى
واتركي العذل على من قاله * وانسبي جوري الى حكم القضا
فلقد نبهتني من رقدتي * وعلى قلبي كنيران الغضى

فقال أحسنت بحياتي أعدها علي يا حسن فأعدتها عليه حتى حفظها وأمر لي بخمسمائة درهم فقام ومضى الى الجارية فأنشدها الابيات فتراضيا فكان بعد اذا رآني تبسم لوقع الابيات رنجحها عند الجارية والاحالة على القضاء بالذنب هو مذهب الجبرية فمن فعل منهم ذنبا قال لا ذنب لي انما قدر علي ومذهب القدرية خلافه قال الشاعر في رده

اذا أذنبوا قالوا مقادير قدرت * وما العار الا ما تجر المقادر

ولم تزل نفسي في غيها
وقتلها الابكار مستشريه
حتى نهاني الشيب لما بدا
في مفرقي عن تلكم المعصية

(وقوله غيها) أي فسادها (مستشرية) لاجية مصممة واستشرى الشئ انتشر واستشرى في أمره لج فيه * والقتل الذي ذكره للبنات هو الوأد الذي كانت تفعله الجاهلية قال الله سبحانه وتعالى واذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت والموؤدة التي تدفن حية فتشغل بالتراب والوأد القتل وورد قيس بن عاصم المنقري على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له بعض الانصار عن وأده البنات فقال قيس ماولدت لي بنت الا وأدتها وما رحمت منهن الا واحدة ولدتها أمها وأنا في سفر فدفعتها الى اخوالها وقدمت فسألت عن الحمل فاخبرت انها ولدت ميتا ومضت سنون حتى ترعرعت فزارت أمها ذات يوم فدخلت فرأيتها قد ضفرت شعرها وجعلت في قرونها شيأ من الخلوق ونظمت عليها ودعا وألبستها قلادة وجعلت في عنقها مخنقة فقلت من هذه الصبية فقد أعجبني حسنها فبكت ثم قالت هذه ابنتك كنت خبرتك اني ولدت ميتا وهذه التي ولدت فجعلتها عند خالها وبلغت هذا المبلغ فأمسكت عنها حتى اشتغلت أمها ثم أخرجتها يوما فحفرت حفرة فجعلتها فيها وهي تقول يا أبت أتغطيني بالتراب حتى واريتها وانقطع صوتها فما رحمت واحدة منهن ممن وأدت غيرها فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان من لا يرحم لا يرحم * وذكران قيسا وأد بيده بضع عشرة ابنة وكان السبب في وأد البنات أن المستمرج اليشكري اغار على قوم قيس فسبى نساء فيهن ابنته وابنة أخيه فدخل قيس اليهم فسألهم ان يهبوهما له فوجد المستمرج قد اصطفاهما لنفسه فسأله اياهما فقال قد جعلت أمرهما اليهما فان اختارتاك فخذهما فاختارتا المستمرج فانصرف فوأد كل ابنة له خوفا من الفضيحة فاقتدت به العرب في ذلك * قال الهيثم ان الوأد كان مستعملا في قبائل العرب قاطبة وكان يستعمله واحد ويتركه عشرة فجاء الاسلام وقد قل الا في تميم وقيل كان الوأد في تميم وقيس وبكر وهوازن وأسد لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاجدبوا سبع سنين حتى أكلوا الوبر بالدم ولهذا جاء تحريم الدم وهذا خبر بين أن الوأد كان للحاجة لا للانفة وبه نزل القرآن قال الله تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق وقال ولا يقتلن أولادهن ومن ذكر انه كان انفة وانه كان في تميم ومن جاورهم فيحتج بحديث أبي عبيدة أن تميما منعت النعمان الاتاوة فوجه اليهم أخاه الريان وجل من معه من بكر بن وائل فاستاق النعم وسبى الذراري وفي ذلك يقول المستمرج اليشكري

لما رأوا راية النعمان مقبلة * قالوا ألا ليت ادنى دارنا عدن
ياليت أم تميم لم تكن عرفت * مرا وكانت كمن أودى به الزمن

وقال النعمان في جوابه

لله

لله بكر غداة الروع لو بهم * يرمى ذرا حصن زالت بهم حصن
اذلا أرى أحدا في الناس يشبههم * الا فوارس حامت عنهم اليمن

فوفدت اليه تميم فأناب اليهم وأحب البقيا وقال

ما كان ضر تميما لو تعهدها * من فضلها ما عليه قيس عيلان

فسألوه النساء فقال كل امرأة اختارت أباها ردت اليه وان اختارت صاحبها تركت عنده فكلهن اخترن آباءهن الا ابنة قيس بن عاصم اختارت صاحبها عمرو بن المستمرج فنذر قيس لا تولد له ابنة الا قتلها فهذا شئ يعتل به من وأد البنات ويقول فعلناه أنفة وقد كذب بما أنزل الله تعالى في القرآن المجيد وأين فعل قيس في الوأد وقساوة قلبه من فعل صعصعة بن ناجية بن عقال جد الفرزدق فانه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى كنت أعمل عملا في الجاهلية لنفسى أينفعني ذلك اليوم قال وما عملك قال أضللت ناقتين عشراوين فركبت جملا ومضيت في بغائهما فرفع لى بيت فقصدته فاذا شيخ جالس بفناء الدار فسألته عنهما فقال هما عندى وقد أحيا الله تعالى بهما قوما من أهلك مضر فجلست عنده لتخرجا الى فاذا عجوز قد خرجت من كسر البيت فقال لها ما وضعت فان كان ذكرا شاركناه في أموالنا وان كان أنثى وأدناها فقالت وضعت أنثى فقلت اتبيعنيها فقال وهل تبيع العرب أولادها فقلت انما اشترى حياتها لا رقها فقال بكم فقلت احتكم قال بالناقتين والجمل قلت ذلك لك على أن يبلغنى واياها الجمل ففعل فآمنت بك يارسول الله وقد صارت لى سنة في العرب أشترى كل موؤدة بناقتين وجمل فعندى الى هذه الغاية ثمانون ومائة موؤدة قد أنقذتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفعك ذلك لانك لم تبغ وجه الله وان تعمل في اسلامك عملا صالحا تثب عليه وقال الفرزدق يفتخر بفعل جده على جرير

ألم تر أنا بنو دارم * زرارة منا أبو معبد
ومنا الذى منع الوائدات * وأحيا الوئيد فلم يوأد
أيطلب مجد بنى دارم * عطية كالجعل الاسود
قريب محل قفا مفرق * لئيم مآثره قعدد
ومجد بنى دارم دونه * مكان السماكين والفرقد

وعطية هو أبو جرير ويأتى في الاربعين وجاء في الحديث الترغيب في اكرام البنات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابتلى بشئ من هذه البنات فأحسن اليهن كن له سترا من النار وفي طريق آخر من كان له ثلاث بنات أو ثلاث اخوات أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة ولبعضهم تهنئة بمولودة اتصل بى خبر المولودة كرم الله غرتها وانبتها نباتا حسنا وقد علمت انهن أقرب الى القلوب وان الله عز وجل قد بدأ بهن في الترتيب فقال سبحانه يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وما سماه الله تعالى هبة فهو بالشكر أولى وبحسن التقبل أحرى وقال بعض الشعراء

أحب البنات وحب البنا * ت فرض على كل نفس كريمه
فان شعيبا من اجل ابنتيـ * ـه أخدمه الله موسى كليمه

وفي الحديث دفن البنات من المكرمات عزى رجل يحيى بن خالد في حرمة له فقال أيها الوزير دفن الحرم من النعم ثم قال

تعز اذا رزئت بخير درع * يسربل للمصائب درع صبر
فلم أر نعمة شملت كريما * كعورة مسلم سترت بقبر

﴿وقال عمر بن أبى علقمة المرى﴾

انى وان سيق الى المهر * ألف وعبدان وذود عشر * أحب أصهارى الى القبر

﴿وقال أبو اسحق بن خلف﴾

لولا أميمة لم أجزع من العدم * ولم أجب في الليالي حندس الظلم

تهوى حياتي وأهوى موتها شفقا * والموت أكرم نزال على الحرم

﴿وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر﴾

لكل أبي بنت براعي شؤنها * ثلاثة أصهار اذا ذكر الصهر

فبيت يغطيها وبعل يصونها * وقبر يواريها وخيرهم القبر

وقال آخر   لا تيأسن منها فقد زوجتها * كفؤا وضمنت الصداق مليكا

(قوله فودى) أي ناحية رأسي (مصبية) لها صبوة أو يصبو اليها من رآها وجعل الحر مصبية لانها تغلب شرابها فتصيرهم سكارى عقولهم عقول الصبيان فهي تلعب بهم كما تلعب الام بصبيانها (حرفتي) صنعتي (المكديه) الصعبة وأكدى الحافر بلغ كدية فرفع عن الحفر آيسا من الماء ثم استعير لغير ذلك (أرب) أصلح (تعنيسها) اقامتها لغير زوج قال عمر رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب في التوراة من بلغت ابنته اثنتى عشرة سنة فلم يزوجها فأصابت اثما فاثم ذلك عليه وقال عليه الصلاة والسلام من بلغ له ولد النكاح وعنده ما ينكحه به فلم ينكحه فأصاب اثما فالاثم بينهما ويعني بها خمر اقد يمة تحجبها عن الاهوية لئلا يفسدها الهواء (قوله مخطوبة) مطلوبة (الغانية) البارعة الجمال التي غنيت بحسنها عن الزينة قال الرستمي أصلها في ذات الزوج التي استغنت بزوجها ثم قيل في غير ذات الزوج قال عمارة هي الشابة التي تعجب الرجال ويعجبونها (المغنية) التي نشأت في الغنى وأعني بمعنى استغنى والمغنية أيضا التي تغني زوجها عن غيرها لكمال خصالها (توكا) تشد وتربط والوكاء الخيط يشد به فم الوعاء * وراود عبد في الجاهلية ابنة سيده عن نفسها فأمكنته حتى بلغ اربه منها ثم عمدت اليه فجبته فقال لها أبوها في ذلك فقالت من ورد غير مائه صدر بمثل حاله ان العبد لمن لوكه فذا بتذل اناء ابويكه فقال أبوها يا بنية لا شلاء ولا عمى و (ميه) محذوفة اللام ولا يدرى أواو لامها أم ياء قاله صاحب العين وقال ابن الاعرابي مأيت القوم وأمأيتهم صار واي مائة ففي مأيت دليل قاطع على ان اللام ياء وقال الفراء رحمه الله تعالى وكراع أصلها مئية وأنشد   فقلت والركب قد تحطيه منيته * أدنى عطيات آبائي مئيات

(قوله قفر) غير عامرة (مححيه) زال سحابها ضربه مثلا للخلو من المال فلا في أرضه خصب فتعمر من أجله ولا في سمائه سحاب فيرجى خيرها وقد تقدم لغيمي مطر (القينة الملهية) الجارية المغنية وهي في كلام العرب الامة مغنية كانت أو غير مغنية قال زهير * رد القيان جمال القوم فاحتملوا * واشتقاقها من قنت الشئ اقينه قينا اذا لممته قال الشاعر

ولي كبد مجروحة قد بدا بها * صدوع الهوى لو أن قينا يقينها

ولهذا سمي الصواغ والحداد قينا والماشطة قينة (قوله فيغسل الهم بصابونه) يعني فيننفي همي بالخمر لانها تنفي الهم والحزن والغم كما يغسل الصابون وسخ الثوب (المضنيه) الممرضة (يقفي) يكتسب (تضوع رياه) تتحرك رائحته يريد انه يكتسب منه السامع الدعاء فيثني عليه ثناء حسنا في الدنيا ويدعوله بالآخرة ويقال ضاع المسك يضوع أي انتشرت رائحته وقال الشاعر

وما هو الا المسك عند ذوي الحجا * يضوع وعند الجاهلين يضيع

(نديت) كرمت (انباع) سال (عرفه) معروفه (نجعت) انقضت وتمت (بغيته) طلبته (طفق) أخذ وجعل (سارح) ذاهب يريد انه شمر للسير وأضاف ساقا لسارح وهو يريد عن ساق رجل سارح أي ذاهب (ربيبة خدره) أي التي رباها في بيته وربيبة الرجل بنت امرأته من غيره قيل لها ذلك لانه يربها فهي فعيلة بمعنى مفعولة فأصلها مربوبة ويقال رب فلان فلانا ورباه وربه وتربه بمعنى واحد

فلم أرق مذ شاب فودي دما
من عاتق يوما ولا مصبيه
وها أنا الآن على ما يرى
مني ومن حرفتي المكديه
أرب بكرا طال تعنيسها
وحجبها حتى عن الاهويه
وهي على التعنيس مخطوبة
تخطبة الغانية المغنيه
وليس يكفيني تجهيزها
على الرضا بالدون الاميه
واليد لا توكا على درهم
والارض قفر والسما مححيه
فهل معين لي على نقلها
محفوفة بالقينة الملهية
فيغسل الهم بصابونه
والقلب من أفكاره المضنيه
ويقفي مني الثناء الذي
تضوع رياه مع الادعيه
(قال الراوي) فلم يبق في
الجماعة الامن نديت له
كفه وانباع اليه عرفه
فلما نجعت بغيته وكملت
منته أخذ يثني عليهم بصالح
ويشمر عن ساق سارح
فتبعته لاستعرف ربيبة
خدره

(حدثان) أول (وشك) سرعة (مرامى) مرادى ومطلبى (ازدلف) قرب ويقال قتلت الخمر اذا مزجتها وقد فسره بقوله مزج المدام قال الاخطل

فقلت اقتلوها عنكم بمزاجها * وأحبب بها مقتولة حين تقتل

وكان الاخطل خليعا فأثنى هنا على الممزوجة وقال فى التى لم تمزج

وكأس مثل عين الديك صرف * تنسى الشاربين لها العقولا
اذا شرب الفتى منها ثلاثا * بغير الماء حاول أن يطولا
مشى قرشية لاشك فيها * وأرخى من مآزره الفضولا

وأصبح عبد الملك يوما فى غداة باردة فأنشد هذه الابيات ثم قال كأن الاخطل الآن فى حانوت خمار محلل الازار مستقبل الشمس ثم بعث من يطلبه بدمشق فوجده كما وصف وقال له يوما ألا تسلم فنفرض لك فى الفىء ونعطيك عشرة آلاف درهم قال فكيف بالخمر فقال له عبد الملك وما تصنع بها وان أولها مر وآخرها سكر قال الاخطل وفيما بين هاتين منزلة ما يسرنى ملكك بها وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه وقد أعطى كأس خمر ممزوجة

ان التى ناولتنى فرددتها * قتلت قتلت فهاتها لم تقتل
كلتاهما حلب العصير فعاطنى * بزجاجة أرخاهما للمفصل

فدعا بالقتل على الذى أعطاها له ممزوجة وذكر الحريرى فى الدرة البيتين وقال فى قوله أرخاهما القياس أشدهما ارخاء للمفصل لأن أصل هذا الفعل ارخى فبناؤه ليس مقيسا كما قالوا ما أحوجه الى كذا فبنوه من حوج وان كان قياسه ما أشد حاجته * ولهذين البيتين حكاية يحسن أن نعقبهما بروايتها ونضوع نشرهما بنشر ملحها وهى ما رواه أبو بكر محمد بن القاسم الانبارى عن أبيه قال حدثنا الحسن بن عبد الرحمن الربعى قال حدثنا أحمد بن عبد الملك بن السماك السعدى قال حدثنا أحمد بن ظبيان الحائز قال اجتمع قوم على شراب لهم فغناهم مغنيهم بشعر حسان ان التى البيتين فقال بعضهم امرأتى طالق ان لم أسأل الليلة عبيد الله بن الحسن القاضى عن علة هذا الشعر لم قال ان التى فوحد ثم قال كلتاهما فثنى فاشفقوا على صاحبهم وتركوا ما كانوا عليه ومضوا يتخطون القبائل حتى انتهوا الى بنى شقرة وعبيد الله بن الحسن يصلى فلما فرغ من صلاته قالوا قد جئناك فى أمر دعتنا اليه ضرورة وشرحوا له خبرهم وسألوا الجواب فقال * ان التى ناولتنى فرددتها * عنى بها الممزوجة بالماء ثم قال من بعد كلتاهما حلب العصير يريد الخمر المحتلبة من العنب والماء المحتلب من السحاب المكنى عنها بالمعصرات فى قوله تعالى وأنزلنا من المعصرات قال الشيخ الامام الاجل الاوحد العالم أبو محمد أدام الله سعادته فهذا ما فسره به عبيد الله بن الحسن وقد بقى فى الشعر ما يحتاج الى كشف سره وتبيان نكتة أما قوله * ان التى ناولتنى فرددتها * قتلت قتلت فانه خاطب به الساقى الذى كان ناوله كأسا ممزوجة لانه يقال قتلت الخمر اذا مزجتها فكأنه أراد ان يعلمه أنه قد فطن لما قد فعله ثم ما اقتنع منه بذلك حتى دعا عليه بالقتل فى مقابلة المزج وقد أحسن كل الاحسان فى تجنيس اللفظ ثم انه عقب الدعاء عليه بان استعطى منه مالم تقتل يعنى الصرف التى لم تمزج وقوله أرخاهما للمفصل يعنى اللسان وسمى مفصلا بكسر الميم لانه به يفصل بين الحق والباطل وليس فيما اعتمده عبيد الله بن الحسن من الاسماح وخفض الجناح ما يقدح فى نزاهته أو يغض من نبله وبراعته ويضارع هذه الحكاية فى وطأة القضاة المتقشفين للمستفتين وتلاينهم فى مواطن اللين ما يحكى أن حامد بن العباس سأل على بن عيسى فى ديوان الوزارة عن دواء الخمار وعن دوائه فأعرض عن كلامه وقال ما أنا وهذه المسئلة فخجل حامد منه ثم التفت الى قاضى القضاة أبى عمر فسأله عن ذلك فتنحنح القاضى لاصلاح صوته ثم قال قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما

ومن قتل فى حدثان أمره فكان وشك قبامى مثل له مرامى فازدلف منى وقال اقفه عنى قتل مثلى يا صاح مزج المدام

نها كم عنه فانتهوا وقال النبي عليه الصلاة والسلام استعينوا على الصناعات بأهلها والاعشى هو المشهور في الجاهلية بهذه الصناعة وقد قال

وكاس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها
لكي يعلم الناس أني امرؤ * أتيت المروأة من بابها

ثم تلاه أبو نواس في الاسلام فقال

دع عنك لومي فان اللوم اغراء * وداوني بالتي كانت هي الداء

فأسفر حينئذ وجه حامد وقال لعلي بن عيسى ماضرك يابارد أن تجيب ببعض ما أجاب به قاضي القضاة وقد استظهر في جواب المسئلة بقوله سبحانه أولا ثم بقول الرسول عليه الصلاة والسلام ثانيا وبين الفتيا وأدى المعنى وتفصى من العهدة فكان خجل علي بن عيسى من حامد بهذا الكلام أكثر من خجل حامد منه لما ابتدأه بالمسئلة وتبع حسان مسلم بن الوليد فقال وأحسن

اذا شئتما أن تسقياني مدامة * فلا تقتلاها كل ميت محرم
خلطنا دما من كرمة بدمائنا * فأظهر في الالوان منا الدم الدم

﴿وقال أبو نواس في الصرف﴾

وكميت أرقها وهج الشمـ * ـس وصيف يفني بها وشتاء
لم يشنها الطاهي بطبخ ولا غيرها عن طبيعة الكرم ماء

وقال فيه أيضا

توارث عن الابصار من عهد آدم * حذارا لكون الماء يوما قرينها
فصنها عن الماء القراح وأسقني * فانك ان لم تسقني مت دونها

على أنه القائل

ألا دارها بالماء حتى تلينها * فلن تكرم الصهباء حتى تهينها

وقال أبو نواس لاخوانه في مرض موته اياكم والخمر صرفا فانها أحرقت كبدي وقال ابن رشيق

قدر المدامة فوق قدر الماء * فارغب بكاسك عن سوى الاكفاء
مالي ومزج الراح الا في فمي * بالريق من فم غادة حسناء
ذاك المزاج وان تعدداني الذي * في المزن من ذي رقة وصفاء
أشهى وأبلغ في الفؤاد مسرة * من غيره وأدب في الاعضاء
لي الصرف ان مزج النديم ولم أكن * مستأثرا فيها عن الندماء

وقال أيضا

قلت لمن ناولني حرة * مابي حب الغيد بل حبها
لا تسقني للراح ممزوجة * واشرب فما يمكنني شربها
ماراحتي في الراح ان غيرت * دعني كما جاء بها ربها

ونصل بهذا النمط ماقيل في نبيذ الزبيب قال أبو الاسود الدؤلي

دع الخمر يشربها الغواة فانني * رأيت أخاها مغنيا بمكانها
فان لا يكنها أو تكنه فانه * أخوها غذته أمه بلبانها

يقول ان لا يكن الزبيب الخمر أو الخمر الزبيب فانهما أخوان غذيا بلبن واحد وهي الحبة التي هي أم العنب والزبيب فاحدهما ينوب مناب الآخر وأنشد الحامضي

تركت الحيا لست أختار شربها * وماحاجتي في أن أمر الاعاديا
ولكن أخرى من نبيذ معتق * عنيت ان أكثرت منه الامانيا
أخو الخمر من عنقودها غير أنهم * اذا قطعوه جففوه لياليا

قال المأمون نقلت هذا المعنى بأبيات ملوكية لا تحضر السوقة بمثلها

صل الندمان يوم المهرجان * بكاس من معتقة الدنان
بكاس خسروانى عتيق * فان العبد عبد خسروانى
وجنبنى الزبيبين طرا * كشأن ذوى الزبيب خلاف شانى
فأشربها وأزعمها حراما * وأرجو عفو رب ذى امتنان
ويشربها ويزعمها حلالا * وتلك على الشقى خسارتان

سأل رجل شريحا القاضى هل النبيذ حلال أم حرام فقال حلال فقال قليله خير أم كثيره قال قليله قال الرجل ما رأيت حلالا وقليله خير من كثيره الا هذا * وقال قتيبة بن مسلم لقاضى مرو بلغنى انك شربت النبيذ قال نعم أصلحك الله أشرب منه ما يسلى العقل ويطيب النفس ويغنى عن الماء ويهضم الطعام قال فما أبقيت قال أبقيت أخبثه وأرداه الاتكاء على الشمال ومنادمة الرجال والاختلاف الى المبال * وترك رجل النبيذ فقيل له لم تركته وهو رسول السرور الى القلب فقال ولكنه بئس الرسول يبعث الى الجوف فيذهب الى الرأس (قوله لهذم) هو سنان الرمح (بنت الكرم) الخمر (تجهيزها) حملها (والطاس) اناء الخمر كالابريق يصب منه الشراب فى الكاس وجمعه طاسات قال الناشى

وكانما الطاسات مما حولها * من نورها يسبحن فى ضحضاح
لو بث فى غسق الظلام ضياؤها * طلع المساء بغرة الاصباح

وقدم فى المقامة انه لا يجهزها الا مصحوبة بالقينة أى لا يشربها الا بالغناء وقد ذموا الغناء ومدحوه فأما ذمه فقال الكندى الغناء برسام حاد لان المرء يسمع فيطرب فيسمح فيفتقر فيغتم فيمرض فيموت وقال يزيد بن الوليد اياكم والغناء فانه يسقط المروأة وينقص الحياء ويبدى العورة ويزيد فى الشهوة وانه لينوب عن الخمر ويصنع بالعقل ما يصنع به السكر وان كان ولا بد فجنبوه النساء فان الغناء داعية الزنا وأما مدحه فقال ربيعة بن عبد الرحمن السماع مطربة وهى من نتيجة العقل فمن كره السماع دل بذلك على قلة عقله وقال بعض الفلاسفة جعلت اللذات خمسا فى خمس فجعل اللمس لليدين والشم للمنخرين والسمع للاذنين والذوق للسان واللون للعينين وعلى كل جارحة تعب من اللذات الا النغمة فانه لا تعب على الاذنين فيها ولذلك صار الناس كلهم عربيهم وعجميهم صغيرهم وكبيرهم مشتركين فى الاصاخة الى النغمة الحسنة والصوت المستمتع متباينين فى غير ذلك وقد يوجد أكثرها فى أكثر الحيوان كالخيل يصفر لها عند الشرب فتشرب والابل يحدى لها فتنقاد قال الشاعر

فليس الشرب الا بالملاهى * وبالحركات فى بم وزير
فلا تشرب بلا طرب فانى * رأيت الخيل تشرب بالصفير

وقال آخر

فانظر الى الابل التى * هى ويك أغلظ منك طبعا
تصغى الى صوت الحدا * فتقطع الفلوات قطعا

(قوله التغاضى) أى التغافل (عربيد) سيئ الاخلاق عند سكره وهو الذى يؤذى بيده ولسانه أصحابه (رعديد) جبان فزاع (بون) فضل ومزية (من ذى علق) أى من صاحب محبة هو مثل يضرب لمن ينظر بود ومحبة ابن ظريف العلاق الحب وعلق فلان فلانة أى أحبها والله الموفق

﴿شرح المقامة السادسة والثلاثين وهى الملطية﴾

(المخت المطية) صيرتها باركة بالارض (ملطية) بلد بالجزيرة ذات انظار وقرى بينها وبين الرقة خمسون فرسخا والرقة أم قرى الجزيرة وذكرها المسعودى فى شعره فقال

ليس قتلى بلهذم أو حسام
والتى عنست هى البكر بنت الـ
كرم لا البكر من بنات الكرام
ولتجهيزها الى الكاس والطا
س قيامى الذى ترى ومقامى
فتفهم ما قلته وتحكم
فى التغاضى ان شئت أو فى الملام
ثم قال أنا عربيد وأنت
رعديد وبيننا بون بعيد
ثم ودعنى وانطلق وزودنى
نظرة من ذى علق

﴿المقامة السادسة والثلاثون الملطية﴾

(أخبر الحرث بن همام) قال أنخت بملطية مطية

ولم يجلبوها من ورا ملطية * تصدع أجبال بها را كام

وقيل ملطيــة في ثغر الشأم قال اليعقوبي ملطيــة هي المدينة العظمى وكانت قديمة فأخربها الروم فبناها المنصور سنــة تسع وثلاثين ومائة وجعل عليها سورا واحدا ونقل اليها عدة قبائل من العرب قال وهي في مستــو من الارض يحيط بها جبال الروم وماؤها من عيون وأودية من الفرات وخففها المتنبي ضرورة فقال

وكرت فدرت في ذرا ملطية * وملطية أم البنين ثكول

(قوله مطيــة البين) يريد ناقة السفر أي أقام بها وترك السفر (الحقيبة) وعاء الرجل و (العــين) الذهب (هجــيراى) عادتي (وألقى بها عصاه) أي أقام بها وترك الســفر (أتورد) أطلب وأدخــل وتوردت الابل الماء دخلته قطعة قطعــة و (المرح) النشاط (شوارد) نوافر وأراد انه اتبع نفسه جميع اللذات بملطية وشاهدها (مرتع) موضع خصيب كثير الطعام (مأرب) حاجة (الثواء) الاقامة (عمدت) قصدت (ابتياع الاهب) اشتراء العدد للسفر (الظعن) الارتحال (الرهط) الجماعة من ثلاثة الى عشرة (سبؤا قهوة) اشتروا خمرة (ارتبؤا ربوة) طلعوا كدية وقال الحسن

وفتيان صدق قد صرفت مطيهم * الى بيت خمار نزلنا به ظهــرا

أتيناه ودنا نجــمل ظاهــرا * ويضمر في المكنون من سره الشرا

فجاء بها غانيــة ذهبيــــة * فلم نستطع دون السجود لها صبرا

خرجنا على أن المقام ثــلاثة * فطابت لنا حتى أقمنا بها شهرا

﴿وقال في شراء الخمر بثيابه﴾

نجوت من اللص المغير بسيفه * اذا ما رماه بالتجار سبيل

وأصات خمار على بجمــرة * فراح بأثوابي ورحت أميل

﴿وقال الامير تميم بن المعز﴾

شربنا على نوح المطوقة الورق * وأردية الروض الملففة البلق

معتقة أفنى الزمان وجــودها * فجاءت كفوت اللحظ أورقة العشق

كأن السحاب الغر أصبحن أكؤسا * لنا وكأن الراح فيها سنى البرق

فبتنا نحث الكأس حتى وانثنا * لنشربها بالحث صرفا ونستــسقى

الى ان رأيت النجم وهو مغرب * واقبال رايات الصباح من الشرق

كأن سواد الليــل والفجر طالع * بقية لطخ الكحل في الاعين الزرق

وأحسن في هذا المعنى ما شاء الا انه جعــل شربه في الروض على نوح الحمام ولو عوض من لفظ النوح لفظ الغناء أو التغريد لكان أتم للذته كما قال ابن الرومي

وأذكى نسيم الروض ريعان ظله * وغنى مغنى الطير فيه فرجعا

وكانت أهازيج الذباب هنا كم * على شدوات الطير صوتا موقعا

وقال آخر

وكأس كريق الالف شعشعها به * وعيشي من هذا الشراب المشعشع

اذا ما شربنا كأسها صب فضلها * على روضنا المســمــع المتخلــع

المسمع المغني يعني به الذباب الذي ذكره عنترة في قوله

فترى الذباب به يغني وحده * هزجا كفعل الشارب المترنم

وانما ذكر الحريري الربوة لان النبات فيها أحسن وأسلم من نبات الانخفاض لان نبات الانخفاض وخم قال الله تعالى كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين وقال المتنبي

* نحن نبت الربا وأنت الغمام * (قوله دماثتهم قيــد الالحاظ) أي سهولة أخــلاقهم تقيــد عيون

البين وحقيبتي ملأى من العــين فجعلت هجــيراى مذ ألقيت بها عصاي أن أتورد موارد المرح وأتصيد شوارد الملح فلم يفتني بها منظر ولا مسمع ولا خــلا مني ملعب ولا مرتع حتى اذا لم يبــق لي فيها مأرب ولا في الثــواء بها مرغب عمدت لانفاق الذهب في ابتياع الاهب فلما أكملت الاعداد وتهيأ الظعن عنها أو كاد رأيت تســعة رهط قد سبؤا قهوة وارتبؤا ربوة ودماثتهــم قيد الالحاظ

الناظرين اليهم حتى لا ينظروا الى غيرهم قال ابن المعتز

منظره قيد عيون الورى * فليس خلق يتلقاه

(نحوتهم) قصدتهم (شغفا) حبا (انتظمت) سرت معهم فى نظام واحد والنظام الجوهر (معاشرهم) مصاحبهم (ألفيتهم) وجدتهم (ابناء علات) أى غرباء من بلاد مختلفة و بنو العلات الذين أبوهم واحد وأمهاتهم شتى (قذائف فلوات) أى قد رمت بهم القفار والطرق المختلفة واحدتها قذيفة وهى التى يقذف أى يرمى بها (لحمة) أى قرابة (ألفت شملهم) أى جمعت متفرقهم وجعل للادب لحمة مجازا وجعل الادب يجمعهم كما يجمع بنى العلات الاب والبلاد تفرقهم كما تفرق بنى العلات الامهات * وهذا النحو ما يحكى أن دعبلا ذكر عند على بن الجهم فكفره ولعنه وقال كان يظهر على أبى تمام وهو خير منه دينا وشعرا فقال له بعض من حضر لو أن أبا تمام أخوك مازدت على مدحك له فقال ان لم يكن أخى فى النسب فهو أخى فى المودة والادب أما سمعت ما خاطبنى به وأنشد لابى تمام

ان كان يجمعنا الاخاء فاننا * نغدو ونسرى فى اخاء تالد

أو نفترق نسبا يؤلف بيننا * أدب أقمناه مقام الوالد

وكرر أبو تمام هذا المعنى فاحسن بقوله

ذو الود منى وذو القربى بمنزلة * واخوتى اسوة عندى وخلانى

عصابة جاورت آدابهم أدبى * فهم وان فرقوا فى الارض جيرانى

أرواحنا فى مكان واحد وغدت * أجسامنا فى عراق أو خراسان

(وأنشد اسحق الموصلى)

يقولون لى هل من أخ أو قرابة * فقلت لهم ان الشكول أقارب

نسيبى فى رأيى وعزمى ومذهبى * وان باعدتنا فى الولاء المناسب

وليس أخى الا الصحيح وداده * ومن هو فى وصلى وقربى راغب

وكان لسلمان بن وهب نديم يأنس به فعربد عليه ليلة فاطرحه وجفاه فوقف له بالطريق فلما مر به وثب اليه ثم قال أيها الوزير لا تكن فى أمرى الا كما قال على بن الجهم

القوم أخدان صدق بينهم نسب * من المودة لم يعدل به نسب

تراضعوا درة الصهباء بينهم * فاوجبوا الرضيع الكاس ما يجب

لا يحفظون على السكران زلته * ولا يريبك من أخلاقهم ريب

فقال قد رضيت عنك رضا صحيحا فعد لشأنك (وله الرتب) أى المنازل الرفيعة (مثل كواكب الجوزاء) أى فى الاضاءة والرفعة و(الجملة المتناسبة الاجزاء) أى المتفقة يعنى مقاديرهم فى الفضل وغيره متساوية لا تفاضل بينهم كالجملة التى لا مزية لبعضها على بعض وأقل جملة حسابية اجزاؤها متناسبة لا كسر فى بعضها ارلها النصف والثلث والربع والخمس والسدس والسبع والثمن والتسع والعشر هى ألفان وخمسمائة وعشرون نصفها ألف ومائتان وستون وثلثها ثمانمائة وأربعون وربعها ستمائة وثلاثون وخمسها خمسمائة وأربعة وسدسها أربعمائة وعشرون وسبعها ثلثمائة وستون وثمنها ثلثمائة وخمسة عشر وتسعها مائتان وثمانون وعشرها مائتان واثنان وخمسون (قوله ابهجنى) أى أفرحنى (أحمدت) وجدته محمودا (الطالع) النجم الذى يسعد به صاحبه وينحس على زعمهم (طفقت) أخذت (أفيض بقدحى) أضرب بسهمى وهذا من فعل الميسر وأراد انه مشى كلامه مع كلامهم ويدخل مداخلهم (أدتنا) أوصلتنا (شجون المفاوضة) طرق المراجعة فى الكلام والشجون فى الكلام تداخله واختلاط بعضه ببعض والتفاوض الاندفاع فى الحديث وفى المثل

فنحوتهم طلبا لمنادمتهم لا لمدامتهم وشغفا بممازجتهم لا بزجاجتهم فلما انتظمت عاشرهم وأضحيت معاشرهم ألفيتهم أبناء علات وقذائف فلوات الا ان لحمة الادب قد الفت شملهم الفة النسب وساوت بينهم فى الرتب حتى لاحوا مثل كواكب الجوزاء وبدوا كالجملة المتناسبة الاجزاء فابهجنى الاهتداء اليهم وأحمدت الطالع الذى أطلعنى عليهم وطفقت أفيض بقدحى مع قداحهم واستشفى براحهم لا براحهم حتى أدتنا شجون المفاوضة الى

التحاجي بالمقايضة كقولك
اذا عنيت به الكرامات
مامثل النوم فات فأنشأنا
نجلو السها والقمر ونجنى
الشوك والثمر وبينما نحن
ننشر القشيب والرث وننشل
السمين والغث وغل
علينا شيخ قد ذهب حبره
وسبره وبقى خبره وسبره
فشل مثول من يسمع
وينظر ويلتقط ما ننثر الى
أن نفضت الاكياس
وحصحص اليأس فلما رأى
اجبال القرائح واكداء
الماتح والمائح جمع أذياله
وولا نا قذاله وقال ما كل
سوداء تمرة ولا كل صهباء
خمرة فاعتلقنا به اعتلاق
الحرباء بالاعواد وضربنا
دون

الحديث ذو شجون أى ذو فنون وأصله من الشجر المشجون وهو الشجر الذى التف بعضه ببعض (التحاجي) التفاطن (المقايضة) المعاوضة والمقارضة (الكرى) النوم (فات) بمعنى مات وأراد ان هذا النوع من الالغاز هو ان يؤتى بلفظ عرضا من لفظ آخر يتوارد معه على معنى واحد والمماثلة التى بينهما انما هى موافقة المعنى (نجلو) نكشف (السها) نجم خفى وقرن السها فى خفائه مع القمر فى ظهوره وانما يشير الى قولهم فى المثل أريها السها وترينى القمر وأراد انهم يأتون بلفظة ظاهرة المعنى وأخرى خفية فلا يتم لهم شئ (القشيب) الثوب الجديد (الرث) الخلق (ننشل) نخرج النشيل وهو لحم يطبخ بلا تابل ثم ينشل أى يخرج بالمنشل وهو حديدة معقفة (ذهب حبره وسبره) هيئته ولونه قال الفراء من قولهم جاءت الابل حسنة الاحبار والاسبار قال الاصمعى رحمه الله هى الجمال والبهاء وآثار النعمة يقال فلان حسن الحبر والسبر اذا كان جميلا حسن الهيئة وفى الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره أى قد ذهب جماله وبهاؤه وسمى الحبر حبرا لانه يزين الكتاب ويحسن القرطاس وحبرت الشئ زينته وقيل انه سمى حبرا لانه يؤثر فى القرطاس فيكون علامة فيما يقع فيه ويقال للاثر حبرة وحبار والسبر الاصل واللون والهيئة والمنظر والسبر ما يدل به على لون الدابة وكرمها ويروى حبره وسبره بكسر أولهما وفتحه فاذا كسرا كانا اسمين واذا فتحا كانا مصدرين وحبره علمه وسبره قياسه (مثل) تمثل قائما (الاكياس) أوعية الدراهم و (نفضت) ألقى ما فيها وأراد فراغ كلامهم (وحصحص) تبين و (اليأس) ضد الرجاء (اجبال القرائح) انقطاعها عن الكلام (اكداء) صعوبة وأصل هذا فى البئر فأول ما يرشح من مائها هو القريحة ثم نقل الى الطبيعة والذهن وأجبل الحافر اذا حال بينه وبين الماء جبل وأكدى حال بينه وبينه كدية والجبل والكدية حجارة وصلابة تعرض فى البئر لا يمكن حفرها معها ثم يقال أكدى أى قل خيره وأجبل الشاعر أى انقطع شعره وأكدى فلان عطائى أى قطعه وقلل خيره ومنه قوله تعالى وأعطى قليلا وأكدى و (الماتح) المستقى على فم البئر و (المائح) النازل الى قعرها ليملأ الدلاء ويفرق بينهما بنقطتى الحرف الذى قبل آخرهما فتى كانتا فوق الحرف فالمستقى فوق البئر لكثرة الماء ومتى كانتا تحته فالمستقى فى قعر البئر ليملأ الدلو بيده وذلك لقلة الماء واذا تكاثرت الدلاء عليه وكثر صياح الناس عليه من رأس البئر وكل يرغبه ليملأ دلوه فيأخذ دلو من لا مال له فيضرب به رجاء البئر أى جانبيه ليرتدع الناس عنه ثم يضرب مثلا للمهان قال الشاعر

فلا يرمى بى الرجوان انى * اقل القوم من يغنى مكانى

وقالت جارية من العرب تستعطفه

يا أيها المائح دلوى دونكا * انى رأيت الناس يحمدونكا

ومن أمثالهم ابصر من المائح باست الماتح وأنشد الفنجديهى

يامائح العين عدمت الردى * من حوض هذى العين كم تستقى

من شيمة الماء انحدار فلم * ماء جفونى ابدا يرتقى

(قوله جمع أذياله) شمر ثيابه للقيام (قذاله) قفاه (ما كل سوداء تمرة) مثل والسوداء تستعمل للتمرة والفحمة فيقول ما كل الكلام سهل فتتعاطونه وما كل ما جئتم به بفائق فيدخل فى باب المقايضة وهو مثل يضرب فى موضع التهمة (والصهباء) من أسماء الخمر والصهبة أن تعلو الحمرة شقرة وأصوله سود و (الحرباء) دويبة تستقبل الشمس بوجهها اذا استوت فى كبد السماء وان لم يتأت لها الفرصة بوجهها تململت وتقلبت ولم تزل فى قلق حتى تميل الشمس فتستقبلها أعنى قرصها بوجهها حتى تغرب وهى فى طول يومها لا تأكل شيأ فاذا جاء الليل ذهبت تبغى ما تأكل والانثى منها حرباءة وقال أبو عبيدة الحرباء تستقبل الشمس برأسها أبدا يقال انما تفعل ذلك لتقى جسدها برأسها وقيل الحرباء ذكر أم

وجهته بالاسداد وقلماله ان دوا الشق أن يحاص والافالقصاص القصاص فلا تطمع في أن تجرح وتطرح وتنهر الفتق وتسرح فلوى عنانه راجعا ثم جثم بمكانه راصعا وقال أما اذا استثرتموني بالبحث فلا حكم حكم سليمان في الحرث•

حبين وفي صدره استرخاء وقرب من الارض فاذا حميت الارض بالشمس خاف على صدره أن تحرقه الارض للزوقه بها فيصعد على عود شجرة فيلتزمه بيديه ويجعله بينه وبين الشمس ويضرب به المثل في التشبث بما تعلق به وذلك انه اذا تعلق بعود التزمه وقبض عليه فلا يفارقه حتى يستوثق من آخر فيضرب المثل به فيقال أحزم من الحرباء وقال قيس بن الحدادية

بانت سعاد فأمسى القلب مشتاقا * وأقلقتها نوى الازماع اقلاقا
واحتث حاديهم بزلا مخيسة * كوم الذرا مدد الاعضاد أفياقا
ألا أتيح لها حرباء تنضبة * لا يرسل الساق الا ممسكا ساقا

والساق ساق الشجرة والتنضب شجر يتعلق بأعواده الحرباء فيقال حرباء تنضبة كما يقال ذئب غضى وقال الازهري رحمه الله تعالى الحرباء دويبة على خلقة سام أبرص ذات أربع قوائم دقيقة الرأس مخططة الظهر وأكثر الشعراء من ذكر الحرباء وتشبيهها ومن جيد ذلك قول ذي الرمة

ودوية جرداء جداء خيمت * بها هفوات الصيف من كل جانب
كأن يدي حربائها متشمسا * يدا مذنب يستغفر الله تائب

وقال آخر

وقد جعل الحرباء يصفر لونه * ويخضر من لفح الهجير غباغبه
ويسبح بالكفين حتى كأنه * أخو فجوة عال به الجذع صالبه

وقال أيضا

يظل بها الحرباء للشمس ماثلا * على الجذع الا أنه لا يكبر
اذا حول الظل العشي رأيته * حنيفا وفي قرن الضحى يتنصر
غدا أكهب الاعلى وراح كأنه * من الضح واستقباله الشمس أخضر

أخبر أنه يدور مع الشمس في وقت الزوال حتى تكون الشمس في حذاء القبلة فكأنه باستقباله لها في ذلك الوقت مسلم يصلي لها وفي الضحى تكون في وجه المشرق فكأنه نصراني فيستقبلها بصلاته وقال ابن الرومي

ما بالها قد حسنت ورقيبها * أبدا قبيح قبح الرقباء
ماذاك الا أنها شمس الضحى * ابدا يكون رقيبها الحرباء

(قوله وجهته) أي جهته (والسد) الحاجز بين الشيئين (يحاص) يخاط ويقال حاص ثوبه وعين صقره وشقوق رجليه حوصا وحياصة خاطها وقيل الحوص الخياطة بعد رقعة ولا يكون الا في جلد وأنشد يعقوب

ترى برجليه شقوقا في كلع * من بارئ حيص ودام منسلع

الكلع الوسخ ومنسلع منشق و(القصاص) أخذ الحق في الجنايات (وتنهر) توسع فترده كالنهر (الفتق) الخرق (وتسرح) تذهب (لوى عنانه) أماله وعطفه (جثم) برك (راصعا) لاصقا بالارض والرصع تباعد ما بين الركبتين ورصع بالشئ يرصع رصوعا اذا لازمه (استثرتموني) طلبتموني واستخرجتم ما عندي و(البحث) المناقشة في السؤال وأصله الصيد تقول استثرت الصيد اذا بحثت عليه حتى تقيمه من مرقده (قوله حكم سليمان في الحرث) كان سليمان عليه السلام فيما ذكروا أبيض وضيا جسيما كثير الشعر يلبس من الثياب البياض فلما بلغ مبلغ الرجال كان أبوه في أيام ملكه يشاوره في أموره وكان هذا الحكم فيما ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث يا نبي الله انفلتت غنم هذا في زرعي ليلا فرتعت في حرثي فلم تبق منه شيأ فقال له داود اذهب فان الغنم لك فملكه رقابها أيما كانت من حرثه فلما خرجا مر عنده خطرا على سليمان عليه السلام فأخبراه بقضاء أبيه فقال لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا فأخبر داود عليه السلام فدعاه وقال له كيف كنت تقضي بينهما فقال أدفع الغنم الى صاحب الحرث فيكون له رسلها ونسلها وصوفها ويبذر صاحبها لصاحب الحرث مثل حرثه فاذا صار الزرع كهيئته يوم أكل أخذ غنمه فقال داود القضاء ما قضيت به وحكم

بقضاء سليمان عليهما السلام وقال ابن مسعود وشريح ومقاتل أراد بالحرث الكرم وان الغنم أكلت قضبانه فأفسدته فحكم داود لصاحب الكرم ولم يكن بين الغنم والكرم تفاوت فمروا بسليمان عليه السلام وهو ابن احدى عشرة سنة فقال يعمل الراعي في اصلاح الكرم حتى يعود كهيئته ثم يأخذ غنمه ومن عجائب حكم سليمان عليه السلام مارواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بينما امرأتان معهما ابناهما اذ جاء الذئب فذهب بأحدهما فقالت هذه انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فاختصما الى داود عليه السلام فقضى به للكبرى فمرتا على سليمان فأخبرتاه فقال عليه السلام ائتياني بسكين أشقه بينكما فقالت الصغرى لا ويرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى قال أبو هريرة رضي الله عنه والله ان كنت سمعت بالسكين قبل ذلك ما كنت أقول الا المدية (قوله الشمائل) الخلائق والطبائع (والشمول الذهبية) الخمر الحمراء وذكر في هذه المقامة أنهم سبؤا قهوة وذكرهنا أنها في لونها حمراء والعرب تمدح بشرب الخمر السبيئة وتصفها بالحمرة كقول الاعشى وهو في أوصافها في الجاهليين كالحسن في الاسلاميين وحبه فيها صده عن الاسلام

وسبيئة مما تعتق بابل * كدم الذبيح سلبتها جريالها

وقوله أيضا

فقمنا ولما يصح ديكنا * الى خمرة عند جدادها

فقلت له هذه هاتها * بادماء في حبل مقتادها

فقام فصب لنا قهوة * تسكننا بعد ارعادها

كميت تكشف عن حمرة * اذا صرحت بعد ازبادها

فجال علينا بابريقه * مخضب كف بفرصادها

فرحنا تنعمنا نشوة * تجور بنا بعد قصادها

﴿وقال أبو ذؤيب﴾

ولا الراح راح الشام جاءت سبيئة * لها غاية تهدى الكريم عقابها

عقار كماء النىء ليست بخمطة * ولا خلة يكوى الشروب شهابها

وقال الحسن

وخمار أنخت عليه ليلا * قلائص قد تعبن من السفار

فترجم والكرى في مقلتيه * كمخمور شكا ألم الخمار

ابن لي كيف سرت الى حريمي * وثوب الليل مصبوغ بقار

فقلت له ترفق بي فاني * رأيت الصبح من خلل الديار

فكان جوابه أن قال كلا * وما صبح سوى صبح العقار

وقام الى الدنان فسد فاها * فعاد الليل مسدول الازار

وقال عبد الصمد

وخيمة ناطور بحف بروضة * يحييك منها وردها والبنفسج

وأشمط أعلى وسطها بعد هجعة * تراه بها من قسره يتشنج

دعوت فلبى وهو بالصوت عارف * وأقبل نحو الباب يزهو ويمرج

فقلت له المصباح ان كنت مسرجا * فقال قفوا فالخمر في الكاس تسرج

(قوله لامتحان الالمعية) أي لاختبار الفطنة (نافت) باعدت (النمط) النوع يقال الزم هذا النمط أي هذا المذهب والفن والطريق (ضاهت) شابهت (السقط) رديء المتاع وما لا يعبأ به و(السفط) وعاء لجميع الثياب الرفيعة وسفط العلوم الكتب أي لم تكتب ولم تدون في الكتب (مزتم) فرقتم (لبابك) خالص ما عندك (أفض) صب (عبابك) بحرك وعب البحر عبابا هاج واضطرب (يرتاب) يشك (ناظورة القوم) كبيرهم الذي ينظرون اليه (سما) ارتفع (ذكاء) جودة الذهن (واري) مبدي النار أي زنده متى ضرب أورى نارا (فاق) فضل غيره (النتائج) ما يولده الفكر من الكلام

اعلموا ياذوي الشمائل الادبية والشمول الذهبية ان وضع الاحجية لامتحان الالمعية واستخراج الخبيئة الخفية وشرطها أن تكون ذات مماثلة حقيقية وألفاظ معنوية ولطيفة أدبية فمتى نافت هذا النمط ضاهت السقط ولم تدخل السفط ولم أركم حافظتم على هذه الحدود ولا ميزتم بين المقبول والمردود فقلنا له صدقت وبالحق نطقت فكل لنا من لبابك وأفض علينا من عبابك فقال أفعل لئلا يرتاب المبطلون ويظنوا بي الظنون ثم قابل ناظورة القوم وقال

يامن سما بذكاء * في الفضل واري الزناد

ماذا يماثل قولي * جوع أمد بزاد

ثم لحظ الثاني وأنشد

ياذا الذي فاق فضلا * ولم يدنسه شين

ما مثل قول المحاجي * ظهر أصابته عين

ثم لحظ الثالث وأنشأ يقول

يامن نتائج فكره

مثــل النقود الجائزه   مامثل قولك للذى * حاجيت صادف جائزه   ثم اتلع الى الرابع وقال   آيا مستنبط الغامض من لغز واضمار الا اكشف لى مامثل * تناول ألف دينار ثم رمى الخامس ببصره وقال يا أيهذا الالمعى * أخو الذكاء المنجلى
مامثل أهمل حليه * بين هديت وعجل ثم التفت لفت السادس وقال يامن تقصر عن مدا * مخطا مجاريه وتضعف
مامثل قولك للذى * اضحى يحاجيك اكفف اكفف ثم خلج السابع بحاجبه وقال يامن له فطنة تجات * ورتبة فى الذكاء جلت
بين فما زلت ذا بيان * مامثل قولى الشقيق أفات ثم استنصت الثامن وأنشد يامن حدائق فضله * مطلولة الازهار غضه
مامثل قولك للمعاجى ذى الحجا اختار رفضه ثم حدج التاسع ببصره وقال يامن يشار اليه فى الا * قلب الذكى وفى البراعه
اوضح لنا مامثل قو * لك للمعاجى دس جماعه (قال الراوى) فلما انتهى (١٥٧) الى هزه نكبى وقال يامن له النكت
التى * يشجى الخصوم بها
وينكت
انت المبين فقل لنا
مامثل قولى خالى اسكت
ثم قال قد انهلتكم وامهلتكم
وان شئتم ان اعلكم علاتكم
(قال) فألجأنا لهب الغال
الى استسقاء العلل فقال
است كمن يستأثر على نديمه
ولا ممن سمنه فى أديمه ثم
كر على الاول وقال
يامن اذا اشكل المعمى
جلته افكاره الدقيقه
ان قال يومالك المحاجى
خذ نلك مامثله حقيقه
ثم ثنى جيده الى الثانى وقال
يامن بدا بيانه
عن فضله مبينا
ماذا مثال قولهم
حمار وحش زينا
ثم أوحى الى الثالث بلحظه
وقال
يامن غدا فى فضله
وذ كائه كالاصمعى
مامثل قولك للذى
حاجاك أنفق تقمع
ثم حملق الى الرابع وأنشد يامن اذا ما عويص * دجا أنار ظلامه ماذا يماثل قولى * استنش ريح مدامه ثم أومض الى الخامس وقال
يامن تنزه فهمه * عن ان يروى أو يشكا مامثل قولك للذى * اضحى يحاجى غط هلكى ثم أقبل قبل السادس وأنشد
يا أخا الفطنة التى * بان فيها كماله سار بالليل مدة * أى شئ مثاله ثم نحى بصره الى السابع وقال يامن تحلى بفهم * أقام فى الناس سوقه
لك البيان فبين * مامثل أحبب فروقه ثم قصد قصد الثامن وانشد يامن تبوأ ذروة * فى المجد وافى كل ذروه مامثل قولك أعط ا
ربقا يلوح بغير عروه ثم ابتسم الى التاسع وقال يامن حوى حسن الدرا * ية والبيان بغير شك مامثل قولك للمعا
جى ذى الذكاء النور ملكى ثم قبض بجمعه على ردنى وقال يامن سما بثقوب فطنته * فى المشكلات ونور كوكبه ماذا مثال صفير جحفلة
* بينه تبيانا نايتم به (قال الحرث بن همام) فلما أطربنا بما سمعناه وطالبنا مكاشفة معناه قلنا له لسنا من خيل هذا الميدان
ولا لنا بحل هذه العقد يدان فان ابنت مننت وان كتمت غممت فظل يشاور نفسيه ويقلب قدحيه حتى هان بذل الماعون عليه

(النقود) الدراهم (اتلع) مد عنقه ونصبه وتلع الرجل يتلع تلعا أخرج رأسه من شئ كان فيه (مستنبط) مستخرج (الغامض) الخفى وغمض غموضا دق وأحوج الى النظر و(الالمعى) هو الذكى أى صاحب الفطنة (التفت لفت) أى قصد قصده بالنظر ولفت عنقه الى أى لواها ناظرا الى (مداه) غايته (خلج) غمز وقال الراجز * قد خلجت بحاجب وعين * (تجات) ظهرت (جلت) عظمت و(استنصت) سكت (حدائق) بساتين (مطلولة) أصابها الطل (غضه) ناعمة (الحجا) العقل (حدج) رمى (البراعة) الفصاحة ووفور العقل (يشجى) يغص والغصص الاختناق (ينكت) يقلبهم على رؤسهم وطعنه فنكته ألقاه على رأسه وعند القضاعى يشجى وينكت أى يسكت على ذلك (أنهلتكم) أسقيتكم والنهل الشرب الاول والعلل الشرب الثانى (أعلكم) أسقيكم عللا (لهب الغال) أى حر العطش (يستأثر) أى يخص نفسه بشئ دون أصحابه (سمنه فى أديمه) أى خيره موقوف عليه والاديم هنا زق السمن وأصل المثل سمنكم هريق فى أديمكم أى خيركم موقوف عليكم قاله أبو عبيدة وخطأ البكرى فى تفسير الاديم بالزق وقال انما الاديم هنا طعامكم المأدوم فعيل بمعنى مفعول أى خيرهم راجع اليهم وهو قول الازهرى رحمه الله ولم يسكر الاول وهو مثل يضرب للبخيل ولمن لا يتعداه خيره و ينفق على نفسه دون غيره * وقمعه يقمعه ضربه بالمقمعة أى قهره وكفه وقمع الشراب وأقمع مر فى الحلق مرا بغير جرع (كر) عطف (جيده) عنقه (أوحى) أشار (حملق) أحد النظر (عويص) صعب (دجا) اسود (أنار) جعل فيه النور (تنزه) تباعد (يروى) يفكر وقد روأت الحديث اذا دبرته وهيأته (بان) تبين (تحلى) تزين (تبوأ) نزل و(الذروة) أعلى الشئ (ثقوب) نفوذ (أبنت) بينت (مننت) أفضلت علينا (نفسيه) أراد انه يردد رأيه هل يفعل أولا يفعل فكان له نفسين يردد المشورة عليهما حتى يظهر لهما الرأى الارجح فيهما فيبنى عليه وقال حويرث العبدى

لكل امرئ نفسان نفس كريمة * ونفس فيعصيها الفتى أو يطيعها

وقد تقدم معنى يقلب قدحيه (الماعون) المعروف وقال يونس الماعون فى الجاهلية كل عطية ومنفعة وفى الاسلام الزكاة والطاعة وقال ابن عباس الماعون المعروف كله حتى ذكر القدر والقصعة والفأس وحكى الفنجديهى عن ابن عباس الماعون العارية وقال الماعون اسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفاس والماء والملح ونحوها وقال الاعشى

فأقبل حينئذ على الجماعة وقال يا أهل البلاغة والبراعة سأعلمكم مالم تكونوا تعلمون ولا ظننتم انكم تعلمون

فأوكوا عليه الاوعية ورَوّضوا به الانديه ثم أخذ في تفسير صقل به الاذهان واستفرغ معه الاردان حتى آضت الافهام أنور من الشمس والاكمام كان لم تغن بالامس ولما هم بالمفر سئل عن المقر فتنفس كما تتنفس الشكول ثم انشأ يقول

كل شعب لى شعب وبه ربعى رحب غير انى سروج مستهام القلب صب هى أرضى البكر والجوّ الذى منه المهب والى روضتها الغناء دون الروض أصبو ما حلالى بعدها حلو ولا اعذوذب عذب

(قال الراوى) فقلت لاصحابى هذا أبو زيد السروجى الذى أدنى ملحه الاحاجى وأخذت أصف لهم حسن توشيته وانقياد الكلام لمشيئته ثم التفت فاذا به قد طمر وناء بما قمر فعجبنا مما صنع اذوقع ولم ندر أين سكع وصقع

﴿تفسير الاحاجى المودعة هذه المقامة﴾

أما جوع أمدّ براد فمثله طوامير وأما ظهر اصابته عين فمثله مطاعين وأما صادف جائزة فمثله الفاصلة وأما تناول ألف دينار فمثله هادية وأما أهمل حلية فمثله الغاشية وأما اكفف اكفف فمثله مهمه وأما الشقيق أفلت فمثله أخطار وأما اختار فضة فمثله أبارقة لان الرقة من أسماء الفضة وقد نطق بها النبي صلى الله عليه وسلم فقال في الرقة ربع العشر الجيفة

وأما دس جماعة فمثله طافية وأما خالى اسكت فمثله خالصه لانك اذا ناديت مضافا الى نفسك جاز لك حذف الياء واثباتها كنه

بأجود منه بماعونه * اذا ما سماؤهم لم تغم

والاظهر فيه انه من العون وأصله معوون بوزن مفعول فقدمت الواو التى بعد العين فصار موعون ثم قلبت ألفا كما قيل ياجل وحكى الفراء عن بعض العرب الماعون الماء فيكون على هذا مفعولا من العين ويعل كما عل من العون أو يكون فاعولا من معن الماء اذا سال وهو أيضا قول من اشتقه من قولهم ممعن هربا أو من قولهم عين معين قال قطرب ماعون فاعول من المعن وهو الشئ اليسير ومنهم من قال أصله معونة والالف بدل من الهاء (قوله أوكوا) أى شدوا (روّضوا) زينوا واجعلوها مثل الرياض (الاردان) الاكمام (آضت) رجعت أذهانهم مضيئة بالفهم وزال عنها الالتباس (تغن بالامس) يريد أن أكمامهم كانت بالامس ممتلئة بالدراهم فتفرغت اليوم اذ وهبوا له ما فيها (المفر) المهرب (المقر) المنزل والبلد (الشكول) المرأة الثكلى الفاقدة لاحبابها (شعب) أى طريق أى كل بلد لى بلد (ربعى رحب) أى منزلى متسع (المستهام) الذى غلب الحب على قلبه فخرج هائما على وجهه لايدرى أين يتوجه وهام يهيم ذهب عقله فخرج فى غير الطريق وقيل الهائم العليل القلب على الذى يجد فى قلبه هياما وهو وجع يجده البعير فلا يروى من شرب الماء قال عروة بن حزام

بى اليأس أو داء الهيام اصابنى * فاياك عنى لايكن بك ما بيا

أو يكون من التهويم وهو هجوم النوم وهو فى الاوجه الثلاثة اسم مفعول وكان قياسه مستهيما الا انه لما كان كأنه مغلوب على ذلك جاء على هذا وحذف به لدلالة المعنى و (الصب) العاشق (البكر) التى ولدت بها (الجو) اسم لنواحى السماء و (مهب الريح) موضع هبوبها من الجو واراد بلدته التى يجىء منها ويخرج عنها للبلاد (الغناء) الكثيرة الاشجار وتقدمت علتها (أصبو) أميل (ادنى) أقل (توشيته) تزيينه كلامه (مشيئته) ارادته (طمر) وثب وهو من الاضداد يقال طمرت الشئ سترته وطمر الجرح سفل وعلا أيضا ومنه قيل للبرغوث طامر لنزوه وارتفاعه (ناء) نهض (قمر) حازه بالقمار (سكع) مشى مشى المتعسف (صقع) ذهب وقيل لم يدر أين صقع أى أين ذهب والسكع الذهاب على غير هداية والصقع الناحية من الارض وما أدرى أين صقع أى أى ناحية قصد من الارض *(فصل فى تفسير الاحاجى)* اذا أردت ان تعرف المماثلة فى هذه الاحاجى فتنظر جوع أمدّ براد فتقابله بطوامير فتقسم هذه اللفظة فتقابل القسم الاول وهو طوا بقولك جوع فتجده مثله فى المعنى وتقابل بالقسم الثانى وهو ميرقولك أمد براد فتجده مثله فى المعنى والمير الامداد بالزاد ومير الرجل أعطى نفقة وقوتا لعياله فهذه المماثلة الحقيقية التى قدم وكذلك تقابل ظهر أصابته عين بقولك مطاعين فتجد المطا الظهر وعين الرجل أصيب بالعين وكذلك صادف جائزة هى ألفى صلة وألفى هى صادف والجائزة هى الصلة تصل بها من قصدك وان تركت الالفاظ منظومة بغير تقسيم ينتج منها معنى آخر فيقال لك ما الطوامير فتقول الكتب الواحد طومار والمطاعين جمع مطعان وهو الكثير الطعن والفاصلة التى تقع بين شيئين فتفصل هذا من هذا والفاصلة فى العروض توالى أربعة أحرف أو ثلاثة متحركة بعدها ساكن وهكذا هى المقايضة فى هذه المقامة تصل اللفظة فيكون لها معنى وتفصلها فيكون لها معنى آخر وأنا أفسر معنى المتصلة اذ المنفصلة قد وقع تفسيرها فى المقامة (قوله هادية) أى مرشدة تقول هدتنى الطريق فهى هادية و (الغاشية) ما يغشى القلب أى يغطيه من الهم والسقم والغاشية أيضا القوم يغشونك أى يقصدونك ويزورونك والغاشية القيامة والغاشية المرأة تغشاك وتزورك والغاشية غشاء القلب والغاشية غشاء السرج (والمهمه) القفر (والاخطار) جمع خطر وهو الغرر والاخطار المنازل الشريفة (والابارقة) جمع ابريق وهو اناء معروف والابارقة أيضا السيوف الصقيلة واحدها ابريق و (الطافية)

الجيفة تطفو على وجه الماء أى تطلع عليه و (الفرازين) وزراء الفرس الواحد فرزان ومنه فرزان الشطرنج الذى تسميه العامة فرزا لانه وزير الشاه والشاه فى كلام الفرس الملك (وقت) معناه كففت و (المنتقم) الفرح بمصيبة غيره و (الرحراح) من الاوانى الواسع القصير الحديد ورحراح موضع معروف و (الصنبور) النخلة الطويلة العرق القليلة الحمل والصنبور أيضا العفاص الذى يجعله السقاء فى فم القربة ويشد عليه ويفرغ منه الماء والصنبور أيضا اللئيم والصنبور من الناس من ليس له نسل و (السراحين) الذئاب الواحد سرحان و (الاسكوب) المطر الكثير الصب والاسكوب والاسكاب قطعة خشب فيها اقرص تجعل فى خرق الزق و (المقلاع) آلة يقلع بها الشئ والله الموفق

﴿شرح المقامة السابعة والثلاثين وتعرف بالصعدية﴾

(أصعدت) طلعت وارتفعت قال يعقوب الاصعاد الى نجد واليمن والحجاز والانحدار الى العراق والشام وعمان وقال الاخفش أصعد فى البلاد سار فيها ومضى وأصله الذهاب فى الصعود وهو الارتفاع ثم توسعوا فى ذلك قال الفراء رحمه الله الاصعاد فى ابتداء الاسفار والمخارج تقول أصعدنا من مكة الى بغداد وأصعدنا من بغداد الى خراسان فأما فى السلم فتقول صعدت فيه لا أصعدت قال يعقوب رحمه الله صعد فى الجبل وأصعد فى البلاد انحدر فيها وصعد ارتقى و (صعدة) مدينة عظيمة باليمن بينها وبين صنعاء ستون فرسخا وتحكم فيها صنعة الجلود والجلد الصعدى فى غاية الجودة ويضرب المثل بحسن نسائها (الشطاط) طول القامة و (الصعدة) الرمح (اشتداد) جرى (يبدر) يسبق (بنات صعدة) حمر الوحش (نضرتها) خصبها ونعمتها والنضرة صفاء اللون وبريقه (نحارير) علماء والنحرير الماهر والحاذق الذى جرب الامور وعرفها وهو اسم يجمع وجوها من المدح فيفسر النحرير بالعالم والمفلق والحاذق والماهر والعادل (والسراة) السادة وهو جمع سرى وهو السيد الشريف وجمع فعيل على فعلة عزيز لا يعرف غير هذا (الجذوة) الجمرة الغليظة العظيمة وجمعها بثلاث حركات ويجمع ثلاثتها نحو جذا وجذا وجذا (نجدة) قوة وعونا (الظلامات) جمع ظلامة وهو ما يشتكيه المظلوم (رحيب الباع) واسع العطاء فكنى بالباع عن ذلك والعرب اذا وصفت الرجل بالسخاء قالوا هو رحيب الباع وطويل الباع وكريم الباع والباع والبوع بسط اليد بالمعروف وقد باع يبوع منه ويقال للبخيل قصير الباع (خصيب الرباع) أى هو كثير المال فجمع له مع كرمه كثرة ماله فالناس يجدون فى كنفه الخصب وقد يراد بخصيب الرباع نافق سوق الاحكام فالمتعلق به يجد الخصب (تميمى النسب) أى من بنى تميم وشرك الطباع مع النسب وهو يريد أنه كامل تام فى خلقه فنسب قبيلته لتميم وطباعه للتمام والكمال فغلب أحدهما وشرك بينهما للقرب قال ابن شرف فيما يليم بهذا التشريك ويحسن ان يمدح قاضى المقامة به لجوده

جاور عليا ولا تحفل بحادثة * اذا ادرعت فلا تسأل عن الاسل
اسم حكاه المسمى فى الفعال فقد * حاز العليين من قول ومن عمل
فالماجد السيد الحر الكريم له * كالنعت والعطف والتوكيد والبدل
زان العلا وسواه شانها وكذا * تمييز الشمس فى الميزان والحمل
وربما عابه ما يفخرون به * يشنا من الخصر ما يهوى من الكفل

ومتحركة وقد حذف ههنا حرف النداء كما حذفه فى أصل الاحجية وصه بمعنى اسكت وأما خذ تلك فثله هاتيك وأما حمار وحش زينا فثله فرازين لان الفرا حمار الوحش ومنه الحديث كل الصيد فى جوف الفرا وأما قوله أنفق تقمع فثله منتقم لان الامر من مان يمون من ومضارع وقت تقم وأما استنش ريح مدامة فثله رحراح لان الامر من استدعاء الرائحة رح وأما غط هلكى فثله صنبور لان البور هم الهلكى وفى القرآن وكنتم قوما بورا وأما سار بالليل مدة فثله سراحين وأما أحبب فروقة فثله مقلاع لان الامر من ومق يمق مق واللاع الجبان يقال فلان هاع لاع اذا كان جبانا جزوعا وأما أعط ابريقا بلوح بغير عروة فثله أسكوب لان الاوس الاعطاء والامر منه اس والكوب الابريق بغير عروة وأما الثور ملكى فثله اللالى لان اللا على وزن القنا هو ثور الوحش وأما صفير بجفلة فثله مكاشفة لان المكاء الصفير قال الله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية والاصل فى المكاء المد ولكنه قصره فى هذه الاحجية كما حذف همزة الفرا فى أحجيته وكلا الامرين من قصر الممدود وحذف همزة المهموز جائز

﴿المقامة السابعة والثلاثون الصعدية﴾

(حكى الحرث بن همام) قال أصعدت الى صعدة وأنا ذو شطاط يحكى الصعدة واشتداد يبدر بنات صعدة فلما رأيت نضرتها وربيعت خضرتها سألت نحارير الرواة عمن تحويه من السراة ومعادن الخيرات لاتخذه جذوة فى الظلمات ونجدة فى الظلامات فنعت لى قاض بها رحيب الباع خصيب الرباع تميمى النسب والطباع فلم أزل أتقرب

سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد * مل ء المسامع والافواه والمقل

فانه أراد بقوله حاز العليين أى حاز عليا بالاسمية والعلو بالفعلية وهذا مثل ماتقدم للحريرى

جاد بالعين حين أعمى هواه * عينه فانثنى بلا عينين

فقد أوقع التشبيه على شيئين يتفقان فى اللفظ ويختلفان فى المعنى وقد أنشدنا فيما تقدم لبعض المتأخرين فكيف أصبر عنها اليوم اذ جمعت * طيب الهواءين ممدود ومقصور

فالمقصور هوى النفس والممدود الهواء الذى بين السماء والارض وقد قدمنا فى تفسير قول الحريرى وحيا المسجد بالتسليمتين ان السلام الواحد على من فى المسجد عند دخوله والثانى تحليل الصلاة وقوله هاتمى النسب والطباع من هذا القبيل وأكثره فى كلام المولدين وهو مستعمل فى كلام العرب ولا يبعد أن يكون من هذا قولهم التقى الثريان فانهم يريدون بذلك كثرة المطر وأنه يبلغ فى الارض الى التراب الندى فالثرى الواحد المطر والثانى التراب الندى على انه يحتمل أن يريد بذلك أن التراب اليابس لما بله المطر حتى لحق بالتراب الندى صار اليابس منهما يسمى ثرى فقيل التقى الثريان وقال النابغة وقد أبقت صروف الدهر منى * كما أبقت من السيف اليمانى

يصمم وهو مأثور جراز * اذا جمعت بقائمه اليدان

فسره أبو عبيدة البكرى وغيره بانه أراد بذلك الجارحة والايد الذى هو القوة فجمع على الاخف فهذا من قبيل ماقدمناه ولا يحضرنى الآن غير هذا من كلام العرب (قوله الالمام) أى تخفيف الزيارة (أتنفق) أتحرج والنفاق ضد الكساد و (الاجمام) الزيارة (صدى صوته) أى متى دعاه وجده حاضرا مجيباله والصدى صوت الجبل الذى يرد عليك اذا صحت وابن همام فى هذه المقامة شرطى القاضى (وسلمان) الذى ذكره هو سلمان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمه ويعرف بسلمان الخير قالت عائشة رضى الله عنها كان لسلمان رضى الله عنه مجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفرد به فى الليل حتى كاد يغلبنا عليه وقال عليه الصلاة والسلام أمرنى ربى بحب أربعة وأعلمنى أنه يحبهم على وأبو ذر والمقداد وسلمان رضى الله تعالى عنهم وأتى أبو سفيان على سلمان وصهيب وبلال فقالوا اما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها فقال أبو بكر رضى الله عنه أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم وأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك فأتاهم أبو بكر رضى الله عنه فقال يا اخوتاه أغضبتكم فقالوا لا و يغفر الله لك وكان من أبناء أساورة فارس وأصله من رام هرمز وقيل كان من أصبهان وكان يطلب دين الله ويتبع من يرجو ذلك عنده فدان بالنصرانية وغيرها وقرأ الكتب وصبر فى ذلك على مشقات نالته وكلها مذكورة فى اسلامه فى كتب السير وقيل تداوله فى ذلك بضع عشر ربا حتى أفضى الى النبى صلى الله عليه وسلم فاشتراه من قوم من اليهود وأول مشاهده الخندق وهو الذى أشار بحفره فقال أبو سفيان وأصحابه هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها وسئل على عنه فقال علم علم الاول بحر لا ينزف هو منا أهل البيت وفى رواية هو مثل لقمان الحكيم وكان فاضلا حبرا زاهدا عالما متقشفا وتعلم عمل الخوص فقيل له لم تعمل هذا وأنت أمير وقد أجرى عليك رزق فقال انى أحببت أن آكل من عمل يدى وكان يتصدق بما رزق من بيت المال وكانت له عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها وقال صلى الله عليه وسلم لو كان الدين فى الثريا لناله سلمان * أبو هريرة رضى الله عنه كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ سورة الجمعة فلما قرأ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وفينا سلمان وضع يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجل من هؤلاء وتوفى فى آخر خلافة عثمان رضى الله عنه وما ترك شيأ يورث عنه وفضائله كثيرة وعلى قولهم لابى بكر لا و يغفر الله لك قال أبو محمد فى الدرة وربما أجاب المستخبر بلا النافية ثم عقبها بالدعاء له فيستحيل الكلام الى الدعاء

اليه بالالمام وأتنفق عليه بالاجمام حتى صرت صدى صوته وسلمان بيته

علیه

عليه كما روى ان أبابكر رضى الله عنه رأى رجلا بيده ثوب فقال أتبيع هذا فقال لا عافاك الله فقال أبو بكر رضى الله عنه لقد علمتم لو تعلمون فهلا قلت لا وعافاك الله قال أبو محمد والمستحسن ما قال يحيى ابن أكثم للمأمون وقد سأله عن أمر فقال لا وأيد الله أمير المؤمنين وحكى ان الصاحب بن عباد لما سمع هذه الحكاية قال والله لهذه الواو أحسن من واوات الاصداغ فى خدود المرد الملاح (قوله اشتيار شهده) أى استخراج عسله وأراد اجتناء منفعته (انتشاق) شم يقال نشق الريح الطيبة نشقا وانتشق وتنشق شمها (الرند) شجر طيب الرائحة قال ابن دريد رحمه الله هو الآس وقال الجوهرى رحمه الله ربما سمى العود رندا (مشاجر الخصوم) مواضع الخصام التى يتشاجر فيها الخصمان أى يمتزج كلام هذا بكلام هذا من الشجر واحدها مشجر وقد يراد بها المصدر وجمع لاختلاف أنواعه (أسفر) أمشى بينهم بالصلح (المعصوم) المحفوظ من الوقوع فيما يحذر وأصل العصمة فى كلامهم المنع وعصمته من كذا اذا منعته والله يعصمك من الناس أى يمنعك (الموصوم) ذو الوصم وهو العيب فاراد أنه يصلح بين أهل الخير والشر (للاسجال) للحكم وأسجل القاضى على نفسه بالحكم وسجل اذا كتب على نفسه فأراد أنه جلس للحكم فى العقود والسجلات (محفل) القوم مجتمعهم (والاحتفال) كثرة الناس واجتماعهم ومعنى احتفل الرجل جمع وأراد يكثر من الشئ الذى قصده وجمع المحفل محافل ومنه الشاة المحفلة وهى التى يحبس لبنها أياما فى ضرعها لا تحلب (الرياش) الثياب (تبصر المحفل) نظر الجمع وشخص فيهم (نقاد) مفتش كأنه ينتقد ببصره الرجال ويريد أنه نظر من شرط القاضى أهل الحزم والجراءة فأخبرهم بقصة ابنه فاطلقوا فاقوا به ونقاد الدراهم الذى يمعن النظر فيها والتقليب لها ليميز جيدها من رديئها (وحى اشارة) يريد اشارة العين اذا غمز بها من تريد أن يفهم اشارتك دون غيره والوحى الايماء الخفى (ضرغام) أسد فى عظم خلقته وشدته (التغاضى) التغافل والسكوت عن الظلم (الصدى) الذى علاه الصدأ وهو وسخ السيف و(الاخلاف) جمع خلف وهو ما يحلب منه اللبن ويقبض عليه الحالب قال ابن دريد وقيل الخلف للناقة كالضرع للبقرة (أجم) تأخر (أعربت) أوضحت (أعجم) أبهم ولبس (أذكيت) أوقدت (أخمد) أطفأ وخمدت النار طفئ لهبها (كفلته) ربيته (دب) مشى مشى صغير على يديه ورجليه (شب) صار شابا (ألطف) أشفق وارق (رب) أصلح يريد أنه أصلح أحواله وأحسن تربيته تحرزا من أن ينسبه القاضى الى تقصير (أكبر) رآه كبيرا (أطرف) أعجب وجعلهم يستطرفون خبره (الشكلين) الفقدين يريد أن الرجل اذا عقه ولده ولم يبره فكأنه قد فقده * ومما جاء فى العقوق كان جرير الشاعر أعق الناس بأبيه وكان بلال ابنه كذلك فراجع جرير بلالا فى الكلام فقال له بلال الكاذب بينى و بين نائك أمه فأقبلت امه عليه وقالت ياعدو الله تقول هذا لابيك فقال جرير دعيه فكأنه سمعها منى وأنا اقولها لابى وممن شهر عنه العقوق بوالديه الحطيئة الشاعر قال يهجو أباه

لحاك الله ثم لحاك حقا * أبا ولحاك من عم وخال

فبئس الشيخ أنت لدى المخازى * وبئس الشيخ أنت لدى المعالى

جمعت اللؤم لاحياك ربى * وأبواب السفاهة والضلال

وقد تقدم هجو نفسه وأمه وممن هجا أباه وغيره على بن بسام وما سلم من هجائه أمير ولا وزير ولا كبير ولا صغير ومما قال فى أبيه

هبك عمرت عمر عشرين نسرا * أترى اننى أموت وتبقى

فلئن عشت بعد موتك يوما * لأشقن جيب مالك شقا

﴿وقال فيه أيضا﴾

بعثت لا ستهديك عيرا ولم أكن * علمت بان العير صار لما صهرا

وكنت مع اشتيار شهده وانتشاق رنده أشهد مشاجر الخصوم وأسفر بين المعصوم منهم والموصوم فبينما القاضى جالس للاسجال فى يوم المحفل والاحتفال اذ دخل شيخ بالى الرياش بادى الارتعاش فتبصر المحفل تبصر نقاد ثم زعم ان له خصما غير منقاد فلم يكن الا كضوء شرارة أو وحى اشارة حتى أحضر غلام كأنه ضرغام فقال الشيخ ايد الله القاضى وعصمه من التغاضى ان ابنى هذا كالقلم الردى والسيف الصدى يجهل أوصاف الانصاف ويرضع اخلاف الخلاف ان أقدمت أجم واذا أعربت أعجم وان أذكيت أخمد ومتى شويت رمد مع أنى كفلته مذ دب الى أن شب وكنت له ألطف من ربى ورب فأكبر القاضى ما شكا اليه وأطرف به من حواليه ثم قال أتشهد ان العقوق احد الثكلين

﴿ذكر ذم العقوق﴾

فوجه به كي نشترك في ركوبه * فتركبه بطنا وأركبه ظهرا

وقال فيه أيضا

شدت دارا خلتها مكرمة * سلط الله عليها الغرقا
وأرا نيك صريعا وسطها * وأرانيها صعيدا زلقا

﴿وقال فيه أيضا﴾

بنى أبو جعفر دارا فشيدها * ومثله لخيار الدور بناء
فالجوع داخلها والذل خارجها * وفي جوانبها بؤس وضراء
ما ينفع الدار من تشييد حائطها * وليس داخلها خبز ولا ماء

وكذب كان أبو جعفر محمد بن نصر بن منصور بن بسام في نهاية السودد والمروأة والنظافة رجل مترف نبيل المركب مليح الملبس ظريف الغلمان له همة في تشييد البنيان ومارثاه ابن الرومي به يدل على كذب ابنه قال ابن الرومي فيه

أودى محمد بن نصر بعدما * ضربت به في جوده الامثال
مالك تنافست العلا في عمره * وتنافست في موته الآجال
من لم يعاين سير نعش محمد * لم يدر كيف تسير الاجبال
وذخرته للدهر أعلم انه * كالحصن فيه لمن يؤل مآل
وقنعت نفسي بروح رجائه * زمنا طويلا والتمتع مال
ورأيته كالشمس ان هي لم تنل * فالرفق منها والضياء ينال
لهفي لفقدك يا محمد انه * فقدت بك النجدات والابطال
بالله أقسم ان عمرك ما انقضى * حتى انقضى الاحسان والاجمال

ولابن القاسم يعزي أبا القاسم بن وهب في ابن مات له

قل لابي القاسم بن وهب * أتى بك الدهر للعجائب
مات لك ابن وكان زينا * وعاش ذو الشين والمعايب
حياة هذا كموت هذا * فليس تخلو من المصائب

وقد تقدم هجوه في أخيه ومن حسن التعطف على الابن العاق قول ابراهيم الصابي وكان ابنه يعقه

أرضى عن ابني اذا ما عقني حذرا * عليه أن يغضب الرحمن من غضبي
ولست أدري بم استحققت من ولدي * اسخان عيني وقد أقررت عين أبي

ولرب عقم أقر للعين فقال الغلام وقد امعضه هذا الكلام والذي نصب القضاة للعدل وملكهم اعنة الفضل والفصل انه ما دعا قط الا امنت ولا ادعى الا آمنت ولا لبى الا واحرمت ولا أورى الا وأضرمت بيد أنه كمن يبغي بيض الانوق ويطلب الطيران من النوق فقال له القاضي وبم أعنتك

(قوله ولرب عقم) العقم أن لا تلد المرأة (أمعضه) أوجعه وأغضبه وأمعض من ذلك وامتعض غضب وشق عليه وأوجعه (ادعى) نسب لنفسه ما شاء وفلان مدع وفعله الدعوى (آمنت) صدقت ما ادعاه (لبى) من تلبية الحاج اذا صاح لبيك لبيك (أحرمت) صرت محرما (أورى) أظهر له النار من الزند (أضرمت) أوقدت (بيد) غير (الانوق) ذكر الرخم ولا بيض له فكأنه طلب امرا لا يكون أبدا ومثله طلب الابلق العقوق والابلق الذكر والعقوق من الخيل التي امتلأ بطنها من حملها يقال للانثى قد أعقت وهي معق وعقوق فكأنه طلب امرا لا يكون أبدا لانه لا يكون الابلق عقوقا ويقال ان رجلا سأل معاوية أن يزوجه امه هندا فقال أمرها اليها وقد أبت أن تتزوج قال فولني مكان كذا وكذا فقال معاوية متمثلا

طلب الابلق العقوق فلما * لم ينله أراد بيض الانوق

والانوق طائر أبيض في شواهق الجبال فبيضها في حرز لا يطمع فيه فمعناه طلب ما لا يكون وأما طلب الطيران من النوق فمثل الاول وهو لا يمكن (قوله أعنتك) أي أتعبك وكلفك ما يشق عليك من عنت البعير يعنت عنتا اذا حدث في رجله كسر بعد الجبر فلم يمكنه التصرف الا بمشقة قال

أبو عبيد رحمه الله أعنته أضرّ به والعنت الضرر قال وأعنته ايضا أهلكه وقال أحمد بن عبيد أعنته شدد عليه والعنت التشديد * ابن عزيز عنت هلاك وأصله المشقة والصعوبة ومنه قولهم أكمة عنوت اذا كانت صعبة المسلك وقوله تعالى لأعنتكم أى لاهلككم ويجوز أن يكون المعنى لشدد عليكم وتعبدكم بما يصعب أداؤه عليكم كما فعل بمن قبلكم (امتحن) ابتلى (صفر) خلا (منى) بلى (الامحال) الجدب والفقر (يسومنى) يكلفنى (أتملظ بالسؤال) أى أكثر الكلام به والتملظ تتبع ما بقى فى الفم من الطعام باللسان بعد الاكل (سحب) جمع سحابة (النوال) العطاء قال ابن الانبارى رحمه الله النول والنوال المنفعة والحظ ونلت الرجل اذا نفعته وانلته حظا ونالنى فلان نفعنى وقولهم ما كان نولك أن تفعل كذا أى ما كان لك منفعة فى هذا الفعل ونولك منصوب خبر كان وأن اسم كان أو بالعكس (يفيض) يسيل ويكثر (شربه) ماؤه وأراد به ماله (غاض) جف (انهاض) انكسر (أشرب) روى وسقى (الحرص) كثرة الطمع والطلب للدنيا و(الشره) الحرص الكثير (متخمة) مفسدة و(المسئلة) سؤال ما فى أيدى الناس (ملأمة) لؤم (فلق) شق من بين شفتيه (نحت) نجر أراد انشاء قصائده و(القوافى) من قفوت الشئ اذا تبعته وسميت بذلك لاتباع بعضها بعضا (القل) القلة (المتراقى) المرتفع (لبدتيه) شعر متلبد على كفله وبين كتفيه (ناب) نزل (فاقة) فقر (أغمض) أى استره واغفل عنه و(المحيا) الوجه (خولك) ملكك (الناظر) سواد العين فيريد انه اذا وقع فى عينيه قذى وهو السقط على شدة اذايته احتمله الحر الكريم وصبر عليه وأخفاه من ناظريه تجلدا أى أخفى أذى بعض العينين عن بعض وهذا غاية فى المبالغة (ديباجه) ثوبه والديباج ثوب رفيع (ديباجتيه) خديه وقيل ديباجة الخد حسن بشرته و(أخلق) الشئ وأخلقه غيره لازم ومتعد يقول اذا افتقرت وبلى ثوبك فلا تبذل وجهك لاحد ولا تهنه بالسؤال وهذا من قول حبيب

ذل السؤال شجا فى حلق معترض * من دونه شرق من خلفه جرض

ما ماء كفك ان جادت وان بخلت * من ماء وجهى اذا أفنيته عوض

(وقال فى ابن الزيات)

أعطى ونطفة وجهى فى قرارتها * يصونها الوجنات الغضة القشب

يقول لم يخلق وجهى بسؤال فوجهى غض جديد والنطفة ماء الوجه الذى نهى الحريرى عن اراقته حين قال ولا ترق ماء المحيا ولو * خولك المسؤل ما فى يديه

قال الصولى كان حبيب رحمه الله لا يحجب هاجيا ترفعا عنه فانحدر الى البصرة والاهواز يمدح من بهما فكتب اليه عبد الصمد بن المعذل

أنت بين اثنتين تبرز للنا * س بكلتيهما بوجه مذال

لست تنفك طالبا لوصال * من حبيب أو طالبا لنوال

أى ماء لحر وجهك يبقى * بين ذل الهوى وذل السؤال

فلما قرأ الشعر قال قد شغل هذا ساميه ولا أرب لنا فيه (وحكى) الاصبهانى قال جمع مجلس أبا تمام وعبد الصمد وكان عبد الصمد سريع القول وفى أبى تمام بطء فأخذ عبد الصمد قرطاسا وكتب أنت بين اثنتين الابيات ورمى بها الى أبى تمام فأخذه وخلا به طويلا وجاء وقد كتب فيه

أفى تنظم قول الزور والفند * وأنت أنزر من لا شئ فى العدد

أسرجت قلبك من بغض على حرق * كأنها حركات الروح فى الجسد

فقال له عبد الصمد يا ماص بظر أمه أخبرنى عن لا شئ فى العدد كيف يكون وعن قولك أسرجت قلبك أعيبه أو خرج فأسرجه عليك لعنة الله فانقطع أبو تمام انقطاعا مارىء مثله وحكاية الصولى

وامتحن طاعتك قال انه مذ صفر من المال ومنى بالامحال يسومنى أن أتملظ بالسؤال واستمطر سحب النوال ليفيض شربه الذى غاض وينجبر من حاله ما انهاض وقد كان حين اخذنى بالدرس وعلمنى ادب النفس اشرب قلبى ان الحرص متعبة والطمع معتبة والشره متخمة والمسئلة ملأمة ثم أنشدنى من فلق فيه ونحت قوافيه

ارض بأدنى العيش واشكر عليه
شكر من القل كثير لديه
وجانب الحرص الذى لم يزل
يحط قدر المتراقى اليه
وحام عن عرضك واستبقه
كما يحامى الليث عن لبدتيه
واصبر على ما ناب من فاقة
صبر أولى العزم وأغمض عليه
ولا ترق ماء المحيا ولو
خولك المسؤل ما فى يديه
فالحر من ان قذيت عينه
أخفى قذى جفنيه عن ناظريه
ومن اذا أخلق ديباجه
لم يرأن يخلق ديباجتيه

أولى بالصحة من هذه وليس عبد الصمد من رجال أبي تمام ولا له من التصرف في أنواع الشعر ما لأبي تمام وصنع البديع وقف عليه ولو صحت الحكاية فلا يحكم بالندرة لكن يحكم بالجملة واستعمال ديوان حبيب في مجالس العلماء شاهد على فضله على أن ما جمعنا العبد الصمد في هذا الكتاب غاية في بابه فلنرجع الى ماقيل في ذل السؤال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وعنده ما يغديه أو يعشيه فانما يستكثر من جمر جهنم وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما حسبك من السؤال أنه يضعف لسان المتكلم ويكسر قلب الشجاع البطل و يوقف الحر الكريم موقف العبد الذليل ويذهب بنضرة اللون و يمحو الحسب ويحبب الموت ويمقت الحياة * الاصمعي رحمه الله سمعت اعرابيا يقول المسئلة طريق المذلة تسلب الشريف عزه والحسيب حسبه وقال معاوية لعبد الله بن الزبير أنشدني ثلاثة أبيات غريبة فقال أنشدكها بثلاثين ألفا فدفعها الي فقال حتى تنشد فأسمع فانشده أبيات الافوه الازدي

بلوت الناس قرنا بعد قرن * فلم أر غير ختل أو قتال
ولم أر في الخطوب أشد ضرا * وآذى من معاداة الرجال
وذقت مرارة الاشياء طرا * فما شئ أمر من السؤال

ثم قال له قد اسمعتك وأنت الحكم فحكم له وأمر له بثلاثين ألفا و ينظر الى ما نسبه ابن المعدل لحبيب من اضافة ذل الهوى لذل السؤال ما اضافه له علي بن الجهم من ذل الاعتذار وقال يعتذر للمتوكل

ان ذل السؤال والاعتذار * خطة صعبة على الاحرار
ليس من باطل يرددها المر * ولكن سوابق الاقدار
فارض للسائل الخضوع وللقا * رف ذنبا بذلة الاعتذار
ان تجافيت منعما كنت أولى * من تجافى عن الذنوب الكبار
أو تعاقب فأنت أعرف بالله وليس العقاب منك بعار

قال فعبس الشيخ واكفهر واندرأ على ابنه وهر وقال له صه ياعقق يامن هو الشجا والشرق ويك أتعلم أملك البضاع وظئرك الارضاع لقد تحككت العقرب بالافعى واستنت

وقال أيضا

هي النفس ما حملتها تتحمل * وللدهر أيام تجور وتعدل
وعاقبة الصبر الجميل جميلة * وأكمل اخلاق الرجال التفضل
ولا عار ان زالت عن المرء نعمة * ولكن عارا ان يزول التجمل
وما المال الاحسرة ان تركته * وغنم اذا قدمته متعجل

(قوله اكفهر) اشتد عبوسه ووجه مكفهر منقبض كالح لا يرى فيه أثر بشر ولا فرح (اندرأ) اندفع (على ابنه) بالشتم (هر) كشر وجهه وعبسه (صه) اسكت (ياعقق) يا كثير العقوق و يقال عق أباه يعقه عقوقا فهو عاق و يعدل الى عقق للمبالغة كعامر وعمر وعق أباه لم يطعه وقطع رحمه ولما قتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنه مر به أبو سفيان فطعنه بالرمح في شدقه وقال ذق عقق أي ذق جزاء فعلك ياعقق والعق القطع والشق وقال عليه الصلاة والسلام ثلاثة لا يدخلون الجنة العاق لوالديه والديوث ورجلة النساء (قوله الشجا) الاختناق بالطعام و(الشرق) بالماء والطعام والشراب بهما قوام العيش فاذا عرض فيهما ذلك فقد عرضت مشقة وأذية في موضع الالتذاذ وكذلك الولد العاق وهو أذية في موضع راحة وما أحسن قول القائل

قرابة السوء داء سوء * فاحمل أذاهم تعش حميدا
فمن تكن قرحة بفيه * يصبر على مصه الصديدا

(البضاع) النكاح والجماع (ظئرك) مرضعتك (تحككت) لصقت بها وحلقت حواليها (استنت) جرت متتابعة في سنن وهو الطريق والمذهب ومنه فلان يستن أي يجري على أي أمر شاء لا يزجره عنه زاجر وقيل استنت أي سمنت من قولهم سن الراعي ابله اذا أحسن رعيها فاسمنها فكأنه حسنها

وصقلها

الفصال حتى القرعى ثم
كانه ندم على مافرط من فيه
وحدته المقة على تلافيه
فرنا اليه بعين عاطف
وخفض له جناح ملاطف
وقال له ويك يا بنى ان من
أمر بالقناعة وزجر عن
الضراعة هم أرباب
البضاعة وأولو المكسبة
بالصناعة فاماذوو
الضرورات فقد استثنى
بهم فى المحظورات وهبك
جهلت هذا التاويل ولم
يبلغك ماقيل ألست الذى
عارض أباه فيما قال وماحاباه
لاتقعدن على ضر ومسغبة
لكى يقال عزيز النفس
مصطبر
وانظر بعينك هل أرض
معطلة
من النبات كارض حفها
الشجر
فعد عما تشير الاغبياء به
فاى فضل لعود ماله ثمر
وارحل ركابك عن ربع
ظمئت به
الى الجناب الذى يهمى به
المطر
واستنزل الرى من در
السحاب فان
بلت يداك به فليهنك الظفر

(ذكر فضل المال)

وصقلها (القرعى) التى يصيبها القرع فى رأسها والقرعى جمع قريع مثل مرضى ومريض وهذه أمثال تضرب لمن يتشبه بغيره ولا يقوى قوته (فرط) سبق (حدته) ساقته (المقة) المحبة (تلافيه) تداركه بالعطف عليه (رنا) نظر (عاطف) راحم (ملاطف) أى رفيق به أى حسن كلامه وأنسه و (خفض الجناح) يكنى به عن لين الجانب (ويك) عجبا لك (زجر) نهى (الضراعة) التذلل وضرع ضراعة فهو ضارع وتضرع تذلل وتخشع (البضاعة) التجارة (المحظورات) الممنوعات وأراد بالاستثناء ما أحل الله من المحرمات لاهل الضرائر ويروى سوّغوا فى المحظورات أى رخصوا لهم فيها (هبك) احسبك (التأويل) التفسير (ولم يبلغك ماقيل) يعنى فى اباحة السؤال للمضطر وهو قول الناس الضرورات تبيح المحظورات ويصدقه قوله تعالى فمن اضطر فى مخمصة الآية وقال عليه الصلاة والسلام انما المسئلة كدوح يكدح بها أحدكم وجهه الامسئلة من ذى سلطان أو فى أمر لابد منه (عارضه) قابله بنقيض ماقاله (حاباه) اختصه بهذه الوصية أى جعل هذا الشعر وصية لمن سمعه ويقال حابى فلان فلانا اذا مال اليه واتصل به أخذ من حبى السحاب وهو السحاب الذى يدنو بعضه من بعض وقيل حباه خصه بالميل أخذه من الحبوة وهى العطية يحبوها الرجل صاحبه ويخصه بها قال اليزيدى ثلاثة ان لم تظلمهم ظلموك ابنك وزوجك وخادمك (مسغبة) جوع (حفها) حلقها يريد أن الارض ذات الخصب تقصد لما فيها من الارزاق والارض المعطلة من النبات وهى الجدبة يفرعنها وكذلك الغنى يكرم لماله والفقير يهجرونها * ومما جاء فى فضل المال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمجاشعى ان كان لك مال فلك حسب وان كان لك خلق فلك مروءة وان كان لك دين فلك كرم وقال حكيم لابنه يا بنى أوصيك عليك بطلب المال فلو لم يكن الا أنه عز فى قلبك وذل فى قلب عدوك وقال آخر لابنه يا بنى أوصيك باثنتين لن تزال بخير ما تمسكت بهما درهمك لمعاشك ودينك لمعادك وكان سعد بن عبادة يقول اللهم ارزقنى حمدا ومجدا فانه لامجد الا بفعال ولا فعال الا بمال وقالوا المال آلة للمكارم وعون على الزمان ومتألف للاخوان ومن فقده قلت الرغبة اليه والرهبة منه قال سفيان الثورى المال سلاح المؤمن فى هذا الزمان وكان لاحيحة بن الجلاح بالزوراء ثلثمائة ناضح فدخل بستانا له فمر بتمرة فلقطها فليم على ذلك فقال تمرة الى تمرة تمرات وجمل الى جمل ذود ثم أنشد يقول

انى مقيم على الزوراء أعمرها * ان الحبيب الى الاخوان ذو المال
استغن أومت ولايغررك ذو نسب * من ابن عم ومن عم ومن خال
كل النداء اذا ناديت يخذلنى * الا النداء اذا ناديت يامالى

(وقال عروة بن الورد)

ذرينى للغنى أسعى فانى * رأيت الناس شرهم الفقير
وأدناهم وأهونهم عليهم * وان أمسى له حسب وخير
يباعده القريب وتزدريه * حليلته ويقهره الصغير
ويلقى ذو الغنى وله جلال * يكاد فؤاد لاقيه يطير
قليل ذنبه والذنب جم * ولكن للغنى رب غفور

ومن أمثال بغداد المال المال وماسواه محال (قوله الاغبياء) الجهال وأراد بهم الذين يأمرون بالبخل (ظمئت) عطشت و (الركاب) الابل (والجناب) الجانب والناحية (يهمى) يسيل و (الرى) الشبع من الماء والصوب وقع الماء و (الظفر) الفوز بالحاجة يقول فارق أرضك واغترب فى طلب المال واسأل الكرماء يعطوك وقال الشاعر

سأعمل نص العيس يوما لكفنى * غنى المال يوما أو غنى الحدثان

فالموت خير من حياة يرى بها * على المرء بالاقلال وسم هوان
اذا قال لم يسمع لحسن مقاله * وان لم يقل قالوا عديم بيان
كان الغنى فى أهله يجعل الفتى * بغير لسان ناطقا بلسان

وأشار بقوله (قد رده موسى قبل والخضر) الى قوله تعالى حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا ان يضيفوهما وفى نسب الخضر اختلاف منهم من جعله من قابيل بن آدم ومنهم من يجعل بينه وبين سام بن نوح خمسة آباء ويجعله من ذرية سام وقال عليه الصلاة والسلام انما سمى خضرا لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هى تهتز خضرة والفروة الارض البيضاء وقصته مع موسى مشهورة وقيل ان موسى صاحبه غير موسى بن عمران وقال موسى للخضر حين فارقه عظنى فقال لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك فكم ذهب بأمل صادق فخيب وقد ذهب بأمل كاذب فتصيب وتذهب للعقير وتدرك الجليل وقد ذهب موسى ليقتبس نارا فكلمه ربه وقد تقدم هذا قال ابن عبد ربه مما جبل عليه الحر الكريم أن لا يقنع من شرف الدنيا والآخرة بشئ مما انبسط له من أمر الدنيا بل يكون أمله فيما هو أسنى درجة وأرفع مرتبة ولذلك قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وهو عامل بالمدينة لرعين الراجز ان لى نفسا تواقة فاذا بلغت انى صرت الى أشرف من منزلتى فأتنى فلما صار خليفة أتاه فقال أنا أعلمتك أن لى نفسا تواقة وان نفسى تاقت الى أشرف الدنيا منزلة فلما بلغتها وجدتها تتوق الى أشرف الآخرة منزلة ومن الشاهد ان موسى عليه السلام لما كلمه ربه تكليما سأله النظر اليه اذ كان ذلك لو وصل اليه أشرف من المنزلة التى نالها فالحر الكريم لا يقنع بمنزلة الا رجا أشرف منها قال ومن قولنا فى هذا المعنى

لا يكتفى أبدا من نيل منزلة * حتى ينال التى من دونها العطب
سعى له أمل من دونه أجل * ان كفه رهب يدعو به رغب
كذاك ماسأل موسى ربه أرنى * أنظر اليك وفى تسآله عجب
يبغى التزيد فيما نال من كرم * وهو النجى لديه الوحى والكتب

وقال حبيب ذرينى وأهوال الزمان أقاسها * فأهواله العظمى تليها رغائبه

(قوله تحليه) تزينه وقوله (أتميما مرة وقيسا أخرى) مثل يضرب لمن يتناقض فيما يقول تقديره أتنسب مرة لتميم وتنسب مرة لقيس وتميم وقيس قبيلتان عظيمتان وبينهما أبدا مكافحات ومقاتل وتميم هذا ابن مرة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وقيس ابن الياس قال أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا الدرداء اذا فاخرت ففاخر بقريش واذا كاثرت فكاثر بتميم واذا حاربت فحارب بقيس الا ان وجهها كنانة ولسانها أسد وفرسانها قيس ألا ان لله فرسانا فى سمائه وهم الملائكة وفرسانا فى الارض وهم قيس وان آخر من يقاتل على الاسلام حين لا يبقى الا ذكره ومن القرآن الا رسمه رجل من قيس قلت يا رسول الله من أى قيس قال من سليم وفى البديعية

ان حالى مع الزما * ن كحالى مع النسب
أنا أضحى مع النبيط * وأمسى مع العرب
نسبى فى يد الزما * ن اذا ساقه انقلب

وقال زفر بن الحرث لعمرو بن حطان أزيديا مرة وأوزاعيا أخرى وقال عمرو بن حطان

فاعذر أخاك ابن زنباع فان له * فى النائبات خطوبا ذات ألوان
يوما يمان اذا لاقيت ذا يمن * وان لقيت معديا فعدنانى

وقال آخر أفى الولائد أولادا لواحدة * وفى العيادة أولادا لعلات

(قوله يتلون) أى يتغير ويتنوع و(الغول) ساحرة الجن وهو يتصور فى صور شتى وأخذه من قول كعب بن زهير فما تدوم على حال تكون به * كما تلون فى أثوابها الغول

وان رددت فما فى الرد منقصة عليك قد رد موسى قبل والخضر
قال فلما أن رأى القاضى وتحليه بمجالس من أهله نظر اليه بعين غضبى وقال أتميما مرة وقيسا أخرى أف لمن ينقض ما يقول ويتلون كما تتلون الغول

(تنافى قول الفتى وفعله)

وتزعم العرب انه اذا انفرد رجل فى الصحراء ظهرت له فى خلقة انسان ولا يزال يتبعها حتى يضل الطريق فتدنو منه وتتمثل فى صور مختلفة فتهلكه روعا واذا أرادت أن تضل الناس أوقدت نارا فيبصرها السارى فيقصدها فتفعل ذلك وتروعه فان كان الذى يأتيها شجاعا مقداما تحامل وتبعها فاذا رأت ذلك لم تضره وجلس يصطلى بنارها وهى معه وقال تأبط شرا

وأدهم قد جبت جلبابه * كما اجتابت الكاعب الخيعلا
الى ضوء نار تنورتها * فبت لها مدبرا مقبلا
فامسيت والغول لى جارة * فيا جارتا أنت ما أهولا
فمن يك عن جارتى سائلا * فان لها باللوى منزلا

قال أبو عمرو رحمه الله بات تأبط شرا ليلة ذات ظلمة ورعد وبرق بواد يقال له رحى بطان فلقيته الغول وهو سبع من سباع الجن فما زال يقاتلها حتى قتلها فقال

ألا من مبلغ فتيان فهم * بما لاقيت عند رحى بطان
فانى قد رأيت الغول تهوى * بسهب كالصحيفة صحصحان
فشدت شدة نحوى فاهوى * لها كفى بمصقول يمان
لها عينان فى رأس قبيح * كرأس الهر مشقوق اللسان
وساق مخدج وسوار كاب * وثوب من عباة أو شنان

قالوا وخلقتها خلقة انسان ورجلاها رجلا حمار فاذا صاح بها الرجل رجلى حمار نهقت نهيقا لا تخطئ السبسب والطريق وفرت منه وانظر فى التاسعة والاربعين ذكر القطرب وفيه شئ مستظرف (قوله فتاحا) أى حاكما وافتح بيننا أى احكم بيننا والفتاح الناصر والفتح النصر والحاكم ينصر المظلوم (أسيت) حزنت (صدئ ذهنى) أى تغطى بالغفلة من الصدا وهو ما يعلوه من الدرن و (صديت) غير مهموز أصدى صدى وأراد مذاقة قرت علا فى الوسع وصحبنى النسيان (الفتح) الكثير الفتح الواسع الذى لا يغلق فى وجه قاصده (السرح) الكثير الذى يسرح صاحبه فى أنواع الجود والسرح السهل السريع وناقة سروح مسرعة فى سيرها (يتبرع) يتفضل بجوده متطوعا وتبرع تطوع (اللهى) العطايا (ها) معناها خذ وتناول وذكر أبو محمد هذه اللفظة فى الدرة فقال ويقولون لمن تناول شيأ ها بقصر الالف فيلحنون فيها لان الالف ممدودة كما جاء فى الحديث الذهب بالذهب ربا الا هاء وهاء ويجوز فيه فتح الهمزة وكسرها مع المد ولا تقصر الا اذا اتصلت بها كاف الخطاب فيقال هاك كما يروى أن عليا رضى الله عنه آب الى فاطمة رضى الله عنها من بعض مواطن الحروب وسيفه يقطر دما فقال * أفاطم هاك السيف غير مذمم * وعند النحويين أن المد فيها بدل من كاف الخطاب لان أصل وضعها ان تقترن كاف الخطاب بها فاسقاطها أبو محمد هنا مقصورة بغير كاف ووقع فيما زعم انه لحن فان قيل لعلها لما وقعت فى فقرة موقوف عليها يحتمل فيها ذلك فنقول انه قد أردفها على فقرة قبلها مقصورة باجماع وهى اللهى فسواها معها على أن أهل اللغة حكوا فى اللفظة أربع لغات ها مقصورة كما فى المقامة وهاء ساكن الهمزة وهاء بالمد مع فتح الهمزة وكسرها وسمع رجل أبا العتاهية ينشد

فانظر بطرفك حيث شئت * فلن ترى الا بخيلا

فقال قد بخلت الناس كلهم فقال كذبنى أنت بواحد منهم سخى (قوله مه) أكفف (الخواطئ) السهام تخطئ الغرض وهذا مثل يضرب لمن يكثر الخطا ويأتى أحيانا بالصواب (خالب) خادع (شمت) البرق نظرت سحابه أين يمطر (أعظم) جعله عظيما (والحريق) ما تحرقه النار من الحشيش والعيدان وناره ضعيفة لا تدوم و (السمك) كبش الماء فلا يستوى الا على نار قوية فرب ما شوى سمكته ما دام لهب النار موجودا فاذا سكن اللهب لم يتمكن من شيها لعدم الجمر فى الحريق فيريد أنه حرض القاضى

فقال الغلام والذى جعلك مفتاحا للحق وفتاحا بين الخلق لقد أسيت منذ أسيت وصدئ ذهنى مذ صديت على أنه أين الباب الفتح والعطاء السرح وهل بقى من يتبرع باللهى واذا استطعم يقول ها فقال له القاضى مه فمع الخواطئ سهم صائب وما كل برق خالب فميز البروق اذا شمت ولا تشهد الا بما علمت فلما تبين للشيخ أن القاضى قد غضب للكرام وأعظم تبخيل جميع الانام علم أنه سينصر كلمته ويظهر أكرومته فما كذب أن نصب شبكته وشوى فى الحريق سمكته وأنشأ يقول

يا أيها القاضي الذي علمه
وحلمه أرسخ من رضوى
قد ادعى هذا على جهله
ان ليس في الدنيا أخو جدوى
وما درى أنك من معشر
عطاؤهم كالمن والسلوى
فجد بما يثنيه مستخزيا
مما افترى من كذب الدعوى
وأنثني جذلان أثني بما
أوليت من جدوى ومن
عدوى
قال فهش القاضي لقوله
وأجزل له من طوله ثم لفت
وجهه الى الغلام وقد
نصل له أسهم الملام وقال
له أرأيت بطل زعمك وخط
وهمك فلا تعجل بعدها بذم
ولا تنحت عودا قبل عجم
واياك وتأبيك عن مطاوعة
أبيك فانك ان عدت تعقه
حاق بك مني ما تستحقه
فسقط الفتى في يده ولاذ
بحقو والده ثم نهض يحفد
وتبعه الشيخ ينشد
من ضامه أو ضاره دهره
فليقصد القاضي في صعده
سماحه أزرى بمن قبله
وعدله أتعب من بعده

بالشعر على الكرم حين اهتز للكرام وغضب من بخلهم فهزه بهذا الشعر ليجود عليه قبل ان يسكن فربما يبدو له أن لا يجود (أرسخ) أثبت (رضوى) جبل بالمدينة سهل مشتق من الرضوان كان الذي يصعده راض عنه لقلة المشقة في صعوده (أخو جدوى) صاحب عطية وكرم (المن والسلوى) طعام كان ينزل على بني اسرائيل وقيل المن الترنجبين والسلوى السماني وهو طائر (يثنيه) يرده (مستخزيا) صاغرا خاضعا وروى مستخذيا والخذية الاستحياء أو يكون بمعنى مهانا والخزي الهوان (افترى) كذب واستبعد (أنثني جذلان) ارجع فرحا (أوليت) أعطيت (جدوى) اعانة أي ارجع بالجدوى وبا عانتك لي عليه حتى يتوب من عقوقه (هش) فرح (أجزل) أكثر (طوله) افضاله وهباته و(لفت) رد (نصل) جعل له نصالا وأنصلها نزع نصالها والنصل حديدة السهم (بطل زعمك) أي بطلان قولك (وهمك) ظنك (تنحت) تنجر (عجم) اختبار اي حتى تعلم هل هو قوي أو ضعيف يقول لا تعتب أحدا حتى تجربه (قوله واياك وتأبيك عن مطاوعة أبيك) أي احذران تمتنع عن مطاوعة والدك فانك ومالك لابيك * جابر رضي الله عنه جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان أبي أخذ مالي فقال له اذهب فأتني به فأوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل الشيخ عن شئ في نفسه قاله في شأن ابنه فلما جاء الشيخ قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما بال ابنك يشكوك أتريد أن تأخذ ماله فقال سله يارسول الله هل نفقته الا على نفسي أو على احدى عماته أو خالاته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم دعني من هذا أخبرني عن شئ قلته في نفسك ما سمعته أذناك فقال يارسول الله ما زال الله يزيدنا بك يقينا لقد قلت في نفسي شيأ ما سمعته أذناي ثم أنشد يقول

غذوتك مولودا وعلتك يافعا * تعل بما أجني عليك وتنهل
اذا ليلة ضاقتك بالسقم لم أبت * لسقمك الا ساهرا أتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي * طرقت به دوني فعيناي تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وانها * لتعلم أن الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التي * اليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة * كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك اذ لم ترع حق أبوتي * فعلت كما الجار المجاور يفعل

قال فحينئذ أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بتلابيب ابنه فقال أنت ومالك لابيك (قوله حاق) أي نزل تقول حاق به المكروه والشؤم يحيق حيقا نزلا به * ابن عرفة وجبا عليه وألزماه قال الازهري رحمه الله الحيق ما يحيط بالانسان من سوء عمله ومكروه فعله وقوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله أي لا ترجع عاقبة مكرهم الا عليهم (سقط في يده) يقال ذلك للنادم المتحير ويقال سقط في يده وأسقط في يده اذا ندم على فعله وتحسر عليه واليد هنا الندم وقوله سقط الفتى في يده قال جماعة من أهل اللغة صوابه سقط في يده من غير تسمية الفاعل لان الفعل مسند الى المجرور وقال الازهري رحمه الله انما حسن سقط في يده بضم السين غير مسمى فاعله الصلة وهي في يده ومثله قول امرئ القيس

* دع عنك نهبا صيح في حجراته * أي صاح المنتهب في نواحيه وكذلك المراد سقط الندم في يده وقال أبو القاسم الزجاجي سقط في أيديهم نظم لم يسمع قبل القرآن ولا عرفته العرب فيوجد في اشعارها وخفي على الاسلاميين قال أبو نواس * ونشوة سقطت منها في يدي * وأخطأ في استعمالها الان فعلت لا يبنى الا مما يتعدى لا يقال رغبت ولا غضبت انما يقال رغب في وغضب علي (لاذ) لجأ وتستر ولاذ فلان بفلان تستر به ودار حوله وبعضهم يقول ألاذ والاولى هي الغالبة واللواذ مصدر لاوذ ولذا أثبت الواو ولو كان مصدر لاذ لقلت لياذا كقمت قياما (بحقو) بخصر وجمعه أحقاء وحقاء * وحفد يحفد أسرع (ضامه) أذله (ضاره) ضره (أزرى) قصر وتقدم معنى البيت في الرسالة السادسة

(قال الراوي) فحرت بين تعريف الشيخ وتنكيره الى أن احرورف لمسيره فناجيت النفس باتباعه ولوالى رباعه لعلى أظهر على أسراره وأعرف شجرة ناره فنبذت العلق وانطلقت حيث انطلق ولم يزل يخطو وأعتقب ويبعد وأقترب الى أن تراءى الشخصان وحق التعارف على الخلصان فأبدى حينئذ الاهتشاش ورفع الارتعاش وقال من كاذب أخاه فلا عاش فعرفت عند ذلك انه السروجي بلا محالة ولا حول حالة فأسرعت اليه لاصافحه وأستعرف سانحه وبارحه فقال دونك ابن أخيك البر وتركني ومر فلم يعد الفتى ان افتر ثم فر كافر فعدت وقد استبنت عينهما ولكن أين هما

﴿المقامة الثامنة والثلاثون المروية﴾

(حكى الحرث بن همام) قال حبب الي مذ سعت قدمي ونفث قلمي أن أتخذ الادب شرعة والاقتباس منه نجعة فكنت أنقب عن أحباره وخزنة أسراره فاذا ألفيت منهم بغية الملتمس وجذوة المقتبس شددت يدي بغرزه واستنزلت منه زكاة كنزه على أني لم ألق كالسروجي في غزارة السحب ووضع الهناء مواضع النقب الا أنه كان أسير من المثل وأسرى من القمر في المقل وكنت لهوى ملاقاته واستحسان مقاماته أرغب

والعشرين (احرورف) مال وانحرف (ناجيت) حدثت (رباعه) دياره (شجرة ناره) يريد أصل جبلته (أعتقب) أمشي خلفه وأتبع عقبه (تراءى) ظهر و(خلصان) الرجل صديقه الذي خلصت له مودته (الاهتشاش) الطرب والبشر (الارتعاش) الرعدة يريد أن داءه كذب لا حقيقة له (محالة) حيلة (حول) تغير (أصافحه) أعانقه وأسلم عليه (أستعرف سانحه وبارحه) أي أطلب منه أن يعرفني بخيره وشره والسانح من الطير والوحش مار على ناحية يمينك والبارح مار على ناحية يسارك وقيل السانح ما أولاك ميامنه والبارح ما أولاك مياسره وأكثر العرب تتبرك بالسانح وتتشاءم بالبارح وبعضهم يتبرك بالبارح ويتشاءم بالسانح والسانح الذي يمر عليك عن ميامنك الى مياسرك فيمكن للطاعن طعنه وللرامي رميه فالذي يتيمن به يرى أنه رزق حاصل والذي يتشاءم به يرى انه عاطب وهالك والبارح بالضد فالاول يرى انه فائت ورامية خاسر فيتشاءم به والثاني يرى انه سالم غير عاطب فيتيمن به والذين يتيمنون بالبارح ويتشاءمون بالسانح أهل نجد والذين يضادونهم أهل العالية (قوله دونك) أي خذه واقصده (البر) والبار الكثير الاكرام بأبويه (افتر) ضحك (استبنت) عرفت (عينهما) شخصهما وجعله آخر المقامة براً له لموافقته له في الحيل وجرت العادة بان الاب اذا كان نجيبا فالابن بالضد ولهذا قال الشاعر

اذا أطلع الدهر حراً نجيبا * فكن في ابنه سيئ الاعتقاد
فلست ترى من نجيب نجيبا * وهل تترك النار الا الرماد

﴿شرح المقامة الثامنة والثلاثين وهي المروية﴾

(قوله نفث) أي كتب والنفث ما تلقيه من فيك من البصاق الغليظ فشبه ما يلقيه القلم من المداد بالنفث هذا ظاهر اللفظ وانما أراد في المعنى بالقلم ذكره ونفثه منيه فكنى عن البلوغ بذلك فهو يريد وقت الحلم وهو الوقت الذي يقوى فيه على المشي في الاسفار والتصرف كذا فسره لنا بعض حذاق أشياخنا وفسره الفنجديهي على ظاهره فقال معنى مذ سعت قدمي ونفث قلمي مذ قدرت على المشي والكتابة والنظم والنثر (شرعة) طريقة وشريعة وعادة ومعناه أصرف همتي الى علم اللغة والعربية * قال الشافعي رضي الله عنه من تعلم القرآن عظمت قيمته ومن نظر في الفقه نبل مقداره ومن تعلم اللغة رق طبعه ومن تعلم الحساب جزل رأيه ومن كتب الحديث قويت حجته ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه (الاقتباس) الاكتساب وهو افتعال من القبس (نجعة) طلب المرعى أي جعلت طلب الادب لي غذاء ورزقا (أنقب) أبحث (أحباره) علمائه (ألفيت) وجدت (بغية) حاجة (الملتمس) الطالب للشيء باللمس (جذوة) جمرة عظيمة (والمقتبس) الطالب للنار و(الغرز) للرحل كالركاب للسرج ومعنى شددت بغرزه أي تمسكت بركابه وبالغت في خدمته روى ابن عباس رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من أخذ بركاب رجل لا يرجوه ولا يخافه غفر له (غزارة) كثرة و(السحب) جمع سحابة كنى بها عن كثرة العلم (الهناء) القطران و(النقب) جمع نقبة وهو أول ما يبدو من الجرب وهو مثل لمن يضع الشيء في موضعه أراد انه ماهر أي حاذق يعطي كل طالب ما يستحقه ويشفيه من سؤاله لان الجهل في القلب بمنزلة الداء فهذا يوقع بيانه موضع الجهل فيبرأ صاحب ذلك من دائه ووضع الهناء مواضع النقب عجز بيت لدريد بن الصمة وكان خرج فرأى الخنساء الشاعرة تهنأ ذودا لها ثم نضت ثيابها واغتسلت وهو يراها ولا تراه فقال

حيوا تماضر واربعوا صحبي * وقفوا فان وقوفكم حسبي
ما ان رأيت ولا سمعت به * كاليوم طالي أينق جرب
متبذلا تبدو محاسنه * يضع الهناء مواضع النقب

وتماضر اسم الخنساء (قوله أسير من المثل) أي انه لا يستقر يبدو (المقل) يريد انتقاله في المنازل

فلا يقيم بمنزلة سوى ليلة و ينتقل فى الثانيه الى أخرى فاراد أن أبازيد لا يستقر ببلد الا ما يستقر القمر بمنزلة وهى ليلة واحدة بل هو أسرع من القمر فى ذلك وانما خص القمر به لانه أسرع الكواكب نقلة من برج الى برج اذ لا يمكث فى البرج الا يومين أو ثلاثا والبرج منزلتان وثلث والشمس تمكث فى البرج ثلاثين يوما وعطارد يمكث فيه سبعة عشر يوما والمشترى اثنى عشر شهرا وزحل ثلاثين شهرا والمريخ شهرا ونصفا والزهرة سنة وعشرين يوما والرأس والذنب ثمانية عشر شهرا ذلك تقدير العزيز العليم (قوله واستعذب السفر الذى هو قطعة من العذاب) هو حديث صحيح رواه مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم نومه وطعامه وشرابه فاذا قضى أحدكم نهمته من وجهته فليعجل الرجوع الى أهله النهمة بلوغ الهمة والشهوة والحاجة ورجل منهوم بكذا مولع به (قوله تطوحت) يقال تطوح فى البلاد ذهب به ههنا وههنا فأراد بقوله تطوحت أى رميت بنفسى اليها (مرو) بلدة بخراسان جليلة لها قرى ومحلات وتسمى أم خراسان وهى دار خلافة المأمون ومنها خرج أبو مسلم صاحب الدعوة ينسب اليها الثوب مروى والرجل مروزى وهو من شاذ النسب ومن مرو الى مرو خمس مراحل وعلى مرو نهر فوهته بالبابيان وهو جبل عظيم الارتفاع تسيل منه أنهار تخترق بلاد خراسان منها وادى خوارزم مسيرته أربعون يوما ووادى القندهار مسافته شهر ونهر سجستان مسافته شهر ونهر مرو مسافته شهر ونهر هراة مسافته عشرون يوما ونهر بلخ مسافته اثنا عشر يوما وبلخ هى متوسطة خراسان منها الى فرغانة ثلاثون مرحلة مغربا والى سجستان مما يلى القبلة كذلك والى كابول وقندهار كذلك والى خوارزم كذلك وأهل مرو أطبع الناس على البخل ثم أهل خراسان قال ثمامة ما رأيت الديك يأكل فى بلد قط الا وهو يدعو الدجاجة الى الحب و يلفظ الحب اليها الا بمرو فانى رأيته يأكل وحده فعلمت أن لؤمهم كثير جدا وهو فيهم طبع ورأيت بها طفلا صغيرا بيده بيضة فقلت له أعطنيها فقال لى ليست تسعها يدك فعلمت أن المنع طبع مركب فيهم (لا غرو) لا عجب (زجر الطير) التفاؤل بها وفسر الشافعى رضى الله عنه قول النبى صلى الله عليه وسلم أقروا الطير على مكناتها لان الرجل كان فى الجاهلية اذا أراد الحاجة أتى الطائر فى وكره فنفره فان أخذ ذات اليمين مضى لحاجته وان أخذ ذات الشمال رجع فنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال لا عدوى ولا طيرة و يعجبنى الفأل قيل وما الفأل قال كلمة طيبة وزجر الطير التيامن بها والتشاؤم وكان عند العرب قوة زائدة وادراك فينظر الزاجر منهم للطائر ولما يفعل فيستقرى من ذلك ما يتيامن به و يتشاءم منه مثل ما يحكى عن أمية بن أبى الصلت انه كان يشرب مع اخوان له فى قصر غيلان بالطائف اذ سقط غراب على شرف القصر فنعب نعبة فقال له أمية بفيك الكثكث وهو التراب فقال له اخوانه ما يقول قال يقول اذا شربت الكاس الذى فى يدك مت ثم نعب نعبة فقال أمية نحو ذلك فقالوا له وما يقول قال زعم أن علامة ذلك أن يقع على هذه المزبلة تحت القصر فيستثير عظما فيشجى به فيموت فبينما هم يتكلمون اذ وقع الغراب على هذه المزبلة ليلتقط فاستثار عظما فاراد أن يبتلعه فشجى به فمات فانكسر أمية ووقع الكاس من يده وتغير لونه فجعلوا يعيرونه عليه و يقولون ما أكثر ما سمعنا بمثل هذا وكان باطلا فألحوا عليه حتى شرب الكاس فمال فى شق فأغمى عليه ثم أفاق وقال لا برىء فأعتذر ولا قوى فانتصر ثم زهقت نفسه * وحكى المدائنى قال خرج كثير من الحجاز يريد مصر ليزور عزة فلما قرب منها رأى غرابا على شجرة ينتف ريشه فتطير من ذلك فلقيه رجل من بنى لهب فقال يا أخا الحجاز مالك كاسف اللون فذكر له ما رأى فقال انك تطلب حاجة لا تدركها فقدم مصر والناس منصرفون من جنازة عزة فقال

رأيت غرابا ساقطا فوق بانة * ينتف أعلى ريشه و يطايره
فقلت ولو أنى أشاء زجرته * بنفسى للهبى فهل أنت زاجره

فى الاغتراب * واستعذب السفر الذى هو قطعة من العذاب فلما تطوحت الى مرو ولا غرو بشرنى بلقاه زجر الطير والفأل الذى هو بريد الخير *

فقال غراب لاغتراب من النوى * وفى البان بين من حبيب تجاوره
فما أعيف اللهبى لادر دره * وأزجره للطير لا طار طائره

وممن زجر لنفسه بشر ذو الرمة فقال

رأيت غرابا ساقطا فوق قضبة * من القضب لم ينبت لها ورق خضر
فقلت غراب لاغتراب وقضبة * لقضب النوى تلك العيافة والزجر

وممن زجر بخير أبو حية حين قال

وقال صحابى هدهد فوق بانة * هدى وبيان بالنجاح يلوح
وقالوا دم دامت مواثيق بيننا * فدام لنا حلو الصفاء صريح
وقالوا حمامات فحم لقاؤها * وطلح فزيرت والمطى طلوح

*ومن ملح الزجر زجر أبى نواس وذلك انه استخفى عنه أصحابه وكان لا يفارقهم ووجهوا رسولا اليه فرمى له ظهر قرطاس من وراء الباب غير مكتوب وخرموه بزر وختموه بقار وأمروا الرسول أن يرمى اليه الكتاب من وراء الباب فاستعلم موضعهم وتعرف حالهم وكتب اليهم

زجرت كتابكم لما أتانى * بمر سوانح الطير الجوارى
نظرت اليه مخروما بزر * على ظهر ومختوما بقار
فعفت الظهر أهيف قرطقيا * يحار الطرف منه باحورار
وكان الزر ذا شدو مصيب * وقار الختم من قار العقار
فطرت اليكم يا أهل ودى * بقلب من هواكم مستطار
فكيف ترونني وترون زجرى * ألست من الفلاسفة الكبار

وما أحسن قول ابن قاضى ميلة وجمع الوصفين

ولما التقينا محرمين وسيرنا * بلبيك يطوى والركائب تعسف
فقلت لتربيها ابلغاها بأننى * بها مستهام قالتا نتلطف
تفاءلت فى أن يطو طارق الهوى * بأن عن لى منها البنان المطرف
وأماد ماء الهدى فهو تواصل * يدوم ورأى فى الهوى يتألف
وفى عرفات ما يخبر أننى * بعارفة من نيل وصلك أسعف
وتقبيل ركن البيت اقبال دولة * لنا وزمان بالمودة يعطف
وأبلغتها ما قلته فتنهدت * وقالت أحاديث العيافة زخرف
لئن كنت ترجونى منى الفوز بالمنى * فبالخيف من أعراضنا نتخوف
وقد أنذر الاحرام أن وصالنا * حرام وانا عن مرادك نصرف
فهذا وقذفى بالحصا لك منذر * بان النوى لى عن ديارك يقذف
فبادر ضارى ليلة النفر انه * سريع وقل من بالعيافة أعرف

فلم أزل أنشده فى المحافل وعند تلاقى القوافل فلا أجد عنه مخبرا ولا أرى له أثرا ولا عثيرا حتى غلب اليأس الطمع وانزوى التأميل وانقمع فانى لذات يوم بحضرة والى مرو وكان ممن جمع الفضل والسرو اذ طلع أبو زيد فى خلق مملاق وخلق ملاق فحيا تحية المحتاج اذا لقى رب التاج ثم قال له اعلم وقيت الذم وكفيت الهم أن من عذقت به الاعمال أعلقت به الآمال ومن رفعت له الدرجات رفعت اليه الحاجات وأن السعيد من اذا قدر

(قوله أنشده) أى أطلبه و(المحافل) الجموع و(القوافل) الرفاق الرواجع (عثيرا) غبارا (اليأس) قطع الرجاء (انزوى) انقبض (التأميل) الترجى وهو مصدر أمل الخير أى ترجاه (انقمع) انكف (السرو) السيادة (مملاق) فقير (ملاق) متلطف فى كلامه (عذقت) علقت وشددت به وعذق شاته بعذقها اذا ربط فى صوفها خرقة تخالف لونها (الدرجات) المنازل الشريفة *وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقان يحبهما الله وهما السخاء والسماحة وخلقان يبغضهما الله وهما البخل وسوء الخلق واذا أراد الله بعبد خيرا استعمله على قضاء حوائج الناس *وقال خالد بن صفوان لا تسأل الحوائج ثلاثة لا تسألها كذوبا فيقرب بعيدا

وبيعد قريباولا أحق فانه يريد أن ينفعك فيضرك ولا رحلاله الى صاحبك حاجة فانه يصير حاجتك بطانة لحاجته (واتاه) وافقه وطاوعه (أدى) أعطى (زكاة النعم) الابل والشاء أى أعطى الصنائع والمعروف (الحرم) جمع حرمة أراد بذلك أهل الصيانة والعفاف * الفنجديهى الحرم أقوام محترمون والحرم الثانى الاهل والقرابة ومن يحرم على الانسان نكاحه أو تركه لضياعه (عميد) سيد (مصرك) بلدك والمصر الحد ويكتب أهل نجد اشترى فلان من فلان الدار بمصورها أى بحدودها * قطرب هو مأخوذ من مصرت الناقة أمصرها مصرا اذا احلبتها وجعلت ضرعها بين اصبعين فخرج من اللبن شئ قليل فيسمى مصرا لان الناس يجيؤن اليه ثم يثبتون أول فأول وقيل المصر العلامة (العماد) مايقوم عليه الخباء شبهه فى قيامه بالامور بالعماد (تزجى) تساق (الركائب) الابل (حومك) بلدك وموضعك الذى تحميه (الرغائب) العطايا (ساحتك) فناء دارك (راحتك) كفك * ونذكر من الاحاديث مايوافق هذا الفصل الذى قدمنا تفسيره قال النبى صلى الله عليه وسلم من عظمت نعمة الله عليه عظمت مؤنة الناس اليه فان لم يقم بتلك المؤنة عرض النعمة للزوال * عمرو بن العاص والله لرجل ذكرنى ينام على شقه مرة وعلى الاخرى أخرى يرانى موضعا لحاجته لهو أوجب على حقا اذا سألها منى أن أقضيها له * وقف العتابى بباب المأمون فجاء يحيى بن أكثم فقال له ان رأيت أن تعلم أمير المؤمنين بموضعى قال لست بحاجب قال لقد علمت ولكنك ذوفضل وذوالفضل معوان قال سلكت بى غير طريقى قال ان الله تعالى أتحفك بجاه ونعمة فهما مقيمان عليك بالزيادة ان شكرت وبالتغيير ان كفرت وأنا اليوم لك خير منك لنفسك أدعوك الى مافيه زيادة نعمتك وأنت تأبى ذلك ولكل شئ زكاة وزكاة الجاه بذله للمستعين وأما قوله تزجى الركائب الى حومك فهو كثير فى الشعر ونذكر منه شيأ يبين حالة القصد لهذا الاسم قال الحسن يمدح الامين

أقول والعيس تعرورى الفلاة بنا * صعر الازمة من مشى ووخدان
ياناق لاتسأمى أو تبلغى ملكا * تقبيل راحته والركن سيان
محمد خير من يمشى على قدم * ممن برا الله من انس ومن جان
محمد بن أملاك تفضله * ولادتان من المنصور ثنتان
تنازع الاحدان الشبه فاشتبها * خلقا وخلقا كما قد الشراكان
سيان لافرق فى المعقول بينهما * معناهما واحد والعدة اثنان

وقال حبيب

الى أحمد الممدوح أمت بنا السرى * نواعب فى عرض الفلا ورواسم
الى سالم الاخلاق من كل عائب * وليس له مال من الجود سالم
جدير بأن لايصبح المال عنده * جديرا بأن يبقى وفى الارض غارم

وقال آخر

سأجهد عزمى والمطايا فاننى * أرى العفو لايمتاح الامن الجهد
سرين بنا زهوا تجد وانما * يظل وعيس النجح فى كنف الوجد
فواصد بالسير الحثيث الى أبى الـ * مغيث فما تنفك ترقل أو تخدى
الى مشرق الاخلاق للجود ماحوى * ويحوى ومايخفى من الامر أو يبدى
فتى لم يزل تقضى به طاعة الندى * الى العيشة الغراء والسود والرغد

وقال فيها معتذرا

أتانى مع الركبان ظن ظننته * لففت له رأسا حياء من الوجد
ومن زمن ألبستنيه كأنه * اذا ذكرت أيامه زمن الورد
أسربل هجر القول من لو هجرته * اذا لهجانى منه معروفه عندى
كريم متى أمدحه أمدحه والورى * معى ومتى مالمته لمته وحدى

وقال أبو الطيب

فلم تلق ابن ابراهيم عيسى * وفيها قوت يوم للقراد

واتاه القدر أدى زكاة النعم كما يؤدى زكاة النعم والتزم لاهل الحرم مايلتزم للاهل والحرم وقد أصبحت بحمد الله عميد مصرك وعماد عصرك تزجى الركائب الى حومك وتزجى الرغائب من كرمك وتنزل المطالب بساحتك وتستنزل الراحة من راحتك وكان فضل الله عليك عظيما

فلما جئته أعلى محلي * وأجلسني على السبع الشداد
تهلل قبل تسليمي عليه * وألقى ماله قبل الوساد
كأن الهام في الهيجا عيون * وقد طبعت سيوفك من رقاد
وقد صغت الاسنة من هموم * فلم يخطرن الا في فؤادي

وقال أبو الهندي
سألناه الجزيل فما تأنى * وأعطى فوق منيتنا وزادا
وأحسن ثم أحسن ثم عدنا * فأحسن ثم عدت له فعادا
مرارا ما قصدت اليه الا * تبسم ضاحكا وثنى الوسادا

وقال أبو الطيب
ولما قلت للابل امتطينا * الى ابن أبي سليمان الخطوبا
مطايا لا تزل بمن عليها * ولا يبغي لها أحد ركوبا
وترتع دون نبت الارض فينا * فما فارقتها الا حريبا
اذا نكبت كنانتها استبنا * بانصلنا لا نصلها ندوبا
نصيب لبعضها أفواق بعض * فلولا الكسر لاتصلت قضيبا
ألست ابن الاولى سعدوا وجادوا * ولم يلدوا امرأ الا نجيبا
ونالوا ما اشتهوا بالحزم هونا * وصاد الوحش نملهم دبيبا
وما ريح الرياض لها ولكن * كساها دفنهم في الترب طيبا

ومن المدح قول السري في أبي الحصين القاضي
لقد أضحت خلال أبي الحصين * حصونا في الملمات الصعاب
كساني ذيل نائله وآوى * غرائب منطق بعد اغتراب
فكنت كروضة سقيت سحابا * فأثنت بالنسيم على السحاب

وقال بديع الزمان وشاعر الاوان
يا سيد الامرا فخرا فاملك * الاغتناك موليا واشتهاك أبا
وكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا * لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت * والليث لو لم يصل والبحر لو عذبا

واحسانه لديك عميما ثم اني شيخ ترب بعد الاتراب وعدم الاعشاب حين شاب قصدتك من محلة نازحة وحالة رازحة آمل من بحرك دفعه ومن جاهك رفعه والتأميل أفضل وسائل السائل ونائل النائل فأوجب لي ما يجب عليك وأحسن كما أحسن الله اليك واياك ان تلوي عذارك عمن ازدارك وأم دارك أو تقبض راحتك عمن امتاحك واستمار سماحك فوالله ماجد

هذه الجملة لا قافية وكأنها تفسير ما أجمل من ذكر ممدوحه (قوله ترب) افتقر فلم يبق له ما يقعد عليه غير التراب و(الاتراب) الاستغناء وأترب صار له من المال بكثرة التراب و(الاعشاب) اصابة العشب وأراد به المال (محلة) منزل يحل فيه (نازحة) بعيدة (رازحة) كالة من الهزال ورزح رزوحا كل من العمل * ابن الانباري رزح فلان ضعف وذهب ما في يده وأصله من رزحت ابل فلان وكلا به اذا ضعفت ولزقت بالارض وقيل هو من المرزح وهو المطمئن من الارض فكأن الرازح قد لزمه وضعف عن الارتقاء الى العلو (آمل) أرجو (جاهك) عزك (والوسائل) جمع وسيلة وهو الشفيع فجعل تأميله أفضل وسيلة (نائل) عطاء و(النائل) المعطي ونلت له بالعطاء أنول وأنلت أنيل ورجل نال ورجلان نالان ورجال أنوال ونلته أنوله نولا أعطيته قال الاعشى

ينول العشيرة ما عنده * ويغفر ما قال جهالها

(تلوي عذارك) تعرض بوجهك (ازدارك) بمعنى زارك واستعمل قصدك (راحتك) جمع راحة وهي باطن الكف (امتاحك) استسقاك وأراد طلب معروفك قال الراجز

أفلح ساق بيديك امتاحا * وقرع عينا ورجا الفلاحا

(قوله امتار) استجلب منك الرزق (سماحك) جودك (مجد) كرم وصار ماجدا أي شريفا ومجد يمجد مجدا فهو ماجد ومجد مجادة فهو مجيد وقيل المجد تكرم الآباء خاصة وقيل الاخذ من الشرف والسودد

مايكفى وقيل كرم الفعل (جد) بخل (حشد) جمع المال (اللبيب) العاقل (وجد) استغنى (جاد) تكرم (عاد) فعلها مرة بعد أخرى وقد تقدم منظوما (لم يهب) لم يخف (أن يهب) أن يعطى وهذا كله قصد فيه التجنيس فجاء منه بكل بديع (قوله نطفته ثمد) أى ماؤه قليل * الازهرى النطفة تقال للماء القليل والكثير ورأيت اعرابيا شرب من ركية غزيرة الماء فقال والله انها لنطفة باردة والثمد الماء القليل الذى لامدد له (قريحته) ذهنه (أطرق) أى أمال رأسه للفكرة (فى استبراء زنده) فى استخراج ناره وأراد طلب ما عنده من العلم (والاستشفاف) الاستقصاء فى النظر والتأمل فيما يبصر واستشف الثوب جعله طاقا واحدا أو رفعه فى ظل حتى ينظر أكثيف هو أم رقيق واستشفه رأى ما وراءه والاستشفاف النظر الى كل شئ صقيل (الفرند) جوهر السيف وأراد أن الوالى أعجب بكلامه فأراد أن يعلم هل كان فى حفظه لغيره أو ارتجله لنفسه (صمته) سكتته (ارجاء) تأخير (توغر) توقد (مقتضبا) مرتجلا (قوله أبيت اللعن) تحية ملوك الجاهلية قال ابن الانبارى رحمه الله فى تفسيرها قولان أحدهما أبيت أن تأتى من الاشياء ما تستحق اللعن عليه فاللعن منصوب والآخر وهو أردأ القولين أن تكون الالف تعنى يا أو بيت من البيوت مضافا الى اللعن لان بعضهم يخفض اللعن وتقديره يا بيت اللعن سمة للملك نقل من الوجه الاول لكثرة الاستعمال ألا ترى أنها تعطى معنى النداء فى البيت وتقديره يا ملك أو يا أمير ويتضمن معناه الدعاء أى جعلك الله ممن يكره اللعن ولذا وقع اعتراضا بين اللفظين الاول طالب للثانى كما قال ابن محلم

ان الثمانين وبلغتها * قد أحوجت سمعى الى ترجمان

(سبروتا) فقيرا محتاجا والسبروت الفقير الذى لا ثياب له (ذا السن) أى فصيحا (سكيتا) عييا كثير السكوت (انفح بعرفك) أى ارم بمعروفك (وافاك) أتاك (مختبطا) سائلا لمعروفك (انعش بغوثك) أى ارفع بعطيتك والغوث الاغاثة وهى المبادرة بالنصرة لمن جاء يستغيثك والانعاش أن ترى رجلا قد أهوى للسقوط فترفعه أو افتقر فتجبره (منكوتا) ملقى على رأسه ونكت الرجل فهو منكوت اذا ضرب فأسقط على رأسه (قوله أشاد) أى رفع (صيتا) ذكرا حسنا وقال النبى صلى الله عليه وسلم اذا أردتم أن تعلموا ما للعبد عند الله فانظروا ما يتبعه من حسن الثناء * وقيل لبعض الحكماء ما أحد الاشياء قال أن يبقى للانسان أحدوثة حسنة * اكثم بن صيفى انما أنتم خبر فطيبوا أخباركم أخذه حبيب فقال

وما ابن آدم الا ذكر صالحة * أو ذكر سيئة يسرى بها الكلم
أما سمعت بدهر باد امته * جاءت بأخبارها من بعدها أمم

* الاحنف ما ادخرت الآباء للابناء ولا أبقت الموتى للاحياء شيأ أفضل من اصطناع المعروف عند ذوى الاحساب وقيل لمعاوية أى الناس أحب اليك قال من كانت له عندى يد صالحة قيل فان لم تكن قال فمن كانت لى عنده يد صالحة * قال بزرجمهر اذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها فانها لا تفنى واذا أدبرت عنك فأنفق منها فانها لا تبقى أخذ هذا المعنى الشاعر فقال

لا تبخلن بدنيا وهى مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف
فان تولت فأحرى أن تجود بها * فالحمد منها اذا ما أدبرت خلف

وقال آخر

اذا جادت الدنيا عليك فجد بها * على الناس طرا قبل ان تتفلت
فلا الجود يفنيها اذا هى أقبلت * ولا الشح يبقيها اذا هى ولت

وكان سعيد بن العاص يقول على المنبر من رزقه الله رزقا حسنا فلينفق منه سرا وجهرا حتى يكون أسعد الناس به فانما يترك ما يترك لاحد رجلين اما المصلح فلا يقل عنده شئ واما المفسد فلا يبقى له شئ أخذه الشاعر فقال

اسعد بمالك فى الحياة فانما * يبقى خلافك مصلح أو مفسد

من جد ولا رشد من حشد بل اللبيب من اذا وجد جاد وان بدأ بعائدة عاد والكريم من اذا استوهب الذهب لم يهب أن يهب ثم أمسك يرقب أكل غرسه ويرصد مطيبة نفسه وأحب الوالى أن يعلم هل نطفته ثمد أم لقريحته مدد فأطرق يروى فى استبراء زنده واستشفاف فرنده والتبس على أبى زيد سر صمتته وارجاء صلته فتوغر غضبا وأنشد مقتضبا

لا تحقرن أبيت اللعن ذا أدب
لأن بدا خلق السربال سبروتا
ولا تضع لأخى التأميل حرمته
أكان ذا السن أم كان سكيتا
وانفح بعرفك من وافاك مختبطا
وانعش بغوثك من ألفيت منكوتا
فخير مال الفتى مال أشاد له
ذكرا تناقله الركبان أو صيتا
وما على المشترى حمدا بموهبة
غبن ولو كان ما أعطاه ياقوتا

فاذا اجمعت لمفسد لم تغنه * وأخو الصلاح قليله يتزيد

(قوله لولا المروأة) المروأة هى الافعال الشريفة التى يجب أن يقال للرجل بها امرء مثل الرجولة للافعال التى يستحق الرجل أن يقال له بها رجل وقال النبى صلى الله عليه وسلم لا دين الا بمروأة وقال عمر رضى الله عنه المروأة مروأتان ظاهرة وباطنة فالظاهرة الرياش والباطنة العفاف * قدم وفد على معاوية رضى الله عنه فقال لهم ماتعدون المروأة قالوا العفاف واصلاح المعيشة قال اسمع يا يزيد * وقال النبى صلى الله عليه وسلم تجاوزوا لذوى المروآت عثراتهم فوالله ان أحدهم ليعثر وان يده بيد الله * عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انا معشر قريش نعدّ الحلم والجود سوددا ونعد العفاف واصلاح المال مروأة * أنوشروان المروأة أن لا تعمل عملا فى السر تستحى منه فى العلانية * غيره المروأة اسم جامع للمحاسن كلها وقالوا المروأة العفة والحرفة (قوله اشرأب) تشوّف والتشوّف أن تسمع بالشئ وتتطلع ان تراه وتمدّ أن تنظر اليه يقول لولا الافعال الجميلة كان عذر الفطن الحاذق يضيق عليه اذا اشتغل وقيل له قد جاوز مالك قوتك وفضل عن مؤنتك فلم تجهد فى طلب المال وترغب فى الزيادة منه قال فالمروأة توسع عليه عذره فيقول ذو المروأة انما أكتسبه لانفقه فى البر وبين هذا بقوله (ثنى نحو الغنى ليتا) والليت صفحة العنق فيقول انما ثنى عنقه وأمالها حبا فى السماح وقد سبقه الى هذا التهامى بقوله

ولولا العطايا أنها سنة له * لما قال للدنيا اذا عثرت لعا
فان باشر الدنيا فللجود نالها * وان هجر الدنيا فعنها ترفعا

فزاد بقوله وان هجر الدنيا معنى حسنا وقالوا نعم العون على المروأة المال وقال الاحنف بن قيس

فلو مدّ سروى بمال كثير * لجدت وكنت له باذلا
فان المروأة لا تستطاع * اذا لم يكن مالها فاضلا

وقال آخر

لولا شماتة أعداء ذوى حسد * أوأن أنال بنفع من يرجينى
لما خطبت الى الدنيا مطالبها * ولا بذلت لها عرضى ولا دينى

(قوله تنشق) أى شم (نشر) رائحة (أزرى) عاب (مفتوتا) مدقوقا يقول لشكر المعروف عند أهل الجود أعطر من ريح المسك اذا دقت فانتشرت رائحته * وقال ابراهيم الشيبانى كنت أرى رجلا من وجوه أهل الكوفة لا يجف لبده ولا يستريح قلبه فى طلب حوائج الناس وادخال المرافق على الضعيف فقلت له أخبرنى عن الحال التى هونت عليك هذا التعب فى القيام بحوائج الناس ماهى قال قد والله سمعت تغريد الاطيار بالاسحار فى فروع الاشجار وسمعت خفوق أوتار العيدان وترجيع أصوات القيان فما طربت من صوت قط طربى من ثناء حسن بلسان حسن على رجل قد أحسن وما سمعت أحسن من شكر حر لرجل حر من شفاعة محتسب لطالب شاكر فقلت لله أبوك لقد حشيت كرما فلذة السمع هنا بمنزلة الشم فى البيت (خيل) حسب والضب والحوت قد تقدما فى الثامنة عشرة (قوله الجامد الكف) هو البخيل وهو ضد السمح (ممقوتا) مبغوضا (علل) اعذار (يوسعنه ذما) أى يكثرن ذمه و(التبكيت) الهوان والتوبيخ (جد) تكرم (نشب) مال (مجتدى جدواك) طالب عطاياك (مبهوتا) متحيرا يريد أنه يعجب من كثرة ماتعطيه فيتحير ومايدرى كيف يشكرك * ومن مدح الكرم وذم البخل قالوا ولم يكن فى الكرم الا انه من صفات الله عز وجل وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الجود ومكارم الاخلاق ويذم سفسافها وقال لقوم من العرب من سيدكم فقالوا فلان على بخل فيه فقال عليه الصلاة والسلام وأى داء أدوأ من البخل وقال تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وقال المأمون لمحمد بن عباد أنت متلاف فقال منع الجود سوء ظن بالمعبود يقول الله عز وجل وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين وقال كسرى عليكم باهل السخاء

لولا المروءة ضاق العذر عن فطن * اذا اشرأب الى ماجاوز القوتا
لكنه لابتناء المجد جدّ ومن * حب السماح ثنى نحو الغنى ليتا
وما تنشق نشر الشكر ذو كرم * الا وأزرى بنشر المسك مفتوتا
والحمد والبخل لم يقض اجتماعهما * حتى لقد خيل ذا ضبا وذا حوتا
والسمح فى الناس محبوب خلائقه * والجامد الكف ما ينفك ممقوتا
وللشحيح على أمواله علل * يوسعنه أبدا ذما وتبكيتا
فخذ بما جمعت كفاك من نشب * حتى يرى مجتدى جدواك مبهوتا

﴿مدح الكرم وذم البخل﴾

والشجاعة فانهم أهل حسن الظن بالله ولو أن أهل البخل لم يدخل عليهم من ضرر بخلهم ومذمة الناس لهم واطباق القلوب على بغضهم الا سوء ظنهم بربهم في الخلف لكان عظيما أخذه محمود الوراق فقال

من ظن بالله خيرا جاد مبتدئا * والبخل من سوء ظن المرء بالله

وخوّف بخيل سخيا الاملاق والفقر فرد عليه السخي بقول الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا وقال الحسن والحسين لعبد الله بن جعفر انك قد أسرفت في بذل المال فقال بأبي أنتما وأمي ان الله عوّدني أن يتفضل علي وعودته أن أتفضل على عبيده فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عني عادته (قوله وخذ نصيبك منه قبل رائعة) الرائعة الشيبة لانها تروع الانسان أي تفزعه وتعلمه انها تأتيه بالكبر والهرم (العود المنحوت) أراد به الجسم اليابس لان الهرم يذهب نعمة الجسم وأصل المنحوت المنجور وأراد بقوله خذ نصيبك قوله عليه الصلاة والسلام يقول ابن آدم مالي مالي وماله من ماله الا ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى فامضى * وقال الشاعر في الرائعة

أهلا برائعة للشيب واحدة * تنهى الشباب وتنهانا عن الغزل

(وقال أبو الطيب المتنبي)

راعتك رائعة المشيب بعارضي * ولوانها الاولى لراع الاسحم

لو كان يمكنني سفرت عن الصبا * فالشيب من قبل الاوان تلثم

وفي رواية ابن جني رائعة البياض وقال هي أول شعرة تطلع من الشيب وأنشد ابن الاعرابي أهلا برائعة للشيب وأنشد غيره برائعة بيضاء أي بشعرة تطلع من المشيب بيضاء تروع الناظر وهذا أصوب من الوجه الآخر وقال كثير

كذب العواذل بل أردن خيانتي * وبدت روائع لمتي وقتوم

وقال الالبيري بصرت بشيبة وخطت بليلي * فقلت لها تأهبي للرحيل

ولا يهن القليل عليك منها * فما للشيب يحلك من قليل

فكم قد أبصرت عيناك زهرا * أصابك طلها قبل النزول

فلا تحقر بنور الشيب واعلم * بان القطر يبعث بالسيول

(وقال أبو بكر الباوي)

نكبت في شعري وشعري وما * نفسي في صبري بمنكوبه

اذا دنت بيضاء مكروهة * مني نأت سوداء محبوبه

(وقال كشاجم فاحسن)

نظرت الى المراة فروعتني * طلائع شيبتين لدى المتاب

فأما شيبة ففزعت منها * الى المقراض من حب التصابي

وأما شيبة فصفحت عنها * لتشهد بالبراءة من خضابي

فيالك من مشيب قد تبدى * أقمت به الدليل على شبابي

وقال البحتري وأبت تركي الغديات والآ * صال حتى قضين بالمقراض

شعرات أقصهن ويرجعـ * ـن رجوع السهام في الاغراض

وقال ابن المعتز ألست شيبا برأسي شاملا * ونت حيلتي عنه وضاق به ذرعي

كأن المقاريض التي يعتورنه * مناقير طير ينتقي سنبل الزرع

(وقال رجل من الازد)

ولقد أقول لشيبة أبصرتها * في مفرقي فحثها اعراضي

عني اليك فلست منتهيا القد * حممت منك مفارقي ببياض

وخذ نصيبك منه قبل رائعة
من الزمان تريك العود منحوتا

وقال

هل لي سوى عشرين عاما قد مضت * مع ستة في اثرهن مواضي
ولقلما أرتاع منك وانني * فيما هويت وان وزعت لماضي
فعليك ما استطعت الظهور بلمتي * وعلى أن ألقاك بالمقراض

وقال أبو نواس
واذا عددت السن كم هي لم أجد * للشيب عذرا ان يلم براسي

وقال أبو دلف
في كل يوم أرى بيضاء قد طلعت * كأنما نبتت في ناظر البصر
لئن قرضتك بالمقراض عن بصري * لما قرضتك عن همي وعن فكري

وقال كشاجم
أخي قم فعاوني على شيبة بغت * فاني منها في عذاب وفي حرب
اذا ما مضى المنقاش يأتي بها أتت * وقد أخذت من دونها جارة الجنب
كأن على السلطان يجزي بذنبه * تعلق بالجيران من شدة الرعب

ولابي الفضل الدارمي

شيبة نغصت على شبابي * فتعمدت نتفها غير وان
قلت ماذا كذا العمر التصابي * لشبابي أجل عند الحسان
فاجابت جرى من الرسم للسلـ * ـطان أخذ البراء مثل الجاني
فان ازددت في الجفاء فلا تنـ * ـكر قدومي عليك مع اخواني

هذا مثل قول الآخر

وزائرة للشيب لاحت بعارضي * فبادرتها بالقطف خوفا من الحتف
فقالت على ضعفي استطلت ووحدتي * رويدك حتى يلحق الجيش من خلفي
فلم يك الا عن قريب فأقبلت * وعمت جميع الرأس رغما على أنفي
فوا أسفا لو كان يغني تأسفي * على زمن ولى ونحن على حرف

وقال الرماني
وثلاث شيبات طلعن بمفرقي * فظننت أن نزولهن رحيلي
طلعت ثلاث في طلوع ثلاثة * واش ووجه مراقب وعذول
فعزلنني عن صبوتي فلئن ذلك * ـت لقد سمعت بذلة المعزول

وفي معنى قول أبي نواس واذا عددت السن كم هي قال المعري

عجبت هند من تسرع شيبي * قلت هذا عقبى فطام السرور
عوضتني يد الاسف من مسـ * ـك عذاري ريشا من الكافور
كان لي في انتظار شيبي حساب * غالطتني فيه صروف الدهور

وقال ابن الملح الشبلي

طلع المشيب بلمتي فتعجبوا * من كده وتعجبوا من مهلته
ماشبت من كبر ولكن من يبت * دنفا ومشتاقا يشب من ليلته

وقال أبو عثمان الخالدي

قد يتسك ماشبت من كبرة * وهذي سني وهذا الحساب
ولكن هجرت فحل المشيب * ولو قد وصلت لحل الشباب

فالدهر أنكد من أن تستقر به
حال تكرهت تلك الحال أم شيتا
فقال له الوالي تالله لقد
أحسنت فأي ولد الرجل
أنت فنظر اليه عن عرض
وأنشد وهو مغض
لا تسأل المرء من أبوه ورز

وهذا القدر كاف (قوله فالدهر أنكد) البيت يقول ان كنت غنيا أو فقيرا فتلك حال لا تدوم كرهت حالك أو رضيتها وقوله (أي ولد الرجل أنت) هذا الكلام انما يقع في باب النفي قال يعقوب تقول العرب لا أدري أي ولد الرجل هو يعنون بالرجل آدم وولده الناس فكأنه قال ما أدري أي الناس هو (عرض) جانب (مغض) مغمض عينيه يريد انه لم يعجبه سؤاله فلم يقبل عليه بنظره ولا بانشاده (ورز) بالراء قبل الزاي معناه اختبر واطلب قال ابن الانباري رزت ما عنده أي طلبته وأردته قال

الزبيدي الروز قريب من التحقيق والروز أن تأخذ الصنجة بيدك فترفعها لتختبر ثقلها قال الشاعر

وان الله راز حلوم قيس * فلما ذاق خفتها قلاها

وقال الاعشى تمشى ولم يحش الا نيس * فراز هاوخلا بها

(اصرم) اقطع الصحبة (السلاف) الجرالخالصة (الحصرم) الحامض لان عود العنب حامض ويتولد عنه شئ لذيذ وتقدم معنى البيتين وأما وجود الاشياء مع اضدادها مثل الحلاوة مع ما أصله مر فله نظائر قال حبيب * والنار قد تنتضى من ناضر السلم * وقال المتنبي

فان الماء يخرج من جماد * وان النار تخرج من زناد

وقد يجرى أيضا خلاف العادة فى الاشياء فقد يتشابه الشيآن من جهة ويتباعدان من أخرى قال المعرى قد يبعد الشئ من شئ يشابهه * ان السماء نظير الماء فى الزرق قال المتنبي وقد سبقه اليه

وقد يتقارب الوصفان جدا * وموصوفاهما متباعدان

وما أحسن قول ابن صادرة

يامن يعذبني لما تملكني * ماذا تريد بتعذيبي واضراري

تروق حسنا وفيك الموت أجمعه * كالصقل فى السيف أوكالنور فى النار

وقال ابن عبدون استاذ بلنسية

يامن محياه جنات مفتحة * وهجره لى ذنب غير مغفور

لقد تناقضت فى خلق وفى خلق * تناقض النار بالتدخين والنور

(قوله مقعد الخاتن) كناية عن القرب كما ان مزجر الكلب كناية عن البعد (سيوب) عطايا وأصلها الكنوز والمعادن (نيله) ماله الموهوب وفى العين أنلت المعروف ونلته ونولته واسم ماتهب النوال والنيل (آذن) أعلم (طول ذيله) كثرة ماله (قصر ليله) يريد قلة همه لان المهموم لا ينام فيطول ليله ووصف الليل بالطول والقصر وله باب مشهور فى كتب الادب تركاذكره لشهرته وكثرته وعلمه راجعة لما ذكر من أن ليل السرور قصير وليل الهم طويل * وحدث اسحق الموصلى قال دخلت على الرشيد وهو مستلق على قفاه وهو يقول أحسن والله فتى قريش وظريفها وشاعرها قلت فيم ذلك يا أمير المؤمنين قال فى قوله

لا أسأل الله تغييرا لما فعلت * نامت وقد أسهرت عينى عيناها

فالليل أطول شئ حين أفقدها * والليل أقصر شئ حين ألقاها

ثم قال أفتعرفه قلت بصوت ضعيف لا قال بحقى عليك قلت نعم هو الوليد بن يزيد فقال استر ماسمعته منى وانه ليستحق أكثر مما وصفته به ولبعضهم وأجاد

ان الليالى للانام مطية * تطوى وتنشر بينها الاعمار

فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

وأنشد الفنجديهى للمطرانى

أخو الهوى يستطيل الليل من سهر * والليل فى طوله جار على قدر

ليل الهوى سنة فى الهجر مدته * لكنه سنة فى الوصل من قصر

وأنشد السلامى رحمه الله

ليلى وليلى سواء فى اختلافهما * قد صيرانى جميعا فى الهوى مثلا

يجود بالطول ليلى كلما بخلت * بالطول ليلى وان جادت به بخلا

وقال ابن أبى دبا كل يطول اليوم لا ألقاك فيه * وحول نلتقى فيه قصير

خلاله ثم صله أوفاصرم غايتين السلاف حين حلا مذاقها كونها ابنة الحصرم قال فقربه الوالى لبيانه الفاتن حتى أحله مقعد الخاتن ثم فرض له من سيوب نيله ما آذن بطول ذيله وقصر ليله

وتبعه بشار فقال وأحسن

لا أظلم الليل ولا أدعي * أن نجوم الليل ليست تغور
ليلي كما شاءت فان لم تزر * طال وان زارت فليلي قصير
تصرف الليل على حكمها * فهو على ما صرفته يدور

وزاد ابن العريف الزاهد على هذا المعنى فقال وأحسن

لست أدري أطال ليلي أم لا * كيف يدري بذاك من يتقلى
لو تفرغت لاستطالة ليلي * ولرعي النجوم كنت مخلا
ان للعاشقين عن قصر الليـ * ـل وعن طوله من الهم شغلا

(قوله ردن) أي كم (جذلان) مسرور (حاذيا حذوه) أي متبعاله جاعلا قدمي موضع قدمه فيتسع فيه فيقال حذوت حذوه أي فعلت مثل فعله وأصله في حذو النعل بالنعل وقد تقدم (قافيا) متبعا (فصل) زال وخرج (غابه) موضعه والغاب الشجر الملتف يتخذ الاسد فيه بيتا (مليت) أطيل لك ومتعت به من الملاوة وهو الحين (أوليت) أعطيت (أسفر) أضاء ومثله (تلالا) الا أن معناه أبلغ واصل تلالا ابيض فأشبه بياض اللؤلؤ وصفاءه يريد أنه انبسط وجهه وحسنت خلقته لما داخله (والي) كرر (خطر اختيالا) حرك أثوابه اعجابا بنفسه (سما قدره) ارتفعت منزلته (طيب الاصول) شرف الجدود (الفضول) الحمق والدخول فيما لا يعني (والقيول) من دون الملك واحدهم قيل وأراد بهم الاجداد الاشراف وطابق بين الحماقة والفضول وبين طيب الاصول والقيول وسلخه من قول المتنبي ما بقومي شرفت بل شرفوا بي * وبنفسي ارتفعت لا بجدودي أشار الى نسبه من ملوك كندة وقال آخر

أيها الفاخر جهلا بالحسب * انما الناس لام ولاب
انما الفخر بعقل راجح * وباخلاق حسان وأدب
ذاك من قد فاخر الناس به * فاق من فاخر منهم وغلب

وقال الحكيم بن قنبر

لا خير فيمن له أصل بلا أدب * حتى يكون على ما نابه حدبا
كم من حسيب أخي عي وطمطمة * فدم لدى القوم معروف اذا انتسبا
في بيت مكرمة آباؤه نجب * كانوا الرؤس فأضحى بعدهم ذنبا

وقد تقدمت نظائره (قوله تعسا) أي هلاكا (جدب) عاب وفي الحديث جدب عمر السمر أي عابه وقال ذو الرمة

اذا ما زعتك القوم مية أو بدا * لك الوجه منها أونضا الدرع سالبه
فيا لك من خد أسيل ومنطق * رخيم ومن خلق تعلل جادبه *

(قوله دأب) أي دام عليه (أودعني) ضمنني وجعله في قلبي (اللهب) جمر النار ومما يتعلق بما قدمناه من الشعر قول حطة

أرى الاعياد تتركني وتمضي * وأوشك انها تبقي وأمضي
علامة ذاك شيب قد علاني * وضعفي عند ابرامي ونقضي
وما كذب الذي قد قال قبلي * اذا ما مر يوم مر بعضي
أرى الايام قد ختمت كتابي * وأحسبها ستتبعه بفض

وعلى قوله * اذا ما مر يوم مر بعضي * قال بعض بني حمدان

المرء وقت له تناه * مقدر طوله وعرضه
فكلما مر منه يوم * فانما مر منه بعضه

فنهض عنه بردن ملآن
وقلب جذلان وتبعته
حاذيا حذوه وقافيا خطوه
حتى اذا خرج من بابه
وفصل عن غابه قلت له
هنيت بما أوتيت ومليت
بما أوليت فاسفر وجهه
وتلالى ووالى شكرا
لله تعالى ثم خطر اختيالا
وانشد ارتجالا
من يكن نال بالحماقة حظا
او سما قدره لطيب الاصول
فبفضلي انتفعت لا بفضولي
وبقولي ارتفعت لا بقبولي
ثم قال تعسا لمن جدب الادب
وطوبى لمن جد فيه ودأب
ثم ودعني وذهب وأودعني
اللهب

وبحظه مطبوع الشعر وهو القائل فى أبى بكر بن دريد

فقدت بابن دريد كل فائدة * لما غدا ثالث الاحجار والترب

وكنت أبكى لفقد الجود مجتهدا * فصرت أبكى لفقد الجود والادب

أين هذا من قول الفرزدق يرثى سائسا أنشده أبو محمد فى الدرة

ليبك أبا الحنساء بغل وبغلة * ومخلاة سوء قد أضيع شعيرها

ومجرفة مطروحة ومحسة * ومقرعة صفراء بال سيورها

أخذه من قول زيد الخيل يرثى عبد الله

اما تعاورتك الرماح فلا * أبكيك الا الدلو والمرس

وقد قدمنا فصلا فى التشاؤم بالادب فى قوله فقد دهانى شؤمه وأثنى عليه هنا بقوله تعالى من جدب الادب وطوبى لمن جد فيه ودأب ونذكره افصلا مقنعا فى مدحه حسبما شرطنا من الجرى معه على اغراضه قال العلا بن أيوب كان يقال مثل الاديب ذى القريحة مثل دائرة تدار من خارجها فهى فى كل دارة تدار تتسع وتزداد عظما ومثل الاديب غير ذى القريحة مثل دائرة تدار من داخلها فهى عن قليل تبلغ الى باطنها * أوصى بعض الحكماء بنيه فقال لهم الادب أكرم الجواهر طبيعة وأنفسها قيمة يرفع الاحساب الوضيعة ويفيد الرغائب الجليلة ويغنى من غير عشيرة ويكثر الانصار من غير رزية فالبسوه حلة وتزينوا به حلية يؤنسكم فى الوحشة ويجمع القلوب المختلفة وقال شبيب بن شبة اطلبوا الادب فانه مادة للعقل دليل على المروأة صاحب فى الغربة مؤنس فى الوحشة حلية فى المجالس وقال الخليل من لم يكتسب بالادب مالا اكتسب به جمالا وأنشد الاصمعى رحمه الله

﴿فصل فى مدح الادب﴾

ان يك للعقل مولود فلست أرى * ذا العقل مستوحشا من حادث الادب

انى رايتهما كالماء مختلطا * بالترب تظهر عنه زهرة العشب

وقال عبد الملك لبنيه عليكم بالادب فانكم اذا احتجتم اليه كان لكم مالا وان استغنيتم عنه كان لكم جمالا * ابن المقنع اذا أكرمك الناس لمال أو لدنيا فلا يعجبنك فان تلك كرامة تزول بزوالهما ولكن ليعجبنك اذا أكرموك لدين أو أدب وقال ابن عباس رضى الله عنهما كفاك من علم الدين أن تعرف ما لا يسع جهله ومن علم الادب ان تروى الشاهد والمثل وقال بزرجمهر ما ورثت الآباء الابناء خيرا من الادب لان به يكسبون المال وبالجهل يتلفونه وقال حسن الخلق خير قرين والادب خير ميراث والتقوى خير زاد وقالوا ثلاث لا غربة معهن مجانبة الريب وحسن الادب وكف الاذى وقال بزرجمهر من كثر أدبه كثر شرفه وان كان قبل وضيعا وبعد صيته وان كان خاملا وساد وان كان غريبا وكثرت الحاجة اليه وان كان فقيرا وقال عمر رضى الله عنه من أفضل ما أعطيته العرب الابيات يقدمها الرجل بين يدى حاجته فيستعطف بها الكريم ويستنزل بها اللئيم وقالوا الادب أدبان أدب الغريزة وهو الاصل وأدب الرواية وهو الفرع ولا يتفرع الشئ الا عن أصله ولا ينمو الاصل الا باتصال المادة وقال حبيب فأحسن

وما السيف الا بزة ان تركته * على الخلقة الاولى لما كان يقطع

وقال آخر

ما وهب الله لامرئ هبة * أفضل من عقله ومن أدبه

هما كمال الفتى فان فقدا * ففقده للحياة أحسن به

وقالوا اذا كان الرجل ظاهر الادب طاهر المنبت تأدب بأدبه وصلح بصلاحه أهله وولده وقال الشاعر

رأيت صلاح المرء يصلح أهله * ويعديهم عند الفساد اذا فسد

يعظم فى الدنيا لاجل صلاحه * ويحفظ بعد الموت فى الاهل والولد

(شرح المقامة التاسعة والثلاثين وهى العمانية)

(لهجت) أى اشتدحبى وأصله فى الفصيل اذا رضع أمه يقال لهج بضرع أمه اذا لزمه ليرضعه (اخضر ازارى) كنى به عن الشباب وكانت العرب اذا بلغ منها الغلام الحلم وأشعر لبس الازار ليستر عورته (بقل عذارى) اخضر شاربى و بدا الشعر فى وجهى أخضر مثل البقل ونذكر هنا شيأ مما قيل فى العذار قال أبو نواس

من أين للرشا الاغن الاحور * فى الخد مثل عذاره المتحير
قمر كان بعارضيه كليهما * مسكا تساقط فوق ورد أحمر

وقال أيضا

قد كان بدر السماء حسنا * فالناس فى حبه سواء
فزاده ربه عذارا * تم به الحسن والبهاء
لا تعجبوا ربنا قدير * يزيد فى الخلق ما يشاء

(وقال ابن رشيق)

همت عذاراه بتقبيله * فاستل من عينيه سيفين
فذلك المحمر من خده * دم جرى بين الفريقين

وقال غيره

قمر كان قوامه * من قد غصن مسترق
وكانما لم الزمن * ذفى عوارضه مشق

(ولابى الفضل الدارمى)

ياذا الذى خط الجمال بوجهه * خطين هاجا لوعة و بلابلا
ماصح عندى أن لحظك صارم * حتى رأيت بعارضيك حمائلا

وقال أيضا

قلت للملقى على الخدين من ورد خمارا
أسبل الصدغ على خديك من مسك عذارا
أم أعان الليل حتى * غلب الليل النهارا
قال ميدان جرى الحسـ*ـن عليه فاستدارا
ركضت فيه عيون * فأثارته غبارا

(المقامة التاسعة والثلاثون العمانية)
(حدث الحرث بن همام) قال لهجت مذ اخضر ازارى وبقل عذارى بان أجوب البرارى على ظهور المهارى أنجد طورا وأسلك تارة غورا حتى فليت المعالم والمجاهل وبلوت المنازل والمناهل وأدميت السنابك والمناسم وأنضيت السوابق والرواسم فلما مللت الاصحار وقد سنح لى أرب بصحار ملت الى اجتياز التيار واختيار الفلك السيار فنقلت اليه أساودى

(قوله اجوب) أى اقطع (البرارى) الصحارى (المهارى) ابل كرام (أنجد) اطلع والنجد المرتفع (والغور) ضده وقد أنجد وغار (أسلك) أدخل وامشى (فليت) قطعت (المعالم) المواضع المعلومة (والمجاهل) ضدها (بلوت) جربت (المناهل) مواضع المياه (السنابك) اطراف الحوافر (المناسم) جمع منسم وهو مقدم خف البعير (أنضيت) أهزلت (السوابق) الخيل (الرواسم) الابل السريعة ورسمت الناقة فهى راسمة اذا أثرت فى الارض من شدة وطئها قال أبو عبيد رحمه الله اذا ارتفع السير عن العنق قليلا فهو التزيد فاذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل ثم الرسيم (الاصحار) الدخول للصحراء يريد مللت من سفر البر (سنح) ظهر وعرض (ارب) حاجة (صحار) سوق عمان وهى مدينة كبيرة

(ذكر مدينة عمان)

على ساحل البحر مساحتها فرسخ فى فرسخ و بلاد عمان ثلاثون فرسخا ماولى البحر سهول و رمال وما تباعد عنه حزون وجبال وهى مدن منها مدينة عمان وهى حصينة على الساحل ومن الجانب الآخر مياه تجرى الى المدينة وفيها دكاكين التجار مفروشة بالنحاس مكان الآجر وهى كثيرة النخل والبساتين وضروب الفواكه والحنطة والشعير والارز وقصب السكر وفى الامثال من تعذر عليه الرزق فعليه بعمان وفى أحوازها مغاص اللؤلؤ وعمان من أحواز اليمن سميت بعمان بن سبا *القنجدى صحار اسم بلدة بكورة عمان وهى قصبتها مما يلى الجبل (التيار) البحر (الفلك) السفينة (السيار) الكثير المشى والفلك يكون واحدا وجمعا و يذكر و يؤنث (أساودى) أمتاعى

واستصحبت زادي ومزاودي ثم ركبت فيه ركوب حاذر ناذر عاذل لنفسه عاذر فلما شرعنا في القلعه ورفعنا الشرع للسرعة سمعنا من شاطئ المرسى حين (٣٨٢) دجا الليل وأغسى هاتفا يقول يا أهل ذا الفلك القويم المزجى في البحر العظيم

بتقدير العزيز العليم هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم فقلنا له أقبسنا نارك أيها الدليل وأرشدنا كما يرشد الخليل الخليل فقال أتستصحبون ابن سبيل زاده في زبيل وظله غير ثقيل وما يبغي سوى مقيل فأجمعنا على الجنوح إليه وأن لا نبخل بالماعون عليه فلما استوى على الفلك قال أعوذ بمالك الملك من مسالك الهلك ثم قال إنا روينا في الأخبار المنقولة عن الأحبار أن الله تعالى ما أخذ على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا وإن معي لعوذة عن الأنبياء مأخوذة وعندي لكم نصيحة براهينها صحيحة وما وسعني الكتمان ولا من خيمي الحرمان فتدبروا القول وتفهموا واعملوا بما تعلمون وعلموا ثم صاح صيحة المباهي وقال أتدرون ما هي هي والله حرز السفر عند مسيرهم في البحر والجنة من الغم إذا جاش موج اليم وبها استعصم نوح من الطوفان ونجا ومن معه من الحيوان على ما صدعت

لانها تسود الارض بظلها وهي جمع أسودة واسودة جمع سواد وسواد الامير ثقله * أبو عبيد كل شخص سواد من متاع أو انسان أو غيره و(الحاذر) الخائف (ناذر) خالف وأراد به الذى ينذر بخيران سلمه الله تعالى من هول البحر (عاذل وعاذر) يريد أنه يعذل نفسه عن التغرير بدخول البحر ومقاساة أهواله ويعذرها لكثرة المناجر (شرعنا في القلعة) أخذنا في قلع المراسي ورفع القلع وهي الشرع (قوله أغسى) أي أظلم (هاتفا) أي صائحا (القويم) المستقيم (المزجى) المسوق المسير قال الله تعالى ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر أي يسيرها وأزجاه اذا ساقه (أقبسنا) أعطنا (أرشدنا) دلنا قال الازهري رحمه الله (ابن السبيل) هو المسافر الذي انقطع به وهو يريد الرجوع الى بلده ولا يجد ما يتبلغ به فله سهم في الصدقات (زبيل) قفة من جلود وألغز به بعضهم فقال

وذي أذنين لا يتنسمات قوتا * وجوف للحوائج واحتمال
يكلف شغل أهل البيت طرا * وتحمل فيه أقوات العيال
تسر اليه في الاسواق سرا * فلا يفشيه الا في الرحال

(ظله غير ثقيل) أي هو خفيف الروح وقد تقدم معنى استثقال ظله في الثانية والعشرين ويريد بظله شخصه كما يسمى الشخص سواد الانه يسود الارض بظله قال زياد بن عبد الله قيل للشافعي رضي الله عنه هل تمرض الروح قال نعم من ظل الثقلاء قال فمررت به يوما وهو بين ثقيلين فقلت كيف الروح قال في النزع وقال الهيثم بن عدي النظر الى الثقيل حمى الروح (مقيل) موضع جلوس في القائلة (الجنوح) الميل (الماعون) المعروف والماعون اسم للمطر وأنشد أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه

يمج صبيره الماعون مجا * اذا نسم من الهيف اعتراه

والماعون الزكاة قال الراعي

قوم على الاسلام لما يمنعوا * ماعونهم ويضيعوا التهليلا

(مسالك) طرق * ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمان لامتي من الغرق اذا ركبوا في السفن أن يقولوا بسم الله الملك وما قدروا الله حق قدره الآية بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم (وقوله ان الله تعالى ما أخذ على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا) قيل معنى أخذ أوجب وأراد قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه * أبو هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما آتى الله تعالى عالما علما الا أخذ عليه الميثاق أن لا يكتمه قال الحسن بن عمر أتيت الزهري بعد أن ترك الحديث فألفيته على بابه فقلت اما أن تحدثني واما أن أحدثك قال حدثني فقلت حدثني الحكم بن عيينة عن يحيى بن الجزار قال سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول ما أخذ الله على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء ان يعلموا قال فحدثني بأربعين حديثا (قوله عوذة) أي ما يتعوذ به الانسان من الحرز وشبهه (براهينها) حججها (خيمي) طبعي (الحرمان) منع الفوائد (المباهي) المفاخر الكثير الاعجاب (السفر) المسافرون (الجنة) الستر (جاش) تحرك وهاج (اليم) البحر (استعصم) امتنع (الطوفان) الماء العام (صدعت) نطقت (آي) جمع آية وتقدمت (الاساطير) هي الاباطيل (زخارف) اشياء مزينة (المغرمين) المعذبين والمغرم المولع بالحب وغيره (الراشدين) الهادين للطريق (الطلاوة) الحسن والقبول (عجت) ارتفعت (آنس)

به آي القرآن ثم قرأ بعد أساطير الاها وزخارف حلاها وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ثم تنفس احس تنفس المغرمين أو عباد الله المكرمين وقال أما أنا فقد قمت فيكم مقام المبلغين ونصحت لكم نصح المبالغين وسلكت بكم محجة الراشدين فاشهد اللهم وأنت خير الشاهدين (قال الحرث بن همام) فأعجبنا بيانه البادي لطلاوة وعجت له أصواتنا بالتلاوة وآنس

أحس وأدرك (بجرسه) صوته الخفى (عين شمسه) حقيقة نفسه ومعرفته (اللجى) العظيم اللجة وهى معظم الماء * ونذكرهنا بعض ماحدث من طوفان نوح عليه السلام ذكراهل الاخبار ان نوحا عليه السلام أول نبى بعث وأن قومه كانوا أهل أوثان يعبدونها من دون الله فبعث لهم نوح فدعاهم الى الله فكانوا يبطشون به ويستخفون به وهو يقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون فلما كثر استخفافهم قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فأوحى الله اليه أن اصنع الفلك فانهم مغرقون فأقبل على قطع الخشب وضرب الحديد وتهيئة العود بالقار وغيره فصنعه من خشب الساج وجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله فى السماء ثلاثين ذراعا وكان قومه فى خلال صنعة السفينة يأتونه أفواجا يستخفون عقله ويعدون فعله من جنونه ويقولون له عملت سفينة فى البر فيقول لهم سوف تعلمون فلما اطمأنوا فى الفلك فار التنور من الهند وقال الشعبى رحمه الله من الكوفة وفتحت أبواب السماء بماء منهمر وتفجرت الارض عيونا فكان بين ارسال الماء وارتفاعه أربعون يوما فلما بلغ الماء اليهم أووا الى الجبال فكانت الجبال تستقبلهم بالحجارة وتغرقهم فى الماء فما نوا غرقى وارتفع الفلك وجعل يجرى فى موج كالجبال ودار الارض كلها فى ستة أشهر وعشر ليال ويقال انهم ركبوها لعشر ليال مضين من رجب ونزلوا يوم عاشوراء من المحرم فلذلك صام الناس يوم عاشوراء وأتت السفينة الحرم فدارت به أسبوعا ولم يبق شئ من الخلائق ولا من الشجر الاهلك الانوح ومن معه والاعوج بن عنق فيما زعم أهل الكتاب وانتهت آخرا الى الجودى وهو جبل بالحصنين من أرض الموصل فنزلت عليه (قوله ابن جلا) أى المشهور المعروف يقال للرجل اذا كان عالى الشرف واضح الامر لا يخفى مكانه هو ابن جلا أى هو الذى جلا الامور بنفسه وأوضحها قال سحيم بن وائل

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفونى

وكان صاحب غارات يطلع فيها من ثنية الجبل على قومه قال ثعلب العمامة تلبس فى الحرب وتوضع فى السلم قال ابن الاعرابى يقال للسيد ابن جلا قال سيبويه رحمه الله جلا فعل ماض كانه يعنى الذى جلا أى أوضح وكشف (قوله أحمدت) أى وجدته محمودا (سفرت) كشفت وأزالت الهم (سفر) عرفنا بنفسه ويقال سفرت عن نفسى كما سفر أى عرفته شخصى كما عرفنى هو شخصه ونفسه (رهو) ساكن ويقال فعل ذلك رهوا أى ساكنا من غير تشدد قال تعالى واترك البحر رهوا والرهو عند العرب الساكن يقال جاءت الريح رهوا أى ساكنة ويجوز أن يكون رهوا من نعت موسى عليه السلام أى اتركه على هينتك أو يكون من نعت البحر أى دعه يا موسى ساكنا وافقا ماؤه واعبره (الجو) ناحية السماء (صحو) نقى من السحاب (المثرى) الغنى و(العقبان) الذهب ينبت نباتا (عصفت) الريح اشتدت (الجنوب) الريح القبلية (عسفت) جاءت من كل جانب والعسف ركوب الامر على جهالة و(والخبوب) بخاء معجمة جمع خب وهى الرواية الصحيحة عن ابن جهور وغيره وهو هيج البحر واضطراب الماء وهو الذى صححه الفنجديهى كان أبا عمرو القسطلى شاهد هذه الحالة من هول البحر فوصفه بقوله

ألسك شحنا الفلك تهوى كأنها * وقد ذعرت من مغرب الشمس غربان
على لجج خضر اذا هبت الصبا * ترامى بنا فيها ثبير وثهلان
مواثل يرعى فى ذراها مواثل * كما عبدت فى الجاهلية أوثان
نقاتل موج البحر واليم والدجى * تموج بنا فيها عيون وآذان
الاهل الى الدنيا معاد وهل لنا * سوى البحر قبرا وسوى الماء أكفان

وقال آخر
وسماء فى الثرى مخضلة * لازوردية مافيها صفا

فلبى من جرسه معرفة عين شمسه فقلت له بالذى سخر البحر اللجى الست السروجى فقال لى بلى وهل يخفى ابن جلا فأحمدت حينئذ السفر وسفرت عن نفسى اذ سفر ولم نزل نسير والبحر رهو والجو صحو والعيش صفو والزمان لهو وأنا أجد للقيانه وجد المثرى بعقيانه وأفرح بمناجاته فرح الغريق بمنجاته الى أن عصفت الجنوب وعسفت الخبوب

ونسي السفر ما كان
وجاءهم الموت من كل مكان
فملنا لهذا الحدث الثائر
الى احدى الجزائر لنريح
ونستريح ريثما تواتي
الريح فتمادى اعتياص
المسير حتى نفد الزاد غير
اليسير فقال لي أبو زيد
انه لن يحرز جنى العود
بالقعود فهل لك في
استثارة السعود بالصعود
فقلت له اني لاتبع لك من
ظلك وأطوع من نعلك
فنهدنا الى الجزيرة على
ضعف من المريرة لنركض
في امتراء الميرة وكلانا
لايملك فتيلا ولايهتدي
فيها سبيلا فأقبلنا نجوس
خلالها ونتفيأ ظلالها
حتى أفضينا الى قصر مشيد
له باب من حديد ودونه
زمرة من عبيد فناسمناهم
لنتخذهم سلما الى الارتقاء
وأرشية للاستقاء فألفينا
كلا منهم في مسك كسير
وكرب أسير فقلنا أيتها
الغلمة ماهذي الغمة
فلم يجيبوا النداء ولا
فاهوا ببيضاء ولا سوداء
فلما رأينا نارهم نار
الحباحب وخبرهم

غصت الارض فلم تترك لنا * من فضاء الارض الا طرفا
فكأن الارض فيها عائم * غاب الا هامة أو كتفا
وكأن الموج فيها عسكر * لبسوا الاماء وغالوا الحجفا
خافق راجفة أحشاؤه * كحشا المهجور يهفو أسفا

(قوله نسي السفر ما كان) أي نسوا ما كان من طيب العيش بصفو الصحو (قوله الحدث الثائر) أي الامر الطارئ (لنريح) أي لنريح أنفسنا من تعب الهول والخوف وأراح الرجل استراح وأراح غيره وأراح الريح وأروحها واستروحها وجدها (ريث) قدر والريث اللبث والبطء (تواتي) توافق (اعتياص) التواء وتصعب (نفد) فني (استثارة) استخراج يقول هل لك في ادراك الحظ بالخروج من السفينة الى البرية (نهدنا) نهضنا (المريرة) قوة النفس (نركض) بفتح أوله وأصل الركض تحريك القوائم ومنه اركض برجلك ولهذا قيل للجنين اذا اضطرب في بطن أمه قد ارتكض ومن مشكل أبيات المعاني

قد سبق الحلبة وهو راكض * فكيف لا يسبق وهو رابض

المراد أن أمه سبقت الجياد وهي حامل به فأضاف السبق اليه لاتصاله بها وأراد براكض تحريكه قوائمه في مقره والركض يستعمل في الخيل وغيرها فيقال ركض البعير برجله والطائر بجناحه (قوله امتراء) أي استخراج (الميرة) جلب الرزق ومار الرجل على أهله ميرا جلب لهم القوت (نجوس خلالها) نطوف في طرقها قال الليث وابن سيده الجوس والجوسان التردد في خلال الدور والبيوت وقال الاصمعي والازهري وأبو عبيدة جاسوا الموضع وطؤه وفلان يجوس بني فلان أي يطؤهم يطلب فيهم وقال الطبري والنقاش والزجاج والثعالبي فجاسوا خلال الديار أي طافوا بين بيوتهم يقتلونهم ويطلبونهم ذاهبين وجائين والخلال الفرجة بين الشيئين والجمع خلال (نتفيأ) نستظل وتفيأ به استظل به وتفيأ أتقلب (أفضينا) وصلنا (مشيد) مرتفع البناء والشيد الجص (زمرة) جماعة (ناسمناهم) قربنا منهم وناسمه سارّه وشامه وناسمت الرجل قربت نسمتك من نسمته وتحدثت معه سرا (أرشية) حبالا (الارتقاء) الصعود (المسك) الجلد يريد أنه شديد التوجع وهذا كما تقول لقيت فلانا في ثوب نمر أو في جلد أسد أي لقيته بادي الشر قال الشاعر

فطورا ترانا في مسوك جيادنا * وطورا ترانا في مسوك الثعالب

قال البكري الخيل توصف بالاقدام والثعالب بالروغان فيريد أنهم مقدمون على أعدائهم يوما وراغون عنهم يوما وقال الاستاذ أي أسروا فكتفوا بجلود خيلهم المعقورة وفي جلود الثعالب كناية عن خبث الاسير (فاهوا) نطقوا (سوداء) كلمة رديئة (نار الحباحب) ما طار من الشرر في الهواء بتصادم حجرين أو بضرب حافر في حجر وتلك نار لا منفعة فيها وقيل الحباحب رجل بخيل كان يوقد نارا ضعيفة لئلا يقصد فان أحس بانسان أطفأها لئلا يقتبس أحد من ناره وقيل نار الحباحب نار سراجه ولبخله كان اذا جاء أحد يوقد منه أطفأها وقال عبد الصمد بن المعذل في أخيه

ليت لي منك يا أخي * جارة من محارب
نارها كل شتوة * مثل نار الحباحب

يريد جارة القطامي التي يقول فيها

الى حيزبون توقد النار بعدما * تلفعت الظلماء من كل جانب
فلما تنازعنا الحديث سألتها * عن الحي قالت معشر من محارب
ألا انما نيران قومي اذا شتوا * لطارق ليل مثل نار الحباحب

وقيل الحباحب ذباب يطير بالليل له شعاع كالسراج (قوله خبرهم) الخبر بضم الخاء مصدر خبرت أخبر

اذا امتحنت (والسباسب) والبسابس الارض المستوية واحدها سبسب وبسبس (شاهت الوجوه) قبحت الوجوه وفى الحديث أخذ عليه الصلاة والسلام قبضة من تراب يوم بدر فحثاها فى وجوه المشركين وقال شاهت الوجوه ويقال شاه وجه الرجل يشوه شوها وشوهة قبح ووجه مشوه أى مقبح ورجل أشوه وامرأة شوهاء و (اللكع) اللئيم وقد لكع لكعا فهو ألكع ولكع ولكيع اذا لؤم وحمق وامرأة لكاع ولكيعة (قوله علته كبرة) أى أسن وكبر (وعرته عبرة) أى غشيته دمعة و (الخادم) الخصى موصوف بطول العمر وسرعة العبرة قال الهيثم بن عدى وفى الخصى عشر خصال لا تجتمع فى غيره التهمة والنميمة والشره وسرعة الدمعة وطول العمر وكبر القدم والتبرى من الصلع والاجارة فى الصغر والقيادة فى الكبر والاسترخاء فى المقعدة وسعة الجحر (لا توسعونا سبا) أى لا تكثروا واشتمنا (عتبا) لوما وموجدة وعتبت عليه أعتب عتبا وعتابا وأعتبه أرضاه والعتبى الرضا واستعتبته طلبت اليه أن يعتب وقال النابغة * وان تك ذا عتبى فمثلك يعتب * وقال حبيب

صرت تحمل العتبى الى العتب والرضا * الى السخط والعذر الجميل الى الحقد

(الخناق) الحبل يخنق به كالعقال للجمل يعقل به (نفس) روح وحل عن المخنوق و (البث) الحزن (انفث) تكلم وأصله ابصق (عرافا) كثير المعرفة والعراف العالم بالشئ وأصله الكاهن (قطب هذه البقعة) أى رئيس هذه الارض وقطب القوم سيدهم الذى يلجؤن اليه (وشاه هذه الرقعة) ملك هذه الجزيرة وأراد بالرقعة سفرة الشطرنج وشاهها ملك جيشها الذى يتصرف فى بيوتها كيف شاء وقد أحسن من قال فيها

أرض مربعة حمراء من أدم * ما بين خلين موصوفين بالكرم
تذاكرا الحرب فاحتالا لها شبها * من غير أن يسعيا فيها لسفك دم
هذا يغير على هذا وذاك على * هذا يغير وعين الحرب لم تنم
فانظر الى فطن جاشت بمعرفة * فى عسكرين بلا طبل ولا علم

(قوله كمد) أى حزن (المغارس والمفارش) النساء كأن النطف تغرس فيهن فيكثر الولد منها (النفائس) الكرائم (عقيلة) خيرة والعقيلة درة البحر وبه سميت المرأة لكرمها وشرفها وكل كريمة من النساء والابل والخيل فهى عقيلة (الرقلة) النخلة الطويلة (الفسيلة) نخيلة تكبر فى أصل النخل أراد أن المرأة حملت بولد (نذرت النذور) أى وعدت بفعل خير ان سلم الحمل (أحصيت) عددت وعلم ما بقى منها (حان النتاج) قرب وقت الولادة (صيغ) صنع (الطوق) الثوب يلبسه المولود بغير جيب ولما سبق الى جذيمة ابن أخته عمرو كان له طوق يلبسه فى الصغر فقال له البسه فلم يسعه فقال شب عمرو عن الطوق فذهبت مثلا قال ابن القبطرية فى الحكم بن حزم وكلفه ذلك ابن سراج

رأى صاحبى عمرا فكلف وصفه * وحملنى من ذاك ما ليس فى الطوق
فقلت له عمرو كعمرو فقال لى * صدقت ولكن شب هذا عن الطوق

(عسر) صعب (مخاض) تحرك الولد عند الولادة وقيل وجع الولادة (القرار) السكون (الغرار) النوم القليل وهو من غر الطائر فرخه يغره اذا أطعمه شيأ بعد شئ وأخذه من قول الشاعر

لا أذوق النوم الا غرارا * مثل حسو الطير ماء الثمار

(ولا يطعم النوم) أى لا يذوقه ويقال طعمه وتطعمه ذاقه وفى المثل تطعم تطعم أى ذق تشته (أجهش) أى تهيأ للبكاء والاجهاش تغير الوجه عند ارادة البكاء (أعول) رفع صوته بالبكاء (الاسترجاع) قد تقدم (الطلق) وجع الولادة سمى طلقا على التفاؤل للمرأة بالانطلاق بالولد (سمعها) ذكرها الجميل (تبادرت) تسابقت * وجمع غلام غلمة وغلمان (البلوى) البلاء (كلا ولا) أى كاللفظ بهما وهى كناية عن قلة اللبث وسرعة الامر ويضرب بها المثل فيقال أخف من لا على اللسان وأقل

كسراب السباسب فلما شاهت الوجوه وقبح اللكع ومن يرجوه فابتدر خادم قد علته كبرة وعرته عبرة وقال يا قوم لا توسعونا سبا ولا توجعونا عتبا فانا لفى حزن شامل وشغل عن الحديث شاغل فقال له أبو زيد نفس خناق البث وانفث ان قدرت على النفث فانك ستجد منى عرافا كافيا ووصافا شافيا فقال له اعلم أن رب هذا القصر هو قطب هذه البقعة وشاه هذه الرقعة الا أنه لم يخل من كمد خلوه من ولد ولم يزل يستكرم المغارس ويتخير من المفارش النفائس الى أن بشر بحمل عقيلة وآذنت رقلته بفسيلة فنذرت له النذور وأحصيت الايام والشهور ولما حان النتاج وصيغ الطوق والتاج عسر مخاض الوضع حتى خيف على الاصل والفرع فما فينا من يعرف قرارا ولا يطعم النوم الا غرارا ثم أجهش بالبكاء وأعول وردد الاسترجاع وطول فقال له أبو زيد اسكن يا هذا واستبشر وأبشر بالفرج وبشر فعندى عزيمة الطلق التى انتشر سمعها فى الخلق فتبادرت الغلمة الى مولاهم متباشرين بانكشاف بلواهم فلم يكن الا كلا ولا

حتى برزمن هلم بنا اليه فلما دخلنا عليه ومثلنا بين يديه قال لابي زيد ليهنك منالك ان صد
مقالك ولم يفسل فالك فاستحضر قلما مبريا وزبدا بحريا وزعفرانا قد ديف فى ماء ورد نظيف فما ان رجع النفس حتى أحضر ما التمس فسجد أبو زيد وعفر وسبح واستغفر وأبعد الحاضرين ونفر ثم أخذ القلم واسحنفر وكتب على الزبد بالمزعفر

أيهذا الجنين انى نصيح
لك والنصح من شروط الدين
أنت مستعصم بكن كنين
وقرار من السكون مكين
ماترى فيه مايروعك من الف مداج ولا عدو مبين
فمتى مابرزت منه تحوّلت الى منزل الاذى والهون
وتراءى لك الشقاء الذى تلقى فتبكى له بدمع هتون
فاستدم عيشك الرغيد وحاذر
أن تبيع المحقوق بالمظنون
واحترس من مخادع لك يرقيك ليلقيك فى العذاب المهين
ولعمرى لقد نصحت ولكن
كم نصيح مشبه بظنين

ثم انه طمس المكتوب على غفلة وتفل عليه مائة تفلة وشد الزبد فى خرقة حرير بعد ماضمخها بعبير وأمر بتعليقها على فخذ الماخض وأن لاتعلق بها يد حائض فلم يكن الا كذواق شارب أو فواق حالب حتى اندلق شخص الولد لخصيصى الزبد بقدرة الواحد الصمد فامتلأ القصر

من لا فى اللفظ وقال جرير

يكون نزول القوم فيها كلا ولا * عشاشا ولا يدنون رجلا الى رجل

عشاشا أى قليلا ويقال لقيه على عشاش أى على عجلة وقال الكميت

كلا وكذا تغميضهم ثم هجتم * لدى حين أن كانوا الى النوم أفقرا

يقول كان نومهم فى القلة والسرعة كقول القائل لا وذا وقال الحسن رحمه الله

ياعاقد القلب منى * هلا تذكرت حلا * تركت منى قليلا * من القليل أقلا
يكاد لا يتجزى * أقل فى اللفظ من لا

وفى أبيات البديع

وأروع أهداه لى الليل والفلا * وجس غس الارض لكن كلا ولا

جعل قوائم فرسه وهى الجس غس الارض فى المشى كلا ولا على اللسان (قوله برز) أى خرج (هلم) دعا وقال لنا هلم (مثلنا) وقفنا ومثل بين يديه انتصب قائما (منالك) عطاؤك (ولم يفل فالك) يخطئ رأيك وفال رأيه فيولة ضعف وأخطأ و (الزبد) حجر معروف وهو شديد البياض دقيق الثقب جدا يوجد عائما على وجه الماء يصرف فى الاكحال وقالت الحكماء من خصائص الزبد البحرى انه اذا علق على امرأة ماخض سهل عليها الولادة ويكون فى بحر اليمن (ديف) خلط (التمس) طلب (عفر) جعل وجهه على الارض والعفر التراب (اسحنفر) جد وشمر للكتابة ويقال اسحنفر فى الامر اذا تحفز فيه وقالت جارية من العرب

ياأمتا أبصرنى راكب * مسحنفر فى مسرب لاحب
مازلت أحثو الترب فى وجهه * عمدا وأحمى حوزة الغائب

فأجابتها أمها

الحصن أولى لو تأبيته * من حثيك الترب على الراكب

مسرب طريق لاحب بين الغائب زوجها الحصن العفة تأبيته تعمدته وقصدته (المزعفر) المداد من الزعفران (الجنين) الولد فى بطن أمه (النصح) ضد الغش قال الخطابى النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح وقيل أصلها من نصح الرجل ثوبه أى خاطه والنصاح الخيط شبهوا فعل الناصح بالخيط الذى يلائم الخلل والفتوق والتوبة النصوح كأنها ترقع ماخرقته المعصية (مستعصم) مستمسك ممتنع واستعصم فى ذكر يوسف امتنع وتأبى (كن) موضع يكن (كنين) ساتر والكنين المستور و (القرار) المكان المطمئن الذى يستقر فيه الماء وأراد به الرحم (يروعك) يفزعك (الف) صاحب (مداج) يظهر الحب ويضمر خلافه وداجاه ساتره بالعداوة (برزت) خرجت (الاذى) الضرر (الهون) الهوان (تراءى) تظاهر (هتون) كثير السيلان وهتنت السماء صبت (الرغيد) الواسع (المحقوق) الذى لا يشك فيه (المظنون) المشكوك فيه فهو يشير على الصبى أن يقيم فى بطن أمه ولا يخرج للدنيا (ظنين) متهم (طمس) غطى وطمست الدار اذا غطى التراب آثارها ومحاها و (التفل) نفخ يخرج معه بصاق متفرق وأوله البزق ثم التفل ثم النفث ثم النفخ (ضمخها) لطخها (عبير) اخلاط من الطيب (الماخض) الحامل (ولا تعلق بها يد حائض) تمويه بان مكتوبه من القرآن والحائض لا تمسه (الذواق) مس الطعام أو الشراب بلسانك (الفواق) ما بين الحلبتين من الوقت لان الناقة تحلب ثم تترك ساعة يرضعها فصيلها لتدر ثم تحلب (اندلق) خرج بسرعة وكل شئ يندر خارجا بسرعة فقد اندلق واندلق السيف من غمده اذا سقط من غير أن يسل (خصيصى الزبد) أى خاصيته التى ينفرد بها عن الاحجار واختصصت بالشئ انفردت به وجاء فى خصيصى القوم مقصورا أى خاصتهم وخصصته بالشئ خصوصا وخصوصية وخصيصى * ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ماولد فى أهل بيت غلام الا أصبح فيهم عز لم يكن وقال صلى الله عليه وسلم من

ولد

ولدله مولود فاذن فى أذنه اليمنى وأقام فى اليسرى دفعت عنه أم الصبيان (حبورا) سرورا (واستطير) داخله السرور (عميده) سيده (طمريه) ثوبيه * وذكر ابن قتيبة بسند متصل بابن عباس رضى الله عنهما أنه قال مر عيسى بن مريم عليه السلام على بقرة قد اعترض ولدها فى بطنها فقالت يا كلمة الله ادع الله أن يخلصنى فقال يا خالق النفس من النفس ويا مخرج النفس من النفس ويا مخلص النفس من النفس خلصها فالقت مافى بطنها فاذا عسرت على المرأة ولادتها فيكتب على مكيال ثم تعطاه المرأة * وذكر الفنجديهى بسند متصل بأبى هريرة رضى الله عنه قال بينما عيسى ويحيى عليهما السلام فى البرية اذ رأيا وحشية ماخضا فقال عيسى ليحيى قل تلك الكلمات حنة ولدت مريم ومريم ولدت عيسى الارض تدعوك يا ولد اخرج يا ولد اخرج قال حماد بن زيد فما يكون فى الحى امرأة ماخض فيقال هذا عندها الا ولدت حتى الشاة التى يتعسر وضعها فيقال هذا عندها فلا تبرح حتى تضع * يونس بن عبيد الله اللهم أنت عدتى عند شدتى وأنت صاحبى عند كربتى وأنت ولى نعمتى من قالها عند النفساء اذا عسر عليها ولدها أو على بهيمة أذن الله تعالى فى خروجه * وذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال اذا عسر على المرأة ولادتها فليكتب لها بسم الله لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون قال سفيان يكتب هذا فى جام وتسقاه * وذكر عن أبى الزناد قال كنت مئناثا فقيل لى استغفر الله اذا جامعت ففعلت فوضع لى بضعة عشر ذكرا (قوله خيل) أى شبه و (أويس) القرنى بشر به النبى صلى الله عليه وسلم وهو من التابعين وفى صحيح مسلم ان أهل الكوفة وفدوا على عمر رضى الله عنه وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس فقال عمر رضى الله عنه هل ههنا أحد من قرن فجاء ذلك الرجل فقال عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير أم له وقد كان فيه بياض فدعا الله فأذهبه الله عنه الا موضع الدينار أو الدرهم فمن لقيه منكم فليستغفر لكم وفيه عن أسيد بن جابر قال كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا أتاه امداد أهل اليمن سأل أفيكم أويس بن عامر حتى أتى على أويس فقال أنت أويس بن عامر قال نعم قال من مراد ثم من قرن قال نعم قال فكان بك برص فبرئت منه الا موضع الدرهم قال نعم قال ألك والدة قال نعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتى اليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن وكان به بياض فبرئ منه الا موضع الدرهم له والدة هو بها بار لو أقسم على الله لابره فان استطعت أن يستغفر لك فافعل فاستغفر لى فاستغفر له فقال عمر رضى الله عنه أين تريد فقال الكوفة قال ألا أكتب لك الى عاملها قال أكون فى غبراء الناس أحب الى قال فلما كان فى العام القابل حج رجل من أشرافهم فوافى عمر رضى الله عنه فسأله عن أويس فقال تركته رث البيت قليل المتاع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتى عليكم أويس بن عامر مع امداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن وكان به برص فبرئ منه الا موضع درهم له والدة هو بها بار لو أقسم على الله لابره فان استطعت أن يستغفر لك فافعل فأتى أويسا فقال استغفر لى فقال أنت أحدث عهدا بسفر صالح قال نعم قال له لقيت عمر قال نعم واستغفر له ففطن له الناس فانطلق على وجهه قال أسيد وكسوته بردة فكان كلما رآه انسان قال من أين لاويس هذه البردة وفى كتاب الاحياء انه لما ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال أيها الناس من كان من أهل العراق فليقم فقاموا فقال اجلسوا الا من كان من أهل الكوفة فجلسوا ثم قال اجلسوا الا من كان من مراد فجلسوا قال اجلسوا الا من كان من قرن فجلسوا الا رجلا واحدا فقال له عمر رضى الله عنه قرنى أنت قال نعم قال أتعرف أويسا قال نعم وما تسأل عن ذلك يا أمير المؤمنين والله ما فينا أحمق ولا أجن ولا احول منه فبكى عمر رضى الله عنه ثم قال ما قلت الا أنى سمعت رسول الله صلى الله

* ذكر أويس القرنى رضى الله تعالى عنه *

حبورا واستطير عميده وعبيده سرورا وأحاطت الجماعة بأبى زيد تثنى عليه وتقبل يديه وتتبرك بمساس طمريه حتى خيل الى أنه القرنى اويس أو الاسدى

عليه وسلم يقول يدخل فى شفاعته مثل ربيعة ومضر ولما كان عند أهله كالمجنون بنواله بيتا على باب دارهم فكان تأتى عليهم السنة لا يرون وجهه كان يخرج أول الاذان ويأتى بعد العشاء الآخرة وكان طعامه أن يلقط النوى فكلما أصاب حشفة خبأها لافطاره فان أصاب منه ما يقوته باع النوى وتصدق به والا اشترى منه ما يقوته وكان لباسه قطع الاكسية من المزابل يلفق بعضها الى بعض ثم يلبسها واذا مر بالصبيان رجموه يظنون أنه مجنون ولهذا عظم النبى صلى الله عليه وسلم حرمته فقال انى لاجد نفس الرحمة من قبل اليمن اشارة اليه وأما (دبيس) فهو الامير سيف الدولة بن مزيد الاسدى وقيل دبيس بن صدقة بن مزيد وذكر أبو الحسن على بن الحسين بن أبى طالب الباخرزى الامير أبا الاعز دبيس بن على فقال خدمته ببغداد وعبرت اليه أخت يده الجواد يعنى دجلة وهى زاخرة الامداد فاذا باحة للطارقين مباحة وراحة فى كفها للعفاة راحة وقباب التفت بها غاب القنا واشترك مع أسودها الناس فى فرائس الغنى قال الفنجديهى سمعت بعض أهل الفضل يقول ببغداد لما سمع الامير دبيس ان الرئيس أبا محمد الحريرى ذكره فى مقاماته وأوردفيها بعض صفاته نفذ اليه من الخلع السنية والجوائز الهنية ومزية العطية ما عجز عنه الوصف وكل عنه الطرف واقتضاه علو همته وسمو قدرته ثم عصى دبيس على الامام المسترشد بالله أمير المؤمنين أبى منصور الفضل بن المستظهر بالله وسعى فى اراقة دمه وجمع العساكر وحشد وقصد بغداد فى عسكر عظيم وعاث فى أطرافها وأفسد فى أكنافها فخرج المسترشد بالله أمير المؤمنين من دار الخلافة واجتمعت اليه الاجناد وظهر اليه وحمل عليه فهزم دبيس وعسكره وانتهى الى الحلة المزيدية فانتهبها وذلك فى المحرم فى سنة سبع عشرة وخمسمائة وانهزم دبيس فى خواص من أصحابه وغلمانه خوفا من الخليفة ومر نحو الشام ثم قتل الامير دبيس بن صدقة بن مزيد فى سنة ثلاثين أو فى سنة تسع وعشرين قتله السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه لامور أنكرها وأسباب امتعض لها نسبت اليه (قوله انثال) أى انصب (جوائز) عطايا (وصائل) متصلات غير منقطعة والوصائل ثياب حمر مخططة تصنع باليمن يلبسها النساء قال الشاعر * لها حبك كأنها من وصائل * (قيض) قدر وساق (ينتابه) أى يقصده ويأتيه مرة بعد أخرى (الدخل) العطايا التى تدخل اليه من قبل الامير وغيره ورجل كثير الدخل اذا كثر دخل الرزق عليه و(السخل) الولد ومما يستحسن فى التهنئة بولد قول الحلوانى

نجم تولد من شمس ومن قمر * وأين من أبواه الشمس والقمر
شمس العفاف ومجد البدر بينهما * تولد النور الا أنه بشر

أخذه من قول ابن الرومى

شمس وبدر ولدا كوكبا * أقسمت بالله لقد أنجبا

وجاء الرمادى يهنئ الفقيه ابن العطار بمولود فقال

يهنيك ما زادت الايام فى عددك * من فلذة برزت بالسعد من كبدك
كأنما الدهر دهر كان مكتئبا * من انفرادك حتى زاد فى عددك
لا خلفتك الليالى تحت ظل ردى * حتى ترى ولدا قد شب من ولدك

(قوله تسنى الاتمام) أى تيسر اتمام المشى والاقلاع (اكتفى) اقتنع (النحلة) العطية (أوعز) ووعز تقدم يعقوب لا يقال وعز بالتخفيف (حزانته) جماعته وعياله الذين يتحزنون لنكبته ولفقده ويحزن هو لضيعتهم (أحميت) ملت عليه وقصدته به (التعنيف) اللوم والاخذ باللسان (المألف) البلدة وموضع الالفة (الاليف) الصاحب (اليك عنى) تباعد عنى (تصبون) تميلن وصبوت اليه ملت بالمحبة (تضام) تذل (تمتهن) تحتقر وقال محمد بن بشر فى هذا المعنى

(ذكر الامير دبيس)

دبيس ثم انثال عليه من جوائز المجازات ووصائل الصلات ما قيض له الغنى وبيض وجه المنى ولم يزل ينتابه الدخل مذ نتج السخل الى أن أعطى البحر الامان وتسنى الاتمام الى عمان فاكتفى أبو زيد بالنحلة وتأهب للرحلة فلم يسمح الوالى بحركته بعد تجربة بركته بل أوعز بضمه الى حزانته وأن تطلق يده فى خزانته (قال الحرث بن همام) فلما رأيته قد مال الى حيث يكتسب المال أحميت عليه بالتعنيف وهجنت له مفارقة المألف والاليف فقال اليك عنى واسمع منى

لا تصبون الى وطن
فيه تضام وتمتهن
وارحل عن الدار التى

انما أزرى بقدرى أننى * لست من بابة أهل البلد
ليس منهم غير ذى مقلية * لذوى الالباب أوذى حسد
يتحامون لقائى مثل ما * يتحامون لقاء الاسد
مطلعى أثقل فى أعينهم * وعلى أنفسهم من أحد
لو رأونى وسط بحر لم يكن * أحد يأخذ منهم بيدى

(وقال البحترى)

أشرق أم أغرب ياسعيد * وأنقص من زماعى أم أزيد
عدتنى عن نصيبين العوادى * فبختى أبله فيها بليد
وأخلفنى الزمان على رجال * وجوههم وأيديهم حديد
لهم حال حسن فهن بيض * واخلاق سمجن فهن سود

وممن نبا به بلده القاضى أبو محمد عبد الوهاب خرج من بغداد يريد مصر فشيعه أكارها ومن أصحاب محابرها جملة موفورة فقال لهم والله لو وجدت بين أظهركم رغيفين كل يوم ما عدلت ببلدكم بلوغ أمنية والخبز عندهم يومئذ ثلثمائة رطل بدينار وقال

سلام على بغداد منى تحية * وحق لها منى السلام المضاعف
لعمرك ما فارقتها قاليا لها * وانى بشطى جانبيها العارف
ولكنها ضاقت على برحبها * ولم تكن الاقدار ممن يساعف
فكانت كخل كنت أهوى دنوه * وتأبى به أخلاقه فيخالف

وقال أيضا

بغداد دار لاهل المال واسعة * وللمفاليس دار الضنك والضيق
قد صرت أمشى مها بأنى أزقتها * كأننى مصحف فى كف زنديق

(قوله الوهاد والقنن) الانخفاض والارتفاع والقنة أعلى الجبل والوهدة القعدة من الارض تجرى اليها مياه جهاتها (حصنا) جانبا حصينا مانعا (اربأ) أى ارتفع (يغشاك) يغطيك (الدرن) الوسخ (المعاهد) منازل سكانه (الحنين) الشوق (السكن) الاهل (الاصداف) محال الجوهر (يستزرى) يستحقر (يبخس) ينقص ومعنى هذه الابيات يقول ارحل عن بلد يعلوفيها قدرأصاغر الناس قدر أكابرهم ولا تقم فيه على الهوان وارفع قدر نفسك من أن تقيم بموضع توسخك فيه الاهانة فان المرء حيث يضع نفسه وطف بالبلاد واختر وطنا ما أرضاك فان الحر يضيع فى وطنه ولا يعرف قدره * الاصمعى سمعت بعض العرب يقول الفقر فى الوطن غربة والغنى فى الغربة وطن ونظر أبو الحرث الى برذون يستقى عليه فقال المرء حيث يضع نفسه لو هملج هذا لم يبتل بما ترون * الزبير رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان العباد عباد الله والبلاد بلاد الله فحيثما وجدت خيرا فأقم واحمد الله وقال هلال بن العلاء الرقى

لا تجزعن وان نأت * أرض تنال بها المحبه
وطن الغريب يساره * والفقر فى الاوطان غربه

وقال آخر

أشد من فاقة الزمان * مقام حر على الهوان
فاسترزق الله واستعنه * فانه خير مستعان
فان نبا منزل بحر * فمن مكان الى مكان

وقال آخر

شرق وغرب تجد من غادر بدلا * فالارض من تربة والناس من رجل

وقال آخر

من ضاق عنك فأرض الله واسعة * عن وجه كل مضيق وجه منفرج
خير المذاهب فى الحاجات أنجحها * وأضيق الامر أدناه من الفرج

تعلى الوهاد على القنن
واهرب الى كن يقى
ولو انه حصنا حصن
واربأ بنفسك أن تقيـ
ـم بحيث يغشاك الدرن
وجب البلاد فأيها
أرضاك فاختره وطن
ودع التذكر للمعا
هد والحنين الى السكن
واعلم بأن الحر فى
أوطانه يلقى الغبن
كالدر فى الاصداف يسـ
ـتزرى ويبخس فى الثمن

ثم قال حسبك ما استمعت وحبذا أنت لو اتبعت فأوضحت له معاذيري وقلت له كن عذيري فعذر واعتذر وزوّد حتى لم يذر

ثم شيعني تشييع الاقارب الى أن ركبت في القارب (١٩٠) فودعته وأنا أشكو الفراق وأزمه وأود لو كان هلك الخنين وأمه

المقامة الاربعون التبريزية *

(أخبر الحرث بن همام) قال أزمعت التبريز من تبريز حين نبت بالذليل والعزيز وخلت من المجير والمجيز فبينا أنا في اعداد الاهبة وارتياد الصحبة ألفيت بها أبا زيد السروجي ملتفا بكساء ومحتفا بنساء فسألته عن خطبه والى أين يسرب مع سربه فأومأ الى امرأة منهن باهرة السفور ظاهرة النفور وقال تزوجت هذه لتؤنسني في الغربة وترحض عني قشف العزبة فلقيت منها عرق القربة فطلني بحقي وتكلفني فوق طوقي فأنا منها أنضو وجي وحلف شجو وشجي وها نحن قد تساعينا الى الحاكم ليضرب على يد الظالم فان انتظم بيننا الوفاق والا فالطلاق والانطلاق قال فملت الى أن أخبر لمن الغلب وكيف يكون المنقلب فجعلت شغلي دبر أذني وصحبتهما وان كنت لا أغني فلما حضر القاضي وكان ممن يرى فضل الامساك ويضن بنفاثة السواك

جثا أبو زيد بين يديه وقال أيد الله القاضي وأحسن اليه ان مطيتي هذه أبية القياد كثيرة الشراد شهوته

مع اني أطوع لها من بنانها وأحنى عليها من جنانها فقال لها القاضي ويحك أما علمت ان النشوز يغضب الرب ويوجب الضرب

فقالت انه ممن يدور خلف الدار ويأخذ الجار بالجار فقال له القاضي تبا لك

(حسبك) يكفيك (أوضحت) بينت (معاذيري) أعذاري و(العذير) العاذر يقال عذيرك من كذا بمعنى هلم معذرتك منه وقيل العذير بمعنى عاذر فعيل بمعنى فاعل أي هلم لمن يعذرك منه * ثعلب العذير مصدر بمعنى النكير ومعنى عذيري منه أي من يعذرني منه وعذر قبل العذر والله أعلم

شرح المقامة الاربعين وهي التبريزية

(أزمعت) عزمت والزماع العزم و(التبريز) الخروج الى البراز وهي الارض الفضاء بلا شجر (تبريز) قرية من كور أذربيجان من عمل خراسان بينها وبين المراغة عشرون فرسخا (نبت) قلعت وارتفعت (المجير) الذي يجيرك من الناس ويكفيك شرهم و(المجيز) الواهب الجائزة وهي الصلة (ارتياد) طلب (محتفا) محلقا (خطبه) أمره (يسرب) يذهب و(سربه) جماعة نسائه (أومأ) أشار (باهرة) ظاهرة و(السفور) كشف النقاب عن الوجه (ترحض) تغسل ورحض الثوب يرحضه غسله (قشف) تغير ورجل متقشف لا يتعهد الغسل والنظافة والقشف سوء العيش * ومطله حقه كناية عن جماعه لها والمطل في الاصل المد يقال مطل القين الحديد يمطله مطلا اذا مده وطوله فمعنى (تمطلني) تطول علي و(الطوق) الطاقة (نضو وجي) هزيل من الحفاء وأراد به شرها وما يلقاه منها (حلف شجو) صاحب حزن و(الشجا) الاختناق بالعظم وهو شيء صعب (ليضرب على يده) ليكفه ويمنعه (لا أغني) أي لا أنفع (الامساك) الشح (يضن) يبخل و(النفاثة) ما تطرحه من فيك من السواك بعد الانتفاع به وهذا وان كان غاية في البخل منتزع من قول الشاعر

لقد بخلت حتى لو اني سألتها * قذى العين من ضاحي التراب لضنت

وقال آخر في معناه يبخل بالماء ولو أنه * منغمس في وسط النيل

شحا فلا تطمع في خيره * ولو توسلت بجبريل

وقال آخر ما كنت أحسب أن الخبز فاكهة * حتى نزلت على أوفى بن منصور

الحابس الروث في أعقاب بغلته * خوفا على الحب من لقط العصافير

وهذا الباب مستوفى في الرابعة والاربعين ومما يستظرف من لفظ السواك قول بعض الظرفاء

قد هجرت السواك من أجل اني * ان ذكرت السواك قلت سواكا

وأحب الاراك من أجل أني * ان ذكرت الاراك قلت أراكا

(جثا) برك (أيد) قوى (مطيتي) زوجتي (أبية) صعبة ممتنعة على قائدها (الشراد) النفور (أحنى) أعطف وارحم (جنانها) قلبها (النشوز) عصيان الزوج ومخالفته والنشوز أصله الارتفاع و(ويح) معناها التوبيخ والتقبيح وتستعمل أيضا للترحم (قوله ويوجب الضرب) من قوله تعالى واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فنشوزهن عصيانهن * الازهري النشوز كراهة كل واحد من الزوجين صاحبه ونشزت تنشز فهي ناشز * ابن عمر رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسكنوا النساء الغرف فيشرفن ولا تعلموهن الكتابة واستعينوا عليهن بالضرب * ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علقوا السوط حيث يراه أهل البيت ووصى بعض أهله فقال أنفق على أهلك من طولك ولا ترفع عصاك عنهم وأخفهم في الله فمعنى لا ترفع عصاك أي لا تترك تأديبهم في الله تعالى (قوله ويأخذ الجار بالجار) العرب تسمي فرج المرأة بالجار ودبرها جار الجار وأخذه الحريري من قول أعرابي جاء لامرأته وقد اغتلم واشتدت

شهوته فانعظ فلما اقرب منها وهجم عليها قالت له انى حائض قال لها فاين الهنة الاخرى ثم حمل عليها وهى تدافعه وتسبه وهو ماض فى شغله ينشدها

كلا ورب البيت ذى الاستار * لاهتكن حلق الختار * قد يؤخذ الجار بذنب الجار *

قال الخليل الختار ما استدار من طوق الجفن وكذلك ختار الظفر والدبر ومما يبين هذا المعنى قول الشاعر

جارك قد يجنى عليك وقد * تعدى الصحاح مبارك الجرب

ولرب مأخوذ بذنب قرينه * ونجا المقارف صاحب الذنب

(أبذر) أزرع والبذر الحبوب تزرع (السباخ) الارض ذات الملح والرشح وهى لاتنبت شيأ لملوحتها وقلة جفافها وأراد أزرع نطفتك فى موضع لايقبل الولد (تستفرخ) تلتمس عمل الفرخ (اعزب) غب (طوق الحمامة) جعل لها طوقا والحمام عند العرب ذوات الاطواق نحو الفواخت والوراشين والقمارى ودخلت الهاء على أنه واحد للجنس لا للتأنيث * الليث تقول العرب حمامة ذكر وحمامة أنثى والجميع الحمام * الشافعى كل ماعب وهدر فهو حمام يدخل فيه القمارى والوراشين سواء كانت مطوقة أو غير مطوقة آلفة أو وحشية وهذا القول كأنه الاكثر لان النبى صلى الله عليه وسلم كان يأمر بأخذ الحمام التى تستفرخ فى البيوت وليست ذوات أطواق وكان يسميها حماما وكان فى منزله حمام أحمر اسمه وردان وقد قدمنا فصلا فى الحمام فى الصدر (مخرق) الرجل أوهم أنه على حق وصواب وهو على خلافه * وأوردنا فى شرح تزويج مسيلمة لسجاح مايبين سخف نبوتهما وان كان الحريرى قد أشار الى ذلك فى هذه المقامة كان مسيلمة بن حبيب الحنفى ثم أحد بنى الدبل قد تسمى بالرحمن فى الجاهلية وكان من المعمرين * ذكر وثيمة بن موسى أن مسيلمة تسمى بالرحمن قبل أن يولد عبد الله أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت قريش تقول انما يعلم محمدا رجل يقال له الرحمن فنزلت وهم يكفرون بالرحمن وكانت بنو تميم قد تخاذلت فى أمر الردة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم واختلفوا فى ذلك اختلافا شديدا فبينما هم على ذلك اذ جاءتهم سجاح بنت الحرث مقبلة من الجزيرة تقود بنى ربيعة فأتاهم أمر كان أعظم مما هم فيه من الاختلاف وكانت سجاح تميمية وبنو أبيها فى تغلب وادعت النبوة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الجزيرة فاجتمعت عليها بنو تميم ورؤساء تغلب فادعت أنها أنزلت عليها ياأيها المؤمنون المتقون لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم يبغون فاجتمعت تميم كلها تنصرها فكان فيهم الاحنف وحارثة بن بدر ووجوه بنى تميم وكان مؤذنها شبيب بن ربعى الرياحى فقالت أعدوا الركاب واستعدوا للنهاب ثم اغدوا على الرباب فليس من دونهم حجاب فصمدت اليهم فقتلت فيهم قتلا كثيرا ثم قالت لاجنادها اقصدوا اليمامة فقيل لها ان شوكة أهل اليمامة قوية شديدة وقد غلظ أمر مسيلمة فقالت يامعاشر تميم اقصدوا اليمامة فاضربوا فيها كل هامة وأضرموا نارا ملهامة حتى نتركوها سوداء كالحمامة وان الله تعالى لم يجعل هذا الامر فى ربيعة تعنى نبوة مسيلمة وانما جعلها فى مضر واقصدوا هذا الجمع فاذا قصدتموه عكرتم على قريش فسارت فى قومها وهم عدد لايحصى وبلغ مسيلمة الخبر فضاق به ذرعا وتحصن فى حصن اليمامة وأحاطت به جيوشها فأرسل فى وجوه قومه وقال ماترون قالوا نسلم هذا الامر لها فان لم نفعل فهو البوار فقال لهم دعها انه سننظر ثم بعث اليها وقال ان الله قد أنزل عليك وحيا وعلى فهلمى نجتمع فنتدارس ما أنزل الله فمن عرف الحق تبعه واجتمعنا فأكلنا العرب أكلا بقومى وقومك فانعمت له فأمر بضرب قبة من أدم فضربت وأمر بالعود المندلى فبخرت به وقال أكثروا من الطيب فان المرأة اذا شمت رائحته ذكرت الباه وأتته الى القبة وقالت هات ما أنزل عليك ربك فقال ألم تركيف فعل ربك بالحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى من بين ذكر وأنثى وأمات وأحيا الى ربكم يكون المنتهى

﴿تزويج مسيلمة لسجاح﴾

أبذر فى السباخ وتستفرخ حيث لا افراخ اعزب عنى لا نعم عوفك ولا أمن خوفك فقال أبوزيد انها ومرسل الرياح لأكذب من سجاح فقالت بل هو ومن طوق الحمامة وجنح النعامة لأكذب من أبى ثمامة حين مخرق باليمامه

قالت وماذاك قال ألم ترى أن الله خلقنا أفواجا وجعل لنا النساء أزواجا فنولج فيهن قعسا ايلاجا ونخرجه منهن اذا شئنا اخراجا قالت فبأى شئ أمر ربك قال

ألا هبي الى المخدع * فقد هيئ لك المضجع
فان شئت ففى البيت * وان شئت ففى المخدع
وان شئت سلقناك * وان شئت على أربع
وان شئت بثلثيه * وان شئت به أجمع

قالت بل به أجمع قال كذلك أوحى الى فواقعها فلما قام عنها قالت ان مثلى لا ينكح هكذا فيكون وصمة على قومى ولكنى مسلمة لك النبوة فاخطبنى الى أوليائى يزوجوك ثم أقود معك تميما فخرج وخرجت معه واجتمع الحيان حنيفة وتميم فقالت سجاح انه قرأ على ما أنزل عليه فوجدته حقا فتبعته ثم خطبها فزوجوه منها وقال الاغلب العجلى فى ذلك

قد لقيت سجاح من بعد العمى * ملوحا فى العين مشدود القوى
كأن عرق أيره اذا بدا * حبل عجوز ضفرت سبع قوى
ما زال عنها بالحديث والمنى * والخلق السفساف يردى فى الردى
قال ألا أدخله قالت بلى * فشام فيها مثل محراب العصا
تقول لما غاب فيها واستوى * لمثل هذا كنت أحسبك الحسى

واليمامة بلد الزرقاء وسيأتى ذكرها فى الخمسين فعلى نحو ما ذكرنا من أمر سجاح ذكرها أكثر أهل الاخبار وقال الفنجديهى سجاح بنت الحرث بن سويد بن عقفان من بنى يربوع كنيتها أم صادر ادعت النبوة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم فى الجزيرة فى بنى تغلب فاستجابوا لها وتبعها قوم من تميم وظهر أمرها حتى هابتها العرب وصالحتها التجوز فى بلادهم حيث شاءت فسمعت بمسيلمة فى اليمامة فقالت لقومها عليكم باليمامة دفوا اليها دفيف الجماعة فانها غزوة صرامة لا تلحقكم بعدها الامة وبلغ مسيلمة خبرها فهابها وخاف ان هو شغل بها غلبه ثمامة بن اثال وشرحبيل على حجر اليمامة اذ هما من قبل أبى بكر رضى الله عنه فأرسل اليها يستأمنها على نفسه فأمنته فجاءها فى أربعين من بنى حنيفة فقال لها نصف الارض لى والنصف الذى كان لقريش صار لك فقالت لا يرد النصف الا من جنف فاحمل النصف فصالحها على أن يحمل اليها نصف غلات اليمامة من تلك السنة وعلى أن يسلفها ثمن غلات السنة المقبلة فقبلت منه وقدم لها غل تلك السنة ورجعت الى الجزيرة فلم تزل فى بنى تغلب حتى نقلهم معاوية عام انفراده بالملك الى الكوفة فانتقلت معهم وحسن اسلامها * وأظن أن الحريرى صور تخاصم زوجة أبى زيد معه على تخاصم أبى الاسود الدؤلى مع زوجته عند معاوية

(تخاصم أبى الاسود الدؤلى مع زوجته)

* حدث أهل الاخبار قالوا كان أبو الاسود كبيرا عند معاوية وكان معاوية يجالسه ويدنيه ويسأله فيجيبه فيما يعلم فبينما هو ذات يوم عند معاوية وقد قدم المدينة اذ دخلت عليه امرأة برزة فقالت أصلح الله أمير المؤمنين وأمتع به ان الله جعلك خليفة فى البلاد ورقيبا على العباد يستسقى بك المطر ويستنبت بك الشجر ويؤمن بك الخائف ويردع بك الحائف أنت الخليفة المصطفى والامير المرتضى فنسأل الله لك النعمة فى غير تغيير والبركة من غير تقتير فقد ألجأنى اليك يا أمير المؤمنين أمر ضاق بى عنه المخرج من أمر كرهت عاره لما أردت اظهاره فليكشف عنى أمير المؤمنين ولينصفنى من الخصم وليكن ذلك على يديه فانى أعوذ بك وبحقويك من العار الوبيل والامر الجليل الذى يشتد على الحرائر ذوات البيوت الاخاير فقال لها معاوية من هذا الذى أشعرك شناره قالت أمر طلاق جائر من بعل غادر لا تأخذه من الله مخافة ولا يحمد تأحدرافه قال ومن بعلك قالت هو أبو الاسود فالتفت معاوية اليه فقال أحق ما تقول هذه المرأة

فقال انها تقول من الحق بعضا وليس أحد يطيق عليها نقضا أما ماذكرت من أمر طلاقها فحق وسأخبرك عن ذلك بصدق أنا والله ما طلقتها لريبة ظهرت ولا من هفوة حضرت ولكن كرهت شمائلها فقطعت حبائلها قال فأي شمائلها كرهت قال انك تهيجها علي بجواب عتيد ولسان شديد قال لابد من جوابها قال هي يا أمير المؤمنين كثيرة الصخب دائمة الضرب مهينة للاهل ومؤذية للبعل ان ذكر خيرا دفنته وان ذكر شرا أذاعته تخبر بالباطل وتطير مع الهازل لا تنكل عن عتب ولا يزال زوجها معها في تعب فقالت أما والله لولا حضور أمير المؤمنين ومن حضر من المسلمين لرددت عليك بوادر كلامك بنوادر تردع كل سهامك فقال معاوية عزمت عليك لما أجبتيه فقالت هو والله يا أمير المؤمنين سؤل جهول ملحاح بخيل ان قال فشر قائل وان سكت فقدم غائل ليث حين يأمن ثعلب حين يخاف شحيح حين يستضاف ان التمس الجود عسه انقمع لما يعلم من لؤم آبائه وقصر رشائه ضيفه جائع وجاره ضائع لا يحمي ذمارا ولا يضرم نارا ولا يرعى جوارا أهون الناس عليه من أكرمه وأكرمهم عليه من أهانه فقال معاوية ما رأيت أعجب منها انصرفي رواحا فلما كان العشي جاءت فلما رآها أبو الاسود قال اللهم اكفني شرها فقالت كفاك الله شري وأرجو أن لا يعيذك من شر نفسك قال يا وليني هذا الصبي حتى أحمله قالت ما جعلك الله بأحق من يحمل ابني مني فوثب فانتزعه منها فقال معاوية مهلا يا أبا الاسود قال يا أمير المؤمنين حملته قبل أن تحمله ووضعته قبل أن تضعه وأنا أقوم عليه في أدبه وانظر في أوده امنحه علمي والهمه حلمي حتى يكمل عقله ويستحكم قيله قالت كلا أصلحك الله حمله خفا وحملته ثقلا ووضعه شهوة ووضعته كرها حجري فناؤه وبطني وعاؤه وثديي سقاؤه اكلؤه اذا نام واحفظه اذا قام فقال معاوية ما رأيت أعجب من هذه المرأة فقال أبو الاسود يا أمير المؤمنين انها تقول من الشعر أبياتا فتجيدها قال فتكافأ أنت لها أبياتا لعلك أن تقهرها بالشعر فقال أبو الاسود

مرحبا بالتي تجور علينا * ثم أهلا بالحامل المحمول
أغلقت بابها علي وقالت * ان خير النساء ذوات البعول
شغلت قلبها علي فراغا * هل سمعتم بفارغ مشغول

فقالت

ليس من قال بالصواب وبالحق كمن حاد عن منار السبيل
كان حجري فناءه حين يضحى * ثم ثديي سقاؤه بالاصيل
لست أبغي به واحدي يا ابن حرب * بدلا ما رأيته والجليل

فقال معاوية رضي الله عنه

ليس من قد غذاه طفلا صغيرا * وسقاه من ثديه بالجدول
هي أولى به وأقرب رحما * من أبيه وفي قضاء الرسول

ثم دفعه معاوية اليها (قوله زفر) أي تنفس بغيظ والزفر والزفير رد النفس في جوفه حتى تنتفخ عروقه قال ابن عرفة الزفير من الصدر والشهيق من الحلق (الشواظ) النار بغير دخان و(زفيره) صوت اتقاده (استشاط) اشتد غيظه وانتشر في جسده (بالخار) ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قذف امرأته جلد يوم القيامة مائة جلدة بسياط من نار و(الغصة) ما يختنق به و(البعل) الزوج وأراد أنها مؤذية يشقى بها زوجها وجارها كما يشقى صاحب الغصة (تعمدين) تقصدين (الخلوة) الانفراد و(الحفلة) الاجتماع (بنيت عليك) أي تزوجتك وكانت العرب اذا تزوج الرجل بنى على أهله قبة فيسمى دخول الزوج بناء لذلك (رنوت) نظرت (القبنك) وجدتك (قدة) شمركة تقد من جلد غير مدبوغ و(الليفة) واحدة ليف النخل وهي التي تكون بين الجرائد (هيضة)

فزفر أبو زيد زفير الشواظ
واستشاط استشاطة
المغتاظ وقال لها ويلك يا دفار
يا لخار يا غصة

هى التخمة تؤل الى القىء والاسهال و(قشرة) الشئ ماعلا عليه (ودجلة) نهر العراق وعليه بغداد والبصرة وواسط على حرفها ويجرى على وجه الارض اربعمائة فرسخ ولم يحمل الطبرى مبالغة السعة على هذه وانما أراد دجلة العوراء وهى التى انتشر ماؤها فى البطاح حتى صارت سعتها هنالك ثلاثين فرسخا فى مثلها وقال ابن سكرة يهجو امرأة بالسعة

لاتعذليني على ماكان من ملل * من ذا رآك ولا يصبو الى الملل
ان كنت أبصرت أشيى منك فى بصرى * فلا بلغت الذى أهواه من أملى
البحر أنت وأرى ليس من سمك * وليس بينى وبين البحر من عمل

قال هشام بن عبد الملك للابرش الكلبى زوجنى امرأة من كلب فزوجه فقال له ذات يوم يهزل معه تزوجنا الى كلب فوجدنا فى نسائهم سعة فقال الابرش يا أمير المؤمنين ان نساء كلب خلقن لرجال كلب وسمع رجل من كندة رجلا يقول وجدنا فى نساء كندة سعة فقال ان نساء كندة مكاحل فقدت مراودها قيل لامرأة تطلق كثيرا امابالك تطلقين أبدا فالت يريدون الضيق ضيق الله عليهم (قوله فسترت عوارك) ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم مامن مسلم اطلع على عورة مسلم فأذاعها عليه شماتة وعدوانا الا كان حقا على الله أن يفضحه عاجلا أو آجلا ومن سترها عليه كان حقا على الله ان يدخله فى ستره وحجابه يوم تبلى السرائر وتخرج المخبآت (حسنك) أى حسنك و(شيرين) هى بنت ارويز بن هرمز وكانت آية فى الجمال وغاية فى الحسن والكمال فاقت نساء زمانها اصيانة وظرفا وبهرتهن ملاحة ولطفا وخلفت فى العراق آثارا منها قصر شيرين ولها قصة منظومة مشهورة بالعجمية و(زبيدة) هى بنت جعفر بن عبد الله بن أبى جعفر المنصور زوجها هرون الرشيد وجدها المنصور وعمها المهدى وابنها الامين فكانت الخلافة قد اكتنفتها وليس فى بنى هاشم عباسية ولدت خليفة الا هى ولدت فى حياة المنصور فسميت أمة العزيز وكان المنصور يرقصها ويقول يازبيدة أنت زبيدة فغلب ذلك على اسمها وكانت أموالها لاتحصى وأنفقت فى سبيل الله وفى الحج وفى بناء المساجد والقناطر مالم ينفقه أحد قبلها فمن ذلك ما أنفقت فى حفرها العين المعروفة بعين المشاش بالحجاز فانها حفرتها ومهدت الطريق لها فى كل رفع وخفض حتى أجرتها من مسافة اثنى عشر ميلا فأحصى ما أنفقت فيها فوجد ألف ألف وسبعمائة ألف دينار دون ما كان فى وقت الشغل بها فى البذل وماعم أهل الفاقة ولها فى طريق مكة من العراق آثار كثيرة فى مصانع حفرتها وبرك أحدثتها تنزل وفود الحج عليها فلا تجد ماء الافيها فيشربون ويسقون ابلهم ويتزودون وهم فى الكثرة اعداد لا يحصيهم الا خالقهم والكل داعون لزبيدة الى زماننا هذا وأما آثارها الملوكية فانها أول من اتخذت الآلات من الذهب والفضة المكللة بالجوهر وبلغ ثوب وشى اتخذ للباسها خمسين الف دينار وهى أول من اتخذ القباب من الفضة والآبنوس وكلاليبها من الذهب ملبسة بالوشى والديباج وأنواع الحرير الملون وهى أول من اتخذ الخفاف المرصعة بالجوهر وشماع العنبر ولما أفضى الامر الى ابنها الامين رفع منازل الخدم ككوثر وغيره فلما رأت حبه فيهم اتخذت له الجوارى المقدودات الحسان الوجوه وعممت رؤسهن وجعلت لهن الطرر والاصداغ والاقفية وألبستهن الاقبية والقراطق والمناطق فبانت قدودهن وبرزت خصورهن وبعثت بهن اليه فاستحسنهن وأبرزهن للناس فسموهن الغلاميات وأخبارها كثيرة وعندما قتل الامين دخل عليها بعض خدمها فقال لها مايجلسك وقد قتل أمير المؤمنين فقالت ويلك وما أصنع قال تخرجين وتأخذين بدمه كما خرجت عائشة تطلب بدم عثمان فقالت اخسأ لا أم لك ماللنساء وطلب الدماء ثم أمرت بثيابها فسوّدت ودعت بدواة فكتبت الى المأمون

البغل والحمار أتعمدين فى الخلوة لتعذيبى وتبدين فى الحفلة تكذيبى وقد علمت انى حين نبت عليك وزفوت اليك ألفيتك أقبح من قردة وأيبس من قدة وأخشن من ليفة وأنتن من جيفة وأثقل من هيضة وأقذر من حيضة وأبرز من قشرة وأبرد من قرة وأحمق من رجلة وأوسع من دجلة فسترت عوارك ولم أبد عارك على أنه لو حبتك شيرين بجمالها وزبيده بمالها

(ترجمة زبيدة)

أخير امام قام من خير عنصر * وأفضل راق فوق أعواد منبر
ووارث علم الاولين وفخرهم * الى الملك المأمون من أم جعفر
كتبت وعيني تستهل دموعها * اليك ابن عمي من جفوني ومحجري
أصبت بأدنى الناس منك قرابة * ومن زال عن عيني فقل تصبري
أتى طاهر لاطهر الله طاهرا * فما طاهر فى فعله بمطهر
فأبرزنى مكشوفة الوجه حاسرا * وأنهب أموالى وحرق أدورى
يعز على هرون ماقد لقيته * وما مالنى من ناقص الخلق أعور

وبوران بفرشها

تذكر أمير المؤمنين قرابتى * فديتك من ذى قربة متذكر
فان كان ما أبدى لامر أمرته * صبرت لامر من قدير مقدر
وان كان ماقد كان منه تعديا * على أمير المؤمنين فغير

فلما قرأها المأمون بكى بكاء شديدا ثم قال انى لاقول كما قال على أمير المؤمنين حين بلغه قتل عثمان رضى الله عنهما والله ما أمرت ولا رضيت اللهم خالل قلب طاهر حزنا قال ابراهيم الجونى رأيتها فى المنام فقلت لها مافعل الله بك فقالت غفر لى فقلت بما أنفقت فى طريق مكة فقالت

﴿ترجمة بوران وقصة الزنبيل﴾

أما النفقات فرجعت أجورها الى أربابها وغفر لى بنيتى * وأما بوران فهى خديجة بنت الحسن ابن الحسن بن سهل تزوجها المأمون على يد اسحق الموصلى وفى هذا التزويج قصة الزنبيل وهى طويلة طريفة نذكرها على جهة الاختصار حدث اسحق الموصلى قال بينا أنا ذات يوم عند المأمون وقد خلا وجهه وطابت نفسه فقال يا اسحق هذا يوم خلوة وطيب فقلت طيب الله عيش أمير المؤمنين وأدام سروره وفرحه فأخذ بيدى وأدخلنى فى مجالس غير التى كنا فيها فأخذنا من لذتنا وشرابنا حتى غربت الشمس فقال قد عزمت على دخلة الى دار الحرم فلا ترم حتى آتيك فنهض وبقيت الى عامة الليل وكان المأمون أشغف خلق الله بالنساء وأشدهم ميلا اليهن فقلت فى نفسى هو فى لذة وأنا فى غير شئ وتذكرت صبية اشتريتها وكنت عزمت على اقتضاضها فنهضت الى الباب فقال الحاجب أين تريد فقلت الانصراف قال فان طلبك قلت هو من لذة السرور فى شغل عن طلبى فقيل لى ان غلمانك استبطؤك وانصرفوا فجئ بدابة فركبتها ومشيت فأحسست بالبول فعمدت الى زقاق لابول فبلت وقت لا تمسح بالحيطان اذا أنا بشئ معلق من تلك الدور فنهضت فاذا بزنبيل كبير بأربع آذان ملبس ديباجا فقلت ان لهذا سببا وبقيت أتروى فى أمره ثم قلت والله لاجلسن فيه كائنا ما كان فجلست فلما أحس بى الذين يرقبونه جذبوه الى رأس الحائط فاذا أربع جوار يقلن لى انزل بالرحب والسعة فمشت بين يدى جارية بشمعة حتى نزلت الى دار نظيفة الى مجالس مفروشة لم أر مثلها الا فى دار ملك فجلست فما شعرت الا بعد ساعة حتى أزيلت ستور كانت فى ناحية الدار واذا بوصائف يتماشين فى أيديهن الشمع وبعضهن بمجامر يحرق فيها العود وبينهن جارية تتهادى كأنها البدر الطالع فنهضت قائما فقالت مرحبا بك من زائر وجلست ثم استطردت الى سؤالى أبدع استطراد فقلت انصرفت من عند بعض اخوانى وغرنى الوقت وحركنى البول فعدلت الى هذا الزقاق فوجدت زنبيلا معلقا فحملنى النبيذ أن جلست فيه وان كان خطأ فالنبيذ أكسبنيه قالت لاضير أرجو أن تحمد عاقبة أمرك قالت فما صناعتك قلت بزاز من بغداد قالت فهل رويت من الاشعار شيأ قلت شيأ ضعيفا قالت فذاكرنا قلت ان للداخل حشمة ولكن تبدئين قالت صدقت فأنشدتنى لجماعة من القدماء والمحدثين من أجود أقاويلهم وأنا مستمع لا أدرى مم أعجب أمن حسنها أم من أدبها أم من حسن روايتها وجودة ضبطها للغريب أم من اقتدارها على النحو ومعرفة أوزان الشعر

ثم قالت أذهب ما كان عندك من الحصر قلت اى والله قالت فان رأيت أن تنشدنا فأنشدتها لجماعة من القدماء ما فيه مقنع فاستحسنت ذلك ثم قالت والله ما ظننت أن يوجد فى أبناء السوقة هذا ثم أمرت بالطعام فأحضر وقالت الممالحة أول الرضاع فدونك وجعلت تقطع وتضع بين يدى وفى المجلس من صنوف الرياحين وغرائب الفواكه ما لا يكون الا عند سلطان ودعت بالشراب فشربت قدحا ثم سكبت لى قدحا فشربت ثم قالت هذا أوان المذاكرة بالاخبار وأيام الناس فاندفعت فقلت بلغنى انه كان كذا وكان رجل يقال له كذا حتى أتيت على عدة أخبار حسان فسرت بذلك وقالت كثر تعجبى ان يكون أحد من التجار يحفظ مثل هذا وانما هذه أحاديث ملوك فقلت كان لى جار ينادم الملوك فاذا تعطل حضرت معه فربما حدث بما سمعت فأخذتها عنه فقالت لعمرى لقد أحسنت الحفظ وما هذا الا لقريحة جيدة وأخذنا فى المذاكرة اذا سكت ابتدأت هى واذا سكتت ابتدأت أنا حتى قطعنا عامة الليل وبخور العود يعبق وأنا فى حالة لو توهمها المأمون لطار فرحا فقالت انك من الرجال وضىء الوجه بارع الادب وما بقى عليك الا شىء واحد قلت وما هو فقالت لو كنت تترنم ببعض الاشعار فقلت والله لقد عاكلفت به ولم أرزقه فأعرضت عنه وفى قلبى منه حزازة وكنت أحب ان أسمع فى مجلسى هذا منه شيأ لتكمل ليلتى قالت كأنك عرضت بنا قلت والله ما هو تعريض قد بدأت بالفضل وأنت جديرة باستتمامه فأحضر عود بأمرها فغنت بصوت ما سمعت كحسنه مع حسن أدائه وجودة الضرب فقلت والله لقد أكمل الله فيك خلال الفضل وحباك بالكمال الراجح والعقل الوافر والاخلاق الرضية والافعال السنية قالت هل تعرف هذا الصوت ومن غنى فيه قلت لا والله قالت الشعر لفلان وكان سببه كذا والغناء لاسحق قلت واسحق هذا جعلت فداك فى هذا الحال قالت بخ بخ اسحق بارع هذا الشأن قلت سبحان الله لقد أعطى هذا ما لم يعطه أحد قالت فكيف لو سمعت هذا الصوت منه فلم نزل كذلك حتى اذا انشق الفجر أقبلت عجوز كأنها داية لها فقالت أى بنية ان الوقت قد حضر فنهضت عند قولها فقالت مصاحبا لتستر ما كنا فيه فان المجالس بالامانات فقلت جعلت فداك أفأحتاج الى وصية فى ذلك وودعتها وجارية بين يدى الى باب الدار ففتح لى وخرجت الى دارى فصليت الصبح ونمت فأتبهنى رسول المأمون فسرت اليه فلما رآنى قال يا اسحق تشاغلنا عنك فما كان حالك قلت اشتريت صبية وكنت معلق القلب بها فضيت لها وشربت معها ونمت فقال يتهيأ مثل هذا فهل لك فيما كنا فيه أمس فقلت وما يمنع من ذلك فنهضت الى مجلس أمس فلما كان العشاء قال لا ترم فانى أجيئك ونهض فتأملت ما كنت فيه البارحة فاذا هو شىء لا يصبر عنه الا جاهل فخرجت فقال الغلمان الله الله فانه ان أنكر علينا تخليتك فوعدتهم ان آتى قبل ان يجىء وان خروجى لعذر وفى الحين أرجع فنهضت الى الزنبيل فجلست فيه فرفع بى الى موضع البارحة فاذا هى قد طلعت فقالت لقد عاودت فقلت ولا أظن الا انى قد ثقلت فقالت مادح نفسه يقرئك السلام قلت فهفوة فنى بالفضل قالت قد فعلنا ولا تعد فأخذنا فى مثل الليلة السالفة من المذاكرة والمناشدة وغريب الغناء منها الى الفجر فانصرفت الى منزلى وصليت ونمت فأنبهنى رسول المأمون فلما رآنى قال أبيت الا مكافأة لنا فقلت والله يا أمير المؤمنين ما ذهبت الى ذلك ولكن ظننت ان أمير المؤمنين قد تشاغل عنى بلذته وأغفل أمرى وجاء الشيطان فذكرنى أمر تلك الملعونة فبادرت قال فما كان منك قلت قضيت الحاجة منها قال فقد انقضى ما كان بقلبك منها وواحدة بواحدة والبادى أظلم قلت بل أنا أظلم والبك المعذرة قال لا تثريب عليك فهل لنا فى مثل حالنا أمس قلت اى والله فقمنا الى موضعنا الى الوقت فقال يا اسحق ما عزمك قلت لا عذر لى قال فعزمت عليك لتجلس حتى أجىء فانى عازم على الصبوح وقد نغصت على منذ يومين قلت فالليلة ان شاء الله فما هو الا آن غاب وحالت وساوسى

فلما تذكرت ما كنت فيه البارحة هان على ما لحقنى من سخطه فوثبت مبادرا فوثب الى جند الدار وحبست فقلت الله الله انى معلق البال ببعض ما فى منزلى فقالوا اما الى تركك من سبيل فلم أزل أرغب هذا وأقبل يد هذا ووهبت خاتمى لهذا وردائى لهذا وخرجت أعدو حاسرا حتى وافيت الزنبيل فقعدت فيه فرفعت الى موضعى وأقبلت فقالت صدقتنا قلت اى والله قالت أجعلتها دار مقام فقلت جعلت فداك حق الضيافة ثلاث فان رجعت فأنتم فى حل من دمى قالت والله لقد أتيت بحجة ثم جلسنا فى مثل تلك الحال فلما قرب الوقت علمت ان المأمون لا بد أن يسألنى ولا يقنع منى الا بشرح القصة فقلت لها أراك ممن يعجب بالغناء ولى ابن عم أحسن منى وجها وأظرف قدا وأكثر أدبا وأنا حسنة من حسناته وهو أعرف خلق الله بغناء اسحق الموصلى قالت طفيلى وتقترح قلت لها أنت المحكمة قالت ان كان ابن عمك على ما تصف فما نكره معرفته ثم جاء الوقت فنهضت فلم أصل الى دارى الا وأرسل المأمون قد هجموا على وحملونى حملا عنيفا فوجدته على كرسى وهو مغتاظ فقال يا اسحق أخروجا عن الطاعة قلت لا والله قال فما قصتك وما هذا الاخراق فاصدقنى قلت فى خلوة فأومأ الى من بين يديه فتنحوا فحدثته الحديث وقلت له قد وعدتها فى أمرك قال قد أحسنت ولولا ذلك لنكات بك فقلت قد سلم الله فأخذنا فى لذتنا فى ذلك اليوم وهو لا يسمع منى غير حديثها فلم يتم النهار الا والمأمون معلق القلب فلما جاء الوقت سرنا وأنا أوصيه وأقول تجنب ان تظهر فى بحضرتها ودعنى من نخوة الملك وكن لى تبعا وهو يقول نعم ويلك وان قالت غن كيف أصنع قلت أنا أدفعها عنك ثم سرنا الى زنبيلين فقعدنا فيهما فرفعنا الى الموضع فأقبلت فسلمت فلما رآها المأمون بهت فى حسنها وقالت لى والله ما أنصفت ابن عمك اذ لم ترفع منزلته وكان قد قعد دونى فقالت ارتفع فديتك أنت جديد وهذا قد صار من أهل البيت فنهض الى صدر البيت وأقبلت تذاكره وتناشده وتمازحه وهو يظهر عليها فى كل فن ثم أحضر النبيذ فشربنا وهى مقبلة عليه ومسرورة به وهو أكثر وأخذت العود فغنت صوتا وقالت وابن عمك هذا من التجار قلت نعم قالت انكما لغريبان فلما شرب المأمون ثلاثة أرطال داخله الفرح والطرب ثم رأيته ينظر الى نظر الاسد الى فريسته فصاح يا اسحق فنهضت وقلت لبيك يا أمير المؤمنين قال غن هذا الصوت فلما علمت انه الخليفة نهضت الى كلة مضروبة فدخلتها فلما فرغت من الصوت قال انظر من رب هذه الدار فسألت عجوزا فقالت هو الحسن بن سهل فقال على به فغابت العجوز ساعة واذا الحسن قد حضر فقال له ألك ابنة قال نعم بوران قال فزوجتها قال لا والله قال فانى أخطبها اليك قال هى أمتك وأمرها اليك قال قد تزوجتها على نقد ثلاثين ألفا نحملها اليك صبيحة يومنا فاذا قبضت المال فاحملها الينا قال نعم ثم خرجنا فقال يا اسحق لا يقف على ما وقفت عليه أحد فسترت الحديث الى أن مات المأمون فما اجتمع لى فى تلك الاربعة الايام مجالسة المأمون بالنهار ومجالسة بوران بالليل ووالله ما رأيت أحدا من الرجال فى ملوكهم مثل المأمون ولا شاهدت امرأة تقارب بوران فهما وعقلا وما أظن أحدا وقف من العلوم على ما وقفت عليه

* وفى المسعودى انحدر المأمون الى فم الصلح فى شعبان سنة تسع ومائتين وأملك بخديجة بنت الحسن بن سهل ونثر الحسن فى ذلك الاملاك ما لم ينثره قط ملك فى جاهلية ولا اسلام نثر على الهاشميين والقواد والكتاب بنادق مسك فيها رقاع بأسماء ضياع وجوار وأسماء دواب وغير ذلك فاذا وقعت البندقة بيد الرجل فتحها فيجدها على قدر سعده ثم ينثر بعد ذلك الدنانير والدراهم ونوافج المسك على عامة الناس وأنفق على المأمون وعلى جميع قواده فلما أراد المأمون الانصراف الى مدينة السلام قال له يا أبا محمد سل حوائجك قال نعم يا أمير المؤمنين أسألك أن تحفظ على مكانى من قلبك فأمر المأمون أن يحمل له خراج فارس والاهواز سنة * وذكر الحريرى فى الدرة ان المأمون لما بنى على بوران فرش له حصير منسوج بالذهب ما مسه أحد وعليه در منثور

فوجه الحسن الى المأمون ان هـذا نثار يجب أن يلتقط فقال المأمون لمن حوله من بنات الخلفاء شرفن أبا محمد فدت كل واحدة منهن يدها فأخذت درة و بقي باقي الدر يلوح على الحصير المذهب فقال قاتل الله أبا نواس لقد شبه بشئ مارآه قط فأحسن في وصف الخمرة والحباب الذى فوقها فقال

كان صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على أرض من الذهب

فكيف لو رأى هذا معاينة ويقال ان الحسن بن سهل نثر فى ذلك العرس على المأمون ألف حبة جوهر وأشعل بين يديه شمعة عنبر وزنها مائة رطل فأمر له المأمون بمائة ألف ألف درهم واقطعه مدينة فم الصلح وهى قريبة من واسط وكان العرس بها * وذكر المبرد أن الملاحين الذين تصرفوا فى هذا العرس نيفوا على السبعين ألفا وكانت جراية السلطان عليهم ولما بنى المأمون على بوران وأراد غشيانها حاضت فقالت أتى أمر الله فلا تستعجلوه فنام فى فراش آخر فلما أصبح دخل عليه أفاضل ندمائه يهنؤنه ويدعون له فأنشدهم بديها

فارس فى الحرب منغمس * عارف بالطعن فى الظلم

رام أن يدمى فريسته * فاتقته من دم بدم

وأكثر الشعراء فى ذلك الاملاك واستظرف منها قول ابن أبى حازم الباهلى

بارك الله للحسن * ولبوران فى الختن

يا ابن هرون قد ظفر * ت ولكن ببنت من

فلما وصلت الى المأمون قال لا والله ماندرى أخيرا أراد أم شرا و يشبه هذا ان رجلا أتى رجلا خياطا بثوب ليقطع له منه قميصا فقال والله لأفصلنه لك تفصيلا لا يدرى أقميص هو أم قباء ففعل ذلك فقال له صاحب الثوب وأنا والله لأدعون لك دعاء لا يدرى ألك هو أم عليك وكان الخياط يسمى بشرا وكان أعور فقال

خاط لى بشر قباء * ليت عينيه سواء

وأتت المأمون بجهاز لم يسمع بمثله قط كان فيه الفرش منسوجة بالذهب وقال ابراهيم بن العباس الصولى يهنى الحسن بصهارة المأمون

هنتك أكرومة جلت نعمتها * أعلت وليك واجتثت أعاديكا

ماكان يحيا بها الا الامام ولا * كانت اذا قرنت بالخلق تعدوكا

وماتت بوران فى سنة احدى وسبعين ومائتين وقد بلغت ثمانين سنة * وثم بوران أخرى وهى بنت كسرى وأمها مريم بنت قيصر ملكت سنة ونصفا وليست المعنية فى المقامة (وأما بلقيس) فهى ابنة شراحيل بن أبى سرح بن الحرث بن قيس بن صيفى بن سبا وكان سبب مراسلة سليمان اليها انه فقد الهدهد و به يعرف قرب الماء من بعده فنزل سليمان عليه السلام بمفازة فدعا بالهدهد فلم يوجد فقال وهو غاضب مالى لا أرى الهدهد الآيات وكان الهدهد قدمر بعرش بلقيس وبساتينها فلما رجع تلقته الطير فقالوا توعدك رسول الله بنتف ريشك أو بذبحك فيقطع نسلك فقال وما استثنى قالوا بلى قال أوليأتينى بسلطان مبين أى بعذر مبين فأتى سليمان فقال ماغيبك عنى قال أحطت بما لم تحط به حتى بلغ فانظر ماذا يرجعون قال سننظر أصدقت الآيات فوجهه بالكتاب فوافقها فى قصرها قد سد عليها بالكتاب ضوء طاق فالتفتت فألقى اليها الكتاب فأخذته وغطته بثوب ونادت فى قومها فقالت يا أيها الملأ الآيات فقالوا لها نحن أولو قوة الآيات ثم قالت ان قبل الهدية فهو ملك من ملوك الدنيا وأنا أعز منه وان لم يقبلها فهو نبى من عند الله فلما رجع بالهدية قال سليمان أتمدونن بمال الى وهم صاغرون فلما رجع اليها رسلها بالخبر خرجت فزعة فى قومها قال ابن عباس رضى الله عنهما ومعها ألف قيل وأهل اليمن يسمون القائد القيل مع كل قيل عشرة آلاف وكان سليمان مهيبا لا يبدؤه

و بلقيس بعرشها

﴿ذكر بلقيس وعرشها﴾

أحد بشيء حتى يسأل عنه فخرج فرأى رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس قال وقد نزلت منا بهذا المكان ثم قال أيكم يأتيني بعرشها فأتاه به الذي عنده علم من الكتاب قبل ما قطع كلامه وصرف بصره فرآه مستقرا عنده فقال هذا من فضل ربي ثم جاءت بلقيس وقعدت الى سليمان فقيل لها أهكذا عرشك فنظرت اليه وقالت كأنه هو ثم قالت تركته في قصري والجنود محيطة به فكيف جيء به وكانت شعراء الساقين فقالت الجن ان نكحها سليمان فولدت له غلاما ما ننفك من العبودية أبدا فهلم نبني له بنيانا فيرى شعرها فيه فلا يتزوجها فبنوا له صرحا أخضر من قوارير كأنه الماء وجعلوا في باطن طرائقه كل شيء من الدواب والسمك وغيره وألقى لسليمان كرسي في أقصاه فلما رأى منه ما رأى قعد عليه ودعا بها فلما رأت صور السمك فيه حسبته لجة وكشفت عن ساقيها فأبصر شعرها سليمان فصرف بصره عنها وقال انه صرح ممرد من قوارير فقالت رب اني ظلمت نفسي الآية فقال سليمان للجن ما يذهب الشعر فقالوا له النورة فاستنكحها سليمان عليه السلام وذكر ابن اسحق أنها لما أسلمت قال لها سليمان اختاري رجلا من قومك أزوجكه فقالت ومثلي ينكح وقد كان لي من الملك والسلطان ما كان فقال لها اما ينبغي أن تحرمي ما أحل الله لك فزوجها ذا تبع ملك همدان وملكه اليمن وردها معه فلم يزل ملك اليمن حتى مات سليمان وكانت بلقيس من بيت المملكة قيل انها ولدها أربعون ملكا واختلف في أمها فقيل انسية وقيل جنية (وأما عرشها) وهو سريرها فقيل كان طوله ثمانين ذراعا وعرضه كذلك وكان عرشها صفائح من ذهب وفضة قد ركبت فيه فصوص الياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر والدر واللؤلؤ وكان له قائمتان من ياقوت وقائمتان من زبرجد والملك لله وحده الذي سخر لسليمان هذا الملك العظيم ومن أحضر له هذا العرش العظيم قبل رجع الطرف * وذكر الحريري في الدرة أن صواب لفظ بلقيس أن تكسر باؤه لان كل أعجمي يعرب فقياسه أن يلحق بأمثلة كلام العرب قال وعلى ذلك بلقيس وقرأت في أخبار سيف الدولة أن الخالديين مدحاه فبعث اليهما وصيفا ووصيفة مع كل واحد منهما بدرة وتخت من ثياب مصر والشأم فكتبا اليه

والزباء بملكها ورابعة بنسكها

{مناقب رابعة العدوية}

لم يغد شكرك في الخلائق مطلقا * الا ومالك في النوال حبيس
خولتنا شمسا وبدرا أشرقت * بهما لدينا الظلمة الحنديس
رشأ أتانا وهو حسنا يوسف * وغزالة هي بهجة بلقيس
هذا ولم تقنع بذاك وهذه * حتى بعثت المال وهو نفيس
أتت الوصيفة وهي تحمل بدرة * وأتى على ظهر الوصيف الكيس
وكسوتنا مما أجادت حوكه * مصر وزادت حسنه تنيس
فغدا لنا من جودك المأكول والـ * ـمشروب والمنكوح والملبوس

فلما قرأها سيف الدولة قال احسنا الا في لفظ المنكوح اذ ليست مما يخاطب بها الملوك وهذا من بديع نقده المليح وشواهد ذكائه الصريح (وأما الزباء) فقد تقدم ملكها في الرابعة والعشرين (وأما رابعة) فهي بنت اسمعيل العدوية وكانت قد بلغت من النسك والفضل والزهد منزلة شريفة وكانت منورة البصيرة مطهرة السريرة حظيت بالمكاشفات الربانية وكان سفيان الثوري يذهب اليها ويسألها عن مسائل دينية ويعتمد عليها وخطبها عبد الواحد بن زيد فقالت له بعد أن حجبته أياما ثم أذنت له يا شهوان أي شيء رأيته في من آية الشهوة ألا خطبت شهوانية مثلك وقال أبو سليمان الداراني بت ليلة عند رابعة العدوية فقامت الى محراب لها وقمت الى ناحية من البيت فلم تزل قائمة الى السحر فقلت ما جزاء من قوانا على قيام هذه الليلة قالت جزاؤه أن نصوم له غدا * وزارها أصحابها فذكروا الدنيا وأقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذمها فلولا موضعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها ألا من أحب شيأ أكثر من ذكره واحتاجت رابعة الى شيء فقيل لها لو بعثت الى فلان قريب

لها فقالت والله لا أطلب الدنيا ممن يملكها فكيف ممن لا يملكها وحدث جعفر بن سليمان قال أخذ بيدى سفيان الثورى فقال لى سر بى الى المؤدبة التى لا أجد فى أستريح اذا فارقتها يعنى رابعة قال فلما دخلت عليها رفع سفيان يديه وقال اللهم انى أسألك السلامة فبكت رابعة فقال لها ما يبكيك فقالت أنت عرضتنى للبكاء فقال لها وكيف ذلك فقالت أما علمت أن السلامة من الدنيا ترك ما فيها فكيف وأنت متلطخ بها وقال سفيان الثورى لرابعة رحمة الله عليهما ما حقيقة ايمانك قالت ما عبدته خوف النار ولا رجاء الجنة فأكون كالاجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا اليه وقالت فى معنى ذلك

أحبك حبين حب الهوى * وحبا لانك أهل لذاك
فأما الذى هو حب الهوى * فشغلى بذكرك عمن سواك
وأما الذى أنت أهل له * فكشفك لى الحجب حتى أراك
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى * ولكن لك الحمد فى ذا وذاك

وقيل لها كيف حبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت شغلنى حب الخالق عن حب المخلوقين ودخل سفيان عليها وهى قائمة تصلى فلم تعرج عليه ودخل جعفر وكان يحدمها فقال لسفيان أى شئ دار بينك و بينها قال ما كلمتنى فقال لها يا سبحان الله الشيخ جاء اليك فما كلمتيه فقالت ان العبد اذا كان مقبلا على الله عزوجل كان الله مقبلا عليه وقد كنت مقبلة على الله عزوجل ولست أشك فى اقباله على فأيما أحب اليك أن أكون مقبلة على الله ويكون مقبلا على أو أقبل على هذا ثم قالت الله أكبر وقال لها رجل انى أحبك فى الله فقالت فلا تعصى الذى أحبتنى له وأنشدت

أتضمن يا فتى ترك المعاصى * وأرهنه الكفالة بالخلاص
أطاع الله قوم فاستراحوا * ولم يتجرعوا غصص المعاصى

خندف بفخرها والخنساء بشعرها فى صخرها

﴿ذكر خندف﴾

(وأما خندف) فهى ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وهى امرأة الياس بن مضر ولدت منه عمرا وهو مدركة وعامرا وهو طابخة وعميرا وهو قمعة فندت لهم ابل فخرجوا فى طلبها فأدركها عمرو فسمى مدركة واقتنص عامر أرنبا فطبخها فسمى طابخة وانقمع عمير فى بيته فسمى قمعة فلما أبطؤا عليها خرجت فى اثرهم فقالت مازلت أخندف فى اثركم فلقبت خندف والخندفه الهرولة وهى أم عرب الحجاز وجميع ولد الياس من خندف وخندف ينسبون وجميع ولد مضر من الياس وخندف فمن مدركة كنانة واسد ابنا خزيمة ومن طابخة ضبة بن طابخة ومزينة والرباب وهم عدى وتيم بن مر بن أد بن طابخة وثور وعكل بن مدركة وقريش وهو فى كنانة * ومنها سيد ولد آدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مافى كنانة من الشجعان المشاهير فى الجاهلية ومن طابخة تميم وهى أكبر قبيلة فى العرب وأشجعها وهى عدد لا يحصى وعز لا يدرك وقال المنذر بن ماء السماء ذات يوم وعنده وفود قبائل العرب ودعا ببردين فقال ليلبس هذين البردين أكرم العرب وأشرفهم حسبا وأعزهم قبيلة فأحجم الناس فقام الاحمر بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم فلبس احدهما وارتدى الآخر فقال له المنذر ما حجتك فيما ادعيت قال الشرف من نزار فى مضر ثم فى تميم ثم فى سعد ثم فى بهدلة قال هذا انت فى أصلك فكيف أنت فى عشيرتك قال انا أبو عشرة وعم عشرة وخال عشرة قال هذا أنت فى عشيرتك فكيف أنت فى نفسك فقال شاهد العين شاهدى ثم قام فوضع قدمه فى الارض وقال من ازالها فله مائة من الابل فلم يقم اليه أحد وفى ذلك يقول الفرزدق

فما تم فى سعد ولا آل مالك * غلام اذا ما قيل لم يتبهدل
لهم وهب النعمان بردى محرق * بمجد معد والعديد المحصل

﴿ذكر الخنساء﴾

فلخندف هذا الفخر فى الجاهلية ثم النبوة ثم الملك الى يوم القيامة وفيها يقول الراجز * وخندف هامة هذا العالم * (وأما الخنساء) فهى تماضر بنت عمرو بن الشريد من سراة قبائل

سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها بنى سليم ولسليم فى الاسلام سابقة حسنة حضر منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحرب حنين ألف رجل وذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستنشد الخنساء ويعجبه شعرها فكانت تنشده وهو يقول هيه ياخنساء ونظرتها عائشة رضى الله عنها وعليها صدار من شعر فقالت ياخنساء أتلبسين الصدار وقد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لم اعلم بنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان للصدار سبب كان زوجى رجلا متلافا فأملق وأراد أن يسافر فقلت له أقم حتى آتى أخى صخرا فأتيته فشاطرنى ماله فأتلفه زوجى فعدت اليه فعاد بمثل ذلك فأتلفه زوجى فعدت اليه فى الثالثة والرابعة فقالت له زوجته ان هذا المال متلف فامنحها شرار ماله فقال

والله لا أمنحها شرارها * وهى حصان قد كفتنى عارها

ولو هلكت خرقت خمارها * واتخذت من شعر صدارها

فلما هلك اتخذت هذا الصدار وقيل لجرير من أشعر الناس قال انا لولا هذه الفاعلة يعنى الخنساء قيل له فبم فضلتك قال بقولها

ان الزمان وما تفنى عجائبه * أبقى لنا ذنبا واستؤصل الراس

أبقى لنا كل مجهول وفجعنا * بالحالمين فهم هام وأرماس

ان الجديدين فى طول اختلافهما * لا يفسدان ولكن يفسد الناس

فأجمع علماء الشعر انه لم تكن قط امرأة قط قبلها ولا بعدها أشعر منها وكان النابغة الذبيانى يجلس لشعراء العرب بعكاظ على كرسى ينشدونه فيفضل من يرى تفضيله فأنشدته فى بعض المواسم فأعجب بشعرها وقال لها والله لولا ان هذا الاعمى انشدنى قبلك يعنى الاعشى لفضلتك على شعراء هذا الموسم وكان بشار يقول لم تقل امرأة شعرا الا ظهر الضعف فيه فقيل له أوكذلك الخنساء فقال تلك كان لها اربع خصى ومن جيد مارثت به صخرا قولها

ألا يا صخر ان أبكيت عينى * لقد أضحكتنى دهرا طويلا

بكيتك فى نساء معولات * وكنت أحق من أبدى العويلا

دفعت بك الجليل وأنت حى * فمن ذا يدفع الخطب الجليلا

اذا قبح البكاء على قتيل * رأيت بكاءك الحسن الجميلا

ومنه

يؤرقنى التذكر حين أمسى * ويردعنى عن الاحزان نكسى

على صخر وأى فتى كصخر * ليوم كريهة وطعان حلس

ولم أر مثله رزأ لجن * ولم أر مثله رزأ لانس

يذكرنى طلوع الشمس صخرا * وأبكيه لكل غروب شمس

ولولا كثرة الباكين حولى * على اخوانهم لقتلت نفسى

وما يبكون مثل أخى ولكن * أعزى النفس عنه بالتأسى

ومنه أيضا

أبعد ابن عمرو من ال الشريد * دخلت به الارض أثقالها

لعمر أبيه لنعم الفتى * اذا النفس أعجبها مالها

فان تك مرة اودت به * فقد كان يكثر تقتالها

فخر الشوامخ من فقده * وزلزلت الارض زلزالها

ومنه أيضا

أعينى جودا ولا تجمدا * ألا تبكيان لصخر الندى

ألا تبكيان الجرىء الجميل * ألا تبكيان الفتى السيدا

طويل النجاد رفيع العماد * ساد عشيرته أمردا

ومنه أيضا
تعرقني الدهر نهشا وحزا * وأوجعني الدهر قرعا وغمزا
وأفنى رجالي فبادوا معا * فأصبحت من بينهم مستفزا
كأن لم يكونوا حمى يتقى * اذ الناس اذ ذاك من عزبزا
وكانوا سراة بني مالك * ونفر العشيرة مجدا وعزا
جززنا نواصي فرسانها * وكانوا يظنون أن لا تجزا
ومن ظن ممن يلاقي الحروب * أن لا يصاب فقد ظن عجزا

ومنه أيضا
يا صخر وراد ماء قد تبادره * أهل المياه وما في ورده عار
مشى السبنتى الى هوجاء معضلة * له سلاحان انياب وأظفار
وما عجول على بو تحن له * لها حنينان اعلان واسرار
ترتع ما غفلت حتى اذا ادكرت * فانما هي اقبال وادبار
يوما بأوجع مني حين فارقني * صخر فللدهر احلاء وامرار
وان صخرا لوالينا وسيدنا * وان صخرا اذا نشتو لنحار
وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار

وحدث المفضل قال كنت جالسا يوما على باب منزلي أحتاج الى درهم واحد وعلى دين عشرة آلاف درهم اذ جاءني رسول المهدي فقال أجب أمير المؤمنين فقلت في نفسي وما بعثته الي لعلي ساعيا سعى بي عنده ثم دخلت منزلي ولبست ثيابي وسرت اليه فلما مثلت بين يديه أومأ الي بالجلوس فلما سكن جأشي قال لي يا مفضل ما أفخر بيت قالته العرب فارتج علي ساعة ثم قلت يا أمير المؤمنين قول الخنساء فاستوى جالسا وكان متكئا فقال أي فقلت قولها * وان صخرا لتأتم الهداة به البيت وقال قد قلت له فأبى علي وأومأ الى اسحق بن بزيغ قلت الصواب مع أمير المؤمنين ثم قال يا مفضل حدثني فحدثته حتى انتصف النهار قال أنشدني فأنشدته قول الحسن بن مطير الاسدي

وقد تعذر الدنيا فيضحي غنيها * فقيرا ويثرى بعد بؤس فقيرها
وكم قد رأينا من تغير عيشة * وأخرى صفاء بعد كدر غديرها
ولا تقرب الامر الحرام فانه * حلاوته تفنى ويبقى مريرها

وكان المهدي رقيقا فبكى وقال يا مفضل كيف حالك فقلت كيف يكون حال من عليه عشرة آلاف درهم وليس معه منها درهم واحد قال يا اسحق أعطه عشرة آلاف درهم قضاء لدينه وعشرة آلاف درهم يستعين بها على حاله وعشرة آلاف درهم يصلح بها من شأنه ورأى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الخنساء تطوف بالبيت محلوقة الرأس تبكي وتلطم خدها وقد علقت نعل صخر في خمارها فوعظها فقالت اني رزئت فارسا لم يرزأ أحد مثله فقال ان في الناس من هو أعظم مرزأة منك وان الاسلام قد غطى ما كان قبله وانه لا يحل لك لطم وجهك ولا كشف رأسك فكفت عن ذلك وقالت

هريقي من دموعك واستفيقي * وصبرا ان أطقت ولن تطيقي
وقولي ان خير بني سليم * وأكرمهم بصحراء العقيق
ألا هل ترجعن لنا الليالي * وأيام لنا بلوى الشقيق
واذ فينا معاوية بن عمرو * على أدماء كالجمل الفنيق
فنبكيه فقد أودى حميدا * أمين الرأي محمود الصديق
فلا والله لا تسلوك نفسي * لفاحشة أتيت ولا عقوق
ولكني رأيت الصبر خيرا * من النعلين والرأس الحليق

وأما أبو العباس المبرد فقال وقالت الخنساء ترثي أخاها معاوية بن عمرو وكان أخاها لابيها وكان

أحبهما اليها واستحق ذلك لامور منها انه كان موصوفا بالحلم مشهورا بالجود معروفا بالتقدم والشجاعة محظوظا فى العشيرة ثم أنشد الابيات المتقدمة وكان صخر أجمل رجل فى العرب وكان سبب قتله أنه جمع جمعا وأغار على بنى أسد بن خزيمة فنذروا به والتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فارفض أصحاب صخر عنه فطعنه ربيعة بن ثور الاسدى فأدخل جوفه حلقا من الدرع فاستعل منها وسار الى أهله فاندمل عليه الجرح وتأمنه مثل اليد فأضناه ذلك حولا فسمع سائلا يقول لامرأته كيف صخر اليوم فقالت لاحى فيرجى ولاميت فينعى ولقد لقينا منه الامرين وامرأته بديلة الاسدية وكان سباها من بنى أسد واتخذها لنفسه فلما سمع قولها علم أنها برمت مه ورأى تحزن أمه عليه فقال

أرى أم صخر لا تجف دموعها * وملت سليمى مضجعى ومكانى
وما كنت أخشى أن أكون جنازة * عليك ومن يغتر بالحدثان
أهم بامر الحزم لو استطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان
لعمرى لقد نبهت من كان نائما * وأسمعت من كانت له أذنان
فأى امرئ ساوى بام حليلة * فلا عاش الا فى شقا وهوان

ثم عزم على قطع ذلك الموضع فلما قطعه يئس من نفسه فقال

أجارتنا ان الخطوب فريب * على الناس كل المخطئين تصيب
أجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

فلما مات دفن فى أرض بنى سليم بقرب عسيب وحضرت الخنساء القادسية مع بنيها وهم أربعة رجال فقالت لهم من أول الليل يا بنى انكم اسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين والله الذى لا اله الا هو انكم لبنو رجل واحد كما انكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم وقد تعلمون ما أعد الله تعالى للمؤمنين من الثواب الجزيل فى حرب الكافرين واعلموا ان الدار الآخرة خير من الدار الفانية يقول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فاذا أصبحتم غدا ان شاء الله سالمين فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على اعدائه مستنصرين فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها وجللت نارا على أوراقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رسيسها تظفروا بالغنم والكرامة فى دار الخلد والمقامة فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم فتقدموا واحدا بعد واحد ينشدون أراجيز يذكرون فيها وصية العجوز لهم حتى قتلوا عن آخرهم فبلغها الخبر فقالت الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر الرحمة * وكان عمر بن الخطاب يعطيها أرزاق بنيها الاربعة وكان لكل منهم مائتا درهم حتى قبض رضى الله تعالى عنه (قوله قعيدة رحلى) أى امرأة بيتى وناقة (طروقة) بلغت أن يطرقها الفحل و(أنفت) استنكفت وكرهت (تذمرت) غضبت وتذمر الرجل اذا رأى ما يكرهه فغضب وتهدد والذمر اللوم والحض وذمر قائد الجيش أصحابه بذمرهم اذا لامهم وأسمعهم ما يكرهون ليجدوا فى القتال (تنمرت) تغيرت وتشبهت بالنمر ولا يوجد النمر الا متنكرا غضبا ناو نمر الرجل وتنمر تنكر وتغير (حسرت عن ساعدها) شمرت عن ذراعها (أطيش) أخف والطيش خفة العقل (والطامر) البرغوث يقال له طامر بن طامر * قال الاصمعى كنت بالبادية فرأيت اعرابيا قد بسط كساءه ليفليه فى الشمس فوقفت أنظر اليه فجعل يأخذ البراغيث ويدع القمل فقلت له لم تأخذ بعضا وتدع بعضا فقال أبدأ بالفرسان ثم أعكر على الرجالة * سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يسب برغوثا فقال لا تسبه فانه نبه نبيا من الانبياء لصلاة الفجر * أبو الدرداء رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا آذاك البراغيث فخذ قدحا من ماء واقرأ عليه سبع مرات وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا الى قوله المتوكلون فكفوا شركم وأذاكم عنا ثم ترش الماء حول فراشك فانك

لا أنفت أن تكوني قعيدة رحلي وطروقة فحلي قال فتذمرت المرأة وتنمرت وحسرت عن ساعدها وشمرت وقالت له يا ألأم من مادر وأشأم من قاشر وأجبن من صافر وأطيش من طامر

تبيت الليلة آمنا من شرها (شنارك) عيبك وعارك (تفري) تقطع وفري يستعمل في القطع على جهة الاصلاح وقد جاء هنا في الافساد ومنه قول الشاعر

فري نائبات الدهر بيني وبينها * وصرف الليالي مثل مافرى الجلد

ابن سيده فري الشئ يفريه فريا وفراه تفرية كلاهما شقه وأفسده وأفراه أصلحه والمتقنون من أهل اللغة يقولون فري شق للافساد وأفرى للاصلاح وقيل افراه أفسده وفراه قطعه للاصلاح قال الاصمعي رحمه الله أفرى الجلد مزقه وأفسده يفريه افراء وفرى المزادة يفريها فريا خرزها و(القلامة) مايقص من الظفر وبها يتعلق وسخه فهي مع حقارتها مستقذرة * وأما (أبو دلامة) فاسمه زند بالنون ابن الجون وهو كوفي أسود مولى لبني أسد أدرك آخر أيام بني أمية ونبغ في أيام بني العباس ومدح السفاح والمنصور والمهدي وكان صاحب نوادر وملح وكان خليعا فاسد الدين رديء المذهب قد تقدم له شئ من ذلك في الصلاة والحج ونذكر له ههنا شيأ في الصيام ونضيف له فنونا من سائر ملحه * وأما بغلته فكانت جامعة لعيوب الدواب كلها وكانت أشوه الدواب خلقة في منظر العين وأسوأها خلقا في مخبرها فكان اذا ركبها تبعه الصبيان يتضاحكون به وكان يقصد ركوبها في مواكب الخلفاء والكبراء ليضحكهم بشماسها حتى نظم فيها قصيدته المشهورة وهي

أبعد الخيل أركبها كراما * وبعد الفره من حضر البغال
رزقت بغيلة فيها وكال * وليتها لم يكن غير الوكال
رأيت عيوبها كثرت وليست * وان أكثرت ثم من المقال
ليحصى منطقي وكلام غيري * عشير خصالها شر الخصال
فأهون عيبها أني اذا ما * نزلت وقلت امشي لاتبالي
تقوم فما تبت هناك شبرا * وترمحني وتأخذ في قتالي
واني ان ركبت اذيت نفسي * بضرب باليمين وبالشمال
وبالرجلين أركضها جميعا * فيالك في الشقاء وفي الكلال
أتاني خائب يستام مني * عريقي في الخسارة والضلال
وقال تبيعها قلت ارتبطها * بحكمك ان بيعي غير غال
فأقبل ضاحكا نحوي سرورا * وقال أراك سهلا ذا جمال
هلم الي بحاوبي خداعا * ومايدري الشقي بمن يحالي
فقلت بأربعين فقال أحسن * الي فان مثلك ذو سجال *
فأرك خمسة منها لعلمي * بمافيه يصير من الخبال
فلما ابتاعها مني وبتت * له في البيع غير المستقال
أخذت بثوبه أبرأت مما * أعد عليه من سوء الخلال
برأت اليك من مشئ يديها * ومن جرد ومن بلل المخالي
ومن فتق بها في البطن جم * ومن عقالها ومن انفتال
ومن قطع اللسان ومن بياض * بعينيها ومن قرض الحبال
ومن عض العلام ومن خراط * اذا ماهم صحبك بارتحال
وأقطى من فريخ الذر مشيا * بها عرن وداء من سلال
وتكسر سرجها أبدا شماسا * وتقمص للاكاف على اغتيال
ويدبر ظهرها من مس كف * وتهزم في الجمام وفي الجلال
تظل لركبة منها رقيدا * يخاف عليك من ورم الطحال

أترميني بشنارك وتفري عرضي بشفارك وأنت تعلم انك أحقر من قلامة وأعيب من بغلة أبي دلامة

﴿ذكر دلامة﴾

ومشغار تقدم كل سرج * تصير دفتيه على القذال
وتحفى لو تسير على الحشايا * ولو تمشى على دمث الرمال
اذا استعجلتها عثرت وبالت * وقامت ساعة عند المبال
وتضرط أربعين اذا وقفنا * على أهل المجالس للسؤال
فتقطع منطقى وتحول بينى * وبين حديثهم فيما توالى
وتذعر للدجاجة اذ تراها * وتنفر للصغير وللعيال
فاما الاعتلاف فأدن منها * من الاتبان أمثال الجبال
وأما القت فأت بالف وقر * باعظم حمل احمال الجمال
فليست بعالف منها ثلاثا * وعندك منه عود للخلال
وان عطشت فأوردها جبيلا * اذا أوردت أونهرى بلال
فذلك ريها سقيت حميا * وان مد الفرات فللنهال
وكانت قارحا أيام كسرى * وتذكر تبعا عند الفصال
وقد دبرت ونعمان صبى * وقبل فصاله تلك الليالى
وتذكر اذ نشا بهرام جور * وعامله على خرج الجوالى
وقد مرت بقرن بعد قرن * وآخر عهدها الهلاك مالى
فأبدلنى بها يارب طرا * يزين جمال مشيته جمالى

وأنشدها المهدى فقال لقد أقلت من بلاء عظيم فقال والله يا أمير المؤمنين لقد مكثت شهرا أتوقع صاحبها أن يردها فقال المهدى لصاحب دوابه خيره بين مركبين فى الاصطبل فقال ان كان الاختيار الى فقد وقعت فى شر من البغلة ولكن مره يختر لى فقعل وفى القصيدة ألفاظ من الغريب أبينها فنها يقال واكلت الدابة وكالا اساءت السير ومحت ترمح ضربت برجليها والمشش داء فى قوائمها والجرد استرخاء العصب والعقال أن تنقبض القوائم ولا تنبعث والخراط الجماح والعرن حكة وشقاق فى القوائم وقد عرن عرنا وقص يقمص ويقمص قمصا وقماصا رفع يديه معا وطرحهما معا وعجن بيديه وقطا بقطو قارب الخطو وكان لابى دلامة برذون أعجف محطم هرم فدخل على المهدى يوما وبين يديه سلمة الوصيف فقال يا أمير المؤمنين انى جلبت لبابك مهرا ليس لاحد مثله واحببت ان أهديه لك فان أحببت ان تشرفنى بقبوله فأمر بادخاله فخرج وادخل برذونه فقال له المهدى أى شئ هذا ويلك ألم تزعم انه مهر فقال له أبو دلامة أوليس هذا سلمة الوصيف قائما بين يديك تسميه الوصيف وله ثمانون سنة فان كان سلمة وصيفا فهذا مهر فجعل المهدى يضحك وسلمة يشتمه فقال له المهدى ويلك ان لهذه اخوات والله ليضحكن بك فى المحافل فقال والله يا أمير المؤمنين لافضحنه فليس فى مواليك أحد الا وقد وصلنى غيره فما شربت الماء له قط فحكم عليه المهدى ان يشترى نفسه بثلاثة آلاف درهم فقال لسلمة على أن لا تعاود فقال أبو دلامة أفعل فحملها اليه ومما ينتظم بهذا النمط ان محمد بن عبيد الله بن خاقان حمل ابا العيناء على فرس فكتب الى أبيه أعلم الامير أعزه الله ان أبا محمد اراد أن يبرنى فعقنى وان يركبنى فارجلنى أمر لى بدابة تقف للعبرة وتعثر بالبعرة كالقضيب اليابس عجفا وكالمهجور البائس دنفا قد أذكر الرواة عروة العذرى والمجنون العامرى مساعد أعلاه لاسفله حباقه مقرون بسعاله فلو أمسك لترجيت ولو أفرد لتعزيت ولكنه يجمعها فى الطريق المعمور والمجلس المشهور كأنه خطيب مرشد أو شاعر منشد يضحك من فعله النسوان ويتناعى من أجله الصبيان فمن صائح يصيح داوه بالطباشير ومن قائل يقول نقله الشعير قد حفظ الاخبار وروى الاشعار ولحق العلماء فى الامصار فلو بنين أعطق لروى بحق وصدق عن جابر الجعفى وعامر الشعبى ولم

أوت من أمر الامير أعزه الله وانما أتيت من كاتبه الاعور الذى اذا اختار لنفسه أصاب وأكثر واذا اختار لغيره أخبث وأنزر فان رأى الامير أن يبدلنى ويحى بمركوب يضحكنى كما أضحك منى بحسنه وفراهته ماسطره العيب بقبحه ودناءته ولست اذكر سرجه ولجامه لان الامير أكرم من أن يسلب ما يهديه وينقص ما يمضيه فوجه اليه ببرذون بسرجه ولجامه ثم اجتمع بابنه محمد عنده فقال له عبيد الله شكوت دابة محمد وقد أخبرنى انه يشتريه الآن منك بمائة دينار وهذا ثمنه لا يؤخر عنك فقال أعز الله الوزير لولم أكذب مستزيدا لم أذهب مستفيدا وانى واياه لكما قالت امرأة العزيز أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين (وقال ابن رشيق فى بغل)

أوصيك بالبغل شرا * فانه ابن الحمار
لا يصلح البغل الا * للكد والاسفار
كالعيدان لم تهنه * جنى على الاحرار
ما اعتاض بغلا بطرف * الا أخو ادبار

وله أيضا فيه

فأوصيكمو بالبغل شرا فانه * من العير فى سوء الطباع قريب
وكيف يجىء البغل يوما بحاجة * تسر وفيه للحمار نصيب

وله من قصيدة

أو بغلة سفواء تعرض للفتى * فتخال تحت السرج أم غزال
سألت الى الام النجابة من أب * وزهت على الاعمام والاخوال
وكأنها قد أفرغت فى قالب * لا أنها خلقت على تمثال

وله من قصيدة أيضا

كأنى بعض نجوم السماء * تصعد فى الجو ثم انحدر
على رسلة من هبات الملو * ك سفواء ملمومة كالحجر
تعاون فى جدل أعضائها * بنو أحذر وبنات الاغر

ولمحمد بن بشر الخارجى فى بغلة

نزعت عن الخيل العتاق نجارها * منها وعتق سوالف ولبان
ولها من الاعيار عند مسيرها * قحة وطول صبارة ومران

رجعنا الى أخبار أبى دلامة * يحكى أن المهدى أو المنصور انشده ما أعجبه فكساه طيلسانا وأمر له بمال وعاهده أن لا يشرب الخمر فحلف له وخرج الى بنى داود بن على فضحكوا به وقص عليهم خبره فسقوه حتى أسكروه وأخرجوه فأعلم المهدى الخبر فأرسل فيه وأمر الرسول بسجنه وتحريق ساجه وأن لا يمكن من قرطاس ولا مداد ففعل به الرسول ذلك فانتبه فى جوف الليل فنادى جاريته فقال له السجان طعنة فى كبدك فقال له ويلك من أنت وأين أنا فقال له سل نفسك أين كنت عشاء أمس فاستعلفه من أنت فقال أنا السجان بعث بك أمير المؤمنين وأنت سكران فأمرنى أن أحبسك مع الدجاج فقال أحب أن تسرج لى سراجا وتأتينى بدواة وقرطاس ولك عندى صلة فقال له أما السراج فنعم وأما القرطاس والدواة فقد أمرت أن لا أمكنك منهما فلما أتاه بالسراج وجد ساجه محرقا ملطخا بزبال الدجاج ورأى نفسه جالسا بينها فقال له ادع لى ابنى دلامة فدعاه فأمره أن يجد حلاقة رأسه وأن يأتيه بفحمة ففعل فكتب على رأس ابنه

أمن صهباء صافية المزاج * كأن شعاعها لهب السراج
تهش لها القلوب وتشتهيها * اذا برزت ترقرق فى الزجاج
أقاد الى السجون بغير جرم * كأنى بعض عمال الخراج
ولو معهم حبست لكان خيرا * ولكنى حبست مع الدجاج
أمير المؤمنين فدتك نفسى * ففيم حبستنى وخرقت ساجى

علي أني وان لاقيت شرا * لخيرك بعد ذاك الشر راجي

ثم قال يا أمير المؤمنين هذه أمانة فاذا قرأتها فرق الرقعة ثم أمر دلامة أن يدخل على أمير المؤمنين ويقرئه ما في رأسه فاتى الباب وصاح دعوة المظلوم فعلم أمير المؤمنين بمكانه فأمر بادخاله فكشف رأسه وقال ان ظلامتي مكتوبة في رأسي فأدني منه حتى قرأها فاشتد ضحكه وعجب من حيلته وأمر باخراجه وقال ما كان أحوج هذه الرقعة ان تمزق ثم وصله بصلة وسماه أن يوجد سكران * وخرج المهدي يتصيد ومعه علي بن سليمان فسنح له قطيع من الظباء فارسلت الكلاب وأجريت الخيل فرمى المهدي سهما فصرع ظبيا ورمى علي بن سليمان سهما فصرع كلبا فقال أبو دلامة

قد رمى المهدي ظبيا * شق بالسهم فؤاده

وعلي بن سليما * ن رمى كلبا فصاده

فهنيأ لهما كل امرئ يأكل زاده

فضحك المهدي حتى كاد يسقط ومن ملحه أنه دخل على المهدي وعنده وجوه بني هاشم فقال أنا أعطي الله عهدا لئن لم تهج واحدا ممن في البيت لاقطعن لسانك فنظر الى القوم فكلما نظر الى واحد غمزه بان عليه رضاه قال فعلمت أني وقعت وانها عزمة من عزماته لابد منها فلم أر أدعى الى السلامة من هجاء نفسي فقلت

الا أبلغ لديك أبا دلامه * فليس من الكرام ولا كرامه

اذا لبس العمامة قلت قرد * وخنزيرا يكون بلا عمامه

جمعت دمامة وجمعت لؤما * كذاك اللؤم تتبعه الدمامه

فان تك قد أصبت نعيم دنيا * فلا تفرح فقد دنت القيامه

فضحكوا ولم يبق أحد الا أجازه وخرجت له صبية فأخذها على كتفه فبالت عليه فرمى بها وقال

بللت علي لاحييت ثوبي * فبال عليك شيطان رجيم

فما ولدتك مريم أم عيسى * ولا رباك لقمان الحكيم

ولكن قد تضمك أم سوء * الى لباتها وأب لئيم *

ولما خرجت الخيزران الى الحج تلقاها فصاح الله الله في أمري فسألته عن أمره فقال اني شيخ كبير وأجرك في عظيم تهبين لي جارية تؤنسني وترفق بي وتريحني من عجوز عندي قد أكلت رفدي وأطالت كدي وقد عرف جلدها جلدي وتمنيت بعدها وتشوفت فقدها فوعدته بها فلما جاءت من الحج دخل على أم عبيدة حاضنة موسى وهرون فدفع اليها رقعة فدفعتها الى الخيزران وفيها

أبلغي سيدتي ان * شئت يا أم عبيده

أنها ارشدها الله وان كانت رشيده

وعدتني قبل أن تخرج للحج وليده

انني شيخ كبير * ليس في بيتي قعيده

غير عجفاء عجوز * ساقها مثل القديده

وجهها أقبح من حو * ت طري في عصيده

ما حياتي مع أنثى * مثل عرسي بحميده

فضحكت واستعادت حوتا في عصيدة وهي تضحك ثم قالت لجارية خذي ما عندك في قصري وامشي اليه فلما بلغها الرسول منزله لم يجده فدفعها الى امرأته ودخل دلامة وأمه تبكي فسألها فأخبرته وقالت ان أردت بري يوما من الدهر فاليوم قال لها قولي ما شئت أفعله قالت تدخل اليها وتعلمها أنك مالكها فتطؤها فتحرم عليه والا شغلته بخفافي وخفاك ففعل وجاء أبو دلامة فسألها عنها فقالت هي

فى ذلك البيت فدخل ومد يده اليها وذهب ليقبلها فرأت شيخا محطما قبيح الوجه فقالت تخ والا لطمتك لطمة دقت بها انفك فقال وبهذا أوصتك سيدتك فقالت انها بعثتنى الى فتى من صفته كذا وكذا وقد نال حاجته منى آنفا فعلم أنه دهاه من دلامة وأمه فخرج ولطمه ولببه وحلف أن لا يفارقه الا الى المهدى فضى على تلك الحالة حتى دخل الى المهدى فقال له مابالك و يحك فقال له عمل بى هذا ابن الخبيثة مالم يعمله أحد بابيه ولا يرضينى الا أن تقتله وأخبره الخبر فضحك المهدى حتى استلقى وأبو دلامة يقول يعجبك فعله فتضحك منه فقال على بالسيف والنطع فقال دلامة اسمع حجتى ياأمير المؤمنين كما سمعت حجته فقال هات فقال هذا الشيخ أصفق الناس وجها وهو ينيك أمى منذ أربعين سنة فما غضبت ونكت جاريته مرة واحدة فغضب فضحك المهدى أشد من ضحكه الاول فقال دعهاله وأنا أعطيك خيرا منها فقال على أن تخبأها بين السماء والارض والا ناكها كما ناك هذه وحلف لدلامة ان عاد ليقتلنه * وجاء دلامة لابيه فى محفل وجلس بين يديه وقال للجماعة ان شيخى كما ترون وقد كبر سنه ورق جلده ودق عظمه و بنا الى حياته حاجة وأنا لا أزال أشير عليه بشئ يمسك رمقه و يبقى قوته فيخالفنى وأرغب اليكم أن تسألوه قضاء حاجة فيها صلاح جسمه فقالوا حبا وكرامة فأخذوا أبادلامة بألسنتهم فقال قولوا له الخبيث فليقل مايريد فستعلمون أنه لم يأت الا ببلية فقال انما يقتله كثرة النيك ولا يدفعه عنه الا الخصاء فتعاونوا عليه حتى أخصيه فضحكوا منه كثيرا وقالوا لابيه قد سمعت فما عندك فقال قد عرفتكم انه لم يأت بخير وقد جعلت أمه حكما بينى و بينه فقوموا اليها فدخلوا عليها وقصوا القصة عليها فأقبلت على الجماعة وقالت ان ابنى أبقاه الله قد نصح أباه وبره وأنا الى بقاء أبيه أحوج منه اليه الا ان هذا الامر لم تقع فيه تجربة عندنا ولا جرت به عادة وهو قد ادعى معرفة ذلك فليبدأ بنفسه فليخصها فاذا عوفى ورأينا ذلك قد أبقى عليه أثرا محمودا استعمله أبوه على علم فجعل القوم يضحكون ويعجبون من اتفاقهم فى الخبث وأمره المهدى أن يلزم المسجد فى رمضان وقال له ان تأخرت فلشرب الخمر ولئن علمت ذلك لاقتلنك فشق عليه ذلك وتشفع اليه بكل انسان فلم يشفعه فأدخل الى ريطة رقعة وكان المهدى لا يخالفها وفيها

أبلغا ريطة أنى * كنت عبدا لابيها
فضى يرحمه الله وأوصى بى اليها
جاء شهر الصوم يمشى * مشية لا أشتهيها
قائدا لى ليلة القدر * كأنى أبتغيها
تنطح القبلة شهرا * جبهتى لا تأتليها
فاطلبى لى فرجا منـ * ـها وأجرى لك فيها

فضحكت وقالت يصبر حتى تمضى ليلة القدر وقال اذا مضت ليلة القدر فى الشهر وكتب اليها

خافى الهك فى نفس قد احتضرت * قامت قيامتها بين المصلينا
ماليلة القدر من همى فأطلبها * انى أخاف المنايا قبل عشرينا
لا بارك الله فى خير أؤمله * فى ليلة بعد ماقمنا ثلاثينا
ياليلة القدر قد كسرت أرجلنا * ياليلة القدر حقا ماتمنينا

فلما قرأتها ضحكت ودخلت الى المهدى فشفعها فيه وأخباره كثيرة وعلى قوله جاء شهر الصوم قال أبو القاسم الثعالبى أنشدنيه الفقيه أبو الحسين بن زرقون

أشهر الصوم مامثلك عند الله من شهر
على انك حرمت * علينا لذة السكر
وقرع الكأس بالكأس * ورشف الثغر بالثغر

وانى والذى شر * ف أوقاتك بالذكر
وما أمسى يصلى فيـ * ـك من شفع ومن وتر
لمسرور بأن تفنى * على أنك من عمرى

وقال ابن المعتز
تجلى عشاء هلال الصيام * نحس على الكأس والبربط
وكم من فتى راح بين القيا * ن نشوان ذا فرح مفرط
وكان نشيطا فلما رآ * هـ حمحم ولم ينشط
فأعرض عنه كما أعرضت * فتاة عن الحاسب الاشمط

وقال ابن رشيق
لاح لى حاجب الهلال عشاء * فتمنيت أننى من سحاب
قلت اهلا وليس اهلا لما قلـ * ـت ولكن أسمعتها أصحابى
مظهرا حبه وعندى بغض * لعدوّ الكؤس والاكواب

(الحبقة) الضرطة و(الحلقة) جماعة الناس وربما تؤذى فضيحتها امام القوم أن يموت صاحبها غما وقد وجد ذلك وحبق أعرابى فى جماعة فاستحيا فأشار بحو استه وقال انها خالف نطقت خلفا وذكر الحريرى أن مطيع بن اياس ويحيى بن زياد وحماد الراوية كانوا يشربون ذات يوم ومعهم نديم لهم فبرزت منه فلتة فخجل وغاب عنهم أياما فكتب اليه مطيع

وافضح من حبقة فى حلقة
واحير من بقة فى حقة
وهبلك الحسن فى وعظه
ولفظه

أمن قلوص غدت لم يودها أحد * الا تذكرها بالرمل أوطانا
خان العقال لها فانبت اذ نفرت * وانما الذنب فيه للذى خانا
أظهرت منك لنا هجرا ومعتبة * وغبت عنا ثلاثا لست تغشانا
هوّن عليك فما فى الناس ذو ابل * الا وأينقه يشردن أحيانا

﴿ترجمة الحسن البصرى﴾

دخل أبو الفضل بديع الزمان على الصاحب بن عباد ففرح به وأجلسه معه على سريره فحبق البديع حبقة منكرة ثم أراد أن ينفى عن نفسه التهمة فقال يا مولانا هذا صرير التخت فقال له بل صفير التحت فخرج البديع خجلا وانقطع عن الوصول اليه فكتب اليه الصاحب

قل للصفيرى لا تذهب على خجل * من ضرطة أشبهت نايا على عود
فانها الريح لا تستطيع تدفعها * اذ لست أنت سليمان بن داود

تزوج اعرابى امرأة فلما دخل عليها عانقها فضرطت فخرجت غضبى الى أهلها وقالت والله لا أرجع اليه أو يفعل ما فعلت فقال لها عودى لافعل فعادت فعانقها فضرطت أخرى فقال

طالبتنى دينا قد يما ولم * أقضك حتى زدت فى قرضك
فلا تلومينى على مطله * ان كان ذا دأبك لم أقضك

قيل لاعرابى ما تقول فى الضرطة فقال لا بأس بها وربما سببت الضرطة وأنا راكع فى الصلاة قدم أبو علقمة الازدى على الفضل بن عبد الرحمن الهاشمى بالبصرة فقال الفضل لجلسائه اذا جلسنا على المائدة وأبو علقمة معنا فليضرط أحدكم ثم الآخر ثم الآخر وليكن بين كل ضرطتين فرجة فلما وضعت المائدة فعلوا ذلك فأخذ أبو علقمة المائدة وقام بها فقيل له الى أين يا أبا علقمة قال الى الكنيف فمن أراد منكم أن يحرأ كان قريبا وجلس ثقيل الى بشار فضرط بشار ضرطة منكرة فظن الرجل أنها فلتة فمشى فى حديثه فضرط بشار ثانية وثالثة فقال له ما هذا يا أبا معاذ قال رأيت أو سمعت قال بل سمعت قال كل ما سمعت ريح لا تصدق حتى ترى (قوله حقة) أى وعاء الطيب ويقال له حق والجمع حقاق وتبدل عامتنا من قافه كافا والروائح العطرة مضرة بهذه الهوام المنتنة وقد

قال المتنبى
بذى الغباوة من انشادها ضرر * كما تضر رياح الورد بالجعل

(قوله هبلك) أى احسبك (وأما الحسن) فهو أبو سعيد بن أبى الحسن البصرى وهو من التابعين

ولد بالمدينة لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأمه اسمها خيرة وكانت مولاة لأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فكانت تعطيه ثديها اذا اشتغلت أمه فدر ثديها له باللبن فاظهر الله تعالى بركة ذلك اللبن عليه وأبوه مولى لامرأة من الانصار وقيل ان أبويه كانا مملوكين لرجل من بني النجار فتزوج امرأة في بني سلمة من الانصار فساقهما اليها من مهرها فاعتقتهما وكان أحسن الناس لفظا وأبلغهم وعظا وكان زاهدا عالما قدما في العلم والدين على نظرائه من التابعين وكان الحجاج له معظما ومتعجبا من فصاحته ولم ينفك من مجلس وعظ او تدريس أعلم الى أن مات رحمه الله تعالى وقال أبو عمرو بن العلاء مارأيت قط أوعظ ولا أفصح من الحسن البصري وقال أبو أيوب السجستاني ماسمع أحد كلام الحسن البصري الا ثقل عليه كلام الرجال قال حميد قال لي الشعبي ونحن بمكة أحب أن اختلي بالحسن فقلت ذلك للحسن فقال اذا شاء فجاء الشعبي فقلت له ادخل عليه فانه في البيت وحده فقال أحب أن تدخل معي فدخلنا فاذا الحسن قبالة القبلة يقول يا ابن آدم لم تكن فكونت وسألت فأعطيت وسئلت فمنعت فبئس ما صنعت ثم يذهب فيرجع بعيد ذلك حتى أعادها مرارا فقال لي الشعبي يا هذا انصرف فان الشيخ في غير ما نحن فيه ولما دخل على الحجاج فقال له ما تقول في علي وعثمان قال أقول فيهما كما قال من هو خير مني بين يدي من هو شر منك قال ومن ذلك قال موسى وفرعون حيث قال له فرعون فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب
* الشعبي قال قدمنا على الحجاج في البصرة في جماعة من قراء الشام والعراق في يوم صائف شديد الحر وهو في آخر ثلاثة أبيات فدخلنا الاول فاذا فيه الثلج والماء قد أرسل فيه وفي الثاني أكثر وفي الثالث أكثر والحجاج قاعد على سريره وعنبسة بن سعيد الى جانبه فجلسنا على الكراسي ودخل الحسن آخر من دخل فقال له الحجاج مرحبا بأبي سعيد اخلع قميصك فجعل الحسن يعالج زر القميص فأبطأ به فطأطأ له الحجاج رأسه تلطفا به حتى حله وجاءت جارية بدهن فوضعته على رأس الحسن وحده فقال له الحجاج يا أبا سعيد مالي أراك منهوك الجسم لعل ذلك من قلة نفقة وسوء ولاية ألا نأمر لك بنفقة توسع بها على نفسك وخادم لطيف فقال اني من الله تعالى لفي سعة ونعمة واني منه لفي عافية ولكن الكبر والحر فأقبل الحجاج على عنبسة وقال لا والله بل العلم بالله والزهد فيما نحن فيه فلم يسمعها الحسن وسمعتها أنا بالقرب مني من عنبسة وجعل الحجاج يسأله حتى ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه فنال منه ونلنا منه مرضاة له وفرقا من شره والحسن عاض على ابهامه فقال له مالي أراك ساكتا فقال وما عسى ان أقول فقال أخبرنا برأيك في أبي تراب قال اني سمعت الله عز وجل يقول وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم فعلي ممن هدى الله ومن أهل الايمان وابن عم نبي الله صلى الله عليه وسلم وختنه على بنته أحب الناس اليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله عز وجل لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس يحظرها عليه ولا يحول بينه وبينها فتغير وجه الحجاج وقام مغضبا عن سريره ودخل بيتا خلفه وخرجنا وأخذت بيد الحسن فقلت يا أبا سعيد أغضبت الامير وأوغرت صدره فقال اليك عني يا عامر ألست شيطانا من الشياطين اذ توافقه في رأيه الا صدقت اذ سئلت أو سكت فسلمت فقلت قلتها والله وأنا أعلم بما فيها قال الحسن فذلك أعظم في الحجة عليك وأشد في التبعة ثم خرجت الى الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفانا فكان أهلا لما أتي اليه وكنا أهلا لما أتي الينا فما رأيت مثل الحسن بين العلماء الا مثل الفرس العربي فيما بين المقارف وما شهدنا بعد مشهدا الا برز علينا بفضله وقال لله وقلنا موافقة للولاة وكان يقول حادثوا هذه الانفس فانها سريعة الدثور واقرعوها فانها طامحة وانكم ان لم تقرعوها تنزع بكم الى شر غاية وقال لمطرف بن عبد الله بن الشخير عظ أصحابك فقال له

انى أخاف ان أقول مالا أفعل فقال له رجل الله وأينا يقول ما يفعل يود الشيطان أنه ظفر بهذه منكم فلم يأمر احد بمعروف ولم ينه عن منكر ونظر الى الناس فى مصلى البصرة يضحكون و يلعبون فى يوم عيد فقال ان الله تعالى جعل الصوم مضمارا لعبيده ليستبقوا الى طاعته ولعمرى لو كشف الغطاء لشغل محسن باحسانه ومسىء باساءته عن تجديد ثوب أو ترجيل شعر ومات فى سنة عشرة ومائة وله تسعون سنة وتقدم موت ابن سيرين بمائة يوم ومات فى رجب ليلة الجمعة وقال عبد الواحد بن زيد رأيت ليلة مات الحسن فى النوم أبواب السماء كأنها مفتحة وكأن الملائكة صفوف فقلت ان هذا الامر عظيم فقال لى قائل ألا ان الحسن البصرى قدم على الله وهو عنه راض وسمع بعض أصحابه فى منامه ليلة مات كأن مناديا ينادى فى السماء ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين واصطفى الحسن البصرى على أهل زمانه (والشعبى) اسمه عامر بن عبد الله بن شراحيل ابن عبيد بن ذى كبار الشعبى من شعب همدان وكنيته أبو عمرو ومنسوب الى شعبان بن عمرو وهو من حمير فمن كان منهم باليمن فهو حميرى و يقال له شعبانى ومن كان بالعراق فهو همدانى ويقال له شعبى وولد لست سنين من خلافة عمر رضى الله عنه سمع على بن أبى طالب رضى الله عنه والحسن والحسين وجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وهو كوفى وبه يضرب المثل فى الحفظ فيقال احفظ من الشعبى وقال الزهرى العلماء أربعة سعيد بن المسيب بالمدينة وعامر الشعبى بالكوفة والحسن البصرى بالبصرة ومكحول بالشأم وقال ابن شبرمة سمعت الشعبى يقول ما كتبت سوداء فى بيضاء الى يومى هذا ولا حدثنى رجل قط بحديث الا حفظته ولا أحببت أن يعيده على وقال الشعبى لاصحابه ما أروى شيأ أقل من الشعر ولو شئت لانشدتكم شهرا لا أعيد وكان الشعبى فقيها عالما حافظا أديبا وقال لولا ما زوحمت فى الرحم ما قامت لأحد معى قائمة وكتب عبد الملك الى الحجاج أن ابعث الى رجلا يصلح للدين والدنيا أتخذه سميرا وجليسا فبعث اليه بالشعبى فلما دخل عليه وجده مغتما فقال مابال أمير المؤمنين قال ذكرت قول زهير

والشعبى فى علمه وحفظه

﴿ترجمة الشعبى﴾

كأنى وقد جاوزت تسعين حجة * خلعت بها عنى عذار لجامى
رمتنى بنات الدهر من حيث لا أرى * فكيف بمن يرمى وليس برام
فلو أننى أرمى بنبل رميتها * ولكننى أرمى بغير سهام
على الراحتين تارة وعلى العصا * أنوء ثلاثا بعدهن قيامى

فقال له الشعبى ليس كذلك ولكن كما قال لبيد بن ربيعة

كأنى وقد جاوزت سبعين حجة * خلعت بها عن منكبى ردائيا

فلما بلغ سبعا وسبعين قال

باتت تشكى الى الموت مجهشة * وقد حملتك سبعا بعد سبعينا
فان تزاخت ثلاثا تبلغى أملا * وفى الثلاث وفاء للثمانينا

فلما بلغ التسعين قال

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وسؤال هذى الناس كيف لبيد
وغنيت سبتا قبل مجرى داحس * لو كان للنفس اللجوج خلود

فلما بلغ عشرين ومائة قال

أليس ورائى ان تراخت منيتى * لزوم العصا تحنى عليها الاصابع
أخبر أخبار القرون التى مضت * أنوء كأنى كلما قمت راكع

فلما بلغ ثلاثين ومائة حضرته الوفاة فقال

تمنى ابنتاى أن يعيش أبوهما * وهل أنا الا من ربيعة أو مضر

فقوما فقولا بالذى أنا أهله * ولا تخمشا خدّا ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذى لا صديقه * أضاع ولا خان الخليل ولا غدر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

قال الشعبى فلقد رأيت السرور فى وجه عبد الملك طمعا أن يعيشها وقال الحريرى فى الدرة حدثنى أحد شيوخى أن ليلى الاخيلية كانت تتكلم بلغة بهراء فتكسر حرف المضارعة فتقول أنت تعلم فاستأذنت يوما على عبد الملك بن مروان وبحضرته الشعبى فقال أتأذن لى يا أمير المؤمنين فى الغض منها فقال افعل فلما استقر بها المجلس قال لها الشعبى يا ليلى ما بال قومك لا يكتنون فقالت ويحك أما نكتنى بكسر النون فقال لا والله ولو فعلت لاغتسلت فخجلت عند ذلك واستغرق عبد الملك فى الضحك * الاصمعى وجه عبد الملك الشعبى الى ملك الروم فى بعض الامور فاستكبر الشعبى فقال له من أهل بيت الملك أنت قال لا فلما أراد الرجوع الى عبد الملك حمله رقعة لطيفة وقال له اذا بلغت صاحبك جميع ما يحتاج الى معرفته من ناحيتنا فادفع اليه هذه الرقعة فلما رجع الى عبد الملك ذكر له ما احتاج الى ذكره ونهض فلما خرج ذكر الرقعة فرجع فقال يا أمير المؤمنين انه حملنى اليك رقعة أنسيتها فدفعها اليه ونهض فقرأها عبد الملك وأمر برده فقال أعلمت ما فى الرقعة قال لا قال فيها عجبت من العرب كيف ملكت غير هذا أفتدرى لم كتب الى بهذا قال لا قال حسدنى عليك فاراد أن يغرينى بقتلك فقال الشعبى لو رآك يا أمير المؤمنين ما استكبرنى فبلغ ذلك ملك الروم فذكر عبد الملك وقال لله أبوه والله ما أردت الا ذلك وكان الشعبى خرج مع عبد الرحمن بن الاشعث على الحجاج فلما هزم عبد الرحمن أتى به موثقا مع الاسرى وكان حكم الحجاج فيهم من أقر أنه كافر أبقاه ومن أقر أنه مسلم قتله قال فلما جئت باب القصر لقينى يزيد بن مسلم كاتبه فقال انا لله يا شعبى لما بين دفتيك من العلم وليس بيوم شفاعة فقلت له وما المخرج فقال بؤ للامير بالشرك والنفاق وبالحرى أن تنجو فلما دخلت على الحجاج قال لى وأنت يا شعبى ممن خرج علينا قلت أصلح الله الامير أحزن بنا المنزل وأجدب بنا الجناب واستحلسنا الخوف وضاق المسلك وخطبتنا فتنة لم نكن فيها بررة أولياء ولا فجرة أقوياء قال لله أبوك لقد صدقت والله ما بررتم بخروجكم علينا ولا قويتم خلوا سبيله وكلم ابن هبيرة فى قوم حبسهم فقال ان كنت حبستهم بباطل فالحق يطلقهم وان كنت حبستهم بحق فالعفو يسعهم ودخل عليه رجل من النوكى وهو جالس مع امرأة فقال أيكما الشعبى فقال له هذا فقال ما تقول أصلحك الله فى رجل شتمنى فى أول يوم من رمضان هل يؤجر فقال له الشعبى أما ان كان قال لك يا أحمق فارجو له الاجر وسأله آخر فقال ما تقول فى رجل أدخل اصبعه فى أنفه فى الصلاة فخرج عليها دم أترى له أن يحتجم فقال الحمد لله الذى نقلنا من الفقه الى الحجامة وسأله آخر كيف كانت تسمى امرأة ابليس قال ذلك نكاح لم نشهده ودخل الحمام فرأى داود الاودى بلا مئزر فغمض عينيه فقال له داود متى عميت يا أبا عمرو فقال مذ هتك الله سترك ومات فى سنة أربع ومائة وهو ابن اثنتين وثمانين سنة (والخليل) رحمه الله هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد البصرى الفراهيدى ينسب الى فراهيد بن مالك بن فهم بن عبد الله ابن مالك بن نصر الازدى ويقال اليحمدى واليحمد بطن من الازد وكان الخليل من أزهد الناس وأعلاهم نفسا وأشدهم تعففا ولقد كان الملوك يقصدونه ويتعرفون اليه لينال منهم فلم يكن يفعل وكان يعيش من بستان له خلفه عليه والده وكان يغزو سنة ويحج أخرى حتى جاءه الموت * محمد بن حميد قال تزوجت الى جيران الخليل فنزلت عليهم فكنت أسمع قرآن الخليل طول الليل فقالوا لى ما عرفنا من هذا الرجل الا ما ترى وانه ليغيب عنا فى غزو وحج فنتوحش اليه وقالوا لا يجوز الصراط بعد الانبياء والصحابة أدق ذهنا من الخليل وكانت تلك الفضيلة فيه ببركة اسم أبيه لانه أول من تسمى باحمد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم * أبو عاصم دخلت عليه قبل وفاته بايام فقال والله ما فعلت قط

والخليل فى عروضه ونحوه

﴿ترجمة الخليل﴾

فعلا اخاف على نفسي منه وكان لي فضل فكر صرفته الى جهة وددت أني كنت صرفته الى غيرها وما علمت أني كذبت متعمدا قط وأرجو أن يغفر الله لي التأول واجتمع أدباء كل أفق فجعل أهل كل بلد يرفعون علماءهم ويقدمونهم حتى جرى ذكر الخليل فلم يبق أحد الا قال الخليل أذكى العرب وهو مفتاح العلوم ومصرفها * النضر ما رأى الراؤن مثل الخليل ولا رأى الخليل مثل نفسه وكان شعث الرأس شاحب اللون قشف الهيئة متخرق الثياب متقلع القدمين مغمورا في الناس لا يعرف * محمد بن الفضل كان بالبصرة رجل يعطي دواء الظلمة البصر فينتفع به الناس فمات فأضر ذلك بمن كان يستعمله فذكر للخليل فقال أله نسخة فقالوا لم نجدها قال فهل كان له آنية يعمله فيها قالوا نعم اناء يجمع فيه أخلاطا قال فجيؤني به فجعل يشمه ويخرج نوعا نوعا حتى أخرج خمسة عشر نوعا ثم سأل عن جمعها ومقادرها فعرفه من كان يعالج مثله فعمله وأعطاه الناس فانتفعوا به مثل تلك المنفعة ثم وجدت النسخة في كتب الرجل فاذا فيها ستة عشر خلطا فلم يغفل الا عن خلط واحد وكتب اليه ملك اليونان كتابا باليونانية فخلا به شهرا حتى فهمه فقيل له في ذلك قال قلت لا بد أن يفتتح الكتاب باسم الله تعالى وما أشبهه فبنيت أول الحروف على ذلك حتى انقاست لي * النضر بن شميل جاء رجل من حلقة يونس فسأل الخليل عن شيء فأطرق يفكر فقالوا له ما هذا مما يحتاج الى فكر يفكر فيه فقال لهم فما الجواب عندكم قالوا كذا قال فانه يريد كذا في الجواب كذا قالوا نقول كذا قال يقول كذا فانقطعوا فقال ما أجبت بجواب قط الا وأنا أعرف آخر ما علي فيه وكان يخرج من منزله فلم يشعر الا وهو في الصحراء ولم يردها لشغله بالفكر وقال النضر سمعت الخليل يقول الايام ثلاثة فمعهود وهو أمس ومشهود وهو اليوم وموعود وهو غد وقال الخليل اذا نسخ الكتاب ثلاث نسخ ولم يعارض به تحول بالفارسية ورأى مع رجل دفترا وفيه خط دقيق فقال لصاحبه أيست يا هذا من طول عمرك وقال ان لم تعلم الناس ثوابا فعلمهم لتدرس بتعليمهم علمك ولا تجزع من تفرع السؤال فانه ينبهك على علم ما لم تعلم وقال أكثر من العلم لتفهم واختر قليلا منه لتحفظ وكان يقول اذا خرجت من منزلي لقيت أحد ثلاثة اما رجلا أعلم بشيء مني فذلك يوم فائدة أو مثلي فذلك يوم مذاكرة أو دوني فذلك يوم ثواب وقال من الناس من يدري ويدري أنه يدري فذلك عالم فاتبعوه ومنهم من لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك جاهل فاحذروه ومنهم من يدري ولا يدري أنه يدري فذلك ضال فأرشدوه وكان يقول اذا أردت أن تعلم خطأ معلمك من صوابه فجالس غيره وقال أنا أول من سمى الاوعية ظروفا لانه جعل ظرفا للادب والنظافة وقال أدركت بعض ما أنا فيه باطراح الحشمة بيني وبين المعلمين ومن رق وجهه في طلب العلم رق علمه وقال اذا أخطأ بحضرتك من تعلم أنه يأنف بارشادك فلا ترد عليه خطأه فانك اذا نبهته على خطئه أسرعت افادته واكتسبت عداوته وقال اجعل ما تكتب بيت مال وما في صدرك للنفقة وقال العلوم أقفال والسؤالات مفاتيحها وقال الناس في سجن ما لم يتمازحوا وقال الرجل بلا صديق كاليمين بلا شمال وقيل له ان استفساد الصديق أهون من استصلاح العدو فقال نعم كما أن تخريق الثوب أهون من نسجه وقيل له ما الجود فقال بذل المجهود قيل له فما الزهد قال أن لا تطلب المفقود حتى تفقد الموجود وقال الدنيا أمد والآخرة أبد وقال حسب امرئ من الشر أن يرى في نفسه فساد الا يصلحه ومن علم بفساد نفسه علم بصلاحها وأقبح التحول أن يحول المرء من ذنب الى غير توبة ولا اقلاع عنه وقال الدنيا اضداد متجاورة وأشباه متباينة وأقارب متباعدة وأباعد متقاربة وقال ثلاثة أشياء أنا أحبها لنفسي ولمن أحب رشده أحب أن أكون بيني وبين ربي من أفضل عباده وأكون بيني وبين الخليقة من أوسطهم وأكون بيني وبين نفسي من شرهم وقال عبد الله بن داود لو كتب شيء بالذهب لكتب هذا ونظر في فقه لابي حنيفة فقيل له كيف ترى فقال أرى جد او طريق جد ونحن في هزل وطريق هزل وقال عبد الله بن

داود لقد نال الناس بالخليل وعلمه الرغائب وانه لبين اخصاص البصرة يزهد فيما يرغب فيه وقال ثلاث ينسين المصائب مر الليالي والمرأة الحسناء ومحادثة الرجال * النضر سمعت الخليل يقول التوانى اضاعة والحزم بضاعة والانصاف راحة واللجاج وقاحة وكان له غلام كثير الخلاف عليه فقال له يوما قم فقال لا أقوم فقال اقعد فقال لا أقعد قال فاى شئ تصنع قال لا أصنع شيأ ويشبه هذا قول الشاعر فى امرأته

سكت فقالت لم سكت عن الحق * وقلت فقالت ما دعاك الى النطق
فأومأت هل من حالة بين ذا وذا * فقالت وذا الايماء أيضا من الحمق
فلم أر لى اذ حلت الغرب راحة * من الشر الا فى الهروب الى الشرق
فلما أتيت الشرق ألفيتها به * وقد قعدت لى منه فى ضيق الطرق

وانما أكثرنا من أخباره لانها آداب وحكم من اقتدى بها اهتدى وما تركناه من اخباره أكثر وذكر النحو والعروض مؤخر الى الحسين ان شاء الله تعالى ولتقدمه فى العلم ضربت الشعراء به المثل فمن ذلك قول أبى تمام يهجو عياش بن لهيعة

ولو نشر الخليل له لعمت * بلادته على فطن الخليل
فما أدرى عماى عن رشادى * دهانى أم عماك عن الجميل

وقال آخر
يا من يزيد عقفنا * وتباغضا فى كل لحظه
والله لو كنت الخليل * لما روينا عنك لفظه

وانشد المبرد
لم تدر ما علم الخليل فتقتدى * ببيان ذاك ولا حدود المنطق

وقال المعرى
اذا قيل نسك فالخليل بن آزر * وان قيل فهم فالخليل أخو الفهم

ابن مزاحم الشاعر كان الخليل صديقالى فدخلت عليه يوما فقال اجز

* رأيت غنى الانسان نفسا زكية * فقلت * مطهرة من كل رجس وباطل *

فقال
* ففى عاجل الدنيا مديح ورفعة * فقلت * وخير عظيم عاجل بعد آجل *

فقال والله جئت بما فى نفسى ثم قال

كانك كنت قد خامرت قلبى * فجئت بما شفيت به الغليلا
رأيت براعة الايجاز أشفى * فصار كثير غيرك لى قليلا

وله
العلم يذكى عقولا حين يصحبها * وقد يزيدهما طول التجاريب
وذو التأدب فى الجهال مغترب * يرى ويسمع ألوان الاعاجيب

وكان صديق سليمان بن حبيب وأنشد الشعراء فتشاغل عنهم سليمان فذكروا ذلك للخليل فكتب اليه

لا تقبلن الشعر ثم تعقه * وتنام والشعراء غير نيام
واعلم بأنهم اذا لم ينصفوا * حكموا لانفسهم على الحكام
وجناية الجانى عليهم تنقضى * وكلومهم تبقى على الايام

﴿ذكر جرير الشاعر﴾

وأما (جرير) فهو ابن عطية بن الخطفى شاعر من فحول العرب واتفقت العلماء على أن أشعر الاسلاميين جرير والفرزدق والاخطل وأكثرهم على تفضيله عليهما وسأذكر لك شيأ من غزله وهجوه تستدل به على منزلة شرفه فى الشعر ورأت أمه وهى حامل به كأنها ولدت حبلا من شعر أسود فلما سقط جعل ينزو فيقع فى عنق هذا فيخنقه حتى فعل ذلك برجال كثيرة فانتبهت فازعة فأولت الرؤيا فقيل لها تلدين غلاما شاعرا ذا أسر وشدة وشكيمة وبلاء على الناس فلما ولدته سمته جريرا باسم الحبل الذى رأته فهاجاه ثمانون شاعرا فغلبهم وقال جرير ما عشقت ولو عشقت لنسبت نسيبا تسمعه العجوز فتبكى على ما فاتها من شبابها قالوا وأرق ما جاء فى النسيب قوله

وجريرا فى غزله وهجوه

ان العيون التي في طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك له * وهن أضعف خلق الله أركانا
أتبعتهم مقلة انسان غرق * هل ما ترى تاركا للعين انسانا

ومثل هذا أوجب على الحريري أن يذكر جريرا بالغزل والا فقد أخذ عليه في ذكر جرير بالغزل وانما الذي اشتهر في زمانه بالغزل مثل عمر بن أبي ربيعة وكثير عزة وجميل وقيس بن ذريح وأمثال هؤلاء وانما اشتهر جرير بالمدح والهجو ولا نطباعه قد جاء في شعره من الغزل الرقيق كثير وان كان تكلفا اذ لم يعشق قال الجاحظ كان الفرزدق مشتهرا بالنساء ومع ذلك فليس له بيت واحد في النسيب وجرير عفيف لم يعشق امرأة قط ومع ذلك فهو أغزل الناس شعرا وسئل الفرزدق عنه فتنفس حتى كادت حيازيمه تنشق ثم قال قاتله الله فما أحسن ناحيته وأشرد قافيته والله لو تركوه لابكى الشابة على أحبابها والعجوز على شبابها ولكنهم هزوه فوجدوه عند الهراش نابحا وعند الجراء قارحا ولقد قال بيتا لان أكون قلته أحب الي مما طلعت عليه الشمس وهو

اذا غضبت عليّ بنو تميم * حسبت الناس كلهم غضابا

وقال مسعود بن بشر قلت لابن مناذر من أشعر الناس قال من اذا شئت جد واذا شئت لعب واذا شئت أطمعك لعبه واذا رمته بعد عليك واذا جد فيما قصد له آيسك من نفسه قلت مثل من قال مثل جرير اذ يقول حين لعب

ان الذين غدوا بلبك غادروا * وشلا بعينك لا يزال معينا
غيضن من عبراتهن وقلن لي * ماذا لقيت من الهوى ولقينا

ثم قال حين جد

ان الذي حرم المكارم تغلبا * جعل الخلافة والنبوة فينا
مضر أبي وأبو الملوك فهل لكم * يا خزر تغلب من أب كأبينا
هذا ابن عمي في دمشق خليفة * لو شئت ساقكم الي قطينا

فلما بلغ عبد الملك هذا قال ما زاد ابن المراغة أن جعلني شرطياله أما انه لو قال لو شاء ساقكم لسقتهم اليه كما قال ونزل الفرزدق حين قدم على الاحوص فقال ما تشتهي قال شواء وطلاء وغناء قال ذلك لك ومضى به الى قينة فغنته

ألا حي الديار بسعد اني * أحب لحب فاطمة الديارا
اذا ما حل أهلك ياسليمى * بدارة صلصل شحطوا المزارا
أراد الظاعنون ليحزنوني * فهاجوا صدع قلبي فاستطارا

فقال ما أرق اشعاركم يا أهل الحجاز قال أوتدري لمن هذا قال لا والله قال هو لجرير يهجوك قال ويل ابن المراغة ما كان أحوجه مع عفافه الى صلابة شعري وأحوجني مع فسوقي الى رقة شعره وفي الفرزدق منها

وكنت اذا نزلت بدار قوم * رحلت بخزية وتركت عارا

وقال جرير

لقد طال كتماني امامة حبها * فهذا أوان الحب تبدو شواكله
واني وان لام العواذل مولع * بحب الغضي من حب من لا نزايله
ولما استقر الحب ألقت بي العصا * ومات الهوى لما أصيبت مقاتله
وقلن تروح لا يكن لك حاجة * وقلبك لا تشغل وهن شواغله

وقال أيضا

يا أخت ناجية السلام عليكم * قبل الرحيل وقبل لوم العذل
لو كنت أعلم أن آخر عهدكم * يوم الفراق فعلت مالم يفعل

وقال أيضا

بنفسي من تجنبه عزيز * عليّ ومن زيارته لمام

ومن أمسى وأصبح لا أراه * ويطرقنى اذا هجع النيام
أتذكر اذ نودعنا سليمى * بفرع بشامة سقى البشام

وقال أيضا

لا تكثرن اذا جعلت تلومنى * لا يذهبن بفعالك الاكثار
كانوا الخليط هم الخليط فزايلوا * ولقد تبدل بالديار ديار
لا يلبث القرناء أن يتفرقوا * ليل يكر عليهم ونهار

ومن هجوه فى الراعى

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وعندما قال هذا البيت وثب قائما حتى أصاب السقف رأسه وقال أخزيته والله وغصصته وفدمت أخو يه عليه والله لا يفلح بعدها وكان كما قال ما أفلح بعدها هو ولا نمير وقال فى جندل بن الراعى

أجندل ما تقول بنو نمير * اذا ما الاير فى است ابيك غابا

وأنشد القصيدة والفرزدق واقف فلما بلغ الى قوله * ترى برصا بأجمع اسكتيه * وضع الفرزدق يده على فيه وغطى عنفقته فقال * كعنفقة الفرزدق حين شابا * فانصرف الفرزدق وهو يقول اللهم أخزه ولقد علمت حين بدأ البيت أن لا يقول غيرها ولكن طمعت أن لا تأتيه وقال فى ابن الجا

تعرضت تيم لى عمدا لاشتمها * كما تعرض لاست الخارئ الحجر
يا تيم تيم عدى لا أبا لكم * لا يلقينكم فى سوءة عمر

(وقال يذكر أمه)

تقول والعبد مسكين يدحرها * رفقا فداك أنت الماكح الذكر

وقسا فى فصاحته وخطابته

وبينا جرير ينشد فى زوجته

لولا الحياء لعادنى استعبار * ولزرت قبرك والحبيب يزار
كانت اذا هجر الضجيع فراشها * كتم الحديث وعفت الاسرار
لا يلبث القرناء أن يتصدعوا * ليل يكر عليهم ونهار

اذ طلع الاخوص فقطع انشاده ورفع صوته يقول

عوى الشعراء بعضهم لبعض * على فقد أصابهم انتقام
اذا أرسلت صاعقة عليهم * رأوا أخرى تحرق فاستداموا
فمصطلم المسامع أو خصى * وآخر عظم هامته حطام

﴿خبر قس بن ساعدة﴾

ثم عاذ فقيل لم فعلت هذا قال انى نهيت الاخوص أن يعين الفرزدق وانى والله يا بنى عمرو بن عوف ما تعوذت من شاعر قط ولو لاحقكم ما تعوذت منه * الاصمعى حدثنى أبى قال رأى رجل جريرا فى المنام فقال ما فعل الله بك قال غفر لى قال بماذا قال بتكبيرة كبرت الله فى الحجر وهو ماء بالبادية قال فما فعل أخوك الفرزدق قال هيهات أهلكه قذف المحصنات قال الاصمعى لم يدعه فى الحياة ولا فى الممات وتوفى سنة أربع عشرة ومائة وأما (قس بن ساعدة الايادى) فيضرب به المثل فى الفصاحة والخطابة فيقال أبلغ من قس وهو أسقف نجران وهو من حكماء العرب وكان مؤمنا بالله ومبشرا برسوله وهو أول من خطب متوكئا على عصا وأول من كتب من فلان الى فلان وفيه يقول الاعشى وأفصح من قس وأجرى من الذى * بذى العين من خفان أصبح خادرا ولما قدم وفد بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألهم عن رجل كان فيهم نازلا يقال له قس بن ساعدة الايادى قالوا هلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيته بعكاظ يخطب على جمل له أورق وهو يقول أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ليل موضوع وسقف مرفوع ونجوم تغور وبحر يمور أما بعد فان فى السماء لخبرا وان

فى الارض لعبرا مالى أرى الناس يموتون ولا يرجعون أرضوا بالاقامة فاقاموا أم تركوا كما هم فناموا أقسم بالله قس قسما حقا فما حنث ولا أثم ان لله دينا هو أرضى من ديننا هذا الذى نحن عليه ثم قال أبيا تا ما أحفظها فقال رجل من الانصار أناشاهد يارسول الله بأبى أنت وأمى قال فأنشد نا فقال سمعته يقول

فى الذاهبين الاولـ * ين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا * للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها * تمضى الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضى ولا * يبقى من الباقين غابر
أيقنت انى لا محا * لة حيث صار القوم صائر

وقال صاحب الاغانى فيه هو قس بن ساعدة بن عمرو بن عدى بن مالك بن ارعان بن النمر بن وائلة بن الطمثان بن عبد مناة بن يقدم بن افصى بن دعمى بن اياد وكان يفد على قيصر زائرا فيكرمه ويعظمه فقال له قيصر ما أفضل العلم قال معرفة الرجل بنفسه قال فما أفضل العقل قال وقوف المرء عند علمه قال فما أفضل الادب قال استبقاء الرجل ماء وجهه قال فما أفضل المروءة قال قلة رغبة المرء فى اخلاف وعده قال فما أفضل المال قال ماقضى به الحق * ابن عباس رضى الله عنهما وفد الجارود بن عبد الله فى وفد عبد القيس وكان سيدا فى قومه معظما فى عشيرته فآمن وآمن قومه فسر النبى صلى الله عليه وسلم بهم ثم قال ياجارود هل فى جماعة عبد القيس من يعرف لنا قسا قال كلنا نعرفه يارسول الله وأنا كنت من بينهم أقفو أثره وأطلع خبره كان قس سبطا من أسباط العرب صحيح النسب فصيحا ذا شيبة حسنة عمر سبعمائة سنة يتقفر القفار ولا تكنه دار ولا يقره قرار يتحسى فى تقفره بعض الطعام ويأنس بالوحوش والهوام يلبس المسوح ويتبع السياح على منهاج المسيح لا يغير الرهبانيه مقر بالوحدانيه تضرب بحكمته الامثال وتكشف به الاهوال وتتبعه الابدال أدرك رأس الحواريين سمعان فهو أول من تأله من العرب وأعبد من تعبد فى الحقب وأيقن بالبعث والحساب وحذر سوء المنقلب والمآب ووعظ بذكر الموت وأمر بالعمل قبل الفوت الحسن الالفاظ الخاطب بسوق عكاظ العارف بشرق وغرب ويابس ورطب وأجاج وعذب كانى أنظر اليه والعرب بين يديه يقسم بالرب الذى هو له ليبلغن الكتاب أجله وليوفين كل عامل عمله ثم أنشأ يقول

هاج للقلب من هواه ادكار * وليال خلالهن نهار
ونجوم يحثها قمر الليـ * ـل وشمس فى كل يوم تدار
ضوءها يطمس العيون وارعا * د شديد فى الخافقين مثار
وغلام وأشمط ورضيع * كلهم فى التراب يوما يزار
وقصور مشيدة حوت الخير وأخرى خوت فهن قفار
وكثير مما تقصر عنه * حدسة الناظر الذى لا يحار
والذى قد ذكرت دل على الله نفوسا لها هدى واعتبار

فقال النبى صلى الله عليه وسلم على رسلك ياجارود فلست أنساه بسوق عكاظ على جمل له أورق وهو يتكلم بكلام مونق ما أظن أحفظه فهل فيكم يامعشر المهاجرين والانصار من يحفظ لنا منه شيأ فوثب أبو بكر قائما وقال يارسول الله أنا أحفظه وكنت حاضرا بعكاظ حين خطب فأطنب ورهب ورغب وحذر وأنذر وقال فى خطبته أيها الناس اسمعوا وعوا واذا وعيتم فانتفعوا انه من عاش مات ومن مات فات وكل ماهو آت آت مطر ونبات وأرزاق وأقوات وآباء وأمهات وأحياء وأموات وجمع وشتات وآيات بعد آيات ان فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا ليل

داج وسماء ذات ابراج وأرض ذات رتاج وبحار ذات أمواج مالى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا هنالك فناموا اقسم قس بالله قسما حقا لا آثما فيه ولا حانثا ان لله دينا هو أحب اليه من دينكم الذى أنتم عليه ونبيا قد حان حينه وأظلكم اوانه وأدرككم ابانه فطوبى لمن آمن به فهداه وويل لمن خالفه وعصاه ثم قال تبا لارباب الغفلة من الامم الخاليه والقرون الماضيه يامعشر اياد أين الآباء والاجداد وأين المريض والعواد وأين الفراعنة الشداد أين من بنى وشيد وزخرف ونجد وغره المال والولد أين من بغى وطغى وجمع فأوعى وقال أنا ربكم الاعلى ألم يكونوا أكثر منكم أموالا وأطول منكم آجالا طحنهم الثرى بكلكله ومزقهم بتطاوله فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خاوية عمرتها الذئاب العاوية كلا بل هو المعبود ليس بوالد ولا مولود ثم أنشأ يقول في الذاهبين الاولين الابيات المتقدمة قال ثم جلس أبو بكر رضى الله عنه وقام رجل ذو هامة عظيمة وقامة جسيمة فقال ياسيد المرسلين وصفوة رب العالمين فقد رأيت من قس عجبا أشرف بى جملى على واد وشجر من شجر عاد مورقة مونقة وقد تهدل أغصانها قال فدنوت منه فاذا بقس فى ظل شجرة بيده قضيب من أراك ينكت به الارض وهو يترنم ويقول

يا ناعى الموت والملحود فى جدث * عليهم من بقايا خزهم خرق
دعهم فان لهم يوما يصاح بهم * فهم اذا انتبهوا من نومهم فرق
حتى يعودوا بحال غير حالهم * خلقا جديدا كما من قبلها خلقوا •
منهم عراة ومنهم فى ثيابهم * منها الجديد ومنها المنهج الخلق

قال فدنوت منه وسلمت عليه فرد على السلام واذا بعين خرارة فى أرض خوارة ومسجد بين قبرين واسدين عظيمين يلوذان به ويتمسحان بأثوابه فأراد أحدهما يسبق الى الماء وتبعه الآخر يطلب الماء فضربه قس بالقضيب وقال ارجع ثكلتك أمك حتى يشرب الذى ورد قبلك فرجع ثم ورد بعده فقلت له ماهذان القبران قال هذان قبرا أخوين لى كانا يعبدان الله معى فى هذا المكان لا يشركان بالله شيأ فأدركهما الموت فقبرتهما وها أنا بين قبريهما حتى الحق بهما ثم نظر الى السماء فتغرغرت عيناه بالدموع وانكب عليهما وجعل يقول

خليلىّ هبا طالما قد رقدتما * اجدكما لا تقضيان كراكما
ألم تعلما انى بسمعان مفرد * ومالى فيها من خليل سواكما
مقيم على قبريكما لست بارحا * طوال الليالى أو يجيب صداكما
أبكيكما طول الحياة وما الذى * يرد على ذى عولة ان بكاكما
كأنكما والموت أقرب غاية * بروحى فى قبريكما قد أتاكما
أمن طول نوم لا تجيبان داعيا * كأن الذى يسقى العقار سقاكما
فلو جعلت نفس لنفس وقاية * لجدت بنفسى ان تكون فداكما

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا انى لارجو ان يبعثه الله أمة وحده وأما (عبد الحميد) فهو ابن يحيى بن سعيد كاتب مروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية وكتب أيضا للمنصور وقيل انه قتل مع مروان وكان رأسا فى الكتاب ومقدما فى الفصاحة والخطابة بليغا مرسلا وقال فيه ابن عبد ربه كتب عبد الحميد بن يحيى لعبد الملك بن مروان وكتب لسليمان بن عبد الملك وليزيد بن عبد الملك ثم لم يزل كاتبا لخلفاء بنى أمية حتى انقضت دولتهم وعبد الحميد أول من فتق أكمام البلاغة وسهل طرقها وفك رقاب الشعر وقال له مروان حين أيقن بزوال ملكه قد احتجت أن تصير مع عدوى وتظهر الغدر بى فان اعجابهم بآدابك يدعوهم الى حسن الظن بك فان استطعت أن تنفعنى فى حياتى والا لم تعجز عن حفظ حرمتى بعد وفاتى فقال له عبد الحميد ان الذى أشرت به على

وعبد الحميد فى بلاغته وكتابته

(ترجمة عبد الحميد)

نفع الامر بن لك وأفجعهما لى وما عندى الا الصبر حتى يفتح الله لى ولك أو أقتل معك ثم قال

أمر وفاء ثم أظهر غدرة * فمن لى بعذر يوسع الناس ظاهره

أو عبد الحميد هو صاحب الرسائل والبلاغات وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات فى فصول الكتب واستعملت بعده وهو القائل البلاغة تقريب المعنى فى الافهام من أقرب وجوه الكلام ولم يزل الشعراء ومهرة الكتبة يضربون ببلاغته وكتابته الامثال فى كتبهم وأشعارهم فى القديم والحديث كفضل الصاحب وقرنائه مع طبع سمح ولفظ عذب وصلة نثر بنظم فان شاء قال أنا الوليد وان شاء قال أنا عبيد وان شاء قال أنا عبد الحميد وان شاء قال أنا سعيد وقيل بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد وأما (أبو عمرو) فهو ابن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحصين بن الحرث بن جلهم بن خزاعى بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم واسمه وكنيته واحد فى الاشهر * الفيحدى اختلف فى اسمه على تسعة عشر قولا فقيل اسمه محمد أو حميد أو حماد أو عثمان أو سفيان أو غير ذلك وأصحها زبان واختلف فى مولده فقيل ولد سنة خمس وستين بمكة فى أيام عبد الملك بن مروان وقيل ولد سنة سبعين * أبو عبيدة كان أبو عمرو أسمر طويلا ضرب اليدين حاد النظر ما رأيت مثله قبله ولا بعده فى فهمه ولا علمه وكان صاحب غريب ونحو وعلم وهو أحد الائمة فى القراءة وعنه أخذ يونس والاصمعى وأبو عبيدة وفيه يقول الفرزدق

ما زلت أغلق أبوابا وأفتحها * حتى أتيت أبا عمرو بن عمار

وقال ابن مجاهد كان أبو عمرو مقدما فى عصره عالما بالقراءة ووجوهها قدوة فى العلم باللغة امام الناس فى العربية وكان مع ذلك متمسكا بالآثار ولا يكاد يخالف فى اختياره ما جاء عن الائمة قبله متواضعا فى علمه وقال أبو عبيدة كان أبو عمرو أعلم الناس بالقرآن والعربية وأيام العرب وأنسابها وشعرها وكانت دفاتره ملء بيت فلما تنسك أحرقها وجعل على نفسه أن يختم القرآن فى كل ثلاث ليال فلما أسن اختلط بالناس واحتاجوا اليه فعول على حفظه فأملى من حفظه كتب الناس ووقع عليه الاجماع روى الاصمعى عن أبى عمرو قال كنت اسمر مع مسلم بن قتيبة الباهلى وكان يعجبه الروى على السين فأنشدته ليلة ستين قصيدة على السين لستين شاعرا اسمهم عمرو * الاصمعى كان لابى عمرو كل يوم من غلة داره فلسان فلس يشترى به كوزا وفلس يشترى به ريحانا يشرب فى الكوز يومه ويشم الريحان يومه فاذا أمسى تصدق بالكوز وأمر الجارية أن تجفف الريحان وتدقه فى الاشنان * الاصمعى قال أبو عمرو كنت فى ضيعتى فاشتد على الحر فكنت أدور فى سد وفيها نصف النهار فسمعت قائلا يقول

وان امرأ دنياه أكبر همه * لمستمسك منها بحبل غرور

فقلت أنسى أم جنى فما أجابنى فنقشته فى خاتمى فكان نقش خاتمه * الاصمعى كنت واقفا بالمربد واذا أنا بابى عمرو فلما بصر بى مال الى فقال ما وقوفك هنا يا أصمعى قلت انى أحب المربد وأكثر الجلوس فيه فقال الزمه فانه يشد النظر ويجلو البصر ويجمع بين ربيعة ومضر ثم أردت الانصراف فقال الى أين يا أصمعى فقلت الى صديق لى فقال اما الفائدة أو لعائدة أو لمائدة والا فلا ثم قال لى مالى أراك بلا عمامة قلت لا عمامة لى فنزع عمامته عن رأسه فدفعها الى فكبر ذلك على فقال لى ان لى بدلها احدى عشرة عمامة ثم قال لى الزم العمامة فانها تشد اللامة وتحفظ الهامة وتزيد فى القامة ثم استخرج من كمه كيسا فدفعه الى ثم قال يا أصمعى لا زلتم بخير ما دمتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فاذا تركتم ذلك سلط الله عليكم أقواما غلاظا فظاظا اخبرتكم على قدر معرفتكم وأما قراءته واعرابه المذكوران فى المقامة فان شجاع بن نصر قال قلت لابى عمرو كيف طلبت قراءة القرآن قال لم أزل أطلب ان أقرأه كما قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما أنزل عليه فقلت له وكيف ذلك قال هربت أبى من الحجاج وأنا شاب فقدمنا مكة فلقيت بها عدة من التابعين ممن قرأ على أصحاب رسول الله

وأبى عمرو فى قراءته واعرابه

ترجمة أبو عمرو بن العلاء

صلى الله عليه وسلم مثل مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء وغيرهم فقرأت عليهم القرآن وأخذت العربية عن العرب الذين سبقونا باللحن فهذه التي أخذت بها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشدد يدك بها وقال خرج أبي هاربا من الحجاج الى اليمن فانا لنسير في الصحراء باليمن اذ لحقنا لاحق ينشد

ربما تجزع النفوس من الامـ * ـر له فرجة كحل العقال

فقال له أبي ما الخبر فقال مات الحجاج فانا بقوله فرجة بفتح الفاء أشد سرورا مني بموت الحجاج فقال أبي اصرف ركابنا الى البصرة * الفنجديهي رأيت في بعض الفوائد ان الحجاج قال لابي عمرو ما وجه قراءتك الا من اغترف غرفة بفتح الغين فقال ابلغني ربي فقال قد أبلغتك الفرات وقال فاني الله ابن ام الحجاج لئن لم تأتني بالجواب الى خمسة عشر يوما الا قتلتك شر قتلة ووكل به موكلين فخرج ابو عمرو يطوف في أحياء العرب فلم يجد له حجة الى يوم وعده فخرج الموكلون به ليرجعوه الى الحجاج فسمع راعيا ينشد ربما تجزع النفوس البيت فقال له أبو عمرو كيف تنشد هذا البيت له فرجة أو فرجة فقال فرجة وفرجة وكذلك كل ما جاء على فعلة فلنا فيه ثلاث لغات فقال له أبو عمرو فما سبب انشادك هذا البيت في هذا الوقت فقال انا كنا خائفين من الحجاج وقد بلغنا نعيه قال والله لا أدري بايهما كنت أشد فرحا بوجداني الجواب والحجة لقولي واختياري أم بموت الحجاج * سفيان بن عيينة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت له يا رسول الله قد اختلفت علي القرا آت فبقراءة من تأمرني أن أقرأ قال بقراءة أبي عمرو بن العلاء وقال أبو العباس بن سريج من أراد أن يتظرف فعليه بمذهب الشافعي وقراءة أبي عمرو بن العلاء وشعر ابن المعتز فقيل له قد عرفنا مذهب الشافعي وقراءة أبي عمرو بن العلاء فأنشدنا من شعر ابن المعتز ما يوجب الظرف فأنشد

كنت صباحي قرير عين * فصرت أمسي صريع بين

بعين نفسي أصبت نفسي * فالله بيني وبين عيني

وكان يقول انما نحن فيمن مضى كبقل في أصول نخل طوال وقال أبو عمرو ناظرت عمرو بن عبيد في الوعيد فقال ان الله تعالى لا يوعدنا بشئ فيخلفه فقلت له يا أبا عثمان ليس لك علم باللغة ان خلف الوعيد عند العرب ليس بخلف وأنشد

واني وان أوعدته أو وعدته * ليكذب ايعادي ويصدق موعدي

وقال أبو عمرو كنت رأسا والحسن حي وتوفي بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة وهو ابن ست وثمانين سنة وعلى قبره مكتوب هذا أبو عمرو بن العلاء مولى بني حنيفة وانما قيل هذا لان أمه كانت من بني حنيفة * أبو عبيدة دخل أبو عمرو على سليمان بن عبد الملك فسأله عن شئ فصدقه فيه فلم يعجبه ما قال فخرج أبو عمرو وهو يقول

أنفت من الذل عند الملوك * وان أكرموني وان قربوا

اذا ما صدقت لهم خفتهم * ويرضون مني بأن يكذبوا

وقال أبو بكر بن مجاهد رأيت أبا عمرو في المنام فقلت ما فعل الله بك فقال لي دعني مما فعل الله بي من أقام ببغداد على السنة والجماعة ومات نقل من جنة الى جنة وأما (ابن قريب) فهو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن اصمع والى أصمع هذا ينسب وأصمع فخذ من بني قتيبة بن معن بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان وبنو معن هم بنو باهلة وباهلة امرأة من همدان تزوجت معنا فنسب ولده اليها والاصمع في اللغة الضامر الذي ليس بمنتفخ ومنه الصومعة لضمرها وتدقيق رأسها ومثله قولهم جاء بثريدة مصمعة اذا رفقها وأخذ رأسها وسهم متصمع متلطخ بالدم فضمرت قذذه وكان الاصمعي حافظا عالما فطنا عارفا باشعار العرب وأخبارها كثير التطوف بالبوادي لاقتباس علومها وتلقي أخبارها فهو صاحب غرائب الاشعار وعجائب الاخبار وقدوة الفضلاء وقبلة الادباء قد استولى

وابن قريب في روايته عن اعرابه

﴿ذكر مناقب الاصمعي رحمه الله تعالى﴾

على الغايات فى حفظ اللغات وضبط العلوم الادبيات صاحب دين متين وعقل رصين وكان خاصا بالرشيد آخذا الصلاته كثيرا وقد تقدم فى هذا الكتاب من الحكايات المسندة الى الاصمعى ما يدل على تبحره وحفظه ومن حكاياته عن اعرابه على ما أشار له الحريرى هنا حدث الاصمعى رحمه الله قال اعرابى حسن التدبير مع الكفاف أكفى من الكثير مع الاسراف الاصمعى سمعت اعرابيا يقول من كساه الحياء ثوبه أخفى على الناس عيبه الاصمعى قال اعرابى من اقتصد فى الغنى والفقر فقد استعد لنائبات الدهر قال وقال اعرابى عداوة الحكيم أقل عليك ضررا من مودة الجاهل منهم قال وقال اعرابى أعجز الناس من قصر فى طلب الاخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم وقال تزوج اعرابى الى بعض الحاضرة فلما كان ليلة دخوله بها اذا هى أدماء مجدورة فخرج من البيت وهو ينشد ويقول

زوجتنى أدماء مجدورة * كأنها من خشب البيت

قبيحة الوجه لها منظر * يفر منه ملك الموت

قال وجرى بين اعرابى وبين امرأة كلام بالمربد فشتمته فقال لها اسكتى فوالله ما شعرك بوارد وما فوك ببارد ولا ثديك بناهد ولا بطنك بوالد ولا الخير فيك بزائد ولا الشر فيك بواحد وما نائلك بحامد ولا بعد موتك بواجد ونذكر بعد ذلك حكايته المشهورة مع الرشيد ووزرائه ونحتمل طولها لما احتوت عليه من غرائب الآداب وكان مجلس مذاكرة بين افراد فاظهر كل رجل منهم أفضل ما يذكر * حدث الاصمعى قال استدعانى الرشيد فى بعض الليالى وقد تصرمت قطعة من الليل فراعتنى رسله ولم أفتأ أن مثلت بين يديه واذا فى المجلس يحيى بن خالد وجعفر والفضل فلما لحظنى الرشيد استدنانى فدنوت منه فتبين ما بى من الوجل فقال لى ليفرخ روعك فما أردناك الا لما براد له مثلك فمكثت هنية الى أن ثابت الى نفسى بعد أن كادت تطير شعاعا فقال انى نازعت هؤلاء القوم فى أشعر بيت قالته العرب فى التشبيه ولم يقع اجماعنا على بيت فأردناك لفصل هذه القضية واجتناء ثمرة الخطار فيها فقلت يا أمير المؤمنين ان التعيين على بيت واحد فى نوع واحد قد وسعت العرب فيه وجعلته معملا لافكارها ومسترا حالخواطرها لبعيد أن يقع النص عليه ولكن أحسن الناس تشبيها امرؤ القيس فى قوله

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

وفى قوله كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

وفى قوله ولو عن ثنا غيره جاءنى * وجرح اللسان كجرح اليد

وفى قوله سموت اليها بعد ما نام أهلها * سمو حباب الماء حالا على حال

فالتفت الى يحيى وقال هذه واحدة قد نص على امرئ القيس انه أبدعهم تشبيها قال يحيى هى لك يا أمير المؤمنين ثم قال لى الرشيد فما أبدع تشبيها نه عندك قلت قوله يصف فرسا

كأن تشوفه بالضحى * تشوف أزرق ذى مخلب

اذا قرعته حلاله * تقول سلبت ولم تسلب

فقال هذا حسن وأحسن منه قوله

فرحنا بكاس الماء يجنب وسطنا * تصوب فيه العين طورا وترتقى

فقال جعفر يا أمير المؤمنين ما هذا التحكم قال الرشيد وكيف قال يذكر أمير المؤمنين ما وقع اختياره عليه ونذكر ما اخترناه ويكون الحكم واقعا بعد فقال الرشيد أمرضت فاستحسنها يقال امرض الرجل اذا قارب الصواب ثم قال الرشيد بل تبدأ يا يحيى فقال يحيى أحسن الناس تشبيها النابغة فى قوله

نظرت اليك بحاجة لم تقضها * نظر السقيم الى وجوه العود

وفى قوله فانك كالليل الذى هو مدركى * وان خلت أن المنتأى منك أوسع

(وفي قوله)

من وحش وجرة موشي أكارعه * طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد

فقال الاصمعي أما تشبيهه عرض الطرف فحسن الا أنه هجنه بذكره العلة وتشبيهه المرأة بالعليل وأحسن منه قول عدي بن الرقاع العاملي

وكأنها بين النساء أعارها * عينيه أحور من جآذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت * في عينه سنة وليس بنائم

وأما تشبيه الادراك بالليل فقد تساوى الليل والنهار فيما يدركانه وانما كان سبيله أن يأتي بما ليس له قسيم حتى يأتي بمعنى ينفرد به ولو قال قائل ان قول النمري في هذا أحسن لوجد مساغا الى ذلك حيث يقول فلو كنت بالعنقاء أو بسنامها * لخلتك الا أن تصد تراني

وأما قوله * طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد * فالطرماح أحق بهذا المعنى لانه أخذه فجوده وزاد عليه وان كان النابغة اخترعه وقول الطرماح

يبدو وتضمره البلاد كأنه * سيف على شرف يسل ويغمد

فقد جمع في هذا البيت استعارة لطيفة بقوله وتضمره البلاد وتشبيه اثنين بقوله يبدو وتضمر ويسل ويغمد وجمع حسن التقسيم وصحة المقابلة قال الاصمعي فاستبشر الرشيد وبرقت أسارير وجهه حتى خلت برقا يومض منها وقال ليحيى فضلتك ورب الكعبة فانتقع يحيى فكأن الرماد ذر على وجهه قال الفضل لا تعجل يا أمير المؤمنين حتى آمر ما قلته بسمعه فقال قل قال أحسن الناس تشبيها طرفة في قوله ووجه كأن الشمس ألقت رداءها * عليه نقي اللون لم يتجدد

وفي قوله يشق حباب الماء حيزومها بها * كما قسم الترب المفايل باليد

قال فقلت هذا حسن وغيره أحسن منه قد شركه في هذا المعنى جماعة من الشعراء وبعد فطرفة صاحب واحدة لا يقطع بقوله مع التجوز وانما يعد من أصحاب الواحدة قال ومن أصحاب الواحدة قلت الحرث بن حلزة في قوله

آذنتنا ببينها أسماء * رب ثاو يمل منه الثواء

والاسعر الجعفي في قوله

هل دان قلبك من سلمى فاشتفى * ولقد عنيت بحبها فيما مضى

والافوه الاودي في قوله

ان ترى رأسي فيه نزع * وشواتي خلة فيها دوار

وعلقمة في قوله * طحا بك قلب في الحسان طروب * وسويد بن أبي كاهل في قوله

بسطت رابعة الحبل لنا * فوصلنا الحبل منها ما اتسع

وعمرو بن كلثوم في قوله

ألا هبي بصحنك فاصبحينا * ولا تبقي خمور الاندرينا

وعمرو بن معديكرب في قوله

أمن ريحانة الداعي السميع * يؤرقني وأصحابي هجوع

فاستخف الرشيد الاريحية وقال ادنه فانك جيش وحدك وزد في عيني نبلا فقال جعفر لبثا قليلا يدرك الهيجاء جمل يعرض بأنه قد يجوز أن يدرك ما يحاوله فقال له الرشيد فاتتك والله السوابق وجئت سكيتا ذا زوائد أربع قال ورأيت الحمية في وجهه فقال جعفر على شريطة حلمك قال أتراه يسع غيرك ويضيق عنك فقال جعفر لست أنص على شاعر واحد انه أحسن الناس في بيت تشبيها ولكن قول امرئ القيس كأن غلامي اذ علا حال متنه * على ظهر باز في السماء محلق

وقول

وقول عدى بن الرقاع

يتعاوران من الغبار ملاءة * غبراء محكمة هما نسجاها
تطوى اذا وردا مكانا خاشنا * واذا السنابك اسهلت نشراها

وقول النابغة بأنك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

قال الاصمعى قلت هذا احسن كله بارع وغيره أحسن منه وانما يجب أن يقع التعيين على ما اخترعه قائله فلم يتعرض له أو تعرض له شاعر فوقع دونه فاما قول امرئ القيس

* على ظهر بازفى السماء محلق * فمن قول أبى دواد

اذا شاء راكبه ضمه * كما ضم بازى السماء الجناحا

وأما قول عدى * يتعاوران من الغبار ملاءة * فمن قول الخنساء

جارى أباه فأقبلا وهما * يتعاوران ملاءة الحضر

وأول من نطق به جاهلى من بنى عقيل قال

ألا يا ديار الحى بالسبردان * عفت حجج بعدى لهن ثمانى
فلم يبق منها غير نؤى مهدم * وغير أثاف كالركى دفان
وآثار هاب أورق اللون سافرت * به الريح والامطار كل مكان
قفار مروراة يحار بها القطا * ويضحى بها الجنان يعتركان
يثيران من نسج الغبار عليهما * قميصين أسمالا ويرتديان

وشارك عديا أبو النجم وأورده فى أحسن لفظ قال يصف عيرا وأتانا وما أثاراه من الغبار بعدوهما

ألقى بجنب القاع من حبالها * سرباله وانشام فى سربالها

وأما قول النابغة * بأنك شمس والملوك كواكب * فقد تقدمه فيه شاعر قديم من شعراء كندة يمدح عمرو بن هند وهو أحق به من النابغة اذ كان أباعذرته فقال

كادت تميد الارض بالناس اذ رأوا * لعمرو بن هند غضبة وهو عاتب
هو الشمس وافت يوم سعد فأفضلت * على كل ضوء والملوك كواكب

قال فكأنى والله القمت جعفرا حجرا فاهتز الرشيد فوق سريره وكاد يطير عجبا وطربا وقال والله درك يا أصمعى اسمع الآن ما كان وقع عليه اختيارى فقال ليقل أمير المؤمنين أحسن الله توفيقه فقال عينت على ثلاثة أشعار أقسم بالله انى أملك السبق بأحدها فقال يحيى خفض على هينتك فأبى الله الا أن يكون لك الفضل ثم قال الرشيد أتعرف يا أصمعى تشبيها أنغر وأعظم فى أحقر مشبه وأصغره فى أحسن معرض من قول عنترة الذى لم يسبقه اليه سابق ولا نازعه منازع ولا طمع فى مجاراته طامع حين شبه ذباب الروض العازب فى قوله

وخلا الذباب بها فليس ببارح * غردا كفعل الشارب المترنم
هزجا يحك ذراعه بذراعه * فعل المكب على الزناد الاجذم

ثم قال يا أصمعى هذا من التشبيهات العقم التى لا تنتج شبهت بالريح العقيم التى لا تنتج ثمرة ولا تلقح شجرة فقلت كذلك هو يا أمير المؤمنين وبمجدك آليت ما سمعت قط أحدا يصف شعرا بأحسن من هذه الصفة ولا استطاع بلوغ هذه الغاية فقال مهلا لا تعجل أتعرف أحسن من قول الحطيئة يصف لغام ناقته أو تعلم أحدا قبله أو بعده شبه تشبيهه حيث يقول

ترى بين لحييها اذا ما ترغمت * لغاما كنسج العنكبوت الممدد

فقلت والله ما علمت أحدا تقدمه الى هذا التشبيه أو أشار اليه بعده ولا قبله قال أتعرف بيتا أبدع وأوقع من تشبيه الشماخ لنعامة سقط ريشها وبقى أثره فى قوله

كأنما منتني أقاع ماص طت * من العفاء بليتها الثا ليل

فقلت لا والله يا أمير المؤمنين فالتفت الى يحيى فقال أوجب فقال وجب فقال أزيدك فقال وأى خير لم يزدنى منه أمير المؤمنين قال وقول النابغة الجعدى

رمى ضرع ناب فاستهل بطعنة * كحاشية البرد اليمانى المسهم

ثم التفت الى الفضل فقال أوجب قال وجب قال أزيدك قال ذلك لامير المؤمنين قال قول الاعرابى

بهضرب انداد العطايا كأنه * ملاعب ولدان تحط وتضغ

ثم التفت الى جعفر فقال أوجب قال وجب قال أزيدك قال لامير المؤمنين علو الرأى قال قول عدى ابن الرقاع تزجى أغن كأن ابرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها

فقلت يا أمير المؤمنين هذا بيت حسد عديا عليه جرير قال وكيف ذلك قلت زعم أبو عمرو بن العلاء أن جريرا قال لما ابتدأ عدى ينشد *عرف الديار توهما فاعتادها* فقلت فى نفسى ركب والله مركبا صعبا سيبدع فيه فما زال يتخلص من حسن الى حسن الى ان *قال تزجى أغن كأن ابرة روقه* فرحمته وظننت أن مادته تقصر به فلما قال *قلم أصاب من الدواة مدادها* حالت الرحمة حسدا فقال الله أبوك يا أصمعى ثم أطرق ورفع رأسه وقال أتراك تعيننى فى انحطاطك فى هواى فقلت كلا يا أمير المؤمنين انك لتجل عن ذلك قال انظر خمسا فلت قد نظرت قال فالسبق لمن قال لامير المؤمنين قال فقد أسهمت لك فى العشر والعشر كثير ثم رمى بطرفه الى يحيى وقال المال الساعة وأولى لك فما كان ساعة حتى حضرت البدر بينى وبينه ورأيت ضوء الصبح قد غلب على ضوء الشمع فأشار الى خادم على رأسه كم هى فقال ثلاثة آلاف ألف درهم فقال دونك احتمل ثلاثين ألفا الى منزلك ونهض عن مجلسه وأمر الخدم يعاونى على حمله فكانت أسعد ليلة ابتسم فيها الصباح عن أحد بالغنى فهذه الحكاية تدلك على تبحره فى علوم العربية وسعة حفظه تبع ابن الرمادى عنترة فى قوله وخلا الذباب بقوله

وكأس كريق الالف شعشعها به * وعيشى من هذا الشراب المشعشع

اذا ما شربنا كأسنا صب فضلها * على روضنا للمسمع المتخلع

وقال ابن الرومى

وأذكى نسيم الروض ريعان ظله * وغنى مغنى الطير فيه فرجعا

وكانت أهازيج الذباب هناكم * على شدوات الطير ضربا موقعا

وكان أبوه قريب بخلافه كان نذلا خسيسا وكان عطاء الملك أتى بجماعة من البصرة الى قريب فوجدوه ملتفا بكساء نائما الشمس فوكزه برجله وصاح به قم يا قريب ويلك قال ألقيت أحدا من أهل العلم قط أو من أهل اللغة أو الفقهاء أو من المحدثين قال لا والله قال لمن حضر اشهدوا على ما سمعتم لا يقول لكم غدا الاصمعى أو بعد غد أنشدنى والدى أو حدثنى ففضحه *ومن حكاياته عن أبيه قال الاصمعى حدثنى أبى قال أتى عبد الملك بن مروان برجل مع بعض من خرج عليه فقال اضربوا عنقه فقال يا أمير المؤمنين ما هذا جزائى منك قال وما جزاؤك قال والله ما خرجت مع فلان الا بالتطير لك وذلك انى رجل مشؤم ما كنت مع رجل قط الا غلب وهزم وقد بان لك صحة ما ادعيت به وكنت عليك خيرا لك من مائة ألف معك فضحك منه وخلى سبيله وكان للاصمعى ابن ظريف فقيل له يوما أين أبوك فقال فى بيته يكذب على الاعراب ومرض الاصمعى فعاده أبو ربيعة وكان يحب أهل الادب فقال له أقرضنى خمسة آلاف درهم ففعل وقال أنشتهى غير هذا فقال نعم فصا احسنا وسيفا قاطعا وبرذونا حسنا وسرجا محلى فبعث بذلك اليه وكان اسحق الموصلى يعظمه ويقرأ عليه فدخل الاصمعى يوما على الفضل بن يحيى واسحق ينشده فى صفة فرس

كأنه في الجل وهو سام * مشتمل جاء من الحمام

يسور بين السرج واللجام * سور القطامي الى الحمام

فقال الاصمعي هات بقيتها فقال له اسحق ألم تقل لي ما بقي منها شيء فقال ما بقي الا عيونها ثم أنشد بعد ذلك ثلاثين بيتا فغضب اسحق وعرف الفضل قلة شكره لعارفيه وبخله بما عنده وأخذ يصف فضل أبي عبيدة ونزاهته وبذله لما عنده واشتماله على علوم العرب فأنفذ اليه الفضل مالا جليلا وأقدمه من البصرة وسعى بالاصمعي عند الرشيد حتى حط منزلته وقال اسحق يهجوه

أليس من العجائب ان قردا * أصيمع باهليا يستطيل

ويزعم انه قد كان يفتي * أبا عمرو ويسأله الخليل

اذا ما قال قال أبي عجبنا * لما يأتي به ولما يقول

وجد له عطاء الملك عارا * تزول الراسيات ولا يزول

فقل لابي ربيعة اذ عصاني * وحاد به عن القصد السبيل

لقد ضاعت برودك فاحتسبها * وضاع الفص والسيف الصقيل

فأما الحسبة الاكلاف فاعلم * بانك غيها الا نستقيل

والاصمعي لا يقدح هذا القدر في جانبه لان بعض محاسنه يغطي على كل مساويه وكان منشؤه بالبصرة وبها توفي سنة تسع عشرة ومائتين وبلغ ثمانيا وثمانين سنة (قوله محرابي) وما بعده في معناه يعني فرجها و (الامام) وما بعده يعني بذكره وسمي محراب المسجد محرابا لانه يباعد من ليس من أهله أن يقرب به اذ هو أرفع ما في المسجد وفلان حرب لفلان أي مباعد له و (القراب) وعاء من جلد يجعل فيه السيف مع غمده والقراب وعاء الزاد و (اللدد) شدة الخصومة (الجدد) الارض الصلبة والمعنى في قوله اسلك في سبيل الجدد جامعها في الفرج لا غير وفي المثل من سلك الجدد أمن العثار (قرى) اسكني (البيت) كناية عن فرجها (من بابه) يريد أن لا يأخذ الجار بالجار وقولها (الا اذا كساني) قال النبي صلى الله عليه وسلم اعروا النساء يلزمن الحجال و (الشراع) قلع السفينة وأراد برفعه كشف ثيابها ورفع رجليها حين يطؤها وقال أبو نواس في معناه

ترفق قليلا قد اوجعتني * وألحقت قرطي بخلخاليه

والقرط في الاذن والخلخال في الرجل فانظر متى يجتمعان وقال ابن الرومي في ذلك

يا أحمد بن سعيد لو بصرت بها * اذا الاكف لساقيها خلاخيل

وقال البحتري

لم تحط باب الدهليز خارجة * الا وخلخالها الهامع الشنف

وقال ابن الرومي

لو ان رجلي عرسه ابداهما * ما أخطأتهما رحمة تغشاها

قد خلقت من فوقه رجلاها * كأنما يستغفران الله

وقال أيضا

شيخ لنا يكنى أبا حفصل * أقرن مثل الأيل الاول

تبيت في منزله نسوة * يلبسن ثوب الليل كالمنزل

يعملن فيه عملا صالحا * يرفعه الله الى أسفل

يستغفر الناس بأيديهم * وهن يستغفرن بالارجل

قال الاصمعي قلت لامة ظريفة يا جارية هل في يديك عمل قالت لا ولكن في رجلي و (المحرجات الثلاث) هي الطلاق والعتق والمشي الى مكة وقيل هي الطلاق الثلاث ومحرجات فيها حرج أي اثم وضيق * وحدث ابو حاتم عن الاصمعي عن عيسى بن عمر قال اشتكى رجل امرأته فقال له شيخ من بني نصر كان أسن منه الا تكشفها بالمحرجات يعني الطلاق قال قاتلك الله فما أغرك وعلى الطلاق ثلاثا حدثنا أبو بكر محمد بن أسد الديلي قال سمعت أبا قتادة الدراع يقول الطلاق الثلاث البت لازم لي

أتظنني أرضاك اماما لمحرابي وحساما لقرابي لا والله ولا بوابا لبابي ولا عصا لجرابي فقال لهما القاضي أراكما شنا وطبقة وحدأة وبندقة فاترك ايها الرجل اللدد واسلك في سبيل الجدد وأما انت فكفي عن سبابه وقرى اذا أتى البيت من بابه فقالت المرأة والله ما أسجن عنه لساني الا اذا كساني ولا أرفع له شراعي دون اشباعي فقال ابو زيد بالمحرجات الثلاث انه لا يملك سوى

اطماره الرثاث فنظر القاضى فى قصصهما نظر الالمعى وأفكر فكرة اللوذعى ثم اقبل عليهما بوجه قدقطبه ومجن قد قلبه وقال الم يكفكما التسافه فى مجلس الحكم والاقدام على هذا الجرم حتى ترافيتما من فحش المقاذعة الى خبث المخادعة وايم الله لقد أخطأت استكما الحفرة ولم يصب سهمكما الثغرة فان أمير المؤمنين أعز الله بقائه الذين نصبنى لاقضى بين الخصماء لا لاقضى دين الغرماء ووحق نعمته التى احلتنى هذا المحل وملكتنى العقد والحل لئن لم توضحا لى جلية خطبكما وخبيئة خبكما لأندّدن بكما فى الامصار ولاجعلنكما عبرة لاولى الابصار فأطرق ابوزيد اطراق الشجاع ثم قال له سماع سماع

أنا السروجى وهذى عرسى
وليس كفء البدر غير الشمس

وما تنافى انسها وأنسى
ولا تناءى ديرها عن قسى

ولا عدت سقياى أرض غرسى
لكننا منذ ليال خمس

نصبح فى ثوب الطوى ونمسى
لا نعرف المضغ ولا التحسى

لقد سمعت أباعبيدة معمر بن المثنى يقول الطلاق الثلاث البت لازم لى لقد سمعت أباعمرو بن العلاء يقول الطلاق الثلاث البت لازم لى ان كانت العرب قالت أحكم من هذه الابيات

كن للمكاره بالعزاء مقنعا * فلعل يوما لاترى ماتكره
فلربما استتر الفتى فتنافست * فيه العيون وانه لمموّه
ولربما خزن الكريم لسانه * حذر الجواب وانه لمفوّه
ولربما ابتسم الكريم من الاذى * وفؤاده من حره يتأوه

(قوله اطماره الرثاث) أى ثيابه الخلقة (الالمعى) المتوقد الحاضر الذهن * ابن الاعرابى الالمعى الذى اذا لمع له أول الامر عرف آخره فيكتفى بظنه دون تعيينه و(اللوذعى) الفطن الذكى الظريف الحديد الفؤاد (قطبه) عبسه (مجن) ترس و(قلبه) كناية عن ابداء الشر بعد الخير وقد تقدم (التسافه) الافحاش والشتم (الجرم) الذنب (المقاذعة) المشاتمة بما فحش (الثغرة) الحفيرة فى أصل العنق (خبكما) خداعكما وغشكما (أندّدن) أسمع الناس بما ينالكما عندى من المكروه وندّد به شهّره وأسمعه القبيح (الامصار) البلاد (عبرة) موعظة (أولى الابصار) أهل العقول (أطرق) أمال رأسه ساكتا (الشجاع) الحية (سماع سماع) أى اسمع منى (كفء البدر) أى نظيره والكفء النظير والمثل (ديرها) فرجها (قسى) ذكرى وأصل الدير للنصارى والقس والقسيس عالمهم وعابدهم (عدت) جارت وخرجت عن طريقها (والسقيا) الشرب وهى هنا مصدر بمعنى السقى و(التحسى) شرب الحسوة وأراد بالمضغ والتحسى أكل الخبز واللحم وحسو مرقه وقيل المضغ فى الرخاء والحسو فى الشدة كاستعمالهم فيها احسو السخينة وغيرها و(عز) قل (التأسى) الاقتداء بالغير وقد تأسى تأسيا اذا اقتدى بفعل غيره وتصبر وهذا باب غلبت عليه الخنساء بقولها

ولولا كثرة الباكين حولى * على اخوانهم لقتلت نفسى
وما يبكون مثل أخى ولكن * أعزى النفس عنه بالتأسى

فزاد عليه ابن العباس الرومى فى المعنى و بينه حتى استحقه حيث قال

رأيت الدهر يجرح ثم يأسو * يؤسى أو يعوض أو ينسى
أبت نفسى الهلاع لرزء شئ * كفى رزأ لنفسى رزء نفسى
أأجزع وحشة لفراق الف * وقد وأتها الحلول رمسى

فذهب فى هذه الابيات كل مذهب ثم أراد أن يظهر ماعنده من فضل المنة وحسن التصرف فقال

ياشبابى وأين منى شبابى * آذنتنى أيامه بانقضاب
ومعز عن الشباب مؤس * بمشيب اللذات والاصحاب
قلت لما انتحى يعدّ أساه * بمصاب شبابه بمصاب
ليس تأسو كلوم غيرى كلومى * مابه مابه ومابى مابى

وكرر هذا المعنى فأحسن ماشاء وذهب فيه مذاهب أخرى فقال

خليلى قد علمتمانى بالمنى * وأنعمتما لو أننى أتعلل
أللناس ايثارى والاقفا الاسى * وعيشكما الاصلال مضلل
وماراحة المرزوء فى رزء غيره * أيحمل عنه بعض مايتحمل
كلا حاملى أوفى الرزية مثقل * وليس معينا مثقل الدهر مثقل
وضرب من الظلم الخفى مكانه * تعزيك بالمرزى حين تأمل

ولابن رشيق

رأيت التعزى مما يهيج * على المرء ساكن أوصابه
وما نال ذو اسوة سلوة * ولكن أتى الحزن من بابه

نفكر

حتى كأنا لخفوت النفس * اشباح موتى نشروا من رمس خفين عز الصبر والتأسى * وشفنا الضر الاليم المس
فنا السعد الجد أو للنحس * هذا المقام لاجتلاب فلس والفقر يلجى الحر حين يرسى * الى التجلى فى لباس اللبس
فهذه حالى وهذا درسى * فانظر الى يومى وسل عن امسى وأمر بجبرى ان تشأ أو حبسى (٣٢٧) * فى يديك صحتى ونكسى

فقال له القاضى ليئب انسك ولتطب نفسك فقد حق لك ان تغفر خطيئتك وتوفر عطيتك فثارت الزوجة عند ذلك واستطالت واشارت الى الحاضرين وقالت

يا أهل تبريز لكم حاكم
أوفى على الحكام تبريزا
مافيه من عيب سوى انه
يوم الندى قسمته ضيزى
قصدته والشيخ نبغى جنى
عود له مازال مهزوزا
فسرح الشيخ وقد نال من
جدواه تخصيصا وتمييزا
وردنى أخيب من شائم
برقا خفى فى شهر تموزا
كأنه لم يدر انى التى
لقنت ذا الشيخ الاراجيزا
وأننى ان شئت غادرته
أضحوكة فى أهل تبريزا

قال فلما رأى القاضى اجتراء جنانهما وانصلات لسانهما علم انه قد منى منهما بالداء العياء والداهية الدهياء وانه متى منح احد الزوجين وصرف الآخر صفر اليدين كان كمن قضى الدين بالدين أو صلى المغرب ركعتين فطلسم وطرسم واخرنطم وبرطم وهمهم وغمغم ثم التفت يمنة وشامة وتململ كآبة وندامة واخذ يذم القضاء ومتاعبه ويعدد شوائبه ونوائبه ويفند طالبه وخاطبه ثم تنفس كما يتنفس الحريب وانتحب حتى كاد يفضحه النحيب وقال ان هذا الشئ عجيب أأرشق فى موقف بسهمين أألزم فى قضية بغرمين أأطيق ان أرضى الخصمين ومن أين ومن أين ثم عطف الى حاجبه المنفذ لمآربه وقال ما هذا يوم حكم وقضاء وفصل وامضاء هذا يوم الاغتمام هذا يوم الاغترام هذا يوم البحران هذا يوم الخسران هذا

تفكر فى مثل أرزائه * فذكره مابه مابه

وقال ابن رشيق أخذته من قول عمر بن أبى ربيعة

وذوا الشوق القديم وان تعزى * مشوق حين يلقى العاشقينا

وأخذه عمر من قول متمم بن نويرة

وقالوا أتبكى كل قبر رأيته * لقبر ثوى بين اللوى والدكادك
فقلت لهم ان الأسى يبعث البكا * دعونى فهذا كله قبر مالك

(خفوت) ضعف النفس من شدة الجوع وخفت خفوتا ضعف وسكن ومات و(الاشباح) الاشخاص وأصل الشبح الشخص تبصره على بعد فلا تعرف ماهو ويقع الشبح على كل شخص مرئى (نشروا) أحيوا (رمس) قبر و(المس) لصوق جارحة بأخرى (الجد) الحظ والنصيب (يرسى) يثبت ويقيم (التجلى) البروز والظهور (اللبس) التخليط (درسى) ثوبى الخلق (الجبر) أن تغنى الرجل من فقر أو تصلح عظمه من كسر وجبره الله سد مفاقره (والنكس) بضم النون عود المرض بعد القوة ونكس نكسا (ليئب) أى ليرجع (توفر) تكثر (ثارت) ظهرت وأفشت سرها و(استطالت) جرحت بلسانها وأعلت كلامها (أوفى) أشرف عليهم وزاد (تبريزا) ظهورا وسبقا (ضيزى) غير مستوية فيها بخس ونقصان وقد ضاز الحاكم اذا جار وضازه يضيزه ضيزا اذا نقصه ومنعه حقه ويحكى أن مزيدا المدنى ويكنى أبا اسحق صلى يوما فلما فرغ من صلاته قالت امرأته اللهم اشركنى فى دعائه فقال مزيد اللهم اصلبنى فقالت امرأته اما على هذا فلا فقال ياضراطة تلك اذا قسمة ضيزى (قوله والشيخ) منصوب على المفعول معه (نبغى) نطلب (الندى) الكرم و(جنى العود) مايجنى من ثمره وأرادت كرم القاضى مازال مهزوزا أى مازال القاصدون يهزون عوده فيتساقط عليهم جناه فمعنى (مازال مهزوزا) انه مطلوب منه العطايا (جدواه) عطاياه (تخصيصا) ترفيعا (تمييزا) تعيينا وقد تخصص الرجل تشبه بالخواص وتعين تشبه بالاعيان (شائم) ناظر للبرق (خفى) لمع (تموز) يوليه بالسريانية وهو أشد الشهور حرا (لقنت) فهمت وحفظت (غادرته) تركته (أضحوكة) يضحك به من رآه (اجتراء) اقدام وتشجع (جنانهما) قلبهما يريد انهما لم يهاباه (انصلات لسانهما) خروجه بالكلام وطلاقته بالشر وانصلت السيف تسلل من غمده وخرج (منى) بلى (الداء العياء) الذى يعيى الطبيب (والداهية) كل أمر فظيع لا يطاق (الدهياء) مبالغة وتأكيد لمعنى الداهية أى الداهية الشديدة (منح) اعطاء (صفر) فارغ * ومن قضى الدين بالدين فكأنه ماقضاه وأنشدوا

اذا كنت تقضى الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن كان غرما على غرم

(تململ) توجع وتقلب (كآبة) حزن وهم (شوائب) ما يكره ويختلط به (نوائبه) نوازله (يفند) يخطئ (الحريب) المحروب المسلوب ماله وقد حربه اذا سلبه فعيل بمعنى مفعول (انتحب) بكى (يفضحه) يشهره (أرشق) أرمى والرشق جملة السهام ترمى مجتمعة وقال لبيد

فرميت القوم رشقا صائبا * ليس بالطيش ولا بالمقتعل

واذا وقعت السهام مجتمعة عند الغرض سميت رشقا (القضية) القضاء والحكومة (المغرم) والغرامة واحد (مآربه) حوائجه (البحران) كاليوم السابع من المرض والبحران عند

يوم عصيب هذا يوم نصاب فيه ولا نصيب فارحني من هذين المهذارين واقطع لسانهما بدينارين ثم فرق الاصحاب واغلق الباب وأشيع انه يوم مذموم وان القاضي فيه مهموم لئلا يحضر في خصوم (قال) فأمن الحاجب على دعائه وتباكى لبكائه ثم نقد أبا زيد وعرسه المثقالين وقال أشهد أنكما لأحيل الثقلين لكن احترما مجالس الحكام واجتنبا فيها فحش الكلام فما كل قاض قاضي تبريز ولا كل وقت تسمع الاراجيز فقالا له مثلك من حجب وشكرك قد وجب ونهضا وقد حظيا بدينارين وأصليا قلب القاضي نارين (تفسير ما أودع هذه المقامة من الالفاظ اللغوية والامثال العربية) قوله (لقيت منها عرق القربة) هذا مثل يضرب لمن يلقى شدة من الامر الذي يزاوله كأن حامل القربة يلقى جهدا حتى يعرق (وقوله جعلته دبر أذني) يعني طرحته وهو كقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم (وقوله أكذب من سجاح) يعني التي تنبأت في عهد مسيلمة الكذاب وسارت اليه لتناظره وتختبره ثم آمنت به ووهبت نفسها له وهذا الاسم مبني على الكسر مثل حذام وقطام لكونه من الاسماء المعدولة واشتقاقه من السجاحة وهي السهولة ومنه قولهم ملكت فأسجح (وقولها أكذب من أبي ثمامة) هذه كنية مسيلمة الكذاب وكان تنبأ باليمامة ومخرق بها الى ان سار اليه خالد بن الوليد رضي الله عنه فقتله (وقوله لا نعم عوفك) العوف الحال والعوف أيضا الذكر ويدعى للباني على أهله فيقال له نعم عوفك (وقوله يا دفار يا فجار) هذان (٢٣٨) الاسمان معدولان عن دافرة وفاجرة والدفر النتن وبه سميت الدنيا أم دفر وكل ماسمي بصفة غالبة ثم عدل بها الى فعال بني على الكسر عند النداء كقوله يا لكاع يا خباث يا دفار يا فجار ولا يجوز استعمال ذلك في غير النداء الا في ضرورة الشعر كقول الحطيئة

أطوف ما أطوف ثم آوي * الى بيت قعيدته لكاع

وأما قوله (أحمق من رجلة) فهي ضرب من الحمض تنبت في مجاري السيل فيجترفها وأما قولها (ألأم من مادر) فهو رجل من بني هلال بن عامر كان اتخذ حوضا لسقي ابله فلما رويت سلح فيه ومدره بسلحه لئلا ينتفع به من بعده (وأما قولها أشأم من قاشر) فانه فحل كان في بعض قبائل سعد بن زيد مناة بن تميم ما طرق ابلا الا أماتت وقيل المراد به العام المجدب وسمي قاشرا لقشره ما على وجه الارض من النبات (وأما قولها أجبن من صافر) فقد اختلف في تفسيره فقال بعضهم عني به كل ما يصفر من الطير وخص بالجبن لكثرة ما يتقيه من جوارح الجو ومصايد الارض وقيل انه طائر بعينه اذا جنه الليل تعلق ببعض الاغصان ولم يزل يصفر طول ليلته خوفا على نفسه من أن ينام فيؤخذ وقيل انه الذي يصفر بالمرأة لريبة وهو يجبن وقت صفيره مخافة أن يظهر على أمره وقيل ان المراد به في المثل المصفور به وهو الذي ينذر بالصفير ليهرب فعلى هذا القول فاعل هنا بمعنى مفعول كقوله تعالى من ماء دافق أي مدفوق وكقولهم راحلة بمعنى مرحولة وهو كثير في كلامهم وقد جاء مفعول بمعنى فاعل كقوله تعالى حجابا مستورا أي ساترا وقوله تعالى انه كان وعده مأتيا (وأما قولها أطيش من طامر) فالمراد به البرغوث ويسمى طامر بن طامر لكثرة وثوبه (وأما قول القاضي أراكما شنا وطبقة وحدأة وبندقة) فانه أراد به ان كلا منكما كفء لصاحبه ومقاوم له ولكل من المثلين تفسير مختلف فيه شن وطبقة فان العلماء مختلفون في معنى قولهم وافق شن طبقة فقال الاكثرون انهما قبيلتان فشن هو ابن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار وطبقة حي من اياد وكانت طبقة لا تطاق فأوقعت بها شن فانتصفت منها وقال بعضهم كان شن رجلا من دهاة العرب وكان ألزم نفسه ان لا يتزوج الا بامرأة تلائمه فكان يجوب البلاد في

(شرح

الاطباء مدافعة عظيمة تقع بين الطبيعة والعلة وبحر الرجل بحرا اذا اجتهد في العدو طالبا أو مطلوبا فانقطع وضعف ورجل بحر مسلول ذاهب اللحم (عصيب) شديد (المهذارين) الكثيرين الكلام بلا فائدة (اقطع لسانهما) أي صلهما حتى ينقطع بالدينارين كلامهما وهذا اللفظ الذي هو قطع اللسان بالصلة قد نطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أعطى المؤلفة قلوبهم من نفل حنين مائة مائة وأعطى العباس بن مرداس أباعر فسخطها وقال

أتجعل نهبي ونهب العبيد * بين عيينة والاقرع
وما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس في مجمع
وما أنا دون امرئ منهما * ومن تخفض اليوم لم يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عني لسانه فاعطي حتى رضي وقد جاء في النوادر في حكاية ليلى الاخيلية حين قال الحجاج يا غلام اذهب الى فلان فقل له يقطع لسانها فأمر باحضار الحجام فقالت ثكلتك أمك انما أمرك أن تقطع لساني بالصلة وهي لفظة مستعملة عند من له أمر ونهي (قوله أمن) قال آمين ومعناه الرغبة في الاجابة (تباكى) استعمل البكاء (الثقلين) الانس والجن والواحد ثقل وثقل كمثل ومثل وأصله ما يحمل من الشئ الثقيل فقيل لهما ثقلان لانهما كالثقل على الارض (والفحش) في القول كالفاحشة في الفعل (نهضا) تقدما (شكرك قد وجب) يقال وجب البيع والحق معناه وقع ومنه قوله تعالى فاذا وجبت جنوبها أي وقعت على الارض وسقطت ووجب الحائط سقط ووجب قلبه فزع وخفق (حظيا) سعدا (أصليا) أوقدا وأصلياه

ارتياد طلبته فصاحبه رجل فى بعض أسفاره فلما أخذ منهما السير قال له شن أتحملنى أم أحملك فقال له الرجل ياجاهل وهل يحمل الراكب الراكب فأمسك وسارا حتى أتيا على زرع فقال له شن أترى هذا الزرع أكل أم لا فقال له ياجاهل أما تراه فى سنبله فأمسك الى ان استقبلتهما جنازة فقال له شن أترى صاحبها حيا أم لا فقال له ما رأيت أجهل منك أتراهم حملوا الى القبر حيا ثم انهما وصلا الى قرية الرجل فصار به الى منزله وكانت له بنت تسمى طبقة فأخذ يطرفها بحديث رفيقه فقالت له ما نطق الا بالصواب ولا استفهمك الا عما يستفهم عن مثله ذووا الالباب أما قوله أتحملنى أم أحملك فانه أراد أتحدثنى أم أحدثك

حتى نقطع الطريق بالحديث وأما قوله اترى هذا الزرع أكل أم لا فانه أراد هل استسلف أربابه ثمنه أم لا وأما استفهامه عن حياة صاحب الجنازة فانه أراد به أخلف عقبا يحيا ذكره به أم لا فلما خرج الى الرجل حدثه بتأويل ابنته كلامه فخطبها اليه فزوجه اياها فلما سار بها الى قومه وخبروا ما فيها من الدهاء والفطنة قالوا وافق شن طبقة فسار مثلا وحكى ان الاصمعى سئل عن تفسير هذا المثل فقال أظن الشن وعاء من أدم كان قد استشن فلما اتخذ له غطاء وافقه ضرب فيه هذا المثل وأما (حدأة وبندقة) فانه يقال فى المثل المضروب لمن يفزع بعدوه أو يسلى بنظيره حدأ حدأ وراءك بندقة وكان الاصل حدأة باثبات الهاء فرخم فى النداء وقد اختلف فى المراد بهما فقيل الحدأة هو الطائر المعروف والبندقة الرامى وقيل انهما قبيلتان من سعد العشيرة فأغارت حدأة وكانت تنزل بالكوفة على بندقة وكانت تنزل باليمن فنالت منهم ثم كرت بندقة على حدأة فأبحت عليهم وروى بعضهم هذا المثل حدا حدا غير مهموز على مثال عصا وقفا وزعم انه اسم القبيلة وأما قوله (أخطأت استك الحفرة) كانه مثل يضرب لمن يخطئ فى مقصده ويضع الشئ فى غير موضعه وأما قوله (طلسم وطرسم) فمعنى طلسم كره وجهه ومعنى طرسم أطرق وقوله (اخرنطم وبرطم) أى غضب وقطب وجهه وقيل معنى اخرنطم غضب مع تكبر ومعنى برطم غضب مع تعبس وأما قوله (همهم وغمغم) أى لم يبين الكلام

﴿شرح المقامة الحادية والاربعين وهى التنيسية﴾

(أطعت دواعى التصابى) يقال أطعت كذا وطعت له أى انقدت والمطيع المنقاد والتصابى التظاهر بالصبا والتشاغل به ودواعيه ما يدعو اليه و (غلواء الشباب) أوله وسرعته أراد ملت الى اللهو واللعب فى أول شبابى فلما أتى الشيب أحببت الرجوع الى الخير (زيرا) كثير الزيارة و (الغيد) جمع غيداء وهى اللينة العنق والمفاصل من النعمة (أذنا للاغاريد) أى كثير الاستماع للغناء وفلان أذن اذا كان يسمع من كل قائل ويقبل منه (وافى) أتى و (النذير) الشيب لانه منذر الانسان بتمام العمر أى بعلمه (ولى) رجع وزال (النضير) الناعم يريد زمن الشباب *وأؤخر ذكر الشيب فانه يؤدى الى تعبير شرح المقامة ونتكلم هنا على ذهاب الشباب قال أبو عمرو بن العلاء ما بكت العرب شيأ ما بكت الشباب وما بلغت به ما يستحقه *الاصمعى من أحسن ألفاظ الشعر المراثى والبكاء على الشباب. قال ابن عباس رضى الله عنهما الدنيا العافية والشباب الصحة ومن ألفاظ أهل العصر الشباب باكورة الحياة وروائح الجنة فى الشباب أطيب العيش أوائله كما ان أطيب الثمار بواكرها قال الصولى قد أكثر فى ذكر الشباب القدماء وأهل الاسلام وأجمع الحذاق بالشعر وتمييز الكلام وألفاظه انه لم يقل فيه أحسن من قول منصور النمرى ووقع الاجماع عليه فاحضر تأخره وهو

ما تنقضى عبرة منى ولا جزع * اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع
بان الشباب وفاتتنى مسرته * صروف دهر وأيام لها خدع
ما كنت أوفى شبابى كنه عزته * حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع
ان كنت لم تطعمى ثكل الشباب ولم * تشجى بغصته فالعذر لا يقع
أبكى شبابا سلبناه وكان ولا * توفى بقيمته الدنيا ولا تسع
ما واجه الشيب من عين وان رمقت * الا لها نبوة عنه ومرتدع

وقال أبو نواس

كان الشباب مطية الجهل * ومحسن الضحكات والهزل
كان الجمال اذا ارتديت به * وخرجت أخطر صيت النعل
كان البليغ اذا نطقت به * وأصاخت الآذان للمملى
كان المشفع فى مآربه * عند الحسان ومدرك النبل
والباعثى والناس قد رقدوا * حتى أكون خليفة البعل

وقال جحظة

واها لايام الشبا * ب وما لبسن من الزخارف
وزوالهن بما عرفـ * ـت من المناكر والمعارف
أيام ذكرك فى دوا * وين الصبا صدر الصحائف

﴿المقامة الحادية والاربعون التنيسية﴾

(حدث الحرث بن همام) قال أطعت دواعى التصابى فى غلواء شبابى فلم أزل زير الغيد وأذنا للاغاريد الى ان وافى النذير وولى العيش النضير

وقال ابن أبي حارثة

ولي الشباب فخلي العين تنهمل * ففقد الشباب بفقد الروح متصل

لا تكذبن فما الدنيا بأجمعها * من الشباب بيوم واحد بدل

وقال آخر

شيآن لو بكت الدماء عليهما * عيناي حتى تؤذنا بذهاب

لم أبلغ المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب

أعرابي

يا طيب أيام الشباب وعصره * لو يستعار جديده فيعار

ما كان أقصر ليله ونهاره * وكذاك أيام السرور قصار

(وقال ابن عبد ربه)

قالوا شبابك قد مضت أيامه * بالعيش قلت وقد مضت أيامي

لله أية نعمة كان الصبا * لو أنها وصلت بطول دوام

حسر الشباب قناعه عن رأسه * وصحا العواذل بعد طول ملام

فكأن ذاك العيش ظل غمامة * وكأن ذاك اللهو طول منام

وقال أيضا

صباي كيف صرت الى نفاد * وبدلت البياض من السواد

فما أبقى الحوادث منك الا * كما أبقت من القمر الدآدي

فراقك عرف الاحزان قلبي * وفرق بين عيني والرقاد

زمان كان فيه الرشد غيا * وكان الغي فيه من الرشاد

يقتلني بدل من قتول * ويسعدني بوصل من سعاد

وأجنبه فيعطيني فأعطيه قيادي * ويجنبني فأعطيه قيادي

قال الفرزدق

ان الملامة مثل ما بكرت بها * من تحت ليلتها عليك نوار

قالت وكيف يميل مثلك للصبا * وعليك من سمة الحليم عذار

والشيب ينهض في الشباب كأنه * ليل يصيح بجانبيه نهار

ان الشباب لرابح من باعه * والشيب ليس لبائعيه تجار

قال اسحق الموصلي قال لي المعتصم لقد نفحك الشيب في عارضيك فقلت نعم يا سيدي وبكيت ثم قلت

تولى شبابك الا قليلا * وحل المشيب فصبرا جميلا

كفى حزنا بفراق الصبا * وأن أصبح الشيب منه بديلا

فلما رأى الغانيات المشيب * أغضين دوني طرفا كحيلا

سأندب عهد انقضاء الصبا * وأبكي الشباب بكاء طويلا

وغنيتها فبكى المعتصم وقال لو قدرت على رد شبابك لفعلت ولو بشطر ملكي فلم يكن لكلامه عندي جواب الا ان قبلت البساط بين يديه وأبكى بيت ورد في فقد الشباب قول أبي الغصن الاسدي

أتأمل رجعة الدنيا سفاها * وقد صار الشباب الى ذهاب

فليت الباكيات بكل أرض * جمعن لنا فنحن على الشباب

وقال سلامة بن جندل وهو جاهلي

أودى الشباب حميدا ذو التعاجيب * أودى وذلك شأو غير مطلوب

ولى حثيثا وهذا الشيب يطلبه * لو كان يدركه ركض اليعاقيب

أودى الشباب الذي مجد عواقبه * فيه نلذ ولا لذات للشيب

وقال سلامة أيضا

يا خذأ مسى سواد الرأس خالطه * شيب القذال اختلاط الصفو بالكدر

ياخد أمست لبانات الصبا ذهبت * فاست منها على عين ولا أثر
كان الشباب لحاجات وكنّ له * فقد فرغت الى حاجاتى الأخر

وأنشد أبو العيناء

مافى يدىّ من الصبا * الا الصبابة والاسف
جاء الشباب فما أقا * م ولا ألمّ ولا وقف
كان الشباب كزائر * مل الزيارة وانصرف

والباب لا يحصى كثرة (قوله فرمت) لكذا أى اشتدت شهوتى اليه وأصله شدّة الشهوة الى اللحم و (الرشد) والرشد واحد (فرّطت) ضيعت وفرّط فى الشئ قدم فيه التقصير والعجز وهو من قولهم فرط الفارط فى طلب الماء أى تقدم القوم اليه وقرئ يا حسرتنا على ما فرطنا فيها بتخفيف الراء ومثله يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله ومعنى القراءتين التقصير فى جنب الله أى فى حقه وقيل فى أمر الله وقيل فى طاعته ابن الاعرابى فى قرب الله الفراء الجنب القرب والجنب معظم الشئ وأكثره ومنه هذا قليل فى جنب مودّتك الزجاج أى على ما فرطت فى الطريق الذى هو طريق الله الذى دعانى اليه و (كسع الهنات) أى طرد القبائح والقاذورات والهنات كناية عن الفواحش والافعال القبيحة ماخوذ من الهن وهو الفرج وكسعها دفعها وازالتها والكسع أن تضرب بيدك على دبر الشئ وكسعتهم بالسيف اذا اتبعت أدبارهم فكأنه أزال القبائح عن نفسه ثم اتبعها بالدفع والضرب حتى نفاها بحسناته والكسع أيضا أن تضرب الشئ بصدر قدمك وقد كسعته الاصمعى الكسع سرعة المرّ وكسعته بكذا جعلته تابعا له (تلافى) تدارك (الهفوات) السقطات والزلات وقد هفا الرجل اذا فعل المنكر وما يكره (الفوات) الموت (مغاداة) مباكرة وقد غاداه أتاه بالغدو و (الغادات) النواعم من النساء الواحدة غادة و (التقاة) الخائفون الواحد تقى وقوله تعالى الا أن تتقوا منهم تقاة يجوز أن يكون الاتقياء ويجوز أن يكون مصدرا وهو أجود القولين تقيته واتقيته تقى وتقية وتقاء وتقاة أى حذرته والاسم التقوى (مقاناة) مخالطة وملازمة وهى مفاعلة من القينة وهى الجارية المغنية والجمع قينات (مداناة) مقاربة (ديانات) هى من الدين أراد بها الطاعة (آليت) حلفت (نزع) زال وكف (الغى) الضلال (فاء) رجع (منشره) انتشاره فى الصبا واللهو (ألفيت) وجدت (خليع الرسن) مسيب فى المعاصى لا يكفه عن اتيانها عقل ولا دين وخلعت رسن الدابة تركتها ترعى حيث شاءت سائبة ومثله خالع العذار وخلع عذاره أصله فى الدابة اذا خلع عذارها فسيبت فان انفلت رسنها الذى تمسكها به ففرّت قيل جرت رسنها وفلان يجر رسنه وبابه فى الاستعارة أنه مسيب فى الشهوات مجاهر بها (مديد الوسن) طويل النوم أى فارغ البال من ذكر أو صلاة بالليل أو قراءة (آنأيت) أبعدت (عره) جربه وداؤه يريد أنه حلف أن لا يصاحب الا من كف عن الصبا واللهو والنساء ومتى وجد أهل اللهو والغزل فزعنهم وتركهم وقال الالبيرى فأحسن

من حاد عن نهج الهدى * فاضل قصد سبيله
فتوق خلته فدينـ * ـن المرء دين خليله

وله أيضا

الا حبر بمنتزح النواحى * أطير اليه مقصوص الجناح
وأسأله وألطفه عساه * سيأسو ما بدينى من جراح
ويجلو ما دجى من ليل جهلى * بنور هدى كمنبلج الصباح
فأبصق فى محيا أم دفر * وأهجرها وأدفعها براحى
وأصحو من حياها وأسلو * عما فاعن جآذرها الملاح
وأصرف همتى بالكل عنها * الى دار السعادة والنجاح

تنيس) بلدة كبيرة وهى فى جزيرة قد أحدقت بها بحيرة يتصل بها النيل فتعذب عند زيادته ستة

فقرمت الى رشد الانتباه وندمت على ما فرطت فى جنب الله ثم أخذت فى كسع الهنات بالحسنات وتلافى الهفوات قبل الفوات فملت عن مغاداة الغادات الى ملاقاة التقات وعن مقاناة القينات الى مداناة أهل الديانات وآليت أن لا أصحب الا من نزع عن الغى وفاء منشره الى الطى وان ألفيت من هو خليع الرسن • مديد الوسن آنأيت دارى عن داره وفررت عن عره وعاره فلما ألقتنى الغربة بتنيس وأحلتنى مسجدها الانيس

ذكر بلدة تنيس وما فيها من الوشى النفيس

أشهر وعلى ستة أشهر وبتصل بها خليج دمياط وخليجها ينقسم على شرقيها وغربيها ويلتقيان في البحيرة فيسيرون بسفنهم من دمياط الى تنيس دخولهم لها وخروجهم بريح واحدة محكمة وأهل تنيس ذوو يسار وأكثرهم حاكة وثياب الشروب التي تصنع بها وبدمياط لا يصنع مثلها في الدنيا وليس في الدنيا طراز كان يبلغ الثوب منها دون أن يعين بذهب مائة دينار غير طراز تنيس ودمياط ويكتفي ثوبها بقصارة يوم واحد في البحيرة فيبيض قال البعقوبي مدينة تنيس يحيط بها البحر الاعظم الملح ولها بحيرة يأتي ماؤها من النيل وهي مدينة قديمة بها تعمل الثياب الرفيعة الصفاق والرقاق والعصب والبرود والوشي وبها مرسى المراكب الواردة من الشام والمغرب (قوله ملتحمة) أي منضمة ملتصقة (ذا حلقة) يريد واعظا قد حلقه ناس و (النظارة) الناظرون اليه (جاش) تنفس (مكين) شديد (مبين) مفصح (أي مسكين) ترحم عليه لكثرة مسكنته وتعجب منه (ركن) سكن ولجأ (ركين) شديد قوي يركن اليه ورجل ركين أي وقور بين الركانة والركين الثابت (مكين) عزيز له مكانة أي منزلة رفيعة (ذبح من حبها بغير سكين) اشارة لعذابه فيها ومحنته لان السكين تذبح المذبوح من ساعته ومن يذبح بحجر أو عود أو غير ذلك فهو في تعذيب * أبو موسى قال النبي صلى الله عليه وسلم من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال سفيان ابن عيينة ويلكم يا علماء السوء لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب فيروع ويمسك النخالة فكذلك أنتم تخرجون الحكمة من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم ويحكم ان الذي يخوض النهر لا بد أن يصيب ثوبه الماء وان جهد أن لا يصيبه كذلك من يحب الدنيا لا ينجو من الخطايا (يكلف) أي يولع بها ويشتد حبه فيها (غباوته) جهله (يكالب) يشتد حرصه وكلب على الشئ ألح في طلبه وأصله من الكلب وهو السعر في الكلاب (يعتد) يستعد (مرج) خلط وقيل أرسلهما وخلاهما كما تسرح الدابة في مرعاها و (القمرين) الشمس والقمر غلب لفظ القمر لخفته بالتذكير وان كانت الشمس أنور وهي أصل لنور القمر ولهذا قال المتنبي

وما التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال

أراد أن الشمس أنور وأضوأ فما يضرها تأنيث اسمها وما ينفع الهلال تذكير اسمه وهو ناقص عنها فلخفة لفظ القمر غلب كما قالوا العمران لابي بكر وعمر وأبو بكر أفضل من عمر باتفاق من أهل السنة فغلب لفظ عمر لخفته بافراده وقلة حروفه * ومما يحسن موقعه مع قوله ونور القمرين أن اعرابيا أضل الطريق فبات جزعا وأيقن بالهلاك فلما طلع القمر اهتدى ووجد الطريق فرفع اليه رأسه ليشكره فقال له والله ما أدري ما أقول لك ولا ما أقول فيك أأقول رفعك الله فالله قد رفعك أم أقول نورك الله فالله قد نورك أم أقول حسنك الله فالله قد حسنك ولكن ما بقي الا الدعاء أن ينسئ الله في أجلك وأن يجعلني من السوء فداءك * وضلت ناقة لاعرابي في ليلة مظلمة فأكثر في طلبها فلم يجدها فلما طلع القمر وانبسط نوره وجدها الى جانبه ببعض الاودية وقد كان اجتاز بموضعها مرارا فلم يرها لشدة الظلام فرفع رأسه الى القمر وقال

ماذا أقول وقولي فيك ذو خطر * وقد كفيتني التفصيل والجملا

ان قلت لا زلت مرفوعا فأنت كذا * أو قلت زانك ربي فهو قد فعلا

ومما قيل في ذمه عربد بعض المجان على القمر فقال والله انك لتفقت الكتان وتغير الالوان وتصفر الاسنان وتحير الابدان وتسد الآذان وتفضح السكران وتظهر الكتمان وتقلق الصبيان وتبيض الارجوان وتلحس الزعفران وتهزل الحيتان وتعمق الادمغة بالنقصان وقال ابن المعتز يذمه

يا سارق الانوار من شمس الضحى * يا مثكلي طيب الكرى ومنغصي

رأيت بذا حلقة ملتحمة ونظارة مزدحمة وهو يقول بجاش مكين ولسان مبين مسكين ابن آدم وأي مسكين ركن من الدنيا الى غير ركين واستعصم منها بغير مكين وذبح من حبها بغير سكين يكلف بها لغباوته ويكالب عليها لشقاوته ويعتد فيها لمفاخرته ولا يتزود منها لآخرته أقسم بمن مرج البحرين ونور القمرين

أماضياء الشمس فيك فناقص * وأرى حرارة نارها لم تنقص
لم يظفروا التشبيه فيك بطائل * متسلخ لونا كلون الابرص

(قوله الحجرين) أي الذهب والفضة وقيل الحجر الاسود ومقام ابراهيم عليه السلام (نادم) صاحب والنديم الصاحب على الخمر (المكافات) المجازاة (المآل) المرجع (ذات اللهب) صاحبة النار يعني جهنم (يقتحم) يترامى فيها وهذا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لآخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها كما تقتحم الفراش والجنادب (الحزن) الجمع (البدع) الحدث لم يكن ثم كان وقد ابتدعت الشئ أحدثته وسقت الناس الى فعله (وخط) اختلاط وقد وخط الشيب الشعر اذا خالطه وفشا فيه (وتؤذن) تعلم (شمسك بالمغيب) نفسك بالذهاب (تنيب) ترجع وتتوب (تهذب) تخلصه من العيب و (المعيب) الكثير العيب (يرشد) يهدي ويدل الطريق * ونذكره اشياء مما قيل في الدنيا موافقة للحريري ثم نعود الى ذكر الشيب ومن خطبة قطري بن الفجاءة في ذم الدنيا ألستم في مساكن من كان أطول منكم أعمارا وأعد عديدا وأوضح آثارا وأكثر جنودا وأعد عتادا وأطول عمادا تعبدوا للدنيا أي تعبدوا آثروها أي ايثار وظعنوا عنها بالكره والصغار فهل بلغكم أن الدنيا أسمحت لهم نفسا وأغنت عنهم بحيلة بل أرهقتهم بالحوادث وضعضعتهم بالنوائب ودهمتهم بالمصائب أرأيتم مكرها بمن دان لها وآثرها وأخلد اليها يقول الله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الى قوله وباطل ما كانوا يعملون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي هريرة رضي الله عنه الا أريك الدنيا جميعا بما فيها قال قلت بلى فأخذ بيدي وأتى واديا من أودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس الناس وعذرات وخرق فقال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص حرصكم وتأمل أملكم ثم هي اليوم عظام ثم غدا رماد وهذه العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها فقذفوها في بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها والريح تصفقها وهذه عظام دوابهم التي كانوا بها ينتجعون اطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا * مر أبو عثمان الدباغ برجل على كنيف فقال له الى هذا انتهت دنيا القوم وقال الشاعر

ولقد سألت الدار عن أخبارهم * فتبسمت عجبا ولم تبدي
حتى مررت على الكنيف فقال لي * اموالهم ونوالهم عندي

ويروى ان عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام مر بجمجمة فضربها برجله وقال تكلمي باذن الله فقالت يا روح الله أنا ملك زمن كذا فبينا أنا جالس في ملكي على تاجي وحولي حشمي وجنودي على سريري اذ بدا الي ملك الموت وظهر فزال عني كل عضو من موضعه ثم خرجت اليه نفسي ولبعض الزهاد

دنيا تخادعني كأني لست أعرف حالها
مدت الي يمينها * فقطعتها وشمالها
منع الاله حرامها * وأنا اجتنبت حلالها
ورأيتها محتاجة * فوهبت جلتها لها

ولبعضهم
هب الدنيا تساق اليك عفوا * أليس مصير ذلك الى انتقال
ومادنياك الامثل فيء * أظلك ثم آذن بالزوال

أبو العتاهية
يامن ترفع بالدنيا وزينتها * ليس الترفع رفع الطين بالطين
اذا أردت شريف القوم كلهم * فانظر الى ملك في زي مسكين
أرى أناسا بأدنى الدين قد قنعوا * ولا أراهم رضوا في العيش بالدون
فاستغن بالله عن دنيا الملوك كما استـ * ـغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال التهامي
حكم المنية في البرية جاري * ماهذه الدنيا بدار قرار

الحجرين لو عقل ابن آدم لما نادم ولو فكر فيما قدم لبكى الدم ولو ذكر المكافات لاستدرك مافات ولو نظر في المآل لحسن قبح الاعمال يا عجبا كل العجب لمن يقتحم ذات اللهب في اكتناز الذهب وخزن النشب لذوي النسب ثم من البدع العجيب أن يعظك وخط المشيب وتؤذن شمسك بالمغيب ولست ترى أن تنيب وتهذب المعيب ثم اندفع ينشد انشاد من يرشد

بينا يرى الانسان فيها مخبرا * حتى يرى خبرا من الاخبار
طبعت على كدر وأنت تريدها * صفوا من الاقذار والاكدار
ومكلف الايام ضد طباعها * متطلب فى الماء جذوة نار

وقال أبو حاتم انما بينى و بين الملوك يوم واحد أما أمس فلا يجدون لذته وأنا واياهم فى غد على وجل وانما هو اليوم فما عسى أن يكون اليوم أخذه أبو العتاهية فقال

حتى متى نحن فى الايام نحسبها * وانما نحن فيها بين يومين
يوم تولى ويوم نحن نأمله * لعله أجلب الايام للحين

ولحاتم
هل الدهر الا اليوم أو أمس أو غد * كذا الدهر فيما بيننا يتردد
ترد علينا ليلة بعد يومها * فلا عمرنا يبقى ولا الدهر ينفد

وللفقيه الباجى
اذا كنت أعلم علما يقينا * بأن جميع حياتى كساعه
فلم لا أكون ضنينا بها * وأجعلها فى صلاح وطاعه

وله أيضا
تبلغ من الدنيا بأيسر زاد * فانك عنها راحل لمعاد
وغض عن الدنيا وزخرف أهلها * جفونك واكحلها بطيب سهاد
وجاهد عن اللذات نفسك جاهدا * فان جهاد النفس خير جهاد
وما هى الا دار لهو وفتنة * وان قصارى أهلها لنفاد

وقال آخر
وما أهل الحياة لنا بأهل * ولا دار الفناء لنا بدار
وما أموالنا الا عوار * سيأخذها المعير من المعار

ولابى العتاهية
قطعت منك حبائل الآمال * وحططت عن ظهر المطى رحالى
ووجدت برد اليأس بين جوانحى * فأرحت من حطى ومن ترحالى
فالآن يا دنيا عرفتك فاذهبى * يا دار كل تنقل وزوال
والآن صار لى الزمان مؤدبا * فغدا وراح على بالامثال
يا أيها البطل الذى هو من غد * فى قبره متفرق الاوصال
حيل ابن آدم فى الامور كثيرة * والموت يقطع حيلة المحتال

وللقاضى أبى حفص بن عمران
أيها المغتر بالزمن * فى هواه خالع الرسن
حبك الدنيا و زينتها * فتنة عمتك بالفتن
ظلت والحالات شاهدة * عاكفا منها على وثن
فاهجرنها ان زينتها * زينة شانت ولم تزن
خدعتك انها قبحت * باطنا فى ظاهر حسن
واسل عن حرص وعن طمع * أملا يردى وعن وعن
ولتقدم ما تسر به * قبل طول البث والحزن
فكأن أخراك ما برحت * وكأن دنياك لم تكن

يا ويح من أنذره شيبه
فهو على عمى الصبا منكمش

ماقيل فى الشيب

(قوله يا ويح من أنذره شيبه) ويح كلمة ترحم (أنذره) أبلغه وحذره (عمى) ضلال (منكمش) مسرع اليه ملازم له وقد كمش الرجل وانكمش فى أمره استمر ومضى فيه مسرعا * ومن قولهم فى الشيب فى هذا المعنى ما قال اكثم بن صيفى الشيب عنوان الموت وقال العتابى الشيب نذير الموت وقال النمر هو عنوان الكبر قيس بن عاصم هو خطام المنية محمود الوراق

الشيب أحد الميتتين المعتز بن سلمان الشيب موت الشعر وموت الشعر علة لموت البشر اعرابي كنت أنكر البيضاء فصرت أنكر السوداء فيا خير مبدول ويا شر بدل أخذه حبيب فقال

شاب رأسي ومارأيت مشيب الرأس الا من فضل شيب الفؤاد
وكذاك الرؤس من كل بؤس * ونسيم طلائع الاجساد
طال انكاري البياض وان عمرت شيأ أنكرت لون السواد
زارني شخصه بطلعة ضيم * عمرت مجلسي من العوّاد

قيل للنبي صلى الله عليه وسلم عجل عليك الشيب يارسول الله فقال شيبتني هود وأخواتها وقيل لعبد الملك عجل عليك الشيب ياأمير المؤمنين فقال شيبني ارتقاء المنابر وتوقع اللحن وقيل لشاعر عجل عليك الشيب فقال كيف لا وأنا أعصر قلبي في عمل لا يرجى ثوابه ولا يؤمن عقابه وقال محمود الوراق رحمه الله

بكيت لقرب الاجل * و بعد فوات الأمل
ووافد شيب طرا * بعقب شباب رحل
شباب كأن لم يكن * وشيب كأن لم يزل

وقال حبيب . غدا الشيب مختطا بفودي خطة * طريق الردى منها الى النفس مهيع
هو الزور يجفى والمعاشر يجتوى * وذو الالف يقلى والجديد يرقع
له منظر في العين أبيض ناصع * ولكنه في القلب أسود أسفع
ونحن نرجيه على السخط والرضا * وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع

وقال ابن عبدر به شباب المرء تنفده الليالي * وان كانت تصير الى نفاد
فأسوده يعود الى بياض * وأبيضه يعود الى سواد

أخذ هذا من قول المستوغر بن ربيعة حين دخل على معاوية وهو ابن ثلثمائة سنة فقال كيف تجدك يامستوغر قال أجدني قد لان مني ما كنت أحب أن يشتد وابيض مني ما كنت أحب أن يسود وقال ابن عبدر به

أطلال لهوك قد أقوت مغانيها * لم يبق من رسمها الا أثافيها
هذى المفارق قد قامت شواهدها * على فنائك والدنيا تزكيها
للموت سفتجة فيها معنونة * لم يبق للموت الا أن يسجيها

يعشوا الى نار الهوى بعد ما
أصبح من ضعف القوى يرتعش
و يمتطي اللهو و يعتده
أوطأ ما يفترش المفترش
لم يهب الشيب الذي مارأى
نجومه ذو اللب الادهش
ولا انتهى عما نهاه النهى
عنه ولا بالى بعرض خدش
فذاك ان مات فسحقا له
وان يعش عدّ كأن لم يعش
لا خير في محيا امرئ نشره
كنشر ميت بعد عشر نبش
وحبذا من عرضه طيب

(قوله يعشو) أي ينظر ببصر ضعيف (يمتطي) يركب (يعتده) يحسبه (المفترش) المضطجع على الفراش يريد أنه يركب اللهو فيلتذه ويجده وطيئا (يهب) يخف (اللب) العقل (دهش) تحير (النهى) جمع نهية وهي العقل ينهى عن القبيح وينتهي به الى حسن الرأي في الامور ويقال نهاه عن ذلك نهاه أي عقله وأنشد أبو طاهر السلفي قال أنشدني القاضي أبو محمد بن الحسن بن نصر بن مرهف النهاوندي قال أنشدني الاديب المدني لنفسه في نفسه

لي على الناس فضل نظم ونثر * من أباه هجوته وأباه
واذا ما أتى صفعت قفاه * وقفا من أعانه وقفاه
رحم الله من أراد محالا * فنهاه عن المحال نهاه

(قوله خدش) أي ذم وسب وأصل الخدش الاثر في الجلد ثم اتسع فيه فجعل للعرض (سحقا) بعدا و (النشر) الريح طيبة كانت أو خبيثة (نبش) أخرج وكل مدفون أخرجته فقد نبشته وأخذ هذا البيت من قول ابن المعتز

نبحثت عن آثاره فكأنما * نبشت عليه بعد ثالثة الدفن

بروق حسنا مثل برد رقش
فقل لمن قد شاكه ذنبه
هلكت يا مسكين أو تنتقش
فأخلص التوبة تطمس بها
من الخطايا السود ما قد نقش
وعاشر الناس بخلق رضا
ودار من طاش ومن لم يطش
ورش جناح الحر ان حصه
زمانه لا كان من لم يرش
وانجد الموتور ظلما فان
عجزت عن انجاده فاستجش
وانعش اذا نادى ذو كبوة
عساك في الحشر به تنتعش
وهاك كأس النصح فاشرب وجد
بفضلة الكأس على من عطش

قال فلما فرغ من مبكياته وقضى انشاد أبياته نهض صبي قد شدن وأعرى البدن وقال يا ذوي الحصاة والانصات الى الوصاة قد وعيتم الانشاد وفقهتم الارشاد فمن نوى منكم أن يقبل ويصلح المستقبل فليبن بري عن نيته ولا يعدل عني بعطيته فوالذي يعلم الاسرار ويغفر الاصرار ان سري لكما ترون وان وجهي ليستوجب الصون فأعينوني رزقتم العون قال فأخذ الشيخ فيما يعطف عليه القلوب

وله
أثني عليك بمثل ريحك ميتا * في عقب يوم تزفك الاعواد

وأخذ هذا وهذا من قول عمر بن عبد العزيز لو رأيتني بعد ثالثة وتقدم في الحادية عشرة (بروق) يعجب (برد) ثوب (رقش) رقم وزين تقول رقشت يد المرأة بالحناء والحائط بالاصباغ والقرطاس بالمداد وشبه هذا (شاكه ذنبه) يقال شاكه يشوكه اذا دخل فيه شوكة قال الشاعر

لا تنقشن برجل غيرك شوكة * تبقى برجلك رجل من قد شاكها

فشاكها أدخل فيها الشوك وشاكته الشوكة دخلت فيه وشكته انا اذا أدخلت الشوكة في جسمه فان اصابك الشوك قلت شاكني الشوك يشوكني شوكا وانتقشت حقي من فلان اذا استخرجته ولم تترك منه شيأ وقال صلى الله عليه وسلم وان شيك فلا انتقش فشيك اصابه الشوك ومعناه اذا وقع في شر فلا تخلص منه (تنتقش) تخرج الشوكة وتبحث عليها وأو بمعنى الا والمناقشة البحث والاستقصاء ومنه مناقشة الحساب وبذلك سمي المنقاش وقال ابن الرومي

اذا رمت بالمنقاش نتف أشاهبي * أتيح لها من بينهن الاباهم
يراوغ منقاشي نجوم مسايحي * وهن بعيني طالعات نواجم

(تطمس) تمحو (نقش) كتب والنقش يستعمل في مثل الخشب والحائط والحجر والنقش الفخ والتأثير في نفس المنقوش وقال الالبيري في معنى هذا البيت

من ليس يسعى في الخلاص لنفسه * كانت سعايته عليها لا لها
ان الذنوب بتوبة تمحى كما * يمحو سجود السهو غفلة من سها

(قوله عاشر) أي صاحب (دار) عامله بما يحب واهش على غرضه (طاش) خف عقله ورجل طياش غير مقتصد في قوله وهو من طاش السهم اذا لم يصب ووقع على غير قصد ومثله قول اعرابي لبنيه عاشروا الناس معاشرة اذا غبتم حنوا اليكم وان متم بكوا عليكم وهذا من قول الشاعر

وأكرم كريما ان اتاك لحاجة * لعاقبة ان العضاة تروح

وقال الاضبط بن قريع

لا تهين الفقير علك أن * تركع يوما والدهر قد رفعه

(رش الجناح) اكسه الريش والمعنى أصلح حال الحر اذا افتقر (حصه) نتفه (انجد) قو وأعن و (الموتور) المظلوم الذي قتل له أخ أو ولد أو نسيب (استجش) اجمع جيشا والمعنى اذا لم تقدر على اعانة مظلوم فتوسط لمن يعينه (انعش) ارفع (كبوة) سقطة وعثرة (تنتعش) ترتفع وتقوم من عثرتك (هاك) خذ والمعنى خذ كأس النصيحة فاشربها واذا رويت فاسق غيرك ولا يقال كأس الا اذا كان فيها شراب (قوله قضى) أي أتم (نهض) قام وتقدم (شدن) اشتد وقوي وأصله في الظبي والصبي تقول شدن الظبي اذا اشتد وترعرع وكذلك الصبي قال عمر بن أبي ربيعة

اذ تستبيك بمصقول عوارضه * ومقلتي جؤذر لم يعد ان شدنا

أراد انه ترعرع للمشي والرعي (أعرى البدن) تركه عريانا (ذوي الحصاة) أهل العقول و (الانصات) السكوت وحسن الاستماع و (الوصاة) بمعنى الوصية كالتقاة بمعنى التقية وأصلها وقية قلبت الواو تاء والياء ألفا والواو اذا انضمت في أول الكلمة كنت بالخيار ان شئت تركتها وان شئت قلبتها ولهذا تركت في الوصاة وقيل الوصاة بفتح الواو في الوصية وبضمها جمع واص كراع ورعاة (وعيتم) حفظتم (فقهتم) فهمتم (الارشاد) الهداية أي قد فهمتم ما دللتم عليه من الخير فافعلوا (نوى) قصد وأضمر وهو من النية وأراد بالمستقبل ما يستقبله من أفعاله (فليبن) فليفصح ويبين (بري) باكرامي (عن نيته) عن قصده وصدق باطنه (يعدل) يمل (الاصرار) الاقامة على الذنب (سري لكما ترون) أي هو ظاهر لكم غير مستتر (الصون) الحوطة (فيما يعطف عليه القلوب) يريد أنه أخذ

في كلام تحن به للصبي قلوب الناس (يسنى) يسهل وييسر (انبط) أخرج الماء (القفر) ما لا نبات فيه (اعشوشب) تغطى بالعشب يريد أنه استغنى بعد الفقر وضرب بانبط واعشوشب المثل (ترع) امتلأ و(الكيس) وعاء الدراهم (انصلت) تسلل وخرج بسهولة (عيس) يتمايل ويتبختر (انصاع) ذهب مسرعا وانفتل راجعا (استرفع) طلب رفعها (نحانحو الانكفاء) أي قصد قصد الانصراف (قوله ارتحت) أي اشتهيت وطربت (أعجمه) أخبره (مترجه) ملتبسه (يشتد) يجرى (سمته) طريقه (يفتق رتق) يشق غلق (صمته) مبهم أمره والفتق الخرق والرتق الاغلاق وهو ضده وذلك أن يضم المتخرق بعضه الى بعض (التناجي) التحادث (لفت جيده) عطف عنقه (البشاشة) الخفة وابداء السرور (أراقك) أعجبك (ذكاء) حذق والذكاء توقد الذهن (الشويدن) تصغير شادن وأراد ابنه (والمؤمن المهيمن) هو الله تعالى والايمان التصديق وقال أبو بكر بن العربي البارى تعالى مؤمن بتصديقه لنفسه بقوله وذلك حقيقته قال الله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو أو بتصديقه لرسله باظهار المعجزة أو لاوليائه باظهار الكرامة وهما مجازان والمهيمن الرقيب الحافظ الكسائى المهيمن الشهيد أبو عبيدة الرقيب وقد هيمن هيمنة ابن الانبارى القائم على خلقه قال الشاعر ألا ان خير الناس بعد نبيهم * مهيمنه التاليه في العرف والنكر

أي القائم على الناس بعده وأصله مؤيمن فأبدلوا من الهمزة هاء كما قالوا أرقت وهرقت وفي مثل مدح هذا الغلام بالذكاء قال الفضل بن جعفر

فان خلفته السن فالعقل بالغ * به رتبة الكهل المرشح للمجد

فقد كان يحيى أوتى الحكم قبله * صبيا وعيسى كلم الناس فى المهد

(وقال البحترى)

لا تنظرن الى العباس من صغر * فى السن وانظر الى المجد الذى شادا

ان النجوم نجوم الجو أحقرها * فى العين أكثرها فى الجو اصعادا

ولما ذكر لهذا الصبى من فصاحة اللسان وبراعة البيان ما ذكر وجب علينا أن نذكر من نوادر الولدان فصلا كافيا يؤنس بما ذكر لئلا نخل بما شرطناه فقد تروى للولدان نوادر ربما عجزت عنها الكهول ذوو البصائر * حكى الخطابي انه قدم على عمر بن عبد العزيز وفد فيهم شاب فتحوس للكلام فقال عمر كبروا كبروا أي ليتكلم الكبراء منكم فقال الغلام يا أمير المؤمنين لو كان بالسن لكان فى المسلمين من هو أسن منك قال عمر صدقت تكلم * فتحوس تهيأ للكلام وفى رواية قدم وفد الحجاز على عمر فقدموا غلاما منهم للكلام فقال عمر مهلا ليتكلم من هو أسن منك فقال الغلام مهلا يا أمير المؤمنين انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فاذا منح الله العبد لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد أجاد له الحلية قال تكلم قال نحن وفود الشكر لا وفود المرزئة لم تقدمنا اليك رغبة ولا رهبة لانا أمنا فى زمانك ماخفنا وأدركنا ماطلبنا * ودخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبضت ضياعهم وهو غلام صغير فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين محمد بن عبد الملك سليل نعمتك وابن دولتك وغصن من أغصان دوحتك أفتأذن لى فى الكلام قال نعم فحمد الله تعالى وصلى على نبيه ثم قال أمتعنا الله بحياطة ديننا ودنيانا ورعاية أقصانا وأدنانا ببقائك يا أمير المؤمنين ونسأله أن يزيد فى عمرك من أعمارنا وفى أثرك من آثارنا ويقيك الاذى بأسماعنا وأبصارنا هذا مقام العائذ بظلك الهارب الى كنفك وفضلك الفقير الى رحمتك وعدلك ثم سأل حوائجه فقضاها * وقحطت البادية أيام هشام بن عبد الملك فوفد عليه رؤس القبائل فجلس لهم وفيهم صبى ابن أربع عشرة سنة يسمى درواس بن حبيب فى رأسه ذؤابة وعليه بردة يمانية فاستصغره هشام وقال لحاجبه ما يشاء أحد أن يصل الينا الا وصل حتى الصبيان فقال درواس يا أمير المؤمنين ان دخولى لم يخل

ويسنى له المطلوب حتى أنبط حفره واعشوشب قفره فلما أن ترع الكيس انصلت عيس ويحمد تنيس ولم يحل للشيخ المقام بعد ما انصاع الغلام فاسترفع الايدى بالدعاء ثم نحا نحو الانكفاء (قال الراوى) فارتحت الى أن أعجمه وأحل مترجه فتبعته وهو يشتد فى سمته ولا يفتق رتق صمته فلما أمن المفاجى وأمكن التناجي لفت جيده الى وسلم تسليم البشاشة على ثم قال أراقك ذكاء ذاك الشويدن فقلت اى والمؤمن المهيمن

(ذكر نوادر الولدان)

بل ولا انتقصك ولكنه شرفنى وان هؤلاء قدموا الامر فهابوك دونه وان الكلام نشر والسكوت طى لا يعرف الا بنشره فأعجبه كلامه وقال انشر لا أم لك فقال انا أصابتنا سنون ثلاثة فسنة أكلت اللحم وسنة أذابت الشحم وسنة أنقت العظم وفى أيديكم فضول أموال فان كانت لله عز وجل ففرقوها على عباده وان كانت لهم فلا تحتبسوها عنهم وان كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فان الله يجزى المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين وان الوالى من الرعية كالروح من الجسد لا حياة له الا به فقال هشام ما ترك الغلام فى واحدة من الثلاث عذرا وأمر بمائة ألف دينار ففرقت فى أهل البادية وأمر له بمائة ألف درهم فقال ارددها فى جائزة العرب فمالى حاجة فى خاصة نفسى دون عامة المسلمين * أحمد بن يحيى حدثنى السدرى أن غيرا غزت حنيفة فغنمت وتبعتهم حنيفة فهزموهم وردوا غنائمهم فلقيت غلاما منهم فقلت كيف صنع قومك فقال تبعوهم والله وقد احقبوا كل جالية خيفانة فما زالوا يخصفون أخفاف المطى بحوافر الخيل حتى لحقوهم بعد ثالثة فجعلوا المران أرشية الموت فاستقوا بها أرواحهم وهذا كلام فصيح كثير الاستعارة احقبوا اردفوا بمواضع الحقيبة والجالية المرأة الجميلة وخصف خرز وتشبيه المران وهى الارماح بالارشية وهى الحبال حسن * وجلس خالد القسرى يوما للشعراء على الفرات فأنشدوه وأخذوا الجوائز وانصرفوا ولم يبق الا غلام فقال خالد يا غلام أشاعر أنت قال لا ولكنى متعلم وقد قلت شيأ قال هات فأنشأ يقول

ألا هل ترى موج الفرات كأنه * جبال سرور قد أتينك عوما
وماذاك من عاداته غير أنه * رأى شيمة من جاره فتعلما

وكان بقى على البساط فضلة مال فقال له خالد اطو البساط بما عليه فأخذه الغلام بما عليه ورأى بعض الملوك غلاما يسوق حمارا وهو يعنف عليه فقال ارفق يا غلام فقال أيها الملك فى الرفق مضرة عليه قال وما مضرته قال يطول طريقه ويشتد جوعه وفى العنف عليه احسان اليه يخف حمله ويطول أكله فأعجب به وقال قد أمرت لك بألف درهم قال رزق مقدور وواهب مأجور قال وقد أمرت باثبات اسمك فى حشمى قال كفيت مؤنة ورزقت بها معونة قال لولا صغرك لاستوزرتك قال لم يعدم الفضل من رزق العقل قال أفتصلح لذلك قال انما يكون الحمد أو الذم بعد التجربة ولا يعرف الانسان نفسه حتى يبلوها فاستوزره فوجده ذا رأى صائب * دخل الفرزدق وهو غلام يافع على سعيد بن العاص وقد أنشد أشعارا والحطيئة حاضر فأنشده

ترى الغر الجحاجح من قريش * اذا ما الامر فى الحدثان آلا
قياما ينظرون الى سعيد * كأنهم يرون به الهلالا

فقال الحطيئة هذا والله الشعر لا ما تعلل به نفسك هذا اليوم يا غلام أدركت من قبلك وسبقت من بعدك وان طال عمرك لتبرزن ثم قال له هل أنجدت أمك يا غلام قال لا بل أنجد أبى فوجده لقنا حاضر الجواب فأعجبه وكان للفرزدق نديم يسمى زيادا الاقطع فأتى بابه فخرجت له بنية له صغيرة اسمها مكية فقال لها ابنة من أنت قالت ابنة الفرزدق قال فما بالك حبشية قالت فما بال يدك مقطوعة قال قطعت فى حرب الحرورية قالت بل قطعت فى اللصوصية فقال عليك وعلى أبيك لعنة الله ثم أخبر الفرزدق بالخبر فقال أشهد انها ابنتى حقا ثم قال

سام اذا ما كنت ذا جيه * بدارى أمة صفيه * صمصمع مثل أبى مكيه

وقرع باب عدى بن الرقاع جماعة من الشعراء فخرجت اليهم بنية له صغيرة فقالت ما تريدون من أبى فقالوا جئنا لنهاجيه فقالت

تجمعتم من كل أوب ووجهة * على واحد لا زلتم قرن واحد

فأفحمتهم ورجعوا بأخزى حالة وقال معاوية لعمرو بن سعيد وهو صغير الى من أوصى بك أبوك فقال

ان أبي أوصى الى ولم يوص بي أخذه بعضهم فقال

وكنت الحبيب لدى ناجلي * فأوصى الى ولم يوص بي

قال يحيى بن يزيد استنشدت غلاما فأنشدني أرجوزة فقلت لمن هذه فقال لي فزجرته فأنشأ يقول

اني وان كنت صغير السن * وكان في العين نبو عني

فان شيطاني أمير الجن * يذهب بي في القول كل فن

الاصمعي رحمه الله قال وقف على غلام سحمي ضربة ماظننته يجمع بين كلمتين فقلت له ما اسمك قال حريقيص فقلت له ما كني أهلك ان سموك حرقوصا حتى صغروا اسمك فقال ان السقط ليحرق الحرجة فعجبت من جوابه فقلت أتنشد شيأ من أشعار قومك قال نعم أنشد لمرارنا

سكنوا اشبيثا والاحص فاصبحت * نزلت منازلهم بنو ذبيان

واذا يقال أتيتم لم يبرحوا * حتى تقيم الخيل سوق طعان

واذا فلان مات عن أكرومة * رفعوا معاوز فقده لفلان

قال فكادت الارض تسوخ لحسن انشاده وجودة الشعر فحدثت الرشيد الحديث فقال وددت يا أصمعي لو رأيت هذا الغلام فكنت أبلغه أعلى المراتب فهذا الغلام سمى بحقير مصغر وهو في معناه جليل معظم * وينظر الى هذا من باب الضد ما حدث أبو العباس عن الرياشي عن الاصمعي قال مر بنا اعرابي وهو ينشد ابناله فقلت له صفه فقال دعيري فقلنا لم نره فلم نلبث ان جاء يحمل على عنقه فقلنا له لو سألت عن هذا الارشد بالك مازال هذا اليوم بين أيدينا * الاصمعي قيل لابي المخش أما كان لك ابن فقال المخش قيل وما كان المخش قال اشدق خرطمانيا اذا تكلم سال لعابه كانما ينظر من فلسين وكان ترقوته بوان أو خالفة وكان مشاش منكبيه كركرة جمل فقأ الله عيني هاتين ان كنت رأيت أحسن منه قبله أو بعده وأنشد

نعم ضجيع الفتى اذا برد الليل سحيرا وقرقف الصرد

زينها الله في الفؤاد كما * زين في عين والد الولد

وقال أبو المخش كانت لي ابنة تجلس معي على المائدة فتبرز كفا كانها طلعة في ذراع كانها جمارة فلا تقع عينها على أكلة نفيسة الا خصتني بها فزوجتها وصار يجلس معي على المائدة ابن لي فيبرز كفا كانها الكرنافة في ذراع كانها سباطة فلا تقع عيني على أكلة نفيسة الا سبقت يده اليها قبلي المخش الذي يخش في القوم يدخل معهم وهم يأكلون وأراد بمثل الفلسين عورعينيه وقيل حفرتها خرطمانيا طويل الانف وسيلان اللعاب يدل على قوة النفس البوان عمود في مقدم البيت والكرنافة طرف الكرب العريض المتصل بالنخلة كانها كتف * اليزيدي أول ماظهر من نجابة المأمون وسداده أني كنت أؤدبه فوجهت اليه يوما الخرج فأبطأ فقلت لسعيد الجوهري وهو في حجره ان هذا الفتى قد اشتغل بالبطالة فقال سعيد قومه بالادب فلما خرج ضربته ثلاث درر فانه ليبكي اذا بجعفر بن يحيى قد استأذن عليه فوثب الى فراشه مسرعا وهو يمسح عينيه فجلس ثم قال ليدخل فدخل فقمت من المجلس وخشيت ان يشكوني الى جعفر فألقى منه ما أكره فأقبل عليه بوجه طلق وحادثه وضاحكه فلما هم بالحركة قال يا غلام دابته ورجعت فقال ما حملك ان قمت عنا فقلت خفت ان تشكوني اليه فيوبخني فقال انا الله يا أبا محمد ما كنت أطلع الرشيد على هذا فكيف أطلع جعفرا على اني احتاج الى أدب يغفر الله لك وكنت اهابه بعد ذلك وشكى الى معلم عبد الرحمن بن حسان بصبيان فضربهم حتى انتهى الى عبد الرحمن فهدده فقال

الله يعلم أني كنت معتزلا * في دار حسان أصطاد اليعاسيبا

فتركه وبلغ حسان فضمه اليه وقال أنت والله ابني حقا فداك أبي وأمي ودخل عليه يوما يبكي من لسعة

زنبور فقال له ما يبكيك فقال لسعنى طائر كأنه ملتف فى بردى حبرة فقال قلت والله يا بنى الشعر * وجاءت سكينة بنت الحسين أمها الرباب وهى تبكى فقالت مالك فقالت مربت بى طويرة فلسعتنى بابيرة ويروى مرت بى دبيرة تصغير دبرة وهى النحلة (قوله اللبجى) البحر (شواظ) لهب النار و (الكهانة) بالكسر حرفة الكاهن وبالفتح فعل الكاهن وهو المصدر والكاهن المخبر بالغيب و (افتر) تبسم (متضاحك) مستعمل الضحك (مماحك) لجوج أى مشى غير غاضب (احفظها عنى) أى حصلها وعها و (على) أى اكتمها واسترها وقامت الواو مقام تكرير الفعل (اصرف) أزل ونح (صرف الراح) خالص الخمر (الاسى) الحزن (تكتئب) تهتم وتحزن (قدك) حسبك (اتئب) ارتجع وكف وقيل معناه استحى يقال منه وأب واتأب أى خزى واستحيا والابة والمؤبة الخزى والحياء والانقباض وأوأبه واستأبه ردّه بخزى وعار والتاء فيها مبدلة من واو فاصل اتأب اوتأب فأبدلت الواو تاء وأدغمت فى التاء بعدها وهى من وأب الحافر يئب وأبا اذا انضم وحافر وأب أى خفيف والتؤبة مأخوذة من اتأب وقال حبيب

قدك اتئب أربيت فى الغلوا * كم تعذلون وأنتم سجوى

فهذا يبين لك موقعها فى المقامة وعلى قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم قال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت برجال ليلة أسرى بى تقرض شفاههم وألسنتهم بمقاريض من نار فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الخطباء من أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم * أبو أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم يجرون قصبهم فى نار جهنم فيقال لهم من أنتم فيقولون نحن الذين كنا نأمر بالبر وننسى أنفسنا قال أبو العناهية فى منصور بن عمار وكأنه يخاطب واعظ المقامة

ياواعظ الناس قد أصبحت متهما * اذ عبت منهم أمورا كنت تأتيها
كالملبس الثوب من عرى وعورته * للناس بادية ما ان يواريها
وأعظم الاثم بعد الشرك نعلمه * فى كل نفس عماها عن مساويها
عرفانها بعيوب الناس تبصرها * منهم ولا تبصر العيب الذى فيها

﴿ومن لزوميات المعرى﴾

رويدك قد خدعت وأنت كهل * بصاحب حيلة يعظ النساء
يحرم فيكم الصهباء صبحا * ويشربها على عمد مساء
يقول لكم غدوت بلا كساء * وفى لذاتها رهن الكساء
اذا فعل الفتى ما عنه ينهى * فمن جهتين لا جهة أساء

ونذكر هنا من الابيات الخمريات ما يأتى على معنى البيتين اللذين أنشد قال الحسن

ما مثل هذا اليوم فى حسنه * عطل من لهو ولا ضيعا
هل لك ان تغدو على قهوة * تسرع فى المرء اذا أسرعا
ما وجد الناس ولا جربوا * للهم شيأ مثلها مدفعا

وله أيضا
جلبت لاصحابى بها درة الصبا * بصفراء من ماء الكروم شمول
اذا ما أتت دون اللهاة من الفتى * دعا همه من صدره برحيل

وله
دع ذا فديتك واشربها معتقة * صفراء تعبق بين الماء والزبد
من كف مختصر الزنار معتدل * كغصن بان تثنى غير ذى أود
لو كان لومك نصحا كنت أقبله * لكن لومك محمول على الحسد

وقال الصابى
كوكب الاصباح لاحا * طالعا والديك صاحا

قال انه فتى السروجى ومخرج الدر من اللبجى فقلت أشهد انك لشجرة ثمرته وشواظ شررته فصدق كهانتى واستحسن ابانتى ثم قال هل لك فى ابتدار البيت لنتنازع كاس الكميت فقلت له ويحك أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم فافتر افترار متضاحك ومر غير مماحك ثم بدا له ان تراجع الىّ وقال احفظها عنى وعلى

اصرف بصرف الراح عنك الاسى
وروح القلب ولا تكتئب
وقل لمن لامك فيما به
تدفع عنك الهم قدك اتئب

فاسقنيها

ثم قال اما انا فسانطلق الى حيث اصطبح واغتبق واذا كنت لا تصحب ولا تلائم من يطرب فلست لى برفيق ولا طريقك لى بطريق فخل سبيلى ونكب ولا تنقر عنى ولا تنقب ثم ولى مدبرا ولم يعقب (قال الحرث بن همام) فالتهبت وجدا عند انطلاقه ووددت لو لم ألاقه

(المقامة الثانية والاربعون النجرانية)

(حكى الحرث بن همام) قال ترامت بى مرامى النوى ومسارى الهوى الى أن صرت ابن كل تربة وأخا كل غربة الا انى لم أكن أقطع واديا ولا أشهد ناديا الا لاقتباس الادب المسلى عن الاشجان المغلى قيمة الانسان حتى عرفت لى هذه الشنشنة وتناقلتها عنى الالسنة وصارت اعلق بى من الهوى ببنى عذرة

(ذكر بنى عذرة)

فاسقنيها قهوة تأ * سو من الهم جراحا
ذات نشر كنسيم الروض غب القطر فاحا
يا غلامي ما أرى فيـ * ـك ولا فيها جناحا

وله من أبيات يصف فيها مجلس شراب

كأن الكؤس بأيدي السقاة * سيوف لها بالدماء احمرار
كأن تسكبها بالزجاج * حريق لها من حباب شرار
فلما برزن الى الهم فيه * ولى بالسرور وعليه اقتدار
جرى الضرب مختلفا بيننا * فمات وعشت وقد نيل ثار

(وقال أبو بكر البلوي)

ومدام كست الكا * س من النور وشاحا
ظهرت في جنح ليل * فكأن الفجر لاحا
لم يكن وقت صباح * فحسبناه صباحا

(وقال أبو بكر الخالدي)

ما عذرنا في تركنا الاعنابا * سقط الندى وصفا الهواء وطابا
فأدم لذاذة عيشنا بمدامة * زادت على هرم الزمان شبابا
سفرت وغاب حبابها من لحظها * فعلا محاسنها فصار نقابا

(ولابن المعتز)

ونار قد حثناها سراعا بسحرة * متى ما يرق ماء عليها توقد
يجول حباب الماء في جنباتها * كما جال دمع فوق خد مورد

(قوله أصطبح) أى أشرب صبوحا وهو شرب الغدو (وأغتبق) أشرب غبوقا وهو شرب العشى (تلائم) توافق (نكب) تنح عن طريقي واجعله لجهة منكبك (تنقر وتنقب) تبحث وتفتش وقد نقرت عن الامر اذا طلبت علم باطنه ونقبت عنه اذا بحثت عليه بظنك حتى تستخرج سره وفلان نقاب أى فطن ذكى يحدث بالغائب والتنقيب فى البلاد تطلع أحوال أهلها وتجريب أمورهم (ولى) أدبر وترك طريقه الذى كان يستقبله (يعقب) ينظر (والوجد) الحزن (والتهبت) اشتعلت (وددت) تمنيت ومما قيل فى ترك الوداع

صدنى عن حلاوة التشييع * اجتنابى مرارة التوديع
لا يفى أنس ذا بوحشة هذا * فرأيت الصواب ترك الجميع

(شرح المقامة الثانية والاربعين وهى النجرانية)

(ترامت بى) رمتنى هذه الى هذه وهذه الى هذه و(المرامى) المواضع التى ترميه (والمسارى) مواضع السرى وهو سير الليل وهو جمع مرمى ومسرى ويكون المرمى والمسرى مصدرين و(النوى) المغربة والبعد عن الاهل أراد أن البلاد والجهات ترميه بلدة الى بلدة وجهة الى جهة فهو أبدا فى الجولان و(ابن كل تربة) أى ينسب لكل بلدة لكثرة ما يظهر فيها (ناديا) مجلسا (الاقتباس) الاكتساب (المسلى) المذهب للهم وتسليت عن الهم نسيته و(الاشجان) الاحزان وقد تقدم شرح هذه المعانى وتكرر (الشنشنة) الطبيعة (أعلق) ألصق و(بنو عذرة) قبيلة معروفة من قبائل العرب وهم أولاد عذرة بن سعد بن هذيم بن زيد بن ليث بن سويد بن أسلم بن الحاف بن قضاعة * الفنجديهى عذرة قبيلة من العرب يستلذون مرارة العشق مثل الضرب جبلت المحبة فى طينتهم وجنيت المودة من لينتهم وصار الهوى وصفهم الذى لا ينفك ورهائن قلوبهم من

حرارات الشوق لا تفك· استأسرهم العشق أسرا واستأصلهم الحب قهرا وقسرا فمنهم من يموت من أوام غرامه ومنهم من يموت بهيام سقامه ومن مشاهيرهم جميل بن عبد الله بن معمر العذرى صاحب بثينة بنت عبد الله العذرية وعروة بن حزام صاحب عفراء بنت مالك العذريين وقال سعيد بن عتبة الهمدانى قلت لاعرابى ممن أنت قال من قوم اذا عشقوا ماتوا قلت عذرى قال عذرى ورب الكعبة قلت ومم ذاك قال فى نسائنا صباحة وفى فتياننا عفة وسئل اعرابى منهم فقيل له ما حد الحب عندكم فقال أعين تتلاحظ وألسن تتلافظ وعدات تنقضى واشارات تدل على السخط والرضا قيل له فالمباضعة قال ذلك طلب الولد الحب اذا نكح فسد * سفيان بن زياد قلت لامرأة من عذرة ورأيت بها هوى غالبا حتى خفت عليها الموت ما بال العشق يقتلكم معاشر عذرة من بين أحياء العرب قالت فينا جمال وتعفف فالجمال يحملنا على العفاف به والعفاف يورثنا رقة القلب والعشق يفنى آجالنا وانا نرى محاجر لا ترونها * أبو عمرو بن العلاء حدثنى رجل من تميم قال خرجت فى طلب ضالة لى فبينا أنا أدور فى أرض بنى عذرة أنشدها اذا ببيت منعزل عن البيوت وفى كسره شاب مغمى عليه وعند رأسه عجوز بها بقية جمال ساهية تنظر اليه فسلمت عليها فردت السلام فسألتها عن ضالتى فلم تعلم بها فقلت من هذا الفتى فقالت ابنى فهل لك فى أجر لا مؤنة فيه فقلت والله انى أحب الاجر وان رزئت فقالت ان ابنى هذا يهوى ابنة عم له علقها وهما صغيران فلما كبرت خطبها غيره فأخذه شبه الجنون نخطبها الى ابيها فمنعه وزوجها غيره فنحل جسمه واصفر لونه وذهب عقله فلما كان مذ خمس رفت الى زوجها فهو كما ترى مغمى عليه لا يأكل ولا يشرب فلو نزلت اليه فوعظته قال فنزلت اليه فلم أدع موعظة الا وعظته بها حتى قلت له ان الغوانى صاحبات يوسف الناقضات العهد وقد قال فيهن كثير

هل وصل عزة الا وصل غانية * فى وصل غانية من وصلها خلف

قال فرفع رأسه محمرة عيناه كالمغضب وهو يقول لست ككثير ان كثيرا رجل مائق وأنا وامق ولكنى كأخى تميم حيث يقول

ألا لا يضر الحب من كان صابرا * ولكن ما اجتاب الفؤاد يضير
ألا قاتل الله الهوى كيف قادنى * كما قيد مغلول اليدين أسير

فقلت له فانه قد جاء عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال من أصيب منكم بمصيبة فليذكر مصابه بى فأنشأ يقول

ألا ما للمليحة لم تعدنى * أبخل بالمليحة أم صدود
ومرضت فعادنى أهلى جميعا * فما لك لم ترى فيمن يعود
فقدتك بينهم فبكيت شوقا * وفقد الالف يا أملى شديد
وما استبطأت غيرك فاعلميه * وحولى من ذوى رحمى عديد
ولو كنت المريض لكنت أسعى * اليك وما يهددنى الوعيد

ثم شهق شهقة وخفت خفتة فداخلنى أمر ما داخلنى مثله قط والعجوز تبكى فلما رأت ما حل بى قالت يا فتى لا ترع مات رالله ولدى بأجله واستراح من تباريحه وغصصه فهل لك فى استكمال الصنيعة قلت قولى ما أحببت قالت تأتى البيوت فتنعاه اليهم ليعاونونى على رمسه فانى وحيدة فركبت فرسى وأتيت البيوت رافعا صوتى بنعيه فلم ألبث أن خرجت لى جارية أجمل ما رأيت من النساء ناشرة شعرها حديثة عهد بعرس تقول بفيك الحجر المصمت من تنعى قلت أنعى فلانا قالت أوقد مات قلت اى والله قد مات قالت فهل سمعت له قولا قلت اللهم شعرا قالت وما هو فأنشدتها أبياته فاستعبرت وأنشأت تقول

عدانى ان أزورك يا مرادى * معاشر كلهم واش حسود
أشاعوا ما علمت من الدواهى * وعابونا وما فيهم رشيد
فاما اذ ثويت اليوم لحدا * وكل الناس دورهم لحود

فلا طاب لى الدنيا فراقا * ولا لهم ولا أثرى العديد

ثم شهقت شهقة فوقعت مغشيا عليها وخرجت النساء من البيوت فاضطربت ساعة وماتت فوالله مابرحت حتى دفنتهما جميعا * هشام بن عروة أذن معاوية للناس يوما فكان فيمن دخل عليه فتى من بنى عذرة فقام بين السماطين وأنشأ يقول

أتيتك لما ضاق فى الارض مسلكى * وأنكرت مما قد أصبت به عقلى
ففرج كلاك الله عنى فاننى * لقيت الذى لم يلقه أحد قبلى
وخذلى هداك الله حق من الذى * رمانى بسهم كان أهونه قتلى
وكنت أرجى عدله اذ أتيته * فأكثر ترداذى مع الحبس والكبل
فطلقتها من جهد ماقد أصابنى * فهل ذا أمير المؤمنين من العدل

فقال له معاوية أدن بارك الله عليك ماخطبك قال أطال الله بقاء أمير المؤمنين انى رجل من بنى عذرة تزوجت ابنة عم لى وكانت لى صرمة من الابل وشويهات فأنفقت ذلك عليها فلما أصابتنى نائبات الزمان وحادثات الدهر رغب عنى أبوها وكانت جارية منها الحياء والكرم فكرهت مخالفة أبيها فأتيت عاملك عبد الرحمن ابن أم الحكم فذكرت ذلك له وبلغه جمالها فاعطى أباها عشرة آلاف درهم وتزوجها وأخذنى فحبسنى وضيق على فلما أصابنى مس الحديد وألم العذاب طلقتها وقد أتيتك يا أمير المؤمنين وأنت غياث المحروب ومعيد المسلوب فهل من فرج ثم بكى وهو يقول

فى القلب منى نار * والنار فيها شرار
وفى فؤادى جمر * والجمر فيه احرار
والجسم منى نحيل * واللون فيه اصفرار
والعين تبكى بشجو * فدمعها مدرار
والحب داء عسير * فيه الطبيب يحار
حملت منه عظيما * فما عليه اصطبار
فليس ليلى ليلا * ولا نهارى نهار

فرق معاوية له وكتب الى ابن أم الحكم كتابا غليظا وفى آخره

ركبت أمرا عظيما لست أعرفه * استغفر الله من جور امرئ زانى
قد كنت تشبه صوفيا له كتب * من الفرائض أو آيات فرقان
حتى أتانى الفتى العذرى منتحبا * يشكو الى بحق غير بهتان
أعطى الاله عهودا لا أخيس بها * أولا فبرئت من دينى وايمانى
ان أنت راجعتنى فيما كتبت به * لاجعلنك لحما بين عقبان
طلق سعاد وفارقها بمجتمع * واشهد على ذاك نصرا وابن ظبيان
فما سمعت كما حدثت من عجب * ولا فعالك حقا فعل انسان

فلما ورد الكتاب على ابن أم الحكم تنفس الصعداء وقال وددت لو أن أمير المؤمنين خلى بينى وبينها سنة ثم عرض على السيف وجعل يؤامر نفسه فى طلاقها فلم يقدر فلما أزعجه الوفد طلقها ثم قال ياسعاد اخرجى فخرجت شكلة غنجة ذات هيئة وجمال فلما رآها الوفد قالوا ما تصلح هذه الا لامير المؤمنين لا لاعرابى وكتب الجواب

لا تحنثن أمير المؤمنين وفى * بعهدك اليوم فى رفق واحسان
فما ركبت حراما حين أعجبنى * فكيف سميت باسم الخائن الزانى
فسوف تأتيك شمس لا خفاء بها * أبهى البرية من انس ومن جان

حوزاء يقصر عنها الوصف اذ وصفت * أقول ذلك في سر واعلان

فلما وردت على معاوية قال ان كانت أعطيت حسن النغمة مع هذه الصفة فهي أكمل البرية فاستنطقها فاذا هي أحسن الناس كلاما وأكملهم شكلا ودلا فقال يا اعرابي هل من سلو عنها بأفضل الرغبة قال نعم اذا فرقت بين رأسي وجسدي ثم أنشأ يقول

لا تجعلني والامثال تضرب بي * كالمستجير من الرمضاء بالنار
اردد سعاد على حيران مكتئب * يمسي ويصبح في هم وتذكار
قد شفه قلق ما مثله قلق * وأسعر القلب منه أي اسعار
والله والله لا أنسى محبتها * حتى أغيب في رمس وأحجار
كيف السلو وقد هام الفؤاد بها * وأصبح القلب عنها غير صبار

فغضب معاوية غضبا شديدا ثم قال لها اختاري من شئت أنا أو ابن أم الحكم أو الاعرابي فأنشأت تقول

هذا وان أصبح في اطمار * أو كان في بعض من اليسار
أكبر عندي من أبي وجاري * وصاحب الدرهم والدينار
* أخشى اذا غدرت حر النار *

فقال له معاوية خذها لا بارك الله لك فيها فأخذها وأنشأ يقول

خلوا عن الطريق للاعرابي * ألم ترقوا ويحكم لما بي

فضحك معاوية وأمر له بعشرة آلاف درهم وأدخلت لبعض قصوره حتى انقضت عدتها من ابن أم الحكم ثم دفعها للاعرابي * وقال بعضهم كنت سائرا في بلاد عذرة فولجت بعض أوديتهم واذا شاب حسن الوجه بيده زمام ناقة عليها هودج مسجف به جارية ومن وراء الناقة خمس قلائص وقد رفع عقيرته ينشد ويقول

نه كيف شئت وسر على مهل * كل الجمال عليك يا جمل
على انك لا ترى كللا * مادام فوقك هذه الكلل

فسلمت عليه فرد وسألته وسألني وتناشدنا وأتصل الانس بيننا وسرنا غير قليل فرأى قانصا في أحبولته ظبي فلما رآه يضطرب في الاحبولة أجهش بالبكاء وأنشأ يقول

وذكرني من لا أبوح بحبه * محاجر ظبي في حبالة قانص
فقلت وجفن العين يجري بعبرة * ولحظي الى عينيه لحظة شاخص
ألا أيهذا القانص الظبي خله * وخذ عوضا منه جياد قلائصي
خف الله لا تحبسه ان شبيهه * حياتي وقد أرعدت منه فرائصي

فقال القانص الله ان فعلت قال الله فارسل الظبي واستاق القلائص * وحدث رجل من بني عذرة قال كان فينا فتى ظريف غزل كثيرا ما يتحدث الى النساء فهوى جارية من الحي فراسلها فاظهرت له جفوة فوقع مضني مدنفا وظهر أمره وتبين دنفه ولم يزل النساء من أهلها وأهله يكلمنها فيه حتى أجابت فسارت اليه عائدة ومسلمة فلما نظر اليها تحدرت عيناه بالدموع وأنشأ يقول

أريتك ان مرت عليك جنازتي * تروح بها أيد طوال وتسرع
أما تتبعين النعش حتى تسلمي * على رمس ميت بالحفيرة يودع

فبكت رحمة وقالت والله ما ظننت ان الامر بلغ بك هذا فوالله لأساعدنك ولأداومن على وصالك فهملت عيناه بالدموع وأنشأ يقول

دنت وظلال الموت بيني وبينها * ومنت بوصل حيث لا ينفع الوصل

ثم شهق شهقة خرجت نفسه قال فوقعت عليه تلثمه ثم رجعت عنه مغشيا عليها فما مكثت بعده

الا أياما حتى ماتت * قال حماد الراوية انصرفت من جنازة لبعض السكاك فاذا بصبي من عذرة ظريف حسن الوجه صغير السن موصوف بقول الشعر فوقفنا فسلمنا فقام اعظاما لنا فقلت أنشدنا شيأ فكأنه استحيا فقلت له لابد فأنشدنا

هل من الحب مجير * من ملاح يعتدونا
قد شكونا بخضوع * عذل قوم يعذلونا
في جوى نلقاه ممن * لا يبالي ما لقينا
و بكينا بدموع * أغرقت منا الجفونا

قال حماد فكدت أرقص طربا وقلت فداؤك عمك وجلسنا اليه تعجبا من رقته وجماله وفصاحته فأنشدنا

ولقد أرسلت دمعي شاهدا * ثم صيرت اليها المشتكى
فتولت ثم قالت شغلي * كل من شاء تبكي فبكى

قال حماد قلت له فديتك تحب هذه الجارية قال ياعم والحب عيب ان كان عيبا تركته ثم قال ياعم اذا قرأت أو بلغني أحاديث قومي مثل عروة وجميل أفلا أشتهي أن أكون واحدا منهم فانصرفنا عنه متعجبين (قوله والشجاعة بآل أبي صفرة) أبو صفرة هو ظالم بن سراقة بن كندي بن عمرو بن عدي و يتصل بعمرو مزيقيا ثم بازد دبا وازد دبا مابين عمان والبحرين وكانوا أسلموا ثم ارتدوا في خلافة أبي بكر فبعث اليهم أبو بكر عكرمة بن أبي جهل فقاتلهم وسبي ذراريهم و بعث بهم الى أبي بكر وأبو صفرة غلام فحبسهم أبو بكر فلما توفي أطلقهم عمر فنزل أبو صفرة البصرة فشرف بها وروى بعضهم أن أبا صفرة طلب من عمر أن يوليه عملا فسأله عن اسمه فقال ظالم بن سراق فقال تظلم أنت و يسرق أبوك ولم يوله عملا تطيرا باسمه والمهلبية تزعم أن أبا صفرة قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وعليه حلة صفراء يسحبها خلفه ذراعين وله طول ومنظر وفصاحة فأعجب النبي صلى الله عليه وسلم ما رأى من جماله وخلقه فقال له من أنت قال أنا قاطع بن سارق بن ظالم بن عمرو بن شهاب بن مرة بن الهلقام بن الجلندى بن المستكبر بن الجلندى الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت أبو صفرة ودع عنك ظالما وسارقا فقال أشهد أن لا اله الا الله وانك رسوله حقا ان لي ثمانية عشر ذكرا ورزقت بآخرهم بنتا سميتها صفرة وأما أولاد أبي صفرة فكانوا كلهم شجعانا أبطالا حماة منهم أبو سعيد المهلب وذكروا ان أبا صفرة وفد على عمر رضي الله عنه ومعه عشرة من ولده والمهلب أصغرهم فتوسمهم عمر ثم قال هذا سيد ولدك المهلب والمهلب هو صاحب حروب الازارقة وولاه عبد الملك خراسان بعد الازارقة سنة تسع وسبعين ومات سنة ثلاث وثمانين واستخلف يزيد ابنه عليها فأقره عبد الملك عليها سنتين أو ثلاثا وغزا يزيد جرجان في خلافة سليمان بن عبد الملك سنة سبع وتسعين في ثلاثين ألف مقاتل فقاتلهم أشهرا ثم صالحهم على ان يعطوا خمسمائة ألف درهم كل عام يؤدونها اليه ثم غزا سنة ثمان وتسعين طبرستان فصالحهم على سبعمائة ألف درهم وأربعمائة وقر زعفران وأربعمائة رجل مع كل رجل برنس وطيلسان وخاتم فضة وسرقة حرير وكسوة فقبل ذلك وانصرف عنهم ثم غدر أهل جرجان بمن خلف عليهم من المسلمين فقتلوهم فلما فرغ من طبرستان سار اليهم فقاتلهم شهرا ثم نزلوا على حكمه فقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم وصلبهم فرسخين وقاد منهم اثني عشر الفا الى وادي جرجان فقتلهم واجرى الماء في الوادي على الدم وعليه ارحاء بدمائهم تطحن واختبز وأكل وكان قد حلف على ذلك * الاصمعي قبض الحجاج على يزيد وأخذه بسوء العذاب فسأله ان يخفف عنه العذاب على أن يعطيه كل يوم مائة ألف درهم فكان دأبه أنه اذا أداها تركه والا عذبه الى الليل فجمع يوما مائة ألف درهم يشتري بها عذابه فدخل عليه الاخطل فأنشده

أبا خالد بادت خراسان بعدكم * وقال ذوو الحاجات أين يزيد

والشجاعة بآل أبي صفرة

﴿ذكر آل أبي صفرة﴾

فاسقى المروان بعدك قطرة ✲ ولا اخضر بالمروين بعدك عود

ومالسرير بعد ملكك بهجة ✲ ولا لجواد بعد جودك جود

فاعطاه المائة الالف فبلغ ذلك الحجاج فدعا به وقال ياس وزى أكل هذا الكرم وأنت بهذه الحالة قد وهبت لك عذاب اليوم ومابعده ✲ ابن عبد الحكم أخبرنا الشافعى قال طعن يزيد بن المهلب رجلا من الخوارج فصرعه فوثب الخارجى بالسيف وهو يقول

وانا لقوم لا نعود خيلنا ✲ اذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا

وتنكر يوم الروع الوان خيلنا ✲ من الدم حتى يحسب الورد أشقرا

وليس بمعروف لنا أن نردها ✲ صحاحا ولا مستنكر أن تعقرا

قال يزيد فكرهت أن أقتل مثله فانصرفت عنه وقتل يزيد يوم الجمعة لاثنتى عشرة خلت من صفر سنة اثنتين ومائة وهو ابن سبع وأربعين سنة وقيل للمهلب بم نلت ما نلت قال بطاعة الحزم وعصيان الهوى وقيل لابى اسحق الهمدانى لم رويت عن المهلب قال لانى لم أر أميرا أبين منه تقية ولا أشجع منه ولا أبعد مما يكره ولا أقرب مما يحب ومر المهلب بقوم فعظموه وسودوه فقال رجل الهذا الاعور تسودون والله لو خرج الى السوق مازادت قيمته على ألفى درهم فسمعه المهلب فقال لبعض من معه اتعرف الرجل قال نعم فلما انتهى الى مجلسه ارسل اليه بألفى درهم فقال له لو ردتنا فى القيمة لزدناك فى العطية فخجل الرجل وعرف منزلته وللمهلب وبنيه واخوته فى حروب الازارقة مشاهد ماشوهدت قط فى جاهلية ولا اسلام وقتل المهلب وأولاده واخوته ومن معه من الازارقة فى ليلة واحدة أربعة آلاف وثمانمائة وانهزم بقيتهم مع قطرى فنفاهم الى اقاصى البلاد حتى قتل قطرى ومن معه وسئل المهلب عن ابنيه أيهما اشجع أيزيد أم حبيب فقال ان الولد عاسبق رأى أبيه فيه وقطرى قدمارسهما فسلوه عنهما فلما كان من العد واصطفوا للقتال صاح رجل ياابانعامة فقال افرجوا له ثم قال قد سمعت فقال انا سألنا الامير عن ابنيه يزيد وحبيب أيهما أشجع فقال سلوا أبا نعامة فقال على الخبير سقطت اما صاحب الكر والفر والاقدام والاحجام وصحة التدبير ومبارزة الكمى المدجج فالحرون يزيد واما اذا التقت غياطيل الليل وخفتت الاصوات الا الغماغم وقرع الحديد بالحديد فالخيار حبيب العيطلة التباس الظلام وخفتت سكنت والغمغمة أصوات الابطال فى القتال ✲ وسأل الحجاج كعب بن معدان الاشعرى حين وفد عليه بالفتح فقال له أخبرنى عن بنى المهلب فقال المغيرة فارسهم وسيدهم وكفى بيزيد فارسا شجاعا وجوادهم وسخيهم قبيصة ومايستحى الشجاع أن يفر من مدرك وعبد الملك سم ناقع وحبيب موت ذعاف ومحمد ليث غاب وكفاك بالمفضل نجدة فقال كيف كانوا فى البأس قال حماة السرج نهارا فاذا أليلوا ففرسان البيات قال فأيهم كان أنجد قال كانوا كالحلقة المفرغة لايدرى أين طرفها وحين وفد المهلب على الحجاج أجلسه الى جانبه وأظهر اكرامه وقال ياأهل العراق أنتم عبيد المهلب ثم قال له أنت والله كما قال لقيط الايادى

وقلدوا أمركم لله دركم ✲ رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

لامترفا ان رخاء العيش ساعده ✲ ولا اذا عض مكروه به خشعا

مازال يحلب هذا الدهر أشطره ✲ يكون متبعا طورا ومتبعا

حتى استمرت على شزر مريرته ✲ مستحكم الرأى لاقحما ولا ضرعا

فقام رجل وقال أصلح الله الامير والله لكأنى اسمع الساعة قطريا يقول المهلب كما قال لقيط الايادى وأنشد الابيات فامتلأ الحجاج سرورا وقال له الحجاج اذكر لى الذين ابلوا وصف لى بلاءهم فقدم بنيه وقال والله لو تقدمهم أحد فى البلاء لقدمته عليهم ولولا أن أظلمهم لأخرتهم فقال له الحجاج نعم انهم لسيوف من سيوف الله تعالى فى الارض ✲ وقال يوما عبد الملك للشعراء تشبهوننى مرة بالاسد

الابحر والجبل الأوعر والبحر الاجاج وبالصقر والبازأ الاقلتم كما قال كعب الاشعرى فى المهلب وبنيه

براك الله حين براك بحرا * وفجر منك انهارا غزارا
بنوك السابقون الى المعالى * اذا ما أعظم الناس الفخارا
كأنهم نجوم حول بدر * دجوجى تكمل واستدارا
ملوك ينزلون بكل ثغر * اذا ما الهام يوم الروع طارا *
رزان فى الامور ترى عليهم * من الشيخ الشمائل والنجارا
نجوم يهتدى بهم اذا ما * أخو الغمرات فى الظلماء حارا

وفى ديوان الحماسة

آل المهلب قوم خولوا شرفا * ما ناله عربى لا ولا كادا
لو قيل للمجد حد عنهم وخلهم * بما احتكمت من الدنيا لما حادا
ان المكارم أرواح يكون لها * آل المهلب دون الناس أجسادا

ولبعضهم

اذا كان المهلب من ورائى * هدا ليلى وقرّله فؤادى
ولم أخش الدنية من أناس * ولو صالوا بقوة قوم عاد

وتوفى المهلب بفنجديه بصحراء راغول سنة ثلاث وثمانين فبعد أربعمائة وثلاثين من وفاته رأى بعض علماء فنجديه فى المنام كأن المهلب يقول الله الله الحقنى قبل أن يأخذنى روذمر وهو نهر عظيم يعبر عليه بالسفن وانقلنى الى بعض مقابر المسلمين وأنا مدفون على شاطئ هذا النهر الكبير فى الموضع الفلانى وقد حفر الماء تحت قبرى وقرب أن يأخذنى فلما أصبح الرجل أخذ جماعة من أصحابه معهم المساحى والفوس فمضوا الى ذلك الموضع وحفروا حتى وصلوا الى قالبه فكشفوا التراب عنه فكانت عظامه ما بليت بعد فدفنوه بمقبرة مدونة قال الفنجديهى وهى محلتنا رسمعت معنى هذه الحكاية من والدى رحمه الله (قوله بنجران) بلد من كور نجد مما يلى بلاد اليمن سميت بنجران بن زيد بن سبا (اصطفيت) اخترت (الخلان) الاصحاب (تخذت) بمعنى اتخذت (أنديتها) مجالسها ومجمع أهلها (معتمرى) موضع زيارتى واعتمرت الموضع قصدته وزرته (موسم) عيد (فكاهتى) ممازحتى (سمرى) حديثى بالليل (أتعهدها) اتفقدها و (صباح مساء) اسم ان مركبان جعلا كخمسة عشر وأراد يزورها فى الصباح والمساء (ناد محشود) مجلس مجموع الاهل ومثله المحفل المشهود (جثم) برك (هم) شيخ هرم قد أذهب الكبر قوته ولحمه وتقول هممت الشحم أذبته ومنه قولهم هذا الامر لا يهمنى بفتح الياء وكسر الهاء أى لا يذيبنى ومن قال بضم الياء فمعناه لا يقلقنى (هدم) ثوب خلق كأنه هدمه البلى (ملق) متلطف فى كلامه (ذلق) حديد (النوافل) العطايا (بين الصبح لذى عينين) مثل ويريد أن الليل يتساوى فى ظلمته الاعمى والصحيح فاذا ظهر ضوء الصبح أبصر الاشياء من له بصر وقيل معنى بين الصبح أى تبين و (العيان) المشاهدة وعاينته شاهدته أى أنتم ممن لا يخفى عليكم حالى يريد أن المعاينة تغنى عن الشهود العدول (فماذا ترون) فما رأيكم وهى من رؤية القلب (فيما ترون) أى فيما تنظرون وتبصرون وهو من رؤية البصر وقال الفنجديهى فى شرحه فما ترون أى فما تظنون فيما ترون أى فيما تبصرون (تنأون) تبعدون (غظت) من الغيظ أى لقد حركت غيظا (رمت أن تنبط) أردت ان تخرج ماء (غضت) غيبته وجففته والغيض نقيض الفيض وغاض الماء ذهب فى الارض (ناشدهم) حلفهم (صدهم) صرفهم وازالهم (نتناضل) نترامى (البراز) القتال و (الالغاز) جمع لغز وهو الكلام المعمى وألغز اذا عمى كلامه فلم يفهم ما يقصده وأصله من اللغز وهو الجحر الملوى (ما تمالك) ما أبطأ ولا ملك نفسه (شعث) غبر و يروى شعب (من المنضول) أى نقصه وفرقه والمنضول المرمى أى قبح فعلهم ومن اماتهم * الفنجديهى شعث الدهر ماله أى أخذه والمنضول المغلوب

فلما ألقيت الجران بنجران واصطفيت بها الخلان والجيران تخذت أنديتها معتمرى وموسم فكاهتى وسمرى فكنت أتعهدها صباح مساء وأظهر فيها على ماسر وساء فبينما أنا فى ناد محشود ومحفل مشهود اذ جثم لدينا هم عليه هدم فحيا تحية ملق بلسان ذلق ثم قال يا بدور المحافل وبحور النوافل قد بين الصبح لذى عينين وناب العيان مناب عدلين فماذا ترون فيما ترون أتحسنون العون أم تنأون اذ تدعون فقالوا تالله لقد غظت ورمت أن تنبط فغضت فناشدهم الله عما ذا صدهم حتى استوجب ردهم فقالوا كنا نتناضل بالالغاز كما يتناضل يوم البراز فما تمالك ان شعث من المنضول وألحق هذا

الفضل بنمط الفضول فلسنته لسن القوم ووخزوه باسنة اللوم وأخذهو يتنصل من هفوته ويتندم على فوهته وهم مضبون على مؤاخذته وملبون داعي منابذته الى ان قال لهم يا قوم ان الاحتمال من كرم الطبع فعدوا عن اللذع والقذع ثم هلم الى أن نلغز ونحكم المبرز فسكن عند ذلك توقدهم وانحلت عقدهم ورضوا بما شرط عليهم ولهم واقترحوا أن يكون أولهم فأمسك ريثما يعقد شسع أو تشد نسع ثم قال اسمعوا وقيتم الطيش ومليتم العيش وأنشد ملغزا في مروحة الخيش

وجارية في سيرها مشمعلة
ولكن على اثر المسير قفولها
لها سائق من جنسها يستحثها
على أنه في الاحتثاث رسيلها
ترى في أوان القيظ تنطف بالندى
ويبدو اذا ولى المصيف نحولها

ثم قال وها كم يا أولي الفضل ومراكز العقل وأنشد ملغزا في حابول النخل

ومنتسب الى أم
تنشا أصله منها
يعانقها وقد كانت
نفته برهة عنها
به يتوصل الجاني
ولا يلحى ولا ينهى

في النضال والمعنى فاصبر عن تشعيث هم المغلوب ونصره وتخليصه عما أرتج عليه من اللغز ويقال شعثت منه أي عابه وتنقصه وكأنه عاب المنضول كيف ارتج عليه شئ سهل وهذا تفسير حسن الا أن مساق كلام الحريري أدل على التفسير الاول (نمط) نوع (لسنه) أخذه بلسانه (لسن القوم) فصحاؤهم (وخزوه) طعنوه (يتنصل) يتبرأ ويعتذر (هفوته) سقطته (فوهته) كلمته التي فاه بها أي نطق (مضبون) مقيمون ملتزمون وأضب على الشئ لازمه (مؤاخذته) انشاب الشر معه وتواخذ الرجلان أخذ كل واحد منهما صاحبه بضرب أو شتم (ملبون) مجيبون (منابذته) متاركته ومهاجرته وقد نبذت الشئ اذا رميته من يدك (الاحتمال) الصبر على الجفاء (عدوا) انصرفوا وتنحوا (اللذع) احراق القلب باللوم والعتب (والقذع) السب (نلغز) نعمي الكلام ونلبسه على السامع (المبرز) الغالب السابق (ريث) أي بطء (شسع) شراكة النعل * أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لن ينقطع شسع أحدكم الا من ذنب عليه فليستغفر الله وليرجع فانها مصيبة عرضت عليه (والنسع) شراكة مضفورة على هيئة النعال يشد بها الرحل وغيره (وقيتم) كفيتم (الطيش) خفة العقل (مليتم) طول لكم (الخيش) ثياب خشنة من الكتان وهذه المروحة تستعمل ببلاد العراق تكون شبه الشراع للسفينة وتعلق من سقف البيت ويشد فيها حبل ويداربها مشيها وتبل بالماء وترش بماء الورد فاذا أراد الرجل في القائلة أو الليل أن ينام جذبها بحبلها فتذهب بطول البيت وتجيء فيهب على الرجل منها نسيم طيب الريح بارد فيذهب عنه أذى الحرو يستطيب به النوم وهي فوقه ذاهبة وجائية ولذلك سماها جارية و (مشمعلة) سريعة الذهاب (قفولها) رجوعها و (السائق) الشريط الذي يسوقها اذا جذبت به (يستحثها) يستعجلها و (من جنسها) أي هو من كان مثلها أو من قنب و (الاحتثاث) التعجيل (رسيلها) أي مرسلها ويرسل معها الزاوية البيت ويرجع معها والرسيل الفرس يرسل مع آخر في السباق (أوان القيظ) وقت الصيف (تنطف) تقطر ونطف الماء سال وقطر (الندى) الرش الضعيف و (نحولها) يبسها (ولى) أدبر واذا ولى الحر لم يحتج اليها فلا ترش ولا تستعمل فتيبس وللسري الموصلي فيها

ومبثوثة في كل غرب ومشرق * لها أمهات بالعراق بواطن
يحرك أنفاس الرياح حراكها * كأن نسيم الروض فيهن كامن

وله أيضا

وخيش كما انجرت ذيول غلائل * مصندلة يختال فيها الكواعب
وقد أطلعت فيها الشمائل وانثنت * مقيدة عن جانبيها الجوانب

ومما يكتب على مروحة الكف

أنا في الكف لطيفه * مسكني قصر الخليفه
أنا لا أصلح الا * لظريف أو ظريفه
أو وصيف حسن القد شبيه بالوصيفه

وفيها أيضا

انني أجلب الريا * ح وبي يدفع الخجل
وحجاب اذا الحبيب * ثنى الرأس للقبل

(قوله ها كم) أي خذوا (مراكز العقل) مواضعه ومحاله كأن العقل ركز فيهم و (الحابول) حبل يصعد به على النخل يعمل من ليفها وهو حبل يعقد حلقة ويدخل فيها الرجل ويدرجه على النخلة شيأ شيأ عند طلوعه حتى يصير بأعلاها وحبل النخل ليس فيه شئ من الملاسة ولا في النخلة ذلك فله بها استمساك ولذلك جعله معانقا لها الا انه استدار بها وقيل له حابول لانه لا يستعمل الا للصعود على النخيل فرقا بينه وبين الحبل المستعمل لكل شئ ولما كان يصنع من ليف النخل جعل النخلة أمه (برهه) زمانا و (الجاني) الذي يجني الثمر والغز به وأوهم أنه الذي يجني جناية (يلحى) يلام ويسب

(قوله

(قوله العلم) أى الرقم فى الثوب فأراد أنها خفية فى اللغز فعلها الذى تعرف به خفى و (المعتكرة) الشديدة السواد و (مأموم) برأسه آمة أى شجة يريد الشق برأسه و (الامام) أمير المؤمنين وجعله معروفا بالقلم لان القلم يبدى أسرار الملك واخباره فى كتبه وقيل الامام الكتاب من قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بامامهم أى بكتابهم وقيل بنبيهم ولا يمتنع أن يريد بالمأموم المتبع وامامه الذهن الذى يملى عليه أو يد الكاتب به وقيل سماه مأموما لانه يؤم القرطاس أى يقصده و يتبعه والامام كتاب الله سبحانه وتعالى لانه يتبع و يؤتم به و يقتدى بما فيه (باهت) افتخرت و (الكرام) الكتبة لقوله تعالى بأيدى سفرة كرام بررة ولامرتبة أشرف من مرتبتهم بعد الامرة ولذلك قال الصابى

وقد علم السلطان أنى لسانه * وكاتبه الكافى السديد الموفق

أوازره فيما عرا وأمده * برأى يريه الشمس والليل أغسق

فيمناى يمناه ولفظى لفظه * وعينى له عين بها الدهر يرمق

(طيشان صاد) أى جولان عاطش وطاش خف (يعروه) يقصده و (الاوام) العطش يريد أن القلم اذا ارتوى بالمداد أسرع فى الكتابة واذا جف توقف وامسك (يرقن) يحسن ونظر المأمون الى جارية تكتب فقال

وزادت لدينا حظوة حين أطرقت * وفى اصبعيها أسمر اللون أهيف

أصم سميع ساكن متحرك * ينال جسيمات العلا وهو أعجف

وقال العلوى اذا ما التقينا وانتضينا صوارما * يكاد يصم السامعين صريرها

تساقط فى القرطاس منها بدائع * كمثل اللآ لى نظمها ونثيرها

(قوله الواضحة) أى البينة (الفاضحة) أى المبدية لعيب ما قيل قبلها من اللغز و (الميل) المرود و (الاختين) العينين (ليس عليه سبيل) مع أن الجمع بين الاختين لا يجوز (يغش) يدخل لها (مال) عدل وزال عنها و (البعل) الزوج (تعهدا) تفقدا (برا) اكراما يريد أن الابصار عند الكبر يضعف نظرها فتحتاج الى الكحل وقيل عبر بالمشيب عن مرة العين وهو فسادها من ترك الكحل (أولى الالباب) أى أهل العقول (معيار) مقياس يعيربه وتقول عايرت المكاييل اذا قست بعضها ببعض وساويت بينها و (الدولاب) الساعورة و (الجافى) الثقيل يريد أن الدولاب جاف فى نفسه وخلقته وليس بجاف لسرعة حركته ودورانه و (موصول) ليس من عود واحد (وصول) يعنى للرياض بمائه ولهذه المنفعة صنع (قوله ليس بالجافى) يعنى اذا فارق الماء عاد اليه لا يجفوه والجفاء يكون فى الخلقة والخلق يقال رجل جافى الخلقة أى غليظ وجافى الخلق اذا كان كزا غليظ العشرة وجفا الشئ يجفو جفاء لم يلزم مكانه وجفا جنبه عن الفراش لم يطمئن و يجفوه ضد يصله جفوة مرة واحدة وجفاء مصدر عام ورجل وصول كثير الوصل وقال الرصافى فى هذا المعنى فاحسن

وذى حنين يكاد شوقا * يختلس الانفس اختلاسا

اذا غدا للرياض جارا * قال له المحل لا مساسا

يبتسم الروض حين يبكى * باعين ما رأين باسا

من كل جفن يسل سيفا * صار له غمده رياسا

ولابى الفضل بن الاعلم فى قواديس الساقية

ونسك كعبتهم حفرة * من فارق الحفرة يبكيها

حتى اذا ما أنفدوا دمعهم * خروا على رؤسهم فيها

﴿وقال اعرابى فى ساقية﴾

بانت تحن وما بها وجدى * وأحن مشتاقا الى نجد

ثم قال ودونكم الخفية العلم المعتكرة الظلم وأنشد ملغزا فى القلم

ومأموم به عرف الامام كما باهت بصحبته الكرام

له اذ يرتوى طيشان صاد ويسكن حين يعروه الاوام

ويذرى حين يستسعى دموعا يرقن كما روق الابتسام

ثم قال وعليكم بالواضحة الدليل الفاضحة ما قيل وأنشد ملغزا فى الميل

وما ناكح اختين جهرا وخفية وليس عليه فى النكاح سبيل

متى يغش هذى يغش فى الحال هذه وان مال بعل لم تجده يميل

يزيدهما عند المشيب تعهدا وبرا وهذا فى البعول قليل

ثم قال وهذه يا أولى الالباب معيار الآداب وأنشد ملغزا فى الدولاب

وجاف وهو موصول وصول ليس بالجافى

غريق بارز فاعجب
له من راسب طافي
يسح دموع مهضوم
ويهضم هضم متلاف
وتخشى منه حدته
ولكن قلبه صافي
قال فلما رشق بالخمس التي نسق قال يا قوم تدبروا هذه الخمس واعقدوا عليها الخنصر ثم رأيكم وضم الذيل أو الازدياد من هذا الكيل قال فاستفزت القوم شهوة الزيادة على ما أشربوا من البلادة فقالوا الله ان وقوفنا دون حدك ليفحمنا عن استبراء زندك واستشفاف فرندك فان اغمت عشرا فمن عندك فاهتز اهتزاز من فلج سهمه واختزل خصمه ثم افتتح النطق بالبسملة وأنشد ملغزا في المزملة

ومسرورة مغمومة طول دهرها
وما هي تدري ما السرور ولا الغم
تقرب أحيانا لاجل جنينها
وكم ولد لولاه طلقت الام
وتبعد أحيانا وما حال عهدها
وابعاد من لم يستحل عهده ظلم
اذا قصر الليل استلذ وصالها
وان طال فالاعراض عن وصلها غنم
لها مابس باد أنيق مبطن
بما يزدري لكن لما يزدري الحكم

فدموعها تحيا الرياض بها * ودموع عيني أحرقت خدي

(قوله غريق بارز) يريد ان بعضه يغرق في الماء وبعضه يبرز منه وهو معنى (راسب طافي) لانك تقول رسب الشيء في الماء اذا هبط في قعره وسفل فيه وطفا اذا ارتفع على وجه الماء (يسح) يصب (مهضوم ويهضم) ينقص (متلاف) مبذر للمال يريد كثرة أخذه للماء واراقته له (حدته) سرعة جريه لانه ان نشب بأحد في جريه أهلكه و(قلبه صافي) لانه ليس من الحيوان فيعتقد شرا ان أحرج ولابن سعد الخير البلنسي في دولاب

لله دولاب يفيض بسلسل * في روضة قد أينعت أفنانا
قد طارحته بها الحمائم شجوها * فيجيبها ويرجع الالحانا
وكأنه دنف يدور بمعهد * يبكي ويسأل فيه عمن بانا
ضاقت مجاري دمعه عن جفنه * فتفتحت أضلاعه أجفانا

ولبعض أصحابنا

وقدة الحسن في محاسنها * للعين قيد وللحجا شرك
تبكي فتبدي حنين ذي نسك * بعدا لتصابي وما بها نسك
اذا بكت في الرياض من طرب * بدا بوجه الازاهر الضحك
كأن ما انهل من مدامعها * رجوم شهب يقلها فلك

(قوله رشق) أي رمى مأخوذ من رشق السهام يقال رشقت رشقا أي رميت والرشق بالكسر اسم للسهام وهو اسم للهدف الذي يرمونه (نسق) تابع واحدا بعد واحد وكل شيء تبع بعضه بعضا على السواء فهو نسق (ضم الذيل) التشمير * الفنجديهي ضم الذيل كناية عن الاكتفاء بهذه الاحاجي الخمس والسكوت عن طلب الزيادة * ويريد بالازدياد من الكيل أن يزيدهم من حسن الاحاجي (واستفزتهم) استدعتهم واستخفتهم * الزجاج في قوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك أي استدعه لتستخف به الى اجابتك واستفزه ختله حتى ألقاه في مهلكة (أشربوا) سقوا ودوخلوا وخولطوا وكل لون خالط لونا آخر فقد أشربه و(البلادة) التحير في الامر والبليد المتحير الذي لا يدري أين يتوجه * الاصمعي البليد الذي يضرب باحدى يديه على الاخرى من الغم عند المصيبة والبلادة هي الراحة يقال تبلد الرجل اذا تحير وضرب باحدى يديه على الاخرى يريد أن البلادة مشت فيهم وأشربتهم (قوله المزملة) أي الملففة وقد زملت اذا لففت وهي آنية يبرد فيها الماء شبه الخابية تستعمل بارض العراق وتوضع عليها لفائف ثياب خشنة وتغشى بجلد أو ثوب مزين حسن لنظر العين ومن تحته تلك الاغشية الخشنة التي لها السر والحكم في تبريد الماء (ومسرورة) أي محمولة على سرير وهم يجعلون تحتها مرفعا من عود أو حديد ترتفع به عن الارض فهو سريرها وكذلك رأيت خوابي الماء بسجلماسة كلها على أسرة عود وقيل مسرورة مغمومة مغطاة وسر الكمأة ماغطاها من التراب و(الغم) ضد السرور (جنينها) ولدها أراد به الماء و(حال) تغير (عهدها) التفاؤها وقربها (غنم) غنيمة (أنيق) معجب (يزدري) يحتقر وأراد (بالحكم) معنى تبريد الماء وأراد ان ما بدا منها للناظر فهو غشاء حسن يعجب من رآه وهو قد بطن بلفائف غلاظ مستحقرة ولها معنى تبريد الماء وقال السري الموصلي في المزملة

وحافظة ماء الحياة لفتية * حياتهم ان تستلذ المشارب
تسربلها أخفى اللباس وانما * تليق بها أفواهه والسباسب
على جسد مثل الزبرجد لم يزل * يشاكله في لونه ويناسب
اذا استودعت حر اللجين سبائكا * تصوب في أحشائها وهو ذائب

فهذه القطعة وقطعة المقامة تدل على تفسيرنا وبه كان يفسر شيخنا ابن جهور رحمه الله حدثنا بذلك

شيخنا أبو بكر بن أزهر عنه وأما الفنجديهي ففسر المزملة بتفسير غير مرضي وذلك أنه قال المزملة موضع يغطى ويحشى تبنا ويوضع في وسط التبن وعاء في القيظ يبقى الماء باردا ويترك ثقبة في وسط الموضع لدخول الجرة فيها ولهذا قال مسرورة أي مقطوعة السرة وهو من سر الصبي اذا قطعت القابلة سرته (كشر) كشف (أنيابه) أضراسه (الصفر) يريد أنه لا يتعهدها بالسواك فلذلك اصفرت وتلك الصفرة تسمى القلح وقد قال في السادسة والعشرين بحسن ملحه وقبح قلحه (مرهوب) مخوف (الشبا) الحد (نام) زائد والظفر اذا ترك بغير تقليم طال (وما يرعى) يريد أن نمو الخلق وزيادته انما هو بما يتغذى به من الاكل والشرب وهذا يكبر ويزيد من غير غذاء و(العشر) في الظاهر عشر ذي الحجة و(النحر) يوم النحر أي يوم العيد وأراد ان هذا المرهوب الشبا انما يظهر في العشر خاصة فاذا جاء يوم العيد وطول السنة بعد لم يظهر وانما يعني بالعشر الاصابع والنحر العنق أي ان الاظفار خلقت في الاصابع لا في العنق أو يريد أن الظفر يرى في الاصابع العشر لا في عشر النحر من ذي الحجة (قوله تخازر) أي نظر بمؤخر عينيه مستقلا لذلك وهو نظر المحتقر لمن ينظر المنكر عليه و(العفريت) الشيطان المؤذي وهو الرئيس من الجن و(الكبريت) معروف فارسي معرب وطاقاته قضبانه التي تجعل شيأ على شئ وهو الوقود الذي يشعل به المصباح (تقصي) تبعد (جدا) أي كثيرا ويريد بالرأسين طرفي قضيب الوقيد اللذين ينغمسان في الكبريت وجعلهما ضدين لان هذا في طرف وهذا في طرف فقد تباعدا وضد الشئ بعيد عنه وجعلهما مشتبهين لان شكل الطرفين وهما الرأسان شكل واحد و(خضبا) غمسا في الكبريت (وتلغى) تهجر وتترك وقال ابن رشيق

ان كنت تنكر ما منك ابتليت به * فان برسقامي عز مطلبه
أشر بعود من الكبريت نحو في * وانظر الى زفراتي كيف تلهبه

(قوله تخمط) أي تكبر وتهيأ للقول وأصل التخمط للقرم وهو فحل الابل وتخمط تهيأ للهدير وأخذ في الصياح والهجوم على الابل و(حلب الكرم) أراد الخمر لانها تحلب من العنب والحلب اللبن المحلوب يقول الخمر اذا فسدت صارت خلا لخل استعمالها فقد صار غيها وهو فسادها رشدا أي صلاحا وقال أبو بكر بن القنطرية في خمر له فسدت فصارت خلا

أبا حسن اني فجعت بصاحب * أنيس يسلي الهم عند احتلاله
غدت بنت بسطام بن قيس بدنها * وأمست بجسم الشنفرى بعد خاله

قوله غدت بنت بسطام بن قيس أي صهباء لان بسطام بن قيس يكنى أبا الصهباء وقوله وامست بجسم الشنفرى أي خلا لانه يريد قول الشنفرى * ان جسمي من بعد خالي لخل أي مختل وقال آخر في ذلك

حسبتها بنت بسطام لها أرج * ثم اقتضضت ختاما من أبي سلمه

عرض بأبي سلمة الخلال ومن التعريض المركب على هذا المعنى قول الشاعر

وبت مداما تسر الظريفا * فاصبحت تجرع خلا ثقيفا
وصرت مجازا جديب المحل * وقد كنت للطالب الخصب ريفا

وقال آخر

يا عقارا صار خلا * ومـــلاذا للبعوض
سر فمالي فيك حظ * كان ذا قبل الحموض
ما أبالي بعد أكل الزبد من طرح المخيض

(قوله راق أوصافا) أي حسنت أوصافه وحسنها أن توصف بالرقة والصفاء والحمرة والقدم وقوة الفعل يقول فاذا كانت أوصافه معجبة أوقد الشر حيثما حضر فاذا فسدت أوصافه صلح (زكي العرق) كريم الاصل والزكاء النماء والزيادة أي كثير الفضل والخير وأراد أنها شجرة مباركة يكون منها العنب والزبيب والرب ولكنها تلد ولد سوء وهو الخمر وأخذ هذا المعنى من قول الشاعر

ثم كشر عن أنيابه الصفر
وأنشد ملغزا في الظفر
ومرهوب الشبا نام
وما يرعى ولا يشرب
يرى في العشر دون النحـ
ـر فاسمع وصفه واعجب
ثم تخازر تخازر العفريت
وأنشد ملغزا في طاقة
الكبريت
وما محقورة تدني وتقصي
وما منها اذا فكرت بد
لها رأسان مشتبهان جدا
وكل منهما الأخيه ضد
تعذب ان هما خضبا وتلغى
اذا عدما الخضاب ولا تعد
ثم تخمط تخمط القرم
وأنشد ملغزا في حلب الكروم
وما شئ اذا فسدا
تحول غيه رشدا
وان هو راق أوصافا
أثار الشر حيث بدا
زكي العرق والده
ولكن بئس ما ولدا

فان نخرت بآباء لهم شرف * قلنا صدقت ولكن بئس ما ولدوا

أو يريد لذة العنب (قوله اعتضد) جعلها تحت عضده (التسيار) السير و (الطيار) ميزان معروف عندهم يرجحه أيسر شئ فلخفته سمى الطيار وقيل الطيار ميزان الدراهم المعروف عندهم بالقارسطون * القفنجديهي الطيار لسان الميزان (طيشة) خفة (شفه) نصفه وجانبه فيريد بالظاهر وذى حق وخفة أصابه خدر وفالج فيبس جنبه فمال على الجانب الصحيح ومع ذلك لا يرى أبدا الا فى مكان مرتفع عاليا كما يفعل الملك * والحجارة والذهب عنده سواء (والنضار) الذهب ثم قال واذا نظرت اليه نظر كيس حاذق رأيت فى وصفه عجبا حين كان الناس يتراضون بحكمه مع معرفتهم بأنه ناقص الخلقة لا يعدل فى حكمه انما هو ميال مع أحد الخصمين و (العلية) اليد التى يمسك عليها الميزان وقال أبو نواس يلغز

واسم عليه جنى للصبا * وضمه للوصف دوار

فضحت عنه سر كتمانه * وكان من شأنى اظهار

بحذف أول مبتدا الاسمه * ثم يكون الوصف اضمار

فذاك عل فى لعل وفى * قولك فى حارث ياحار

فهو بحذف ذا وترخيم ذا * أح لمن تلذعه النار

الاسم راحة بحذف أول حرف وآخر حرف و يبقى أح وهو قول من لذعته النار وقال آخر

ويلى من الحب ويلاه * ملك قلبى وتناساه

من ثالث العنبر بعض اسمه * ورابع العنبر أولاه

وقوله عند سؤالى له * ما فى اسمه والحافظ الله

الاسم وعبلان وأنشد ابن اسحق النحوى

حلف الحبيب على لا اسميته * فكنيته وأطعت خوف تغاضبه

ظبى اذا ما زارنى حل اسمه * قلبى وذلك من عجيب عجائبه

ويكون ان رخمته وجزمته * وقلبته ما تشتهى من صاحبه

ويكون بعد الجزم ان فكرت فى التصحيف مقلوبا أشد معايبه

الاسم فرحة وأشد معايبه فرج وهو ما يشتهى من صاحبه اذا حذفت الهاء وقال ابن شرف

ما آكل يعطى على أكلة * اعطاء اقلال واكثار

لقسمته قيمتها وحدها * من غير خلف ألف دينار

هو فرج المرأة وله فى المرآة ما يقول الشيخ فى شئ * تراه ويراكا

* ثم لا تلقاه الا * حين لا يلقى سواكا

وله أيضا فى الابرة ضئيلة الجسم لها * فعل متين السبب

حافرها فى رأسها * وعينها فى الذنب

ولغيره فى الميزان وقاض قد قضى فى الارض عدل * له كف وليس له بنان

رأيت الناس قد قبلوا اقضاه * ولا نطق لديه ولا بيان

(وقال العلوى الاصبهانى يلغز فى النسر الواقع)

وركب ثلاث كالا ثافى تغاوروا * دجا الليل حتى أومضت سنة الفجر

اذا اجتمعوا سميتهم باسم واحد * وان فرقوا لم يعرفوا آخر الدهر

(وأنشد الحاتمى فى الخفاش وهو طائر الليل)

أرى علماء الناس لا يعرفوننى * وقد ذهبوا للعلم فى كل مذهب

ثم اعتضد عصا التسيار
وأنشد ملغزا فى الطيار
وذى طيشة شقه مائل
وما عابه بهما عاقل
يرى أبدا فوق عليه
كما يعتلى الملك العادل
تساوى لديه الحصا والنضار
وما يستوى الحق والباطل
وأعجب أوصافه ان نظرت
كما ينظر الكيس الفاضل
تراضى الخصوم به حاكما
وقد عرفوا انه مائل

بجلدة انسان وصورة طائر * وأظفار يربوع وأنياب ثعلب

(وأنشد فى الطائر وظله)

عجبت لطائر فى الحوم طارا * وكانا واحدا فاثنين صارا

فهذا طائر فى الجو يهوى * وذا مستأنس لزم القرارا

(وأنشدوا فى مصراع الباب)

عجبت لمحرومين من كل لذة * يبيتان طول الليل يعتنقان

اذا أمسيا كانا على الناس مرصدا * وعند طلوع الشمس يفترقان

وأنشدوا

فأميت أحيابه الله ميتا * ليخبر قوما أنذروا ببيان

وعجفاء قد قامت لتنذر قومها * وأهل قراها رهبة الحدثان

الميت الاول بقرة بنى اسرائيل والميت الثانى الذى ضرب ببعضها والعجفاء نملة سليمان عليه السلام والالغاز أكثر من أن يأتى عليها الحصر (قوله تهيم) أى تحير والهائم الذى يركب رأسه ويمشى على غير هداية (الاوهام) جمع وهم وهو ما تتوهمه وتتصوره فى نظر مسئلة مشكلة أماخطأ وأماصواب وأراد أن أفكارهم كانت تحير فى نظر ألغازه ولا تهتدى (تجول) تتصرف (المستهام) العاشق الذى ذهب به الحب كل مذهب (حصحص) تبين (الكمد) الحزن والهم (يرندون ولاسنا) يقدحون الزند ولا يظهر لهم ضوء أى تضرب أذهانهم الالغاز فترجع بلا فهم (ويقضون) يقطعون يومهم بامانى لا محصول لها قال على بن أبى طالب رضى الله عنه اياك والمنى فانها بضائع النوكى وتثبط عن الآخرة والاولى وأشرف الغنى ترك المنى * على بن عبيدة الريحانى الامانى حبائل الجهل وقال غيره الامانى تخدعك وعند الحقائق تدعك * وفى ضده أفلاطون التمنى حلم المستيقظ وسلوة المحروم * غيره الامل رفيق مؤنس ان لم يبلغك فقد ألهاك قيل لاعرابى ما امتع لذات الدنيا قال ممازحة الحبيب ومحادثة الصديق وأمانى تقطع بها أيامك وأنشد الثعالبى

ولا تكن عبد المنى فالمنى * رؤس أموال المفاليس

(وقال مسلم بن الوليد)

وأكثر أفعال الغوانى اساءة * وأكثر ما تلقى الامانى كواذبا

(وأنشد أبو تمام فى ضده)

منى ان تكن حقا تكن أحسن المنى * والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

أمانى من ليلى حسانا كأنما * سقتنى بها ليلى على ظما بردا

(ابن المعتز يصف ساقيا)

فظل يناجينى بقلب طرفه * باطيب من نجوى الامانى وألطفا

(غيره)

عللينى بوعد * وامطلى ما حييت به

ودعينى أفوز منك * بنجوى تطلبه

فعسى يعثر الزمان * بحظى فينتبه

(قوله تنظرون) أى تؤخرون (يأن) يحن ويقرب (الخبئ) أى المخبوء المستور يريد ما خبأ لهم فى الشعر من اللغز (استسلام) انقياد (الغبى) أى الجاهل بالشئ (أعوصت) أتيت بعويص وهو الصعب (الشرك) آلة يصاد بها (قنصت) صدت (الغنم) الغنيمة والجائزة (الصيت) الذكر الحسن ينشر فى الناس ويشيع (فرض) قسط وأوجب وألزم (والفرض) العطية (واستخلصه) جعله خالصا (نضا) حاضرا (فتح الاقفال) أى حل الفاظ الالغاز والباسها وكانها لتعميتها كانت عليها أقفال لا غلها بتفسيره و(الاغفال) جمع غفل وهو الشئ المهمل ليس له علامة يعرف بها (وسمها) جعل لها علامة

قال فظلت الافكار تهيم فى أودية الاوهام وتجول جولان المستهام الى أن طال الامد وحصحص الكمد فلما رآهم يرندون ولا سنا ويقضون النهار بالمنى قال يا قوم الام تنظرون وحتام تنظرون ألم يأن لكم استخراج الخبئ أو استسلام الغبى فقالوا له تالله لقد أعوصت ونصبت الشرك فقنصت فاحكم كيف شئت وخذ الغنم والصيت ففرض عن كل معمى فرضا واستخلصه منهم نضا ثم فتح الاقفال ووسم الاغفال

وحاول الاجفال فاعتلق
به مدره القوم وقال له لا لبسة
بعد اليوم فاستنسب
قبل الانطلاق وهبها متعة
الطلاق فاطرق حتى قلنا
مريب ثم أنشد والدمع يجيب
سروج مطلع شمسي
وربع لهوي وانسي
لكن حرمت نعيمي
بها ولذة نفسي
واعتضت عنها اغترابا
أمرّ يومي وأمسي
مالي مقر بأرض
ولا قرار لعنسي
يوما بنجد ويوما
بالشأم أضحي وأمسي
أزجي الزمان بقوت
منغص مستخس
ولا أبيت وعندي
فلس ومن لي بفلس
ومن يعش مثل عيشي
باع الحياة ببخس
ثم انه اختبن خلاصة النض
وندر ضاربا في الارض
فناشدناه أن يعود وأسنينا
له الوعود فلا وأبيك ما رجع
ولا الترغيب له نجع

﴿المقامة الثالثة
والاربعون البكرية﴾

(حكى الحرث بن همام)
قال هفا بي البين المطوّح
والسير المبرّح الى أرض
يضل بها الخرّيت وتفرق
فيها المصاليت فوجدت
ما يجد الحائر الوحيد ورأيت
ما كنت منه أحيد الأبي
شعرت قلبي المزؤد ونسأت
نضوي المجهود وسرت سير
الضارب بقدحين

(وحاول الاجفال) أراد الفرار وأجفل القوم اذا مضوا و(مدره القوم) لسانهم وفصيحهم المتكلم عنهم وأصل المدره المدفاع وقد درهته اذا دفعته (لبسة) شبهة وقد التبس الامر اذا أشكل و(متعة الطلاق) أن يهب الرجل لامرأته شيأ من ماله اذا طلقها ليسليها بذلك عن فراقه لها وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال أكثر المتعة خادم وأقلها ثلاثة أثواب وقال أكثرها خادم وأوسطها ثوب وأقلها ماله ثمن (وهبها) احسبها يقول احسب انشادك لنا متعة وتسلية لفراقك ايانا (أطرق) أمال رأسه وسكت (مريب) صاحب ريبة (والدمع يجيب) يريد ان انشاده دعا دمعه فأجابه وقد قال أبو الطيب * أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل * يريد انه لما وقف على الطلل وهو أثر دار أحبابه هيجه لهم فبكى فالطلل لما دعاه للتذكر أجابه بدموعه (قوله مطلع شمسي) يريد ان سروج هي بلده التي نشأ فيها (ربع) منزل (اعتضت) استبدلت (أمرّ) بجعله مرا (مقر) اقامة (قرار) سكون (عنسي) ناقتي الوثيقة (نجد) ما ارتفع من الارض (الشأم) أخذ من اليد الشؤمى (أزجي) أسوق (منغص) مكدر ويقال نغص عليه أي قطع عليه ما كان يحب الاستكثار منه وكل من قطع شيأ يحب الازدياد منه فهو منغص (مستخس) مستهجن (بخس) نقصان (اختبن) جعله في خبنته وهو طرف ثوبه (النض) الدراهم والدنانير (الخلاصة) ما خلص له منه وصفا (وندر) سبق * وذهب (ضاربا في الارض) مسافرا يقال ندر وطار مثل النواة اذا طارت من تحت المرضخ وشبهها (ناشدناه) حلفناه (يعود) يرجع (أسنينا) عظمنا وجعلناها سنية أي رفيعة و(الوعود) جمع وعد وهو ما يعد به من الخير (الترغيب) الاطماع وقد رغبته في الشيء اذا زينته له وطمعته فيه و(نجع) نفع وقد نجع فيه الطعام اذا أبان أثره في جسمه

(شرح المقامة الثالثة والاربعين وهي البكرية)

(هفا) أي طار وخف (المطوح) المبعد المشفي على الهلاك وقد طوحت بالشيء اذا رميت به وألقيته القاء منكرا (المبرح) الشاق المتعب وقد برح الامر اذا اشتد (يضل) يتحير ويتلف (الخريت) الدليل وقيل هو من خرت الابرة كأنه يحسن الدلالة ويهتدي على مثال خرت الابرة وهو ثقبها (تفرق) تفزع (المصاليت) الشجعان الماضون في الحروب واحدهم مصلات قال الفراء انصلت المسرع من كل شيء وجمعه مصالت ومصاليت (أحيد) أميل عنه (المزؤد) المفزع وقد زئد الرجل فزع (نسأت) ضربت بالمنسأة وهي العصا (نضوي) بعيري (المجهود) المتعب (قدحين) سهمين وكان الرجل في الجاهلية يمسك ثلاثة أقداح على أحدها مكتوب أمرني ربي وعلى الثاني نهاني ربي والثالث غفل لا شيء عليه وهو المنيح واذا أراد سفرا أو أمرا ضرب بها فان خرج له أمرني ربي مضى آمنا وان خرج له نهاني ربي ترك ذلك الامر وان خرج له الغفل أعاد الضرب وقيل كان يمسك قدحين مكتوب على أحدهما افعل وعلى الثاني لا تفعل فان خرج افعل مضى وان خرج لا تفعل ترك وقيل كان لا يمضي حتى يخرج له افعل ثلاث مرات ولا يترك المضي حتى يخرج له لا تفعل ثلاث مرات فان خرج له مرة افعل ومرة لا تفعل ولم يخلص له أحدهما اقام ومضى في ذلك الامر وهو يرجو ويخاف وهذا هو الذي أراد الحريري لانه كان بين الرجاء والخوف ولما قتل حجر أبو امرئ القيس أخذ امرؤ القيس أزلامه وهي القداح وأتى ذا الخلصة وهو صنم لدوس وخثعم وبجيلة فاستقسم عندها بالازلام فخرج له القدح الذي يكره فأخذ الازلام وكسرها وضرب بها وجهه صنمها وقال

لو كنت يا ذا الخلصة الموتورا * مثلي وكان شيخك المقبورا * لم تنه عن قتل العداة زورا

وحكى الفنجديهي قال الضارب بقدحين يعني به قول الناس اما الغنم واما الغرم واما الملك واما الهلك قال الشاعر

ضربت بها البيت ضرب القدا * ح اما لهذا واما لذا

والقدح

والقدح السهم قبل أن يراش ويركب نصله وحكى ابن ظفر أن الأزلام سبعة قداح مكتوب على أحدها نعم وعلى الآخر لا وعلى قدح منكم وعلى قدح من غيركم وعلى قدح ملصق وعلى قدح العقل وعلى قدح فضل العقل وكانت بيد سادن الاصنام فيأتيه ذوا الحاجة بدراهم فيسأل الصنم أن يوضح له ما سأل عنه ثم يضرب بالقداح فان أتى سائل عن تزويج أو سفر أو شبه ذلك مما يستشار فى مثله ضرب له بالقدحين اللذين عليهما نعم ولا فان خرج نعم مضى على فعله وان خرج لا ترك ذلك فان انتسب رجل الى قبيلة ضرب له بالاقداح الثلاثة التى فيها منكم من غيركم ملصق فان خرج منكم أضافوا نسبه الى أنفسهم وان خرج من غيركم كان حليفا وان خرج ملصق لم يكن له حلف ولا نسب فان أتى سائل عن قتيل أو جناية ضرب بالقدحين اللذين عليهما العقل فان خرج على قوم العقل برئ منه الآخرون وان عقلوا ففضل شئ فان اختلفوا فيه ضرب بالقدح الذى عليه فضل العقل فان خرج عليه أداه ومعنى الاستقسام بها الرضا بالقسمة بينهم من الامر والنهى والبراءة والوجوب وسهام الميسر عشرة ثلاثة يتكثر بها لا أنصباء لها وسبعة لها أنصبا فأولها الفذ وفيه فرضة واحدة وله نصيب واحد والثانى التوأم وفيه فرضتان وله نصيبان ثم الرقيب وفيه ثلاث فرض وله ثلاثة أنصباء ثم الحلس بأربع والنافس بخمس والمسبل بست والمعلى وهو أعلاها بسبع فرض وعلى عدد الفرض هى الانصباء وقال ابن لبال لجمعها فى بيت

فذ وتوأم والرقيب ونافس * والحلس ثمت مسبل ثم المعل

واسم الثلاثة التى يتكثر بها الفسيح والمنيح والوغد فاذا أرادوا الضرب بها طلبوا أول رجل يلقونه فشدوا عينيه ويسمونه الحرضة وأقاموا له الرقيب وضرب فكلما خرج له قدح دفعه الى الرقيب والرقيب هو الامين على الضرب بالقداح قال الشاعر

لها خلف أذنابها أزمل * مكان الرقيب من الياسر

وكان أهل اليسار والجود من الجاهلية عند شدة الزمان ينحرون الجزور ويقسمونها ويضربون عليها بالقداح فمن خرج نصيبه لاهل الميسر والقمار يكنى عنه بالميسر وأصل الميسر موضع نحر به الجزور والياسر الجازر وتقسم الجزور عشرة أجزاء العضدان فى الكتفين جزآن وهما أبناء ملاط والعجز والزور جزآن والكاهل والملحاء عليهما الجنب بنصفين جزآن والوركان عليهما الذراعان جزآن والفخذان وعليهما العنق مقسوما جزآن وبقى جنب وهم يستأثرونه وقد لا يستأثرونه فيردمنه على جزء الكاهل ضلعان وعلى سائرها ضلع ضلع فان فضلت قطعة أو عظم سمى الزيم قال الشاعر

وكنت كعظم الزيم لم يدر جازر * على أى أدنى مقسم اللحم يجعل

وقال الاصمعى فى الميسر انه شئ كانت الجاهلية تفعله فايس عندنا منه حقيقة (قوله المستسلم للحين) أى المنقاد للهلاك (الوخد) نوع من السير وهو أن ترجم الارض بقوائمها السرعة سيرها و(الذميل) سير لين (تجب) تسقط للمغيب (ارتعت) فزعت (لاظلال) لقرب ودنو (اقتحام) دخول الشئ على غرر و(حام) هو ابن نوح وقد تقدم فى الحادية والعشرين وأراد بجيش حام ظلام الليل لان حاما أبو السودان (أكفت) أقبضه وأشمره (أرتبط) أربط بعيرى (أعتمد) أقصد (أختبط) أمشى على غير هداية وأراد أنه لا يدرى ما يفعل أينزل ويبيت أم يسير فى الليل على غرر (العزم والحزم) اجتماع رأى الرجل على ما يريد أن يفعله فلا يتردد فيه (أمتخض) أحرك وأحلب وأراد أنه أخذ يحدث نفسه ويدبر رأيه هل يسرى أو يقعد (تراءى) أى ظهر (مستذر) مستعل والذروة أعلى الشئ أراد أنه ظهر له شبح جمل أى شخصه فى أعلى جبل (قعدة) بعير يقعد عليه عند الركوب (مريح) مستريح قد نزل يريح نفسه وبعيره (مشيح) مجد (والقعدة) المركوب و(العيرانة) الناقة الصلبة تشبه بالعير وهو حمار الوحش و(ازدمل) التف (بجاده) بكسائه (هب) انتبه (ازدهر)

المستسلم للحين ولم أزل بين وخد وذميل واجازة ميل بعد ميل الى ان كادت الشمس تجب والضياء يحتجب فارتعت لاظلال الظلام واقتحام جيش حام ولم أدر أأكفت الذيل وأرتبط أم أعتمد الليل واختبط وبينا انا أقلب العزم وأمتخض الحزم تراءى لى شبح جمل مستذر بجبل فتزجيته قعدة مريح وقصدته قصد مشيح فاذا الظن كهانة والقعدة عيرانة والمريح قد ازدمل ببجاده واكتحل برقاده فجلست عند راسه حتى هب من نعاسه فلما ازدهر

انفتح وأضاء (سراجاه) عيناه (فاجاه) أتاه على غفلة (المريب) الذى أتى ريبة (أخولك أم الذيب) مثل كأنه خاطب نفسه فقال أأخولك هو الذى رأيت أنى لو انتسبت أم ذئب لا اذا يتل ونص من الكلام ان الاستفهام وقع بالذى رآه فكأنه قال له ياهذا أأخ انت أم صاحب فاركن اليك أم عدو فاحذرك فأجابه بأن قال له (بل خابط ليل) أى ماش فيه على جهالة (ضل المسالك) أخطأ الطريق (أضئ لى) اكشف لى عن حالك (أقدح لك) أكشف لك عن حالى وهذا أيضا مثل وفى هذا التباس لانه اذا أضاء له أى اعطاه ضوءه أو أظهره له فأى حاجة له فى القدح وهو الضرب بالزند ليخرج ناره وانما معناه أن رجلا كان طلب لا آخر ضوأ مثل فتيل يوقده فتخيل من صاحبه أنه لا يعطيه فقال له أضئ لى أى أعطنى ضوأ فليس عليك فيه تكلف فانك ان أتيتنى فى مثلها فلم تجد لى ضوأ قدحت لك زندى وتكلفت لك ذلك ثم استعمل فيمن يطلعك على أمره فتطلعه من أمرك على ماهو أفيد مما أطلعك عليه فمعناه أطلعنى على ظاهر أمرك أطلعك على باطن أمرى وروى أكدح لك قال أبو زيد اذا طلب الرجل الى الرجل حاجة فلم يعرف وجهها قال أضئ لى أكدح لك أى بين لى فأكدح لك أى أسعى لك وكدح لمعيشته سعى واكتسب وأضئ أسرج * الفنجديهى أضئ لى أكدح لك مثل يضرب فى المساواة بالافعال والمعنى كن لى أكن لك واسع لى أسع لك والمراد به كن لى أكثر مما أكون لك لان الاضاءة أكثر نفعا من القدح ويقال معناه تول الامر الهين أتول الامر الصعب (ليسر) ليزل وليذهب سرى عرق الشجرة يسرى دب تحت الارض وسرى يسرى سار (رب أخ لك لم تلده أمك) معناه قد وجدت منى صديقا يقوم لك مقام شقيقك وأصل المثل ان لقمان بن عاد رأى امرأته قد خلا بها رجل وهى تلاعبه ويلاعبها ومعها صبى صغير يبكى وهما قد أقبلا على شأنهما لا يكترثان به فسألها عن الرجل فقالت هو أخى فقال رب أخ لك لم تلده أمك يكذبها فى قصدها أى هو أخوك بالمحبة والصداقة لا بالولادة وقال فى الدرة حكى ابن نصر الكاتب أن أبا العباس بن ياسر دخل عليه رجل نصرانى ومعه فتى من أهل ملته حسن الوجه فقال من هذا الفتى فقال له بعض اخوانى فانشد أبو العباس

دعتنى أخاها أم عمرو ولم أكن * أخاها ولم أرضع لها بلبان
دعتنى أخاها بعدما كان بيننا * من الامر مالا يصنع الاخوان

وقالوا فى هذا المعنى رب بعيد أقرب من قريب وقالوا القريب من قرب نفعه وقال أبو تمام

ولقد سبرت الناس ثم خبرتهم * وبلوت ماوصفوا من الاسباب
فاذا القرابة لا تقرب قاطعا * واذا المودة أقرب الانساب

وقال ابن ميادة

وانى لزوار لمن لا يزورنى * اذا لم يكن فى وده بمريب
تقرب لى دار الحبيب وان نأت * وما دار من أبغضته بقريب
فلا تطلبن القرب والبعد بعدها * الى غير نيات وغير قلوب

وقال آخر

أخو ثقة يسر ببعض شأنى * وان لم تدنه منى قرابه
أحب الى من ألفى قريب * بنات قلوبهم لى مسترابه

وقال ابن هرمة

هش اذا وقف الوفود ببابه * سهل الحجاب مؤدب الخدام
فاذا رأيت صديقه وشقيقه * لم تدر أيهما أخو الارحام

(انسرى) زال وذهب وسروت الثوب عنى اذا جردته (اشفاقى) خوفى (سرى الوسن) اقبل النوم (آماقى) آخر عينى والموق طرف العين من جهة الانف (قوله عند الصباح يحمد القوم السرى) مثل ومعناه اذا سرى القوم بالليل قطعوا أرضا كثيرة والارض تطوى بالليل لمن غشيها فاذا أصبح حمد راسيرهم وهذا المثل بيت من رجز وقع فى شعر الشماخ وذلك انه سافر فى قوم من بنى ثعلبة فشوا

سرجاه وأحس عن فاجاه
نفر كما ينفر المريب
وقال أخولك أم الذيب
فقلت بل خابط ليل ضل
المسالك فأضئ لى أقدح لك
فقال ليسر عنك همك
فرب أخ لك لم تلده أمك
فانسرى عند ذلك اشفاقى
وسرى الوسن الى آماقى
فقال عند الصباح يحمد
القوم السرى فهل ترى كما
أرى

حتى

حتى اذا كانوا قريبا من تيماء قال الشماخ لابن أخيه انزل فاحد بنا فنزل فحدا بهم ثم نزل القوم للحداء واحدا بعد واحد فوقعت أراجيزهم فى ديوان الشماخ فنسبت اليه وأول الرجز

طاف خيال من سليمى فاعترى * بنجد او تيماء أو وادى القرى * فمنع النوم ومنى بالمنى

وفى آخره عند الصباح يحمد القوم السرى * وتنجلى عنهم غيابات الكرى

قال المفضل الضبى أول من قال ذلك خالد بن الوليد لما بعث اليه أبو بكر رضى الله عنه وهو باليمامة أن ينزل الى العراق فأراد سلوك المفازة فقال له رافع الطائى قد سلكتها فى الجاهلية وهى خمس للابل الواردة وما أظنك تقدر عليها الا أن تحمل من الماء فاشترى مائة شارف فعطشها ثم سقاها الماء حتى اذا مضى يومان وخاف العطش على الناس والخيل وخشى أن يذهب ما فى بطون الابل نحرها واستخرج ما فى بطونها فسقى الناس والخيل ومضى فلما كان فى الليلة الرابعة قال رافع انظروا هل ترون سدرا عظيما فان رأيتموها والا فهو الهلاك فنظر الناس فرأوها فأخبروه فكبر وكبر الناس ثم هجموا على الماء فقال خالد

لله در رافع أنى اهتدى * فوز من قراقر أنى سرى

خمسا اذا سار بها الخيس بكى * ما سارها من قبله انس سرى

* عند الصباح يحمد القوم السرى *

ويقال فوز اذا ركب المفازة وقراقر اسم قرية من اليمن والخيس الجبان الضعيف وقيل الثقيل قال أبو عبيدة والخمس ان تشرب الابل يوم وردها وتصدر يومها فتظل بعد ذلك اليوم من الماء ثلاثة أيام سوى يوم الصدر وترد اليوم الرابع فذلك الخمس (قوله حذائك) أى نعلك (صدع) كشف واظهر (وبخبخ) قال بخ بخ وهى كلمة تقال عند الاعجاب (مجدين) مجتهدين (مدلجين) ماشين بالليل (نعانى) نقاسى (الكرى) النوم (رايته) اراد ضوءه (أسفر) أضاء (الفاضح) من اسماء الصبح سمى بذلك لانه يفضح الاشياء أى يظهرها (واضح) بين يريد أن الصبح كشف ما ستره الليل فاستبان كل شئ (توسمت) نظرت * الفنجديهى واضح نجم والنجم الذى يرى بعد الصبح مضيأ فى كثير من الاوقات وهو الزهرة * ابن سيده الواضح الكواكب الخمس اذا اجتمعت مع الكواكب المضيئة من كواكب المنازل والخنس الراجعة والمتأخرة والمقبضة (رحلتى) ارتحالى (والسمير) محادثك بالليل (مطلب الناشد) أى حاجة الطالب التى تلفت له فجعل يطلبها (معلم الراشد) دليل الهادى والمعلم الجبل يعلم به الطريق (فتهادينا تحية المحبين) أى أهديته سلام محب وأهدى لى مثل ذلك (تباثثنا) تكاشفنا أى كشفت له سرى وكشف لى سره (تناثثنا) تفاشينا أى أفشيت له خبرى وأفشى لى خبره والبث أصله التفريق والنث بالنون أصله نشر الحديث وافشاؤه * الفنجديهى تناثثنا تذاكرنا والنث الذكر ونثوت الذكر ونثوت الحديث أنثوه اذا أذعته وأفشيته ابن الاعرابى النثاء فى الحسن والقبيح من الكلام وقيل النث نشر الحديث الذى كتم أولى من نشره وفى معنى هذا اللقاء قال المعرى

ولولم ألق غيرك فى اغترابى * لكان لقاؤك الحظ الجزيلا

ستحمل ناجيات العيس منى * صديقا عن ودادك لن يحولا

يؤمل فيك اسعاف الليالى * و ينتظر العواقب أن يديلا

(ينحط) يزفر و يتنفس من شدة التعب والنحط خروج النفس بصوت وهو صوت يعترى المهموم والمتعوب من صدره بتوجع وقد نحط ينحط نحطا ونحيطا والنحيط يعترى الدابة اذا كانت أو زيد فى حملها فتسمع لها زفيرا بصوت فذلك هو النحيط وقد نحط القصار اذا ضرب بالثوب على الحجر وتنفس ليكون أروح له (ترف) تسرع والزفيف مشى فى سكون متتابع (والرأل) فرخ النعامة والجمع الرئال (أسرها) قوتها وشدة خلقها (امتداد) طول (استشف) انظر (جوهرها) خلقها وجوهر كل

فقلت انى لك لأطوع من حذائك وأوفق من غذائك فصدع بمحبتى وبخبخ بصحبتى ثم احتملنا مجدين وارتحلنا مدلجين ولم نزل نعانى السرى ونعاصى الكرى الى أن بلغ الليل غايته ورفع الفجر رايته فلما أسفر الفاضح ولم يبق الا واضح توسمت رفيق رحلتى وسمير ليلتى فاذا هو أبو زيد مطلب الناشد ومعلم الراشد فتهادينا تحية المحبين اذا التقيا بعد البين ثم تباثثنا الاسرار وتناثثنا الاخبار وبعيرى ينحط من الكلال وراحلته ترف زفيف الرال فاعجبنى اشتداد أسرها وامتداد صبرها فاخذت أستشف جوهرها وأسأله من أين

فخيرها فقال ان لهذه الناقة خبرا حلو المذاقة مليح السياقة فان أحببت استماعه فأنخ وان لم تشأ فلا تصخ فأصخت القوله نضوى وأهدفت السمع لما روى فقال اعلم انى استعرضتها بحضرموت وكابدت فى تحصيلها الموت

وما زلت أجوب عليها البلدان وأطس باخفافها الظران الى ان وجدتها عبر أسفار وعدة فرار لا يلحقها العناء ولا ترهقها وجناء ولا أدرى ما الهناء فأرصدتها للخير والشر وأحللتها محل البر السر فاتفق ان ندت مذ مدة ومالى سواها قعدة فاستشعرت الاسف واستشرفت التلف ونسيت كل رزء سلف ومكثت ثلاثا لا أستطيع انبعاثا ولا أطعم النوم الا حثاثا ثم أخذت فى استقراء المسالك وتفقد المسارح والمبارك وأنا لا أستنشى منها ريحا ولا أستغشى بأس مريحا وكلما ادكرت مضاءها فى السير وانبراءها لمباراة الطير لاعنى الادكار واستهوتنى الافكار فبينما أنا فى حواء بعض الاحياء اذ سمعت من شخص متبعد وصوت متجرد من ضلت له مطية حضرمية وطية جلدها قد وسم وعرها قد حسم وزمامها قد ضفر وظهرها كان قد كسر ثم جبر تزين الماشية وتعين الناشية وتقطع المسافة النائية وتطل أبدا لك مدانية لا يعتورها الونى ولا يعترضها الوجى ولا تحوج الى العصا ولا تعصى فمن عصى قال أبوزيد فاكثر

شئ ما وضعت عليه حبالته (أنخ) حط بعيرك وانزل (تصخ) تستمع (نضوى) بعيرى المهزول (أهدفت) جعلته غرضا يقع فيه كلامه (والسمع) الاذن والهدف الغرض ترمى عليه (استعرضتها) طلبت أن تعرض على للبيع (حضرموت) كورة من كور اليمن فيها مدائن وتعمل بها النعال الحضرمية وهى غاية فى الجودة (كابدت) قاسيت (أجوب) أقطع (أطس) أكسر والوطس الوطء الشديد المؤثر (الظران) واحدها ظرر بظاء منقوطة وراءين وهى الحجارة العريضة وقيل المحددة (عبر أسفار) أى قوية على السفر كأنها تعبر بها المراحل أى تقطع وأصله عبرت فى النهر اذا جزته من جهة الى جهة أخرى (فرار) أى قد استعدت للفرار والهرب (العناء) التعب (ترهقها) تدانيها وتقاربها وقد أرهقت الرجل اذا دانيته وذلك أن يذهب أمامك فتتبعه فاذا قربت منه قلت رهقته فاذا أدركته قلت أرهقته ورواية ابن جهور تواهقها بالواو ومعناها تواظب على المشى معها والمواهقة المعارضة فى السير (وجناء) ناقة قوية غليظة والوجين ما صلب من الارض وقيل الوجناء العظيمة الوجنات (والهناء) القطران أى ليس بها داء فتحتاج اليه فهى لا تعرفه (أرصدتها) أعددتها (البر) الذى يبرك ويكرمك (السر) ما يسرك (ندت) فرت وشردت (استشعرت) لبست (الاسف) الحزن (استشرفت التلف) عاينت الهلاك ونظرته واستشرفت فلانا اذا رفعت رأسك لتنظر اليه ويدك على حاجبك (والرزء) فقد الشئ (سلف) مضى (مكثت) أقمت (انبعاثا) نهوضا وخروجا الى السفر (حثاثا) قليلا والحثاث أن يصيبك النوم ثم يزول عنك فى الحال ويوصف به فيقال يوم حثاث أى قليل والطعم الذوق (استقراء) تتبع (المسالك) الطرق (المسارح) المراعى وحيث تسرح الابل (والمبارك) مراقد الابل حول الماء * استنشاء الريح شمها مهموز وغير مهموز (استغشى) ثوبه تغطى به (اليأس) قطع الرجاء (مريحا) يدخل على صاحبه الراحة (ادكرت) تذكرت (مضاءها) نفاذها واسراعها (انبراءها) نهوضها وقد انبرى لك فلان اذا عرض لك (مباراة) معارضة (لاعنى) أحرقنى واللوعة حرقة القلب من شدة الوجد (استهوتنى) هوت بى فى كل طريق (الافكار) تذكر الهموم (قوله حواء) بيوت مجتمعة مائتان أو نحوها (الاحياء) القبائل (متجرد) ماض ظاهر وقيل ضعيف لبعده (ضلت) تلفت وضاعت (مطية) يعنى بها نعلا فى المعنى وناقة فى اللفظ وقد تقدمت أشعار اللغز بهما (وطية) لا تحرك الراكب وهى الذلول وفراش وطىء وثير لا يؤذى جنب النائم عليه * وعلى من ضلت له مطية (٣) فى حديث عتبة بن غزوان عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا ضل أحدكم شيأ أو أراد غوثا وهو بأرض ليس بها أحد فليقل يا عباد الله المسلمين أعينونى يا عباد الله المسلمين أعينونى فان لله عبادا لا تراهم وقد جرب ذلك (وسم) خرز أى جعل الخرز فيها كالعلامة (عرها) جربها (حسم) استؤصل بالقطع يريد أن آثار الجرب التى كانت فى الجلد الذى صنعت منه هذه النعل قد قطعت وأزيلت (وزمامها) شركها (كسر ثم جبر) يريد ان ظهرها يبس فتكسر فوصل بجلد آخر فصح و(الماشية) الرجل التى تمشى فيها وكذلك (الماشية) ويقال نشأ الرجل اذا نهض لحاجته ونشأ أيضا وسهل الناشئة لاجل الماشية وأصلها الهمز فتجى تعين الناشية أى تعين على السير فى ناشئة الليل قال ابن عرفة كل ساعة قام فيها قائم من الليل ناشئة الازهرى ناشئة الليل قيام الليل مصدر جاء على فاعلة بمعنى النشء كالعافية والخاتمة بمعنى العفو والختم وقيل الناشئة والنشيئة أن تنام من أول الليل ثم تقوم وقيل الناشئة أول النهار وأول الليل

قوله وعلى من ضلت له مطية فى حديث الخ كذا بالاصل الذى بايدينا ولعل فيه سقطا والاصل وعلى من ضلت له مطية ان يقول ما فى حديث الخ أو نحو ذلك اه مصححه

نجـذبني الصوت الى الصائت وبشرني بدرك الفائت فلما أفضيت اليه وسلمت عليه قلت له سلم المطية وتسلم العطية فقال وما مطيتك غفرت خطيئتك قلت له ناقة جثتها كالهضبة وذروتها كالقبة وحلبها مل العلبة وكنت أعطيت بها عشرين اذ حلات بيبرين فاستزدت الذى أعطى ودريت انه أخطا قال فأعرض عنى حين سمع صفتي وقال لست بصاحب لقطتي فأخذت بتلابيبه وأصررت على تكذيبه وهممت بتمزيق جلابيبه وهو يقول ياهذا ماطيتي بطلبتك فاكفف عنى من غربك وعدّ عن سبك والافقاضني الى حكم هذا الحى البرىء من الغى فان أوجبها لك فتسلم وان زواها عنك فلا تتكلم فلم أر دواء قصتي ولا مساغ غصتي الا ان آتي الحكم ولو لكم فانخرطنا الى شيخ ركين النصبة أنيق العصبة يؤنس منه سكون الطائر وأن ليس بالجائر فادرأت أتظلم وأتألم وصاحبي مرم لا يترمرم حتى اذا انثلت كنانتي وقضيت من القصص لبانتي أبرز نعلا رزينة الوزن محذوة لمسالك الحزن وقال هذه التى عرفت واياها وصفت فان كانت هي التى أعطى بها عشرين وهاهو من المعصرين فقد كذب في دعواه وكبر ما افتراه اللهم الا ان يمد قذاله ويبين مصداق ما قاله فقال الحكم

وأكثر المفسرين على ان ناشئة الليل أوله عاصم يهمزه والباقون لا يهمزون (جذبني) ساقني بعنف (الصائت) صاحب الصوت الذى سمع وقد أصات اذا رفع صوته (درك الفائت) لحوق التالف (أفضيت) وصلت (تسلم) خذ (جثتها) جسدها والجثة شخص القائم والقاعد والراكب (والهضبة) الصخرة العظيمة وقيل الجبل المنبسط الاملس (ذروتها) أعلى ظهرها والعلبة اناء من جلود (يبرين) أرض فيها رمل (أضرب) نحى وجهه (واللقطة) ما تجده قد سقط من غيرك فتلتقطه وعامة أهل اللغة على فتح قافها مثل أبي عبيدة ويعقوب والمفضل وثعلب وابن قتيبة وغيرهم وحكى ابن خالويه ان تسكينها لغة تميم وفتحها لغة أهل الحجاز فهما لغتان قال النبي صلى الله عليه وسلم من التقط لقطة فليشهد ذا عدل ثم لا يكتم ولا يغيب فان جاء صاحبها فهو أحق بها والا فهو مال الله يؤتيه من يشاء (تلابيبه) أطواق ثوبه والتلبيب الجيب وأخذت بتلبيب فلان اذا جمعت ثوبه الذى حوالى صدره وقبضت على نحره والجلباب الملحفة والرداء (أصررت) أقمت (تمزيق جلابيبه) تخريق ثيابه (بطلبتك) بما تطلب والطلب اسم ما تطلب ابن دريد فلان طلبة فلان اذا كان يطلبها ويهواها (عدّ) كف واصرف (سبك) شتمك (قاضني) حاكمني (الحى) القبيلة (الغى) الضلال والفساد (زواها) نحاها (قوله مساغ غصتي) أى بلع ما أختنق به وساغ الطعام والشراب فى الحلق سهل نزوله فيه (لكمه) يلكمه ضربه بجمع كفه (انخرطنا) سرنا مسرعين (ركين النصبة) وقورا هيئة وفلان ركين بين الركانة أى ثقيل المجلس ثابت قوى الازهرى يقال للرجل اذا كان وقورا ساكنا انه لركين وقد ركن ركانة الجوهرى يقال جبل ركين أى له أركان عالية فيحتمل على هذا المعنى أن يكون ركين النصبة عالى الانتصاب حسن القامة والنصبة الفعلة من الانتصاب وأراد بها هيئة انتصابه فى جلوسه وحالته (أنيق) معجب (العصبة) هيئة العمامة على رأسه تقول عصبت رأسى بالعمامة اذا شددته بها والعصبة هيئة التعمم يقول ان هذا الشيخ الحاكم رزين فى جلوسه حسن التعمم والهيئة (يؤنس) يبصر (سكون الطائر) كناية عن الوقار والحلم وانما ذكر الطائر لانه لا ينزل الاعلى ساكن واذا نزل عليه سكن هو فاذا كان عند الرجل هوج وطيش قيل طارت عصافيره فاذا كان القوم أهل وقار قيل كان على رؤسهم الطير (اندرأت) اندفعت (أتظلم) أشتكى الظلم (أتألم) أتوجع (مرم) ساكت (لا يترمرم) لا يجيب ولا يتحرك وتكلم فما ترمرم أى ما أجاب وأصل ترمرم تحرك (نثلت كنانتي) أخرجت مافيها من السهام وأراد أتممت كلامي (وقضيت) أتممت و(القصص) ذكر الخبر (لبانتي) حاجتي (أبرز) أظهر (رزينة) ثقيلة (محذوة) جعل عليها الحذاء وهو الجلد الذى تنعل به (مسالك) طرق و(الحزن) ما غلظ من الارض (عرّفت) صحت بها ليعرفها صاحبها (ما افتراه) ما جاء به من الادعاء والكذب (قذاله) عنقه والقذال ما بين نقرة القفا الى الاذن وجمعه قذل يقول فان كانت هذه النعل تساوى عشرين وهاهو يبصر أن هذا باطل فقد صارت دعواه باطلة اللهم الا أن يمد عنقه ويأتي ببيان انها تساوى عشرين الى هذا التفسير رأيت أكثر من لقيت يذهب وهو ضعيف ولا يكون لمد قذاله معنى ولا لما بعده والتفسير الحسن الذى فيه جلاء للمعنى ما كان يفسره به شيخي أبو بكر بن أزهر عن ابن جهور وذلك انه كان يفسر أعطى بمعنى صفع وضرب وكذلك كتب عليه فى طرة كتابه ان أعطى بمعنى ضرب لغة أهل الشرق وقد حدثنا عنهم ان الرجل اذا كلم الآخر بما لا يرضيه ثم انصرف عنه صاح الآخر فى اثره أعطه بمعنى اصفعه وهى لفظة متعارفة بينهم لهذا المعنى وبيان موقعها هنا انه لما ادعى السروجي انه أعطى بناقته عشرين فوصفها بما يصح معناه فى حقها من أنها تساوى عشرين ثم قال ان المعرف أبرز نعلا رزينة الوزن أى ثقيلة فى الميزان محذوة لمسالك الحزن أى قد جعل عليها احذاء أى رقع من الجلد طرقت بها ليسلك بها الحزن أى ليمشى بها فى أرض ذات حجارة فلا تؤثر فيها التلك الاطراف وبتلك الاطراف صارت ثقيلة فى الوزن

فلما أبرز هذه النعل التى هذه صفتها رفعها بيده الى الحاكم قائلاله هذه النعل التى عرفت واياها وصفت فان كانت هذه النعل التى أعطى بها عشرين أى صفع بها عشرين فقلب الاعطاء للنعل بمعنى يوافقها اذ عد عشرين دينارا فى ثمنها بعيد ثم بينه بقوله وها هو من المبصرين والضرب الجافى فى العنق تدمع له العينان واذا أفرط فيه عمى له المصفوع فيقول المعرف هذه النعل لو صفع بها انسان صفعة واحدة لعمى وهذا يقول انه صفع بها عشرين وهو سالم البصر فقد كذب فى ادعائه أنه صفع بها عشرين وكبرت فريته اللهم الا أن عدقفاه فيرى بها فيها أثر الصفع وأثره احراره وتحجيره فيتبين بذلك الاثر صدق قوله فهكذا تفسير هذا الموضع ومعناه وابن جهور الذى شافه الحريرى بمشكلات كتابه كان أضبط لها ممن يتحكم فيها بنظره فيكون تخليص المعنى ان المعرف يقول هذه النعل يدعى هذا انه أعطى بها عشرين وأنتم ترونه سالم البصر ومحال أن يصفع بها انسان لخشنها وثقلها عشرين صفعة الا ويعمى فقد صارت دعواه كاذبة الا أن عدلنا عنقه فترى فيها أثر الصفع والرزء فنصدقه فى دعواه وفى رواية غير ابن جهور بعد المبصرين فقال كذب دعواه وهو داخل فى قول المعرف الاول فلا يحتاج الى ادعائه ولوجاء هنا بثم مكان الفاء لكان أبين فكان يعنى قوله قال ثم يثنى فى كلامه ثم ينسق عليه قال لكلام ثان واغا وضع الفاء موضع ثم لان جواب الشرط الذى هو فان كان مضمن فى قوله وها هو من المبصرين فانه يتضمن قوله وها هو من المبصرين معنى فقد كذب وليس فيه لفظ الجواب فجاءت الفاء كأنها جواب لفظى ووقعت قال موطئة لقال الاولى ألا ترى أن فى رواية ابن جهور مكان فقال فقد والكلام بها متصل حسن قال أبو الرقعمق يصف العمى من الصفع

ولقد بتنا على زمن ✽ ورؤس القوم تستلب
وكؤس الصفع دائرة ✽ وبها اللذات والطرب
وكأن الصفع بينهم ✽ شعل النيران تلتهب
والعمى منهم وان شغلوا ✽ عنه باللذات مقترب

وله

ان الذين تصافعوا ✽ بالقرع فى زمن القشور
أسفوا على لانهم ✽ حضروا ولم أك فى الحضور
لو كنت ثم لقيل هل ✽ من آخذ بيد الضرير
يا للرجال تصافعوا ✽ والصفع مفتاح السرور
لا تغفلوه فانه ✽ يستل احقاد الصدور

وقال يصف أثر الصفع فى قفاه

فى ما شئت من حمق ومن هوس ✽ قليله لكثير الحمق اكسير
كم رام ادراكه قوم فأعجزهم ✽ وكيف يدرك ما فيه قناطير
لا عيب فى سوى انى اذا طربوا ✽ وقد حضرت يرى فى الرأس تعبير
والاخدعان فما زالا ترى لهما ✽ لكثرة المزح توريم وتحمير

﴿حكاية ابن المغازلى﴾

ففى هذه الاشعار تبيين لك تلك الاغراض التى قدمنا ذكرها وتنتظم فى سلكها حكاية ابن المغازلى وكان رجلا يتكلم ببغداد على الطرق بأخبار ونوادر منوعة وكان نهاية فى الحذق لا يستطيع من سمعه أن لا يضحك قال وقفت يوما على باب الخاصة أضحك الناس وأتنادر فحضر خلفى بعض خدام المعتضد فأخذت فى نوادر الخدم فأعجب بذلك فانصرف ثم عاد فأخذ بيدى وقال دخلت فوقفت بين يدى سيدى فقد ذكرت حكايتك فضحكت فأنكر على وقال مالك ويلك فقلت على الباب رجل يعرف بابن المغازلى يتكلم بحكايات ونوادر تضحك الثكول فأمر باحضارك ولى نصف جائزتك فطمعت فى الجائزة وقلت يا سيدى أنا ضعيف وعلى عيلة فلو أخذت سدسها أو ربعها فأبى وأدخلنى فسلمت فرد

اللهم غفرا وجعل يقلب النعل بطنا وظهرا ثم قال أما هذه النعل فنعلى وأما مطيتك ففى رحلى فانهض لتسلم ناقتك وافعل الخير بحسب طاقتك فقمت وقلت

أقسم بالبيت العتيق ذى الحرم
والطائفين العاكفين فى الحرم
انك نعم من اليه يحتكم
وخير قاض فى الاعاريب حكم
فاسلم ودم دوم النعام والنعم

فأجاب من غير روية ولا عقد نية وقال

جزيت عن شكرك خيرا يا ابن عم
اذ لست أستوجب شكرا يا لتزم
شر الانام من اذا استقضى ظلم
ثم من استرعى فلم يرع الحرم
فذان والكلاب سواء فى القيم

ثم انه نفذ بين يدى من سلم الناقة الى ولم يمتن على فرحت نجيح الارب أجر ذيل الطرب وأقول يا للعجب

(قال الحرث بن همام) فقلت له تالله لقد أطرفت وهرفت بما عرفت فناشدتك الله هل ألفيت أسحر منك بلاغة وأحسن للفظ صياغة فقال اللهم نعم فاستمع وانعم كنت عزمت حين أتهمت على أن أتخذ ظعينة لتكون لى معينة فحين تعين الخطب الملب وكاد الامر يستتب أفكرت فكر المتحرز من الوهم المتأمل كيف مسقط السهم وبت ليلتى أناجى القلب المعذب وأقلب العزم المذبذب الى أن أجمعت على أن أسحر وأشاور أول من أبصر فلما قوضت الظلمة أطنابها

السلام وهو ينظر فى كتاب فنظر فى أكثره وأنا واقف ثم أطبقه ورفع رأسه الى وقال أنت ابن المغازلى قلت نعم يا مولاى قال بلغنى انك تحكى وتضحك بنوادر عجيبة فقلت يا أمير المؤمنين الحاجة تفتق الحيلة أجمع للناس حكايات أتقرب بها الى قلوبهم فالتمس برهم فقال هات ما عندك فان أضحكتنى أجزتك بخمسمائة درهم وان أنا لم أضحك فلى عليك فقلت للحين مامعى الا قفاى فاسأل ما أحببت قال أنصفت ان لم تضحكنى أصفعك بذلك الجراب عشر صفعات فقلت فى نفسى ملك لا يصفع الا بشئ لين خفيف والتفت فاذا بجراب من أدم معلق فى زاوية البيت فقلت ما أخطأ ظنى عسى فيه ريح ان أضحكته ربحت وأخذت الجائزة والا فعشر صفعات بجراب منفوخ شئ هين ثم أخذت فى النوادر والحكايات والنعاشة والعبارة فلم أدع حكاية اعرابى ولا نحوى ولا مخنث ولا قاض ولا نبطى ولا سندى ولا زنجى ولا خادم ولا تركى ولا شاطر ولا عيار ولا نادرة ولا حكاية الا وأحضرتها حتى نفد كل ما عندى وتصدع رأسى وفترت وبردت ولم يبق ورائى خادم ولا غلام الا وقد ماتوا من الضحك وهو مقطب لا يتبسم فقلت قد نفد ما عندى ووالله ما رأيت مثلك قط فقال لى هيه ما عندك فقلت ما بقى لى سوى نادرة واحدة قال هاتها قلت وعدتنى أن تجعل جائزتى عشر صفعات وأسألك أن تضعفها لى وتضيف اليها عشر صفعات أخرى فأراد أن يضحك ثم تماسك وقال نفعل يا غلام خذ بيده ثم مددت قفاى فصفعت بالجراب صفعة فكأنما سقطت على قفاى قطعة من جبل واذا هو مملوء حصا مدورا فصفعت عشرا فكادت أن تنفصل رقبتى وطنت أذناى وانقدح الشعاع من عينى فصحت يا سيدى نصيحة فرفع الصفع بعد أن عزم على العشرين فقال قل نصيحتك فقلت يا سيدى انه ليس فى الديانة أحسن من الامانة وأقبح من الخيانة وقد ضمنت للخادم الذى أدخلنى نصف الجائزة على قلها أو كثرها وأمير المؤمنين بفضله وكرمه قد أضعفها وقد استوفيت نصفى وبقى نصفه فضحك حتى استلقى واستفزه ما كان سمع فتحامل له فما زال يضرب بيديه الارض ويفحص برجليه ويمسك بمراق بطنه حتى اذا سكن قال على به فأتى به وأمر بصفعه وكان طويلا فقال وايش جنايتى فقلت له هذه جائزتى وأنت شريكى فيها وقد استوفيت نصيبى منها وبقى نصيبك فلما أخذه الصفع وطرق قفاه الوقع أقبلت ألومه وأقول له قلت لك انى ضعيف معيل وشكوت اليك الحاجة والمسكنة وأقول لك خذ ربعها أو سدسها وأنت تقول لا آخذ الا نصفها ولو علمت أن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه جائزته الصفع وهبتها لك كلها فعاد الى الضحك من عتابى للخادم فلما استوفى نصيبه أخرج صرة فيها خمسمائة درهم وقال هذه كنت أعددتها لك فلم يدعك فضولك حتى أحضرت شريكا لك فقلت وأين الامانة فقسمها بيننا وانصرفت (قوله اللهم غفرا) أى اغفر غفرا والغفر الستر والتغطية (انهض) تقدم (لتسلم) لتقبض (العتيق) القديم (الحرم) جمع حرمة و(العاكفين) المقيمين فيه للعبادة والعكوف الاقامة و(الحرم) حرم مكة (اسلم) دعاء معناه سلمك الله و(النعام) طير معروف (الاعاريب) الاعراب وهم سكان البادية (والنعم) جمع نعمة والدوم والدوام واحد (روية) أى فكرة (عقد نية) أى تدبير (استرعى) جعل راعيا أى حكما على الناس (يرعى) يحفظ (فذان) أى فهذان (القيم) جمع قيمة (يمتن) يعتدها منة وامتن فلان عليك اذا فعل معك معروفا فتى أنكر عليك شيأ ذكرك معروفه وجبهك به وقالت الحكماء أحى المعروف باماتة ذكره وعظمه بالتصغير له (أطرفت) أتيت بطرفة يريد بأمر عجيب غريب (هرفت بما عرفت) أى تكلمت بشئ غريب والهرف الاطناب فى المدح ومن كلام العرب لا تهرف بما لا تعرف (ناشدتك) حلفتك (صياغة) صنعة وسبك (أتهمت) أتيت تهامة وهى ما انخفض من أرض العرب (ظعينة) زوجة (الخطب) النكاح و(تعين) تحقق (يستتب) يتم (الوهم) الغلط (المتأمل) الناظر (المذبذب) المضطرب الذى لا يعتمد على رأى (أزمعت) عزمت (أسحر) أخرج فى السحر (قوضت) هدمت و(الاطناب) حبال

الخباء وتقو بضـها ازالتها (الشـهب) النجوم وجعـل لها أذنابا مجازا وأراد أن الفجر اذا طلع وانتشر غابت النجوم فكأنها قد ولت أذنابها وقال التهامى فى ذلك

قطلت أعـثر فى ثوب الدجى ولها * والجو روض وزهر الشهب كالزهر
وللمجرة فوق الارض معترك * كأنها حبب يعلو على نهر
وللثريا ركود فوق أرحلنا * كأنها قطعـة من فروة النمر
كأن أنجمها والصبح يغمضها * قسرا عيون غفت من شدة السهر

(المتعرف) المكتسب لانه يعرف ماجهل (المتعيف) الزاجر من عاف الشئ اذا كرهه (يافع) فتى شاب وقد أيفع اذا اشب (فى وجهه شافع) أى هو حسن الوجه يشفع له حسن وجهه اذا أذنب أو أخطأ وفى وجهه شافع صدر بيت للحكم بن قنبر وقال يحيى بن على المنجم كنت يوما بين يدى المعتضد وهو مقطب فأقبل بدر مولاه فلما رآه من بعيد ضحك وقال يا يحيى من الذى يقول فى وجهه شافع فقلت يقوله ابن قنبر المازنى البصرى فقال لله دره فأنشد هذا الشعر فأنشدته

ويلى على من أطار النوم فامتنعا * وزاد قلبى على أوجاعه وجعا
كأنما الشمس فى اعطافه لمعت * حسنا أو البدر من أزراره طلعا
مستقبل بالذى يهوى وان كثرت * منه الذنوب ومعذور بما صنعا
فى وجهه شافع يمحو اساته * من القلوب وجيه حيثما شفعا

* أنس قال النبى صلى الله عليه وسلم حسن الوجه مال وقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا الخير عند حسان الوجوه وقال الشاعر

أنت شرط النبى اذ قال يوما * اطلبوا الخير من حسان الوجوه

وقال صلى الله عليه وسلم من آتاه الله وجها حسنا واسما حسنا وجعله فى موضع غير شائن فهو من صفوة الله من خلقه * ابن عمر رضى الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم ثلاثة تجلوا البصر النظر الى الخضرة والنظر الى الماء الجارى والنظر الى الوجه الحسن نظمها الشاعر فقال

ثلاثة يذهبن للمرء الحزن * الماء والخضرة والوجه الحسن

(قوله تيمنت) تبركت (البهيج) الحسن (استقدحت) طلبت وأصلها فى قدح النار (تبغيها) تطلبها (عوانا) ثيبا (تعانى) تعالج وتراضى (العرا) جمع عروة (الدرة) الجوهرة (المخزونة) التى جعلت فى الخزانة لرفعتها يريد أن البكر تحجب وتصان (البيضة المكنونة) أراد بيضة النعام ويشبه بها النساء لبياضها والصفرة التى تضرب فيها وقد تقدمت هذه الصفة فى العاشرة وقال امرؤ القيس

كبكر مقاناة البياض بصفرة * غذاها نمير الماء غير المحلل

وقال ذو الرمة * كأنها فضة قد مسها ذهب * والمكنونة المصونة والنعامة تكن بيضتها بريشها ولا تبديها للشمس والريح لئلا تتغير وقال الله تعالى كأنهن بيض مكنون (الباكورة) أول ما يبكر من الثمر (والسلافة) الخمر (المذخورة) المخبوءة فى آنيتها (الانف) التى لم تدخل ولا رعيت (والطوق) ثوب رفيع (ثمن) كثر ثمنه (اللامس) الذى يلمس الشئ بيده ويدنسه وأراد به الذى يلاعبها ويعضها ابن عباس اللمس والملامسة والمماس كناية عن الجماع وفلانة لا ترد يد اللامس أى لا تمنع مجامعتها من أرادها (استغشاها) جامعها وغشيان النساء مجامعتهن و (اللابس) الذى لابسها واختلط بها يريد نكحها (مارسها) عالجها وعاناها (عابث) مفسد وأراد من يعبث بها عند الجماع (وكسها) نقصها ووضع منها والوكس الخسارة فى البيع (طامس) ناكح والطامس المفتض للبكر (الغبى) الذى لا يعرف تصرفات الكلام و (الدمية) صورة الرخام و (اللعبة) ما يلعب به وتقول لمن اللعبة أى لمن الغلب فى لعب الشطرنج وشبهه على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال

وولت الشهب أذنابها
غدوت غدو المتعرف
وابتكرت ابتكار المتعيف
فانبرى لى يافع فى وجهه
شافع فتيمنت بمنظره البهيج
واستقدحت رأيه فى التزويج
فقال أو تبغيها عوانا أم
بكرا تعانى فقلت اختر لى
ماترى فقد ألقيت اليك
العرا فقال الى التبيين
وعليك التعيين فاسمع
أنا أفديك بعد دفن
أعاديك أما البكر فالدرة
المخزونة والبيضة
المكنونة والباكورة
الجنية والسلافة
المذخورة الهنية والروضة
الانف والطوق الذى ثمن
وشرف لم يدنسها لامس
ولا استغشاها لابس ولا
مارسها عابث ولا وكسها
طامث ولها الوجه الحيى
والطرف الخفى واللسان
العيى والقلب النقى ثم
هى الدمية الملاعبة
واللعبة

المداعبه والغزالة المغازلة والملحة الكاملة والوشاح الطاهر القشيب والضجيع الذى يشب ولا يشيب واما الثيب فالمطية المذلله واللهنة المعجله والبغية المسهله والطبة المعلله والقرينة المتحببه والحليلة المتقربه والصناع المدبره والفطنة المختبره ثم انها عجالة الراكب وأنشوطة الخاطب وقعدة العاجز ونهزة المبارز عريكتها لينه وعقلتها هينه ودخلتها متبينة وخدمتها مزينه وأقسم لقد صدقت فى النعتين وجلوت المهاتين فبايتهما هام قلبك وعلى أيتهما قام زبك (قال أبو زيد) فرأيته جندلة يتقيها المراجم وتدمى منها المحاجم الا انى قلت له كنت سمعت أن البكر أشد حبا وأقل خبا فقال لعمرى قد قيل هذا ولكن كم قول آذى ويحك أماهى المهرة الابية العنان والمطية البطية الاذعان والزندة المتعسرة الاقتداح والقلعة المستصعبة الافتتاح ثم ان مؤنتها كثيره ومعونتها يسيره وعشرتها صلفه ودالتها مكلفة ويدها خرقاء وفتنتها صماء وعريكتها خشناء وليلتها ليلاء وفى رياضتها عناء وعلى خبرتها غشاء وطالما أخزت المنازل وفركت المغازل وأحنقت الهازل وأضرعت الفنيق البازل ثم انها التى تقول أنا ألبس وأجلس فأطلب من يطلق ويحبس فقلت له فما ترى فى الثيب يا أبا الطيب فقال ويحك أترغب فى فضالة المآكل وثمالة المناهل واللباس المستبدل والوعاء المستعمل والذواقة المتطرفة والخراجة المتصرفة والوقاح المتسلطه والمحتكرة المتسخطه

المرأة لعبة زوجها فان استطاع أحدكم أن يحسن لعبته فليفعل و (المداعبة) الممازحة و (المغازلة) تقول غازلتنى المرأة اذا تماجنت عليك فى كلامها وأشارت لك بعينها وغمزتك بحاجبها حتى اذا طمعت فيها صدت عنك (والملحة) الصورة المستملحة كالدمى وكالصورة التى تلعب بها البنات والشطار وهى اللعبة وجاء بملحة أى بكلمة طيبة مليحة (والوشاح) الحزام و (القشيب) الجديد جعلها (كالوشاح) عند عناقها وجماعها (والضجيع) المراقد (يشب) يردك شابا (يشيب) يكسبك الشيب (اللهنة) ما يعجل للضيف قبل القرى (والطبة) الحاذقة بمصالحها (المعللة) التى تعطيك ما تريد منها مرة بعد مرة وهى بكسر اللام والمعللة التى تعلل مرتشفها بالريق قال امرؤ القيس

* ولا تبعدينا من جناك المعلل * ابن الاعرابى المعلل المعين بالبر بعد البر ومن نصب اللام فمعناه المطيب مرة بعد مرة والتعليل سقى بعد سقى و (القرينة) الصاحبة (والحليلة) الزوجة (والصناع) الحاذقة بالصنعة و (عجالة الراكب) ما يعجل له من الطعام والشراب مثل التمر والسويق وما لا يتعب بعالجته وكانت العرب لكرمها يمر عليها الرجل وهو راكب فتعرض عليه النزول للقرى فيمتنع لاعذار له فيمسك حتى يخرج له من البيوت أيسر ما يوجد يأكله وهو راكب فجعل الثيب لسهولتها كالعجالة التى لا يتكلف لها وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه البكر كالبرة تطحنها وتعجنها وتخبزها وتأكلها والثيب عجالة الراكب تمر وسويق و (الانشوطة) عقدة تحل بسهولة (نهزة) فرصة وغنيمة سهلة (عريكتها) طبيعتها ورجل لين العريكة اذا كان سهلا سلس القياد وأصل العريكة سنام البعير وكانوا يعمدون للبعير اذا كان فيه شماس وامتناع فيقطعون فى حدبته وهى مرتفعة يصعب الركوب عليها فاذا قطع فيها اسكن البعير ولان وتوطأ موضع الركوب منه فيقال قد لانت عريكته وقال الشاعر من اللواتى اذا أودت عريكتها * يبقى لها بعدها آل ومجهود

قوله أودت أى زالت وذهبت فهذا يدل على ما ذكرنا (عقلتها) حبستها يريد أن ما يعقلها به صاحبها شئ هين والعقلة مثل العقدة ولفلان عقلة يعقل بها الناس فيغلبهم ويصرعهم (دخلتها) باطن أمرها وفلان عفيف الدخلة وخبيثها اى الباطنة والسريرة (متبينة) مكتشفة ظاهرة أى سرها ظاهر (المهاتين) البكر والثيب والبقرة الوحشية هى المهاة (هام) تحير من شدة الحب (قوله المراجم) أى الذى ترجمه وترجمك (خبا) مكرا وخديعة ورجل خب غاش فاجر (الابية العنان) الممتنعة القياد (الاذعان) الخضوع والذلة (الزندة) ما تزند منه النار (المتعسرة الاقتداح) التى يعسر اخراج النار منها (القلعة) الحصن والمكان المرتفع (عشرتها) صحبتها (صلفة) مجاوزة حد الطوق وأصل الصلف الاعراض عن الشئ كأنه اذا استقبلك أبديت له صليفك وهو صفحة عنقك (ودالتها) انبساطها يريد انبساطها اذا أرادت أن تدل عليك تتكلف ذلك (خرقاء) لا تحسن العمل (صماء) شديدة كأنها لا تسمع النهى والعذل (وفتنتها) شرها (خشناء) خشنة صعبة (ليلاء) شديدة السواد طويلة (خمرتها) لبستها الخمار (غشاء) غطاء وستر (فضالة) بقية وكذلك (ثمالة المنهل) موضع الماء والنهل الشرب الاول (والذواقة المتطرفة) أى التى تذوق طرف الشئ وتتركه أو تذوق بطرف لسانها ثم تبصقه وتطرفت الناقة رعت باطراف المرعى فيريد انها لا تبقى على زوج واحد انما هى تذوق كل زوج وتجرب لذة مباشرتهم وقال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم انى قد طلقت زوجتى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات (الخراجة) الكثيرة الخروج (المتصرفة) الجوالة (الوقاح) الصلبة الوجه التى ليس عندها حياء (المتسلطة) المستطيلة اللسان (والمحتكرة) التى تسرق رزق زوجها ثم تحتكره أى تدخره وترفعه فاذا احتاج

ثم كلتها كنت وصرت
وطالما بغى على فنضرت
وشتان بين اليوم وأمس
وأين القمر من الشمس
وان كانت الحنانة البروك
والطماحة الهلوك فهى
الغل القمل والجرح
الذى لا يندمل فقلت له
فهل ترى أن أترهب
وأسلك هذا المذهب
فانتهرنى انتهار المؤدب
عند زلة المتأدب ثم قال
ويلك أتقتدى بالرهبان
والحق قد استبان أف لك
ولوهن رائك وتبالك
ولا ولئك أتراك ما سمعت
بان لا رهبانية فى الاسلام
أو ما حدثت عما نكح نبيك
عليه أزكى السلام ثم أما
تعلم أن السكن الصالحة
ترب بيتك وتلبى صوتك
وتغض طرفك وتطيب
عرفك وبها ترى قرة عينك
وريحانة أنفك وفرحة
قلبك وخلد ذكرك

زوجها الشرانه أخذت منه ثمن ما عندها محتكرا (كنت وصرت) تخاطب به زوجها أى كنت فى نعمة مع الزوج الاول وأنا معك على شقاء (بغى على) أى اجتمع على بالظلم والبغى الظلم (وشتان) بعد و (اليوم وأمس) الزوج الحاضر معها والزوج المفقود وهو الذى أراد بالقمر والشمس ويقال شتان زيد وعمرو وترفعهما بشتان وتفتح نونها لالتقاء الساكنين تشبيها بالادوات ويقال شتان ما زيد وعمرو فتجعل ما صلة أو تنصبها على التمييز على حد نعم رجلا زيد والتقدير شتان شبها زيد وعمرو وبرفعهما بشتان بمعنى بعد شبها زيد وعمرو ويجوز كسر نون شتان على انها تثنية شت وهو التفرق وجمعه أشتان ويقال شتان ما بين زيد وعمرو فترفع ما بشتان على انها بمعنى الذى وبين صلتها ولا يجوز كسر نون شتان لانها اسم واحد ومعنى هيهات بعد (الحنانة) صاحبة الولد الذى من غير الزوج الذى هى معه فنى رأت ولدها حنت لوالده و (البروك) التى تتزوج ولها ولد كبير ويسمى ولدها الجوبند (والطماحة الهلوك) هى التى فارقها زوجها فتطمع له أبدا وتتهالك فى محبته وقيل الطماحة التى تطمح الى كل شهوة والهلوك الفاجرة و (الغل) الشرك التى يغل بها الاسير أى يربطها فى عنقه ويديه و (القمل) الذى كثرت فيه القمل ويضرب بالغل القمل المثل للمرأة السيئة الخلق (لا يندمل) لا يبرأ * أبو موسى رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث يدعون الله فلا يستجيب لهم رجل كانت عنده امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ورجل أعطى ماله سفيها وقد قال الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ورجل كان له على رجل دين فلم يشهد عليه المقدمى قال بعض الحكماء أربعة أشياء تمنع النوم والقرار المرأة السوء والولد الجاهل والعشير المخالف والعبد اللئيم قال الاصمعى قال لى زائدة البندار قيل لى بالشأم هل لك أن ترى العجب فذهبت فاذا سبعة فى شق مدوسة ممن ولده وولد ولده واذا الجد السابع أشب من الابن السابع فسألت عنه فقيل كان للجد امرأة موافقة وللابن السابع امرأة سليطة وقال صلى الله عليه وسلم أربعة لا يشبعن من أربعة عين من نظر وأرض من مطر وأنثى من ذكر وعالم من علم قال الاصمعى تزوج رجل من عذرة امرأة من بلى حمقاء فغاب عنها غيبة ثم قدم عليها فلما جامعها المجمع أنشأت تقول

ما مسنى بعدك من انسى * غير غلام واحد جعدى
ورجل أحمق من بلى * ورجلين من بنى عدى
وتسعة كانوا مع المطى * وسبعة كانوا على الطوى
وخمسة وافوا مع العشى * من بين جدى الى مكى
* ومن تهامى الى نجدى *

فقام اليها بالسوط فضربها فاجتمع لذلك من حوله يلومونه فقال والله لولا ما قت لضربها العدد على أهل عرفات ومنى وقيل ليحيى المدينى ما الجرح الذى لا يندمل قال حاجة الكريم الى اللئيم (قوله أترهب) أى أترك التزويج والترهب ترك النساء (انتهرنى) زجرنى وأخذنى بلسانه (زلة) سقطة (استبان) ظهر (الاف) وسخ الاذنين و (الوهن) الضعف والخسران (ولا ولئك) اشارة للرهبان (السكن) الزوجة يسكن اليها (ترب) تصلح (تلبى) تجيب (تغض طرفك) أى تحصنك وتمنعك من نظر النساء (عرفك) ريحك الطيب (وقرة العين) ما يتمنى وتقربه العين (ريحانة) شجرة طيبة الريح وريحانة من صفة المرأة وقال على رضى الله عنه فى رصيته لابنه محمد بن الحنفية لا تملكن المرأة من الامر ما يتجاوز نفسها فان المرأة ريحانة وليست بقهرمانة وان ذلك أدوم لحالها وأرضى لبالها وما أحسن ما قال ابن اللبانة يرثى أخت المرتضى صاحب ميورقة وماتت بعد أخيها

ابنت العلا جددت منى على منعى * مضى المرتضى أصلا واتبعته فرعا
جرى الموت جرى الريح فى مبنيكما * فاذوا لك ريحانا وكسره نبعا

(تعلة)

(تعلة) أى تتعلل وتنتفع بما عندها من القيام بمؤنتك (ومتعة) ما يتمتع به ويتلذذ (المتأهلين) المتزوجين الذين لهم أهل (شرعة) طريقة (المحصنين) المتزوجين (نزا) وثب وارتفع (العنظب) ذكر الجراد * ونذكر هنا فصلا يليق بهذا الموضع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعطاف بن وداعة الهلالى ياعطاف ألك امرأة قال لا قال فانت اذا من اخوان الشياطين ان كنت من رهبان النصارى فالحق بهم وان كنت منا فسنتنا النكاح أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ركعتان من المتأهل خير من اثنتين وثمانين ركعة من العزب وقال صلى الله عليه وسلم تزوجوا الولود الودود من النساء فانى مكاثر بكم الأمم وقال صلى الله عليه وسلم النساء ثلاث صنف كالرحى تحمل وتضع وصنف كالعر وهو الجرب وصنف ودود ولود تعين زوجها على ايمانه فهى خير له من الكنز ابن عمر رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا أتى على أمتى مائة وثلاثون سنة فقد حلت لهم العزبة والترهب فى رؤس الجبال وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة وقال خالد بن صفوان لرجل أتزوجت قال لا قال فتزوج ثم قال بعد ساعة لا تتزوج فقال لم قال انك ان تزوجت واحدة فتطهر ان طهرت وتحيض ان حاضت وتغضب ان غضبت فان تزوجت باثنتين تقع بين ضرتين فان تزوجت ثلاثا تقع بين أثاف وان تزوجت بأربع يغلسنك ويهرمنك قال أفتحرم ما أحل الله لك قال لا ولكن كوزان وخماران وعباءة وقرصان وقال رجل أردت النكاح فقلت لأستشيرن أول من يطلع على فاعمل برأيه فأول من طلع على هبنقة القيسى الاحمق وتحته قصبة فقلت له انى لاستشيرك فى النكاح فقال البكر لك والثيب عليك وذات الولد لا تقربها واحذر جوادى لا ينفحك . وقال رجل لولده يابنى لا تتخذها حنانة ولا أنانة ولا منانة ولا عشبة الدار ولا كية القفا فالحنانة التى لها ولد من غيره فهى تحن اليه والانانة التى مات زوجها فهى اذا رأت الثانى أنت للاول وقالت يرحم الله فلانا والمنانة التى لها مال فهى تمن به على زوجها متى احتاج اليه وعشبة الدار خضراء الدمن وقد تقدمت وكية القفا التى اذا انصرف ابنها أو زوجها من بين القوم قال رجل قد كان بينى و بين أم هذا أو زوجته شئ وسئل أعرابى عن النساء وكان ذا تجربة لهن فقال أفضلهن أطولهن اذا قامت أعظمهن اذا قعدت وأصدقهن اذا قالت التى اذا غضبت حلمت واذا ضحكت تبسمت واذا صنعت شيأ جودت التى تلزم بيتها ولا تعصى زوجها العزيزة فى قومها الذليلة فى نفسها الودود الولود وكل أمرها محمود نظر خالد بن صفوان الى جماعة فى مسجد البصرة فقال ما هذه الجماعة قالوا على امرأة تدل على النساء فأتاها فقال لها أبغى امرأة قالت فصفها قال أريد بكرا كثيب أو ثيبا كبكر حلوة من قريب ضخمة من بعيد كانت فى نعمة وأصابتها حاجة ففيها أدب النعمة وذلة الحاجة اذا اجتمعنا كنا أهل دنيا واذا افترقنا كنا أهل آخرة قالت قد أصبتها لك قال فأين هى قالت فى الرفيق الاعلى من الجنة فاعمل لها وقال خالد لابى العباس السفاح وكانت عنده أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة المخزومى وكان تزوجها قبل الخلافة وحلف أن لا يتزوج عليها ولا يتسرى ياأمير المؤمنين انى تفكرت فى أمرك مع سعة ملكك وقد ملكتك امرأة واحدة ان مرضت مرضت لمرضها وان غابت غبت وحرمت نفسك التلذذ بالجوارى ومعرفة جلالتهن فان منهن الطويلة الغيداء والغضة البيضاء والعتيقة الادماء والرقيقة السمراء والبربرية العجزاء يفتن بمحادثتهن وتأنك عن بنات الاحرار والنظر اليهن ولو رأيت الطويلة البيضاء والسمراء العيناء والبيضاء العجزاء والمولدة من البصريات والكوفيات ذوات الالسن العذبة والقدود المهفهفة والاوساط المخصرة والاصداغ المزرنقة والعيون المكحلة والثدى المحققة وحسن زينتهن وزينهن وشكلهن لرأيت شكلا حسنا فقال له ويحك ياخالد ما سلك مسامعى والله كلام

وتعلة يومك وغدك فكيف رغبت عن سنة المرسلين ومتعة المتأهلين وشرعة المحصنين ومجلبة المال والبنين والله لقد ساءنى فيك ما سمعت من فيك ثم أعرض اعراض المغضب ونزا نزوان العنظب فقلت له قاتلك الله أتنطلق متجنترا وتدعنى متحيرا فقال أظنك تدعى الخيرة

أحسن مما سمعت منك فانصرف وبقي أبو العباس متفكرا فدخلت عليه أم سلمة فرأته مغموما فقالت له اني لا أنكرك يا أمير المؤمنين هل أتاك خبر فارتعت له قال لا قالت فما قصتك فزوى وجهه عنها فلم تزل به حتى أخبرها قالت فما قلت لابن الفاعلة قال سبحان الله ينصحني وتشتمينه فخرجت مغضبة وأرسلت اليه جماعة من العبيد وبأيديهم مقامع من حديد وأمرتهم أن لا يتركوا من خالد عضوا صحيحا قال خالد فانصرفت مسرورا لما رأيت من اعجابه بما ألقيت عليه ولم أشك ان صلتي ستأتيني فاني لقاعد على باب داري واذا بالعبيد قد أقبلوا نحوي فلم أشك في الجائزة فسألوا عني فقلت أنا خالد فأهوى أحدهم الي بهراوة فوثبت الى منزلي وعلمت اني أتيت من أم سلمة وطلبني أبو العباس طلبا شديدا وأنا مستخف فهجم علي في الثالث فقالوا أجب أمير المؤمنين فأيقنت بالموت فدخلت عليه وليس في وجهي دم فسلمت وجلست واذا خلف ظهري ستر خلفه حركة فقال لي يا خالد أين كنت منذ ثلاثة أيام قلت عليلا قال انك وصفت لي من أخبار النساء والجواري مالم يخرق مسامعي قط شيء أحسن منه فأعده علي قلت نعم أعلمتك يا أمير المؤمنين ان العرب اشتقت اسم الضرتين من الضر وان أحدهم لم يكن عنده أكثر من واحدة الا كان في جهد قال ويحك لم يكن هذا في الحديث قلت بلى والله وأعلمتك ان الثلاث من النساء كأثافي القدر يغلي عليهن قال أبو العباس برئت من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت سمعت هذا منك في حديثك قلت وأخبرتك ان الاربع شؤم مجتمع لصاحبهن يشيبنه ويهرمنه ويقصمنه قال والله ما سمعت هذا منك قط قلت بلى والله يا أمير المؤمنين قال ويحك وتكذبني قلت وتريد أن تقتلني قال مر في حديثك قلت وأخبرتك أن ابكار النساء رجال ولكن لا خصي لهن قال وسمعت الضحك من وراء الستر قلت وأخبرتك ان بني مخزوم ريحانة قريش وعندك ريحانة من الرياحين وأنت تطمح الى غيرها من الاماء فقيل لي من وراء الستر صدقت والله يا عماه وبررت وبهذا حدثته ولكنه غير وبدل فقال لي أبو العباس مالك قاتلك الله وأخزاك وفعل وفعل فتركته وخرجت فما شعرت الا برسل أم سلمة ومعهم عشرة آلاف درهم وتخت وبرذون وغلام فقبضتها وفي هذا الحديث المليح تعلق بما ذكرا لحريري من مدح النساء وذمهن وخالد بن صفوان لفصاحته أقدر الناس على مدح الشيء وذمه وقد تقدم في الثالثة هذا الفن وقال أبو العباس السفاح لخالد وعنده اخواله الحارثيون كيف علمك باخوالي يا خالد قال يا أمير المؤمنين هم هامة الشرف وعرنين الكرم وغرس الجود وفيهم خصال ليست لغيرهم انهم لاصونهم أما وأحسنهم اسما وأكرمهم شيما وأطيبهم طعما وأوفاهم ذمما وأبعدهم هِمما الجمرة في الحرب والرفد عند الجدب وهم الرأس في كل خطب وغيرهم بمنزلة العجب فقال لقد وصفت يا ابن صفوان فأحسنت فزاد اخواله في الفخر فغضب أبو العباس لاعمامه فقال افخر يا خالد فقال أعلى اخوال أمير المؤمنين قال فأين أنت من اعمامه قال كيف أفاخر قوما هم بين ناسج برد وسائس قرد ودابغ جلد دل عليهم هدهد وغرقتهم فأرة وملكتهم امرأة * ودخل خالد على أبي الجهم العدوي وهو يريد ركوب حمار فقال خالد أما علمت أن العير عار وان الحمار شنار منكر الصوت قبيح الفوت متزلق في الحل مرتطم في الوحل ليس بركوبة فحل ولا مطية رحل راكبه مقرف ومسايره مشرف فاستوحش العدوي من ركوبه فركب فرسا وركب خالد الحمار فقال ويحك يا خالد أتنهى عن شيء وتأتي مثله قال اصلحك الله عير من بنات الكداد أصحم السربال مدمج الاوصال محملج القوائم يحمل الرحلة ويبلغ العقبة ويمنعني من أن أكون جبارا عنيدا أو ملكا شديدا فقد ضللت اذا وما أنا من المهتدين ذلك لك وهذا لي فتبسم العدوي * ثم نرجع الى جملة مقاطيع من أوصاف النساء تنبين بها أوصافهن قال العديل بن الفرخ

لعب النسيم بهن في أظلاله * حتى لبسن زمان عيش غافل

يا خذن

يأخذن زينتهن أحسن مايرى * واذا عطلن فهن غير عواطل
واذا أرين خدودهن أرينها * حدق المهى وأخذن سهم القاتل
ورمينني لايستترن بجنة * الا الصبا وعرفن أين مقاتلي

(وقال العباس بن طرخان)

تقسمن قلبا كان مجتمع الشمل * وفرقنه بين المسالك والسبل
زرعن الهوى فى القلب ثم سقينه * صبابات ماء الشوق بالاعين النجل
رمين فلما ان أصبن مقاتلي * تولين وانضمت جراحي على النبل

وقال البحترى
لما مشين بذى الاراك تشابهت * اعطاف قضبان به وقدود
فى عمتى حبر وروض فالتقى * وشيان وشى ربا ووشى برود
وسفرن فامتلأت عيون راقها * وردان ورد جنى وورد خدود
ومتى يساعدنا الوصال ودهرنا * يومان يوم منى ويوم صدود

وقال التهامى
ماتت لفقد الظاعنين ديارهم * فكأنهم كانوا الها أرواحا
لاعيب فيهم غير شح نسائهم * ومن السماحة أن يكن شحاحا
طرقته فى أترابها فجلت له * وسنا من الغر الصباح صباحا
أبرزن من تلك العيون أسنة * وهززن من تلك القدود رماحا

وأنشد الاصمعى
خزاعية الاطراف مريه الحشى * نزارية العينين طيبة الفم
لها حكم لقمان وصورة يوسف * ونغمة داود وعفة مريم

(وقال الاسعد بن نبيط)

غلامية جاءت وقد جعل الدجى * لخاتم فيها فص غاليه خطا
فقلت أحاجيها بما فى جفونها * وما بالشفاه اللعس من حسنها المعطى
محيرة العينين من غير سكرة * متى شربت الحاظ عينيك اسفنطا
أرى صفرة المسواك من حمرة اللمى * وشاربك المخضر بالمسك قد خطا
عسى قدح قبلته فأحاله * على الشفة اللمياء قد جاء منحطا

فتصور فى البيتين قبل هذا أحسن مقابلة وتصور فى البيتين من آخر هذه القطعة ثلاث تشبيهات شبهت بشئ واحد يتضمنها جميعا وقال ابن شرف

قامت تجر ذيول العصب والحبر * ضعيفة الخطو والميثاق والنظر
تخطو فتولى الحصا من حليها نبذا * وتخلط العنبر الوردى بالعفر
تلفتت عن طلا وسنان وابتسمت * عن واضح مثل نور الروضة العطر
مالذ للعين نوم بعد ماذكرت * ليلا سمرناه بين الضال والسمر
تساقط الطل من فوق النحور به * تساقط الدر فى اللبات والثغر

وقال الرمادى
شطت نواهم بشمس فى هوادجهم * لولا تلألؤها فى ليلهن عشوا
شككت محاسنها عينى وقد عذرت * لانها بضمير القلب تنغمش
شعر ووجه تبارى فى اقتضا رهما * لحسن هذا وذاك الروم والحبش
شككت فى سقمى منها أبى فرشى * اذا تأملت الا الطيف والفرش

ولبعض أصحابنا
سائل سقاة الحى عن مجدية * ورد الحجيج بها سقاية زمزم
صفراء كالدينار عل تريبها * بالزعفران وخدها بالعندم
لبست برود السابرى فأفضلت * من ذيلها ولبست جلد الارقم

قوله خدودهن كذا بالاصل ولعله عيونهن اه مصححه

يا ليت شعري وهي أنس ناسك * لم تستحل دم المحب المسلم
نبئت أن الطاعنين بها سعوا * للاجر فانقلبوا بأكبر المأثم
سفكوا دماء الرائحين الى منى * بجفونها ونجوا بسافكة الدم

وهذا القدر في هذا الموضع كاف وقد تضمن هذا الديوان مقطعات بديعة في أوصاف النساء (قوله لتجلد عميرة) يقال لهذا الفعل الخضخضة والتدليك والاستمناء والاعتمار واعتمر الرجل جمع يديه وضمهما الذكر والالطاف للنساء مثل الخضخضة للرجال يقال منه ألطفت المرأة وقال القنيبي بيتا ما سمعناه على وجه الدهر

اذا مررت بواد لا أنيس به * فاضرب عميرة لا عار ولا حرج

آخر
بيدي ورجلي لا عدمت كليهما * أصبحت أغنى من يروح ويغتدي
أمشي على هذي وأنكح هذه * فطيتي رجلي وجاريتي يدي

آخر
تسألني عن عندي وعندي * فانني يا ابنة آل مرثد * راحلتي رجلاي وامرأتي يدي

وقال اعرابي
ان تبخلي بالمركب الحلوق * فان عندي راحتي وريقي
ودلكات لسن للتمزيق * اشهى من التصبيح والتغبيق

وقال الخزامي
خطبت الى ساعدي راحتي * وما كنت من شر خطابها
وما ان تكلفت من مهرها * سوى ريقة أتحرى بها
فان شئت أوني بها ثيبا * وبكرا اذا شئت أوتى بها
ونزهة نفسي عن الغانيات * وعن ذكر سلمى وأترابها

لتجلد عميرة وتستغني عن المهيرة فقلت له قبح الله ظنك

(وقال الحسن)

اذا أنت أنكحت الكريمة كفؤها * فأنكح حسيبا راحة لابن ساعدي
وقل بالرفا ما نلت من وصل حرة * لها ساحة حفت بخمس ولائد

﴿ما جاء في الاستمناء﴾

وقال ابن الرقعمق
ومن بلائي أبو عمير * معرض بي الى المنون
منتصبا ما ينام وقتا * وليس يهدا من الزبين
من يك ذا زوجة فاني * لشقوتي زوجتي يميني
عميرة قد جلدت حتى * خشيت والله تجلدوني
فراقبوا الله في عيني * وخلصوها وزوجوني

(وقال آخر يشتكي غلظ يده)

لو أنها الدنية قضيت من وطري * لكنه خشن أربى على السفن
أشكو الى الله نعظا قد منيت به * وما ألاقي من الاملاق والحزن

آخر
ومغتاب اذا نبها * بظن سواه قد جرحا
ومن لم يدر لم يألم * فعاد عليه ما اجترحا
كما كم كفه ينوي * فتاة كان قد لمحا
وما نكح الفتى أحدا * ولكن نفسه نكحا

فنكاح الكف هو جلد العميرة * قال ابن أبي الازهر مررت على بردعة الموسوس وقد أدخل يده في جيبه وهو يخضخض فضربته برجلي فانكشف فاذا هو منعظ فقلت ما هذا فقال أما ترى تلك وأشار بيده الى جارية جميلة في علية متطلعة فقال اني دعوتها الى نفسي فلما لم تجبني أجبتها فقلت قبحك الله ووليت عنه فلم يلبث أن لحق بي وقال قضيت الحاجة على رغم أنفك ثم أنشدني

أأنكرت ما عاينت من كف دالك * وهل ينكر التدليك في قول مالك

لقد أمن الدلال من أن تنالهم * حدود الزنا في واضحات المسالك
واني قد سكنت عزمة غلمتي * بحسن عيون والثدي العوائك

كذب على مالك مالك والشافعي وعامة العلماء يحرمون الاستمناء وحجتهم قوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين * الفنجديهي وقد جاء في تحريم الخضخضة حديث مشهور وسنده الى أنس بن مالك رضي الله عنه قال سبعة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولا يجمعهم مع العالمين ويدخلهم النار مع الداخلين الا أن يتوبوا فمن تاب تاب الله عليه الناكح يده والفاعل والمفعول به ومدمن الخمر والضارب أبويه حتى يستغيثا والمؤذي جيرانه حتى يلعنوه والناكح حليلة جاره وانما رويت الرخصة في ذلك عن عمرو بن دينار وروي عن ابن عباس أنه سئل عن الخضخضة فقال نكاح الامة خير منها وهي خير من الزنا * الازهري أبو عمير ذكر الرجل * الفنجديهي سمعت الحافظ أبا العلاء يقول الخضخضة على مذهب الامام أحمد بن حنبل جائزة لمن استولت عليه الشهوة حتى خاف على نفسه اتيان الفواحش * أبو الفرج محمد بن أبي جعفر الطائي بهمذان قال أنشدنا الامام أبو المظفر المعاوي لنفسه وكان من أورع الفضلاء وأزهدهم

خليلي لا بغداد ندنو فتنقضي * همومي ولا الري البغيضة تبعد
فليس من الانصاف والعدل أنكم * تنيكون ربات الجمال ونجلد
وترضون بالحرمان للفيشة التي * على غضب باتت تقوم وتقعد
فلا تحسبوا اجلادي عميرة وصمة * علي فقد أفتى بها الشيخ أحمد
ولو وسعتها راحتي لاحملتها * فما حيلتي اذ ضاق ذرعا بها اليد

وذكر بيتين آخرين قال وأنشدني امام أهل اللغة أبو المعالي اسمعيل بن الحسن البذيع لبعضهم

انما همي كسيره * نشفت ماء قديره
وخبيره في ذكيره * بلغتي منها سكيره
وغلام أو قناة * قد كفى جلد عميره
من رأى عيشي هذا * عاش لا يؤثر غيره

قال وأنشدني البديع أيضا لبعضهم

ياسيدي نحن في زمان * أبدلنا الله منه غيره
فكل ذي خسة وذل * متع بالطيبات أيره
وكل ذي فطنة وكيس * يجلد في بيته عميره

ولا أشب قرنك ثم رحت عنه مراح الخزيان وتبت من مشاورة الصبيان (قال الحرث بن همام) فقلت له أقسم بمن أنبت الايك ان الجدل منك والبك

(قوله أشب قرنك) يدعي بذلك للصبي أن يكبر وتطول قامته كما تقول للصبي في ضد ذلك لا كبرك الله ويقال شب الصبي يشب بكسر الشين شبابا بفتح الشين وكسرها اذا طال وعبا جسمه والصبي شاب وأشبه الله وأشب الله قرنه أي جعله شابا أسود الذؤابة والقرن الضفيرة وهي الذؤابة وقيل القرن جانب الرأس (المراح) كالرواح و (الخزيان) المهان والمستحيي وخزي يخزى خزيا أهين وخزاية استحيا فهو خزيان أي مستحي وقوم خزايا (وتبت من مشاورة الصبيان) قال عمر رضي الله عنه خصلتان من علامة الجهل مشاورة النساء والصبيان واستكتام السر النساء والصبيان (الايك) شجر (الجدل منك والبك) أي انما كان هذا الخصام بينك وبين نفسك ولم يكن ثم صبي تحاوره أي ان حديثك مصنوع لا أصل له * ومن مستعمل الاخبار المصنوعة ما يحكى ان حبيب بن أوس قال لقينا اعرابي وقد خرجت في أيام الواثق الى سر من رأى فقلت له ممن قال من بني عامر قلت كيف علمك بعسكر أمير المؤمنين قال قتل أرضا عالمها قلت ما تقول في أمير المؤمنين قال وثق بالله فكفاه أشجى العاصية وقصم العادية وعدل في الرعية قلت فما تقول في أحمد بن أبي دواد قال هضبة لا ترام

وجبل لا يضام تشهد له المدى وتنصب له الحبائل حتى اذا قيد وثب وثبة الذئب وختل ختلة الضب قلت فمحمد بن عبد الملك قال وسع الدانى شره ووصل البعيد ضره له فى كل يوم صريع لا يرى فيه أثر ناب ولا ذرب مخلب قلت فما تقول فى الفضل بن مروان قال ذلك رجل أنشر بعد ما أقبر فعليه حياة الاحياء وخفته الموتى قلت فابن الخصيب قال أكل أكلة نهم وذرق ذرقة بشم قلت فأخوه ابراهيم قال أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون قلت فأحمد بن ابراهيم قال لله دره أى رجل هو اتخذ الصبر دثارا والحق شعارا وان هون عليه بهم قلت فسليمان بن وهب قال ذلك رجل السلطان وبهاء الديوان قلت فأخوه الحسن قال عود نضير غرس فى منابت الكرم حتى اذا اهتز لهم حصدوه قلت فابراهيم بن نجاح قال ذلك رجل أوثقه كرمه وأسلمه حسبه وله دعاء لا يسلمه ورب لا يخذله وخليفة لا يظلمه قلت فنجاح بن سلمة قال لله دره أى طالب وتر ومدرك أثر يلتهب كأنه شعلة نار له من الخليفة فى الانام جلسة تزيل نعما وتحل نقما قلت يا أعرابى أين منزلك قال اللهم غفرا اذا اشتمل الظلام التحف الليل فحيثما أدركنى الرقاد رقدت ولا أخلق وجهى بمسئلتهم أما سمعت هذا الطائى يقول

وما أبالى وخير القول أصدقه * حقنت لى ماء وجهى أو حقنت دمى

فقلت له أنا قائل هذا الشعر قال أنت لا نت الطائى قلت نعم قال لله أبوك أنت الذى تقول

ماجود كفك ان جادت وان بخلت * من ماء وجهى اذا أخلقته عوض

قلت نعم قال أنت أشعر أهل زمانك ونمى خبره الى ابن أبى دواد وأوصله الى الواثق فأعطاه ألف دينار وأخذ له من أهل الدولة ما أغنى به عقبه بعده وهذا الخبر خرج عن أبى تمام فان كان صادقا وما أراه فقد احسن الاعرابى الوصف وان كان صنعه فقد قصر اذ منزلته أكبر من هذا (قوله أغرب) اى أكثر الضحك حتى دمعت عيناه (المنهمك) المبالغ الطرب (العق العسل ولا تسل) معناه ان طاب لك الكلام فاحفظه ولا تسل عن صدقه ولا باطله كما اذا وجدت العسل حلوا فلا يلزمك السؤال عن نحله وقد قال فيما مضى * ولا تسأل الشهد عن نحله * فهذا هو ذلك (أسهب) أبالغ وأكثر (ذى النشب) صاحب المال (يغضى) يتغافل (المستجهل) الذى يحسبنى جاهلا (الممهل) المؤخر وقد أمهله أى أخره (صه) معناه اسكت (القرص) الخبز وتسمى الخبزة قرصة لان الخابز يقرصها من العجين أى يقطعها (والكامخ) شئ يصنع من اللبن الحامض وهو أنواع * وقدم لاعرابى كامخ فقال ما هذا قالوا كامخ فقال قد علمت فأيكم كمخ به يقال كمخ البعير اذا أخرج ثلطه رقيقا وقدم لاعرابيين كامخ فذاقه أحدهما فلم يستطبه فقال هذا خرء وذاقه الآخر فاستطابه فقال يوشك أن يكون خرء الامير وقدم لاعرابى كامخ فلم يستطبه قال ما هذا قالوا كامخ قال ومن أى شئ صنع هذا قالوا من الحنطة واللبن قال أبوان كريمان وما أنجبا وقدم لاعرابى كامخ فلم يستطبه وأكل منه شيأ وخرج ودخل المسجد والامام فى الصلاة يقرأ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير فقال الاعرابى والكامخ لا ننساه أصلحك الله وقيل هو طعام يؤتدم به وقيل هو البقل فى الطعام مثل الكبر والزيتون والمرى والعناب اذا غلب طغاء الشحم على المعدة أخذ الرجل منه شيأ فانجلى عن معدته وتنشط للأكل وقال اعرابى يصف ابطيه بالنتن

كأن ابطى وقد طال المدى * نفحة خرء من كوامخ القرى

* الاصمعى قدم علينا أبو طيبة الاعرابى بعد ما خرج الى البادية وتفقه فقلنا له ما قولك فى البيض قال حرام فقلنا ولم قال لقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر والدجاج عندى من ذوى الاظفار قلنا فما قولك فى الكامخ قال حرام قلنا ولم قال لقوله تعالى خلق الانسان من صلصال كالفخار والكامخ يتخذ من الفخار فأظن بينه وبين الجلد نسبا (قوله وافقه) معناه افهم (راسخ)

فأغرب فى الضحك وطرب طربة المنهمك ثم قال العق العسل ولا تسل فاخذت أسهب فى مدح الادب وأفضل ربه على ذى النشب وهو ينظر الى نظر المستجهل ويغضى عنى اغضاء الممهل فلما أفرطت فى العصبية للعصبة الادبية قال لى صه واسمع منى وافقه

يقولون ان جمال الفتى
وزينته أدب راسخ

وماالتبريز بن سوى المكثرين
ومن طود سودده شامخ
فأما الفقير فخيرله
من الادب القرص والكامخ
وأى جمال له أن يقال
أديب يعلم أو ناسخ
ثم قال سيضح لك صدق
لهجتى واستنارة حجتى
وسرنا لانألو جهدا ولا
نستفيق جهدا حتى أدانا
السير الى قرية عزب عنها
الخير فدخلناها للارتياد
وكلانا منفض من الزاد فما
ان بلغنا المحط والمناخ المختط
أولقينا غلاما لم يبلغ الحنث
وعلى عاتقه ضغث فحياه
أبوزيد تحية المسلم وسأله
وقفة المفهم فقال وعم
تسأل وفقك الله قال أيباع
ههنا الرطب بالخطب قال
لا والله قال ولا البلح بالملح
قال كلا والله قال ولا الثمر
بالسمر قال هيهات والله
قال ولا العصائد بالقصائد
قال اسكت عافاك الله قال
ولا الثرائد بالفرائد قال
اين يذهب بك أرشدك الله
قال ولا الدقيق بالمعنى
الرقيق قال عد عن هذا
أصلحك الله واستحلى أبو
زيد تراجع السؤال
والجواب والتكايل من
هذا الجراب ولمح الغلام
أن الشوط بطين والشيخ
شويطين فقال له حسبك
ياشيخ قد عرفت فنك
واستبنت أنك فخذ الجواب
صبرة واكتف به خبرة أما
بهذا المكان فلا يشترى
الشعر بشعيرة ولا النثر بنثارة ولا القصص بقصاصة ولا الرسالة بغسالة

ثابت (المكثرين) الاغنياء (طود سودده) ارتفاع سيادته والطود الجبل (شامخ) أى ثابت مرتفع وقال النبى صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان من لم يكن معه فيه أصفر وأبيض لم يتمن العيش يعنى الذهب والفضة وقال مهيار الديلمى

تشرف بحظ فان الحظوظ * حلى كل ذى نسب يفضل
وما الحظ فى أدب مفصح * ومن دونه نسب مجهل
يؤم الفتى رتبة وهو حيث * يجعله ماله يجعل

(وقال ابن قاضى ميلة)

اسعد بجدك لا تكون أديبا * أوان يرى فيك الورى تهذيبا
ان كنت مستويا ففعلك كله * عوج وان أخطأت كنت مصيبا
كالنقش ليس يصح معنى ختمه * حتى يكون بناؤه مقلوبا

(قوله لهجتى) أى منطقى وقيل جرس الكلام وقيل هى طرف اللسان وفلان فصيح اللهجة وهى لغته التى جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها (استنارة) ظهور نورها (نألو) نقصر (جهدا) طاقة واجتهادا (نستفيق جهدا) نستريح من المشقة (أدانا) أوصلنا و(القرية) فى كلامهم الموضع الذى يجتمع الناس فيه وقريت الماء فى الحوض جمعته فيه و(عزب) بعد (للارتياد) لطلب ما يؤكل (منفض) فارغ وأنفض فنى زاده فنفض مزوده من الفتات (المحط) المنزل الذى تحط فيه الاحمال (والمناخ) مثله فى المعنى و(المختط) المعلم عليه بخط وكل موضع أردت حمايته ومنعه خططت عليه بخط فمن رآه علم أنه محمى فاجتنبه (الحنث) الاثم أى لم يبلغ حد التكليف وهو الحلم فيكتب عليه اثم (على عاتقه ضغث) أى على عنقه حزمة حشيش والعاتق ما بين المنكب والعنق والضغث قبضة من اخلاط النبات أو من قضبان مختلفة (المفهم) المخبر المبين (أيباع ههنا الرطب بالخطب) الرطب والبلح نوعان من التمر (والسمر) السهر بالليل على الحديث (هيهات) أى بعد * ابن عباس رضى الله عنهما ما باع الدقيق برولا فاجر الا اصفر لونه وقسا قلبه ونزعت الرحمة من قلبه (الفرائد) جواهر الكلام (أين تذهب بك) أين تتلف وتضل ولذلك دعا له فقال (أرشدك الله) أى هداك الطريق (عد) كف واصرف (لمح) نظر (الشوط) الطلق والجرى الى الغاية * الاخفش الشوط أن تأتى الى موضع تريده ثم ترجع وان رجعت اليه مرة أخرى فذلك شوط آخر ومن الجرالى الجرشوط وجرى الفرس شوطا اذا بلغ مجراه ثم عاد (بطين) متسع ومعناه علم ان كلام الشيخ كثير ورجل بطين عظيم البطن وكيس بطين أى ملآن وأخذه من قول كعب بن زهير

وزحزحن بين أدانى الغضى * وبين عنيزة شوطا بطينا

(شويطين) أى دويهية لا تقاوم وتصغيره بمعنى التعظيم (حسبك) يكفيك (فنك) نوعك وطريقك (استبنت أنك) أى تحققت انك داهية (صبرة) أى جملة بغير كيل وكدس القمح وما يكال يسمى صبرة (اكتف) اقتنع (خبرة) اختبار (النثر) ضد النظم مثل التراسل والخطب (والنثارة) ما تناثر من الشئ أى تفتت تقول نثرت الشئ أى رميت به مفترقا واسم ما يتساقط منه النثارة و(القصص) أخبار المتقدمين (والقصاصة) ما تساقط من الشعر اذا قص (والغسالة) الماء الذى قد غسل به بقية الطعام أو غير ذلك وروى بفضالة مكان غسالة والفضالة من الزرع اذا غربل تبقى فى الغربال فتدرس بعد ذلك ويخرج ما فيها من الزرع وأنشد الفنجديهى فى هذه المعانى

عرضت على الخباز نحو المبرد * وكتبا حسانا للخليل بن أحمد
ورؤيا ابن سيرين وخط مهلهل * وتجويد عمرو بعد فقه محمد
وأنشدته شعر الكميت وجرول * وغنيته لحن الغريض ومعبد

فانفعتني دون أن قلت ها كها * مدورة صفرا تطن على اليد

وقال أخبرني أبو المحاسن بن أبي العلاء بن محمد الاديب قال أنشدنيه لنفسه أبو يوسف بن محمد يعقوب الاديب (قوله ولاحكم لقمان بلقمة) في لقمان سبعة أقوال قال قتادة خيره الله بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة فقذفها عليه جبريل وهو نائم فأصبح ينطق بالحكمة فسئل عن ذلك فقال لو أرسل الله الي النبوة عزمة لرجوت الفوز بها ولكنه خيرني فخفت ان أضعف عن النبوة وقيل كان من النوبة قصيرا أفطس الانف وقيل كان حبشيا * سعيد بن المسيب كان أسود من سودان مصر ذا مشفر حكمته حكمة الانبياء وقيل كان خياطا وقيل راعيا فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال ألست عبد بني فلان كنت ترعى بالامس قال بلى قال فما بلغ بك ما أرى قال وما يعجبك من أمري قال وطء الناس بساطك وغشيهم بابك ورضاهم بقولك قال يا ابن أخي ان صنعت ما أقول لك كنت كذلك قال وما أصنع قال غض بصري وكف لساني وعفة طعمي وحفظ فرجي وقيامي بعهدي ووفائي بوعدي وتكرمة ضيفي وحفظ جاري وترك ما لا يعنيني فذلك الذي صيرني كما ترى ويروى انه قال قدر الله واداء الامانة وصدق الحديث وترك ما لا يعنيني * أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يجلس مجالس الملوك قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة وقال الامام أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعالبي المفسر اتفق العلماء على ان لقمان كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه تفرد بانه نبي * ابن عمر رضي الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حقا أقول لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا صمصامة كثير التفكر حسن اليقين أحب الله فاحبه ومن الله عليه بالحكمة * وهب بن منبه كان لقمان ابن أخت داود عليه السلام وقيل ابن خالته وكان في زمنه وكان داود يقول له طوبى لك أوتيت الحكمة وصرفت عنك البلوى وأوتي داود الخلافة وبلي بالبلية وكان داود يغشاه ويقول انظروا الى رجل أوتي الحكمة ووقي الفتنة * عبد الوارث أوتي لقمان الحكمة في قائلة قالها فقيل وهل لك أن تكون خليفة فتعمل بالحق فقال ان تجبرني فسمعا وطاعة وان تخيرني اختار العافية فقيل وما عليك أن تكون خليفة فتعمل بالحق قال فان اعمل بالحق فبالحري أن انجو وان اخطئ الحق أخطئ طريق الجنة وانه من يبع الآخرة بالدنيا يحرمهما جميعا وأن أعيش حقيرا ذليلا أحب الي من أن أعيش قويا عزيزا فشكر الله تعالى مقالته فغطه في الحكمة غطة فأصبح وهو أحكم الناس وقيل كان عبد النجار فقال له سيده اذبح شاة وائتني باطيب مضغتين فأتاه بالقلب واللسان ثم أمره بمثل ذلك وأن يخرج أخبث مضغتين فأخرج القلب واللسان فقال له ما هذا فقال ليس شئ أطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا * وأما حكمته فقد ذكر الله تعالى منها في كتابه ما علم وذكر مالك في موطئه منها كلاما كثيرا وذكر منها فصلا في كتاب الجامع من الموطا ومن حكمته يا بني ان الناس قد تطاول عليهم ما يوعدون وهم الى الآخرة سراعا يذهبون وانك قد استدبرت الدنيا مذ كنت واستقبلت الآخرة وان دارا تسير اليها أقرب من دار تخرج منها يا بني ليس غنى كصحة ولا نعيم كطيب نفس يا بني لا تجالس الفجار ولا تماشهم اتق أن ينزل عليهم عذاب من السماء فيصيبك معهم وجالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله تعالى يحيي القلوب الميتة بالعلم كما يحيي الارض بوابل المطر * أبو اسحق الثعالبي باسناده عن عكرمة قال كان لقمان من أهون مماليك سيده عليه فبعثه مولاه مع عبيد له الى بستانه يأتونه بشئ من ثمر فجاؤه وما معهم شئ وقد أكلوا الثمر وأحالوا على لقمان فقال لقمان لمولاه ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها فاسقني واياهم ماء حميما ثم أرسلنا لنعدو ففعل فجعلوا يتقيؤن تلك الفاكهة ولقمان يتقيأ ماء فعرف مولاه صدقه وكذبهم قال وأول ما عرف من حكمته انه كان مع مولاه فدخل مولاه

ولاحكم لقمان بلقمة

﴿خبر لقمان عليه السلام﴾

قوله صمصامة كذا بالاصل والذي في تفسير الخطيب عبدا كثير التفكر حسن الظن كثير الصمت احب الله الخ اه مصححه

المبرز فأطال فيه الجلوس فساءه لقمان ان طول الجلوس مع الحاجة ليجمع منه الكبد ويورث الباسور ويصعد الحرارة الى الرأس فاجلس هو بني قال فخرج وكتب حكمته على باب الحش قال وسكر مولاه يوماً فخاطر قوماً أن يشرب ماء بحيرة فلما أفاق عرف ماوقع فيه فدعا لقمان فقال له لمثل هذا كنت اختبأتك فقال لمولاه أخرج ابارِيقك ثم اجمعهم فلما اجتمعوا قال على أى شئ خاطرتموه قالوا على ان يشرب ماء هذه البحيرة قال فان لها مواد فاحبسوا عنها موادها قالوا وكيف نستطيع ذلك قال لقمان وكيف يستطيع هو أن يشربها ولها مواد وأراد مولاه بيعه فقال يامولاى ان لى عليك حقا فلا تبعني الا ممن أحب قال لك ذلك فكان الرجل اذا جاء يستامه قال لاى شئ تريدنى فقال أحدهم تحفظ على بابى قال اشترنى فلما جنه الليل أغلق الباب وقام يصلى فى الدهليز وكان لبنات الرجل أخلاء فجاؤا فضربوا الباب فقلن يالقمان افتح الباب فقال بابى أنتن وأمى ليس لهذا اشترانى أبوكن فضربنه ضرباً كدن ان يأتين منه على نفسه فلما أصبح لم يخبر أباهن فلما كانت الليلة الثانية عاودنه بمثل ذلك فلما أصبح لم يخبر أباهن فلما كانت الليلة الثالثة عاودنه بمثل ذلك فلما أصبح لم يخبر أباهن فأقبل بعضهن على بعض فقلن ماجعل الله هذا العبد الاسود أولى بهذا الخير منا قال فتكن نساكا لم يكن فى بنى اسرائيل أفضل منهن عبدالله بن دينار قال قدم لقمان من سفر فاستقبله غلام له فى الطريق فقال له لقمان مافعل أبى قال مات قال الحمد لله ملكت أمرى قال مافعلت أمى قال ماتت قال الحمد لله ذهب همى قال مافعلت امرأتى قال ماتت قال الحمد لله جدد فراشى قال مافعلت ابنتى قال ماتت قال الحمد لله سترت عورتى قال مافعل ابنى قال مات قال انا لله وانا اليه راجعون انقطع ظهرى وقيل له ما أقبح وجهك قال أتعيب على هذا النقش أم على النقاش وقال النبى صلى الله عليه وسلم سادة السودان أربعة لقمان والنجاشى و بلال ومهجع وثم لقمان آخر وهو لقمان بن عاد وهو تذكره العرب فى أخبارها وكان أيضا حكيما وكانت له أخت محمقة فقالت لامرأته هذه ليلة طهورى فهبى لى ليلتك طمعا فى أن تعلق من أخيها بنجيب ففعلت فولدت لقيم بن لقمان وفيه يقول النمر بن تولب

لقيم بن لقمان من أخته * فكان ابن أخت له وابنما

وقال المسيب يذكره

أنت الرئيس اذا هم نزلوا * وتواجهوا كالاسد والنمر
ولأنت ابين حين تنطق من * لقمان لما عى بالفكر

وقالت بنت عثمان بن وثيمة ترثى اباها

الواهب المائة التلاد * دلناو يكفينا العظيمه
والدافع الخصم الالد اذا تفوضع فى الخصومه
بلسان لقمان بن عا * د وفصل خطبته الحكيمه
الجنهم بعد التجا * ذب والتدافع فى الحكومه

ولا اخبار الملاحم بلحمة وأماجيل هذا الاوان فما منهم من يميح اذا اصيغ له المديح ولا من يجيز اذا أنشد له الاراجيز ولا من يغيث اذا أطريه الحديث ولا من يمير ولو أنه أمير وعندهم أن مثل الاديب كالربع الجديب ان لم تجد الربيع دعة لم تكن له قيمة ولا دانته بهيمة وكذا الاديب ان لم يعضده نشب فدرسه نصب وحزبه حصب ثم انسدر يعدو وولى يحدو فقال لى أبو زيد أعلمت أن الادب قد بار وولت أنصاره الادبار

(قوله الملاحم) مواضع الحروب التى تلحم فيها الجموع وتختلط عند القتال وتسمى اخبار الوقائع والحروب ملاحم و (جيلك) اهل عصرك (الاوان) الحين والعصر (يميح) يعطى معروفا ويحتمل أن يريد يستقيك ماء والمائح النازل فى قعر البئر يخرج ماءها وقد ماح الماء اذا استقاه (صيغ) صنع (يجيز) يعطى الجائزة (يغيث) يتكرم ويجود وهو من الغيث (يمير) يعطى الميرة والميرة الطعام المجلوب و (الربع) المنزل (الجديب) الذى لم يمطر (دعة) مطر دائم (دانته) قاربته (يعضده) يقويه (نشب) مال (نصب) تعب (حزبه) أهله و (الحصب) هو الحطب الملقى فى النار وكل ماتطعمه النار فهو حصب وهو من حصبته بالحصباء أى رميته بها (انسدر) جرى وانصب فى جريه وانسدر البازى اذا انحط (يعدو) يسرع (يحدو) يتابع الجرى وكل شئ اتبعته فقد حدوته (بار) هلك ومنه بار

الطعام اذا كسد وفى الحديث نعوذ بالله من بور الايم أى من كسادها وقال الله تعالى يرجون تجارة لن تبور أى لن تكسد وقال تعالى وكنتم قوما بورا أى هالكين قال الفراء البور يكون للمذكر والمؤنث والاثنين والجمع بلفظ واحد أبو عبيدة رحمه الله هو جمع بائر كعائذ وعوذ ويدل على صحة قول الفراء قول ابن الزبعرى

يارسول المليك ان لسانى * راتق ما فتقت اذ أنا بور

(بؤت) رجعت (البصيرة) اليقين والاعتماد الصحيح (المصاع) مراجعة الكلام والمصاع فى الاصل القتال والدفاع وكل ما عانيته بشدة وجد فقد ماصعته (القصاع) فى الاصل صحاف الطعام (الاسجاع) الكلام المقفى (الرمق) بقية النفس و (الحرق) جمع حرقة وأراد بطفء الحرق تسكين ألم الجوع (مالبث) ما أقام ولا استقر (رفض) ترك (الصدق) قول الحق و (الصداقة) الصحبة (مكثت مليا) أقمت زمانا (أرقبه) انتظر مجيئه (اتعقبه) أمشى فى أثره وأطلبه و (ضيع اللبن فى الصيف) مثل يضرب لكل من ضيع أمره ثم تعرض لاستدراكه بعد فوته قال عمرو بن عدس التميمى وكان تزوج دختنوس بنت لقيط بن زرارة وكان شيخا مسنا ذا مال كثير فأبغضته بسبب كبره وسألته طلاقها فطلقها وتزوجها عمير بن معبد بن زرارة وكان شابا معدما فبينما هو معها جالس اذ مرت بهما ابل عمرو بن عمرو بن عدس كالليل لكثرتها فقالت لها عميرا بعثى الى عمرو يعطيك لبنا أو حلوبة فأرسلت اليه رسولا بذلك فقال لرسولها قل لها الصيف ضيعت اللبن فلما بلغها ذلك ضربت على كتف ابن عمها وقالت هذا ومذقه خير فسير يد أنه طلقها فى الصيف فضاع لبنها فى ذلك الوقت وقال فى الدرة خص الصيف بالذكر لانها كانت سألته الطلاق فيه فكأنها يومئذ ضيعت اللبن والله تعالى أعلم

﴿شرح المقامة الرابعة والاربعين وتعرف بالشتويه﴾

(داجية وفاحمة) شديدة السواد و (اللمم) جمع لمة وهى جمة الشعر التى ألمت بالمنكب أى قاربته وجعل لليلة لمة مجازا وهو يريد شدة سوادها (تضرم) توقد (علم) جبل (جوها) ناحية سمائها (مقرور) بارد وأراد أن ما يجىء من جوها من الريح والهواء بارد جدا (مزرور) مشدود بالازرار وهى اطواق الثياب وهذا يكون فى طوق الصغير يشق فى صدر الثوب عوضا عن الجيب ويترك من الطوق طرفان على ذلك الشق فاذا لبس الثوب شد الطرفين فيقال عند ذلك قد زررت الثوب يريد أن السحاب قد تكاثف فى تلك الليلة فلا تبصر العين فيها لشدة ظلامها لان الثوب اذا شدت ازراره لم يجد رأس الانسان من أين يخرج فلما جعل لليلته ثوبا من الظلام والسحاب جعله مربوطا مشدودا مغموما مستورا (غيمها) سحابها (مركوم) أى متراكب بعضه على بعض (أنص عنسى) أى أجهد ناقتى وأتعبها والنص رفع السير وقالت أم سلمة لعائشة رضى الله عنهما ما كنت قائلة لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عارضك ببعض الفلوات ناصة قلوصا من منهل الى آخر ومنه نص الحديث الى فلان أى رفعه الى شخص و (ارقالى) سرعتى (يعدو) يسرع (الجمزى) عدو شديد (قوله سارى) أى آت بالليل و (الخابط) الماشى على غير علم بالطريق (هداه) من الهداية و (أهداه) من الهدية (رحيب الباع) كثير البر واسع العطاء واسع البر والرحب المتسع (مرحب) يقول مرحبا بك و (الطارق) الآتى بالليل (الممتار) طالب الميرة وهى الطعام يجلب من بلد الى بلد (جعد الكف) هو البخيل أى يرحب بالضيف كما يرحب البخيل بالدينار اذا وقع فى كفه * نظر أعرابى الى درهم فى يد رجل وأدام النظر اليه فقال له الرجل لو كان لك ما كنت صانعا قال كنت أنظر اليه نظرة ثم تكون آخر عهده باليد وكان بعض البخلاء اذا وقع الدرهم فى يده يخاطبه ويقول له أنت عقلى ودينى وصلاتى وصيامى وجامع شملى وقرة عينى وأنسى وقوتى وعدتى وعمادى ثم يقول له

أهلا وسهلا بك من زائر * كنت الى وجهك مشتاقا

فبؤت له بحسن البصيرة وسلمت بحكم الضرورة فقال دعنا الآن من المصاع وخض فى حديث القصاع واعلم ان الاسجاع لاتشبع من جاع فما التدبير فيما يمسك الرمق ويطفئ الحرق فقلت الامر اليك والزمام بيديك فقال أرى ان ترهن سيفك لتشبع جوفك وصيفك فناولنيه واقم لانقلب اليك بما تلتقم فأحسنت به الظن وقلدته السيف والرهن فالبث ان ركب الناقة ورفض الصدق والصداقة فمكثت مليا أرقبه ثم نهضت اتعقبه فكنت كمن ضيع اللبن فى الصيف ولم القه ولا السيف

(المقامة الرابعة والاربعون الشتويه)

(حكى الحرث بن همام) قال عشوت فى ليلة داجية الظلم فاحمة اللمم الى نار تضرم على علم وتخبر عن كرم وكانت ليلة جوها مقرور وجيبها

ثم يقول يانور عينى وحبيب قلبى قد صرت الى من يصونك ويعرف قدرك ويعظم حقك ويرعى قيمتك ويشفق عليك وكيف لا تكون كذلك وأنت تعظم الاقدار وتعمر الديار وتفتض بك الابكار وتسمو على الاشراف وترفع الذكر وتعلى القدر وتؤنس من الوحشة ثم يطرحه فى الكيس ويقول

بنفسى محجوب عن العين شخصه * ومن ليس يخلو من لسانى ولا قلبى
ومن ذكره حظى من الناس كلهم * وأول حظى منه فى البعد والقرب

(مزورّ) منقبض (معتام) مؤخر مبطئ و(القرى) طعام الضيف معناه أنه لا يؤخر طعامه ويقال اعتم بابله اذا أخر حلبها ومنه العتمة لتأخر وقتها (مثغار) كثير التأخر (اقشعرت) انقبضت من شدة البرد (ترب) جمع تربة وهى وجه الارض و(الاقطار) البلاد والنواحى (ضنت الانواء) بخلت النجوم وكانوا يستمطرون بها (بؤس) شدة (الضارى) المعتاد أى الذى عادته أن لا يكون فيه غير بؤس (جم) كثير واذا كثر الرماد كان عن كثرة النار وكثرة ما يطبخ عليها (مرهف) قاطع (اقتداح) ضرب بالزند (وار) بعير سمين وورى المخ اكتنز فهو وار وورى الزند فهو وار أى مبد للنار (محيا) وجه (صافحنى) واجهنى وقابلنى (براحة) بكف (أريحى) كريم يهتز للكرم (اقتادنى) ساقنى (ولائده) خدمه (تمور) تسير وتختلف (بالطعام موائده) جمع مائدة * أبو عبيد سميت مائدة لانها ميد بها صاحبها أى أعطيها وتفضل عليه بها والعرب تقول مادنى فلان يميدنى اذا أحسن الى فكان المائدة تميد من حواليها مما أحضر عليها قال رؤبة * الى أمير المؤمنين الممتاد * أى المستعطى غيره سميت مائدة لانها تميد بما عليها أى تتحرك ومادا الغصن يميد مال قال الله تعالى وجعلنا فى الارض رواسى أن تميد الجرمى يقال مائدة وميدة وأنشد

وميدة كثيرة الالوان * تصنع للاخوان والجيران

وذكر القولين أبو محمد فى درة الغواص وزاد أنه لا يقال لها مائدة الا أن يحضر عليها طعام والا فهى خوان واستدل بان الحواريين لما اقترحوا على عيسى عليه السلام أن ينزل عليهم مائدة قالوا نريد أن نأكل منها قال وحكى الاصمعى قال غدوت ذات يوم الى زيارة صديق لى فلقينى أبو عمرو بن العلاء فقال لى الى أين يا أصمعى فقلت الى صديق لى فقال ان كان لفائدة أو لعائدة أو لمائدة والا فلا وهذا باب يتسع كثيرا وسأسوق جملة تأتى على أكثره وهذه الحالة التى وصف من ايقاد النار هى التى كان يفعل حاتم وكان اذا اشتد البرد وكلب الشتاء أمر غلامه فأوقد نارا فى يفاع من الارض لينظر اليها من أضل الطريق ليلا فيهتدى اليها وقال فى ذلك

أوقد فان الليل ليل قر * والريح ياموقد ريح صر
علّ يرى نارك من يمر * ان جلبت ضيفا فأنت حر

ولابن هرمة فى هذا اشعار مستحسنة منها

اغشى الطريق بقبتى ورواقها * وأحل فى قلل الربا واقيم
ان امرأ جعل الطريق لبيته * طنبا وأنكر حقه للئيم

وقال مهيار ضربوا بمدرجة الطريق قبابهم * يتقارعون على قرى الضيفان
ويكاد موقدها يجود بنفسه * حب القرى حطبا على النيران

(ولابن هرمة أيضا)

ومستنبح تستكشط الريح ثوبه * ليسقط عنه وهو بالرمل معصم
عوى فى سواد الليل بعد اعتسافه * لينبح كلب أو ليفزع نوم
فجاوبه مستسمع الصوت للقرى * له عند اتيان المليين مطعم
يكاد اذا ما أبصر الضيف مقبلا * يكلمه من حبه وهو أعجم

مزورور ونجمها مغموم
وغيمها مركوم وانا فيها
اصرد من عين الحرباء
والعنز الجرباء فلم أزل أنص
عنسى واقول طوبى لك
ولنفسى الى ان تبصر الموقد
آلى وتبين ارقالى فانحدر
بعدا لجزى وينشد من تجزا
حييت من خابط ليل سارى
هداه بل اهداه ضوء النار
الى رحيب الباع رحب الدار
مرحب بالطارق المستار
ترحاب جعد الكف
بالدينار
ليس بمزورّ عن الزوار
ولا بمعتام القرى مثغار
اذا اقشعرت ترب الاقطار
وضنت الانواء بالامطار
فهو على بؤس الزمان
الضارى
جم الرماد مرهف الشفار
لم يخل فى ليل ولا نهار
من نحر وار واقتداح وارى
ثم تلقانى بمحياه وصافحنى
براحة أريحى واقتادنى الى
بيت عشاره تخور وأعشاره
تفور وولائده تمور وموائده
تدور وبا كساره أضياف
قد جلبهم جالبى

(وقال بعض المحدثين)

ويدل ضيفي في الظلام على القرى * اشراق نارى أو نباح كلابى
حتى اذا واجهنه ولقينه * حيينه ببصائص الاذناب
وتكاد من عرفان ما عودنه * من ذاك أن يفصحن بالترحاب

(ولابن هرمة في ذلك أيضا)

كيف احتيالى لبسط الضيف من حصر * عند الطعام فقد ضاقت به حيلى
أخاف ترداد قولى كل فأقطعه * والسكت ينزله منى على البخل

وقال حاتم سلى الطارق المعتر يا أم مالك * اذا ما اعترانى بين قدري ومجزرى
أيسفر وجهى انه أول القرى * وأبذل معروفي له دون منكرى

وقال أيضا أما والذى لا يعرف السر غيره * ويحيى العظام البيض وهى رميم
لقد كنت أختار القرى طاوى الحشى * محافظة من أن يقال لئيم
وانى لأستحيى يمينى وبينها * وبين فمى داجى الظلام بهيم

وقال أيضا أكف يدى من أن تنال التماسها * أكف صحابى حين حاجاتنا معا
أبيت هضيم الكشح مضطرم الحشى * من الجوع اخشى الذم أن أتضلعا
وانى لاستحيى رفيقى أن يرى * مكان يدى من جانب الزاد أقرعا
وانك ان أعطيت بطنك سؤله * وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

(وقال أبو زياد الاعرابى)

له نار تشب على يفاع * اذا النيران ألبست القناعا
فلم يك أكثر الفتيان مالا * ولكن كان أرحبهم ذراعا

آخر لعل عارا اذا ضيف تأوبنى * ما كان عندى اذا أعطيت مجهودى
جهد المقل اذا أعطاك نائله * ومكثر فى الغنى سيان فى الجود

آخر تركت ضأنى تود الذئب راعيها * وانها لا ترانى آخر الابد
الذئب يطرقها فى الدهر واحدة * وكل يوم ترانى مدية بيدى

آخر وسع بعدلك ماء اللحم تقسمه * وأكثر الشوب ان لم يكثر اللبن
وسع به وتلفت نحو حاضره * ان الكريم الذى لم يخله الفطن

وقال الغنوى لحافى لحاف الضيف والبيت بيته * ولم يلهنى عنه غزال مقنع
أحدثه ان الحديث من القرى * وتكلأ عينى عينه حين يهجع

وقال آخر وانا المشاؤن بين رحالنا * الى الضيف منا لاحف ومنيم
فذو الحلم منا جاهل دون ضيفه * وذو الجهل منا عن أذاه حليم

آخر ساقدح من قدرى نصيبا لجارتى * وان كان ما فيها كفافا على أهلى
اذا أنت لم تشرك رفيقك فى الذى * يكون قليلا لم تشاركه فى الفضل

ولبعض أصحابنا وسار تحلى أنجم الليل زينة * ويلبس من ظلمائها ثوب ثاكل
رفعت له نارى فآنس ضوأها * كما آنس الظمآن برد المناهل
أتانا فحيانا فكان جوابه * صليل شفار السيف فى ساق بازل
وما انا من سؤاله ممن الفتى * وتلك سجايا كل أطلس باخل
فذاك الذى أودى بما كسبت يدى * وان عاد وفرى عدت غير مواكل

وهذا باب يطول ذكره وقال آخر فى ضد ما قدماه

أرانى من بنى حكم غريبا * على قتر أزور ولا أزار
أناس يأكلون اللحم دونى * ويأتينى المعاذر والقتار

القتر والقطر الجانب وقال آخر

مات فى عرس سليما * ن من الجوع جماعه
مات أقوام وقوم * حملوا فيه القناعه
لم يكن يوجد فيه الا * خبز الا بشفاعه

آخر
ولم تنسنى الايام لا أنس جوعنا * بدار بنى بدر وطول التلدد
ظللنا كأنا بينهم أهل مأتم * على ميت مستودع بطن ملحد
يحدث بعض بعضنا عن مصابه * ويأمر بعض بعضنا بالتجلد

وفى هذا طرف من قول الآخر

اذا ما عرا كم حادث فتحدثوا * فان حديث القوم ينسى المصائبا

وأهل الحزن يستعملون الحديث اشتغالا عن المصيبة وقال بشار

﴿ ما قيل فى البخل ﴾

أبناء عمرو ولى خفض وفى دعة * وفى عطاء لعمرى غير ممنوع
وضيف عمرو وعمرو ساهران معا * عمرو لبطنته والضيف للجوع

آخر
ما كنت أحسب أن الخبز فاكهة * حتى نزلت على قوم بعيسان
قوم اذا حل ضيف بين أظهرهم * لم يبرلوه ودلوه على الخان

آخر
والناس فى فطر سوى شهرهم * ودهر أضيافك شهر الصيام

آخر
كتبت له ضيفا فظن بأننى * كتبت له ضيفا فقام الى السيف
فقلت له خبزا فظن بأننى * ذكرت له خبزا فمات من الخوف

وان ابن هرمة ألأم الناس مع ادعائه فى شعره الكرم قال رجل أتيناه فى جماعة من قريش أحببنا أن يتنزه عندنا ومشينا بزاد كثير فخرج علينا وقال ما جاء بكم قلنا شعرك حيث قلت ان امرأ جعل الطريق البيتين وقولك أيضا

واذا تنور راكما مستنبح * نبحت فدلته على كلابى
وعوين يستعجلنه فلقينه * يضربنه بشراسف الاذناب

وسمعناك تقول
كم ناقة قد وجأت منحرها * بمستهل الشؤبوب أو جمل
لا امتع العوذ بالفصال ولا * أبتاع الا قريبة الاجل

فنظر الينا وقال ما على وجه الارض عصبة أسخف عقولا منكم أما سمعتم قول الله عز وجل وأنهم يقولون مالا يفعلون فى الشعراء والله انى لا أقول مالا أفعل وأنتم تريدون أن أفعل ما أقول والله لا أغضب ربى فى رضا كم فضحكنا منه وأخرجنا معنا يتنزه حتى فنى الزاد * أتى الحطيئة رجل وهو فى غنمه وقال يا صاحب الغنم سلام عليك فرفع الحطيئة العصا وقال انها عجراء من سلم فقال الرجل انى ضيف فقال للضيفان اعددتها فاعادا لسلام فقال ان شئت قت بها اليك * ومر به ابن حمامة وهو جالس بفناء بيته فقال السلام عليكم فقال قد قلت مالا ينكر وقال خرجت من أهلى بغير زاد قال ما ضمنت لاهلك قراك قال أفتأذن لى ان آتى ظل بيتك قال دونك الجبل يفيء عليك قال أنا ابن حمامة قال انصرف وكن ابن أى طائر شئت يروى هذا عن أبى الاسود الدؤلى * ونزل الغضبان بن القبعثرى خارج كرمان وهى قرية كثيرة الرمضاء فضرب قبته فورد عليه اعرابى من بكر فقال السلام عليك قال السلام عليك كثير وهى كلمة مقولة قال الاعرابى ما اسمك قال آخذ قال أو تعطى قال ما أحب أن يكون لى اسمان قال ومن أين جئت قال من الذلول قال وأين تريد قال أرضنا

أمشي في مناكبها قال ومن عرض اليوم قال آل فرعون على النار قال فمن بشر قال الصابرون قال فمن غلب قال حزب الله قال أفتقرض قال انما تقرض الفأرة قال أفتسمع قال انما تسمع القينة قال أتنشد قال انما تنشد الضالة قال أفتقول قال انما يقول الامير قال أفتسجع قال انما تسجع الحمامة قال أفتنطق قال كتاب الله ينطق قال انك لمنكر قال اني لمعروف قال فذلك أريد قال وما ارادتك قال الدخول عليك قال وراءك أوسع قال قد أضرتني الشمس قال الساعة يأتيك الفيء قال الرمضاء أحرقت قدمي قال بل عليهما تبردا قال قد أوجعني الحر قال ليس لي عليه سلطان قال اني لا أريد طعامك ولا شرابك قال لا تعرض بهما والله لا تذوقهما عندي قال سبحان الله قال قبل كونك قال ما أرى عندك قال هراوة ارزن أدق بها رأسك فتركه وانصرف ﴿الاصمعي عذلت اعرابية أباها في اتلاف ماله فقالت يا أبت حبس المال أنفع للعيال من بذل الوجه للسؤال وقد أتلفت التلاد وبقيت ترقب ما بأيدي العباد ومن لم يحفظ ما ينفعه يوشك أن يقع فيما يضره أخذه ابن المعتز فقال

يارب جود جر فقر امرئ ﴿ فقام للناس مقام الذليل
فاشدد عرا مالك واستبقه ﴿ فالبخل خير من سؤال البخيل

﴿(وقال بعض البخلاء)﴿

أعددت للاضياف كلبا ضاريا ﴿ عندي وفضل هراوة من أرزن
ومعاذرا كذبا ووجها باسرا ﴿ وتشكيا عض الزمان الالزن

الالزن المضيق ﴿ محمد بن الجهم وددت أن عشرة من الفقهاء وعشرة من الشعراء وعشرة من الخطباء وعشرة من الادباء تواطؤا على ذمي حتى ينتشر ذلك عنهم في الآفاق فلا يمتد الى أمل آمل ولا يبسط نحوى رجاء لراج وكان يقول من وهب في عمله فهو مخدوع ومن وهب بعد العزل فهو أحمق ومن وهب في جوائز سلطانه أو عمل لم يتعب فيه فهو مخذول ومن وهب من كسبه وما استفاد بحيلته فهو المطبوع على قلبه المختوم على سمعه وبصره وقال منع الجميع أرضى للجميع وهذا كقول الاصمعي لو قسمت في الناس ألف ألف لكان أكثر لائمي من لو أخذتها منهم قالوا ولم يرد البخل ولكن اذا تعذر عليه أن يعم فلا يخص وقال آخر قول لا يدفع البلا وقول نعم يزيل النعم ﴿ دعبل كانوا عند سهل بن هرون واطلنا الحديث حتى أضر به الجوع فدعا بغدائه فاذا بصحفة فيها مرق ولحم ديك قد هرم لا تحز فيه سكين ولا يؤثر فيه ضرس فأخذ قطعة من خبز فقلع بها جميع المرق وفقد الرأس فبقي مطرقا ساعة ثم رفع رأسه الى الغلام وقال أين الرأس قال رميت به قال ولم قال لم أظنك تأكله قال ولم ظننت ذلك فوالله اني لامقت من يرمي برجله فضلا عن رأسه والرأس رئيس وفيه الحواس الخمس ومنه يصيح الديك وفيه عيناه اللتان يضرب بهما المثل فيقال شراب مثل عين الديك ودماغه عجيب لوجع الكلية فان كان بلغ من جهلك أنني لا آكله فان عندنا من يأكله انظر أين هو قال والله لا أدري أين رميت به قال لكني والله أدري رميت به في بطنك ولسهل هذا رسالة مدح فيها البخل وفضله على السخاء ليري في ذلك بلاغته وأهداها الى الحسن بن سهل في وزارته للمأمون فوقع عليها القد مدحت ما ذمه الله وحسنت ما قبح وما يقوم صلاح لفظك بفساد معناك وقد جعلنا ثوابك عليها قبول ما فضلت فيها ونتأدب فيها بادبك ولم يعطه شيأ وقيل ان الذي أهدى اليه كتاب ألفه مدح فيه البخل وذم الجود فوقع عليه بما تقدم قال دعبل

صدق أليته ان قال مجتهدا ﴿ لا والرغيف فذاك البر من قسمه
فان هممت به فافتك بخبزته ﴿ فان موقعها من لحمه ودمه
قد كان يعجبني لو أن غيرته ﴿ على جرادقه كانت على حرمه

أبو نواس في البوبو الزنديق

لقيت في آل زياد فتى * يلقب البوبو حلو ظريف
ينزل للضيف بفنائه * صيانة منه لعرض الرغيف
وان في النيل لمستمتعا * عند اعتياض الخبز للمستضيف

آخر
أما الرغيف لدى الخوا * ن فمن حمامات الحرم
ما ان يحس ولا يمس ولا يذاق ولا يشم
فتراه أخضر يابسا * بالي النقوش من الهرم

آخر
أبو نوح دخلت عليه يوما * فغداني برائحة الطعام
وقدم بيننا لحما سمينا * أكلناه على طبق الكلام
فلما أن رفعت يدي سقاني * كؤسا خمرها ريح المدام
فكان كمن سقى الظمآن آلا * وكنت كمن تغدى في المنام

﴿وقال في أبي نوح أيضا﴾

لابي نوح رغيف * أبدا في جردايه * فهي تحميه مدى الدهر بكتم ووقايه
وله كاتب صدق * خط فيه بعنايه * فسيكفيكهم الله الى آخر الآيه

آخر
استبق ود أبي المقا * تل حين تأكل من طعامه
سيان كسر رغيفه * أو كسر عظم من عظامه
فارفق بكسر رغيفه * ان كنت ترغب في كلامه
وتراه من خوف النزو * ل به يروع في منامه

آخر
خان عهدي عمرو وما خنت عهده * وجفاني وما تغيرت بعده
ليس لي مذنب ذنب اليه * غير أني يوما تغديت عنده

آخر
أبو جعفر رجل عالم * بما يصلح المعدة الفاسده
تخوف تخمة أضيافه * فعودهم أكلة واحده

أبو نواس
فتى لرغيفه قرط وشنف * ولؤلؤتان من خرز وشذر
ودون رغيفه قلع الثنايا * وحرب مثل وقعة يوم بدر
وان كسر الرغيف بكى عليه * بكا الخنساء اذ فجعت بصخر

آخر
رغيف أبي علي حل خوفا * من الاضياف منزلة السماك
اذا كسروا رغيف أبي علي * بكى يبكي بكاء فهو باك

آخر
ان هذا الفتى يصون رغيفا * ما اليه لناظر من سبيل
هو في قفتين من ادم الطا * ئف في سلتين في منديل
في جراب في جوف تابوت موسى * والمفاتيح عند ميكائيل

ابن بسام
أتانا بخبز له يابس * كمثل الدراهم في خلقته
اذا ما تنفست عند الخوان * تطاير في البيت من خفته

﴿وقال عباس الخياط﴾

رغيفه النجم لمن رامه * يرى ولا يطمع في لمسه
كأنه في جوف مرآته * يبدو ولا يطمع في جسه
وفلسه الامس الذي قد مضى * بل أمسه أوجد من فلسه

آخر
رغيف في الجبال عليه قفل * وخزان وأبواب منيعه

رأى في بيته يوما رغيفا * فقال لضيفه هذا وديعه

اعتل أبو هفان في منزل ابن أبي طاهر فابطؤا عليه بالغداء فقال

أنا في منزل خل * مشفق بي ورفيق
رجل أعمر من منـ * ـزله ظهر الطريق
ليس لي أكل سوى لحـ * ـمي وشرب غير ريق

وبجحظة يهجو رجلا

لا تعذلوني ان هجرت طعامه * خوفا على نفسي من المأكول
فتى أكلت قتلته من بخله * ومتى قتلت قتلت بالمقتول

وله أيضا يذم بخيلا تبرم اذ جئته للسلام * وأبدى لي الكره لما دخلت

فقلت له لا ترعك الدخول * فوالله ما جئت الا أكلت

أين هذا من قول أبي العباس الصولي

لنا ابل كوم يضيق بها الفضا * وتفتر عنها أرضها وسماؤها
فمن دونها ان تستباح دماؤنا * ومن دوننا أن تستذم دماؤها
حمى وقرى فالموت دون مرامها * وأهون خطب في الحقوق بناؤها

وقوله لا تلومي فان همك ان أثـ * ـرى وهمي مكارم الاخلاق

كيف يسطيع حفظ ما جمعت كفاه من ذاق لذة الانفاق

وقوله تلج الضيوف بيوتهم وترى لها * عن جار بيتهم ازورار مناكب

وتراهم بسيوفهم وشفارهم * مستشرفين لراغب أو راهب
حامين أوقارين حيث لقيتهم * نهب العفاة ونهزة للراغب

وجلس هرون بن محمد بن الزيات في مجلس عبد الله بن سليمان فجعل هرون ينشد من شعر أبيه محاسنه فقال له ابن برد الخبازان كان لا يبلغ مثل قول ابراهيم

أسد ضار اذا ما هجته * وأب بر اذا ما قدرا
يعرف الابعد ان أثرى ولا * يعرف الادنى اذا ما افتقرا

أو مثل قوله تلج الضيوف البيتين فاذكره وفاخر به والا فأقلل من الفخار والتطاول بما لا طائل فيه فخجل هرون وابراهيم هذا أشعر الكتاب بلا خلاف وذكر الحريري القدور وممن وصفها فأحسن الفرزدق حين قال

وقد علم الجيران أن قدورنا * ضوامن للارزاق والريح رفرف
تفرغ في شيزى كأن جفانها * حياض الملا منها ملاء ونصف
ترى حولهن المعتفين كأنهم * على صنم في الجاهلية عكف

﴿وقال أمية بن أبي الصلت﴾

وكأنها بفنائه * للضيف مترعة زواخر
وكأنهن عباشعن وما حسين به ضرائر
زبد وقرقرة كفو * قرة الفحول اذا تخاطر

وقال النابغة في مثله

له بفناء البيت سوداء فخمة * تلقم أعضاء الجزور العراعر
بقية قدر من قدور توارثت * لآل جلاح كابرا بعد كابر
يظل الاماء يبتدرن قديحها * كما ابتدرت سعد مياه قراقر

قديحها

قد يحها مرقها لانه يقدح أى يؤخذ بالمقدحة وهى المغرفة

وقال آخر

وسوداء لا تكسى الرقاع نبيلة * لها عند قرات العشيات أزمل

اذا ما قرينا هاقراها تضمنت * قرى من عرانا أو تزيد فتفضل

وقال مسكين الدارمى

كان قدور قومى كل يوم * قباب الترك ملبسة الجلال

بايديهم مغارف من حديد * أشبهها مقيرة الدوالى

الدالية الخطارة وفى ضد ذلك لابى نواس

رأيت قدور الناس تبلى عن الصلا * وقدر الرقاشيين بيضاء كالبدر

يضيق بحيزوم البعوضة صدرها * ويخرج ما فيها على طرف الظفر

اذا ما تنادوا للرحيل سعى بها * أمامهم الحولى من ولد الذر

وقال الفرزدق

لو أن قدرا بكت من طول ما جهشت * على الجفوف بكت قدر ابن عمار

ما مسها دسم مذ فض معدنها * ولا رأت بعد نار القين من نار

وتسمى النار فاكهة الشتاء لما يجتنى من تسخينها وقد أحسن ابن صارة فى وصفها حيث قال

هات التى للآ يل أصل ولادها * ولها جبين الشمس فى الاشماس

يتقشع الياقوت من لباتها * بوساوس تشفى من الوسواس

أنس الوحيد وصبح عين المجتلى * ولباس من أمسى بغير لباس

حمراء ترفل فى السواد كأنها * ضربت بعرق من بنى العباس

وقال آخر

لابنة الزند فى الكوانين جمر * كالدرارى فى الليلة الظلماء

خبرونى عنها ولا تكذبونى * ألديها صناعة الكيمياء

سبكت فحمها سبائك تبر * رصعتها بالفضة البيضاء

كلما ولول النسيم عليها * رقصت فى غلالة حمراء

سفرت عن جبينها فأرتنا * حاجب الشمس طالعا فى العشاء

لو ترا نا من حولها قلت شرب * يتعاطون أكؤس الصهباء

وقال الفقيه الاديب ابن لبال رحمه الله

فحم ذكت فى حشاه نار * فقلت مسك وجلنار

أو خد من قد هويت لما * أظل من فوقه العذار

وقال البحترى يصف كانونا

وذى أربع لا يطيق النهوض * ولا يالف السير فيمن سرى

تحمله سبجا أسودا * فيقلبه ذهبا أحمرا

وقلبوا فى قالبى وهم يجتنون فاكهة الشتاء ويمرحون مرح ذوى الفتاء فأخذت مأخذهم فى الاصطلاء ووجدت بهم وجد الثمل بالطلاء ولما ان سرى الحصر وانسرى الحصر أتينا بموائد كالهالات دورا

(قوله قلبوا فى قالبى) أى هم أمثالى لان قالب الشئ كل ما يجعل فيه ليجئ مثله وقلبوا جعلوا فى القالب (يمرحون) ينشطون ويطربون (ذوى الفتاء) أهل الفتوة والفتاء الحداثة والشباب يقال منه فتى بفتى فتاء ويقال أيضا بكر فتى بين الفتاء وفتى من الناس بين الفتوة والفتى والفتية الشاب والشابة (الاصطلاء) التسخن بالنار (الثمل) السكران و(الطلاء) الخمر وأصل الطلاء الرب الثخين الاسود فسميت الخمر الصافية طلاء بضد صفتها كما سمى اللديغ سليما والاسود أبا البيضاء والذئب أبا جعدة وجعدة اسم الشاة (سرى الحصر) أى زال السكوت والحصر انقطاع الكلام وهو العى وحصر يحصر عى والحصر أيضا ضيق الصدر (انسرى الحصر) ذهب البرد والحصر البارد

وخصر الرجل اذا آذاه البرد وآلمه فى أطرافه (والروضات نورا) أى هى فاعمة بكثرة الطعام وأنواع الالوان (شحن) ملئ (الولائم) الاعراس (حمين) منعن (العائب) الذى يعيب الطعام (واللائم) الذى يقف على رؤس أضيافه فيقول ما أكلتم استعملوا ازديا فلان فيخجل أضيافه لذلك فلا يتمكنون من الطعام (رفضنا) تركنا (البطنة) الامتلاء من الطعام والذى قيل فى البطنة البطنة تذهب الفطنة فقال تركنا هذا المعنى وخالفناه ورأينا أن البطنة وهى امتلاء البطن من الطعام والامعان فيه أى المبالغة فى الاكل يقوى الفطنة ويولدها الا أنه يذهبها و (الفطنة) الذكاء وحدة الذهن * معاذ عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أحل الله حلالا أبغض اليه من بطن ملئ طعاما فاقصروا من الطعام تملؤا من الحكمة * المقدام بن معديكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ماملأ آدمى وعاء شرا من بطنه بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فان كان لامحالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه * عمر بن الخطاب رضى الله عنه يا أيها الناس اياكم والبطنة فانها مكسلة عن الصلاة مفسدة للجسد مورثة للسقم وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه اياكم والبطنة فانها مفسدة للقلب * الاصمعى قال اعرابى اذا كنت بطينا فعد نفسك زمنا وقال الحرث بن كلدة أربعة أشياء يهرمن البدن الغشيان على البطنة ودخول الحمام على الامتلاء وأكل القديد ومجامعة العجوز وقال الاصمعى كنت عند هرون الرشيد فقدمت اليه فالوذجة فقال يا أصمعى حدثنى بحديث مزرد أخى الشماخ قلت ان مزردا كان رجلا جسيما وكانت أمه تؤثر عيالها بالزاد وكان يحفظه ذلك منها فذهبت يوما فى بعض حقوق أهلها وخلفته فى بيتها فدخل خيمتها فأخذ صاعين من دقيق وصاعا من عجوة وصاعا من سمن فضرب بعضه ببعض وأكله ثم أنشأ يقول

ولما مضت أمى تزور عيالها * أغرت على العك الذى كان يمنع
خلطت بصاعى حنطة صاع عجوة * الى صاع سمن فوقها يتربع
ودبيت أمثال الاثافى كأنها * رؤس نعاد قطعت لا تجمع
وقلت لبطنى أبشر اليوم انه * حمى آمن مما يغير ويفزع
فان كان مصفورا فهذا دواؤه * وان كنت غرثانا فذا اليوم تشبع

فاستضحك منه حتى أمسك بطنه واستلقى على ظهره ثم قدم يده بمال وقال خذ فهذا يوم تشبع يا أصمعى (قوله الحطم) أى الذى يحطم ويكسر ورجل محطم وحطمة اذا كان قليل الرحمة للماشية وفى المثل شر الرعاء الحطمة وقال الراجز * قد لفها الليل بسواق حطم * فعنى اكتلنا بصاع الحطم أى اكلنا أكل أكول لا يشفق على نفسه من السقم (وأشفينا) أشرفنا (خطر) غرر (التخم) جمع تخمة بفتح الخاء وهو أن يثقل الطعام على المعدة ويتغير والعامة تسكن الخاء وقد يجىء ذلك فى الشعر قال اعرابى

واذا المعدة جاشت * فارمها بالمنجنيق
بثلاث من نبيذ * ليس بالحلو الرقيق
تهدم التخمة هدما * حين تجرى فى العروق

و (تعاورنا) الشئ تداولناه وأخذه بعضنا من بعض وأزلناه من موضع الى موضع وعور العين زوالها و (الغمر) ريح اللحم وزهمه (تبوأنا) أخذنا ونزلنا (السمر) الحديث يسمر عليه (يشول بلسانه) أى يضرب به فى كل كلام وشال رفع و (الصوان) وعاء يصان فيه الشئ (فوداه) ناحيتا رأسه والفود ما بين طرف الجبهة والاذن (مخلولقا) كثير البلى (برداه) ثوباه (ربض) جلس وفى المثل فلان يربض حجرة ويرتعى وسطا يضرب مثلا لمن يساعدك ما دمت فى خير فربض حجرة أى جلس فى ناحية وبرك (أوسعنا) كثر لنا (الهجرة) المباعدة والمقاطعة يريد أنه اعتزلهم وجلس ناحية ولم يكلمهم بكلمة (تجنبه) تباعده يقال تجنبتك وتجانبتك أى تباعدت عنك والجار الجنب البعيد ومازاره الا عن

والروضات نورا وقد شحن
باطعمة الولائم وحمين من
العائب واللائم فرفضنا
ما قيل فى البطنة ورأينا
الامعان فيها من الفطنة
حتى اذا اكتلنا بصاع الحطم
واشفينا على خطر التخم
تعاورنا مشوش الغمر ثم
تبوأنا مقاعد السمر وأخذ
كل واحد منا يشول بلسانه
وينشر ما فى صوانه ماعدا
شيخا مشتهبا فوداه مخلولقا
برداه فانه ربض حجرة
وأوسعنا هجرة فغاظنا
تجنبه

لملتبس موجبه المعذور فيه مؤنبه الا أنا ألناله القول وخشينا فى المسئلة العول وكلما رمنا أن يفيض كما فضنا أو يفيض فيما أفضنا أعرض اعراض العليه عن الارذلين وتلا ان هذا الا أساطير الاولين ثم كأن الحمية هاجته والنفس الأبية ناجته فدلف وازدلف وخلع الصلف وبذل ان يتلافى ما سلف ثم استرعى سمع السامر واندفع كالسيل الهامر وقال عندى أعاجيب أرويها بلا كذب * عن العيان فكونى أبا العجب رأيت ياقوم أقواما غذاؤهم * بول العجوز وما أعنى ابنة العنب *(بول العجوز لبن البقرة والعجوز أيضا من أسماء الخمر)* ومستنين من الاعراب قوتهم * أن يشتووا خرقة تغنى من السغب *(الخرقة القطعة من الجراد)* وقادرين متى ما ساء صنعهم * أو قصروا فيه قالوا الذنب للحطب *(القادر الطابخ فى القدر والقدير المطبوخ فيها)* وكاتبين وما خطت أناملهم * حرفا ولا قرؤا ما خط فى الكتب (الكاتبون الخارزون) يقال كتب السقاء والمزادة اذا خرزهما وكتب البغلة أو الناقة اذا جمع بين شفريها وخاطهما قال الشاعر لا تأمنن فرار يا حلوت به * على قلوصك واكتبها باسيار وتابعين عقابا فى مسيرهم * على تكميهم فى البيض واليلب *(العقاب الراية وكانت راية النبى صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب)* ومنتدين ذوى نبل بدت لهم * نبيلة فانثنوا منها الى الهرب *(النبيلة الجيفة ومنه تنبل البعير اذا مات وأروح يعنى نتن)* وعصبة لم ترا البيت العتيق وقد * حجت حجيا بلا شك على الركب *(معنى حجت حجيا (٢٨٣) أى غلبت بالحجة * مجادلين جاثين على الركب وجثى جمع جاث)* ونسوة بعد ما أدلجن من حلب صبحن كاظمة من غير ما تعب *(كاظمة فى هذا الموضع من كظم الغيظ)* ومدلجين سروا من أرض كاظمة فأصبحوا حين لاح الصبح فى حلب *(فى حلب أى أصبحوا يحلبون اللبن)* ويافعا لم يلامس قط غانية شاهدته وله نسل من العقب *(النسل ههنا العدو وقال تعالى وهم من كل حدب ينسلون والعقب مؤخر القدم)* وشائبا غير مخف للمشيب بدا * فى البدو وهو فتى السن لم يشب *(الشائب ههنا مازج اللبن المشيب اللبن الممزوج ويقال فيه مشيب ومشوب)* ومرضعا بلبان لم يفه فه * رأيته فى شجار بين السبب *(الشجار المحفة مالم تكن مظللة فان ظللت فهوا هودج والسبب ههنا الحبل ومنه قوله تعالى فليمدد بسبب الى السماء)* وزار عاذرة حتى اذا حصدت * صارت غبيراء يهواها أخو الطرب *(الغبيراء المسكر المتخذ من الذرة ويسمى أيضا السكركة وفى الحديث اياكم والغبيراء فانها خمر العالم)* وراكبا وهو معلول على فرس * قد غل أيضا وما ينفك عن خبب *(المعلول ههنا العطشان وغل أى عطش)* وذا يد طلق ينقاد راحلة * مستعجلا وهو مأسور أخو كرب *(المأسور الذى يجد الاسر وهو احتباس البول)* وجالسا ماشيا تهوى مطيته * به وما فى الذى أوردت من ريب *(الجالس الآتى نجدا والماشى الذى كثرت ماشيته وعليه فسر بعضهم قوله تعالى ان امشوا كأنه دعاء لهم بكثرة الماشية والنماء والبركة)* وحائكا اجذم الكفين ذا خرس * فان عجبتم فكم فى الخلق من عجب *(الحائك ههنا الذى اذا مشى حرك منكبيه وفحج بين ركبتيه)* وذا اشطاط كصدر الرمح قامته صادفته بنى يشكو من الحدب (الحدب ما ارتفع من الارض) وساعيا فى مسرات الانام يرى * افراحهم مأثما كالظلم والكذب *(افراحهم اثقالهم بالدين ومنه قوله عليه السلام لا يترك فى الاسلام مفرح أى مثقل من الدين أو نقضى عنه دينه)*

جنابه أى عن بعد (الملتبس موجبه) أى الذى التبس علينا ما أوجبه (مؤنبه) لائمه (العول) الزيادة (رمنا) طلبنا (يفيض كما فضنا) يتكلم كما تكلمنا والفيض زيادة الماء (ويفيض فيما أفضنا) أى يأخذ معنا فى النوع الذى أخذنا فيه (أعرض) لوى وجهه (العليه) الاشراف (الارذلين) الادنياء (أساطير) تآليف وكتب (الحمية) عزة النفس (هاجته) حركته (الأبية) العزيزة (ناجته) حدثته (دلف) مشى اليها (وازدلف) تقرب (خلع) أزال (الصلف) مجاوزة قدر الظرف حتى يفضى به ذلك الى أن تأخذه بابا مافيخالفك ولا يعبأ بك (يتلافى) يتدارك (سلف) مضى (استرعى) دعاهم للاستماع يقال أرعنى سمعك أى اسمع منى (الهامر) الكثير الانصباب (العيان) أى المشاهدة بالعين (مستنين) أصابتهم السنة أى اشتد عليهم (يشتووا) يتخذوا اشواء (السغب) الجوع (تكميهم) تسترهم (البيض) ما يجعل فى الرؤس فى الحرب (منتدين) مجتمعين (انثنوا) رجعوا و(النبيلة) الحاذقة فى فعلها (عصبة) جماعة (أدلجن) سرن بالليل ومثله سروا (لاح) ظهر (يافعا) شابا (يلامس) يلاعب ويمسها بيده (غانية) امرأة جميلة غنيت بحسنها عن الزينة (صبحن كاظمة) أى سقينا الصبوح كاظمة غيظها وصبحه سقاه صبوحا وكظم غيظه تجرعه وهو قادر على الايقاع بعدوه ولم يمضه وكظم خصمه أجابه بالمسكت فافحمه وأصل الكظم للبعير وهو ان يردد جرته فى حلقه ولا يجترها وكاظمة موضع على سيف البحر أى على ساحله على مرحلتين من البصرة وفيه ركايا كثيرة وماؤها شروب (اللبان) لبن الآدميات (يفه) ينطق (يهواها) يحبها (أخو الطرب) صاحبه المولع به (ينفك) يزول (خبب) نوع من السير (طلق) سارح (كرب) هم (تهوى) تسقط وتسرع (ريب) شكوك (أجذم) مقطوع (خرس) بكم (شطط)

يسير مناجاة الرجال له * وماله فى حديث الخلق من أرب *(الخلق ههنا الكذب ومنه قوله تعالى ان هذا الا خلق الاولين)*
وذا ذمام وفت بالعهد ذمته * ولا ذمام له فى مذهب العرب *(الذمام الثانى جمع ذمة وهى البئر القليلة الماء وعنى بالمذهب
المسلك أى ماله آبار قليلة الماء فى البدو)* وذا قوى ما استبانت قط لينته * ولينه مستبين غير محتجب *(اللين نخيل الدقل
ومنه قوله تعالى ما قطعتم من لينة)* وساجدا فوق خل غير مكترث * بما أتى بل يراه أفضل القرب *(الخل الحصير المتخذ
من خال النخل)* وعاذرا مؤلما من ظل يعذره * مع التلطف والمعذور فى صخب *(العاذر الخاتن والمعذور المختون)*
وبلدة ما بها ماء لمعترف * والماء يجرى عليها اجرى منسرب *(البلدة الفرجة بين الحاجبين وتسمى أيضا البلجة)* وقرية دون
أفحوص القطا شحنت * بديلم عيشهم من خلسة السلب *(القرية بيت النمل والديلم النمل الكثير وخلسة السلب لحاء الشجر)*
وكوكبا يتوارى عند رؤيته الا * انسان حتى يرى فى أمنع الحجب *(الكوكب النكتة البيضاء التى تحدث فى العين والانسان
ههنا انسان العين)* ورونة قومت مالا له خطر (٢٨٤) ونفس صاحبها بالمال لم تطب *(الرونة مقدم الانف)*
ومحفة من نضار خالص شريت بعد المكاس بقيراط من الذهب *(النضار ههنا شجر النبع ومنه قول بعض التابعين لا بأس أن يشرب فى قدح النضار عنى به هذا)* ومستجيشا بخشخاش ليدفع ما أظله من أعاديه فلم يخب *(الخشخاش الجماعة عليهم دروع وأسلحة)* وطالما ربى كاب وفى فمه ثور ولكنه ثور بلا ذنب *(الثور القطعة من الاقط وهو نوع من الجبن)* وكم رأى ناظرى فيلا على جمل وقد تورك فوق الرحل والقتب *(الفيل الرجل الفائل
الرأى)* وكم لقيت بعرض البيد مشتكيا * وما اشتكى قط فى جد ولا لعب
(المشتكى المتخذ شكوة وهى القربة الصغيرة) وكنت أبصرت كرازا الراعية * بالدو ينظر من عينين كالشهب
(الكراز كبش يحمل عليه الراعى أداته) وكم رأت مقلتى عينين ماؤهما * يجرى من الغرب والعينان فى حلب *(الغرب
مجرى الدمع والعينان المقلتان)* وصادعا بالقنا من غير أن علقت * كفاه يوما برمح لا ولم يثب *(القنا ارتفاع الانف وتحدب
وسطه وصدع به أى كشفه)* وكم نزلت بأرض لا نخيل بها * وبعد يوم رأيت البسر فى القلب *(البسر جمع بسرة وهو الماء
الحديث العهد بالمطر والقلب جمع قليب)* وكم رأيت باقطار الفلا طبقا * يطير فى الجو منصبا الى صبب *(الطبق القطعة من
الجراد)* وكم مشايخ فى الدنيا رأيتهم * مخلدين ومن ينجو من العطب *(المخلد الذى أبطأ شيبه)* وكم بدا لى وحش يشتكى
سغبا * بمنطق ذاق أمضى من القضب *(الوحش الرجل الجائع)* وكم دعانى مستنج فحادثنى * وما أخل ولا أخلات بالادب
(المستنجى الجالس على نجوة وهو المكان المرتفع) وكم أنخت قلوصى تحت جنبذة *

طول (مغرما) شديد الحب (مناجاة) محادثة (أرب) حاجة (مكترث) منكسر من الهم (القرب)
جمع قربة وهى ما يتقرب به الى الله تعالى من أعمال البر (عاذر) قابل العذر (مؤلما) موجعا
(التلطف) الرفق واللين (الصخب) الصياح وتفسير ظاهر البيت أن تقول رأيت عاذرا يوجع الذى
يعتذر له مع تلطف العاذر للمعتذر وتليينه القول له والمعتذر فى صياح من شدة ضرر العاذر له
فتتقابل هذه الاضداد فاذا فسرت تفسير الحريرى صح المعنى و (منسرب) داخل فى السرب
وهو الحفير فى الارض (قرية) مدينة و (أفحوص القطا) مرقدها وهى تفحصه برجليها توسعه
(شحنت) ملئت و (الديلم) أمة من العجم (خلسة) سرقة و (السلب) المال المسلوب (يتوارى)
يتغطى وقال الحسن بن هانئ فى صفة الكوكب الذى هو النكتة على انسان العين

أعور المقلة من غير عوج * لو عداه عور العين انسمج
تحسب النكتة فى ناظره * درة بيضاء فى فص سبج

(قوله خطر) أى حظ كثير والخطير الرفيع القدر (نضار) ذهب أحمر (المكاس) المماكسة بين
المتبايعين وهو أن يطلب صاحب السلعة من المشترى سوما فلا يزال المشترى يراجعه وينقص له
مما طلب شيأ شيأ حتى يتفقا على ما يتراضيان عليه (والمستجيش) الجامع للجيش و (الخشخاش)
نبت معروف وقال ابن وكيع يصفه

وخشخاش كأنامه نفرى * قميص زبرجد عن جسم در
كاقداح من البلور صيغت * وأغشية من الديباج خضر

(أظله) قرب منه وكأنه أغشاه ظله و (القتب) خشب الرحل والرحل برذعة البعير (بعرض البيد)
بجانب القفار (كراز) اناء و (الدو) الصحراء و (الغرب) الدلو العظيمة (فى حلب) فى سيلان وجرى
(البسر) التمر الذى لم يطب (القليب) البئر والجمع القلب (اقطار الفلا) نواحى القفار (والصبب)
الانحدار (العطب) الهلاك (السغب) الجوع (ذاق) حاد (أمضى) أقطع (القضب) السيوف
(أخل) نقص (المستنجى) الجالس لقضاء حاجة الانسان (أنخت) أبركت (قلوصى) ناقتى الفتية

(تظل)

وكم نظرت الى من سر ساعته
ودمعه مستهل القطر كالسحب
(سر أى قطع سره ويسمى ما يبقى بعد القطع السرة)
وكم رأيت قميصا ضر صاحبه
حتى انثنى واهى الاعضاء والعصب
(القميص الدابة الكثيرة القماص وهو الوثوب والقفز)
وكم ازارلوان الدهر أتلفه
لجف لبد حثيث السير مضطرب
(الازار المرأة ومنه قول الشاعر فدى لك من أخى ثقة ازارى)
هذا وكم من أفانين معجبة
عندى ومن ملح تلهى ومن نخب
فان فطنتم للحن القول بان لكم
صدقى ودلكم طلعى على رطبى
وان شدهتم فان العار فيه على
من لا يميز بين العود والخشب
(قال الحرث بن همام)
فطفقنا نخبط فى تقليب قريضه وتأويل معاريضه وهو يلهو بنا لهو الخلى بالشجى ويقول ليس بعشك فادرجى الى أن تعسر النتاج واستحكم الارتتاج فاقبنا اليه المقادة وخطبنا منه الافادة فوقفنا

(تظل) تستمر (سر) أدخل عليه السرور وقد بين هو أنه المقطوع السرة وقال فى الدرة فيما يكنى فى المعاريض المقول الذى ضربت قلته أى أعلاه * والمركوب الذى ضربت ركبته * والمذكور الذى قطع ذكره * والمسرور الذى قطعت سرته * قال ومن الاحاجى بأبيات المعانى

نسرهم وان أقبلوا * وان أدبروا فهم من سب

أى نطعنهم اذا أقبلوا فى السرة واذا أدبروا فى السبة وهو الاست وأنشد أيضا

ذكرت أباعمرو فمات مكانه * فواعجبا هل يهلك المرء من ذكر
وزرت عليا بعده فرأيته * ففارق دنياه ومات على صبر

ذكرته قطعت ذكره ورأيته قطعت رئته (مستهل) سائل (القطر) مصدر قطر اذا سقط ولا يقال استهل حتى يكون مع انصبابه صوت (واهى) ضعيف (العصب) حبال الجسد (الازار) هو المئزر الذى يجعل عوضا من السراويل (حثيث) مسرع أراد بذكر الانسان فى حال نكاحه المرأة انه مضطرب سريع السير والدفع فيقول ان المرأة التى كانت تقبل الذكر عند الجماع لو هلكت لبقى جافا وأراد باللبد موضع اللبد وهو الظهر * الفنجديهى يقول كم من امرأة لو ماتت لترك زوجها كثرة الحركة فى طلب المعاش مرضاة لها أو جفوف العرق قد يكون من السكون والتفسير الاول أبين وهذا الثانى يحتمل ما وصفه بالسرعة والاضطراب وهو صفة فرس جعل له لبدا فألغز بذلك وقال اعرابى ماتت امرأته

وكنت فريستى وغلاف بضعى * فامسى البضع ليس له غلاف

ومن اللغز فيه قول الآخر

وصاحب معجب فى طول صحبته * لا ينفع الدهر الا وهو محموم
تأبى لك فى نافض الحمى منافعه * وان أفاق برى فى وجهه اللوم

وقال الاقيشر وكان عنينا فغالط فى شعره بالضد

ولقد عدوت بمشرف يافوخه * عسر المكرة ماؤه يتدفق
أرن يسيل من النشاط لعابه * ويكاد جلد اهابه يتمزق
حتى علوت به مشق ثنية * طورا يفور بها وطورا يغرق

(قوله أفانين) أى ضروب وأنواع والافانين الاساليب وهى أجناس الكلام وطرقه * الازهرى أفانين جمع أفنان وأفنان جمع فنن وهو الغصن والخصلة من الشعر وقيل الافنون الفن وهو ضرب من الشجر والحبال والجمع أفانين (ملح) ما يتكلم به من حلو الكلام وألعازه (تلهى) تشغل (نخب) مختارة (لحن القول) معناه ومذهبه واللحن التورية وهى أن تظهر خلاف ما تضمر (الطلع) أول ما يخرج من الثمر (والرطب) الطيب منه (شدهتم) تحيرتم (طفقنا) أخذنا (نخبط) نتكلم بالزائد والناقص (تأويل) تفسير (معاريضه) ما عرض به ولم يتمه (الخلى) الذى لا هم له و(الشجى) الحزين وياء الخلى مشددة وياء الشجى مخففة وقد شددت يا الشجى فى الشعر اتباعا لياء الخلى وقالوا انى لآتيه بالغدايا والعشايا فحملوا الغدايا على العشايا وحكى ثعلب فى غير الفصيح عن الاصمعى تثقيل الياء فيهما ومن جعل شجى فعل كحذر خففه ومن جعله فعيل مثل غنى شدد وفعل بغير ياء أقيس والتشديد فى المثل أحسن للازدواج (تعسر) صعب (النتاج) ما ينتج لهم من المعانى (استحكم) توثق (الارتتاج) الانغلاق وأرتج على القارئ وارتتج اذا لم يقدر على القراءة كأنه أطبق عليه و(يرتشى) يأخذ الرشوة وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لعن الله الراشى والمرتشى والرائش فقيل وما الرائش قال الذى يمشى بينهما (ألقينا اليه المقادة) أى انقدنا له * ورزأت

بين الطمع والياس وقال الايناس قبل الابساس فعلمنا أنه ممن يرغب فى الشكم ويرتشى فى الحكم وساءأبا مثوانا أن نعترض للغرم أو نخيب بالرغم فأحضر صاحب المنزل ناقة عيدية وحلة سعيدية وقال له خذهما حلالا ولا ترزأ أضيافى

الرجل أرزؤه اذا أصبت منه خيرا ورزأته ماله نقصته (والزبال) بالكسر ما تحمله النملة بفيها و(الاريحية) الاهتزاز للجود (ساء) حزن و(الرغم) الذلة والهوان (شنشنة) طبيعة (حاتمية) منسوبة الى حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج أحد بنى ثعل بن عمرو بن الغوث بن طئ يكنى أبا سفانة وأبا عدى فارس شاعر جاهلى أحد الاجواد الذين يضرب بهم المثل بل هو أشهرهم منهم وهم كعب ابن مامة وهرم بن سنان وحاتم وكان اذا قاتل غلب واذا غنم نهب واذا سئل وهب واذا قامر سبق واذا أسر أطلق واذا أثرى أنفق ويقال انه لا يعرف ميت قرى أضيافه الا هو وذلك أن ركبا من العرب نزلوا بموضع قبره وقد نفد زادهم وفيهم رجل يكنى أبا خيبرى فجعل يقول أبا سفانة أما تقرى أضيافك أبا سفانة ان أضيافك جياع بعيدها فلما نام ثار من نومه وهو يقول وارا حلتاه عقرت والله ناقتى فقال له أصحابه وكيف قال رأيت أبا سفانة قد انشق عنه قبره فاستوى قائما ينشدنى

أبا خيبرى لانت امرؤ * ظلوم العشيرة لوامها
وماذا تريد الى رمة * بدوية صخب هامها
أتبغى أذاها واعسارها * ودونك طى وأنعامها

ثم عمد الى سيفى فانتضاه من غمده وعقر ناقتى وقال دونكم فما أيقظنى الا رغاؤها واذا بالناقة ترغو ما انبعث فقالوا قد والله قراك حاتم فنحروها وأكلوا وتزودوا واقتسموا متاع أبى خيبرى واستمروا لوجهتهم فلما صاروا فى الظهيرة وضح لهم راكب يجنب بعيرا فأمهم حتى التقوا فقال لهم أفيكم أبو خيبرى قالوا نعم فقال فان عدى بن حاتم رأى أباه البارحة وهو يقول ان أبا خيبرى وأصحابه استقرونى فقريتهم ناقته فعوضه منها وزده بكرا يحمل عليه متاعه وهذه الناقة وهذا البكر فارتحل أبو خيبرى الناقة وتخفف هو وأصحابه من أزوادهم على البكر ومضوا بأتم قرى وأدرك عدى ابنه النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنه وكان يحدث أصحابه بهذا الحديث بعد اسلامه وقال الشاعر فى عدى

أبوك أبو سفانة الخير لم يزل * لدن شاب حتى مات فى الخير راغبا
قرى قبره الاضياف اذ نزلوا به * ولم يقر قبر قبله الدهر راكبا

وكانت سفانة بنته من أجود نساء العرب وكان أبوها يعطيها الصرمة من ابله فتهبها وتعطيها الناس فقال لها أبوها يا بنية ان الغويين اذا اجتمعا فى المال أتلفاه فاما أن أعطى وتمسكى واما أن أمسك وتعطى أنت فانه لا يبقى على هذا شئ فقالت والله لا أمسك أبدا قال وأنا لا أمسك أبدا قالت فلا نتجاور فقاسمها ماله وتباينا وحكى ان أمه كانت من أسخى الناس وأقراهم للضيف وكانت لا تحبس شيأ تملكه وهى عتبة بنت عفيف بن عمرو بن عبد القيس فلما رأى اخوتها اتلافها حجروا عليها ومنعوها مالها حتى اذا ظنوا انها قد وجدت ألم ذلك أعطوها صرمة من ابلها فجاءتها امرأة من هوازن تسألها فقالت دونك الصرمة فخذيها فوالله لقد عضنى من الجوع مالا أمنع بعده سائلا أبدا ثم أنشأت تقول

لعمرى لقدما عضنى الجوع عضة * فآليت أن لا أمنع الدهر جائعا
فقولا لهذا اللائم اليوم أعفنى * فان أنت لم تفعل فعض الاصابعا
فماذا عسيتم أن تقولوا لاختكم * سوى عذلكم أو عذل من كان مانعا
وهل ما ترون اليوم الا طبيعة * وكيف بتركى يا ابن أم الطبائعا

فقد اكتنفه الجود من أمه وأبيه وقالت امرأته النوار أصابتنا سنة اقشعرت لها الارض واغبر أفق السماء وضنت المراضع عن أولادها فما تبض بقطرة فأيقنا بالهلاك فوالله انى لفى ليلة صبيرة بعيدة الطرفين اذ تضاغى صبيتنا جوعا عبد الله وعدى وسفانة فقام الى الصبيين وقمت الى الصبية فوالله ما سكتوا الا بعد هدأة من الليل وأقبل يعللنى بالحديث فعرفت ما يريد فتناومت فلما تغورت النجوم اذا شئ قد رفع كسر البيت فقال من هذا فقالت جارتك فلانة أتيتك من عند صبية يتعاوون من

﴿ذكر حاتم الطائى﴾

زبالا فقال أشهد أنها شنشنة أخزمية وأريحية حاتمية ثم قابلنا بوجه

قوله صبيرة أى شديدة البرد اه مصححه

الجوع عواء الذئاب فما وجدت معوّلا الا عليك أبا عدى فقال أعجلهم فقد أشبعك الله وإياهم فأقبلت تحمل اثنين ويمشى الى جانبها أربعة كأنها نعامة حولها رئالها فقام الى فرسه فوجأ لبتها بمديه فخرت ثم كشط الجلد ودفع المدية الى المرأة وقال شأنك فاجتمعنا على اللحم نشوى ونأكل ثم جعل يأتيهم بيتا بيتا ويقول هبوا أيها القوم عليكم بالنار فاجتمعوا والتف فى ثوبه ناحية ينظر الينا والله ان ذاق منها مزعة وانه لاحوج اليها منا فأصبحنا وما على الارض منها الا عظم وحافر فأنشأ يقول

مهلا نوار أقلى اللوم والعذلا * ولا تقولى لشئ فات ما فعلا
ولا تقولى لشئ كنت مهلكه * مهلا وان كنت معطى العنس والجملا
يرى البخيل سبيل المال واحدة * ان الجواد يرى فى ماله سبلا

ولم يكن يملك شيأ ما عدا فرسه وسلاحه فانه كان لا يجود به وذكر الحريرى أن عقيلا تمثل بقول حاتم * شنشنة أعرفها من اخزم * وكان عقيل بن علفة المرى غيورا فخورا وكانت الخلفاء تصاهره فخطب اليه عبد الملك ابنته لبعض ولده فقال أما ان كان ولا بد فجنبنى هجناء ولدك وخرج عثار ومعه ابنه وابنته الجرباء فنزلوا بالشام بدير سعد فلما ارتحلوا قال عقيل

قضت وطرا من دير سعد وربما * على غرض ناطحنه بالجماجم

ثم قال لابنه أجز يا عملس فقال

فأصبحن بالمرماة يحملن فتية * نشاوى من الادلاج ميل العمائم

ثم قال لابنته الجرباء أجيزى فقالت

كأن الكرى أسقاهم صرخدية * عقارا تمشت فى المطا والقوائم

فقال لها وما يدريك ما نعت الخمر ثم سل السيف فاستغاثت باخيها فاختبل فخذيه بسهم فبرك ومضوا وتركوه حتى بلغوا المياه الدانية اليهم فقالوا لاهل المياه انا أسقطنا جزورا فادركوها فوجدوا عقيلا باركا وهو يقول ان بنىّ دربونى بالدم * الابيات (قوله بشره) أى طلاقته (يشف) يتلألأ ويبرق حتى يكاد يصف ما وراءه من السرور (نضرته) نعمته ورونقه (ترف) تندى (استحوذ) غلب واستولى (افزعوا) الجؤا (لتشربوا نشاطا) أى يتمشى النشاط فى أجسادكم حتى ترووا به (تبعثوا) تنتبهوا (نشاطا) جمع نشيط ككريم وكرام ونشط ينشط فهو نشيط اذا كان طيب النفس للعمل (تعوا) تحفظوا (المتعسر) الصعب (كراه) نومه (وسنت) خالطها الوسن وهو النوم (أغفت) نامت (قوله خدى) أى أسرعى (تهمى وتنجدى) تقصدى تهامة ونجدا (ايه) معناه زيدى فى سيرك (اجهدى) اتعبى (افرى) اقطعى (أديم) جلد (فدفد) أرض صلبة وقيل مستوية وقيل فلاة وأراد بالاديم وجه الارض * ونشح ينشح نشحا شرب قليلا قليلا (تحطى) تنزلى (العمد) والعمود ما يقوم عليه الخباء (وقوله يخاطب ناقته

انك ان أحللتنى فى بلدى * حلت منى بمحل الولد)

قد جاء فى كلامهم نظيره وضده وكلاهما فى بابه حسن * قال الشماخ فى ضده من مجازاة الناقة على احسانها بالسوء

اذا بلغتنى وحملت رحلى * عرابة فاشرقى بدم الوتين

وناقضه الآخر فقال

أقول لناقتى اذ بلغتنى * لقد أصبحت منى باليمين
فلم أجعلك للقربان طعما * ولا قلت اشرقى بدم الوتين

وتبعه ذو الرمة فقال

أقول لها اذ شمر الليل واستوت * بها البيد واستنت عليها الحزاور

بشره يشف ونضرته ترف وقال يا قوم ان الليل قد اجلوّذ والنعاس قد استحوذ فافزعوا الى المراقد واغتنموا راحة الراقد لتشربوا نشاطا وتبعثوا نشاطا فتعوا ما أفسر ويتسهل لكم المتعسر فاستصوب كل ما رآه وتوسد وسادة كراه فلما وسنت الاجفان وأغفت الضيفان وثب الى الناقة فرحلها ثم ارتحلها ورحلها وقال مخاطبا لها

سروج يا ناق فسيرى وخدى
وأدلجى وأوبى وأسندى
حتى تطأ أخفافك مرعاها الندى
فتنعمى حينئذ وتسعدى
وتأمنى أن تتهمى وتنجدى
ايه فدتك النوق جدى واجهدى
وافرى اديم فدفد ففدفد
واقتنعى بالنشح عند المورد
ولا تحطى دون ذاك المقصد
فقد حلفت حلفة المجتهد
بحرمة البيت الرفيع العمد
انك ان أحللتنى فى بلدى
حلت منى بمحل الولد

قال فعلمت انه السروجى الذى اذا باع

• انباع واذاملاء الصاع انصاع ولما انبلج صباح اليوم وهب النوام من النوم أعلمتهم أن الشيخ حين أغشاهم السبات طلقهم البتات وركب الناقة وفات فأخذهم ماقدم وماحدث ونسوا ماطاب منه بما خبث ثم انشعبنا فى كل مشعب وذهبنا تحت كل كوكب (قال الشيخ الرئيس) أبو محمد القاسم بن على رضى الله عنه قد فسرت سر كل لغز تحته ولم أبعد على من يقرؤه كشفه وقد بقيت ألفاظ اشتملت عليها هذه المقامة ربما التبس تفسيرها على بعض من تقع اليه فأحببت ايضاحها له ليكفى حيرة الشبهة وكلفة الفكرة ووصمة البحث والمسئلة وبالله تعالى الاستعانة والقوة (قوله عشوت الى نار) يعنى تنورتها فقصدتها فان لم تقصدها قلت عشوت عنها كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن أى يعرض (وقوله وأنا أصرد من عين الحرباء والعنز الجرباء) هذان مثلان يضربان لمن يبلغ منه البرد وذلك لان الحرباء تدور أبدا مع الشمس وتستقبلها بعينها ولذلك شبه ابن الرومى الرقيب بالحرباء فى قوله ما بالها قد حسنت ورقيبها * أبدا قبيح قبح الرقباء ماذاك الا انها شمس الضحى * أبدا يكون رقيبها الحرباء والعنز الجرباء لاتدفأ فى الشتاء لقلة شعرها وذكر بعضهم أن العنز الجرباء تصحيف المثل الاول (قوله من خرواز) يعنى الجمل المكتنز شحما الكثير مخا (وقوله عشاره تخور (٣٨٨) وأعشاره تفور) العشار النوق الحوامل والاعشار البرمة العظيمة كأنها شعبت لعظمها يقال برمة أعشار وجفنة أكسار وثوب أسمال وبرد أخلاق وحبل أرمام ووصف الجماعة منها كوصف الواحد (وقوله فاكهة الشتاء) كنى بها عن النار ومنه قول بعض المحدثين

النار فاكهة الشتاء فمن يرد * أكل الفواكه شاتيا فليصطل

ان الفواكه فى الشتاء شهية والنار للمقرور أفضل ماكل (وقوله موائد كالهالات) يعنى دارات القمر ودارة الشمس تسمى الطفاوة (وقوله مشوش الغمر) يعنى المنديل يقال مش يده بالمنديل أى مسحها ومنه قول امرئ القيس نمش بأعراف الجياد اكفنا * اذا نحن قمنا عن شواء مضهب (وقوله مشتهبا فوداه) أى صار من الشيب فى لون الاشهب ومنه قول امرئ القيس أيضا قالت الخنساء لما جئتها * شاب بعدى رأس هذا واشتهب (وقوله ربض حجرة) يعنى ناحية ويقال فى مثل لمن يشارك فى الرخاء ويجانب عند البلاء يرتع وسطا ويربض حجرة (وقوله فاسترعى سمع السامر) يعنى السمار لان السامر اسم للجمع كالحاضر اسم للحى النازلين على الماء وكالباقر اسم لجماعة البقر وقال بعض أهل اللغة هو اسم للبقر مع رعاتها واشتقاق السامر من السمر وهو ظل القمر مأخوذ من السمرة فلما كان غالب أحوال السمار أنهم يتحدثون فى ظل القمر اشتق لهم اسم منه والى هذا يرجع قولهم لا آتيه القمر والسمر (وقوله ليس بعشك فادرجى) هذا مثل يضرب لمن يتعاطى مالا ينبغى له والعش مايكون فى شجرة فاذا كان فى حائط أو كهف جبل فهو وكر (وقوله الايناس قبل الابساس) هذا مثل أيضا ومعناه أنه ينبغى أن يؤنس الانسان ثم يكلف وأصله ان حالب الناقة يؤنسها حين يروم حلبها ثم يبس بها للحلب والابساس أن تقول لها بس بس لتسكن وتدر وتسمى الناقة التى تدر على الابساس البسوس (وقوله يرغب فى الشكم) الشكم ما أعطيته على سبيل المجازاة فان أعطيته مبتدئا فهو الشكد (وقوله ساء أبا مثوانا) يعنى المضيف الذى اووا اليه وثووا عنده (وقوله ناقة

اذا ابن أبى موسى بلالا بلغته * فقام بفاس بين رجليك جازر

وتوجيه الحسن فى هذا المذهب على شنعة ظاهره أنه لا يبالى بفقدها الان الممدوح يحمله ويعطيه فهو فى غنى عنها ومن يعيب هذا يقول مجازاة الحسن بالسوء قبيح وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرأة التى قالت وقد نجت على ناقته نذرت ان نجانى الله عليها ان أنحرها بئس ما جازيتها ولا نذر لك فى مال غيرك والمذهب الاحمد فى ذلك قول عبد الله بن رواحة رضى الله عنه حين خرج فى جيش موتة يخاطب ناقته

اذا بلغتنى وحملت رحلى * مسيرة أربع بعد الحساء

فشأنك فانعمى وخلاك ذم * ولا أرجع الى أهلى ورائى

ولهذا أتبعه الحريرى فى شعره وقال الحسن

واذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرحال حرام

قربننا من خير من وطئ الثرى * فلها علينا حرمة وذمام

وقال داود بن أسلم يمدح قثم بن العباس رضى الله عنهما

نجوت من حل ومن رحلة * ياناق ان بلغتنى من قثم

انك ان بلغتنيه غدا * عاش لنا الخير ومات العدم

(قوله انباع) أى جرى ومد باعه ومعناه هرب منه فى سيره * يقال صعت الشئ فانصاع أى فرقته فتفرق ومعناه اذا ملأ كيسه من عطاء قوم راح عنهم (انبلج) أضاء (هب) انتبه (أغشاهم) غطاهم (السبات) النوم الخفى كالغشية * ثعلب السبات ابتداء النوم فى الرأس حتى يبلغ القلب وسبت الرجل فهو مسبوت نعس و (البتات) القطع البائن (فات) أى فر ولا يلحق وذكر الحريرى فى درة الغواص

عيدية) قيل انها منسوبة الى فحل منجب اسمه عيد وقيل هي منسوبة الى فخذ من مهرة اسمه عيد بن مهرة وكانت مهرة وعيد تفخذان نجائب الابل فنسبت اليهما (وقوله حلة سعيدية) هي منسوبة الى سعيد بن العاص وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كساه وهو غلام حلة فنسب جنسها اليه (وقوله لاترزأ أضيافي زبالا) أي لاترزأهم شيأ وان قل والاصل في الزبال ماتحمله النملة بفيها (وقوله شنشنة أخزمية) أشار به الى المثل الذي ضرب بجد حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن اخزم الطائي حين نشأ حاتم وتقيل أخلاق جده أخزم في الجود فقال شنشنة أعرفها من أخزم وتمثل عقيل بن غفلة به حين قال ان بنيّ صرجوني بالدم * من يلق آساد الرجال يكلم * شنشنة اعرفها من أخزم * ومن ادعى ان المثل له فقد سهافيه (وقوله اجلوذ) أي اسرع في الذهاب ومثله اخروط (وقوله وثب الى الناقة فرحلها) يعني شد عليها الرحل و به سميت الرحلة لانها فاعلة بمعنى مفعولة كقوله تعالى في عيشة راضية أي مرضية وكقوله تعالى من ماء دافق أي مدفوق والراحلة تقع على الناقة والجمل (٣٨٩) ودخول الهاء فيها للمبالغة مثل داهية وراوية (وقوله ارتحلها) أي ركبها وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد فركبه الحسن فأبطا في سجوده فلما قضى صلاته قال ان ابني ارتحلني فكرهت ان أعجله (وقوله ورحلها) أي أزعجها واشخصها وأجدّبها في الرحيل ومنه الخبر تخرج عند اقتراب الساعة نار من قعر عدن ترحل الناس (وقوله فأدلجي وأوبي وأسئدي) الادلاج ان تسير الليل كله والاسم منه الدلجة بفتح الدال والادلاج بالتشديد أن تسير من آخره والاسم منه الدلجة بضم الدال وقيل فتحها وضمها بمعنى واحد والتأويب سير النهار وحده والاسآد أن تسير ليلا ونهارا والنشح ان تشرب دون الري

الغواص ان قولهم حدث أمر بضم الدال قياسا على أخذه ماقدم وماحدث خطأ وانما ضمت الدال من حدث حين قرن بقدم للمحافظة على الموازنة فاذا أفردت لفظة حدث زال موجب الضم ووجب الرد الى الاصل قال وأنشدني بعض أدباء خراسان لابي الفتح البستي

جزعت من أمر فظيع قد حدث * أبو تميم وهو شيخ لاحدث
قد حبس الاصلع في بيت الحدث

لم نتعرض في شرح هذه المقامة لما ثبت في كتاب المقامات من شرح منشيها بل نعقب ما أهمله وكان الاولى اثبات ماشرح بنصه اذ هو وفق لغرضه

﴿شرح المقامة الخامسة والاربعين وهي الرملية﴾

(أولى التجاريب) أي أصحابها وأهلها (أجوب) أقطع (تنوفة) قفرة (اقتحم) أدخل (اجتليت) رأيت (أطروفة) عجيبة (لمحته) نظرته (استملحته) وجدته مليحا (الصولة) الاستطالة وقد صال اذا استطال وهدّد (ترافع) أي تداعى للحكومة ورفع كل واحد صاحبه (بال) شيخ كبير (في بال) في ثوب خلق و (أسمال) ثياب خلقة واحدها سمل وسمل الثوب وأسمل و يقال أيضا ثوب أسمال فيوصف بالجمع كما يقال رمح أقصاد وبرمة أعشار (تبيان المرام) تبيين مراده واظهار حجته (الافصاح) التبيين (خسأته) أبعدته وطردته (النباح) الكلام هنا وخسأ ونبح أصلهما في الكلب و يقال خسأت في الكلب خسأ طردته وأبعدته وخسأ الكلب بنفسه أي انخسأ يتعدى ولا يتعدى قال تعالى اخسؤا فيها أي تباعدوا تباعد سخط (نضت) جردت (الوشاح) الحزام وهو المنطقة * الفنجديهي الوشاح شبه قلادة تنسج من أدم عريضة وترصع بالجواهر وغيرها (السليطة) المستطيلة بلسانها (الوقاح) التي ليس في وجهها حياء فهي تقول ماشاءت (الرملة) قرية بالشام وقسم الشام خمسة أقسام تخمس منه فلسطين ومدينته العظمى الرملة والرملة أربعة آلاف ضيعة ومن مدن فلسطين ايلياء مدينة بيت المقدس بينها و بين الرملة ثمانية عشر ميلا وقال ابن ظفر عشرون فرسخا (التمرة والجمرة) الخير والشر والنفع والضر و يضرب بهما المثل في هذا المعنى ومن قضى له القاضي بشئ فكأنه قد أعطاه و (البيت) عنت به فرجها (يحجج) يقصد اليه بالجماع وقولها (سوى مرة) تريد أول

(٣٧ - شريشي ثاني)

(وقوله فأخذهم ماقدم وماحدث) يقال ذلك لمن تستولي الهموم عليه وتتلاعب به وتضم الدال من حدث في هذا الموضع وحده ليوافق لفظها لفظ قدم فان افردت حدث عن قدم وجب فتح الدال من حدث ومثله قولهم هنأني ومرأني بحذف الالف أمرأني اذا ذكر مع هنأني فان افردته وجب ان تقول أمرأني الشئ (وقوله ذهبنا تحت كل كوكب) هذا المثل يضرب لمن يختلف في السفر طرقهم وتتباين سبلهم ﴿المقامة الخامسة والاربعون الرملية﴾ (حكى الحرث بن همام) قال كنت أخذت عن أولي التجاريب ان السفر مرآة الاعاجيب فلم أزل أجوب كل تنوفة وأقتحم كل مخوفة حتى اجتليت ل أطروفة فمن أحسن مالمحته واغرب مااستملحته ان حضرت قاضي الرملة وكان من أرباب الدولة والصولة وقد ترافع اليه بال في بال وذات جمال في اسمال فهم الشيخ بالكلام وتبيان المرام فمنعته الفتاة من الافصاح وخسأته عن النباح ثم نضت عنها فضلة الوشاح وانشدت بلسان السليطة الوقاح

ياقاضي الرملة ياذا الذي * في يده التمرة والجمرة
اليك أشكو جور بعلي الذي * لم يحجج البيت سوى مرة
ولبنه لما قضى نسكه

مرة وطئها وافترعها ولم يعد لها بعد تلك المرة * وتعني بالنسك افتراعها وما هنالك من الدم * وعنت برمي الجمرة اتيانه لها وجمع الجمر جمار وهي الحجارة الصغار عند العرب وجمر الرجل تجميرا رمى جمار مكة قال عمر بن أبي ربيعة

فلم أر كالتجمير منظر ناظر * ولا كليالي الحج أفلتن ذا هوى

ومنه الحديث واذا استجمرت فأوتر معناه تمسحت بالحجارة (أبو يوسف) هو يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن سعد بن حبيب الانصاري وأبو يوسف كوفي صاحب أبا حنيفة فغلب عليه حتى قالوا أبو يوسف أبو حنيفة أي يسد مسده ويغني عنه وروى عن أبي حنيفة والمطرف والمغيرة وهشام ابن عروة والشيباني وكان صدوقا من أهل الدين والعلم وكان قاضي القضاة ببغداد لثلاثة خلفاء المهدي والهادي والرشيد وكانت أم جعفر قد استفتته في مسئلة فأفتاها بما أوجبه العلم عنده فوافق بذلك مرادها فأهدت له حقا من فضة فيه طيب وجام فضة فيه دنانير فقال له بعض من حضره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهديت له هدية فجلساؤه شركاؤه فيها فقال أبو يوسف تأولت الخبر على ظاهره والاستحسان قد منع من امضائه فان ذلك اذ كان هدايا الناس التمر واللبن لا في هذا الوقت والهدايا ذهب وورق وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قال أبو جعفر الطحاوي ولد أبو يوسف سنة ثلاث عشرة ومائة * حماد رأيت أبا حنيفة يوما وعن يمينه أبو يوسف وعن يساره زفر وهما يتجادلان في مسئلة فلا يقول أبو يوسف قولا الا أفسده عليه زفر ولا يقول زفر قولا الا أفسده عليه أبو يوسف الى وقت الظهر فلما أذن المؤذن رفع أبو حنيفة يده فضرب بها

﴿ذكر أبي يوسف صاحب أبي حنيفة﴾

فخذ زفر وقال لا تطمع في رياسة في بلد فيها أبو يوسف فقضى لابي يوسف * علي بن حرملة التيمي قال أبو يوسف كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقل رث الحال فجاء أبي يوما وأنا عند أبي حنيفة فانصرفت معه فقال يا بني لا تمدن رجليك مع أبي حنيفة فان خبز أبي حنيفة مشوي وأنت محتاج الى المعاش فقصرت عن كثير من الطلب وآثرت طاعة والدي فتفقدني أبو حنيفة وسأل عني فجعلت أتعهد مجلسه فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخري عنه قال لي ما شغلك عنا قلت الشغل بالمعاش وطاعة والدي فلما انصرف الناس دفع الي صرة وقال استمتع بهذه واذا فيها مائة درهم وقال لي الزم الحلقة واذا نفدت فأعلمني فلزمت الحلقة فلما مضت مدة يسيرة دفع الي مائة أخرى ثم كان يتعهدني كذلك وما أعلمته بنفادها قط وكأنه كان يخبر بنفادها حتى استغنيت وتمولت * علي بن الجعد حدثني أبو يوسف قال توفي أبي ابراهيم وخلفني صغيرا في حجر أمي فأسلمتني الى قصار أخدمه فكنت أدع القصار وأمر على حلقة أبي حنيفة فأجلس وأستمع فتجيء أمي فتأخذ بيدي وتذهب بي الى القصار وكان أبو حنيفة يعنى بي لما كان يرى من حرصي على التعلم فلما طال ذلك على أمي وكثر عليها هربي قالت لابي حنيفة ما لهذا الصبي فساد غيرك هذا صبي يتيم لا شئ له وانما أطعمه من مغزلي وآمل أن يكتسب دانقا يعود به على نفسه فقال لها أبو حنيفة مري يا رعناء ها هو ذا يتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق فانصرفت عنه وهي تقول أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك قال ثم لزمته ونفعني الله تعالى بالعلم ورفعني حتى تقلدت القضاء فكنت أجالس الرشيد وآكل معه على مائدته فلما كان في بعض الايام قدم اليه فالوذجة فقال لي كل يا يعقوب فليس في كل يوم يعمل لنا مثلها فقلت وما هذه يا أمير المؤمنين فقال هذه فالوذجة بدهن فستق فضحكت فقال لي مم تضحك فقلت خيرا أبقى الله أمير المؤمنين فقال لتخبرني وألح علي فحدثته بالقصة من أولها الى آخرها فعجب من ذلك وقال لعمري ان العلم لينفع ويرفع دينا ودنيا وترحم على أبي حنيفة وقال انه كان ينظر بعين عقله ما لا ينظره غيره بعين رأسه وأبو يوسف أول من دعي بقاضي القضاة في الاسلام * اسحق الموصلي حدثني بشر بن الوليد وسألته من أين جاء فقال كنت عند أبي يوسف القاضي وكنت في

وخف ظهرا اذ قضى الحجه
كان على رأى أبي يوسف
في صلة الحجة بالعمره
هذا على انى ما ذممنى
اليه لم اعص له امره

حديث ظريف فقلت حدثني به فقال قال لي أبو يوسف كنت البارحة قد أويت الى فراشي فاذا داق يدق الباب بشدة فأخذت على ازاري وخرجت فاذا هو ابن أعين يقول أجب أمير المؤمنين فقلت يا أبا حارثة لي بك حرمة وهذا وقت كما ترى ولست آمن ان يكون أمير المؤمنين دعاني لمكروه فان أمكنك أن تدع الامر الى غد فلعله أن يحدث له رأى فقال مالي الى ذلك من سبيل قلت كيف كان السبب قال خرج الي مسرور الخادم فأمرني أن آتي بك أمير المؤمنين فقلت أتأذن لي أن أصب علي ماء وأتحنط فان كان أمر كنت قد أحكمت شأني وان رزق الله العافية فلن يضر فدخلت ففعلت ذلك وتطيبت ثم خرجنا الى دار الرشيد ومسرور واقف فقلت يا أبا هاشم خدمتي وحرمتي وهذا وقت ضيق أفتدري لم طلبني قال لا قلت فمن عنده قال عيسى بن جعفر وحده ثم قال مر فاذا صرت في الصحن فحرك رجليك فانه في الرواق ففعلت فقال من هذا قلت يعقوب قال ادخل فدخلت فسلمت فرد علي السلام وقال أظننا روعناك قلت اي والله ومن خلفي قال اجلس فلما سكن روعي قال يا يعقوب هل تدري لم دعوتك قلت لا قال لا شهدك على هذا ان عنده جارية فسألته أن يهبها أو يبيعها الي فأبى ووالله لئن لم يفعل لاقتلنه فالتفت الى عيسى وقلت وما بلغ قدر الجارية أن تمنعها أمير المؤمنين وتنزل نفسك هذه المنزلة فقال لي عجلت القول قبل أن تعرف ما عندي ان علي يمينا بالطلاق والعتاق وصدقة ما أملك أن لا أبيعها لاحد ولا أهبها فالتفت الي الرشيد فقال لي هل لك في ذلك مخرج فقلت نعم قال وما هو قلت يهب لك نصفها أو يبيعك نصفها فيكون لم يبع ولم يهب قال عيسى ويجوز ذلك قلت نعم قال فأشهدك أني قد وهبت له نصفها وبعت منه نصفها بمائة ألف دينار وأتى بالجارية فقال خذها يا أمير المؤمنين بارك الله لك فيها قال يا يعقوب وبقيت واحدة قلت يا أمير المؤمنين وما هي قال هي مملوكة ولا بد أن تستبرأ ووالله ان نفسي لتخرج ان لم أبت معها فقلت يا أمير المؤمنين تعتقها وتتزوجها فان الحرة لا تستبرأ قال فاني قد أعتقتها فادعا بمسرور وحسن وخطبت وحمدت الله ثم زوجت على عشرين ألف دينار ودفع المال اليها ثم قال يا يعقوب انصرف ثم قال يا مسرور احمل الى أبي يوسف مائتي ألف درهم وعشرين تخت ثيابا فحمل معي ذلك قال بشر فالتفت الي يعقوب فقال هل رأيت بأسا فيما فعلت قلت لا قال فخذ منها العشر فشكرته وذهبت لاقوم واذا بعجوز دخلت فقالت يا أبا يوسف بنتك تقرئك السلام وتقول والله ما وصلني من أمير المؤمنين في ليلتي هذه الا المهر الذي قد عرفت وقد جعلت اليك النصف منه وخلفت الباقي لما أحتاج اليه فقال رديه فوالله لا قبلته أخرجتها من الرق وزوجتها من أمير المؤمنين وترضى بهذا فلم نزل نتلطف اليه أنا وعمومتي أن يقبلها فقبلها وأمر لي بألف دينار * وأما صلة الحج بالعمرة التي ذكر الحريري فان أبا يوسف في ذلك مخالف لمالك رضي الله عنهما في ان القران في الحج أفضل من الافراد وهو مذهب علي بن أبي طالب رضي الله عنه (وقوله خف ظهرا) أي حط عن ظهره بعض الذنوب والذي أرادت انه لم يأتها ولا جامعها غير مرة واحدة خفف بها ظهره وبعض شهوته ولينه فعل ذلك مرتين فورت بظاهر كلامها عن هذا المعنى

*وجاءت امرأة الى المغيرة بن شعبة بزوجها تستعديه عليه وتذكر انه عنين فقال الرجل

الله يعلم يا مغيرة أنني * قد دستها دوس الحصان المرسل
وأخذتها أخذ المعنف شانه * عجلان يذبحها لقوم نزل

فقال له المغيرة انى لارى ذلك في شمائلك وخاصمت الدهناء بنت مسحل أحد بني مالك بن سعد بن زيد مناة العجاج وكان من بني عمها الى والي اليمامة فكان أبوها يعينها على ذلك فقال له أهل اليمامة ألا تستحي تطلب العسب لابنتك فقال انى احب ان يكون لها ولد فان افرطهم أجرت وان بقوا دعوا الله لها فدخلت على الوالي فقالت انى منه بجمع فقال لعلك تعاربين الشيخ فقالت انى لا رخي له بأذى وأقيم صلبي فقال العجاج انى لآخذها العقيلي والشغربية فقال قد أجلتك سنة وانما أراد ستره فقال

الحجاج اظننت الدهنا وظن مسحل * ان الامير بالقضاء يعجل

عن كسلاتي والحصان يكسل * عن السفاد وهو طرف هيكل

فقالت هي والله لولا خشية الامير * وخشية الشرطي والمشير

لجلت من شيخ بني الفقير * بجولان صعبة عسير

فأخذها وضمها اليه يقبلها فقالت

تالله لا تخدعني بالضم * اليك والتقبيل بعد الشم

الا بهزهاز يسلي همي * ينزع عني فتحي في كمي

فذهب بها الى أهلها فطلقها في تلك الليلة سرا ولو استقبلها الحجاج بما وصف ابن الرومي حيث يقول

الا يا هند هل لك في محمد * غليظ تفرحين به متين

يشد به حشاك غلام نيك * من الفتيان منقطع القرين

فمن يره يبول يقول انثى * بدا من فرجها اثنا جنين

لرضيته ولم تحاكمه (قوله الفة) صحبة (اخلع) ارتل و (ابومرة) كنية ابليس لعنه الله وكنى بذلك لما تقدم ان ابغض الاسماء الى الله تعالى مرة وحرب تقول اما بصاحبي صحبة يرضيني فيها بكثرة الجماع والا ارتل عني الحياء وخرجت ارني وافسق في طاعة ابليس ولو عالجها عما كان يعالج به رجل زوجته وكان اذا وقع بينهما شر انحنى عليها بالجماع فكانت تقول لعنك الله كلما وقع بيننا شر تشفى بشفيع لا أقدر على رده فلو جاءها بهذا الشفيع لما رفعته الى الوالي * محمد بن يحيى بن حيان عاتبت جدتي جدي في قلة الباه فقال لها انا وانت على قضاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه قالت وما قضاء عمر قال قال ان الرجل اذا أتى امرأته في كل طهر مرة فقد أدى حقها قالت فكل الناس تركوا قضاء عمر وأقمت انا وانت عليه وقال اعرابي كبر وعجز

فره اما الفة حلوة
ترضي واما فرقة مره
من قبل ان اخلع ثوب الحيا
في طاعة الشيخ أبي مره
فقال له القاضي قد سمعت

عجبت من ايري كيف يصنع * ادفعه باصبعي فيرجع * يقوم بعد الشد ثم يركع

دخل عيسى بن موسى على جارية له فعجز فقال

النفس تطمع والاسباب عاجزة * والنفس تهلك بين العجز والطمع

* خلا ثمامة بن اشرس بجارية له فعجز فقال ويحك ما أوسع حرك فقالت

انت الفداء لمن قد كان عاوده * ويشتكي الضيق منه حين يلقاه

* وكان عروة بن أشيم اوفر الناس ايرا وأشدهم نكاحا وكان اذا أنعظ يستلقي على قفاه فيأتي الفصيل الجرب فيحتك بايره يظنه الجذل وهو عود في العطن ينصب لتحتك به الابل الجربي ويزعمون انه اصاب ايره جنب عروس زفت اليه فقالت له أتهددني بالركبة وهو القائل

الا ربما انعظت حتى اخاله * سينقد للانعاظ أو يتمزق

فأعمله حتى اذا قلت قد ونى * أبى وعطى جامحا يتمطق

واقبل رجل على علي رضي الله عنه فقال ان لي امرأة كلما غشيتها تقول قتلتني قتلتني فقال اقتلها وعلي اثمها * وقع اعشى همدان اسيرا عند الديلم ثم ان ابنة العلج الذي اسره عشقته فمكنته ليلة من نفسها فأصبح وقد واقعها ثمان مرات فقالت له يا معشر المسلمين أهكذا تفعلون بنسائكم قال هكذا نفعل كلنا فقالت بهذا العمل نصرتم أفرأيت ان خلصتك تصطفيني فعاهدها فحلت قيوده بالليل وأخذت به في طرق تعرفها حتى تخلص فقال اسير شاعر فيه

فمن كان يفديه من الاسر ماله * فهمدان تفديها الغداة ايورها

كان عبد الله بن عمر من أنزه الناس نفسا وابعدهم عن المزاح وذكر الفاحشة فجاءه ابن أبي عتيق يوما وكان صاحب مزاح وفكاهة وفي يده رقعة فيها

ماعزتك اليه وتوعدتيك عليه فجانب ماعزتك وحاذران تفركك وتعركك فجثا الشيخ على ثفناته وتفجر ينبوع نفثاته وقال

اسمع عدالك الذم قول امرئ
يوضح فيما رابها عذره
والله ما أعرضت عنها قلى
ولا هوى قلبي قضى نذره
وانما الدهر عدا صرفه
فابتزنا الدرة والدره
فنزلي قفر كما جيدها
عطل من الجزعة والشذرة
وكنت من قبل ارى في الهوى
ودينه رأي بني عذره
فمذ نبا الدهر هجرت الدمى
هجران عف آخذ حذره
وملت عن حرثي لا رغبة
عنه ولكن اتقي بذره
فلا تلم من هذه حاله
واعطف عليه واحتمل هذره

قال فالتظت المرأة من مقاله وانتضت الحجج لجداله وقالت له ويلك يا مرقعان يا من هو لا طعام ولا طعان انضيق بالولد ذرعا ولكل اكولة مرعى لقد ضل فهمك واخطأ سهمك وسفهت نفسك وشقيت بك عرسك فقال لها القاضي أما أنت فلو جادلت الخنساء لانثنت عنك خرساء وأما هو فان كان صدق في زعمه ودعوى عدمه فله في هم قبقبه ما يشغله عن ذبذبه فأطرقت تنظر ازورارا ولا ترجع حوارا حتى قلنا قد راجعها الخفر أو حاق بها الظفر فقال لها الشيخ تعسا لك ان زخرفت أو كتمت ما عرفت فقالت ويحك وهل بعد المناورة كتم أو ربق لنا على سر ختم وما فينا الا من صدق وهتك صونه اذ نطق فليتنا الا قينا البكم ولم نلق

ذهب الاله بما تعيش به * وقرت مالك ايما قمر
انفقت مالك غير مكترث * في كل زانية وفي الخمر

وكانت هجته بها امرأته عاتكة بنت عبد الرحمن المخزومي فقال يا أبا عبد الرحمن انظر هذه الرقعة وأشر على برأيك فيها فلما قرأها عبد الله استرجع فقال ماترى فيمن هجاني بهذا الشعر قال ارى ان تعفو وتصفح فقال يا أبا عبد الرحمن لئن لقيت صاحبه لانيكنه نيكا جيدا فأخذ ابن عمر من قوله وأرعد وأزبد وقال مالك غضب الله عليك فقال ماهو الا ماقلت لك وافترقا فلما كان بعد أيام لقيه ابن عمر فأعرض عنه فصاح يا أبا عبد الرحمن اني لقيت صاحب البيتين فنكته والله نيكا شافيا وأقسم على ذلك فصعق ابن عمر فلما رأى ابن أبي عتيق ماحل به دنا منه وقال له في اذنه انها والله امرأتي فقام ابن عمر وقد سرى عنه وهو يضحك فقبله بين عينيه وقال أحسنت زده من هذا الادب فان يهجوك بعدها ابدا (قوله عزتك) أى نسبتك (توعدتك) هددتك (عزك) شانك وعابك ولطخك بشر وساءك وعزة فلان قومه بشر لطخهم به (حاذر) خف (تفركك) تبغض وفركت المرأة زوجها أبغضته (وتعركك) تدلكك دلكا شديدا مثل دلك الاديم وعركت القوم في الحرب قاتلتهم (جثا) يجثو جثوا وجثيا جلس على ركبتيه (الثفنات) ماولي الارض من أعضاء البعير وغلظ ذابرك على الركبتين والكركرة (ينبوع) ماؤها النابع (نفثاته) كلماته (عدالك) تجاوزك (يوضح) يبين (رابها) شككها وأدخل عليها الريبة (أعرضت) صددت (قلى) بغض (هوى) حب (النذر) ان ينذر الانسان على نفسه شيأ يفعله وقضى نحبه استوفى غرضه (عدا) ظلم (صرفه) تصرفه بالانكاد (ابتزنا) سلبنا (الدرة) اللؤلؤة (والدرة) اللبن ومال العرب الابل وعيشهم من لبنها فلهذا جنس بالدرة مع الدرة (جيدها) عنقها (عطل) خال (الجزعة) خرز يماني وهي التي فيها بياض وسواد (والشذر) قطع من ذهب يفصل بها بين الجواهر وقيل الجزع خرز ملون والشذر خرز أخضر وقيل الشذرة القطعة من الذهب تلتقط من المعدن من غير اذابة الحجارة (بني عذرة) قبيلة يغلب على قلوبهم حب النساء فكل من أفرط في حبهن قيل له عذري فنسب اليهم وسئل اعرابي فقيل له من أين أنت فقال من قبيلة اذا أحبوا ماتوا فسمعته جارية فقالت عذري ورب الكعبة (قوله نبا) أى ارتفع وزال خيره (الدمى) النساء المشبهات في بياضهن وصفائهن بصور الرخام وكان العاشق من العرب اذا غلب عليه العشق والهجر ذهب الى الامصار فاشترى صورة من رخام على صورة محبوبته فاذا ركب بعيره أجلس الصورة بين يديه يحدثها ويستريح اليها فسموا النساء دمى تشبيها بصور الرخام (عف) عفيف (البذر) ما يزرع في الارض من الحبوب وحرثه نكاحه وأراد بالبذر ما يزرعه فيها من النطفة (هذره) هذيانه وكلامه الفارغ (التظت) حقدت والتهبت غيظا و (انتضت) جردت (جداله) خصامه (مرقعان) كثير الرقاعة والرقاعة كالحماقة كأن عقله تخرق فرقع * وضقت بالشئ ذرعا اذا لم تقدر عليه (ضل) تحير (عرسك) زوجك (جادلت) خاصمت (انثنت) رجعت (خرساء) بكماء (زعمه) ما ادعاه (قوله قبقبه) القبقب البطن والقبقبة الصوت الذي يدور فيه فسمي به (والذبذب) الذكر وأصل الذبذبة الاهتزاز والاضطراب فسمي الذبذب لحركته ونظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى شاب فقال ياشاب ان وقيت شر ثلاث وقيت شر الشباب لقلقك وذبذبك وقبقبك * الاصمعي اللقلق اللسان والقبقب البطن والذبذب الذكر (قوله أطرقت) أى سكتت مميلة الى الارض رأسها حياء (ازورارا) ميلانا (والحوار) مراجعة الكلام (الخفر) الحياء (حاق) لحق و (الظفر) هنا غلبته حجتها وظفرها به (تعسا) هلاكا (زخرفت) هنا زينت الباطل (المناورة) المحاكمة (ختم) ربط أى قد أظهرنا جميع أسرارنا (هتك) خرق (صونه) صيانته (لاقينا البكم) أى أصابنا البكم وخلقنا خرسا فلم

الحكم ثم التفعت بوشاحها وتباكت لافتضاحها وجعل القاضى يعجب من خطبهما ويجب ويلوم لهما الدهر ويؤنب ثم احضر من الورق ألفين وقال أرضيا بهما الاجوفين وعاصيا النازغ بين الالفين فشكراه على حسن السراح وانطلقا وهما كالماء والراح وطفق القاضى بعد مسرحهما وتنائى شبحهما يثنى على أدبهما ويقول هل من عارف بهما فقال له عين اعوانه وخالصة خلصائه أما الشيخ فالسروجى المشهود بفضله وأما المرأة فقعيدة رحله وأما تحا كمهما فكيدة من فعله واحبولة من حبائل ختله فأحفظ القاضى ماسمع وتلهف كيف خدع ثم قال للواشى بهما قم فردهما ثم اقصدهما وصدهما فنهض ينفض مذرويه ثم عاد يضرب أصدريه فقال له القاضى أظهرنا على ما نبثت ولا تخف عنا ما استخبثت فقال مازلت أستقرى الطرق واستفتح الغلق الى أن أدركتهما مصحرين وقد زما مطى البين فرغبتهما فى العالل وكفلت لهما بنيل الامل فأشرب قلب الشيخ أن ييأس وقال الفرار بقراب أكيس وقالت هى بل العود أحمد

تبدما أبديناه من القبائح والبكم الخرس مع عى وقال ثعلب البكم أن يولد الانسان لا ينطق ولا يسمع ولا يبصر وبكم بكما وبكامة و(الحكم) الحاكم (التفعت) التفت والوشاح الثوب وقد توشحت شو بها جعلته موضع وشاحها (لافتضاحها) لاشتهارها بالقبائح (خطبهما) أمرهما (يعجب) يجعل غيره يعجب منه (يؤنب) يوبخ ويلوم (الورق) الدراهم (الاجوفين) البطن والفرج (النازغ) الماشى بالشر المفسد ونزغ الشيطان بينهم ينزغ نزغا أغوى وأفسد و(الالفين) الصاحبين (السراح) الانصراف و(الراح) الخمر وهى سريعة الامتزاج مع الماء فيضرب بهما المثل فى امتزاج نفوس المتحابين وقد جاء من ذلك فى الشعر ما يستحسن قال ابن أبى فنن أحسن ما قيل فيه قول العباس بن الاحنف

لا أنسى ما أنسى عمناها معطفة * على فؤادى ويسراها على راسى
وقولها ليته ثوب على جسدى * وليتنى كنت سربالا لعباس
وليته كان لى خمرا وكنت له * من ماء مزن فكنا الدهر فى كاس

قال الحاتمى وأحسن دعبل كل الاحسان فى قوله

الله يعلم والايام دائرة * والمرء ما بين ايحاش وايناس
انى أحبك حبا لو تضمنه * سلمى سميك دك الشاهق الراسى
حبا تلبس بالاحشاء وامتزجا * تمازج الماء بالصهباء فى الكاس

وقال البحترى فأحسن

تهتز مثل اهتزاز الغصن حركه * مرور غيث من الوسمى سحاح
انى وجدتك من قلبى بمنزلة * هى المصافاة بين الماء والراح

(قوله طفق) أى جعل (مسرحهما) انصرافهما (تنائى شبحهما) بعد شخصهما و(عين الاعوان) مقدمهم و(الخلصان) الاحباب و(خالصة) خيار فكأنه خيار خيارهم (قعيدة رحله) زوجته وصاحبة بيته (مكيدة) مكر (أحبولة) شبكة (ختله) خداعه (أحفظ) أغضب (تلهف) تندم فصاح يالهفى (ردهما) اطلبهما (مذرويه) أطراف أليتيه (والاصدران) عرقان فى الصدغين وقيل هما المنكبان وقيل العطفان ويقال أتى فلان ينفض مذرويه اذا جاء غاضبا يتهدد ويضرب أصدريه اذا جاء فارغا بلا حاجة فاذا قضى حاجته قيل جاء ثانيا من عنانه وقال الحسن البصرى ورأى الناس يوم عيد يضحكون فقال تلقى أحدهم أبيض بضا يملخ فى الباطل ملخا ينفض مذرويه ويضرب أصدريه يقول ها أنا ذا فاعرفونى قد عرفناك مقتك الله ومقتك الصالحون يملخ يلج وقيل يتثنى ويتكسر (استخبثت) أصبته خبيثا (أستقرى) أتتبع (الغلق) جمع غلقه وهى المغالق التى تسد بها الطرق وغيرها وباب غلق أى مغلق (مصحرين) ذاهبين فى الصحراء (زما) شدا و(البين) الفراق و(العلل) هنا العطاء (كفلت) ضمنت (نيل الامل) درك الحاجة (أشرب) دوخل وألقى فى نفسه و(الفرار بقراب أكيس) مثل وقراب الشئ ما يقار به وأراد الهروب باليسير والقريب أكيس من الرجوع الى الطمع ويروى الفرار بقراب بكسر القاف وهو مصدر بمعنى المقاربة والمثل لجابر بن عمرو المازنى وكان سائرا فى طريق ومعه أوفى بن مطر وشهاب بن قيس فترائى آثار رجلين معهما فرسان وبعيران وكان قائفا فقال أرى آثار رجلين شديد كلبهما عزيز سلبهما والفرار بقراب أكيس ثم مضى هاربا والمعنى فرارنا ونحن بقرب السلامة خير لنا من أن نتورط فى المكروه و(العود أحمد) أى أرفق وأحق ان يوجد محمودا والعود أحمد مثل أى الرجوع أحسن وقال المرقش

وأحسن فيما كان بينى وبينه * فان عاد بالاحسان فالعود أحمد

(وأنشد أبو العباس لعمارة)

بنى دارم ان يفن عمرى فقد مضى * سيأتى لكم منى ثناء مخلد

والفروقة يكمد فلما تبين الشيخ سفه رأيها وغرور اجترائها أمسك ذلاذلها ثم أنشأ يقول لها

دونك نحمى فاقتنى سبله
واغنى عن التفصيل بالجمله
طيرى متى نقرت عن نخله
وطلقيها بتة بتله
وحاذرى العود اليها ولو
سباها ناطورها الابله
فخير ما اللص أن لا يرى
ببقعة فيها له عمله

ثم قال لى لقد عنيت فيما وليت فارجع من حيث جئت وقل لمرسلك ان شئت

رويد لا تعقب جميلك بالاذى
فتضحى وشمل المال والحمد منصدع
ولا تغضب من تريد سائل
فما هو فى صوغ اللسان بمبتدع
وان تك قد ساءتك منى خديعة
فقبلك شيخ الاشعريين قد خدع

فقال له القاضى قاتله الله فما أحسن شجونه وأملح فنونه ثم انه أصحب رائده بردين وصرة من العين وقال له سر سير من لا يرى الالتفات الا أن ترى الشيخ والفتاة فبل يديهما بهذا الحباء وبين لهما انخداعى للادباء (قال الراوى) فلم أر فى الاغتراب كهذا العجاب ولا سمعت بمثله ممن جال وجاب

﴿المقامة السادسة والاربعون الحلبية﴾

(روى الحرث بن همام) قال نزع بى الى حلب شوق غلب

بدأتم فأحسنتم وأثنيت جاهدا ✻ وان عدتم وأحسنت والعود أحمد

(قوله الفروقة) أى الفزاع الكثير الفرق وهو الخوف (يكمد) يحزن حزنا لا يستطيع امضاءه (تبين) علم (غرور) خطر (سفه) خفة والسفيه الخفيف العقل (اجترائها) جسارتها وجرأتها (ذلاذلها) أطراف ثوبها وذلاذل القميص ما يلى الارض من أسافله الواحد ذلذل مثل قفة. وقاقم (دونك) معناه قاربك ما تطلب فتناوله (اقتفى) اتبعى (سبله) طرقه (نقرت) أكلت ثمرتها فنقارك وهو مثل ونقرت أيضا بحثت والتنقير البحث عن الشئ يقول متى ما أخذت من ثمر نخلة بنصيب ففارقها ولا ترجع اليها وفى حديث أبى سعيد قال النبى صلى الله عليه وسلم خلقت النخلة والرمانة والعنب من فضل طينة آدم عليه السلام و(البتة البتلة) التى لا رجعة فيها والبت القطع (سبلها) طرقها وأصله لابن السبيل (الناطور) حارس النخل خاصة بطاء غير معجمة وقيل هو حافظ الكرم والجمع النواطير (الابله) الكثير الغفلة (اللص) السارق و(عملة) سرقة وفعلة قبيحة (عنيت) تعبت (وليت) كلفت (رويدك) رفقك أى أولنا منك الرفق والمهل (لا تعقب) لا تتبع (الاذى) الضرر و(شمل) جمع (منصدع) متفرق (صوغ اللسان) كذبه وحيله وفى الحديث هذه كذبة صاغها الصواغ أى اختلقها الكذاب (مبتدع) أول فاعل (ساءتك) أحزنتك (شيخ الاشعريين) هو أبو موسى الاشعرى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه عبد الله بن قيس من ولد الاشعر ابن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن كهلان بن سبا قدم مكة وأسلم بها ثم هاجر الى أرض الحبشة ثم قدم مع جعفر بن أبى طالب الى المدينة والذى خدعه هو عمرو بن العاص فى قصة التحكيم بين على ومعاوية رضى الله عنهما وهى قصة مشهورة فى كتاب العقد وفى كتاب المسعودى وغيرهما من كتب الادب وفيها أشياء مما كبر فى حق الصحابة رضى الله عنهم فلذلك أضربنا عن ذكرها (رائده) طالبه (أصحبه) جعله فى صحبته (بردين) ثوبين (صرة) خرقة تشد فيها الدراهم (العين) الذهب والفضة (سير من لا يرى الالتفات) أى سيرا سريعا لا يلتفت معه الى مهم (قوله بل أيديهما) يقال بللت به أبل اذا ظفرت به وبلك الله بابن أى رزقكه وفى الحديث بلوا أرحامكم ولو بالسلام أى صلوها وبللت رحمى أبلها بللا وبلالا اذا نديتها ووصلتها (الحباء) العطاء (جال) تصرف وقطع البلاد بالمشى

﴿شرح المقامة السادسة والاربعين وهى الحلبية﴾

(نزع بى) أى شوقنى وحملنى و(حلب) مدينة عظيمة بالشام وقنسرين خمس من أخماس الشام ومدينته العظمى حلب وساحلها انطاكية وذكر شيخنا ابن جبير فقال حلب بلدة قدرها خطير وذكرها فى كل زمان يطير خطابها من الملوك كثير كانت فى القديم ربوة فيما يقال كان يأوى اليها ابراهيم الخليل عليه السلام بغنمه فيحلبها ويتصدق بلبنها فسميت حلب وبها مشهد كريم منسوب اليه يتبرك الناس بالصلاة فيه ولها قلعة شهيرة الامتناع بائنة الارتفاع معدومة الشبه والنظير فى القلاع تنزهت حصانة أن ترام أو تستطاع قاعدة كبيرة ومائدة من الارض مستديرة منحوتة الارجاء موضوعة على نسبة اعتدال واستواء فسبحان من أحكم تدبيرها وتقديرها وأبدع كيف شاء تصويرها وتدويرها ومن كمال جمالها الزائد على المشترط لحصانة القلاع أن الماء بها نابع وقد صنع عليها جفان والطعام يصير فيها الدهر كله وليس من شروط الحصانة أهم من هاتين الخلتين ويطيف بجبلها سوران حصينان يعترض دونهما خندق بالماء فلا يكاد البصر يبلغ مدى عمقه وسورها الاعلى مجال كله أبراج منتظمة فيها القلالى المنيعة قد تفتحت كلها طبقات وكل برج منها مسكون والبلد ضخم جدا جليل الترتيب أسواقه متصلة الانتظام تخرج من سماط صنعة الى سماط أخرى وقيساريتها وجامعها ومدارسها ما سمع بمثل وصفها فى مدن بلاد الله تعالى كل سوق من أسواقها مسقف بالخشب يفيد البصر حسنا ويستوقف المستوفز تعجبا وقيساريتها حديقة بستان نظافه

وبها الامطيفة بجامعها وأكثر حوانيتها خزائن من الخشب البديع الصنعة قد اتصل السماط كله خزانة واحدة وتحللتها اشرف حسنة بديعة النقش ونفحت كلها حوانيت فجاءت في أجمل منظر وكل سماط منها يتصل بباب من أبواب الجامع ثم أخذ ابن جبير في وصف الجامع والمدارس والبيمارستان بأنواع من الاوصاف الحسان (قوله ياله) معناه التعجب كانه قال ما أعجبه من طلب (خفيف الحاذ) أي قليل العيال وتقدم الحاذ في السادسة (حثيث النفاذ) سريع المضي في أموره ورجل نافذ ونفوذ ونفاذ ماض في جميع أموره (أهبة) عدة (خففت) ارتحلت بسرعة (حللت ربوعها) نزلت في بيوتها (ارتبعت ربيعها) اقمت (خبيرها أفاني) أقاطع وفني الشئ تم وانقطع و(الغرام) عذاب الحب و(الاوام) العطش و(اقصر) كف وأقصرت عن الشئ تركته وأنت عليه قادر (ولوعه) مصدر ولع به اذا أحبه ولزمه (استطار) بمعنى انتشر (وقوعه) نزوله وهم يتشاءمون بالغراب لانه يؤذن عندهم بالفراق وذلك انهم لا يرون الغراب عند منازلهم الا اذا حطوا بيوتهم للرحيل ينزل يلتمس ما يتركون مما يلقط ولذلك سموه غراب البين واشتقوا من اسمه الغريب والغربة (أغراني) حرضني وسلطني (الخلو) الفارغ (المرح) النشاط وخفة النفس من الطرب (حمص) مدينة عظيمة بينها وبين دمشق مائة ميل وأرض حمص خمس من أخماس الشام وهي مدينة يقال ان لها سورا وفي وسطها حصنها ولا تدخلها حية ولا عقرب وأول من ابتدع الحساب أهلها الا انهم كانوا تجارا وباشبيلية واحوازها نزل اهل حمص عند افتتاح الاندلس فلذلك سميت حمص اخذت من قولهم حمص الجرح يحمص حموصا وانحمص ينحمص انحماصا اذا ذهب ورمه قال اليعقوبي مدينة حمص من اوسع مباني الشام ولها نهر عظيم منه يشرب اهلها افتتحها ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وفي حديث عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليبعثن الله تعالى من مدينة بالشام يقال لها حمص سبعين الفا يوم القيامة لا حساب عليهم ودخلها شيخنا ابن جبير سنة ثمانين وخمسمائة وقال هي فسيحة الساحة مستطيلة المساحة نزهة لعين مبصرها من النظافة والملاحة موضوعة في بسيط من الارض عريض مداه لا يخترقه النسيم بمسراه ويكاد البصر يقف دون منتهاه وماؤها يجلب لها من نهرها العاصي وهو منها بنحو ميل ومنبعه في مغارة بسفح جبل بمرحلة منها وصل بقابل بعلبك واهل حمص موصوفون بالنجدة لمجاورتهم العدو واسوارها في غاية العتاقة والوثاقة مرصوص بناؤها بالحجارة السود وأما داخلها فاشبه شيء ببادية شعثاء خلقة الارجاء لا اشراق لآفاقها ولا رونق لاسواقها وما ظنك ببلد حصن الاكراد منه على اميال يسيرة وتجد فيها عند اطلاعك عليها بعض شبه من مدينة اشبيلية يقع للعين في نفسك حينا ولذلك سميت باسمها في القديم وله نازل اشبيلية بعض اعراب حمص * وقال الفنجديهي بأهل حمص يضرب المثل في الحماقة وكثرة الرقاعة وتنسب اليهم حكايات مضحكة حكى عن بعضهم انه قال دخلتها وفي فمي درهم لاشتري به بعض ما اشتهيه واذا برجل بباب الجامع جالس على كرسي وعلى رأسه عمامة محنك بها على قلنسوة وقد لبس فروة مقلوبة بلا سراويل وقد تقلد بسيف وفي حجره مصحف يقرأ فيه وعنده كلب رابض يمسكه بعقوده فسلمت عليه فرد السلام وقلت له أترى القوم صلوا فقال لي أوأنت أعمى أما ترى اني قاعد قلت من أنت قال أنا أبو خالد امام الجامع فقلت ما هذه الحلية قال ورد رجل زنديق يقرأ السبع الطوال ويشتم أبا بكر الصديق وعمر القواريري وعثمان بن أبي سفيان ومعاوية بن أبي غسان الذي هو من حملة العرش وزوجه النبي ابنته عائشة في زمن الحجاج بن يوسف فاستولدها الحسن والحسين فقلت ما أعرفك بالمقالة والانساب قال وما يخفى عنك أكثر قلت أتحفظ القرآن قال نعم قلت فاقرأ شيأ منه فقال بسم الله الرحمن الرحيم واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا فصفعته صفعة سقطت عمامته وبقي

وطلب ياله من طلب وكنت يومئذ خفيف الحاذ حثيث النفاذ فأخذت أهبة السير وخففت نحوها خفوف الطير ولم أزل مذ حللت ربوعها وارتبعت ربيعها أفاني الايام فيما يشفي الغرام ويروي الاوام الى أن أقصر القلب عن ولوعه واستطار غراب البين بعد وقوعه فأغراني البال الخلو والمرح الحلو بأن أقصد حمص

التحنك في عنقه فصاح بالناس قلنسوتي وقال احملوه الى المحتسب فأوصلوني الى رجل حاسر حاف قد لبس دراعة بلا سراويل فقال ما صنع هذا قالوا صفع امام الجامع قال يا مسكين أهلكت نفسك قلت هذا حكم الله فصبرا عليه قال ايما أحب اليك سمل عينيك أو قطع يديك أو تدفع نصف درهم قال فرفعت يدي وصفعت المحتسب صفعة ثم أخرجت الدرهم من فمي وقلت يا سيدي خذ نصف درهم لك ونصف درهم لامامك وقال فيهم بعض الشعراء

لانهم أهل حمص لا عقول لهم * بهائم غير معدودين في الناس

ونزلها في القديم أهل اليمن ولم يكن فيها من مصر الا ثلاثة أبيات وكان لهم امام من مصر فغضبوا عليه وعزلوه فقال فيهم ديك الجن يهجوهم

سمعوا الصلاة على النبي تلا لؤا * فتفرقوا شيعا وقالوا الالا

ثم استمر على الصلاة امامهم * فتحزبوا ورمى الرجال رجالا

يا أهل حمص توقعوا من عارها * خزيا يحل بكم ووبالا

شاهت وجوهكم وجوها طالما * رغمت معاطسها وساءت حالا

(قوله أصطاف) أي أسكن في الصيف (وأسبر) أختبر و(الرقاعة) تجاوز الحد في الوقاحة وصلابة الوجه (والبقعة) القطعة من الارض وكذلك (الرقعة) و(انقض النجم) (للرجم) اذا استطار لرجم الشياطين وأراد أنه أسرع اليها برعة الخيل كسرعة النجم المنقض قال خلف الاحمر

كالكوكب الدري منهلا * سيرا يفوت الطرف أسرعه

وكأنما جهدت أليته * أن لا تمس الارض أربعه

وقال ابن الرومي خذها تبوع المن أولى مسومة * كأنها كوكب في اثر عفريت

وما أحسن قول ابن المعتز في هذا المعنى

كأنما النجم والعفريت مسترقا * للسمع ينفض يلقي خلفه لهبه

كفارس حل من عجب عمامته * فردها كلها من خلفه عذبه

(قوله خبت) أي انقت وأصله ضربت خيمة (رسومها) آثارها (روح نسيمها) لذة ريحها (لمح طرفي) أبصرت عيني (هريره) صياحه وقد هر الكلب هريرا اذا نبح وحمل على من أنكره و(غريره) شبابه والغرة صغر السن ومعناه أقبل شره وسوء خلقه وأدبر صباه وحسن خلقه ولما كانت خليقته في هذه المقامة منبسطة مع صبيانه صار هذا التفسير فيه بعد وقال بعضهم أقبل هريره أقبل هرمه ويبسه من هرا الشوك اذا اشتد يبسه حتى صار كأنياب الهر وهذا يوافق الغرض فعناه أقبل هرمه وكبره وأدبر صباه وصغره ومثله كالبت الابل شجر الشوك اذا رعته كأنها رعت فيه أنياب الكلاب لصعوبته والغرير أيضا الضامن ويكنى به هنا عن الشباب كأنه ضمن لصاحبه طول الحياة المفقود معناها في الهرم و(الصنو) الاخ الشقيق وأصل الصنو في النخيل والشجر وهي التي تجتمع أصولها وتفترق أجسادها (الحرص) الرغبة والطمع (أخبر) أجرب (بش) استبشر والبشاشة اظهار السرور وبسط الوجه (وافيته) أتيته (جنى نطقه) ما يجنى من كلامه ويحصل منه (أكتنه) أتعرف وأتحقق (كنه) قدر وحقيقة * ابن الانباري الحمق عند العرب الحرم ثم أخذ منه الاحمق وهو المتغير العقل * فمما يحكى من حماقتهم كان حمزة المعلم متقلنسا فأنشد فيه أبو جعفر الحاكم

أرى على حمزة المقري قلنسوة * عساكر القمل تجري في حواشيها

ان المعلم لا تخفى حماقته * ولو تقلنس بالدنيا وما فيها *

تقلنس لبس القلنسوة * الجاحظ عقل مائة معلم عقل امرأة وعقل مائة امرأة عقل حائك وعقل مائة حائك عقل خصي وعقل مائة خصي عقل صبي قال الشاعر

لاصطاف ببقعتها وأسبر رقاعة أهل رقعتها فأسرعت اليها اسراع النجم اذا انقض للرجم فحين خبت رسومها ووجدت روح نسيمها لمح طرفي شيخا قد أقبل هريره وأدبر غريره وعنده عشرة صبيان صنوان وغير صنوان فطاوعت في قصده الحرص لاخبر به أدباء حمص فبش بي حين وافيته وحيا بأحسن مما حييته فجلست اليه لاجتني نطقه وأكتنه كنه حقه

﴿ذكر المعلمين﴾

معلم صبيان وصاحب درة * وليس له عقل بعقد أرذرة

* القفجيهي قال أبو طاهر عقل امرأتين كاملتين عقل رجل وعقل أربعة خصيان عقل امرأة وعقل أربعين حائكا عقل خصي وعقل أربعين معلما عقل حائك * الزبير بن عبد الملك الهاشمي قال مررت ببعض المعلمين ويعرف بكسري ورأيته يصلي بالصبيان صلاة العصر فلم أزل واقفا أفكر فيه فلما أن ركع أدخل رأسه بين رجليه لينظر ما يصنع الصبيان خلفه فرأى صبيا يلعب فقال له وهو راكع يا ابن البقال هوذا أدري ما تصنع * الجاحظ مررت بمعلم وقد كتب على لوح صبي واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيد والك كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا فقلت ويحك أتدخل سورة في سورة فقال نعم عافاك الله ان أبا العاص نظر أمه يدخل أجرة شهر في شهر وأنا أيضا أدخل آية في آية فلا أنا آخذ شيئا ولا الصبي يتعلم شيئا * أبو بكر القبطي عبرت على معلم وهو يملي على غلام بين يديه فريق في الجنة وفريق في السعير فقلت يا هذا ما قال الله من هذا شيئا انما هو في السعير فقال أنت تقرأ على حرف أبي عاصم بن العلاء الكسائي وأنا أقرأ على حرف أبي حمزة بن عاصم المدني فقلت معرفتك بالقراء أعجب الي وانصرفت * وروى بعض الفضلاء قال مررت في بعض قرى السواد واذا معلم صبيان يقول ويحكم يا صبيان تفسون فصاح به واحد منهم وقال انما فسا أخي فقال المعلم اني لأعلم فسوته الخبيثة ولكن أعلل نفسي بالاباطيل ثم قال اني لأعرف فساءكم كما أعرف أصواتكم وحلف على ذلك ثم أنشد

معلم صبيان يروح ويغتدي * على أنفه ألوان ريح فسائهم
وقد أفسدوا منه الدماغ بفسوهم * ورفعهم أصواتهم في هجائهم

الجاحظ كان في المدينة رجل معلم صبيان يفرط في ضربهم فلاموه على ذلك فسا في حاله معهم فاستفتح صبي وقال يا معلم وان عليك اللعنة الى يوم الدين ما بعده فقال المعلم بل عليك وعلي والديك لعائن الله تترى وجاء آخر فقال يا معلم اخرج منها فانك رجيم ما بعده قال ذاك أبوك الكشخان وجاء آخر فقال يا معلم ما لنا في بناتك من حق ما بعده فقال لا ولا رأيتهن فقال علي هذا أضربهم أتعذروني قلت نعم * العتبي كان ببغداد معلم يشتم الصبيان فأخذت بيد المشايخ فدخلنا عليه فقلنا يا شيخ ما يحل لك أن تشتم هؤلاء الصبيان فقال أنا مبتلى بهم ما أشتم الا من يستحق الشتم فاحضر واحدي تسمعوا بعض ما أنا فيه فحضرنا معه فقرأ عليه صبي عليها ملائكة غلاظ شداد يعصون الله ما أمرهم ولا يفعلون ما يؤمرون فقال يا ماص بظر أمه فليس هؤلاء ملائكة ولا أعراب ولا اكراد شهرزور وقال فضحكنا والله حتى بال أحدنا في سراويله فقرأ عليه آخر لا تنفقوا الا من عند رسول الله وتردد فقال من عند أبيك القرنان أولى فانه أكثر مالا يا ابن الفاعلة أتلزم النبي صلى الله عليه وسلم نفقة لا تجب عليه أأعجبك كثرة ماله فقال فكنت بعد ذلك أترك أشغالي واجلس عنده أتعجب * الجاحظ سرق صبي عثماني مصحفا فقال له المعلم ماذا لقيت المصاحف منكم يا آل عثمان أبوك أحرقها وأنت تسرقها * قال أفلح التركي خرجنا مرة الى حرب لنا ومعنا معلم كان يقول أنا أتمنى أن أرى الحرب كيف هي فأخرجناه معنا فأول سهم جاء وقع في رأسه فلما انصرف ادعونا له معالجا فنظر اليه وقال ان خرج الزج وفيه شئ من دماغه مات وان لم يخرج عليه شئ من دماغه لم يكن عليه بأس فسبق اليه المعلم فقبل رأسه وقال بشرك الله بخير انزعه فما في رأسي دماغ فقال الطبيب وكيف ذلك قال اني معلم كتاب الله تعالى وما في رؤس المعلمين ذرة من دماغ ولو كان فيه ذرة من دماغ ما كنت ههنا وقال موسى بن حسان الكاتب رأيت بالبصرة معلما قد أجلس أولاد الاغنياء للظل وأولاد المساكين للشمس وهو يقول لاولاد الاغنياء يا أهل الجنة ابزقوا على اهل النار يعني أولاد المساكين فقلت يا هذا ما بال هؤلاء يبخسون فقال هؤلاء يبخسون الاخطار * أحمد بن دليل مررت بمعلم يضرب صبيا ويقول والله لاضربنك

حتى تقول لى من حفر البحر فقلت أعزك الله والله لا أدرى أنا من حفر البحر فقل لى حتى أتعلم أنا فقال حفر البحر كردم أبو آدم عليه السلام * أبو العنبس كان فى دربنا معلم طويل اللحية فكنت أجلس اليه كثيرا وأتلهى به فخشيته يوما وبين يديه صبى يقول له ويلك الدجلة من حفرها قال عيسى بن مريم قال فى الجبل من خلقه قال موسى بن عمران قال فالبحر من دوره فى است الجمل قال شيطان يقال له الحى قال أحسنت فآدم من أبوه قال نوح قال بخ بخ نجوت والله فقلت ياسبحان الله أليس آدم أبا البشر قال نعم قلت فكيف يكون نوح أباه قال ويلك أتعرفنى يا آدموا يا أبو عبد الله المعلم يا صبيان كرفسوه فكرفسونى حتى صيرونى مقيدا فحلفت أن لا أقف على معلم أبدا * الجاحظ أتت امرأة الى معلم بابن لها وكان المعلم طويل اللحية فقالت ان هذا الصبى عاق لا يطيعنى فأحب ان تفزعه فأخذ المعلم لحيته وألقاها فى فمه وحرك رأسه وصاح صيحة فضرطت المرأة من الفزع وقالت انما قلت لك فزع الصبى ليس اياى فقال لها مرى ياحمقاء ان العذاب اذا نزل هلك الصالح والطالح * الاصمعى مررت بمعلم بالبصرة يضرب صبيا ثم أقام الصبيان صفا وجعل يدعو عليهم ويقول اقرؤا فلما بلغ الصبى المضروب قال لا آخرالى جنبه قل له يقرأ فانى لا أكلمه *(ونذكر)* هنا فى التأديب والادباء ما يكون من شكل هذا الموضع ثم نتبع عند ذكر الغلمان الحسان من الاشعار ما يجرى كالبيان والتفسير لاحوالهم بعون الله تعالى * قالت الحكماء من أدب ولده صغيرا سر به كبيرا ومن أدب ولده أرغم حاسده وقال ابن عباس من لم يجلس فى الصغر حيث يكره لم يجلس فى الكبر حيث يحب * وقالوا أطبع الطين ما كان رطبا وأغمز العود مادام لدنا * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذى يتعلم فى صغره كالنقش على الحجر والذى يتعلم فى كبره كالذى يكتب على الماء * وسمع الاحنف التعلم فى الصغر كالنقش على الحجر فقال الكبير أكبر عقلا ولكنه أشغل قلبا * وقال على رضى الله تعالى عنه قلب الحدث كالارض الخالية اذا ألقى فيها شئ قبلته * وقالوا انشاط الالباب فى عصر الشباب والسودد مع السواد وشواظ النار قبل الرماد وقال الشاعر

﴿ذكر التأديب﴾

ان الغصون اذا قومتها اعتدلت * ولن تلين اذا قومتها الخشب

وقال آخر

ان الكبير اذا انتاهى سنه * اعيت رياضته على الرواض

فاذا دفعت الى الصغير فانما * تكفيك منه اشارة الاعماض

وقال آخر * ومن العناء رياضة الهرم * وأنشدوا * أبعد شيبك هذا تبتغى الادبا * وقال الشاعر فى تدريج الصبى برفق

سددمرامى الطفل فى شانه * بلفظة تشدد بها أزره

واغتنم اللمحة من فهمه * ان المبادى أبدا نزره

كالزبى النار من شعلة * والدوحة الغناء من بذره

وهذا ضد ما قال المعرى

لا يستوى ابناك فى خلق ولا خلق * ان الحديدة أم السيف والجلم

فاضرب وليدك وادلله على * رشد ولا تقل هو طفل غير محتلم

فرب شق برأس جر منفعة * وقس على نفع شق الرأس بالقلم

أشار الى قوله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة وقال صالح بن عبد القدوس

وان من ادبته فى الصبا * كالعود يسقى الماء من غرسه

حتى تراه مورقا ناضرا * بعد الذى أبصرت من يبسه

والشيخ لا يترك اخلاقه * حتى يوارى فى ثرى رمسه

اذا ارعوى عاوده جهله * كذى الضنى عاد الى نكسه

مايبلغ الاعداء من جاهل * مايبلغ الجاهل من نفسه

وقال عتبة بن أبي سفيان لمعلم ولده ليكن أول اصلاحك لولدي اصلاحك لنفسك فان عيوبهم معقودة بعيبك فالحسن عندهم ماصنعت والقبيح عندهم ماتركت علمهم كتاب الله ولا تملهم فيه فيتركوه ولا تتركهم فيه فيهجروه وروهم من الحديث أشرفه ومن الشعر أعفه ولا تنقلهم من علم الى آخر حتى يحكموه فان ازدحام الكلام في السمع مشغلة في الفهم وعلمهم سير الحكماء وأخلاق الادباء وهددهم في أدبهم دوني وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء وجنبهم محادثة النساء واستزدني بزيادتك اياهم أردك في بري واياك أن تتكل على عذر مني فقد اتكلت على كفاية منك لي وأوصى الرشيد مؤدب ولده الامين فقال ان أمير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه وثمرة قلبه فصير يدك عليه مبسوطة وطاعتك عليه واجبة فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين أقرئه القرآن وعرفه الآثار وروه الاشعار وعلمه السنن وبصره مواقع الكلام وامنعه الضحك الا في أوقاته ولا تمرن بك ساعة الا وأنت مغتنم فيها فائدة تفيدها اياه من غير أن تخرق به فتميت ذهنه ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه وقومه مااستطعت بالقرب والملاينة فان أباهما فعليك بالشدة والغلظة والله توفيقك وقال للاصمعي ياعبد الملك أنت أعلم منا ونحن أعقل منك لا تعلمنا في ملا ولا تسرع بتذكيرنا في خلا واتركنا حتى نبتدئك بالسؤال فاذا بلغت الجواب حسب الاستحقاق فلا تزد الا أن تستدعي ذلك منك * الماوردي اذا كان لبعض الملوك رغبة في العلم فلا تجعل ذلك ذريعة للانبساط عليه والادلال وكتب شريح الى معلم ولده

ترك الصلاة لا كاب يسعى بها * يبغي الهراش مع الغواة الرجس
فاذا هممت بضربه فبدرة * واذا بلغت به ثلاثا فاحبس
واذا أتاك فعضه بملامة * وعظنه موعظة الاديب الاكيس
واعلم بأنك ماأتيت فنفسه * مع مايجرعني أعز الانفس

﴿ذكر المتهمين من المعلمين﴾ ﴿فن آخر هزلي في المتهمين من المعلمين﴾ اتصل حماد عجرد بالربيع يعلم ولده فكتب اليه بشار

ياأبا الفضل لاتنم * وقع الذئب في الغنم
ان حماد عجرد * ان رأى غفلة هجم
بين فخذيه حربة * في غلاف من الادم
ان خلا البيت ساعة * تجمع الميم بالقلم

فطرده الربيع * واتخذ المهدي قطربا لتأديب بعض ولده وكان حماد يطمع في ذلك فلم يتم له لتهتكه وشهرته في الناس بما قال بشار فلما تمكن قطرب من موضعه صار حماد كالملقى يجعل يقوم ويقعد فلقا ثم دس الى المهدي رقعة فيها

قل للامام جزاك الله صالحة * لاتجمع الدهر بين السخل والذيب
السخل غر وهم الذئب فرصته * والذئب يعلم مافي السخل من طيب

فقال المهدي انظروا لايكون هذا المؤدب لوطيا ثم أخرجوه من الدار فبعث الفجر حماد احيث حرمه بشار هذه المراتب الى أن قال فيه

لقد صار بشار بصيرا بدبره * وناظره بين الانام ضرير
له مقلة عمياء واست بصيرة * الى الاير من تحت الثياب تشير
على وده ان الحمير تنيكه * وان جميع العالمين حمير

وقال فيه

ألا من مبلغ عني الذي والده برد
اذا ماذكر الناس * فلا قبل ولا بعد

وأعمى يشبه القرد * اذا ما عمي القرد

وقال فيه   دعيت الى برد وأنت لغيره * وهبك ابن برد نكت أمك من برد

وكان عبد الصمد بن عبد الاعلى مؤدب الوليد لوطيا زنديقا وكان سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت جميل الوجه شاعرا فدخل على عبد الصمد فراوده فى نفسه فسبه وخرج مغضبا ودخل على هشام بن عبد الملك ويقول

انه والله لولا أنت لم * ينج منى سالما عبد الصمد

فقال هشام ولم قال   انه قد رام منى خطة * لم يرمها قبله منى أحد

قال وما هى قال   رام جهلا بى وجهلا بأبى * يدخل الافعى الى غيل الاسد

فضحك هشام وقال لو فعلت به شيأ لم أنكر عليك وكان سعيد يومئذ صغيرا فى المكتب ومؤدبه عبد الصمد هذا فلما راوده عن نفسه شكاه الى هشام وأبدع فى الكناية ورقق هذا المنكر الاكبر بلفظ يقابل به خليفة وغاية ذوى الحسكة من الخطباء محاكاة براعته واستعارته وليس ببدع فهو من بيت ثلاثة شعراء فى نسق وكان هذا الشعر سبب ابعاد عبد الصمد من تأديب أولاد الخلفاء (قوله ما لبث) أى ما أقام ولا تأخر (كبر أصيبيته) أى أكبرهم وكبر ولد الرجل أكبرهم من الذكور وكبر قومه أقعدهم فى النسب أى أقربهم الى الجد الاكبر ومنه قيل الولاء للكبر أصيبيته تصغير أصبية قال الجوهرى الصبى الغلام وجمعه صبية وصبيان وهو من الواو ولم يقولوا أصبية ولا أغلمة استغنوا عنهما بصبية وغلمة وجاء فى الشعر أصيبية وقال سيبويه تصغير صبية أصيبية وتصغير أصبية صبية وكلاهما على غير قياس * ابن سيده عندى أن صبية تصغير صبية وأصيبية تصغير أصبية ليكون كل شئ منهما على بناء مكبره (العواطل) التى لا نقط فيها (تماطل) تؤخر انشادها (جثا) برك (ليث) أسد (ريث) بطء وتأخير (أورد الآمل) أى أعط الراجى (ورد السماح) ماء الكرم (صارم) قاطع (المها) جمع مهاة وهى البقرة الوحشية وأراد النساء (الكوم) جمع كوماء وهى الناقة العظيمة السنام (اسع) اجر مسرعا (محل سما) منزل ارتفع (والعماد) قائمة الخباء واذا علت علا البيت (الادراع) لبس الدروع و(المراح) الطرب والنشاط كأنه يقول لا تشتغل باللهو واشتغل بكسب الشرف (حسو الطلا) شرب الخمر (والسودد) الفعل الذى يرجع به فاعله سيدا (مراد) بفتح الميم مذهب وطريق وأصله موضع اختلاف الابل مقبلة ومدبرة وهو المرعى (رود) جارية ناعمة شابة و(الرداح) العظيمة العجز وهو كما قال أبو نواس

لئن خلق الانام لحب كاس * ومزمار وطنبور وعود

فلم يخلق بنو حمدان الا * لبأس أو لمجد أو لجود

(واها) عجبا (ما) بمعنى الذى (مطاح) هالك بالمطاء (صراح) ظاهر (راحا) كفا (راح) الثانى خمر (سوده) شرفه وجعله سيدا (سره) باطنه (ردعه) كفه (أهواءه) شهواته (والطماح) ارتفاع النظر (العور) جمع عوراء وهى الفاقدة احدى عينيها (مهور) جمع مهر وهو الصداق وأعمل علمه فيما بعد من الكلام وضرب العور والصحاح مثلا للافعال الجميلة والذميمة فأراد أن تمييزه بين الاشياء المتضادة وعلمه أن مهر القبيحة العوراء لا يبلغ مهر المليحة الحسناء جعله ممدوحا سيدا ومثل هذا الشعر الذى لم ينقط ما أنشد أبو القاسم الزجاجى لاحمد بن الورد

علم العدو ملامة اللوام * ودوام صدك وهو صد حمام

لولاك ما حدر السهاد دموعه * ولما أطار كراه حر أوام

هل ما أسر وما أؤمل رادع * هول الهموم وروعة الاحلام

رد السلام وما أراك مسلما * ورآك أهل هواك سر كلام

فما لبث أن أشار بعصيته الى كبر أصيبيته وقال له انشد الابيات العواطل واحذر أن تماطل فجثا جثوة ليث وأنشد من غير ريث

اعدد لحسادك حد السلاح
وأورد الآمل ورد السماح
وصارم اللهو ووصل المها
وأعمل الكوم وسمر الرماح
واسع لادراك محل سما
عماده لا لادراع المراح
والله ما السودد حسو الطلا
ولا مراد الحمد رود رداح
واها لحر واسع صدره
وهمه ما سر أهل الصلاح
مورده حلو لسؤاله
وماله ما سألوه مطاح
ما أسمع الآمل ردا ولا
ماطله والمطل لؤم صراح
ولا أطاع اللهو لما دعا
ولا كسا راحا له كاس راح
سوده اصلاحه سره
وردعه أهواءه والطماح
وحصل المدح له علمه
ما مهر العور مهور الصحاح

كم حاسد لك أومسر وداده * ومعلل أهواه طول ملامى

وهى قصيدة نحو الثمانين بيتا ومازال المحدثون يظهرون اقتدارهم فى هذا الفن الا أنه قلما يقع فى ذلك بيت مستحسن فلذلك تركا أن نمشى مع أشعارهذه المقامة فيما ماثلها وقد أكثر الناس القول فى ذلك وفائدته أن يقال قدر على لزوم مالا يلزم لا أن يقال قد أحسن فيما قال وقد أنشد أبو القاسم أيضا أبياتا لا تنطبق عليها الشفاه منها

أنيلك يا جزل العطيـة انـنا * رأيناك أهلا للعطايا الجزائل

عقيل الندى يا جار عدنا عقيلة * نعدك انجاء الحسان العقائل

(قوله أحسنت يا بدير) تصغير بدر صغره لصغر سنه على أنه قد زعم أنه كبير صبيانه وفى مثل هذا البدر الذى قد نثر هذه الدرر قال الشاعر

درّان من فـيـه شـفـا محـدّثه * للنثر والنظم مسموع وملتثم

قد قلت لو قبل الوعظ المبين له * خف المهيمن فينا انت انسم

فقال من ضرجت خدّى نظرته * فان سيف جفونى منه ينتقم

فقال له أحسنت يا بدير يا رأس الدير ثم قال لتلوه المشتبه بصنوه ادن يا نويرة يا قمر الدويره فدنا

(يا رأس الدير) يا عظيم القوم والدير موضع القسيسين أراد به حلقة أصحابه (تلوه) التابع له أو الجالس الى جانبه صنوه) أخوه الذى على قدر سنه (ادن) اقرب (نويرة) تصغير نار شبه فى حدته وذكائه بها أو فى حسنه وبهائه و(الدويرة) تصغير دارة وهى حلقتهم التى اجتمعوا فيها فكأنه قال يا قمرا فى أصحابه

(ماقيـل فى الغلمان الكتاب)

* ومما قيـل فى غلام كاتب سأل الثعالبى أبا الفضـل الدارمى أن يصف له غلاما كاتبا حسن الخطين خطى اليد والوجه فقال

وكاتب أهـديت نفسى له * فهى من السوء فدى نفسـه

سلط خـدّيه على مهجتى * فاستأصلاها وهى من غرسه

فلست أدرى بعدما حل بى * مسـكه أتلف أم نفسـه

وقال فى ذلك

وشادن أسرف فى صده * وزاد فى التيه على عبـده

الحسن قد بث على خده * بنفسجا يربو على ورده

رأيتـه يكتب فى طرسه * خطا يبارى الدر فى عقـده

فخلت ماقـد خطه كفه * للحسن قد خط على خـده

ولابن رشيق

كتبت ولو اننى أستطيـع * لاجلال قدرك دون البشر

قددت البراعة من انملى * وكان المداد سواد البصر

وله أيضا

عزيز يبارى الصبح اشراق خده * وفى مفرق الظلماء منه نسيب

يرف اليـه ضاحكا أقحوانه * ويهتز فى برديه منـه قضيب

ولابن المعتز فى العذار المشبه بالحروف

بليت بشادن كالبدر حسنا * يعـذبنى بأنواع الدلال

غـلالة خـدّه ورد جنى * ونون الصدغ معجمة بخال

وله أيضا

كان خط عذار فوق وجنتـه * ميـدان آس على ورد ونسرين

وخط فوق حباب الدر شاربه * بنصف صاد ودار الصدغ بالنون

وله أيضا

له من عيون الوحش عين مريضة * ومن خضرة البستان خضرة شارب

كأن غـلاما حاذقا خطه له * خفاء كنصف الصاد من خط كاتب

وقال آخر

تعلم العطف من صدغيه فانعطفا * وكان عادته أن لا يفى فوفى

دب العذار على ميدان صفحته * حتى اذا هم أن يسعى به وقفا

كأنه كاتب عز المداد به * أراد يكتب لاما فابتدى ألفا

وقال أبو القاسم بن المغربي

ولما احتوى بدر الدجى صحن خده * تحير حتى ما درى أين يذهب

كأن انعطاف الصدغ لام أمالها * أديب يجيد الخط إبان يكتب

فهذه الاشعار المستعذبة التي مما تعلق بالغلمان الذين يذكر أنهم كتاب من جهة حسنهم واعتدال قدودهم وتوريد خدودهم وتطريزها بالعذار أحسن من ذكر شعر لزومي ليس فيه شيء من الانس للنفس (قوله تباطا) أي تأخر وأصله الهمز (المعاطى) الذى تعطيه كأس الخمر يعطيها لك وقد عاطيته وعاطانى وقد تعاطى فلان كذا أي تناوله وأخذه من قولهم عطوت أعطو عطوا أي تناولت (العرائس) جمع عروس وسماها عرائس لما فيها من التزيين بالنقط وكانت زينة العروس عند العرب ان تنقط في خديها نقط صغار بالزعفران فلذلك سمى هذه عرائس لنقطها وهى التى قبلها عواطل لعدم نقطها (نفائس) جمع نفيس وهو الرفيع القدر يريد أنه لما الزمها ما لم يلزم ضعفت وقد ذكرنا أن الغرض بمثل هذه الاشعار اظهار الاقتدار وعلى ماذكر أنها غير نفائس فهى أحسن مما عمل فى بابها وما أحسن ما قال ديك الجن فى جاريته

انظر الى شمس القصور وبدرها * والى خزاماها ونفحة زهرها

لم تبل عينك أبيضا فى أسود * جمع الجمال كوجهها فى شعرها

وردية الوجنات يختبر اسمها * من نعتها من لا يحيط بخبرها

وتمايلت فضحكت من أردافها * عجبا ولكنى بكيت لخصرها

تسقيك كأس مدامة من خدها * وردية ومدامة من ثغرها

ولابن الرقاق تضوّعن أشراقا وأشرقن أوجها * فهنّ منيرات الصباح بواسم

لئن كن زهرا فالجوانح أبرج * وان كن زهرا فالقلوب كمائم

(قوله قط) قطع وقيل القط القطع عرضا والقد القطع طولا (احتجر) جعل له فى حجره (خط) كتب (فتنتنى) أي عذبت قلبى (جننتنى) أي صيرتنى مجنونا (تجنى) اسم امرأة والتجنى الدلال والتيه وللبحترى

اذا خطرت تأرج جانباها * كما خطرت على الارض القبول

ويحسن دلها والموت فيه * وقد يستحسن السيف الصقيل

(شغفتنى) بلغ حبها شغاف قلبى والشغاف حجاب القلب (ظبى) غزال (غضيض) منكسر الطرف فاتر العينين و (الغنج) تكسير الكلام وتخنيثه وهو المجانة (يقتضى) يتضمن (تفيض جفنى) سيلان عينى ومما قيل فى مرض العينين وحسن فيه التشبيه قول البحترى

غداة تثنت للوداع وسلمت * بعينين موصول بجفنيهما السحر

توهمتها ألوى بأجفانها الكرى * كرى النوم أومالت باعطافها الخمر

وقال ذو الرمة لها بشر مثل الحرير ومنطق * رخيم الحواشى لا هراء ولا نزر

وعينان قال الله كونا فكانتا * فعولان بالالباب ما تفعل الخمر

وقد تقدم جملة من هذا (غشيتنى) أتتنى على غفلة (شفتنى) أنحلت جسمى و (الزى) الهيئة الحسنة من اللباس (يشف) يفضل (تثنى) اهتزاز وانعطاف (تظنيت) حسبت (تجنبينى) تختارنى (بنفث) بلفظ وكلام و (الجيب) القلب (يبغى) يطلب (تشفى ضغنى) ازالة عداوتى (نزت) وثبت (تجنبى) بعدى (نثنى) ردّتنى (نشيج) صوت البكاء (يشجى) يحزن (بفن ففن) بنوع فنوع (حبره) زينه (زبره) كتبه (طلا) غزال (لا ولا) يعنى الزيتون ومن كلام العامة بورك فيك كما بورك فى الزيت وأراد بلا ولا قوله تعالى توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية فأخذ من الآية لا ولا

ولم تباطا حتى حل منه
مقعد المعاطى فقال له
أجل الابيات العرائس
وان لم يكن نفائس فبرى
القلم وقط ثم احتجر اللوح
وخط
فتنتنى فجننتنى تجنى
بتجن يفتن غب تجنى
شغفتنى بجفن ظبى غضيض
غنج يقتضى تفيض جفنى
غشيتنى بزنتين فشفتـ
ـنى بزى يشف بين تثنى
فتظنيت تجنبينى فتجزيـ
ـنى بنفث يشفى لجيب ظنى
ثبتت فى تغش جيب بتزيـ
ـن خبيث يبغى تشفى ضغنى
فنزت فى تجنبى فثنتنى
بنشيج يشجى بفن ففن
فلما نظر الشيخ الى ما حبره
وتصفح ما زبره قال له بورك
فيك من طلا كما بورك فى لا
ولا

واكتفى بهما * الفجد يحيى يحكى ان بعض الناس ظهرت به علة مزمنة شديدة أعيا الاطباء علاجها فلما أيس رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فشكا اليه علته المزمنة فقال له عليك بلا ولا فقص رؤياه على ابن سيرين فقال له ان صدقت رؤياك فانه صلى الله عليه وسلم أمرك بتناول الزيتون فتناولها الرجل فبرئ من علته فقال لابن سيرين من أين قلتها قال من قوله تعالى زيتونة لاشرقية ولا غربية المعنى من زيت شجرة مباركة زيتونة لاشرقية أي ليست تطلع عليها الشمس في أول النهار فقط ولا غربية أي عند الغروب فقط أي لا يسترها من الشمس في وقت من النهار شيء فهو أنضر لها وأجود لزيتها وقال صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه يخرج من شجرة مباركة (قوله هتف) صاح (قطرب) خفيف النوم والقطرب دويبة تمشي بالليل وجنية تنزل على الانسان فيجدلها اثقلا والعامة تبدل طاءها تاء والعرب تسميها النيدلان والكابوس والجاثوم وتسميها أهل بغداد الجت (دجية) ظلمة (دمية) صورة رخام وجمعها دمى ودمي وكان صورة هذا الغلام الذى ذكر الشاعر

بدا فبدا من وجهه البدر طالعا * لدى الروض يستعلي قضيبا منعما
وقد أرسلت أيدي العذارى بخده * عذارا من الكافور والمسك أسحما
وأحسب هاروتا أطاف بطرفه * يعلمه من سحره فتعلما
ألم ترني دامس الليل فانجلى * فلما انقضى عسا وودع أظلما

والابيات للامير أبي الحسن أحمد بن عضد الدولة وقال أبو اسحق الحصري مؤلف كتاب الزهر

عاينل طرف سقيت خمرا * من مقلتيه فتت سكرا
ترقرقت وجنتاه ماء * مازج فيه العقيق درا
يحرك الدل منه غصنا * ويطلع الحسن منه بدرا
قد خم مسك بعارضيه * خاف للعاشقين عذرا

(قوله الاخياف) أي المختلفة وقوله (فأخذ القلم ورقم) كان أبا اسحق الحصري اياه عنى بهذه الابيات

اذا بدا القلم الاعلى براحته * مطرز الرداء الفجر بالظلم
رأيت أسود في الابصار أبيض في * بصائر لحظها للفهم غير عمي
كروضة خطرت في وشي زهرتها * وافتر نوارها عن ثغر مبتسم

وكان الحسن استعار منه الدواة والقلم حيث قال

يا ريم هات الدواة والقلما * أكتب شوقي الى الذي ظلما
غضبان قد غرني رضاه ولو * يسأل فيما غضبت ما علما
لو نظرت عينه الى حجر * ولد فيه فتورها سقما
فليس ينفك فيه عاشقه * في جمع عذر لغير ما اجترما
علقت من لو أوى الى أنفس الـ * ـماضين والغابرين ما ندما

(قوله اسمح) بجد (بث) نشر (آملا) راجيا (تضيف) طلب منك أن تضيفه (فنن) أتى بفنون من السؤال (ضنين) بخيل (تقشف) ترك النظافة (يغضي) يتغافل (نفنف) واسع والنفنف متسع الارض (ثبت) صادق الود ويروى نث أي نشر (تبغ) تطلب (تزيف) تنقص وصار زائفا وهو الدرهم الردىء (قوله كلت) أي حفيت (مداك) سكاكينك جمع مدية (الغشمشم) الذى لا يرده شيء عن مراده (عطر منشم) قيل كانت منشم جارية عطرت رجالها حين خرجوا للقتال فقتلوا عن آخرهم فضرب بها المثل في الشؤم وقيل بل الاشارة الى عطارة أغار عليها قوم فأخذوا عطرها فتطيبوا به فاستغاثت بقومها فخرجوا في طلبهم فمن شموا عليه رائحة الطيب قتلوه ومن أوله على هذا قال عطر من شم فجعلوه من كلمتين وقيل الكناية عن قرون السنبل الذى يقال انه سم ساعة وذكر ابن الكلبي

ثم هتف اقرب يا قطرب
فاقترب منه فتى يحكي نجم
دجية أو تمثال دمية
فقال له ارقم الابيات
الاخياف وتجنب الخلاف
فاخذ القلم ورقم
اسمح فبث السماح زين
ولا تخب آملا تضيف
ولا تجز رد ذي سؤال
فنن أم في السؤال خفف
ولا تظن الدهور تبقى
مال ضنين ولو تقشف
واحلم فجفن الكرام يغضي
وصدورهم في العطاء نفنف
ولا تخن عهدي ذي وداد
ثبت ولا تبغ ما تزيف
فقال لا شلت لك يداك ولا
كلت مداك ثم نادى
ياغشمشم يا عطر منشم

انها امرأة من خزاعة كانت تبيع العطر فتطيب بعطرها قوم وتحالفوا على الموت فماتوا وقال غيره بل هي صاحبة يسار الكواعب وكان عبدا أسود مشوه الخلقة راعى ابل فتى رأته النساء فضحكن منه فتوهم أنهن يضحكن من اعجابهن بحسنه فقال يوما لرفيق له يا يسار الكواعب ما رأتني جارية كاعب الا وعشقتني فقال له رفيقه يا يسار اشرب لبن اعشار وكل لحم الحوار وايالك وبنات الاحرار فأبى وراود مولاته عن نفسها فقالت له مكانك حتى آتيك بطيب أشمك اياه فأتته بموسى فلما أدنى أنفه ليشم الطيب جدعته ويقال انه لما راودها قالت له أهكذا تأتيني بذفرك ووسخك ادن حتى أعطرك فأدخلت يدها تحته وفيها موسى لطيفة قد أعدتها له فقبضت على ذكره وخصيتيه فاقتطعت الجميع فخرج فمن رآه على تلك الحالة قال له ماهذا فيقول عطر من شم وقيل كانت تبيع الحنوط وهو عطر الموتى وقيل المنشم الشر نفسه وقيل المنشم ثمرة سوداء منتنة وقيل فيها غير ماذكروذكر الحريري في الدرة أكثر هذه الوجوه وذكر أن كسر شين منشم أكثر وأشهر ويروى بفتحها (قوله المتائيم) جمع متئم وهي التي من عادتها أن تلد توأمين ولما كانت أبياته لايوجد فيها الا الالفاظ المزدوجة سميت متائيم وقيل المتائيم جمع توأم على غير قياس (المشائيم) جمع مشآم وهو الكثير الشؤم وشبهه بدرة غواص في بياضه ورقة ديباجه و(جوذر قناص) هو الظبي الفاتر العينين والقناص الصياد فكأنه يصطاد بعينيه من نظر وان أضفت جوذر الى القناص فمعناه مستقيم فيصفه بالخوف وكثرة التلفت خشية أن يصاد وما أحسن ما قال صاحبنا الوزير الحسيب أبو المطرف الزهري في هذا المعنى وكان جالسا في باب داره مع زائر له فخرجت عليهما من زقاق جارية سافرة الوجه كالشمس الطالعة فحين نظرتهما على غفلة نفرت خجلة فزعة فرأى الزائر ما أبهته فكلفه وصفها فقال مرتجلا

ياظبية نفرت والقلب مسكنها * خوفا لختلي أو عمدا لتعذيبي
لتأمني فابن عبد الحي أحقما * عدلا يؤلف بين الظبي والذيب

وكان ابن رشيق وصف هذا الغلام الكاتب حيث قال

وفاتر الاجفان ذي وجنة * كأنها في الحسن ورد الرياض
قلت له ياظبي خذ مهجتي * داوى بها تلك الجفون المراض
فجاوبت من خده خجلة * كيف ترى الحمرة فوق البياض

وقال أيضا

بين أجفانك سحر * ولا غصانك بدر
جردت عيناك سيفين لذا أمرك أمر
فعلى خديك من نزف دما العشاق أثر
ومن الكثبان شطر * لك والاغصان شطر
وسواء قلت در * ما أرى أو قلت ثغر
وبماذا أصف الخصر وما ان لك خصر
لك شغلي واشتغالي * ومضى زيد وعمرو

(وقال خالد الكاتب)

قد قلت لما أن بدا متبخترا * والردف يجذب خصره من خلفه
يامن يسلم خصره من ردفه * سلم فؤاد محبه من طرفه

(وله مما يتعلق بالكتابة)

كتبت اليك بماء الجفون * وقلبي بماء الهوى مشرب
فكيف تخط وقلبي يمل * وعيني تمحو الذي أكتب
فليس يتم كتابي اليك * بشوقي فمن ههنا أعجب

فلباء غلام كدرة غواص أو جوذر قناص فقال له اكتب الابيات المتائيم ولا تكن من المشائيم فتناول القلم المثقف وكتب ولم يتوقف

(قوله زينت زينب بقد يقد) انما أراد بقد ينقد أي ينقطع لرقة خصره فعوض منه يقد لقرب ما بين اللفظين ولضرورة الازدواج وقال البحتري في القد ورد

من السمر اللدات اذا اسبكرت * وصرف الموت في السمر اللدان
شبيهات الرماح فتى جفون * وكلم في القلوب بلا سنان
فهل من ضربة أو من سنان * كعين أو ككثغر أو بنان

قال السري

قامت وخوط البانة الـ * مياس في أثوابها
تسقى بصهباءين من * ألحاظها وشرابها
ويهزها سكران سكـ * ـر شرابها وشبابها
وكأن كأس مدامها * لما ارتدت بحبابها
توريد وجنتها اذا * ما لاح تحت نقابها

وقال القاضي أبو حفص بن عمر

هذا فؤادي أقصدته الاسهم * من ذا يرى تلك الجفون ويسلم
يا غرة حكم الجمال لها على * شمس الضحى وأصاب فيما يحكم
يحكى الجآذر جيدها ولحاظها * هيهات دون العالم المتعلم
وكان قامتها ونغمة لفظها * غصن عليه بلبل يترنم
يحمي الحلي اذا رآها عاشقا * والعقل توقظه اللحاظ النوم

وما أحسن ما قال أبو الحسن بن القبطرية

ذكرت سليمى وحر الوغى * كقلبي ساعة ودعتها
وأبصرت بين القنا قدها * وقد ملن نحوي فعانقتها

زينت زينب بقد يقد
وتلاه ويلاه نهد يهد

(قوله تلاه) أي تبعه (ويلاه) دعا لنفسه بالويل والخسران حين رأى نهدا لا يصبر عنه * ومما جاء من التشبيهات الحسان في أوصاف النهود قول عمرو بن كلثوم

وثديا مثل حق العاج رخصا * مصانا من أكف اللامسينا

بشار

والنهد تحسبه وسنان أو كسلا * وقد تمايل ميلا غير منكسر

ابن الرومي

صدور فوقهن حقاق عاج * ودر زانه حسن اتساق
يقول القائلون اذا رأوه * أهذا الدر من هذي الحقاق

وأخذه من قول عبد الله بن السبط

كأن الثدي اذا ما بدت * وزان العقود بهن النحورا
حقاق من العاج مكنونة * يسعن من الدر شيأ يسيرا

ولادريس اليماني

أيا ربة النهد الذي بسنانه * يحط فتى الهيجاء عن فرس نهد
أحقان من عاج بصدرك أم هما * رقيبان قد قاما على جنة الخلد

ومن البدائع الروائع قول الآخر

وذات دلال سبت مهجتي * بمستشرفين على مئزر
كأنهما خرطا كافورة * بأعلاهما نقطتا عنبر

وللقاضي عبد الوهاب ويروى لغيره

يا صاحبي قبا لى خمصانة * مالت فمال الدعص من أعطافها

في الصدر منها الطعان أسنة * ما أشرعت الا لحي فطافها
ان تنكراقــلي بهافتينا * تجدا دمي قد جف في أطرافها

علي بن الجهم
كنت مشتاقا وما يحجزني * عنك الا مانع يمنعني
شاخص في الصدر غضبان على * قتب البطن وطي العكن
عبلا الكف ولا يفضلها * فاذا أثنيته لا ينثني

(ماقيل في وصف الجيد)

(قوله جيدها) أي عنقها كان حبيبا وصف هذه الجارية وجيدها بقوله
كالخوط في القد والغزالة في الـ * ـبهجة وابن الغزال في غيده
وما حكاه ولا نعيم له * في حسنه بل حكاه في جيده
وان كان هذا الجيد عاطلا حليناه بقول ابن العباس الاعمى
ونبئت ذاك الجيـد أصبح عاطلا * خذي أدمعي ان كنت غضبى على الدر
خذي فانظميها أوكليني لنظمها * حليا على تلك الترائب والنحر
خذي اللؤلؤ الرطب الذي لهجوابه * محارته جفني ولجته صدري
ولا تخبري حور الجنان فربما * غصبنكه بين الخديعة والمكر

جندها جيدها وظرف وطرف ناعس ناعش بحذ بحذ قدرها قد زها وتاهت وباهت واعتدت واغتدت بجذ بحذ فارقتني فأرقتني وشطت وسطت ثم نم وجد وجد فدنت فديت وحنت وجبت مغضبا مغضيا بوذ بوذ

(طرف) عين (ظرف) حلاوة ورساقة وجعل الطرف والعنق جندا لها لانها لما حسنت معنى هذه الصفات انقاد لها عشاقها اذلا فكانها أغارت على قلوبهم فاستلبتها وقد قال فيما تقدم * وأحوى حوى رقي برقة لفظه * فجعله قد ملكه بحلاوته وقال حبيب
وحشية ترمي القلوب اذا اغتدت * وسنى فما تصطاد غير الصيد
فجعلها تصطاد السادات بفتور عينيها وهذا المعنى لا يحصى كثرة * وأراد بالناعس الفاتر النظر * وبنعش من كان له منه نصيب وتمكن (يحذ) يمنع من رآه من التسلي والتصبر (زها) تكبر (والتيه) ضرب من الزهو وهو الكبر (باهت) فاخرت وعظمت (واعتدت) ظلمت (بحذ) بقطع أي ان خدها يقطع في القلوب لا سيما ان كان كما قال من أحسن
وبيضاء تحسبها درة * تضيء الدجى ان بدت أو تكاد
تتم بالمسك كافورتي * محيا حوى الحسن طرا وزاد
فقلت أوصلك هذا البياض * وبعض صدودك هذا السواد
فقالت أبي كاتب للملوك * دنوت اليه بحسن الوداد
فخاف اطلاعي على سره * فلم يعد أن رشني بالمداد
فوصفها بان في خديها خيلانا (قوله أرقتني) أي منعتني النوم (شطت) بعدت (سطت) بطشت (نم) افشى السر أي أفشى ما بي من الحب (وجد) حزن من الحب وهم (جد) اجتهاد (فدنت) قربت (حنت) أشفقت (مغضبا) متغافلا عما ينال منه (يوذ) يتمنى (يوذ) يحب يقول لما نم لها وجدي بما أجنه من حبها وأبصرت ما فعل هجرها بي دنت عند ذلك مني شفقة وحيتني بسلامها وأنا في حال غضبان لما حل بي من الهجر متمنيا أن تحييني فلما سلمت على أزالت غضبي وأغضيت عما سلف من الفعل القبيح ونذكر هنا من الاشعار الحسان مما يوافق وصف هذه الجارية جملة مستظرفة قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
يزيدني البعد شوقا اليك * وطول صدودك حرصا عليك
ولو كنت أملك ما تملكين * من الصبر ما طال شوقي اليك

وقال آخر
وما أنسى لا أنسى ذاك الخضوع * وفيض الدموع وغمز اليد
وخدي مضاف الى خدها * قياما الى الصبح لم نرقد

(وقال أبو مطرف الزهري)

مرت بنا وبدت كالبدر وانفلتت * كالغصن والتفتت كالشادن الخرق

تسربلت ببرود الحسن والتحفت * بالغنج واشتملت مرطا من الغسق

وقال السرى

لبست مصندلة الثياب فمن رأى * صنما تسربل قبلها أثوابا

وحكت من الظبي الغرير ثلاثة * جيدا وطرفا فاترا واهابا

وله أيضا

مذهبة الخدود بجلنار * مفضضة الثغور بأقحوان

سقانا الله من ريالك ريا * وحيانا بأوجهك الحسان

(وللقاضي أبي حفص)

هم نظروا لواحظها فهاموا * وتشرب عقل شاربها المدام

يخاطر في اليها وهو بالك * وتحت الشمس ينسكب الغمام

يخاف الناس مقلتها سواها * أيذعر قلب حامله الحسام

وأذكرها فأنوح شوقا * على الاغصان تنتدب الحمام

وأعقب همها في الصدر غما * اذا غربت ذكاء أتى الظلام

وله أيضا

أعيذك يا سامي من سليم * قتلت فتاهم وهو الكريم

فمالك طالب بترات نفسي * اذا قتل الغرام فلا غريم

فؤادي سار يحول عن ضلوع * بها يا ريم حبك لا يريم

ودادك صح في قلب سليم * كطرفك صح ناظره السقيم

اذا أعرضت تسود الاماني * وان أقبلت تبيض الهموم

فطفق الشيخ يتأمل ما سطره ويقلب فيه نظره فلما استحسن خطه واستصح ضبطه قال له لا شل عشرك ولا استخبث نشرك ثم أهاب بفتى فتان يسفر عن أزهار بستان فقال له

(قوله طفق) أي أخذ (يتأمل) ينظر (سطره) كتبه (استصح) وجده صحيحا (والضبط) الشكل والنقط (لا شل عشرك) دعاء أي لا يبست أصابعك ويروى لا ثل عرشك أي لا هدم عزك والرواية الاولى هي الصحيحة (استخبث) فسد وصار خبيثا (نشرك) رائحتك العطرة (أهاب) دعا وصاح (يسفر) يكشف عن وجهه لثامه (عن أزهار بستان) عن بياض الوجه وحمرة الخدين والشفتين وسواد العينين والاشفار وخضرة الشارب والعذار ومحاسن لا تفي بها ناضرات الانوار وقد يكون يسفر بمعنى يتبسم عن بياض شقيق وأقحوان واحمرار عقيق ومرجان وكان هذا الغلام هو الذي ذكر أبو الرقعمق بقوله

اذا جرت يده في الطرس كاتبة * تبلج الطرس عن در ومرجان

وان تكلم جاءته براعته * بكل ما شاء من فهم وتبيان

وقال بعضهم يصف غلاما كاتبا

انظر الى أثر المداد بطرسه * كبنفسج الروض المشوب بورده

ما أخطأت نوناته من صدغه * شيئا ولا ألفاته من قده

وكأنما ألفاته من شعره * وكأنما قرطاسه من خده

ولعمر بن فتح

فنوناته من حاجبيه استعارها * ولاماته من صدغه المتعاطف

ومن صده المؤذي اسوداد مداده * ومن وصله المحيي ابيضاض الصحائف

ولابي اسحق الحصري في وصف هذا الغلام

أيا من تمسك الاوصاف عنه * أعنه وصفنا نظما ونثرا

ومن يدعو القلوب الى مناها * بعينيه فلا تأتيه قسرا

ومن يجري اللآلئ في أقاح * بمازج ظلمه بردا وخمرا

ويعرض فى رياض الدل غصنا * ويطلع فى سماء الحسن بدرا
كأن بخده ذهبا صقيلا * اذاب عليه ياقوتا ودرّا

(ومنها فى وصف الكتاب)

قرأت كتابك الاعلى محلا * لدىّ ومو قعا شرفا وقدرا
فأحيانى وقد غودرت ميتا * وأنشرنى وقد ضمنت قبرا
نقشت بحالك الانقاش نورا * جلا للعيون نورا وزهرا
فديج من بسيط الفكر روضا * أنيقا مشرق الجنبات نضرا
لواستسقى الغليل به لاروى * أواستشفى العليل به لأبرى
هفا عطرا الجنوب له نسيم * أقول اذا أناسم منه نشرا
نثرت لنا على الكافور مسكا * ولم تنثر على القرطاس حبرا

وله فى العذار

سلبت محاسنه سواد عيوننا * وقلوبنا وكست أديم عذاره
فبدا طرازا فى أسيل مشرق * ماء الحياة يجول فى أسراره
علم الذى استلبت له بحسنه * منا فازج أمنه بجذاره
فله توقف مستريب تائب * ولنا تناهب عاجز عن ثاره

(وقال أبو الفضل الدارمى)

ظبى اذا حرك أصداغه * لم يانف خلق الى العطر
غنى بشعرى منشدا بيتى اللفظ الذى ضمنته شعرى
فكلما كرر انشاده * قبلته فيه ولا يدرى

آنشد البيتين المطرفين المشتبهى الطرفين اللذين أشكاكل نافث وأماأن يعزز ابثالث فقال له اسمع

ولمهيار

مشتبه أعرفه وانما * مغالطا قات لصحبى دارمن
وحاملى على السرور حامل * فى كفه وطرفه سيف الفتن
قد كتب الحسن على عارضه * ماأقبح الهجران بالوجه الحسن

(ولابى اسحق الطليطلى)

ومعذر رقت له خمر الصبا * حيث العذار حبابها المترقرق
ديباج حسن تاه عقلا ناقصا * فأتمها علم الشباب المونق
وشكا الجمال مقيله فى ورده * فأظله آس العذار المشفق
عامت بماء الصقل شامة خده * وجرى العذار زورقا لا يغرق
ان كان يمحو نقشه من خده * فطلا الغزال بمسكها يتفتق

(قوله المطرفين) أى الغريبين وقد أطرفته جئته بطرفة أى بشئ معجب (نافث) متكلم (يعززا) بقوياو بشددا واذا صلب الشئ قيل تعزز وأصله من العزاز وهى الارض الصلبة وقال فى الدرة ويقولون شفعت الرسولين بثالث فيهمون فيه والعرب تقول شفعت الرسول بآخر أى جعلتهما اثنين ليطابق معنى الشفع فى كلامهم وهو اثنان فأما اذا بلغت ثلاثا فوجهه أن يقال عززت بثالث قال تعالى اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث والمعنى عززته قويته وأعززته جعلته عزيزا فان واترت الرسل فالاحسن أن تقول قفيت بالرسل قال تعالى ثم قفينا على آثارهم برسلنا وما أحسن ماقال ابن شرف فى العذار وذكر التعزيز بثالث

قد كنت فى وعد العذار فانجزا * وقضى لحسنك بالكمال فأوجزا
وافى لنصر الحسن الا أنه * ولى الى فئة الهوى متحيزا
عطف تعلم منه قلبى عطفه * وجد الفؤاد به السبيل الى العزا

لم يكف وجهك حسنه وبهاؤه * حتى اكتسى ثوب الجمال مطرزا
سبحان من أعطاك حسناً ثانياً * وبثالث من حسن فعالك عززا

(الوقر) الثقل في الأذن (تلبث) طول اقامة (تريث) اذا احتبس ومكث ويقال تريث بنقطتين وتربث تربثا بواحدة والمعنى فيهما واحد (سم) علم (سمة) علامة (سمسمة) حبة جلجلان (المكر) الخداع (تقتني) تكتسب (السودد) الشرف (والمكرمة) الكرامة * وممن اشترط أن يبتنيه لا يعززان بثالث قبل الحريري أبو دلف حين قال

أبا أبودلف المهدي بقافية * جوابها لك الزاهي من الغبط
من زاد فيها له رحلي وراحلتي * وخاتمي والمدى فيها الى القيظ

وذكر الحصري الاعمى المكرمة في تجنيس قوافيه فسمع قوما يقدحون فيه وفي أبي خاصة فقصده

وقال يا أديبا ملكتني * في يديه المكرمات
ليت قوما دأبهم في * وفيك المكرمات

وله رب ظبي هويته * ينتمي للهوازنه
قلت ما أثقل الهوى * قال ما للهوى زنه

وله أيضا ان كتمت الهوى فقد * صار سري علانيه
بسقام اذابني * وشجون علا نيه

(أجدت) أتيت بجيد (الزغلول) الخفيف وزغلول الرجل ولده و(الغلول) الخيانة في المغنم وأصله الستر والتغطية تقول غل الشيء غلا وغلولا اذا ستره فجعله حسنه الذي قدم وصفه كأنه يغل العقول أي يمسكها ويحوز أصحابها فيها وقالت عليه * يا غاسل ألباب الرجال (أوضح) بين (يتأبى) يتباطأ ويفتر والتأبي التثبت وفي الحديث انه نظر صلى الله عليه وسلم الى رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة فقال آنيت وآذيت أي أخرت المجيء ويكون يتأبى من قولهم فلان ذو أناة من ونى يني وتكون الهمزة مبدلة عن واو وهو الاظهر (أغن) فيه غنة وهو الصحيح الخفيف والاغن الذي يتكلم من قبل خياشيمه (نقس) مداد (رسغ الكف) موصلها من الذراع (والقسب) نوى التمر (باسقة) نخلة طويلة (السفح) أسفل الجبل (البخس) النقص (اقسر) اقهر واغلب (اقتبس قبسا) اطلب شعلة من نار (وتقست) تتبعت و(الشموس) الدابة التي تمنع أن تسرج وان تركب (جرسا) الذي يضرب به فيصوت (قريس) حوت (قارس) شديد (مقتبسا) طالبا حاصا على كسبه (قوله نغيش) أي كثير الحركة وقيل نغيش تصغير النغاش من الرجال الحقير الخلقة العابثة في القصر فصفة هذا الغلام أنه حقير الخلقة كثير الحركة وقلما تكون تلك الخلقة الا ومعها الحركة والحدة ورواه الفنجديهي نفيش بالفاء أي قصير * ثعلب النفاشون هم القصار الضعاف الحركة ومنه الخبر انه رأى نفاشا فسجد شكرا قال والنفش تحرك الشيء في مكانه يقال دار تنفش صبيانا والتنفش دخول الشيء بعضه في بعض و(صناجة الجيش) التي يضرب بها المثل في الحروب وقيل الصناجة الضاربة بالدفوف والطنابير وعود الغناء ونحوه من آلات اللهو قال الهذلي وهو ساعدة بن جؤية

فعاودني ديني فبت كأنما * خلال ضلوع الصدر شرع ممدد
بأوب يدي صناجة عند مدمن * غوي اذا ما ينتشي يتغرد

يصف ما في صدره من الحرق ورنينه حالته التي نعتاده من الهم والشرع الوتر يقول كأنما في صدري عود لاوتاره رنة مما أحدث به نفسي من الهموم وأوب يديها رجعهما بضرب الصنج أي تحريك يديها حين تمر أوتارها ويتنشى يسكر ويتغرد يتغنى وفلان صناجة قومه أي المقدم عليهم في الفضل وقيل صناجة الجيش هو البطل المعروف ويقال ليلة قراء صناجة وصباحة اذا كانت مضيئة وضح

لا وقر سمعك ولا هزم جمعك وأنشد من غير تلبث ولا تريث

سم سمة تحسن آثارها
واشكر لمن أعطى ولو سمسمه
والمكر مهما اسطعت لا تأته
لتقتني السودد والمكرمه

فقال له أجدت يا زغلول يا أبا الغلول ثم نادى أوضح يا ياسين ما يشكل من ذوات السين فنهض ولم يتأن وأنشد بصوت أغن

نقس الدواة ورسغ الكف مثبتة
سيان هما ان هما خطا وان درسا
وهكذا السين في قسب وباسقة
والسفح والبخس واقسر واقتبس قبسا
وفي تقست بالليل الكلام وفي
مسيطر وشموس واتخذ جرسا
وفي قريس وبرد قارس فخذا
صوابه مني وكن للعلم مقتبسا

فقال له أحسنت يا نغيش يا صناجة الجيش ثم قال

ثم ثب يا عنبسة وبين الصادات الملتبسة فوثب وثبة شبل مثار وأنشد من غير عثار (٣١١) بالصاد يكتب قد قبصت دراهما

بأناملي وأصخ لتستمع الخبر
وبصقت أبصق والصماخ وصنجة
والقص وهو الصدر واقتص الاثر
وبحصت مقلته وهذي فرصة
قد أرعدت منه الفريصة للغور
وقصرت هندا أى حبست وقدنا
فصح النصارى وهو عيد منتظر
وقرصته والحر فارصة اذا
حذت اللسان وكل هذا مستطر

فقال له رعاك يا بني فلقد أقررت عيني ثم استنهض ذا جثة كالبيذق ونغشة كالشوذق وأمره بان يقف بالمرصاد ويسرد ما يجري على السين والصاد فنهض يسحب برديه ثم أنشد مشيرا بيديه

ان شئت بالسين فاكتب ما أبينه
وان تشأ فهو بالصادات يكتتب
مغس وفقس ومسطار ومملس
وسالغ وسراط الحق والسقب
والسامغان وسقر والسويق ومسـ *
ـلاق وعن كل هذا تفصح الكتب

فقال له أحسنت يا حبقه يا عين بقه ثم نادى يا دغفل يا أبا زنفل فلباه فتى أحسن من بيضة في روضة فقال له ما عقد هجاء الافعال التي آخرها حرف اعتلال فقال له اسمع لا صم صداك ولا سمعت عداك ثم أنشد

فلان بفلان اذا صرعه وكان أعشى قيس يدعى صناجة العرب لفصاحته وقيل لرقة شعره وقيل الصناجة الغناء ويريد بالجيش الصبية الذين جيشوا حوله فغيش صناجتهم أى أنبلهم وأحذقهم أو كالصنجة فى خلقته وقصره (ثب) اقفز (عنبسة) اسم أسد و(الشبل) ولده (مثار) مفزع وقد أثير استخرج من مكانه بالبحث عليه (قبصت) أخذت بأطراف أصابعى والقبصة أقل من القبضة (أصخ) استمع (الصماخ) ثقب الاذن (صنجة) هى التى يوزن بها (والمقلة) شحمة العين و(بحصتها) فقأتها وأسلتها (فرصة) نهزة وغنيمة و(الفريصة) بضعة عند الكتف ترعد عند الفزع (الخور) الضعف (قرصته) عضضته بظفري (حذت) اللسان قرصته بحدتها (مستطر) مكتوب (رعيا) حفظا أى رعاك الله رعيا (استنهض) أمره بالنهوض (جثة) جسد و(بيذق الشطرنج) معروف يشبه به الخفيف الروح الحاذق (نغشة) حركة و(الشوذق) هو الشوذانق من الطير التى يصطاد بها (بالمرصاد) أى قريب منه حيث ينظره (يسرد) يقرؤها بسرعة (يسحب برديه) يجرهما به وقال الحسن يصف مثل هذا الغلام

يا أيها المبطلون معذرتي * أراكم الله وجه تحقيق
ثم بما كنت لا أبوح به * على لسان بالدمع منطيق
شوقا الى حسن صورة ظفرت * من سلسبيل الجنان بالريق
وصيف كأس محدث ملكا * تيه مغن وظرف زنديق
يشوب عزا بذله فله * ذل محب وزهو معشوق
أمشي الى جنبه أزاحمه * عمدا وما بالطريق من ضيق

ومن مدحها

وان عباسا مثل والده * ليس الى غاية بمسبوق
تأنق الحسن حين زانكما * ففقتما الناس أى تأنيق
فصور الفضل من محاوندي * وأنت من حكمة وتوفيق

وله أيضا

ترى للحسن والحركات فيه * سوا ما لا تذاد عن القلوب
فيا من صيغ من حسن وطيب * وجل عن المشاكل والضريب
أصبني منك يا أملي بذنب * تتيه على الذنوب به ذنوبي

(قوله سراط) أى طريق و(السقر) من الجوارح التى يصطاد بها (السويق) الشعير اذا قلي وطحن (حبقة) ضرطة (عين بقة) يقال ذلك للصغير (دغفل) اسم رجل كان نسابة والدغفل ولد الفيل والدغفل الزمن الخصيب فسمى الصبي بأحدها (والزنفل) من أسماء الداهية (والبيضة) بيضة النعام وجعلها (فى روضة) يريد انها مصونة منعمة وتشبيههم للنساء بهذه البيضة مشهور فى شعر امرئ القيس وغيره وقيل للاوسية وهى امرأة حكيمة من العرب بحضرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه أى منظر أحسن فقالت قصور بيض فى حدائق خضر فأنشد رضى الله تعالى عنه لعدى بن زيد

كدمى العاج فى المحارب أو كالـ * ـبيض فى الروض زهره مستنير

(قوله لا صم صداك) أى لا هلكت فلا يكون لك صوت وقال امرؤ القيس فى الدار الخالية

صم صداها وعفا رسمها * واستعجمت عن منطق السائل

والصدى الصوت الذى يجيبك من الجبل أو من الموضع الخالى والصدى طائر يخرج من رأس المقتول فلا يزال يصيح اسقوني اسقوني حتى يقتل قاتله على زعمهم ولا صم صداك دعاء بطول العمر لان الصدى تابع للصوت فاذا مات الانسان انقطع صوته فلا يسمع له صدى فكأنه صم صداه

بعد موته اصم لا يسمع ولا يجيب (ما استرشد) أى ماطلب من يرشده ويدله (أداه) أبلغه تقول اديت الامانة اذا بلغتها صاحبها (عوذه) قرأ عليه المعوذتين وفداه قال نفسى فداؤك (قعقاع) شديد الصوت والقعقعة صوت متتابع و(الباقعة) الداهية و (البقاع) جمع بقعة قطعة من الارض (القرى) طعام الضيف (ابن السرى) هو الطارق بالليل وقد تقدم ذكر هذه النار عند قوله فلم أزل أنص عنسى واقول طوبى لك ولنفسى وهم يضربون المثل بها وحدها فى الحسن فيقولون هو احسن من النار فكيف اذا كان انسان مع ظلام الليل فى ريح وبرد وجوع لا يدرى اين يتوجه فرأى نارا قد أوقدت لقرى الاضياف فلا يقدر قدر حسنها الا من جربها وقالت اعرابية كنت فى شبيبتى أحسن من النار وانشد التوزى ملغزا فى النار

وشعثاء غبراء الفروع كأنما * بها توصف الحسناء بل هى اجمل
دعوت بها اصحبى بليل كأنهم * وقد أبصروها يعطشون فأنهلوا

فهذا مثل الذى ذكر الحريرى وقال الآخر يصف نارا

ومشبوبة لا يقبس الجار ريها * ولا طارق الظلماء منها بؤنس
متى ما يزرها زائر يلف دونها * عقيلة دارى من المسك تغرس

(وأنشد أبو زيد فيها ملغزا)

وزهراء ان كفنتها فهو عيشها * وان لم تكفنها فموت معجل

وكان الحسن بن وهب أشد الناس عشقا لبنات جارية محمد بن حماد وكانت تغنى فى مجلسه وبين يديها كانون فحم فتأذت بالنار وأمرت بابعادها فقال الحسن مرتجلا

بأبى كرهت النار لما أوقدت * فعرفت ما معناك فى ابعادها
هى ضرة لك بالتماع ضيائها * وبحسن صورتها لدى ايقادها
وأرى صنيعك فى القلوب صنيعها * بأراكها وسيالها وقتادها
شركتك فى تلك الجهات بحسنها * وضيائها وصلاحها وفسادها

وكان مع أصحابه يوما فقال لو ساعد الزمان لجاءتنا بنات فما تكلموا بشئ حتى دخلت فقال انى واياك لكما قال على بن أمية

وغاب أنى والقلب نحوك شاخص * وذكراك ما بين اللسان الى القلب
فيا فرحة جاءت على اثر ترحة * ويا غفلتى عنها وقد نزلت قربى

ودخلت عليه يوما وهو محموم فسلمت وقبلت يده فأراد تقبيل يدها فارتعش وقال

أقول وقد حاولت تقبيل كفها * ولى رعدة أهتز منها وأسكن
فديتك انى أشجع الناس كلهم * لدى الحرب الا اننى عنك أجبن

(قوله اصدع) أى بين وأظهر (تصدع) تشق (الاضداد) الاعداء (أجش) أبح (تضله) تضيعه وتتلفه (استيقاظ) انتباه (ظمياء) عطشى * الازهرى شفة ظمياء ليست بوارمة كثيرة الدم ويحمد ظموها ولثة ظمياء ورجل أظمى وامرأة ظمياء وقيل شفة ظمياء اذا كانت فيها سمرة وساق ظمياء قليلة اللحم و(الظلم) بالفتح ماء الاسنان وقيل بريقها وصفائها والجمع ظلوم و(اللحاظ) طرف العين الذى يلى الصدغ (العظاء) جمع عظاية وهى دويبة حمراء الى الغبرة ذات قوائم أربع (الظليم) ذكر النعام (الشيظم) الطويل (اللظى) النار (والشواظ) لهبها بغير دخان (التظنى) مصدر تظنيت أى حسبت والاصل تظننت بالنون فابدلت ياء (والتقريظ) مدح الرجل حيا (القيظ) فصل الحر (الظمأ) العطش و(اللماظ) الشئ اليسير من الطعام وقد تلمظت اذا تتبعت بلسانك بقية الطعام بعد الاكل واسم تلك البقية اللماظة وقيل التلمظ هو لعق الشفتين باللسان من عطش أو غبط

وما استرشد
اذا الفعل يوما غم عنك هجاؤه
فالحق به تاء الخطاب ولا تقف
فان تر قبل التاء ياء فكتبه
بياء والا فهو يكتب بالالف
ولا تحسب الفعل الثلاثى والذى
تعداه والمهموز فى ذاك يختلف

فطرب الشيخ لما أداه ثم عوذه وفداه ثم قال هلم يا قعقاع يا باقعة البقاع فأقبل فتى أحسن من نار القرى فى عين ابن السرى فقال له اصدع بتمييز الظاء من الضاد لتصدع بها أكباد الاضداد فاهتز لقوله واهتش ثم أنشد بصوت أجش

أيها السائلى عن الضاد والظا
لكى لا تضله الالفاظ
ان حفظ الظاآت يغنيك فاسمع *
ها استماع امرئ له استيقاظ
هى ظمياء والمظالم والاظ
لام والظلم والظبا واللحاظ
والعظا والظليم والظبى والشي
ظم والظل واللظى والشواظ
والتظنى واللفظ والنظم والتق
ريظ والقيظ والظما واللماظ

(الحظا) انتفاخ اللحم (النظير) المثل (الظئر) المرضع بالاجرة (الجاحظ) الذى برزت عيناه (الايقاظ) ضد النيام الواحد يقظ بضم القاف وكسرها (قوله القشظى) أن تصير العود فلقا والشظية الفلقة منه (والشظى) عظم لاصق بالركبة وقيل هو تشقق عصب الذراع و (الظلف) للغنم والبقر بمنزلة الحافر للدواب وكل حافر مشقوق ظلف (الظنبوب) مقدم عظم الساق (والشظاظ) عود الشداد الذى يشد به المتاع وقيل هو عود يدخل فى عرا الغرارتين فيحملان به على ظهر البعير (المظفر) المؤيد (المحظور) الممنوع (الاحفاظ) الاغضاب (الحظيرات) جمع حظيرة وهى الزرب يعمل منه شبه الدار تسكنها الغنم والابل وقد يكون من حائط وأصل الحظر المنع وكل مانع بين الشيئين حظير (والمظنة) الموضع ترمى فيه بظنك وفلان مظنة خير أى يظن فيه الخير (والظنة) التهمة الكاظمون المتجرعون غيظهم وقد كظم غيظه تجرعه ورده (الوظيفات) جمع وظيفة وهى ما يلزمك من المغرم (المواظب) الملازم وقد واظبت على الشئ داومت عليه (الكظة) الامتلاء من الطعام (والالظاظ) اللزوم (الوظيف) لكل ذى أربع ما فوق الرسغ الى الساق (والظالع) الاعرج (والظهير) القوى الظهر وهو أيضا المعين (والفظ) الغليظ والفظاظة الجفاء والغلاظة (والاغلاظ) الجفاء والنظيف النقى الحسن (والظلف) المنع والرد وقد ظلفت أثرى ظلفا اذا مشيت فى حزونة الارض وصلابتها فمنعت أثرك أن يؤثر فيها و (الفظيع) المكره به المطعم وقد فظع الشئ اشتدت كراهيته ومرارته (عكاظ) موسم للعرب (الظعن) السفر (الحنظل) شجر مر و (الباهظ) الغالب (والبظر) زيادة فى فرج المرأة ورجل أبظر فى شفته العليا نتوء وامرأة بظراء والاول راجع الى هذا المعنى (الانعاظ) قيام الذكر (النوادر) الغرائب والشواذ (تقفو) تتبع (قيظ) شدة الحر (قاظوا) دخلوا فى زمن القيظ (فض) كسر (يجفوك) يغلظ لك فى الكلام (الغض) الطرى (يوم العرض) يوم القيامة ولما أشار من أول على أكبرهم المحط فى اسنانهم الى أصغرهم ختم به كما بدأ بأكبرهم فلذلك قال مع الصبا الغض ومما قيل فى الصغار من الشعر المستحسن قال أبو الفضل الدارمى وقد سأله الثعالبى أن يصف له غلاما صغيرا بديع الحسن ليثبت ذلك فى كتابه المترجم بالف غلام فأنشد

انى عشقت صغيرا * قد دب فيه الجمال
وكاد يفشى حديث الـ * ـفضول فيه الدلال
لو مر فى طرق الوصـ * ـل ما اعتراه الضلال
يريك بدرا منيرا * فى الحسن وهو هلال

وقال الحسن

حين أوفى على ثلاث وعشر * لم يطل عهد أذنه بالشنوف
غنة فيه للصبا تعتليه * بحة الاحتلام للتشريف
حين رام النساء منه بعين * وطوى أختها على التخويف

وقال آخر

لئن يزيد على عشر بواحدة * وزاد أخرى وشاب الحب بالجزع
وجاوب اللحظ منه لحظ عاشقه * وجوز الوعد بين اليأس والطمع
قد كان غرا بقتلى ليس يحسنه * فاليوم يبدع فى قتلى على البدع

وقال آخر

قالوا أتبكى على صغير * خصصته بالوداد طفلا
فقلت ان البنان خمس * أصغر ما بينها يحلى

(ولابن ادريس اليمانى)

عشقته شادنا صغيرا * وكنت لا أعشق الصغارا
أعارنى سقم ناظريه * فاستشرفت نفسه حذارا
يسفر عن وجه مستنير * يرد جنح الدجى نهارا

والشظاظ والاظافير والمظفر والمحـ
ظور والحافظون والاحفاظ
والحظيرات والمظنة والظنـ
نة والكاظمون والمغتاظ
والوظيفات والمواظب والكظ
ظة والانتظار والالظاظ
ووظيف وظالع وعظيم
وظهير والفظ والاغلاظ
ونظيف والظرف والظلف الظا
هر ثم الفظيع والوعاظ
وعكاظ والظعن والمظ والحنـ
ظل والقارظان والاوشاظ
وظراب الظران والشظف البا
هظ والجعظرى والجواظ
والظرابين والحناظب والعنـ
ظب ثم الظيان والارعاظ
والشناظى والدلظ والظأب والظـ
ظاب والعنظوان والجنعاظ
والشناظير والتعاظل والعظـ
ـلم والبظر بعد والانعاظ
هى هذى سوى النوادر فاحفظـ
ـها لتقفو آثارك الحفاظ
واقض فيما صرفت منها كما قـ
ضيه فى أصله كقيظ وقاظوا

فقال له الشيخ أحسنت لا فض فوك ولا بر من يجفوك فوالله انك مع الصبا الغض لاحفظ من الارض وأجمع من يوم العرض ولقد أوردت لك ورفقتك

قوله والبظر زيادة ترك قبله الفاظا من المتن لم يفسرها على ما فى النسخ التى بأيدينا اه مصححه

لم أر من قبل ذاك نورا * أضرم فيه الحياء نارا

ولابن شهيد
راقني من شمه برق بدا * أم سنا المحبوب أورى زندا
هب من نعسته منكسرا * مسبل الكمين مرخ للردا
يمسح النعسة من عيني رشا * صائد في كل يوم أسدا
قلت هب لي يا حبيبي قبلة * تشف من حبك تبريح الصدا
فانثنى يهتز من منكبه * قائلا لا ثم أعطاني اليدا
قال لي يلعب صدلي طائرا * فتراني الدهر أجري بالكدا
واذا استنجزت يوما وعده * قال لي عطل ذكرني غدا
شربت اعطافه خمر الصبا * وسقاه الحسن حتى عربدا

ورأى الحسن غلاما في المكتب فأشار الى تقبيل يده فقبله فقال

ظفرت بقبلة منه * على عيني معلمه
أشرت بها الى يده * فأوصلها الى فمه

وقال الحلواني
تعرضت من شفني هجره * ببدء سلام عليه شفاها
وقلت عساه يرد السلام * فتبلغ نفسي منه مناها
فجاد على بتقبيله * وقد كان أعرض عني وتاها
وكنت كموسى أتى للضياء * ليقبس نارا فناجى الهها

وكتب الحسن لغلام كاتب يستعطفه فوقع الغلام في كتابه تزاد هجرا الى يوم الحساب فقال الحسن

كتبت الى الحبيب ببيت شعر * اعاتبه فاغضبه كتابي
أجبني يا مأمول على كتابي * فان النفس تسكن بالجواب
فوقع في الكتاب يزاد هجرا * وابعادا الى يوم الحساب

﴿وقال ابن رشيق في محبوبه الصائغ﴾

وظبي من بني الكتاب يسبي * قلوب العاشقين بمقلتيه
رفعت اليه أستقصي رضاه * وأسأله خلاصا من يديه
فوقع قد رددت فؤاد هذا * مسامحة فلا يعدي عليه

﴿وناوله يوما تفاحة فقال﴾

وتفاحة من كف ظبي أخذتها * جناها من الغصن الذي مثل قده
لها لمس ردفيه وطيب نسيمه * وطعم ثناياه وحمرة خده

ولابن فرج
ومن ينظر الى خديك يحكم * على ورد الحدائق للخدود
وما اهتزت غصون الروض الا * تمنت حسن قدك في القدود

(وقال مسلم بن الوليد)

تفاحة شامية * من كف ظبي غزل
ما خلقت مذ خلقت * تلك لغير القبل
كأنما حمرتها * حمرة خد خجل

﴿وقال آخر في ضد ما تقدم﴾

فديتك لا تخف مني سلوا * اذا ما غير الشعر الصغارا
أدين بدن خل كان خمرا * وأهوى لحية كانت عذارا

(وقال ابن المعتز في مثله)

من

زلالى وثقفتكم تثقيف العوالى فاذكرونى أذكركم واشكروالى ولا تكفرون (قال الحرث بن همام) فعجبت لما أبدى من براعة مجونه برقاعة وأظهر من حذاقة ممزوجة بحماقة ولم يزل بصرى

يصعد فيه ويصوب وينقر عنه وينقب وكنت كمن ينظر فى ظلماء أو يسرى فى يهماء فلما استراث تنبهى واستبان تدلهى حملق الى وتبسم وقال لم يبق من يتوسم فبهت لفحوى كلامه ووجدته أبا زيد عندا بتسامه فأخذت ألومه على تدير بقعة النوكى وتخير حرفة الحمقى فكأن وجهه أسف رمادا أو أشرب سوادا الا انه أنشد

وماتمادى
تخيرت حمص وهذى الصناعه
لارزق حظوة أهل الرقاعه
فما يصطفى الدهر غير الرقيع
ولا يوطن المال الا بقاعه
ولا لاخى اللب من دهره
سوى ما العير ربيط بقاعه

ثم قال أما ان التعليم أشرف صناعة وأربح بضاعة وأنجح شفاعة وأفضل براعة وربه ذو امرة مطاعة وهيبة مشاعة ورعية مطواعة يتسيطر تسيطر أمير ويرتب ترتيب وزير ويتحكم تحكم قدير ويتشبه بذى ملك كبير الا انه يحرف فى أمد يسير ويتسم بحمق شهير ويتقلب بعقل صغير ولا ينبئك مثل خبير فقلت له تالله انك لابن الايام وعلم الاعلام والساحر اللاعب بالافهام المذلل لسبل الكلام ثم لم أزل معتكفا بناديه ومغترفا من سيل واديه الى أن غابت الايام الغر ونابت الاحداث الغبر ففارقته ولعينى العبر

(المقامة السابعة والاربعون الحجرية) (حكى الحرث بن همام) قال احتجت الى الحجامة وأنا بحجر اليمامة فأرشدت

من معينى على السهر * وعلى الحب والفكر
ويل مابى من شادن * كبر الحب اذ كبر

(قوله زلالى) أى خالص علمى والزلال الماء العذب الصافى (ثقفتكم) قومتكم (العوالى) صدور الرماح (براعة) فصاحة (الحذاقة) المهارة فى كل عمل وهى الحذق وأصله القطع كان الحاذق يقطع الامور المشكلة بعقله وحذق الصبى القرآن قطعه حفظا (الرقاعة) الحماقة رقع رقاعة فهو رقيع (يصعد) يرفع نظره (يصوب) ينظر فى اعتدال واستواء (ينقر وينقب) يفتش (يهماء) أرض مجهولة (استراث) استبطأ (تدلهى) تحيرى ودلهه الحب حيره وأدهشه (حملق) نظر بحملاقه وهو باطن جفنه وهو نظر المغضب (يتوسم) يحسن النظر والميز (بهت) فطنت وفى الحديث رب ذى طمر بن لا يؤبه له أى لا يفطن له لذلته وتأبه فلان تكبر وانه لذو أبهة أى ذو كبر ونحوه الفنجديهى رأيت بخط الحريرى يقال أبهت له وأبهت ٢ وبهت له بمعنى قال يعقوب تقول ما بهت له وما بهت به وما وبهت له وما وأبهت له وما بهأت له ما فطنت له (فحوى) معنى (عندا بتسامه) قد تقدم وصفه بالقلح يريد لما ابتسم ورأى قلحه عرفه (تدير بقعة النوكى) أى اتخاده حمص دارا وجعلهم نوكى لرقاعتهم والنوك الحمق (حرفة) صنعة (أسف رمادا) أى تغير فكأنه ذر عليه الرماد وأسف الجرح الدواء أى حشاه به (ماتمادى) أى مادام ولا بقى على غضبه وتمادى فى الشئ لج فيه (حظوة) أى منزلة (يصطفى) يختار (يوطن) يسكن (بقاعه) منازله وهى جمع بقعة (أخى اللب) صاحب العقل (عير) حمار (قاعه) انخفاض أى ليس للانسان من دهره الا ما أكله (قوله أنجح) أى أنفع وأسرع لقضاء الحاجة (امرة مطاعه) العرب تقول لك على أمرة مطاعة بفتح الالف أى أمرة أطيعك فيها وحكى الفراء كسرها على ضعف والفتح أفصح والامرة بالفتح المرة الواحدة من الامر وبالكسر الامارة والولاية (مشاعة) فاشية (يتسيطر) يتسلط (يحرف) يهرم (يتسم) يجعل لنفسه سمة أى علامة الحمق
* ومما قيل فى المعلم وتفضيله على الوالد أنشد الماوردى

يا فاخر السفاه بالسلف * وتاركا للعلاء والشرف
آباء أجسادنا هم سبب * لان جعلنا عوارض التلف
من علم الناس كان خير أب * ذاك أبو الروح لا أبو النطف

أخذه من قول اسكندر وقيل له ما بال تعظيمك لمعلمك أشد من تعظيمك لوالدك فقال ان أبى سبب حياتى الفانية ومعلمى سبب حياتى الباقية ولبعضهم

ان المعلم والطبيب كلاهما * لا ينصحان اذا هما لم يكرما
فاصبر لدائك ان جفوت طبيبه * واصبر لجهلك ان جفوت معلما

جاء فى الحديث يجاء بالمعلم يوم القيامة ووجهه عظم لا لحم عليه قال عطاء هم الذين يأخذون على القرآن أجرا (ابن الايام) الخبير بها والبصير بحوادثها (علم الاعلام) أشهر المشاهير (الافهام) جمع فهم أراد اللاعب بالاذهان والعقول (سبل) طرق (معتكفا بناديه) ملازما لمجلسه (معترفا من سيل واديه) آخذا من بحر علمه (الغر) البيض الحسان (نابت الاحداث الغبر) رجعت النوازل الشداد التى تغبر الارض من شدة قحطها (لعينى العبر) أى سخنة الدمع لحزنه واستعبر بكى والله تعالى أعلم

(شرح المقامة السابعة والاربعين وهى الحجرية)

(قوله احتجت للحجامة وأنا بحجر اليمامة) *أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خير ما تداويتم به الحجامة والشونيز والقسط * القسط عود يجاء به من الهند يجعل فى الدواء والبخور وروى ابن

عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خير يوم يحتجم فيه سبعة عشر وتسعة عشر وأحد وعشرون ومامررت بملا من الملائكة ليلة أسرى بى الا قالوا عليك بالحجامة يامحمد وقال عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما لقد تبيغ بى الدم يانافع ادع لى حجاما ولا تجعله شيخا كبيرا ولا صبيا ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحجامة على الريق أمثل فيها شفاء وبركة تزيد فى العقل والحفظ وتزيد الحافظ حفظا فمن احتجم فيوم الخميس والاحد والاثنين والثلاثاء فانه يوم رفع الله فيه البلاء عن أيوب عليه السلام وأصابه يوم الاربعاء ولا يبدأ باحد داء من جذام أو برص الا فى يوم الاربعاء أو ليلته (حجر) قصبة (اليمامة) يأتى ذكرها فى الخمسين ان شاء الله تعالى وهى بلدة كبيرة كثيرة النخل وسكنها حنيفة وهى بلدة مسيلمة الكذاب الحنفى وبها تنبأ وآمن به أهلها وهى فعالة من اليم وهو طائر أو من يممت الشئ تعمدته تقول يممته تعمدته اذا تعمدته من الامام بمعنى قدام وأبدلت الهمزة ياء لما دخلتها الهاء وأقرب المدن منها البصرة (يسفر) يكشف (نظافة) صقالة وحسن (ارصدت) أعددت (أبق) هرب (طبقا عن طبق) حالا عن حال وأمرا عن أمر (المخفق) الخائف (مسعاه) سعيه (الكل على مولاه) الذى لا ينفعه بشئ ولا يكفيه أمر نفسه والكل الثقيل الروح (قوله صلود زند) هو أن لا يسمح الزند بالنار (حنين) موضع وقعة مشهورة كانت بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين هوازن هزمت فيها هوازن وسبيت أموالهم وعيالهم وقتل فيها دريد بن الصمة كافرا (عفت) كرهت (الاقدام) الجرأة والترامى و(الاحجام) الرجوع الى خلف أراد أنه ردد رأيه هل يأتيه أم لا و(التعنيف) العتب و(الكنيف) المرحاض* ونذكر هنا حكاية ظريفة تجمع أسماء رحل رجل من الكوفة الى ابن عم له من بنى هاشم بالمدينة فأقام حولا عنده لا يدخل مستراحا فلما أراد الرجوع الى الكوفة قال ابن عمه لقينتين له أما رأيتما ظرف ابن عمى أقام حولا عندنا لم يدخل الخلاء فما فعلتما ان نصنع له شيأ لا يجد معه بدا من الخلاء قال شأنكما فعمدتا الى خشب العشر وطرحناه فى شرابه وهو مسهل فلما حضر وقت شرابهما قربتاه له وسقتا مولاهما من غيره فلما أخذ الشراب منهما تناوم مولاهما ومغص الفتى من بعده فقال لاحداهما ياسيدتى أين الخلاء فقالت لها صاحبتها مايقول لك قالت يسألك ان تغنيه

عفا من آل فاطمة الجواء * فيزل أهلها منها خلاء

فغنته فقال أظنهما كوفيتين فقال للاخرى ياسيدتى أين الحش فقالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت يسألك أن تغنيه * لقد أوحش الريان فالدير منهما * فغنته فقال الفتى أظنهما عراقيتين وما فهمتا عنى فقال للاخرى ياسيدتى أين المتوضأ فقالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت يسألك أن تغنيه

توضأ للصلاة وصل خمسا * وأذن بالصلاة على النبى

فقال أظنهما حجازيتين وما فهمتا عنى فقال لاحداهما ياسيدتى أين الكنيف فقالت لها صاحبتها مايقول لك قالت انه يسألك أن تغنيه

تكنفنى الواشون من كل جانب * ولو كان واش واحد لكفانى

فغنته فقال أظنهما تهاميتين فقال للاخرى ياسيدتى أين المستراح فقالت لصاحبتها ما يقول لك قالت يسألك أن تغنيه

ترك الفكاهة والمزاحا * وقلى الصبابة فاستراحا

فغنته والمولى يسمع فلما كربه الامر أنشأ يقول

تكنفنى الملاح وأضجرونى * على مابى بتكرير الاغانى

فلما ضاق عن ذاك اصطبارى * ذرقت به على وجه الزوانى

ثم حل سراويله وسلح عليهما فتركهما آية للناظرين وانتبه مولاهما فلما رأى ما نزل بهما قال له ياأخى

الى شيخ يحجم بلطافة يسفر نظيف مسافه فبعثت غلامى لاحضاره وأرصدت نفسى لانتظاره فأبطأ بعد ما انطلق حتى خلته قد أبق أو ركب طبقا عن طبق ثم عاد عود المخفق مسعاه الكل على مولاه فقلت له ويلك أبطأ فند وصلود زند فزعم أن الشيخ أشغل من ذات النحيين وفى حرب كحرب حنين فعفت المشى الى حجام وحرت بين اقدام واحجام ثم رأيت أن لا تعنيف على من يأتى الكنيف فلما

ذكر حكاية ظريفة جامعة لاسماء المرحاض

قوله فقال أظنهما تهاميتين الخ هكذا فى نسخ الشرح التى بأيدينا والذى فى هامش المقامات المطبوعة قبل هذا فقال أظنهما مكيتين فقال ياسيدتى أين المرحاض فقالت لها صاحبتها مايقول لك فقالت يسألك ان تغنيه من مجيرى من العيون المراض فهى أنكى للصب من مرحاض فغنته فقال أظنهما تهاميتين الخ فلعله سقط من قلم الناسخ اه مصححه

ما حللت

شهد موسمه وشاهدت ميسمه رأيت شيخا هيئته لطيفة وحركته خفيفة وعليه من النظارة أطواق ومن الزحام طباق وبين يديه فتى كالصمصامة مستهدف للحجامة والشيخ يقول له أوالك قد أبرزت راسك قبل أن تبرز قرطاسك وليتني قذالك ولم تقل الى ذالك ولست ممن يبيع نقدا بدين ولا يطلب أثرا بعد عين

ما حملك على هذا فقال له يا ابن الزانية لك جوار بين المخرج صراطا مستقيما فلا بد لنى عليه فلم يكن لهن جزاء عندي غير هذا ثم رحل عنه فيقول أبو محمد لا بأس للانسان أن يأتي المواضع الخبيثة عند الضرورة وأصل الكنيف الساتر (موسمه) مجمعه وسوقه (ميسمه) علامته (النظارة) الناس الناظرون (أطواق) أي حلقة خلف حلقة قد استداروا حوله و(الطباق) الذي طوبق فجعل بعضه على بعض شبه به ركوب بعض الناس بعضا و(الصمصامة) سيف عمرو بن معد يكرب وكانت تقطع الحديد كما يقطع الحديد الخشب وبعث ملك الهند الى الرشيد بسيوف قلعية وكلاب سبورية وثياب هندية فأمر الاتراك فصفوا بين يديه صفين قد لبسوا الحديد ودخل الرشيد فقال لهم ما جئتم به قالوا هذه أشرف كسوة بلادنا فأمر فقطعت جلالا وبراقع فخيله فكبوا على وجوههم وتذمموا ثم قال ما عندكم قالوا هذه سيوف قلعية لا نظير لها فدعا بالصمصامة فقطعت بها السيوف سيفا سيفا كما يقطع الفجل من غير أن تنثني لها شفرة ثم عرض عليهم حد السيف فاذا هو لا فل فيه ثم قال ما عندكم قالوا كلاب سبورية لا يبقى لها كلب ولا سبع الا عقرته فأمر بالاسد فأخرج اليهم فلما نظروا اليه هالهم وقالوا ليس عندنا مثل سبعكم ثم ارسلوا عليه الاكلب وكانت ثلاثة فزقته فقال تمنوا في هذه الاكلب ما شئتم قالوا السيف الذي قطع سيوفنا قال لا يجوز في ديننا أن نهاديكم بالسلاح فانقلبوا خائبين وكانت الصمصامة عند الهادي فدعا بها وبما وعكتل مملوء دنانير وأمر الشعراء أن يقولوا فيه فبدأهم ابن اياس فقال

حاز صمصامة الزبيدي عمرو * من جميع الانام موسى الامين

سيف عمرو وكان فيما سمعنا * خير ما أغمدت عليه الجفون

أوقدت فوقه الصواعق نارا * ثم شابت به الزعاف القيون

واذا ما شهرته بهر البر * يت ضياء فلم تكد تستبين

يستطير الابصار كالقبس المشـ * ـعل ما تستقر فيه العيون

وكأن الفرند والجوهر الجا * ري على صفحتيه ماء معين

ما يبالي اذا الضريبة حانت * أشمال سطت به أم يمين

وكأن المنون نيط اليه * فهو من كل جانبيه منون

فقال له لك السيف والمكتل ففرق المكتل على الشعراء وقال حرمتهم بسببي وأخذ من المهدي في السيف خمسين ألف دينار وممن أفرط في وصف قطع السيف النمر بن تولب حين قال

أبقى الحوادث والايام من نمر * أسباد سيف كريم اثره بادي

تظل تحفر عنه الارض مندفنا * بعد الذراعين والساقين والهادي

ويروى * تظل تحفر عنه ان ضربت به * والاسباد البقايا واحدها سبد وقال أبو الهول

حسام غداة الروع ماض كأنه * من الله في قبض النفوس دليل

كأن جنود الذر كسرن فوقه * قرون جراد بينهن دخول

كأن على افرنده موج لجة * تقاصر في ضحضاحه وتطول

(وقال ابن الرومي)

يقول القائلون اذا رأوه * لامرمّا تغوليت الدروع

والشعر في وصف السيف كثير مشهور فلذلك اقتصرنا على هذه النبذة (قوله مستهدف) أي منتصف والهدف الغرض وأراد (بالقرطاس) قطعة من كاغد توضع فيها الدراهم * الفنجديهي القرطاس درهم من نحاس وفيه شئ من الفضة يتعاملون به في الشأم (قذالك) مؤخر عنقك وهو ما بين نقرة القفا الى الاذن وجمعه قذل (ذا) اشارة الى الدرهم (نقدا) حاضرا (أثرا بعد عين) قد تقدم والعين نفس الشئ وقيل العين المعاينة فمعناه لا أترك شيأ وأنا أعاينه وأطلب أثره اذا غاب وقال

فان أنت رضخت بالعين جمت في الاخدعين وان كنت ترى الشح أولى وخزن الفلس في النفس

أحلى فاقرأ عبس وتولى واغرب عني والا فقال الفتى والذي حرم صوغ المين كما حرم صيد الحرمين اني لافلس من ابن يومين فثق بسيل تلعتي وأنظرني الى سعتي فقال له الشيخ ويحك ان مثل الوعود كغرس العود هو بين أن يدركه العطب أو يدرك منه الرطب فما يدريني أبحصل من عودك جنى أم أحصل منه على ضنى ثم ما الثقة بأنك حين تبتعد ستفي بما تعد وقد صار الغدر كالتحجيل في حلية هذا الجيل فأرحني بالله من التعذيب وارحل الى حيث يعوي الذيب فاستوى الغلام اليه وقد استولى الخجل عليه وقال والله ما يخيس بالعهد غير الخسيس الوغد ولا يرد غدير الغدر الا الوضيع القدر ولو عرفت من أنا لما أسمعتني الخنا لكنك جهلت فقلت وحيث وجب أن تسجد بلت وما أقبح الغربة والاقلال وأحسن قول من قال

ان الغريب الطويل الذيل ممتهن
فكيف حال غريب ماله قوت
لكنه ما تشين الحر موجعة
فالمسك يسحق والكافور مفتوت
وطالما أصلى الياقوت جمر غضى * ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت

الفنجديهي سمعت بعض الفضلاء بفنجديهة يقول حكى أن رجلا سرق منه شئ فخرج يطلب السارق فلما ظفر به أخذ يضربه ويشد وثاقه فقال له أحد أهل البلدة خل سبيله حتى يخرج فان هنا أثر قدميه فضحك الرجل منه وقال لا أطلب أثرا بعد عين فصار مثلا لمن ترك شيأ حاصلا ثم تبع أثره بعد فوت عينه (رضخت) أعطيت و(العين) الدراهم والدنانير (الاخدعان) عرقان يقع عليهما المحجمتان وقيل هما في صفحتي العنق قد خفيا وبطنا فالحذاق منهما يخدعان الحاجم (خزن) امساك وحبس (أغرب) غب (والا) معناه والا صفعت عنقك (المين) الكذب (الحرمين) مكة والمدينة حرم الله تعالى بمكة وحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة (التلعة) مجرى الماء من أعلى الوادي (أنظرني) أخرني (سعتي) غناي (جنى) ما يجنى منه (ضنى) مرض (التحجيل) بياض في قوائم الفرس (حلية) صفة وزينة (الجيل) أهل العصر (استوى) اعتدل قائما (استولى) غلب عليه الخجل (يخيس) يغدر وخاس الشئ تغير (الوغد) الرذل الساقط الخسيس الدني (الخنا) الفحش (الطويل الذيل) الكثير المال (تشين) تعيب (أصلي) أدخل النار (الياقوت) حجارة يتزين بها والنار لا تغيره ومما جاء في معنى هذا الشعر

ان الغريب ذليل حيثما سلكا * لو أنه ملك كل الورى ملكا
اذا تغنى حمام الايك في غصن * حن الغريب الى أوطانه فبكى

آخر

واذا حللت بدار قوم دارهم * فلهم عليك تعزز الاوطان
فالشمس تشرق في محلة كبشها * وتكون منحطا مع الميزان

وقال الفقيه الحافظ أبو محمد بن حزم

لا يشمتن حاسد ان نكبة عرضت * فالدهر ليس على حال بمترك
فالحر كالتبر يلقى تحت منقعة * طورا وطورا يرى تاجا على ملك

وقال البحتري في سعيد وقد حبس

وما هذه الايام الا مراحل * فمن منزل رحب ومن منزل ضنك
وقد هذبتك النائبات وانما * صفا الذهب الابريز قبلك بالسبك

(وقال أبو بكر بن دريد)

لا تحقرن عالما وان خلقت * أثوابه في عيون رامقه
وانظر اليه بعين ذي خطر * مهذب الرأي في طرائقه
فالمسك اذ ما تراه ممتهنا * بفهر عطاره وساحقه
سوف تراه بعارضي ملك * وموضع التاج من مفارقه

(وقال ابن شماخ)

نوائب غالتني فأبدت فضائلي * فكانت وكنت النار والعنبر الوردا

وعلى لسان عود الطيب

ان مست النار جسمي * أبديت طيب نسيمي
كالدهر ان عض يوما * أبان فضل كريم

*وسخط المتوكل على علي بن الجهم فنفاه الى خراسان وكتب أن يصلب اذا ورد بها يوما الى الليل فلما وصل الى الشاذياخ حبسه طاهر بن عبد الله ثم أخرجه فصلبه الى الليل مجردا فقال

لم يصلبوا بالشاذياخ عشية الاثنين مسبوقا ولا مجهولا
نصبوا بحمد الله ملء عيونهم * شرفا وملء صدورهم تبجيلا
ما ازداد الا رفعة وسعادة * وازدادت الاعداء عنه نكولا

هل كان الا الليث فارق غيله * فرأيته فى محمل محمولا
ماعابه أن يزعنه لباسه * كالسيف أفضل مايرى مسلولا

وقال فى الحبس

قالت حبست فقلت ليس بضائر * حبسى وأى مهند لا يغمد
أومارأيت الليث يألف غيله * كبرا وأوباش السباع تصيد
فالشمس لولا أنها محجوبة * عن ناظريك لما أضاء الفرقد
والنار فى أحجارها مخبوأة * لا تصطلى ان لم تثرها الازند
والحبس ان لم تغشه لدنية * شنعاء نعم المنزل المتورد
بيت يجدد للكريم كرامة * ويزار فيه ولا يزور فيحمد
لولم يكن فى الحبس الا أنه * لا تستذلك بالحجاب الاعبد

وقال له الشيخ ياويلة أبيك وعولة أهاليك أأنت فى موقف فخر يظهر وحسب يشهر أم موقف جلاد يكشط وقفا يشرط وهب أن لك البيت كما ادعيت أيحصل بذلك جمع قذالك لا والله ولو أن أباك أناف على عبد مناف أو لخالك دان عبد المدان فلا تضرب فى حديد بارد ولا تطلب

أخذ الاحوص أحد الامراء بأمر الوليد بن عبد الملك لانه كان يراود غلمانه فضربه مائة سوط وصب عليه الزيت وأوقفه فى الشمس وهو مع ذلك يقول

ما تعتريني من خطوب ملمة * الا تشرفنى وترفع شانى
انى على ماقد علمت محسد * أنمى على البغضاء والشنآن
فاذا تزول تزول عن متخمط * تخشى بوادره على الاقران
انى اذا خفى اللئيم وجدتنى * كالشمس لا تخفى بكل مكان

(قوله ياويلة أبيك) الويلة الفضيحة والويل الحزن و(العولة) البكاء الشديد وأعول يعول اعوالا اذا رفع صوته وصاح (أهاليك) جمع أهل (يكشط) يحلق شعره (هب) أى احسب وذكر فى الدرة أن خواص العراق يقولون هب أنى فعلت وهبه فعل كقول أبى ذهل

هبونى امرأ منكم أضل بعيره * له ذمة ان الذمام كبير

قال وهبنى أى عدنى واحسبنى فكان فيه معنى الامر من وهب انتهى ماقاله فى الدرة وقال هذا وهب أن لك البيت * وبيت القبيلة أشرفها فخذها (أناف) أشرف (عبد مناف) بن قصى هو بيت قريش وشريفها وهو جد رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه المغيرة وكان يقال لعبد مناف القمر لجماله وبهائه ورفعة منزلته وسمى عبد مناف لانه شرف وعلا وأناف على أشراف العرب وكانت الركاب تضرب اليه من أطراف الارض يتحفونه تحف الملوك فيكرمهم وكان عنده لواء نزار وقوس اسمعيل وسقاية الحاج والمفاتيح ولما قسم والده المجد بين أولاده جعل السقاية والرياسة لعبد مناف والدار لعبد الدار والرفادة لعبد العزى وجانبى الوادى لعبد بن قصى قال الشاعر

كانت قريش بيضة فتفلقت * فالمح خالصه لعبد مناف

(ذكر بنى عبد المدان)

ولما مات قصى رأس ابنه عبد مناف وجل قدره فأتته خزاعة وبنو الحرث بن كنانة يسألونه الحلف ليعزوا به فعقد معهم وأما شرف عقبه فلان منه بنى هاشم الذين فيهم النبوة والخلافة ومنه بنو أمية القادة فى الجاهلية وأهل الخلافة فى صدر الاسلام وقد قدمنا فى أخبار الشافعى أن فى عبد مناف يجتمع بنو هاشم وبنو أمية فلهؤلاء انتهى شرف مضر وأما بنو (عبد المدان) فأشراف اليمن وبهم يضرب المثل فى الشرف والعزة وهو عبد المدان بن الديان بن قطن بن زياد بن الحرث بن مالك بن ربيعة بن مالك بن كعب بن الحرث بن كعب بن خالد بن بجيلة بن مذحج وقال لقيط بن زرارة

شربت الخمر حتى خلت انى * أبو قابوس أو عبد المدان
أمشى فى بنى عدس بن زيد * رخى البال منطلق اللسان

وقال حسان رضى الله عنه

وقد كنا نقول اذا رأينا * لذى جسم يعدّ وذى بيان
كأنك أيها المعطى بيانا * وجسما من بنى عبد المدان

وقالوا لحسان كنا يا أبا الوليد ونحن نطول باجسامنا على العرب نرى لانفسنا بذلك فضلا حتى قلت

دعوا التخاجؤ وامشوا مشية سجحا * ان الرجال أولو قد وتذكير
لا بأس بالقوم من طول ومن عظم * جسم البغال واحلام العصافير

فتركتنا لا نرى لاجسامنا فضلا * وحكى الاصمعى أنه اجتمع يزيد بن عبد المدان وعامر بن الطفيل بسوق عكاظ وقدم أمية بن الاسكر الكنانى ومعه ابنة له من أجمل أهل زمانها فخطبها يزيد وعامر فقالت أم كلاب امرأة أمية من هذان الرجلان فعرفها أمية فقالت أعرف بنى الديان ولا أعرف عامرا قال هل سمعت بملاعب الاسنة قالت نعم فقال هذا ابن أخيه فقال يزيد يا أمية أنا ابن الديان صاحب الكثيب ورئيس مذحج ومكلم العقاب ومن كان يصوب أصابعه فتنطف دما وراحته فتخرج ذهبا فقال أمية بخ بخ فقال عامر جدى الاجذم وعمى الاصم وخالى ملاعب الاسنة وأبى فارس قرزل فقال أمية بخ بخ مرعى ولا كالسعدان فارسلها مثلا فقال يزيد يا عامر هل تعلم شاعرا من قومى رحل بمدحه الى رجل من قومك قال لا قال فهل تعلم أن شعراء قومك يرحلون بمدائحهم الى قومى قال اللهم نعم فنهض يزيد وهو يقول

أمىّ يا ابن الاسكر بن مدلج * لا تجعلن هوازنا كمذحج
لا النبع فى مغرسه كالعوسج * ولا الصريح المحض كالممرج

(قوله لا تضرب فى حديد بارد) هو مثل لمن يحاول الانتفاع عمن ليس عنده نفع وقال أبو الشمقمق يهجو سعيد بن مسلم

هيهات تضرب فى حديد بارد * ان كنت تطمع فى نوال سعيد
تالله لو ملك البحار باسرها * وأتاه مسلم فى زمان مدود
يبغيه منها شربة لطهوره * لأبى وقال تيمما بصعيد

وكذب عليه كان سعيد بن مسلم من أجود الناس (قوله باه) أى فاخر (موجودك ومحصولك) ما تجده من المال ويحصل لك (رفاتك) عظام أجدادك البالية (الاعلاق) جمع علق وهو النفيس الرفيع من الذخائر (اعراقك) أصولك (قوله ولا تطع الطمع فيذلك) ومن دعاء النبى صلى الله عليه وسلم اللهم انى أعوذ بك من طمع حيث لا طمع وأعوذ بك من طمع يهدى الى الطبع وقال النبى صلى الله عليه وسلم خيار المؤمنين القانع وشرارهم الطامع وقال الحسن البصرى لبعض ولد على رضى الله عنهما ما ملاك الدين قال الورع قال ما آفته قال الطمع (قوله ولا تتبع الهوى فيضلك) * ابن عباس رضى الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وعجب كل ذى رأى برأيه وقال صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف على أمتى الهوى وطول الامل أما الهوى فيصد عن الحق وأما طول الامل فينسى الآخرة وقال بعضهم أفضل الناس من عصى هواه وأفضل منه من رفض دنياه (تمى) تزيد (التوى) اعوج (التوى) الهلاك (القويم) المعتدل (التهبت) اشتعلت (الطوى) الجوع (طوى) أى طوى عليه ضلوعه وستره وقال أبو فراس

لا أرتضى ودّا اذا هو لم يدم * عند الجفاء وقلة الانصاف
تعس الحريص وقلما يأتى به * عوضا من الالحاح والالحاف
ان الغنى هو الغنى بنفسه * ولو انه عارى المناكب حاف
ما كل ما فوق البسيطة كافيا * فاذا قنعت فكل شئ كاف
وتعاف لى طمع الحريص فتوتى * ومروأتى وقناعتى وعفافى

قوله أولو قد الخ كذا بالاصل والذى فى الصحاح ذو وعصب الخ فلعلها رواية اهـ

مالست له بواجد وباه اذا باهيت بموجودك لا بجدودك وبمحصولك لا باصولك وبصفاتك لا برفاتك وبأعلاقك لا بأعراقك ولا تطع الطمع فيذلك ولا تتبع الهوى فيضلك ولله القائل لابنه
بنى استقم فالعود تنمى عروقه * قويما ويغشاه اذا ما التوى التوى
ولا تطع الحرص المذل وكن فتى * اذا التهبت أحشاؤه بالطوى طوى

وعاص الهوى المردى فكم من محلق
الى النجم لما ان أطاع الهوى هوى
وأسعف ذوى القربى فيقبح ان يرى
على من الى الحر اللباب انضوى ضوى
وحافظ على من لا يحون اذا نبا
زمان ومن يرعى اذا ما النوى نوى
وان تقتدر فاصفح فلا خير فى امرئ
اذا اعتلقت اظفاره بالشوى شوى
واياك والشكوى فلم تر ذا نهى
شكا بل أخو الجهل الذى ما ارعوى عوى

فقال الغلام للنظارة ياللعجيبة والطرفة الغريبة أنف فى السماء واست فى الماء ولفظ كالصهباء وفعل كالحصباء ثم أقبل على الشيخ بلسان سليط وغيظ مستشيط وقال أف لك من صوّاغ باللسان روّاغ عن الاحسان تأمر بالبر وتعق عقوق الهرّ فان يكن

شـــيم عرفت بهن مذ أنا يافع * ولقد عرفت بمثلها اسـلافى

(قوله المردى) أى المهلك (المحلق) الطائر يستدير فى طيرانه (هوى) سقط (اسعف) اقض حوائجهم (اللباب) الخالص (انضوى) انقطع الى جودك وتعلق به (نبا) ارتفع ولم يوافق (يرعى) يحفظ (النوى) البعد (نوى) أراده وقصده وقد قالوا خير الاخوان من أقبل عليك اذا أدبر الزمان (الشوى) القوائم ويقال لجلدة الرأس شوى وقوله (شوى) أى صنع شواء وأولاها النار يقول من اعتذر اليك من الاخوان فاعذره ولا تكن ممن اذا وقع على ذنب لصاحبه أخذه به ونزع جلدة رأسه فشواها وقال صلى الله عليه وسلم من لم يقبل من متنصل عذرا صادقا كان أو كاذبا لم يرد على الحوض وقالوا المعترف بالذنب كمن لا ذنب له واعتذر رجل الى ابراهيم بن المهـدى فقال قد أغناك الله بالعذر عن الاعتذار وأغنانا بحسن النية عن سوء الظن وقال الحسن بن وهب

ما أحســن العفو من القادر * لا سيما عن غير ذى ناصر
ان كان لى ذنب ولا ذنب لى * فما له غـــيرك من غافر
أعـــوذ بالود الذى بيننا * أن تفســد الاول بالآخر

وقالوا ليس من العدل سرعة العذل وقال آخر

اقبل معاذير من ياتيك معتذرا * ان بر فيما أتى من ذاك أو فجـرا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره * وقد أجلك من يعصيك مستترا

آخر

وهبنى مسيأ كالذى قلت ظالما * فعفوا جميلا كى يكون لك الفضل
فان لم أكن للعفو عندك للذى * أتيت به أهـلا فأنت له أهـل

* الاحنف رب ملوم لا ذنب له آخر * لعل له عذرا وأنت تلوم * آخر

اذا اعتذر الجانى محا العذر ذنبه * وكل امرئ لا يقبل العذر مذنب

وقال محمد بن سليم لابن السماك بلغنى عنك شئ كرهتـه فقال اذا لا أبالى قال لم قال لانه ان كان حقا غفرته وان كان باطلا لم تقبله وقالوا فى ترك الاعتذار

اذا كان وجه العذر ليس ببين * فان اطراح العذر خير من العذر

(قوله الشكوى) أى المشتكى الى الناس بالضر (نهى) عقل (ارعوى) رجع وارعوى عن القبيح كف عنه وحسن رجوعه ونزوعه عنه من الرعوى وهى حسـن المراجعـة والنزوع عن الجهل * الفراء وابن سيده عوى الفصيل والكلب اذا صاح فمدّ صوته قال الشاعر

بها الذئب محزونا كان عواءه * عواء فصيل آخر الليل محثل

المحثل السيئ الغذاء واذا دعا الرجل الناس الى الفتنة فقد عوى واستعوى وسمعت عوة القوم أى أصواتهم وجلبتهـم قاله الاصمعى وأبو زيد يقول بل أخو الجهـل الذى عوى بالشكاية وقت ارعوائه أى رجوعه عنك والمعنى كلما غاب عنك تشكى وما مع الفعل مصدرية وظرف الزمان محـذوف أى وقت ارعوائه كقوله تعالى ما دامت السموات والارض أى مدة دوامهـما يريد أن العاقل يحتمل ضر الزمان ولا يشتكى والجاهل الذى متى رجع عن التشكى لم يرجع رجوعا حسنا بل يعوى بالتشكى عواء الذئب (قوله الطرفة الغريبـة) أى التى لم ير مثلها (الصـهباء) الخمر (الحصباء) الحجارة (سليط) أى متسلط (مستشيط) مستشر فى الشر ملتهب فى الغضب (صوّاغ) كذاب وصاغ الكذب صنعه * راغ مال اليـه من حيث لا يعلم وراغ الى أهله رجع فى اخفاء (روّاغ) ميال وفرار فى خفية (تعق) تقطع و(عقوق الهرة) أنها تأكل أولادها * وحكى الاصمعى فى كتاب أفعل من كذا يقال أعق من ضب قال أراد واضبـة فكثر الكلام بها فقالوا ضب وعقوقها انها تأكل أولادها وذلك أن الضبة اذا باضت حرست بيضها من كل ما قدرت عليه من ورل وحية وغير ذلك فاذا خرجت

شبيب تعنتك . نفاق صنعتك فرماها الله بالكساد وافساد الحساد حتى ترى أفرغ من حلم ساباط وأضيق رزقا من سم الخياط فقال له الشيخ بل سلط الله عليك بثر الفم وتبيغ الدم حتى تلجأ الى حجام عظيم الاشتطاط ثقيل الاشتراط كايل المشراط كثير المخاط والضراط قال فلما تبين الفتى أنه يشكو الى غير مصمت ويراود استفتاح باب مصمت أضرب عن رجع الكلام واحتفز للقيام وعلم الشيخ أنه قد ألم بما أسمع الغلام فجنح الى سلمه وبذل أن يذعن لحكمه ولا يبغي أجرا على حجمه وأبى الغلام الا المشي بدائه والهرب من لقائه ومازالا في حجاج وسباب ولزاز وجذاب الى أن ضج الفتى من الشقاق وتلا ردنه سورة الانشقاق فاعول حينئذ لوفارة خسره وانعطاط عرضه وطمره وأخذ الشيخ يعتذر من فرطاته ويفيض من عبراته وهو لا يصغي الى اعتذاره ولا يقصر عن استعباره الى أن قال له فداك عمك وعدالك ما يغمك أما تسأم الاعوال أما تعرف الاحتمال أما سمعت عن أقال وأخذ بقول من قال

أخمد بحلمك ما يذكيه ذو سفه * من نار غيظك واصفح ان جنى جاني

فالحلم أفضل ما ازدان اللبيب به * والاخذ بالعفو أحلى من جنى جاني

فقال له الغلام أما انك لو ظهرت على عيشي وقل

أولادها من بيضها ظنتها شيأ يريد بيضها فوثبت عليه تقتله فلا ينجو منها الا الشديد قال وهذا موضوع قد وضعته العرب في موضعه وأنت بعلته ثم جاءت الى ماهو في العقوق مثل الضبة فضربت به المثل على الضد فقالوا أبر من هرة وهي أيضا تأكل أولادها فحين سئلوا عن الفرق وجهوا أكل الهرة أولادها الى شدة الحب فلم يأتوا بحجة مقنعة وقال الشاعر

أما ترى الدهر وهذا الورى * كهرة تأكل أولادها

واختصم الى شريح في ولد هرة فقال شريح ألقه مع هذه فان هي قرت ودرت واسبطرت فهو لها وان هي هرت وفرت واقشعرت فليس لها اسبطرت اضطجعت وهرت كهرت من هرير الكلاب واقشعر الجلد قامت شعوره (قوله تعنتك) طلب مشقتك والتعنت طلب الزلة وتعنته أدخل عليه الاذى اذا سأله عن شئ أراد به اللبس والمشقة عليه (سم الخياط) ثقب الابرة (بثر) خراج صغار ويقال بثر الجرح اذا خرجت به أورام صغار فيريد به سيلان الدم عن الاكل وغيره (تبيغ) هيجان وتبيغ دمه هاج عليه (تلجأ) تحوج (الاشتطاط) مجاوزة القدر (كايل) حاف (يراود) يعالج (مصمت) مغلق (احتفز) تهيأ وتشمر (ألام) أتى بما يلام عليه قال الشاعر * ومن يخذل أخاه فقد ألاما * (جنح) مال (سلمه) صلحه (بذل أن يذعن) أي أعطى الانقياد من نفسه (يبغي أجرا) يطلب أجرة (في حجاج وسباب) أي في لجة وشتم (لزاز) ملازمة للخصومة وخصم لزاز ملز أي لا يفارق الخصومة (جذاب) مضاربة وجذب كل واحد منهما بثوب صاحبه (ضج) صاح و(تلا ردنه) أي قرأ كمه وجعل صوت التخرق كأنه قراءة (أعول) بكى (وفارة خسره) أي كمال خسرانه (انعطاط عرضه وطمره) أي تمزيق عرضه بالشتم وثوبه بالتخريق والطمر الثوب الخلق (فرطاته) بوادره وما سبق من اذايته (يغيض) يذهب وينقص (عبراته) دموعه (يصغي) يستمع (يقصر) يكف (استعباره) بكاءه (عدالك) تجاوزك (يغمك) يغطي قلبك الهم (تسأم) تمل (الاعوال) البكاء (الاحتمال) التسامح والصبر على الاذية (أقال) غفر الذنب (أخمد) أطفئ وسكن (يذكيه) يوقده (سفه) جهل (اصفح) أظهر كرمك (جنى) أوقع بك جناية و(الجاني) فاعلها (الحلم) العقل والصبر على المضرات (ازدان) افتعل من الزين أي تزين به (اللبيب) العاقل (العفو) غفر الذنب (جنى) قطف الثمر وهذان البيتان من بدائع مزدوجاته التي نبهنا على أنها من فائق شعره وسبقه سابق البربري الى معناهما بقوله

لا تظهرن لذي جهل معاتبة * فربما هيجت بالشئ أشياء

فالماء يخمد حر النار يطفئها * وليس للجهل غير الحلم اطفاء

ترى السفيه له عن كل محلمة * زيغ وفيه الى التسفيه اصغاء

وقال ابن فراس

ما كنت مذ كنت الا طوع اخواني * ليست مؤاخذة الاخوان من شاني

يجني الصديق فأستحلي جنايته * حتى أدل على عفوي واحساني

ويتبع الذنب ذنبا حين يعرفني * عمدا فأتبع غفرانا بغفران

يجني علي فاعفو وصافحا أبدا * لا شئ أحسن من حان على جاني

وذكر الحريري هذين البيتين والمقطوعة قبلهما وجنس فيهما بين لفظ القافية واللفظ قبله ومما جاء من ذلك وهو أضبط مما ذكر قول الشاعر

قدم لنفسك زادا * وأنت مالك مالك

من قبل أن تتفانى * ولون حالك حالك

ولست تعلم يوما * أي المسالك سالك

اما لجنة عدن * أو في المهالك هالك

المنكدر لعذرت في دمعي المنهمر ولكن هان على الاملس مالاقى الدبر ثم كأنه نزع (٣٢٣) الى الاستحياء فأقلع عن البكاء وفاء الى الارعواء وقال للشيخ قد صرت الى ما اشتهيت فارقع ما أوهيت فقال هيهات شغلت شعابي جدواي فشم بارق شواي ثم انه نهض يستقري الصفوف ويستجدي الوقوف وينشد في ضمن ما هو يطوف

أقسم بالبيت الحرام الذي
تهوي اليه الزمر المحرمه
لو أن عندي قوت يوم لما
مست يدي المشراط والمحجمه
ولا ارتضت نفسي التي لم تزل
تسمو الى المجد بهذي السمه
ولا اشتكى هذا الفتى غلاظة
مني ولا شاكته مني حمه
لكن صروف الدهر غادرني
كخابط في الليلة المظلمه
واضطرني الفقر الى موقف
من دونه خوض اللظى المضرمه
فهل فتى تدركه رقة
على أو تعطفه مرحمه

(قال الحرث بن همام) فكنت أول من أوى لبلواه ورق لشكواه فنفحته بدرهمين وقلت لا وكانا لو كان ذامين فابتهج بباكورة جناه وتفاءل بهما للغناه ولم تزل الدراهم تنهال عليه وتنثال لديه حتى آل ذا عيشة خضراء وحقيبة بجراء فازدهاه الفرح عند ذلك وهنأ نفسه بما هنالك وقال للغلام هذا ربيع أنق بذره وحلب لك شطره فهلم لم نسم ولا نحتشم فتقاسماه بينهما شق

وقال آخر.

مالك من مالك الا الذي * قدمت فابذل طائعا مالكا
تقول أعمالي ولو فتشوا * وجدت أعمالك أعمى لكا

(وقالت للمعتمد جارية له لقد هنا هنا فقال)

قالت لقد هنا هنا * مولاي أين جاهنا
قلت لها الى هنا * صيرنا الهنا

(قوله المنكدر) أي المتغير والكدرة ضد الصفاء (المنهمر) السائل (أقلع) ارتفع وزال (فاء) رجع (الارعواء) الاستحياء والرجوع الحسن (أوهيت) أفسدت (شم) انظر (يستقري) يتتبع (يستجدي) يطلب الجدا وهو العطية (في ضمن) في اثناء وفي خلال (تهوى) تسرع المشي وتتساقط اليه (الزمر) الجماعات (المحرمة) الداخلة في الحرم (تسمو) ترتفع (المجد) الشرف (السمة) العلامة (غلاظة) جفاء (شاكته) ضربته (حمة) شوكة العقرب التي تلسع بها والحمة السم فسمي ما يخرج عنه السم باسمه (صروف) نوائب (غادرني) تركني (خابط) ماش على جهالة (اضطرني) ألجاني (خوض اللظى) دخول النار (المضرمة) الموقدة (رقة) شفقة (تعطفه) تلينه (مرحمة) رحمة (أوى) أشفق (نفحته) رميته ونبذته (ذامين) صاحب كذب (ابتهج) فرح (باكورة) أول ما يطيب من الشجر فجعل الدرهمين باكورة لانهما أول ما أخذ (تفاءل) جعلهما فألا أي لما كان أول ما حصل بايديهما درهمين استكثرهما فرجا أن تمشي عطايا الحاضرين على هذا المثال وقد كررت ذكر الفأل وتذكر هنا منه فصلا على ما أجرينا العادة في غيره كان صلى الله عليه وسلم يكره الطيرة ويعجبه الفأل الحسن ولما قدم المدينة نزل على رجل من الانصار فصاح الرجل بغلمانه ياسالم يايسار فقال صلى الله عليه وسلم سلمت لنا الدار في يسر وقيل لرجل من العرب مالكم تسمون أبناءكم بأسماء السباع والكلاب وتسمون مواليكم بأسماء حسان مثل عطاء ونجاح فقال لانا أعددنا أبناءنا للاعداء ومو الينا لانفسنا وسأل عمر رضي الله عنه رجلا عن اسمه واسم أبيه فقال ظالم بن سراق قال تظلم أنت ويسرق أبوك وجاءه رجل فقال له ما اسمك قال جمرة قال ابن من قال ابن شهاب قال ممن قال من الحرقة قال وأين تسكن قال بحرة النار قال بأيها قال بذات لظى قال أدرك أهلك فقد احترقوا فرجع فوجدهم قد احترقوا فكان كما قال * الفنجديهي بسنده حدثني أحمد بن علي حدثني أبو مسعود قال قال لي أبو داود السنجي ما اسمك قلت سعد قال ابن من قلت ابن مسعدة قال أبو من قلت أبو مسعود قال لي مسئلتك مثل اعرابي لقي آخر فقال ما اسمك قال فيض فقال ابن من قال ابن الفرات قال أبو من قال أبو بحر قال ليس لنا أن نكلمك الا في زورق وقال علي بن الجهم دخلت يوما على المتوكل وهو جالس في صحن داره وبيده غصن آس وهو يتمثل بهذا الشعر

بالشط لي سكن أفديه من سكن * أهدى من الآس لي غصنين في غصن
فقلت اذ نظما الفين واتسقا * سقيا ورعيا لفال منك ماحسن
فالآس لاشك آس من تشوقنا * شاف وآس تبقى لي على الزمن
بشرتماني باسباب ستجمعنا * ان شاء ربي ومهما يقضه يكن

ثم قال لي وكدت أنشق حسدا لمن هذا الشعر ياعلي فقلت للحسين بن الضحاك ياسيدي فقال هو والله عندي أشعرهم وأحسنهم مذهبا وأظرفهم نمطا فقلت وقد زاد غيظي في هذا النمط ياسيدي قال وفي غيره وان رغم أنفك ومت حسدا وأردت انشاده قصيدة فقلت اني لا أنتفع بها مع ما جرى فأخرتها الى وقت آخر (قوله تنهال) أي تنصب متفرقة (آل) رجع (خضراء) ناعمة لكثرة الرزق (حقيبة بجراء) أي وعاء ممتلئ والابجر الذي خرجت سرته (ازدهاه) هزه وأعجبه (الربيع) الزيادة والفضل (والبذر) ما يزرع من الحبوب (حلب) لبن (شطره) نصفه (نحتشم) نستحي أو نغضب

(ذكر ما قيل في الفال)

(الابلة) الدومة تشق ورقتها فتضرج أبدا معتدلة (تكفكف) تدفع وتكف (دهمني) أصابني (ازدلف) قرب (ختلي) مكري (سخلي) ولدي (الخصل) الغلب في القمار وفي مسابقة الخيل وفي مراماة السهام (يستبي) يأخذ ويسبي وقد تقدم في شرح الصدر التنبيه على هذا الموضع (الطل) اضعف المطر و(الوبل) أشده (قرعته) أقلقته بكثرة اللوم وبأخذي له بلساني (الابتذال) امتهان نفسه في الصنعة الهجينة (الارذال) الادنياء فأراد عنفته ولمته أشد اللوم على حرفة الحجامة فانها صنعة أرذال الناس وسفلتهم * ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العرب بعضها لبعض أكفاء قبيلة لقبيلة وحي لحي ورجل لرجل والموالي أكفاء الا حائكا أو حجاما وقال علي بن الحسين أربعة أعمال كانت في سفل بني اسرائيل وصارت في سفل العبيد وستكون في سفل الاحرار الحياكة والحجامة والدباغة والكناسة * رفاعة بن موسى سمعت الصادق يقول ست لا ينجبون الملاح والمكاري والحمامي والحجام والبيطار والحائك ومن شهر من الادباء بصنعة هجينة نصر بن محمد الخبزرزي كانت صنعته خبز خبز الارز في دكانه بمربد البصرة فكان ينشد أشعاره على الغزل والناس يزدحمون عليه واحداث البصرة يتنافسون في ميله اليهم وكان ابن لنكك على ارتفاع قدره ينتاب دكانه فحضره يوما وعليه ثياب بيض فاخرة فتأذى بالدكان من الدخان وسوء أثره على ثيابه فانصرف وكتب اليه

لنصر في فؤادي فرط حب * يفيف به على كل الصحاب
أتيناه فبخرنا بخورا * من السعف المدخن بالتهاب
فقمت مبادرا وحسبت نصرا * يريد بذاك طردي أو ذهابي
وقال متى أراك أبا حسين * فقلت له اذا اتسخت ثيابي

فلما قرئت عليه أملى على من قرأها وكتب على ظاهرها

منحت أبا الحسين صميم ودي * فخاطبني بألفاظ عذاب
أتى وثيابه كبياض شيب * فعدن له كغربان الشباب
وبغضي للمشيب أعد عندي * سواد لونه لون الخضاب
فان يكن المعطر فيه فخرا * فلم يكن الوصي أبا تراب

ومن شعره

خليلي هل أبصرتما أو سمعتما * بأحسن من مولى تمشى الى العبد
أتى زائرا من غير وعد وقال لي * أصونك عن تعذيب قلبك بالوعد
فما زال نجم الكاس بيني وبينه * يدور بأفلاك السعادة والسعد

وله

ورد الخدود ورمان النهود وأغصان القدود تصيد السادة الصيدا
من لي اذا ما رأيت الخصر مختصرا * والردف مرتدفا والقد مقدودا

وكان يحيى السرقسطي أديبا فرجع الى الجزارة فأمر الحاجب بن هود أبا الفضل بن حسداي أن يوبخه على ذلك فكتب اليه

تركت الشعر من عدم الاصابه * وملت الى الجزارة والقصابه

فاجابه يحيى

تعيب علي مألوف القصابه * ومن لم يدر قدر الشئ عابه
ولو أحكمت منها بعض فن * لما استبدلت عنها بالحجابه
وانك لو طلعت علي يوما * وحولي من بني كلب عصابه
لهالك ما رأيت وقلت هذا * هزبر صير الاوضام غابه
فتكنا في بني العنزى فتكا * أقر الذعر فيهم والمهابه
ولم نقلع عن الثوري حتى * مزجنا بالدم القاني لعابه

الابلة ونهضا متفق الكلمة ولما انتظم بينهما عقد الاصطلاح وهم الشيخ بالرواح قلت له قد نبوغ دمي ونقلت اليك قدمي فهل لك أن تحجمني وتكفكف ما دهمني فصوب طرفه في وصعد ثم ازدلف الي وأنشد

كيف رأيت خدعتي وختلي
وما جرى بيني وبين سخلي
حتى انثنيت فائرا بالخصل
أرعى رياض الخصب بعد المحل
بالله يا مهجة قلبي قل لي
هل أبصرت عيناك قط مثلي
يفتح بالرقية كل قفل
ويستبي بالسحر كل عقل
ويعجن الجد بماء الهزل
ان يكن الاسكندري قبلي
فالطل قد يبدو أمام الوبل
والفضل للوابل لا للطل
قال فنبهت أرجوزته عليه وأرتني انه شيخنا المشار اليه فقرعته على الابتذال والالتصاق بالارذال

فاعرض عما سمع * ولم يبل بما فرع وقال * كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع * ثم قاصاني مقاصاة المهان وانطلق هو وابنه كفرسي رهان (قال الشيخ) الامام الرئيس أبو محمد القاسم بن علي رضي الله عنه قد أودعت هذه المقامة بضعة عشر مثلا من أمثال العرب وها أنا أفسر منها ما خاله يلتبس على من يقتبس (أما قوله بطء قند) فهو مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وكانت بعثته بالمدينة ليقتبس لها نارا فقصد من فوره مصر وأقام بها سنة ثم جاء بعد السنة وهو يشتد ومعه جمر فتبدد منه فقال تعست العجلة (وأما ذات النحيين) فهي امرأة من تيم الله بن ثعلبة حضرت سوق عكاظ ومعها نحيا سمن فاستخلى بها خوات ابن جبير الانصاري ليبتاعهما منها ففتح أحدهما وذاقه ودفعه اليها فأخذته باحدى يديها ثم فتح الآخر وذاقه ودفعه اليها فأمسكته بيدها الاخرى ثم غشيها وهي لا تقدر على الدفع عن نفسها لحفظها فم النحيين وشحها على السمن فلما قام عنها قالت له لا هناك فضرب بها المثل فيمن شغل وهي في هذا المثل مفعولة لانها شغلت وأكثر الافعال التي على افعل تأتي من فعل الفاعل (وأما قوله أنف في السماء واست في الماء) فضرب هذا المثل لمن يكبر مقالا ويصغر فعالا (وأما قوله أفرغ من حجام ساباط) فذكر انه كان حجاما ملازما ساباط المدائن يحجم الجندي بدانق نسيئة وربما مرت عليه برهة لا يقربه فيها أحد فكان يبرز أمه عند غادي عطائه فيحجمها لكي لا يقرع بالبطالة فما زال يحجمها حتى نزف دمها وماتت (وأما قوله يشكو الى غير مصمت) فهو مثل يضرب لمن يكثر بشأن صاحبه ولا يعبأ باستمرار شكايته لانه لو أشكاه لصمت وأمسك عن الكلام ومنه قول الراجز يخاطب جملا له انك لا تشكو الى مصمت * فاصبر على الحمل الثقيل أو مت ونحو هذا المثل (هان على الاملس ما لاقى الدبر) وأما قوله (شغلت شعابي جدواي) فالمراد به انه ليس يفضل عني ما أصرفه الى غيري والشعاب هي النواحي واحدها شعب وقوله (كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع) معناه ان المجهود يقنع بما يجد والوقع ان تصيب الحجارة القدم فتوهنها فاما البعير الموقع فهو الذي يكثر آثار الدبر بظهره

ومن يعتز منهم بامتناع * فإني الى صوارمنا ايابه
ويبرز واحد منا لألف * فيغلبهم وتلك من الغرابه
وحقك ما تركت الشعر حتى * رأيت البخل قد أمضى شهابه
وحتى زرت مشتاقا حميمي * فأبدى لي التجهم والكآبه
وظن زيارتي لطلاب شيء * فأقصاني وأغلظ لي حجابه

(قوله ولم يبل) أصله يبالي حذفت ياؤه للجزم فصار يبال فلما كثر استعماله صار بمنزلة ما لم يحذف منه شيء فقدروا انكيرا الجازم عليه مرة أخرى فحذفت حركة اللام للجزم فسكنت اللام وقبلها ألف ساكنة فحذفت الالف لالتقاء الساكنين ولابي علي في هذه المسئلة عبارة استوحش منها أكثر العلماء فمن مخطئ ومن مصوب وتحقيقها غائب الا عن أهل التحقيق وقد أوضحناها في شرحنا لكتاب الايضاح والاكثار من مسائل الاعراب في كتب الآداب مما يستبرد ويعاب (اعرض) أي نحى وجهه لجهة (قاصاني) فارقني وقال الفراء كل شيء أبنته من شيء فقد قصيته منه وتقصى الرجل من الرجل بان عنه وكل رجل باين شيئا فقد تقصى عنه * الليث رحمه الله كل شيء لازم خلصته فقد تقصى وتقصيت من الديون خرجت منها (فرسي رهان) هما اللذان يجريان ويجعل معهما جعل فمن سبق أخذه ومما استحسن من أبيات اللغز في هذا الباب قولهم في المشارط

وخضراء لا من بنات الهذيل * يلفف بالسير منقارها
كأن مشق عيون القطا * اذا هن هو من آثارها

آخر
وكان جدي هراش في كتابته * من أكتب الناس ياهرون بالالف

يعني آثار التشريط تبقى كصور الالفات وقال آخر

يا ابن من يكتب في الار * قاب من غير دواة
لم يكن يكتب فيها * غير خط الالفات

(وقال ابن كناسة يخاطب ابراهيم بن سيابة)

يا ابن الذي عاش غير مضطهد * يرحمه الله أيما رجل
له رقاب الملوك خاضعة * من بين حاف منهم ومنتعل
أبوك أوهى النجاد كاهله * كم من كمي أدمى ومن بطل
يأخذ من ماله ومن دمه * لم يمس من ثاره على وجل
في كفه صارم بقلبه * يقد أعناق سادة نبل

وأخذ صاحب الشرطة رجلا في ريبة فقال أصلحك الله احفظ في الابوة وقال

أنا ابن الذي لا تنزل الدهر قدره * وان نزلت يوما فسوف تعود

ترى الناس أفواجا الى ضوء ناره * فهم قيام حولها وقعود

فأمر بتركه ثم أخبر أن أباه باقلاني فقال لولم نتركه الالادبه وحسن تخلصه من الكذب لكان فعلنا سدادا وكان بالمدينة فتى أبوه مغن وأمه نائحة فاغضبه انسان فقال أتغضبني وأنا ابن الطرب والحرب * وقال ابن عباس المصري يذكر غلاما جميلا والحجام يأخذ من شعره في الحمام

مزين انسبري لظبي * كأنه البدر في سجوفه
كان موساه وهو لما * نضى بها الشعر في وقوفه
كيوان في كفه حسام * يخلص البدر من كسوفه

ولبعضهم يمدح حجاما

ان المزين انسان صناعته * تعلو الصنائع اذ ما مثلها صنعت
ألا ترى انه لا يستراب به * وآلة الموت في صندوقه جمعت
يخلو مع الملك المرهوب جانبه * فيما اليه ضرورات الامور دعت
تعلو أنامله في حين خلوته * مواضعا لو علتها غيرها قطعت

وقال السري في مزين محسن

هل الحذق الا لعبد الكريم * حوى فضله حادثا عن قديم
اذا لمع البرق في كفه * أفاض على الرأس ماء النعيم
جهول الحسام ولكنه * يروح ويغدو بكفي عليم
له راحة سيرها راحة * تمر على الرأس مر النسيم
نعمنا بخدمته مدة * فنحن به في نعيم مقيم

وله في طبيب

أوضح نهج الطب في معشر * ما زال فيهم دارس الرسم
كأنه من لطف افكاره * يجول بين الدم واللحم
ان غضبت روح على جسمها * ألف بين الروح والجسم

وفي ضده لابي نصر كشاجم عيسى الطبيب ترفق * فأنت طوفان نوح

يا أبي علاجك الا * فراق جسمي وروحي
شتان ما بين عيسى * وبين عيسى المسيح
فذا لمحيي ممات * وذا مميت الصحيح

وللخوارزمي

أبو سعيد راحل للكرام * ومنسف ينسف عمر الانام
لم أره الا خشيت الردى * وقلت يا روحي عليك السلام
يبقي ويفني الناس من شؤمه * قوموا انظروا كيف نجاة اللئام
ثم تراه آمنا سالما * يا ملك الموت الى كم تنام

وللسري

هل للعليل سوى ابن قرة شاف * بعد الاله وهل له من كاف
فكأنه عيسى بن مريم ناطقا * يهب الحياة بأيسر الاوصاف
مثلت له قارورتي فرأى بها * ما اكتن بين جوانحي وشغافي
يبدو له الداء الخفي كما بدا * للعين رضراض الغدير الصافي

وكثرة الكلام وقف على أهل الحجامة ولذلك صرف الحريري بين الشيخ وابنه ما تقدم في هذه المقامة وكان الفقيه الاعمش أكثر الناس تبرما ان أعاد أحد عليه سؤالا شهره وأخطأ يوما على قوم فقالت لهم امرأة انه من وراء الستر احلوا عنه فوالله ما يمنعه من الحج مدة ثلاثين سنة الامخافة أن يلزم كريه أو يشتم رفيقه وكثر عليه الشعر فقال له تلامذته لو أخذت من شعرك فقال لا نجد حجاما يسكت قالوا له

نأتيك به ونأخذ عليه أن يسكت حتى يفرغ قال افعلوا فأتى بحجام ووصى أن لا يكلمه فيد أبحلقه فلما أمعن سأله في مسئلة فنفض ثيابه وقام بنصف رأسه محلوقا حتى دخل بيته فأخرج الحجام وأتى بغيره فقال والله لا أخرج اليه حتى توصوه وتحلفوه فحلف أن لا يسأله في شئ وحينئذ خرج اليه ومقامة الحجام في البديعة منها قال عيسى بن هشام فطلبت حجاما فجاؤا برجل نظيف ظريف لطيف فارتحت اليه وسلمت عليه فقال لي السلام عليك من أي بلد أنت فقلت من مصر فقال لي حياك الله من أرض النعمة والرفاهة وبلد السنة والجماعة ولقد حضرت في رمضان جامعها وقد اشتعلت المصابيح وأقيمت التراويح فما شعرنا الا بمد النيل قد أتى على تلك القناديل لكن صنع الله لي بخف كنت لبسته رطبا فلم يحصل طرازه على كمه وعاد الصبي الى أمه بعد ان صليت العتمة واعتدل الظل ولكن كيف كان حجك قضيت مناسكه كما وجب وصاح الصبيان العجب العجب فنظرت الى المنارة وما أهون الحرب عند النظارة ووجدت الهريسة على حالها فعلمت أن الامر بقضاء الله وقد والى مني اليوم وغدا السبت والاحد ولم أكثروا أطيل وما أكثر القال والقيل وان أردت أن تعلم المبرد حديد الموسى في الصوف فلا تشتغل بقول العامة فلو كانت الاستطاعة قبل الفعل لحلقت رأسك فهل ترى يا سيدي أن ابتدي قال عيسى فبقيت والله متعجبا من هذيانه وسألت عنه فاذا هو أبو الفتح قد غلب السواد عليه فتركته وانصرفت فهذه غرارة حجام على الحقيقة

(المقامة الثامنة)

(والاربعون الحرامية)

*(روى الحرث بن همام عن أبي زيد السروجي قال مازلت مذ رحلت عنسي وارتحلت عن عرسي وغرسي أحن الى عيان البصرة حنين المظلوم الى النصرة لما اجمع عليه أرباب الدراية وأصحاب الرواية من خصائص معالمها وعلمائها ومآثر مشاهدها وشهدائها وأسأل الله ان يوطئني ثراها لأفوز بمرآها وان يعطيني قراها لأقتري قراها فلما أحلنيها الحظ وسرح لي فيها اللحظ رأيت بها ما يملأ العين قرة ويسلي عن الاوطان كل غريب فغلست في بعض الايام حين نصل خضاب الظلام وهتف أبو المنذر بالنوام

(شرح المقامة الثامنة والاربعين وتعرف بالحرامية)

(رحلت) أي شددت عليها الرحل والرحل سرج الناقة و(العنس) الناقة القوية شبهت بالعنس وهي الصخرة لصلابتها قال الليث اذا تم سن الناقة واشتدت قوتها وصلبت عظامها وأعضاؤها فهي عنس (عرسي) زوجتي (غرسي) أولادي (أحن) اشتاق (عيان) معاينة ومشاهدة (خصائص) ما يختص به من الفضائل (معالمها) مواضعها المشهورة و(المآثر) الفضائل والمكارم والمأثرة الفضيلة يختص بها (مشاهدها) مواضع اجتماع أهلها (يوطئني ثراها) يجعلني أطؤها وأمشي عليها وأوطأه الشئ أمكنه من أن يطأه (الثرى) التراب الندى و(مرآها) منظرها (يعطيني قراها) يركبني ظهرها (اقترى) اتتبع (أحلنيها) أنزلنيها (الحظ) السعد (اللحظ) العين (قرة) سرور (يسلي) يشغل (غلست) خرجت في الغلس وهي ظلمة آخر الليل (نصل) زال (هتف) صاح (أبو المنذر) كنية الديك ويكنى أبا سليمان * أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الديك فانه يوقظ للصلاة أبو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم الديكة تصيح فانها رأت ملكا فاسألوا الله من فضله واذا سمعتم نهيق الحمير فانها رأت شيطانا فاستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم وقال صلى الله عليه وسلم الديك الابيض صديقي وانه يحرس دار صاحبه وسبع دور وكان مستعمه في البيت وقال ابن المعتز يصف ديكا

بشر بالصبح طائر هتفا * هاج من الليل بعد ما انتصفا
مذكر بالصباح صاح بنا * كخاطب فوق منبر وقفا
صفق اما ارتياحه لسنا الفجر واما على الدجى أسفا

وله

وصاح فوق الجدار مشترفا * كمثل طرف علاه أسوار
ثم غدا يسأل الفرات عن الارزاق منه ثغر ومنقار
رافع رأس طورا وخافضه * كأنما العرف منه منشار

(ذكر ما قيل في الديك)

(وقال الاسعد بن بليط)*

وقام بها ينعي الدجى ذو شقيقة * يدير اليناب بين اجفانه سقطا
اذا صاح اصغى سمعه لاذانه * وبادر ضربا من قوادمه الابطا
ومهما اطمأنت نفسه قام صارخا * على خيزران نيط من صفره خرطا

لأخطو فى خططها وأقضى الوطر من توسطها فأدانى الاختراق فى مسالكها والانصلات فى سككها الى محلة موسومة بالاحترام

منسوبة الى بنى حرام ذات مساجد مشهودة وحياض مورودة ومبان وثيقة ومغان أنيقة وخصائص أثيرة

ومزايا كثيرة
بها ماشئت من دين ودنيا
وجيران تنافوا فى المعانى
فمشغوف بآيات المثانى
ومفتون برنات المثانى
ومضطلع بتلخيص المعانى
ومطلع الى تخليص عانى
وكم من قارئ فيها وقار
أضرا بالجفون وبالجفان
وكم من معلم للعلم فيها
وناد للندى حلو المجانى
ومغنى لاتزال تغن فيه
أغاريد الغوانى والاغانى
فصل ان شئت فيها من يصلى
واماشئت فادن من الدنان
ودونك صحبة الاكياس فيها
أو الكاسات منطلق العنان

(قال) فبينما أنا أنفض طرقها وأستشف رونقها اذ لمحت عند دلوك براح واظلال الرواح مسجدا مشتهرا بطرائفه مزدهرا بطوائفه وقد أجرى اهله ذكر حروف البدل وجروا فى حلبة الجدل فعجت نحوهم لاستطر نوأهم لالاقتبس نحوهم فلم يك الا كقبسة العجلان حتى ارتفعت الاصوات بالاذان ثم ردف التأذين بروز الامام فأغمدت ظبى الكلام وحلت الحبا للقيام وشغلنا بالقنوت عن استمداد القوت وبالسجود عن استنزال الجود ولما قضى الفرض وكاد الجمع ينفض انبرى من الجماعة كهل حلو البراعة له مع السمت الحسن ذلاقة اللسن وفصاحة اللسن

اللسان

كان أنوشروان اعلاه تاجه * وناطت عليه كف مارية القرطا
سبى حلة الطاوس حسن لباسه * ولم يكفه حتى سبى مشية البطا

(قوله أخطو) أى أمشى (خططها) طرقها (الوطر) الحاجة (توسطها) المشى فى وسطها (أدانى) أوصلنى (الاختراق) المشى واخترقت البلدة اذا قطعت أرضها بالمشى والاختراق المرور والسلوك و(المسالك) الطرق والانصلات الخروج بسرعة من زقاق الى آخر وانصلت السيف خرج بسرعة (سككها) أزقتها الواحدة سكة وسميت سكة لاصطفاف الدور فيها ويقال للطريق المستوية المصطفة من النخل سكة (محلة) منزلة (موسومة) معلمة (الاحترام) الامتناع (حياض) جمع حوض (موردة) مقصودة للشرب (مغان) منازل (أنيقة) معجبة حسنة (أثيرة) منتشرة لكثرتها (مزايا) جمع مزية وهى الفضيلة يختص بها الشئ (تنافوا) تباعدوا (مشغوف) مولع شديد الحب (المثانى) أم القرآن وقيل السبع الطوال من أول القرآن و(رنات) أصوات (المثانى) أوتار عود الغناء (مضطلع) قوى (التلخيص) تهذيب الشئ وتخليص فوائده وكانه مقلوب التخليص و(تخليص عان) افتكاك أسير (قارئ) عابد مكثر لقراءة القرآن (قار) مطعم للضيف (الجفون) العيون (الجفان) صحاف الطعام يريد أن هذا أضر بجفونه بكثرة النظر فى الورق قارئا مافيها وهذا بجفانه لاطعام مافيها (مغنى) منزل (تغن) تصوت (أغاريد) أصوات (الغوانى) جمع غانية وهى المرأة الجميلة (الاغانى) جمع أغنية وهى مايتغنى به (الدنان) خوابى الخمر (دونك) أى الزم (الاكياس) أهل الفطنة والتدبير (منطلق العنان) مسيب مسرح (انفض طرقها) أى أمشى بها وحدى يقال جاء فلان ينفض الطريق اذا جاء وحده وقالت الجهنية

يرد المياه حضيرة ونفيضة * ورد القطاة اذا اسمأل التبع

الحضيرة الذى يحضر معه غيره وجمعه الحضائر والتبع الظل واسمأل نقص ويقال أيضا نفض المكان واستنفضه اذا نظر جميع مافيه حتى يعرفه (استشف) استقصى النظر (رونقها) حسنها (لمحت) نظرت (دلوك براح) زوال الشمس وبراح من أسمائها مبنى على الكسر * عبد الله بن مسعود دلوكها غروبها أبو عبيدة دلوك الشمس زوالها وميلها وهو قول ابن عباس الازهرى هذا القول أصح عندى وقيل دلوكها من زوالها الى غروبها ويدلك هذا الوصف على ان البصرة من نهاية العظم والكبر على جانب عظيم لانه زعم انه خرج فى الغلس وبقى يمشى فى أزقتها الى الظهر ويقال انها فى آخر الدولة الاموية كسرت فوجد فى طولها فرسخان وفى عرضها فرسخ وخمسة أسداس فرسخ (قوله اظلال) أى دنو وقرب (طرائفه) عجائبه وغرائبه (مزدهرا) مضيأ بحلق الفضلاء والعلماء (طوائفه) جماعاته و(حروف الابدال) يجمعها طال يوم أنجدته و(الحلبة) جماعة الخيل فى الطلق تجرى لينظر هيئتها من هجينها (الجدل) الخصام (عجت) ملت (أستمطر نوأهم) أطلب معروفهم والنوء طلوع نجم من المنازل وسقوط آخر يقابله (اقتبس) آخذ و(قبسة العجلان) أخذه القبس وهو شعلة من نار يقتبسها من معظم النار (ردف) تبع وجاء بعده قال تعالى ردف لكم أى جاء بعدكم وأردفت الرجل جئت بعده ابن الاعرابى ردفت الرجل وأردفته ولحقته وألحقته بمعنى واحد (القنوت) الطاعة وهو أيضا طول القيام فى الصلاة * ابن الانبارى القنوت أربعة أقسام الصلاة وطول القيام واقامة الطاعة والسكوت (استمداد) طلب أن يمده بالقوت وهو الاستنزال (ينفض) يتفرق (انبرى) ظهر وقام بسرعة (كهل) تام الخلق (السمت) الوقار (ذلاقة) حدة (اللسن) حدة

اللسان وتقدم الحسن فى الاربعين (اصطفيتهم) اخترتهم (أغصان شجرتى) بنى عمى وقرابتى وأولادى (خلطتهم) بلدتهم والمهاجر عند العرب المستقبل من البادية الى الحاضرة و(دار هجرتى) موضع سكناى الذى هاجرت اليه (كرشى) أهلى (عيبتى) خاصتى الذين أنفردبهم وعيبة الرجل موضع سره وكرشه عياله والعيبة وعاء يجعل فيه المتاع والكرش مثلها والكرش الجماعة من الناس والكرش أيضا لكل مجتر من البهائم بمنزلة المعدة من الانسان فساق الكرش والعيبة على جهة المثل وانهم موضع سره وقال صلى الله عليه وسلم الانصار كرشى وعيبتى قيل موضع سرى وقيل مدادى لان ذات الكرش تستمد من كرشها (الفضوح) والفضيحة الشهرة (المحاض) الخلاص (الارشاد) الهداية (عنوان العقيدة) دليل البواطن والمعتقدات و(المستشار) الذى تستشيره فى رأيك (مؤتمن) قد أمن على الاسرار والنفوس لايخون فيها وقال صلى الله عليه وسلم ماندم من استشار ولاشقى من استغار وقال بشار

اذا بلغ الرأى المشورة فاستعن * برأى نصيح أو مشورة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة * فان الخوافى رافدات القوادم
وما خير كف أمسك الغل أختها * وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وخل الهوينى للضعيف ولا تكن * نؤما فان الدهر ليس بنائم
وحارب اذا لم تعط الا ظلامة * شبا الحرب خير من قبول المظالم

وهى قصيدة طويلة قالها فى ابراهيم بن عبد الله فلما قتل صرفها الى المنصور فى أبى مسلم وكان بشار يقول المشاور على احدى الحسنيين صواب يفوز بثمرته وخطأ يشارك فى مكروهه وقال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم وشاورهم فى الامر لما فى ذلك من الائتلاف وهو أغنى الناس عن المشورة
وقال ابن المعتز

تجاوز عن اساءة كل دهر * وصاحب يوم حادثة بصبر
وان نابتك نائبة فشاور * فكم جد المشاور غب أمر
وقسم هم نفسك فى نفوس * ولا تنفرد بطول فكر
اذا كظ الفرات بماء مد * أغص به خلاقم كل نهر

قال عيسى بن على مازال المنصور يشاورنى فى أمره حتى قال فيه ابن هرمة

اذا ما أراد الامر ناجى ضميره * فناجى ضميرا غير مختلف العقل
ولم يترك الادنين فى كل أمره * اذا اختلفت بالاضعفين قوى الحبل

وأنشد الجاحظ

ليت هندا أنجزتنا ماتعد * وشفت أنفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة * انما العاجز من لا يستبد

ثم قال ولا أعلم الموصوف بالاستبداد الا مجهلا مذموما والمثل السائر على الافواه

وما العجز الا أن تشاور عاجزا * وما العزم الا أن تهم وتفعلا

(وقال سعد بن ناشب)

اذا هم ألقى بين عينيه عزمه * ونكب عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشر فى رأيه غير نفسه * ولم يرض الا قائم السيف صاحبا

وقال ابن رشيق فى أدب قوله تعالى وشاورهم فى الامر

أشاور أقواما لآخذ رأيهم * فيلوون عنى أعينا وخدودا
وليس برأى حاجة غير اننى * أؤنسه كى لا يكون وحيدا
ولا أنا ممن يبعث السهم راميا * الى غرض حتى يكون سديدا
فلا بهم عقلى الرجال فاننى * أعرفهم انى حلفت ودودا

وقال يا جبيرتى الذين اصطفيتهم على أغصان شجرتى وجعلت خلطتهم دار هجرتى واتخذتهم كرشى وعيبتى وأعددتهم لمحضرى وغيبتى أما تعلمون ان لبوس الصدق أبهى الملابس الفاخرة وان فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة وان الدين المحاض النصيحة والارشاد عنوان العقيدة الصحيحة وان المستشار مؤتمن

وأنشد الحريري بيتي بشار في درة الغواص على ان قول الخواص مشورة بوزن مفعلة خطأ وانما هي مشورة بوزن معونة ومثوبة مثل مكرمة من الصحيح فنقلت حركة الواو الى ماقبلها فسكنت واختلف في اشتقاقها فقيل هو من شرت العسل أشوره اذا جنيته فكأن المستشير يجني الرأي من المشير وقيل من شرت الدابة اذا أجريتها مقبلة ومدبرة لتختبرها والاشتقاقان متقاربان (المسترشد) السائل أن يرشد (قمن) حقيق (عذلك) لامك (صدقك) قال الصدق كأنه أراد أن الصديق انما سمي صديقا لصدقه لصاحبه يريد أن أخاك هو الذي يلومك ويقبح لك سوء فعلك ومن حسن وعذلك في ذلك فليس بصديق ولا أخ مثل ماحكى الاصمعي قال سمعت اعرابيا يقول لأخ له اعلم ان الناصح لك المشفق عليك من طالع لك ماوراء العواقب برؤيته ونظره ومثل لك الاحوال المخوفة وخاط لك الوعر بالسهل من كلامه ومشورته ليكون خوفك كفء رجائك وشكرك ازاء النعمة عليك وان الغاش اهوالك والحاطب عليك من مدّلك في الاغترار ووطأ لك مهادا الظلم تابعا لمرضاتك منقادا لهواك وقال الشاعر فيمن لا يقبل النصح

اذا ماهديت امرأ مخطئا * أضل السبيل الى قصده

فلم تلفه سامعا قابلا * فخس له المشي في ضده

(الخل) الخليل (الودود) الصاحب الكثير الود (الخدن المودود) الصديق المحبوب (الملغز) المبهم الخفي (الموجز) المختصر (نبغيه) نطلبه (لينجز) ليفعل في الحين (حبانا) اختصنا (صفوة) خيار (نألوك نصحا) نقصر في نصيحتك (ندخر) نرفع ونخبأ (نحا) عطيه ندفعها لك مأخوذ من النضح وهو الشرب القليل دون الري والنضح أيضا الرش بالماء (وقيتم ضيرا) كفيتم الضر (يصدر) يرجع (تلبيس) التباس وتخليط (لا يحيب فيهم مظنون) أي ماظن فيهم من النصح والمعاونة موجود فيهم غير مفقودة (مكنون) مستور (يطوى) يحجب ويستتر (ابثكم) أنشر لكم وأظهر (حالك في صدري) أثر فيه واحتك به (عيل) غلب وعالى الشيء ولا غلبني وثقل علي (قوله صلود الزند) هو أن لا يسمح بالنار (صدود الجد) اعراض السعد يريد الايام التي كنت فيها فقيرا و(العقد) كانت العرب اذا عاهد الرجل صاحبه عقد أصابعه ثم صارت المعاهدة باللسان تسمى عقدا وكان أحدهم يربط رسن بعيره بخباء من يستجير به أو يرسل حبله في البئر مع حبله فيشبكه به وكان هذا كله عندهم عقد الايسلم المستجار به لمستجيرا الا لما يسلم ولده وقال حبيب

بلى لقد سلفت في جاهليتهم * للحق ليس كحق حرمة عجب

أن يعلق الدلو بالدلو الغريبة أو * يلامس الطنب المستحصد الطنب

(الصفقة) ضربة يد المشتري على يد البائع (أسبأ) اشترى (مداما) خمرا (اكتسي نشوة) أظهر سكرة (سولت) زينت وحسنت (المضلة) المحيرة (الابطال) فرسان الملاعة للسن (الارطال) وهي أربعة وقال في ذلك

سألت أخي أبا عيسى * وجبريل له فضل

فقلت الخمر تعجبني * فقال كثيرها قتل

فقلت له فقدّر لي * فقال وقوله فصل

وجدت طبائع الانسان أربعة هي الاصل

فأربعة لاربعة * لكل طبيعة رطل

يذكر هذا الرجل انه تاب من شرب المسكر وعاهد الله أن لا يشرب خمرا ثم ارتد ورجع لخلاعته ومثل حالته هذه حالة أبي محمد البصري كان تاب وحج فلما قفل راجعا بدا له في شرب الخمر فقال

ألا يا هند قد قضيت حجي * فهات شرابك العطر الحبيبا

فقد ذهبت ذنوبي بالليالي * فقومي الآن نقترف الذنوبا

والمسترشد بالنصح قمن وان أخاك هو الذي عذلك لا الذي عذرك وصديقك من صدقك لا من صدقك فقال له الحاضرون أيها الخل الودود والخدن المودود ماسر كلامك الملغز وماشرح خطابك الموجز وما الذي تبغيه منا لينجز فوالذي حبانا بعجبتك وجعلنا من صفوة أحبتك ما نألوك نصحا ولا ندخر عنك نضحا فقال جزيتم خيرا ووقيتم ضيرا فانكم ممن لا يشقى بهم جليس ولا يصدر عنهم تلبيس ولا يخيب فيهم مظنون ولا يطوى دونهم مكنون وسأبثكم ماحالك في صدري وأستفتيكم فيما عيل فيه صبري اعلموا اني كنت عند صلود الزند وصدود الجد أخلصت مع الله نية العقد وأعطيته صفقة العهد على ان لا أسبأ مداما ولا أعاقر نداما ولا أحتسي قهوة ولا أكتسي نشوة فسولت لي النفس المضلة والشهوة المذلة المزلة ان نادمت الابطال وعاطيت الارطال

خالطنا ماء زمزم فى حشانا * بماء المزن فامتزجا قريبا

وكان أبو القاسم المغربى قد تنسك زمانا ولبس الصوف وترهب وحج فعشق غلاما تركيا وهام به وتقلد الوزارة ببغداد وغيرها وانتهى فى الجاه الى الغاية وتملك الاحرار واشترى الغلام التركى وقال

تبدل من مرقعة ونسك * بأنواع الممسك والشفوف
وعن له غلام ليس يحوى * هواه ولا رضاه بلبس صوف
فعاد أشد ما كان انتهاكا * كذاك الدهر مختلف الصروف

وقال أيضا

يا اهل مصر قد عاد ناسككم * بالكرخ بعد التقى الى الفتك
خمش قلبى مقرطق غنج * قد بدّ قلبى به من النسك
رمى فؤادى بسهم مقلته * وكيف يخطى مولد الترك

(وقال كشاجم)

يقولون تب والكأس فى كف شادن * وصوت المثانى والمثالث عالى
فقلت لهم لو كنت أزمعت توبة * وأبصرت هذا كله لبدالى

وقال الحسن

كيف النزوع عن الصبا والكاس * قس ذا التيايا صاحبى بقياس
قالوا كبرت فقلت ما كبرت يدى * عن أن تسير الى فمى بالكاس
والراح طيبة وليس تمامها * الا بطيب خلائق الجلاس
وكأن شاربها لفرط شعاعها * بالليل يكرع فى سنى مقباس
واذا نزعت عن الغواية فليكن * لله ذاك النزع لا للناس

وأضعت الوقار وارتضعت العقار وامتطيت مطا الكميت وتناسيت التوبة تناسى الميت ثم لم أقنع بها ايتكم المرة فى طاعة أبى مرة حتى

(قوله أضعت الوقار) يريد أنه ضيع وقاره فى مجالس اللهو وقد تقدم قوله

وأصفى السرور اذا ما الوقور * أماط ستور الحيا واطرح

(العقار) الخمر لانها عاقرت الدن أى لازمته أو لانها تعقر شاربها بثقل السكر (امتطيت) ركبت (مطا الكميت) ظهر الخمر وورى بفرس أراد انه اعتكف على شربها وسميت كميتا لانها حمراء الى الكمتة و(أبو مرة) كنية ابليس وقد تقدم وقال الحسن

(قوله بمكورة) هى المطوية الخلق من النساء والمستديرة الساقين كما فى القاموس اه

نمت وابليس الى الصبح فى * كل الذى يؤثمنى خصم
رأيته فى الجو مستعليا * ثم هوى يتبعه نجم
فقال لى لما هوى مرحبا * بتائب يتبعه وهم
هل لك فى غيداء بمكورة (٣) * يرتج منها كفل ضخم
فقلت لا قال فنى أغيد * ذى غنة يجرحه اللثم
لست أبا مرة ان لم تعد * فان ذا من فعلك الغشم

وقال فيه وذكر انه قاد له غلاما

دب له ابليس فاقتاده * والشيخ نفاع على لعنته
عجبت من ابليس فى كبره * وخبث ما اضمر من نيته
تاه على آدم فى سجدة * وصار قواد الذريته

وقال سليمان بن الاعمى فى الوليد اخى صريع الغوانى

يأبى السجود له من فرط نخوته * وقد تحول فى مسلاخ قواد

(وقال ابن رشيق يشكر ابليس)

رايت ابليس من مروأته * لكل ما لا يطاق محتملا
اذا هويت امرأ واعجزنى * جاء به فى الظلام معتقلا

تبذلا منه فى حوا لجنا * ولا يزال الكريم مبتذلا

وقال أيضا يلعنه
أرى الشيخ ابليس ذا علة * فلا برئ الشيخ من علته
يقود على الحب مستيقظا * ويأتيك فى الليل فى صورته
فيؤتيك ماشاء من نفسه * ويبلغ ماشاء من لذته
ومن كان ذا حيلة هكذا * تمثل للمرء فى يقظته
فلا تدحروا دونه لعنة * لأن رضا الله فى لعنته

عكفت على الخندريس فى يوم الخميس وبت صريع الصهباء فى الليلة الغراء وها أنا بادى الكآبة لرفض الانابة نامى الندامة لوصل المدامة شديد الاشفاق من نقض الميثاق معترف بالاسراف فى عب السلاف

(قوله عكفت) أى أقمت ولازمت (الخندريس) الخمر القديمة وانما ذكر (يوم الخميس) لانه يوم تعرض فيه الاعمال على الله تعالى واقدام العبد على الذنوب وقت العرض على الله تعالى أكبر خطرا (الصهباء) التى عصرت من عنب أبيض * الاصمعى هى التى تضرب الى البياض من أبيض عصرت أومن غيره (صريعها) الذى صرعته بالسكر يريد أنه بات سكران مطروحا وقال أبو العلاء بن زهر فى سكارى

وموسدين على الاكف خدودهم * قد غالها شرب الصبوح وغالى
مازلت أسقيهم وأشرب فضلهم * حتى سكرت ونالهم ما نالنى
والخمر تعرف كيف تأخذ ثارها * انى أملت اناءها فأمالنى

(الغراء) ليلة الجمعة (رفض الانابة) طرح التوبة والرجوع (نامى الندامة) كثير الندم (بادى الكآبة) ظاهر الانكسار والحزن وسوء الحال * المدام (والمدامة) الخمر سميت بذلك لانها أديمت فى ظرفها (الاشفاق) الخوف (نقض الميثاق) حل العهد (الاسراف) الاكثار (عب) حسو والعب أن يتابع الرجل الجرعة بعد الجرعة بغير تنفس (السلاف) الخمر العتيقة والسلاف والسلافة ماسال منها من غير ان تعصر وهى أفضل الخمر قال الاعشى

ببابل لم تعصر فجاءت سلافة * تخالط قنديدا ومسكا مختما

القنديد الخمر تطبخ و يجعل فيها أفاويه طيب * ونذكر هنا جملة من المقاطيع الخمريات نجعلها خاتمة

(ذكر مقاطيع خمريات)

ماقيل فى الخمر عزم الواثق على الصبوح فقال للحسين بن الضحاك اكتب الى الفتح بن خاقان تدعوه الى الصبوح وكان قد برئ من مرض فكتب اليه

لما اصطحبت وعين اللهو ترمقنى * قد لاح لى باكر فى ثوب لذته
ناديت فتحا وبشرت المدام به * لما تخلص من مكروه علته
ذب الفتى عن حريم الراح مكرمة * اذا رآها امرؤ ضد الخلقته
فاعجل الينا وعجل بالسرور لنا * وخالس الدهر فى أوقات غفلته

فسار واصطبح معه وقال الحسين بن الضحاك دخلت على الحسن بن سهل فى فصل الخريف وقد جاء الوسمى من المطر برش حسن واليوم فى أحسن منظر وأطيبه وهو جالس على سرير آبنوس وعليه قبة فوقها طارقة ديباج أصفر تشرف على بستان وعلى رأسه غلام كأنه دينار فسلمت عليه فرد على السلام ونظر الى كالمستنطق فقلت

ألست ترى ديمة تهطل * وهذا صباحك مستقبل
وهذا المدام وقد راعنا * طلعته الشادن الاكحل
فعادينا وبه سكرة * ثم رب مكر ودماث لى
فانى رأيت له طرة * تحير فى انه يفعل
وقد أشكل العيش فى يومنا * فياحبذا عيشنا المشكل

فقال العيش مشكل فما ترى قلت مبادرة القصف وتقريب الالف قال على شرط أن نبيت فلت لك الوفاء على أن يكون هذا الواقف على رأسك يسقينى فضحك وقال ذلك لك على مافيه ثم دعا بالطعام

والشرب

والشراب ففقدت الغلام ساعة ثم جاء من الحمام فقلت

جوده الحمام عن درة * تلوح فيها عكن بضه
كأنما الرشح على خده * طل على تفاحة غضه
ياليتـه زودني قبلة * أولا فمن جنته عضه

فقال الحسن قد عمل فيك النبيذ فقلت

سقياني وصرفا * بنت حولين قرقفا
واسقيا الاهيف الغريـ * ـر سقى الله أهيفا
بابي ماجن السريـ * ـرة يبدي تعطفا
فاذا رمت ذاك منـ * ـه تأبى وعنفا
فاذا هب للمنا * م فقوما وخففا

فتغاضب الغلام فذهب ثم عاد وقال أقبل على شرابك ثم ناولني قدحا وا الحسن قد خرج فشربت وأعطاني نقلا فقلت اجعل بدله قبلة فأبى فقال له فرج غلام الحسن بحياتي يابني أسعفه بما طلب فضحك ثم دنا مني كأنه يعطيني نقلا وتغافل فاختلست منه قبلة فقال هي حرام فقلت

هون الامر عليه لي فرج * بنأبيه فسقيا لفرج
وبنفسي نفس من قال وقد * كان ما كان حرام وحرج

ثم اشتهر الصبح فخرجت ثم عدت للحسن من غد فقال كيف كان مبيتك يا حسين فقلت

ألفني طيف ظبي الحرم * فواصلني بعدما قد صرم
فغض الجفون على غفلة * وأعرض اعراضة المحتشم
فما زلت أبسطه مازحا * وأفرط في اللهو حتى ابتسم
وحكمني الريم في نفسه * بشئ ولكنه مكتتم

فقال يافاسق أظن ما ادعيته في النوم كان في اليقظة وأصلح الاشياء بنا أن نرحض العار عن أنفسنا بهبته لك فخذه لا بارك الله لك فيه فأخذته وانصرفت وقد تقدم في هذا الكتاب من كلام الحسين مايفوق به كل شاعر وهو القائل

أجرني فاني قد ظمئت الى الوعد * متى ينجز الوعد المؤكد بالعهد
أعيذك من خلف الملوك وقد ترى * تقطع أنفاسي عليك من الوجد
أيبخل فرد الحسن عني بنائل * قليل وقد أفردته بهوى فرد

وهذا منتهى ما أوردته للحسين من العجائب دخل علي بن الجهم على عبد الله بن طاهر في غدوة الربيع وفي السماء غيم رقيق والمطر يجيء قليلا ويسكن قليلا فغاضبته جارية له فانتقض عزمه فخبر ابن الجهم بذلك فاراد تنشيطه فدخل عليه فأنشده

أماترى اليوم ما أحلى شمائله * صحو وغيم وابراق وارعاد
كأنه أنت يامن لاشبيه له * وصل وهجر وتغريب وابعاد
فباكر الراح واشربها معتقة * لم يدخر مثلها كسرى ولا عاد
واشرب على الروض اذ لاحت زخارفه * زهر ونور وأوراق وأوراد
كأنما يومنا فعل الحبيب بنا * بذل وبخل وايعاد وميعاد
وليس يذهب عني كل فعلكم * غي ورشد واصلاح وافساد

فاستحسنها وأمر له بثلثمائة دينار وحمله وخلع عليه وقال علي أيضا

الورد يضحك والاوتار تصطخب * والناي يندب أحيانا وينتحب

والراح تعرض في يوم الربيع كما * تجلى العروس عليها الدر والذهب
وكلما انسكبت في الكاس آونة * حسبت أن شعاع الشمس ينسكب

وقد مر من كلام ابن الجهم كل بديع في نظمه رقيع وآخر شعر قاله وهو أحسن ما قيل في معناه

يا رحمة للغريب في البلد النا * زح ماذا بنفسه صنعا
فارق أحبابه فما انتفعوا * بالعيش من بعده ولا انتفعا
يقول في نأيه وغربته * عدل من الله كل ما صنعا

وكان هجاء لعلي بن أبي طالب وسمعه يوما أبو العيناء يطعن على علي فقال له أنا أدري لم تطعن على علي أمير المؤمنين قال أتعني قصة بيعة أهلي قال لا أنت أوضع من ذلك ولكن لأنه قتل الفاعل قوم لوط وأنت أسفلهما وقال البحتري فيه

اذا ما حصلت عليا قريش * فلا في العير أنت ولا النفير
ولو أعطاك ربك ما تمنى * لزاد الخلق في عظم الايور
علام هجوت مجتهدا عليا * بما لفقت من كذب وزور
أما لك في استك الوجعاء شغل * يكف أذاك عن أهل القبور

وقال ابن القناص كاتب سيف الدولة

قم فاسقني بين خفق الناي والعود * ولا تبع طيب موجود بمفقود
كأسا اذا أبصرت في القوم محتشما * قال السرور له قم غير مطرود
نحن الشهود وخفق الناي خاطبنا * نزوج ابن سحاب بنت عنقود

وقال المصحفي
صفراء تطرق في الزجاج فان سرت * في الجسم دبت مثل صل لادغ
خفيت على شرابها فكأنهم * يجدون ريا في اناء فارغ

ادريس بن اليماني
ثقلت زجاجات أتتنا فرغا * حتى اذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت أن تطير بما حوت * ان الجسوم تخفها الارواح

ابن المعتز
وندمان سقيت الراح صرفا * وأفق الليل مرتفع السجوف
صفت وصفت زجاجتها عليها * كمعنى دق في ذهن لطيف

وله وهو مما يتصل بأبيات الدلك المتقدمة

فاشرب عقارا كأنها قبس * قد سن الدهر [illegible]
ترى الندامى الاريق من دمها * كأنه [illegible]

ولبعضهم
ما زال يشربها وتشرب عقله * خبلا وتؤذن روحه برواح
حتى انثنى متوسدا يمينه * سكرا وأسلم روحه للراح

وقال النظام
ما زلت آخذ روح الزق في لطف * وأستبيح دما من غير مجروح
حتى انثنيت ولي روحان في جسدي * والزق مطرح جسم بلا روح

أخذه أحسن أخذ من بشار حيث قال

شربنا من فؤاد الزق حتى * تركنا الزق ليس له فؤاد

(وقال [illegible])

وقم أنت فاحث كأسها غير صاغر * ولا [illegible]
فقام تكاد الكاس تخضب كفه * [illegible]
موردة من كف ظبي كأنما * [illegible]
فظلنا بأيدينا نتعتع روحها * فتأخذ من أقدامنا الراح ثارها

وقال حبيب وكأس كمعسول المنى شربتها * ولكنها أجلت وقد شربت عقلي
اذا عوتبت بالماء كان اعتذارها * لهيبا كوقع النار بالحطب الجزل
اذا اليد نالتها بوتر توقدت * على ضغنها ثم استقادت من الرجل
وقال الحسن وصفراء قبل المزج بيضاء بعده * كأن شعاع الشمس يلقاك دونها
ترى العين تستعفيك من لمعانها * وتحسر حتى ما تقل جفونها
كأن يواقيتا رواكد حولها * وزرق سنانير تدير عيونها
وللخوارزمي وصفراء كالدينار بنت ثلاثة * شمال واصهار ودهر محرم
مسرة محزون ورعد معربد * وكنز مجوسي وفتنة مسلم
يطوف بها ظبي يريد عيوننا * على عينه من شرط يحيى بن أكثم
وقال مسلم بن الوليد
ابريقنا سلب الغزالة جيدها * وحكى المدير بمقلتيه غزالا
يسقيك من عينيه كأس صبابة * ويعيدها من كفه جريالا
وقال أبو دلامة سقاني أبو بشر من الراح شربة * لها لذة ما ذقتها بشراب
وما طبخوها غير أن غلامهم * مشى في نواحي كرمها بشهاب
فياقوم هل كفارة تعرفونها تباعد من ذنبي وتدني الى ربي
ولما أنشدها على بن الخليل صاح أحرقها العبد أحرقه الله * كان ابن لنكك أسرع الناس سكرا فقال في ذلك فديتك لو علمت ببعض ما بي * لما جرعتني الا بسعط
فحسبك ان كرمافي جواري * أمر ببابه فأكاد أسقط
(قوله فياقوم هل كفارة تعرفونها) انما غير بيت أعرابي أنشده أبو العباس أبياته وهي
فياقوم هل كفارة تعرفونها * تباعد من ذنبي وتدني الى ربي
شكوت فقالت كل هذا تبرما * بحبي أراح الله قلبك من حبي
فلما كتمت الحب قالت لشد ما * صبرت وما هذا بفعل شجي القلب
وأدنو فتقصيني وأبعد طالبا * رضاها فتعتد التباعد من ذنبي
فشكواي يؤذيها وصبري يسوءها * وتجزع من بعدي وتنفر من قربي
فياقوم هل من حيلة تعرفونها * أشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربي
(وقال أبو العبر الهاشمي المتحامق)
أبكي اذا غضبت حتى اذا رضيت * بكيت عند الرضا خوفا من الغضب
فالموت ان غضبت والموت ان رضيت * ان لم يرحني سلو عشت في تعب
وأبو العبر على تحامقه جيد الشعر ومن ذلك قوله
وفي ساعدي ممن تعلقت عضة * تذكرني ذاك الشنيب المفلجا
وآثار خدش في يدي مليحة * أقام عليها القلب مني وعرجا
أما والذي أمسيت أرجو ثوابه * لقد حل ما أخشاه وانقطع الرجا
وله داء دفين وهوى بادي * اظلم مجازيك بمرصاد
ياواحد الامة في حسنه * أشمت في صدك حسادي
عبدك تحيي موته قبلة * يجعلها خاتمة الزاد
ولأعرابي في نحو ما أنشده أبو العباس
سكت فقالت لم سكت عن الحق * وفهت فقالت ما دعاك الى النطق
فأومأت هل من حالة بين ذا وذا * فقالت وذا الايماء أيضا من الحمق

قال أبو زيد فلما حل أنشوطة نفثه وقضى الوطر من اشتكاء بثه ناجتني نفسي يا أبا زيد هذه تهزة صيد فشمر عن يد وأيد فانتهضت من مجثمي انتهاض الشهم وانخرطت من الصف انخراط السهم وقلت أيها الاروع الذى * فاق مجدا وسوددا والذى ينبغى الرشا * دلينجو به غدا ان عندى علاج ما * بت منه مسهدا فاسمها عجيبة * غادرتنى ملددا أنا من ساكنى سرو * ج ذوى الدين (٣٣٦) والهدى كنت ذا ثروة بها * ومطاعا مسودا مربعى مألف الضيو * ف رمالى لهم سدى أشترى الحمد باللها وأقى العرض بالجدا لا أبالى بمنفس طاح فى البذل والندى أوقد النار باليفا ع اذا التكس أخمدا وبرانى المؤملو ن ملاذا ومقصدا لم يشم بارقى صد فانثنى يشتكى الصدى لا ولا رام قابس قدح زندى فأصلدا طالما ساعد الزما ن فأصبحت مسعدا فقضى الله أن يغيـ ير ما كان عوّدا بوّأ الروم أرضنا بعد ضغن تولدا فاستباحوا حريم من صادفوه موحدا وحووا كل ما استبـ د مربهالى وما بدا فتطوحت فى البلا د طريدا مشردا أجتدى الناس بعد ما كنت من قبل مجتدى وترى بى خصاصة أتمنى لها الردى والبلاء الذى به شمل أنسى تبددا استباء ابنتى التى * أسروها التفندى واستبن محتنى ومد [illegible] ان وأجرنى من الزما * ن فقد جار واعتدى وأعنى على فكا * [illegible] فبذى [illegible] * [illegible] تمردا وبه تقبل الانا * بة ممن تزهدا وهو كفارة لمن * راع من عهد [illegible] * [illegible] فاقبل النصح والهدا * ية واشكر لمن هدى واسمع [illegible] بالذى * [illegible]

فلم أرلى اذحات العرب مخلصا * من الشر الا فى المسير الى الشرق

فلما أتيت الشرق ألفيتها به * وقد قعدت لى منه فى أضيق الطرق

وعلى ما تقدم فى وصف الخمر من النظم المستحسن المرغب فى شربها فانه جاء من التحذير فى اماتوجب تركها على أهل التخصيص والفضل من حديث أنس رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان عاد الثانية لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان عاد الثالثة لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فان تاب تاب الله عليه فان عاد الرابعة كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال * ابن الاعرابى طينة الخبال عصارة أهل النار فى النار وعن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال [illegible] الخمر [illegible] (قوله أنشوطة) عقدة سهلة تسميها العامة [illegible] (نفثه) لفظه (الوطر) الحاجة (بثه) حزنه (ناجتنى) حدثتنى (الهزة) الفرصة وما أخذ بلا تعب (أيد) قوة [illegible] تقدمت (مجثمى) موضع قعودى (الشهم) الشديد النفس (انخرطت) اندفعت بسرعة والانخراط [illegible] (الاروع) السيد (فاق) زاد على غيره فى الفضل (علاج) معاناة وطب (مسهدا) [illegible] (ملددا) [illegible] عيناو شمالا من شدة الخوف (ثروة) غنى (مسودا) مقدما [illegible] (مألف) موضع الاجتماع (سدى) مهمل (اللها) العطايا (اليفاع) ما ارتفع من الارض [illegible] أطمأ (المؤملون) الراجون (ملاذ) ملجأ (المقصد) الموضع تقصده [illegible] (صدى) عطش (انثنى) رجع (رام) طلب (قابس) طالب النار (قدح زندى) استخرج [illegible] (أصلد) [illegible] صلدا أى شحيحا (ساعد) وافق (بوّأ) أى أنزل (ضغن) حقد [illegible] (حريم) عيال (موحد) مسلم (حووا) [illegible] (استبد) [illegible] وألقيت بنفسى للهلاك (طريد) [illegible] (مشرد) [illegible] (أجتدى) أسأل (خصاصة) فقر (الردى) الهلاك (شمل) مجتمع (تبدد) تفرق [illegible] (استبن) تحقق وتبين (محتنى) بليتى (جار واعتدى) مال وظلم [illegible] وفك الرقبة [illegible] أسر الرق وكذلك الرهن وفى الحديث أعتق النسمة وفك الرقبة قيل أوليسا واحدا [illegible] لا تعتق [illegible] فى عتقها وفك الرقبة أن تعين فى عتقها [illegible] ابن عباس رضى الله عنهما [illegible] صلى الله عليه وسلم من فدى أسيرا من أيدى العدو فأنا ذلك الاسير [illegible] أى [illegible] (تمرد) أكثر الفساد (الانابة) الرجوع الى الله تعالى (تزهد) ترك الرغبة فى الدنيا (راع) مال (عهد) [illegible] (مرشدا) [illegible] الى الخير (اسمع) جد (بتسنى) [illegible] الفنجديهى كان [illegible] قاضى [illegible] قد تاب من الشرب ثم نقض التوبة وعاد يشرب ثم بعد [illegible] وتاب ورجع الى الله تعالى [illegible] وسأل عن كفارة [illegible] وكان فى [illegible] يزعم أنه من أهل سروج وله بنت مأسورة فى أيدى الافرنج [illegible] بها فأعطاه عشرة دنانير فلما أخذها [illegible]

ابن قطرى فندم على ما أعطاه وساءه وأحزنه ثم ان الحريرى أنشأ هذه المقامة الحرامية فى ذلك فقيل له هى أحسن من مقامات البديع فانشأ أربعين مقامة ثم استزادوه فكملها خمسين (قوله هذرمتى) أى كثرة كلامى (أوهم) أى خيل له (كلمتى) أى قصيدتى (أغراه) أى حرضه (القرم) الشهوة (مواساتى) اعطائى (الكاف) الحب و(الكلف) جمع كلفة وهى ما يتكلف من العمل (رضخ) أعطى (على الحافرة) أى عند ما أكملت كلامى والحافرة أول الامر وقيل ان أصلها فى بيع الفرس ولرفعة الخيل عندهم كان لا يفارق البائع حافر فرسه حتى يأخذ ثمنه (نضح) رفع ونضح الماء فوراته من منبعه (الوافرة) الكثيرة (وكرى) بيتى وأصله للطائر (صوغ المكيدة) صنعة الكيد (سوغ) بلع بسهولة (لوك) مضغ (أبدعك) أى أوجدك وخلقك (استغرب) أى كثر الضحك (مرتبك) مختلط فى كلامه (بيشة) موضع كثير الاسد (المكر) الخديعة (نبا) ارتفع (الطائشة) المدهشة للعقل (تغاير) اختلاف (الاحداث) النوازل (يوذن) يعلم (استحالة) تغير

﴿شرح المقامة التاسعة والاربعين وهى الساسانية﴾

(ناهز) قارب (القبضة) أراد بها ثلاثا وتسعين سنة لانك اذا قيل لك اعقد فى يديك ثلاثا وتسعين قبضت أصابعك كلها وشددت عليها الابهام والمعنى أنه قارب المائة التى ليس فى العيش بعدها منفعة والشعراء يضمنونها أشعارهم اذا وصفوا البخيل بقبض الكف قال الخليل بن أحمد

وكف عن الخير مقبوضة * كما قبضت مائة سبعة

وقال آخر

فتسعون تحفرها ثلاث * يضم حسابها رجل شديد
بكف خرقة جمعت لوجء * بأنكد من عطائك يا يزيد

(وابتزه) سلبه (الهرم) كبر السن (النهضة) القيام الى ما يريد * ودخل هشام بن عبد مناف وقد أسن على فتية من قومه فقاموا اليه اجلالا وأجلسوه فى أرفع موضع فقال بارك الله فيكم ان بنى مرة كانوا اذا شاخ عندهم الرجل قيدوه وقالوا له ثب فان وثب أحبوه وقالوا فيك بقية وان لم يثب قالوا ليس فى هذا منفعة فقتلوه وقال ابن الرومى

لو أن عمرى مائة هدنى * تذكرى أنى تنصفتها
لهفى على خمسين عاما مضت * كانت أمامى ثم خلفتها

(استجاش) استجمع وحشد (الفناء) ما حول الدار و(الفناء) بالفتح الموت (الكتيبة) الجيش (وكبشها) رئيسها وحاميها والذى كانت العصا تقرع له عامر بن الظرب العدوانى حكم العرب فى الجاهلية ولما أسن كان يزل فى حكمه وكانت له بنت حكيمة فامرها أن تقعد وراء ستره فاذا أنكرت منه شيأ قرعت له العصى فتى سمع صوت قرعها علم أنه زل فرجع وقيل قرعت لاكثم بن صيفى وقيل لسعد بن مالك الكنانى وقيل لعمرو بن حممة الدوسى * وخطب صعصعة بن معاوية الى عامر بن الظرب بنته عمرة وهى أم عامر بن صعصعة فقال يا صعصعة انك تشترى منى كبدى فارحم ولدى قبلتك أورددتك والحسيب الرجل الصالح أبا بعد أب وقد أنكحتك خشية أن لا أجد مثلك أفر من السر الى العلانية يا معشر عدوان أخرجت من بين أظهركم كريمتكم من غير رهبة أقسم لولا قسمة الحظوظ على الجد ودما ترك الاول للآخر ما يعيش به وفيه يقول المتلمس

لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا * وما علم الانسان الا ليعلما

وهو أول من جلس على المنبر وتكلم وفيه يقول الاسود بن يعفر

ولقد علمت لو ان علمى نافع * ان السبيل سبيل ذى الاعواد

قال الاصمعى نزلت عدوان ماء فاحصى عليه سبعون ألف غلام أغرل سوى من كان مختونا لكثرتهم ثم وقع بأسهم بينهم فتفانوا فقال ذو الاصبع العدوانى

ورغبه الكلف بحمل الكلف فى مواساتى فرضخ لى على الحافرة ونضح لى بالعدة الوافرة فانقلبت الى وكرى فرحا بنجح مكرى وقد حصل من صوغ المكيدة على سوغ الثريدة ووصلت من حول القصيدة الى لوك العصيدة (قال الحرث بن همام) فقلت له سبحان من أبدعك فما أعظم خدعك واخبث بدعك فاستغرب فى الضحك ثم أنشد غير مرتبك

عش بالخداع فانت فى
دهر بنوه كأسد بيشه
وأدر قناة المكر حتى
تستدير رحى المعيشه
وصد النسور فان تعذ
ذر صيدها فقنع بريشه
واجن الثمار فان تفتـ
ـك فرض نفسك بالحشيشه
وأرح فؤادك ان نبا
دهر من الفكر المطيشه
فتغاير الاحداث يو
ذن باستحالة كل عيشه

﴿المقامة التاسعة والاربعون الساسانية﴾

(حكى الحرث بن همام) قال بلغنى أن أبا زيد حين ناهز القبضة وابتزه قيد الهرم النهضة أحضر ابنه بعدما استجاش ذهنه وقال له يا بنى انه قد دنا ارتحالى من الفناء واكتحالى بمرود الفناء وأنت بحمد الله ولى عهدى وكبش الكتيبة الساسانية من بعدى ومثلك لا تقرع له العصا

ولا ينبئه بطرق الحصى
ولكن قد ندب الى الاذكار
وجعل صيقلا للافكار وانى
أوصيك بما اوصى به شيث
الانباط ولا يعقوب
الاسباط فاحفظ وصيتى
وجانب معصيتى واحذ
مثالى واقفه أمثالى فانك
ان استرشدت بنصحى
واستصبحت بصبحى أمرع
خانك وارتفع دخانك
وان تناسيت سورتى
ونبذت مشورتى قل رماد
اثافيك وزهد أدانيك ورهطك
فيك يا بنى انى جربت
حقائق الامور وبلوت
تصاريف الدهور فرأيت
المرء بنشبه لا بنسبه
والفحص عن مكسبه
لا عن حسبه وكنت سمعت
أن المعايش امارة وتجارة

عذير الحى من عدوا * ن كانوا حية الارض
بغى بعض على بعض * فلم يبقوا على البعض
ومنهم من يجيز النا * س بالسنة والفرض
ومنهم حكم يقضى * ولا ينكر ما يقضى

الحكم عامر بن الظرب والذى كان يجيز الناس فى الحج منهم رجل كان يسمى أبا سيارة أجاز الناس على حمار له أسود من المزدلفة الى منى أربعين عاما فقيل فى المثل أصح من عير أبى سيارة وكانت اجازته أن يقول اللهم حبب بين نسائنا وبغض بين رعائنا واجعل المال فى سمحائنا أوفوا بعهدكم واكرموا جاركم واقروا ضيفكم ثم يدفع فيقول

خلوا الطريق عن أبى سياره * وعن مواليه بنى فزاره * حتى يجيز سالما حماره

ثم يقف فيقول أشرق ثبير كيما نغير وكانت الاجازة قبلهم فى خزاعة فعلتهم عليها عدوان ولا تقرع له العصا مثل يضرب لمن وافق صاحبه وساواه * ولما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها قال عمها مثل محمد لا تقرع له العصا وأصل ذلك أن الناقة الكريمة اذا أتاها فحل غير كريم منعوه عنها وقرعوا بعصا على أنفه وفى المثل ان العصا قرعت لذى الحلم (قوله ولا ينبئه بطرق الحصا) كانت العرب اذا أرادت اختبار الرجل هل يصلح للسفر والغارة ترك الرجل صاحبه حتى ينام ويأخذ حصاة فيرمى بها الى جانبه فان انتبه توقى به * وخرج أبو كبير الهذلى ومعه تأبط شرا للغارة فلما جن الليل أووا الى موضع فيه امرأة فتركه أبو كبير حتى اذا رمى الى جنبه بحصاة ساعة مست الارض وثب ثم عاد الى نومه ففعلها ثلاثا فكان ينتبه لوقع حجارته ويقول ما هذا رامها فلا يجد الا أبا كبير نائما فقال له عند الثالثة والله لئن عدت لاقتلنك فعلم أنه امتنع على مثل هذا غيرك فضحك أبو كبير وقال أردت اختبارك ثم ذكر القصة فى قصيدته التى يقول فيها

واذا رميت له الحصاة رأيته * ينزو لوقعتها انتزاء الاجدل

يريد أنه كان فوق هذا فى ذكاء القلب وهو كأنه منتبه أبدا وطرق الحصى أيضا من فعل الكهان يأخذ الكاهن حصيات فيضرب بها الارض وينظره ما يخبر بالمغيبات وتوصف بذلك تكذيبا ومرض (الاذكار) التذكير عما يفعل (الافكار) الاذهان (شيث) هو ولد آدم عليه السلام وكان أجل بنيه وأحبهم اليه وهو وصى أبيه واليه ترجع الانساب وقال صلى الله عليه وسلم أربعة من الانبياء سريانيون آدم وشيث وادريس وهو اخنوخ ونوح وأنزل الله تعالى على شيث خمسين صحيفة وقال بقية بن ارطاة بلغنى ان حواء حملت شيث الرماحى حتى أنبت أسنانه وكانت تنظر الى وجهه من صفائه فى بطنها وهو الثالث من ولد آدم وانه لما حضرها الطلق أخذها عليه شدة فلما نبذت به فلفته وجاءته أخذته الملائكة فمكث معهم أربعين يوما وعلمته المهن ثم ردوه الى امه [illegible] (الانباط) قيل سموا أنباطا لاستنباطهم الماء واستخراجهم المياه وهم من ولد يافث بن نوح ولا يصح على هذا أن يوصيهم شيث لانه من ولد شيث ومن يافث [illegible] الجوهرى النبيط والنبط قوم كانوا ينزلون بالبطائح بين العراقين [illegible] ابن دريد النبط جيل من الناس معروف وهم النبط والانباط و(الاسباط) [illegible] ومنهم تشعبت قبائل بنى اسرائيل والاسباط فى ولد يعقوب كالقبائل [illegible] (احذ مثالى) أى امش على طريقى واعمل بفعلى (استرشدت) [illegible] (استصبحت) [illegible] (أمرع) أخصب (الخان) الفندق وهذا مثل لرواء العيش (قلت رماد أثافيك) [illegible] لم يرغب (بلوت) اختبرت (النشب) المال (الفحص) البحث [illegible] قال قال لى المأمون الناس أربع طبقات بين امارة وتجارة وزراعة وصناعة فمن لم يكن منهم كان

كلاعلينا (مارست) خالطت (أحمدت) صادفتها محمودة (استرغدت) استكثرت (فرص) نهز
والنهزة والفرصة ما يحضرك من الفوائد من غير أن تتعب في طلبها فان فوتها ولم تغتنم أخذها فاتتك
فربما تتعب غاية التعب في طلبها فلا تظفر بها الجوهري الفرصة النوبة والشرب يقال وجد فلان
فرصة أي نهزة وجاءت فرصتك من الشئ أي نوبتك (خلس) جمع خلسة وهي كالخطف وشبهه يريد
أن الامير كأنه اختلس ايامه أي اختطفها لقصر مدتهم ويقال الخلسة فرصة و(اضغاث الاحلام)
باطيلها التي لا يصح تأويلها لاختلاطها والضغث كل ما كان مختلطا لا حقيقة له والحلم الرؤيا والجمع
احلام * ويقال هذا رجل ناهيك من رجل ونهيك من رجل أي انه بجدة وغنايه ينهاك عن تطلب
غيره فناهيك كافيك (الغصة) ما يختنق به (الفطام) قطع الرضاعة عن الصبي وفي الكلام
معنى التعجب كأنه قال ما أنكد غصة العزل على أهل الولايات والعزل للولاة كالحيض للنساء
و(البضائع) الاموال يتجر فيها (عرضة للمخاطرات) أي معرضة للضرر والسلب وفلان عرضة
لكذا أي نصب وهو له عرضة أي يتعرض له دونه وهذا عارضة لك أي عدة وقال المفسرون في قوله
تعالى عرضة لايمانكم أي علة لها وسببا أو متخذا لذلك وأصل العرضة الدابة تتخذ للسفر لقوتها ثم جعل
كل ما صلح للشئ عرضة له حتى قيل المرأة عرضة للزوج * والطعمة المأكلة وهذه الضيعة طعمة
لفلان والطعمة أيضا وجه المكتسب (طعمة للغارات) يريد أن قطاع الطرق يسلبون أموال
التجار أبدا فأرزاقهم معرضة للتلف (التصدي) التعرض (منهكة) مذلة وسبب نهك وهو الجهد
والضعف ونهكته الحمى وانهكته اذا جهدته وأضنته ونقصت لحمه ونهكه السلطان عقوبة بالغ في
عقوبته (روح بال) راحة قلب (عائقة) حابسة (الارتكاض) الجري والتصرف وهذه مشاهدة من
أحوال أهل الحرث وقال صلى الله عليه وسلم حين رأى السكة ما دخلت قط دار قوم الا ذلوا وقال
صلى الله عليه وسلم في الامارة ستحرصون على الامارة ثم تكون حسرة وندامة فنعمت المرضعة
وبئست الفاطمة و(الحرفة) الصنعة (فاضلة) زائدة (معصوب) مربوط والعصب الفتل الشديد
يريد أن الصنعة ينتفع بها ما دام صاحبها شابا قويا فاذا شاخ لم يقدر على الانتفاع بها (قوله بارد المغنم)
أي سهل منه وهو الذي يؤخذ بغير قتال (ساسان) شيخ المكدين والغربا وهم بنو غبراء و(الغبراء)
الارض وسموا بني غبراء لقطعهم جهات الارض وجولانهم في البلدان فكأنهم ليس لهم أصل
ينتسبون اليه الا الارض وقيل سموا بذلك للزومهم اغبراء الارض وهو وجهها وترابها والرقاد فيها
فيغبرون بذلك ويتغيرون * وكان الاحنف العكبري وهو أبو الحسن عقيل بن العكبري فصيحا شاعرا
وذكر الصاحب فيه فصلا وهو ولو أنشدتك ما أنشدنيه الاحنف العكبري وهو فرد بني ساسان اليوم
في مدينة السلام في الفصاحة وحسن الطريقة في الشعر لامتلأت تعجبا من ظرفه واعجابا بنظمه
ومن افتخاره قوله

على اني بحمد الله في بيت من المجد
واخواني بنو ساسا * ن أهل الجد والجد
لهم أرض خراسان * فقاسان مع السند
اذا ما أعوز الطوف * على الطراق والجند
حذارا من أعاديهم * من الاعراب والكرد
قطعنا ذلك النهج * بلا سيف ولا غمد
ومن خاف أعاديه * بنا في الروع يستعدي

ففي هذا البيت معنى بديع يريد ان ذوي الثروة وأهل الفضل اذا وقع أحدهم في أيدي العداة وأراد
التخلص قال أنا مكد فبنى الحريري هذا الموضع من مقامته على شعر الاحنف وأكثر هذه المقامة
مأخوذ من ملحه ومن هذا الشعر

وزراعة وصناعة فمارست
هذه الاربع لانظر أيها
أرفق وانفع فما احمدت
منها عيشة ولا استرغدت
فيها عيشة اما فرص الولايات
وخلس الامارات فكاضغاث
الاحلام والفيء المنتسخ
بالظلام وناهيك غصة
بمرارة الفطام وأما بضائع
التجارات فعرضة
للمخاطرات وطعمة
للغارات، وما أشبهها
بالطيور الطيارات وأما
اتخاذ الضياع والتصدي
للازدراع فمنهكة للاعراض
وقيود عائقة عن
الارتكاض وقلما خلا ربها
عن اذلال أو رزق روح بال
وأما حرف أولي الصناعات
فغير فاضلة عن الاقوات
ولا نافقة في جميع الاوقات
ومعظمها معصوب بشبيبة
الحياة ولم أر ما هو بارد
المغنم لذيذ المطعم وافي
المكسب صافي المشرب
الا الحرفة التي وضع ساسان
أساسها ونوع اجناسها

وأضرم في الخافقين نارها وأوضح لبني غبراء منارها فشهدت وقائعها معلما واشتهرت سماها ميسما اذ كانت المصر الذي لا يبور والمنهل الذي لا يغور والمصباح الذي يعشو اليه الجهور ويستصبح به العمي والعور وكان أهلها أعز قبيل وأسعد جيل لا يرهقهم حيف ولا يقلقهم سل سيف ولا يخشون حمة لاسع ولا يدينون لدان ولا شاسع ولا يرهبون ممن برق ورعد ولا يحفلون بمن قام وقعد نديهم مرهوة وقلوبهم مرفهة وطعمهم معجلة وأوقاتهم غير محيلة أينما سقطوا لقطوا وحيثما انخرطوا خرطوا لا يتخذون أوطانا ولا يتقون سلطانا ولا يمتازون عما تغدو خماصا وتروح بطانا فقال له ابنه يا أبت لقد صدقت فيما نطقت ولكنك رتقت وما فتقت فبين لي كيف أقتطف ومن أين تؤكل الكتف فقال يا بني ان الارض كاس ابانها والنشاط جلبابها والفطنة مصباحها والقحة سلاحها فكن أجول من قطرب

وقالوا قد سلا عنك * وقد حال عن العهد
ولا والله ما حلت * ولكن قل ما عندي

ومن شعره

عش في ذلة وقلة مال * واغتراب في معشر أنذال
بالأماني أحول لا بالمعالي * فعدائك حلاوة الآمال
لي رزق يقول بالوقف في الحا * ل ورزق يقول بالاستقبال

(وله)

العنكبوت بنت بيتا على وهن * تأوي اليه وما لي مثله وطن
والخنفساء لها من جنسها سكن * وليس لي مثلها الف ولا سكن

(وله)

ترى العقبان كالذهب المصفى * تركب فوق أعناق الدواب
وكم [illegible] * ما دام في العمر [illegible]

(وله)

رأيت [illegible] * مثل العروس [illegible]
فقلت [illegible]

(قوله أضرم) أي أوقد (الخافقين) المشرق والمغرب (أوضح) [illegible] (معلما) مشهورا (سيما) علامة [illegible] (المنهل) موضع الماء (يغور) [illegible] (الجيل) أهل العصر (يرهقهم) [illegible] الصرب [illegible] ولساع أي [illegible] (برق ورعد) هدد [illegible] (أنديتهم) مجالسهم [illegible] (لقطوا) جمعوا [illegible] بالطير [illegible] على الله حق توكله لرزقكم كما [illegible] وهو حديث [illegible] (من أين تؤكل الكتف) [illegible] تؤكل الكتف [illegible] الكتف [illegible] (قطرب) دويبة تجول الليل كله [illegible] ولأبي عمرو وغيره

يرو يه أسعى من قطرب لا أسهر و يقول هو دو يبة لا تستقر بالنهار و يحتج بقول ابن مسعود لا أعرفن أحد كم جيفة ليل قطرب نهار وقطرب اسم رجل مشهور وهو ابن المستنير صاحب المثلث وكان من أهل العربية يجلس لسيبو يه يناظره فلما رآه سيبو يه قد احتد بالسؤال قال انك لقطرب ليل فسمى بذلك والقطرب أيضا ذكر الغيلان ابن ظفر ذكر من يعول عليه أنه حيوان يكون بالصعيد من أرض مصر يظهر للمنفرد من الناس فربما صدّه عن نفسه اذا كان شجاعا والا لم ينته حتى ينكحه فاذا نكحه تدوّد دبره وهلك قال وهم اذا رأوا من ظهر له القطرب قالوا أمنكوح أم مروع فان قال منكوح يئسوا منه وان قال مروع سكنوه وعالجوه قال فقد رأيت أهل مصر وما بين يديها وما خلفها وتحققت أهل صعيدها والعربان وهم مستوون في الجهل بهذا الحيوان ومختلفون الاختلاف الشديد في فعله وصورته الا أن أهل مصر أكثر لهجا به والقطارب أيضا صغار الكلاب (قوله أسرى) أى أمشي بالليل (الجندب) ذكر الجراد وقيل هي دويبة تشبه الجراد ذات جناحين فلا تزال ترمح ولفظ المثل أسرى من جراد (مقمر) لاعب في القمر (وأنشط) أخف والظبي يأخذه النشاط في الليلة المقمرة فيلعب (متمر) متشبه بالنمر وهو سبع مؤذ (جدلك) حظك (اقرع) اضرب (رعيك) أكلك وأراد بباب رعيك الذي يجيئك منه الرزق (ألق دلوك الى كل حوض) لفظ المثل ألق دلوك في الدلاء يضرب في بذل الجهد في اكتساب المال والحث عليه وهو كما قال الشاعر

وليس الرزق عن طلب حثيث * ولكن ألق دلوك في الدلاء

تجئك بملئها طورا وطورا * تجئك بحمأة وقليل ماء

(قوله فقد كان مكتوبا على عصا شيخنا ساسان) * الفنجديهي قرأت في بعض الفوائد أنه كان مكتوبا على عصا ساسان المكدى الكسل شؤم والتمييز مذموم والحركة بركة والتوانى هلكة وكلب طائف خير من أسد رابض ومن لم يعترف لم يعتلف (جال) تصرف ومشى في البلاد (نال) أدرك حاجته (عنوان) دليل (النحوس) جمع نحس وهو ضد السعد (ذوى البوس) أهل الفقر (لقاح المتعبة) أى أصلها وسببها (شيمة) طبيعة وكذلك (الشنشنة * الوكلة التكلة) هو العاجز الذي يكل أمره غيره ويتكل عليه فيه (اشتار) حرك واستخرج (الراحة) الاولى الكف والثانية ضد التعب (الاقدام) الجراءة (الضرغام) الاسد (والجراءة) الشجاعة و(الجنان) القلب و(الحظوة) المنزلة الرفيعة و(الثروة) الغنى (صنو) أخ (الفشل) الضعف والحيرة يريد أن فزع النفس وضعفها يخيب الامل والرجاء وقال معاوية الهيبة مقرون بها الخيبة (أبو زاجر) هو الغراب سمى بذلك لان العرب تزجر به وتتشاءم وتقدم ذلك * ومن وصيته لولده على ألسنتهم قالوا قال الغراب لابنه يا بنى اذا رميت فتلوص أى تلوّى فقال يا أبت أنا أتلوص قبل ان أرمى وقال لابنه وقد رأى رجلا فوق سهما يا بنى اتئد حتى تعلم ما يريد الرجل فقال يا أبت الحذر قبل ارسال السهم (وأبو الحرث) الاسد كنى بذلك لاحترائه أى لاكتسابه بقوته (وأبو قرة) الحرباء كنى بذلك لان البرد لا يفارقه فالحرباء تدور ولذلك مع الشمس حيثما دارت وتقدم حزامتها وهي أنها لا تفارق ساق الشجرة حتى تمسك ساق الاخرى (وأبو جعدة) كنية الذئب وهي كنية بالضد لان جعدة عندهم الشاة ولما كان الذئب يقتلها حيث وجدها جعلوه أباها بضد ما يفعل الاب الذي لا يقال له أب الا لوجود الرحمة عنده على بنيه ونحوها قولهم للاسود أبو البيضاء (والختل) المكر (وأبو عقبة) الخنزير ومن حرصه أنه يمشي بالليل وبالاسحار لطلب ما يأكل ويستتر بالنهار حرصا على السلامة (وأبو وثاب) الظبي وكنى بذلك لسرعة وثبه (وأبو الحصين) الثعلب وهو أكثر الحيوان مكرا ومن بعض مكره انه اذا رأى العلبة تماوت فلا تشك في انه ميت واذا وقع له غير عارف تركه فما يمر يسيرا حتى يقوم فارا وتحصينه بصل العنصل من الذئب لان الذئب لا يطؤه في زعم قوم وقالوا ان الضبع صادت ثعلبا فقالت أخبرك يا ثعلب بين خصلتين فقال ماهما

وأسرى من جندب
وأنشط من ظبى مقمر
وأسطا من ذئب متمر
واقدح زند جدك بجدك
واقرع باب رعيك بسعيك
وجب كل فج ولج كل لج
وانتجع كل روض وألق
دلوك الى كل حوض لا
تسأم الطلب ولا تمل الا أب
فقد كان مكتوبا على عصا
شيخنا ساسان من طلب
جلب ومن جال نال واياك
والكسل فانه عنوان
النحوس ولبوس ذوى
البوس ومفتاح المتربة
ولقاح المتعبة وشيمة
العجزة الجهلة وشنشنة
الوكلة التكلة وما اشتار
العسل من اختار الكسل
ولا ملأ الراحة من
استوطأ الراحة وعليك
بالاقدام ولو على الضرغام
فان جراءة الجنان تطلق
اللسان وتطلق العنان وبها
تدرك الحظوة وتملك الثروة
كما أن الخور صنو الكسل
وسبب الفشل ومبطأة
للعمل ومخيبة للامل
ولهذا قيل في المثل من
جسر أيسر ومن هاب خاب
ثم ابرياني في بكور أبي زاجر
وجراءة أبي الحرث وحزامة
أبي قرة وختل أبي جعدة
وحرص أبي عقبة ونشاط
أبي وثاب ومكر أبي الحصين

فقالت اما أن آكلك واما أن أكلك فقال لها الثعلب أما تذكرين يوم نكستك فقالت متى فانفتح فوها وانفلت الثعلب فذكروا ذلك مثلا وقالوا اضرب عليه خصلتى الثعلب وقالوا ان الثعلب اطلع فى بئر وهو عاطش وعليها رشاء فى طرفيه دلوان فقعد فى الدلو العليا فانحدرت فشرب فجاء الضبع فاطلعت فى البئر فأبصرت القمر فى الماء منتصفا والثعلب قاعد فى قعر البئر فقالت له ما تصنع هنا فقال انها انى أكلت نصف هذه الجبنة وبقى نصفها لك فانزلى فكليها فقالت وكيف أنزل قال تقعدين فى الدلو فقعدت فيها فانحدرت وارتفع الثعلب فى الدلو الاخرى فلما التقيا فى وسط البئر قالت له ماهذا قال كذا التجار تختلف فضربت بهما العرب المثل فى المختلفين وأوصاف مكره كثيرة و (أبو أيوب) الجمل سمى بذلك لانه أصبر الدواب على العطش والجوع وقطع الاشهر بالسير المتصل ونقل الاوقار ومهما كان به شئ من قوة تجلد فاذا وقف علم انه ليس فيه بقية ينتفع بها و (أبو غزوان) الهر وغزوه اشتهر وخشاش الارض ولطفه يظهر فى تحاوله لتصيد الفار واذا قدمت المائدة قرب منها وأخذ يتلطف فى صياحه ويتضرع ويحتك بالمائدة أو بالآكل حتى يعطى و (أبو براقش) طائر أغبر أوسطه أحمر واذا انتفض تلون ألوانا * أخذ الحريرى هذا الفصل من كلام العلماء قولوا ابن آدم هو العالم الكبير الذى جمع الله تعالى له لم كله فيه وكان فيه بسالة الاسد وصبر الجمل وحرص الخنزير وحذر الغراب وروغان الثعلب وضرع السنور وحكاية القرد وجبن الصقر قيل لرجل من كبار العلماء وكان بليدا سريع النسيان فى ابتداء تعلمه بم أدركت العلم مع ما ذكرت وكان شاعرا قال بكور كبكور الغراب وصبر كصبر الجمل وحرص كحرص الخنزير (قوله الخلاب بصوغ اللسان) أى الخدع به الكلام قول ابن كاسة الشاعر كنت أسكن الكلام فلوى يجد سامعه الا التحسن الذى فى وجه أمه فى الله بتعالى ليسه حتى يخرجه ويهديه الى وأنا اليوم أتحدث بذلك الحديث بعينه فما أرجعه حتى أهيئه وتدارى (وارتد) أى اطلب و (الجلب) ما يجلب الى السوق للبيع (امتر) امسح و بتعلل ان الضرع لانه يدر لبنه (المنتجع) موضع العشب أراد به موضع طلب الرزق (دمث) لين (المصطجع) المحل واسهل وقال فى الدرة ويقولون شحات بالتاء وصوابه بالذال لان اشتقاقه من شحذت السيف اذا بالغت فى احداده فكأن الشحاذ هو الملح فى المسئلة المبالغ فى طلب الصدقة (بصيرتك) فطنتك (العيافة) زجر الطير (أنعم) بالغ (القيافة) الاستدلال على الولد وذلك أن ينظر خلقته وسمته فيشبهه بأبيه (توسمه) نظره (الفراسة) الحكم بحالات الشئ على ما يكون منه فى المستقبل (الدل) التدليل (والدل) والدلال بمعنى واحد (العل) الشرب بعد الشرب و (راغبا عنه) تاركا له (النقير) حفرة فى ظهر نوى التمر ومنها تنبت النخلة (تقنط) تيأس (روح الله) رزقه ولبعضهم فى هذا المعنى

سيفتح باب اذا سد باب * نعم وتلين الامور الصعاب
ويتسع الحال من بعدما * تضيق المذاهب فيه الرحاب
مع العسر يسران هون عليك * فلا اليسر دام ولا الاكتئاب
اذا احتجب الناس من سائل * فما دون سائل ربى حجاب

آخر

عسى فرج يأتى به الله انه * له كل يوم فى خليقته أمر
اذا اشتد عسر فارج يسرا فانه * قضى الله أن العسر يتبعه يسر

آخر

فلا تجزع اذا أعسرت يوما * فقد أيسرت فى زمن طويل
ولا تيأس فان اليأس كفر * لعل الله يغنى عن قليل
وان العسر يتبعه يسار * وقول الله أصدق كل قيل
ولا تظنن بربك ظن سوء * فان الله أولى بالجميل

(قوله ذرة) كناية عن الشئ القليل (درة) جوهرة (آفات) جوائح (وللعزائم بدوات) يريد ان

وصبر أبى أيوب وتلطف أبى غزوان وتلون أبى براقش وحيلة قصير ودهاء عمرو ولطف الشعبى واحتمال الاحنف وفطنة اياس ومجانة أبى نواس وطمع أشعب وعارضة أبى العيناء واخلب بصوغ اللسان واخدع بسحر البيان وارتد السوق قبل الجلب وامتر الضرع قبل الحلب وسائل الركبان قبل المنتجع ودمث لجنبك قبل المصطجع واشحذ بصيرتك للعيافة وأنعم نظرك للقيافة فان من صدق توسمه طال تبسمه ومن أخطأت فراسته طالت فريسته وكن يا بنى خفيف الكل قليل الدل راغبا عن العل قانعا من الوبل بالطل وعظم وقع الحقير واشكر على النقير ولا تقنط عند الرد ولا تستبعد رشح الصلد ولا تيأس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون واذا خيرت بين ذرة منقودة ودرة موعودة فل الى النقد وفضل اليوم على الغد بان للتأخير آفات وللعزائم بدوات وللعدات معقبات

و بينها و بين النجاز عقبات وأى عقبات وعليك بصبر أولى العزم وزفق ذوى الحزم وجانب خرق المشتط وتخلق بالخلق السبط وفيما
الدرهم بالربط وشب البذل بالضبط ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ومتى نبا بك بلاد
أو نابك فيه كمد فبت منه أملك واسرح عنه جمالك فخير البلاد ما حملك ولا تستثقلن الرحلة ولا تكرهن النقلة فان أعلام شريعتنا وأشياخ عشيرتنا أجمعوا على ان الحركة بركة والطراوة سفتجة وزروا على من زعم أن الغربة كربة والنقلة مثلة وقالوا هي تعلة من اقتنع بالرذيلة ورضي بالحشف وسوء الكيلة واذا أزمعت على الاغتراب وأعددت له العصا والجراب فتخير الرفيق المسعد من قبل أن تصعد فان الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق خذها اليك وصية

لم يوصها قبلي أحد
غراء حاوية خلا
صات المعاني والزبد
نقحتها تنقيح من
محض النصيحة واجتهد
فاعمل بما مثلته
عمل اللبيب أخي الرشد
حتى يقول الناس هـ
ذا الشبل من ذاك الاسد

ثم قال يا بني قد أوصيت واستقصيت فان اقتديت فواهاً لك وان اعتديت فآهاً منك والله خليفتي عليك وأرجو أن لا تخالف ظني فيك فقال له ابنه يا أبت لا وضع عرشك ولا رفع نعشك فلقد قلت سددا وعلمت رشدا ونحلت ما لم ينحل الولد والدا ولئن أمهات بعدك لا ذقت فقدك فلا تأدبن بآدابك الصالحة ولا اقتدين بآثارك الواضحة حتى يقال ما أشبه الليلة بالبارحة والغادية بالرائحة فاهتز أبو زيد لجوابه وابتسم وقال من أشبه أباه فما ظلم (قال الحرث بن همام) فأخبرت ان بني ساسان حين سمعوا

الانسان يعزم على فعل الشئ في وقت ثم يبدو له أن لا يفعله (النجز) تعجيل قضاء الحاجة وقد قدم مثل هذا المعنى عند قوله * وبع آجلا منك بالعاجل (المشتط) المتجاوز القدر في محاولته و (الخرق) ضد الرفق (السبط) السهل (شب) اخلط (البذل) العطاء و (الضبط) الحبس قال أبو حاتم الداري دخلت مع أبي مدينة السلام فرأيت رجلا واقفا على الطريق يلعب بحية ويقول من يهب لي درهما حتى أبتلع هذه الحية فالتفت الى أبي وقال يا بني احفظ دراهمك من أجلها تبلع الحيات (مغلولة) محبوسة أي لا تكن شحيحا ممسكا ولا كريما متلفا (نابك) نزل بك (كمد) حزن (بت) اقطع (أملك) أي رجاءك (اسرح عنه) أي أزله وسرحه بالمشي الى غيره (الرحلة) الارتحال (النقلة) الانتقال (أعلام شريعتنا) مشايخ طريقتنا (الطراوة) أن يطرأ على بلد غيره (السفتجة) ما أنالك بغير تكلف ولا مشقة وهي عند أهل المشرق أن يأخذ الرجل الدراهم والدنانير فيعطيها صاحبه و يقول احملها الى معك لأمن طريقك أو لمنعتك الى بلد كذا فادفعها الى ثم فان طريقي غير آمن من اللصوص قال مالك رضي الله تعالى عنه ان قصد بها المنفعة لم يجز لانه سلف جر منفعة فيقول الطراوة على الناس كالسفتجة ترغب لك في أخذ الدراهم وقد يكون منك تمنع عن أخذها (زروا) عابوا (كربة) هم وقال من ذم السفر الغربة كربة والنقلة مثلة والغريب كالغرس الذي زايل أصله وفقد شربه فهو ذاو لا يثمر وذابل لا ينضر اذا كنت في غير بلدك فلا تنس نصيبك من الذل (تعلة) عذر (الرذيلة) الدون من كل شئ (الحشف) الردئ من التمر (الكيلة) الهيئة ومعناه أنه اجتمع عليه عيبان تمر فاسد وكيل ناقص (أزمعت) عزمت (الاغتراب) الجولان والغربة (الجراب) الوعاء للزاد (المسعد) الموافق القابل الخلاف (تصعد) ترتفع وتخرج (الجار قبل الدار) يقول لا تشتر دارا حتى تعلم من جيرانك وكفى الجار أن قال صلى الله عليه وسلم في حقه مازال جبريل يوصيني بالجار حتى خفت ان يورثه وقال الزاهد بن عمران

لتعن بالجار قبل الدار تسكنها * لا خير في الدار ما لم يحمد الجار
الجار ان غبت عن أهل وعن وطن * نعم الخليفة هم أهل وانصار

والجار المساعد أحسن من القرابة ويروى أن رجلا كان جارا لابي دلف ببغداد فادركته حاجة وركبه دين فادح حتى احتاج الى بيع داره فساوموه فيها فسمى لهم ألف دينار فقالوا له ان دارك تساوي خمسمائة دينار فقال أبيع داري بخمسمائة وجوار أبي دلف بخمسمائة فبلغ أبا دلف الخبر فامر بقضاء دينه ووصله وقال لا تنتقل من جوارنا فانظر كيف صار الجوار يباع كما يباع العقار وقال الشاعر

يلومونني أن بعت بالرخص منزلي * ولم يعلموا جارا هناك ينغص
فقلت لهم كفوا الملام فانما * بجيرانها تغلو الديار وترخص

(غراء) ظاهرة حسنة (حاوية) جامعة (خلاصات) جمع خلاصة وهو الذي يتخلص من الشئ ويصفو منه و (الزبد) جمع زبدة اللبن (نقحتها) هذبتها (محض) أخلص (اللبيب) العاقل (أخي الرشد) صاحب الرشد (الشبل) ولد الاسد (اقتديت) اتبعت وصيتي (واها) عجبا (اعتديت) ظلمت (آها) كلمة معناها التوجع (عرشك) سريرك والمعنى أنه يدعو له بالبقاء (سددا) صوابا (نحلت) أعطيت (الواضحة) البينة (الغادية) السحابة تأتي بالغدو و (الرائحة) بالعشي قال الفراء النحوي (من أشبه أباه فما ظلم) مثل أخذه الناس من قول كعب بن زهير

هـذى الوصايا الحسان فضلوها على وصايا لقمان وحفظوها كما تحفظ ام القرآن حتى انهم ليرونها الى الآن أولى بالقنوه
الصبيان وأنفع لهم من نحلة العقيان *(المقامة الخمسون البصرية)* (حكى الحرث بن همام) قال اشعرت فى بعض الايام
همابرح بى استعاره ولاح على شعاره وكنت سمعت أن غشيان مجالس الذكر يسرو غواشى الفكر فلم
أرلاطفاء مابى من الجمرة
الاقصد الجامع بالبصرة
وكان اذذاك مأهول
المساند مشفوه الموارد
يجتنى من رياضه أزاهير
الكلام ويسمع فى أرجائه
صرير الاقلام فانطلقت
اليه غير وان ولالاو على
شان فلما وطئت حصاه
واستشرفت أقصاه تراءى
لى ذو أطمار بالية فوق
صخرة عالية وقد عصبت
به عصب لايحصى عديدهم
ولا ينادى وليدهم فابتدرت
قصده وتوردت ورده
ورجوت ان أجد شفائى
عنده ولم أزل أتنقل
فى المراكز وأغضى
للاكز والواكز الى أن
جلست تجاهه بحيث أمنت
اشتباهه فاذا هو شيخنا
السروجى لاريب فيه ولا
لبس يخفيه فانسرى بمرآه
همى وارفضت كتيبة
غمى وحين رآنى وبصر
بمكانى قال ياأهل البصرة
رعاكم الله ووقاكم وقوى
تقاكم فما أضوع رياكم
وأفضل مزاياكم بلدكم
بأوفى البلاد طهرة وأزكاها
فطرة وأفسحها رقعة
وأمرعها نجعة وأقومها
قبلة وأوسعها دجلة وأكثرها نهرا ونخلة واحسنها تفصيلا وجملة دهليز البلد الحرام وقبالة الباب والمقام وأحد البحر
جناحى الدنيا والمصر المؤسس على التقوى لم يتدنس ببيوت النيران ولا طيف فيه بالاوثان ولا سجد على اديمه لغير الرحمن ذو
المشاهد المشهودة والمساجد المقصودة والمعالم المشهورة والمقابر المزورة والآثار المحمودة والخطط المحدودة به تلتقى الفلك والركاب
والحيتان والضباب والحادى والملاح والقانص والفلاح والناشب والرامح والسارح والسابح وله آية المد الفائض والجزر الغائض

أنا ابن الذى لم يخزنى فى حياته * قديما ومن يشبه أباه فما ظلم

(القنوه) علموه (أولى) أحق (نحلة) عطية (العقيان) الذهب

(شرح المقامة الخمسين وهى البصرية)

(أشعرت) ألبست (برح) شق واشتد (استعاره) توقده فى القلب (لاح) ظهر يريد انه لبس الهم كالشعار و(الشعار) ثوب يلى الجسد والشعار علامة القوم فى الحرب فمعناه عبس وجهه من شدة الهم (يسرو) يزيل (غواشى الفكر) ما يغشاه ويدخل عليه من الهم (مأهول) كثير الاهل (المساند) جمع مسند وهو ما يسند اليه ظهره أراد مواضع العلماء المتصدرين للاقراء و(الموارد) مواضع المياه (مشفوه) كثيرة الشفاه عليه للشرب وأراد ازدحام الطلبة على الاشياخ لاخذ العلم (أزاهير) أنوار (ارجائه) نواحيه (صرير) أصوات (وان) مقصر (لاو على شان) معرج الى أمر (استشرفت أقصاه) اطلعت بنظرى عليه كله (تراءى) ظهر (اطمار) ثياب خلقة (عصبت) أحدقت وحلقت (عصب) جماعات (لا ينادى وليدهم) هـذا مثل يستعمل فى الامر العجيب المبالغ فى وصفه المعجب منه وقد يؤول على تأويلات وهو يستعمل فى الخير والشر والرخاوة والشدة (ابتدرت قصده) أى عجلت المشى الى جهته (توردت ورده) أى طلبت مقصده و(المراكز) مواضع الجلوس ومركز الرجل موضعه وركزت الشئ غرسته (أغضى) أغمض الى المكروه (اللاكز) الضارب فى الصدر (الواكز) الضارب فى ناحية الفم والوكز والمكر بجمع اليد (تجاهه) قبالة وجهه (اشتباهه) التباسه بغيره (يخفيه) يستره (انسرى) زال وانكشف (ارفضت) تفرقت (كتيبة غمى) أى عسكره (وقوله وحين رآنى) يريد أن السروجى علم أن ابن همام يعرف مكره بالناس فى كل بلد فخشى أن لا يسمح له بخداع أهل البلد فأخذ يمدح البصرة وأهلها ليرضيه بذلك (رعاكم الله) حفظكم (وقاكم) كفاكم ما يحذر (تقاكم) خوفكم لله (أضوع رياكم) أفوح رائحتكم (مزاياكم) فضائلكم التى خصصتم بها (أوفى) أكمل (أفسحها) أوسعها (الرقعة) القطعة من الارض (أمرعها) أخصبها (النجعة) موضع العشب ينتجعه الناس (دجلة) نهر البصرة (تفصيلا وجملة) يقول ان جزئت مواضعها وتناظر كل جزء منها مع كل جزء من غيرها كان لها الفضل وان قيل أى البلاد أحسن على الجملة قيل البصرة (الدهليز) اسطوان الدار ومدخله و(المقام) موضع قيام ابراهيم عليه السلام عند الكعبة للدعاء (أحد جناحى الدنيا) من قول أبى هريرة الدنيا على مثال الطائر فالبصرة ومصر الجناحان فاذا خربا وقع الامر (المؤسس على التقوى) الذى بنى أساسه فى الاسلام (يتدنس) يتوسخ (الاوثان) الاصنام (اديمه) جلده أى وجه أرضه (الخطط) الدور والازقة (المحدودة) الموسومة ليبنى فيها (الفلك) السفن (الركاب) الابل يريد أنها بحرية برية (الضباب) جمع ضب (الحادى) سائق الابل واذا كان الحادى حسن الصوت هيج الابل جهدها فى المشى (الملاح) خادم السفينة (القانص) صائد الحوت (الفلاح) الحراث (الناشب) الرامى بالنشاب (الرامح) الطاعن بالرمح أراد الاعراب لانهم رماة والعرب لانهم أصحاب رماح و(السارح) راعى الابل و(السابح) العائم فى الماء (آية) علامة (المد والجزر) أى زيادة

وأما أنتم فمن لا يختلف في خصائصهم اثنان ولا ينكرها ذو شنآن دهماؤكم أطوع رعية لسلطان وأشكرهم لاحسان وزاهدكم أورع الخليقة وأحسنهم طريقة على الحقيقة وعالمكم علامة كل زمان والحجة البالغة في كل أوان ومنكم من استنبط علم النحو ووضعه والذى ابتدع ميزان الشعر

البحر ونقصانه وهما الملء والحصر ونهر البصرة يركض فيه البحر (خصائصهم) ما يختصون به من الفضائل أراد أن البصرة اجتمعت فيها الأشياء المتنافرة والمتضادة التى لا تجتمع ببلد فهى أجمع بلاد الله فائدة قال ابن أبى عيينه فى نحوه

زر وادى القصر نعم القصر والوادى * لا بد من زورة من غير ميعاد
زره فليس له شبه يقاربه * من منزل حاضر ان شئت أو بادى
ترى قراقره والعيس واقفة * والضب والنون والملاح والحادى

والبصرة اختطها عتبة بن غزوان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعتبة بدرى مهاجرى بناها سنة أربع عشرة من الهجرة فربع موضع منها فوجد الكذان وهى الحجارة الرخوة فقال هذه البصرة انزلوها بسم الله فسميت لذلك البصرة واختطت الكوفة سنة سبع عشرة من الهجرة فى المحرم وكسرت البصرة فى أيام خالد القسرى فوجد طولها فرسخين فى مثلهما والكوفة ثلثاها وأما فى أيام المنصور فقسم على من يستوجب العطاء من أهل البصرة ألف ألف درهم فأصاب كل رأس درهمين ولاهل البصرة ثلاثة أشياء ليس لاحد من أهل البلدان أن يدعيها عليهم النخل والشاء والحمام أما النخل فهم أعلم خلق الله به وأحذقهم باصلاحه وفيها من أصناف النخل ما ليس فى بلد من البلدان وأما الشاء المعبدية فوفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من عبد القيس فقال يا رسول الله انى رجل أحب الشاء فدفع له غلاما من المعز فقبض بيده على أصل أذنه حتى استدارت أصابعه فصار فى أذنه كالسمة فسار الى بلده فأطرقه شاءه فحملت الى البحرين فتناسلت هناك فليس فى البحرين شاة كريمة الا وفى أذنها سمة كالحلقة فيغالى بها الثلاث العلامة حتى تبلغ الشاة منها خمسين دينارا وتعقد بالبصرة عقودها وفيها شاة لبنى فلان أمها فلانة وأبوها تيس بنى فلان مقدار حلبها بالغداة والعشى كذا وحمامهم بلغت فى الهداية أن جاءت من أقاصى بلاد الروم ومن مصر الى البصرة وينتهى ثمن الطائر منها الى تسعمائة دينار وتباع بيضتها بعشرين دينارا وكل ما وصف فى المقامة موجود فى البصرة ولما صعد على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه منبرها خطب وقال فى آخر خطبته يا أهل البصرة يا بقايا ثمود يا جند المرأة ويا أتباع البهيمة دعا فاتبعتم وعقر فانهزمتم أما انى أقول لا رغبة فيكم ولا رهبة منكم غير أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أرض يقال لها البصرة أقوم الارضين قبلة قارئها أقرأ الناس وعابدها أعبد الناس ومتصدقها أكثر الناس صدقة وتاجرها أعظم الناس تجارة منها الى قرية يقال لها الأبلة أربع فراسخ يستشهد عند مسجدها سبعون ألفا الشهيد منهم كالشهيد فى يوم بدر فبنى الحريرى فى مدح البصرة على هذا الحديث وانما ختم كتابه بذكر البصرة وأهلها التقوى مفاخرهم ومفاخر بلدهم فى البلدان فيباهون بالمقامات ويقدمونها على غيرها (قوله شنآن) أى عداوة (دهماؤكم) جماعاتكم والدهماء معظم الناس وأكثرهم والدهم العدد الكثير (عابدكم) زاهدكم كالحسن البصرى ومحمد بن سيرين وغيرهما (الخليقة) أى أخوف الناس من الله تعالى (علامة) كثير العلم *ومستنبط علم النحو هو أبو الاسود الدؤلى واسمه ظالم بن عمرو بن جندل بن سفيان أحد بنى الديل من كنانة وهو يعد فى التابعين والمحدثين والشعراء والبخلاء والنحويين ويعد فى العرج والمفاليج والبخر شهد مع على رضى الله عنه صفين وولى البصرة لابن عباس رضى الله عنهما وكان من شيعة على وكانت امرأته عثمانية وكان اصهاره لا يزالون يردون عليه قوله فى على

فقال فيهم يقول الارذلون بنو قشير * طوال الدهر لا تنسى عليا
فقلت لهم وكيف يكون تركى * من الاعمال ما يعصى عليا
أحب محمدا حبا شديدا * وعباسا وحمزة والوصيا

بنو عم النبي وأقربوه * أحب الناس كلهم اليا
فان يك حبهم رشدا أصبه * ولست بمخطئ ان كان غيا

ولم يشك أبو الاسود أنه رشد وعلى هذا تأويل قوله تعالى وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ومن بخله انه كان يقول لا تجاودوا الله فان الله أجود وأمجد ولو شاء الله أن يوسع على خلقه حتى لا يكون فيهم محتاج لفعل وكان يقول لولده اذا بسط الله لك فى الرزق فابسط وان قبضه فانقبض ومر برجل وهو يقول من يعشى هذا الجائع فأدخله وعشاه حتى شبع ثم ذهب السائل ليخرج فقال له أين تذهب فقال الى أهلى فقال لا أدعك تؤذى المسلمين بسؤالك اطرحوه فى الادهم فبات عنده مكبولا حتى أصبح وكتب الى رجل يستسلفه فكتب اليه الرجل المؤنة كثيرة والفائدة قليلة والمال مكذوب فراجعه أبو الاسود ان كنت كاذبا فجعلك الله صادقا وان كنت صادقا فجعلك الله كاذبا وقال الخليل كان أبو الاسود ضنينا بما أخذه من على رضى الله عنه وذلك انه سمع لحنا فقال لابى الاسود اجعل للناس حروفا فأشار الى الرفع والنصب والخفض وقال له زياد قد فسدت ألسنة الناس لانه سمع رجلا يقول سقطت عصاتى فدافعه أبو الاسود وسمع رجلا يقرأ أن الله برىء من المشركين ورسوله بخفض فقال ما بعد هذا شئ فقال ابغى كاتبا يفهم فجئ برجل من عبد القيس فلم يرضه فهمه فأتى بآخر من قريش فقال له اذا رأيتنى قد فتحت فى بالحرف فانقط نقطة على أعلاه واذا ضممت فى فانقط نقطة بين يديه واذا كسرت فى فاجعل النقطة تحت الحرف فاذا أتبعت ذلك غنة فاجعل النقطة نقطتين فهذا نقط أبى الاسود واختلف الناس اليه يتعلمون العربية وفرع لهم ما أصله فأخذه جماعة كان أبرعهم عنبسة بن معدان المهرى يقال له الفيل فأقبل الناس عليه بعد موت أبى الاسود فبرع من أصحابه ميمون الاقرن فرأس فى الناس وزاد فى الشرح فبرع من أصحابه عبد الله ابن أبى اسحق الحضرمى فبرع فى النحو وتكلم فى الهمز وأملى فيه كتابا وأخذ أبو عمرو بن العلاء عمن أخذ عنه ثم نجم من أصحاب أبى عمرو عيسى بن عمر ويونس بن حبيب وأبو الخطاب الاخفش فألف عيسى كتابين سمى أحدهما الكامل والآخر الجامع قال المبرد فأخذ الخليل عن عيسى ولم يكن قبله ولا بعده مثله وهو القائل يمدح كتابى عيسى

بطل النحو الذى جمعتم * غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك اكمال وهذا جامع * وهما للناس شمس وقمر

قال أبو العباس وقد قرأت أوراقا من أحدهما فكان كالاشارة الى الاصول ثم أخذ عن الخليل جماعة لم يكن فيهم مثل عمرو بن قنبر سيبويه ويكنى أبا بشر وأبا الحسن وهو من موالى بنى الحرث ابن كعب فألف كتابه الذى سماه قرآن النحو وعقد أبوابه بلفظه ولفظ الخليل وأبو الاسود من كتاب البصرة * ومستنبط مستخرج والذى استنبط العروض هو الخليل وذكره غير العروضيين وكان للخليل فى العروض حكمة مخترعة وسابقة مبتدعة تبين بذلك فضله وظهر تقدمه لانه لم يتبع فيما وضعه أثرا موجودا ولا اقتفى فيه رسما مرسوما واهتدى الى ما لم يهتد اليه المتقدمون ولا أوجدهم يدا عليه المتأخرون ولولا الخليل لم يعلم صحيح الشعر من كسيره ولا سقيمه من عاله وفى حصره لجميع أوزان العرب فى خمس دوائر أعظم العجب لمن تدبر ما صنع وفهم وكان الخليل يحب أن يرى عبد الله بن المقفع وكان ابن المقفع يحب ذلك فجمعهما عبد الملك فتحدثا ثلاث أيام ولياليهن ثم افترقا فقيل للخليل كيف رأيت عبد الله فقال ما رأيت مثله قط وعلمه أكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رأيت الخليل فقال ما رأيت مثله قط وعقله أكثر من علمه وصدقا فان عقل أدى عقل الخليل الى أن مات وهو أزهد الناس وجهل ابن المقفع أرداه وكتب كتابا عبد الله بن على على المنصور فقال فيه ما كان مستغنيا أن يقوله ولا يحتمل الامر الدون الخلفاء مثله فمات فيه ومن

واخترعه ومامن فخر الاولكم فيه اليد الطولى والقدح المعلى ولاصيت الاوأنتم أحق به وأولى ثم انكم أكثر أهل مصر مؤذنين وأحسنهم فى النسك قوانين و بكم اقتدى فى التعريف وعرف التصير فى الشهر الشريف ولكم اذاقرت المضاجع وهجع الهاجع نذكار يوقظ النائم ويؤنس القائم ومابتسم ثغر فجر (٣٤٧) ولابزغ نوره فى بر دو لابحر الاوآتاأذينكم بالاسحار دوى كدوى الريح فى البحار وبهذا صدع عنكم النقل وأخبر النبى عليه السلام من قبل وبين أن دويكم بالاسحار كدوى النحل فى القفار فشرفا لكم ببشارة المصطفى وواها لمصركم وان كان قدعفا ولم يبق منه الاشفا ثم انه خزن لسانه وخطم بيانه حتى حدج بالابصار وقرف بالاقصار ووسم بالاستقصار فتنفس تنفس من قيد للقود أوضبثت به براثن أسد ثم قال له أما انتم ياأهل البصرة فامنكم الا العلم المعروف ومن له المعرفة والمعروف واما أنا فمن عرفنى فأنا ذاك وشر المعارف من آذاك ومن لم يثبت عرفتى فسأصدقه صفتى أنا الذى أنجد وأتهم وأيمن وأشأم وأصحر وأبحر وأدلج وأسحر نشأت بسروج وربيت على السروج ثم ولجت المضايق وفتحت المغالق وشهدت المعارك وألنت العرائك واقتدت الشوامس وأرغمت المعاطس وأذبت الجوامد وأمعت الجلامد سلوا عنى المشارق والمغارب والمناسم والغوارب والمحافل والجحافل والقبائل والقنابل واستوضحونى من نقلة الاخبار ورواة الاسمار وحداة الركبان وحذاق الكهان لتعلموا كم فج سلكت وحجاب هتكت ومهلكة اقتحمت وملحمة ألحمت وكم ألباب خدعت وبدع ابتدعت وفرص اختلست وأسد افترست وكم محلق غادرته لقى وكامن استخرجته بالرقى وحجر شعذته حتى انصدع واستنبطت زلاله بالخدع ولكن فرط

غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله بن على فنساؤه طوالق ودوابه حوابس وعبيده أحرار والمسلمون فى حل من بيعته فاشتد ذلك على المنصور وكتب الى أمير البصرة أن اقتل عبد الله بن المقفع فقتله وقال ابن المقفع ان أكرمك الناس لمال أولسلطان فلا يعجبنك ذلك فان زوال الكرامة بزوالهما ولكن ليعجبك ان أكرموك لأدب أودين واتخذ عباد المهلبى أرضا فأراد غرسها فلامه أصحابه وقالوا هى سبخة فأشار عليه الخليل بغرسها فغرسها فجاءت بكل شئ حسن فحمل اليها الخليل فاستحسنها وقال

ترفعت عن ندى الاعماق وانخفضت * عن المعاطش واستغنت بسقياها

فمال بالخوخ والرمان أسفلها * واعتم بالنخل والزيتون اعلاها

وصار يغبطه من كان يعذله * ولائم لامه فيها تمناها

أبامعاوية اشكر فضل واهبها * وكلما جئتها فاعمر مصلاها

(وله) عش مابدالك قصرك الموت * لامهرب منه ولافوت

بيناغنى بيت وبهجته * زال الغنى وتقوض البيت

وتوفى الخليل سنة سبعين ومائة وهو ابن خمس وسبعين سنة وتقدمت أخباره فى الاربعين فلتنظر هنالك (قوله اخترعه) أى أوجده قبل ان يكون (مصر) أى بلد و (قوانين) طرق مستقيمة (التعريف) حلق الرأس بعد يوم عرفة (قرت المضاجع) نام الناس فيها (هجع) نام (ثغر) سن وأراد به بياض الصبح (بزغ) صدع وظهر (النقل) الحديث المنقول عن النبى صلى الله عليه وسلم (واها) عجبا (عفا) درس (شفا) طرف وشئ قليل وشفا كل شئ حده وطرفه (خزن) حبس (خطم) زم والخطام حبل يشد على أنف البعير (حدج) نظر اليه بحدة (قرف) اتهم وقرفته بشر رميته به (الاقصار) العجز (قود) قتل نفس بنفس (ضبثت) علقت (براثن) أظافير (العلم) المشهور بالفضائل و (المعروف) الثانى العطاء (أنجد وأتهم) أتى نجدا وتهامة (أيمن وأشأم) أتى اليمن والشأم (أصحر وأبحر) مشى فى الصحراء والبحر (أدلج وأسحر) مشى بالليل والسحر (نشأت) كبرت (ولجت) دخلت (المعارك) مواضع القتال (العرائك) الطبائع الصعبة (الشوامس) الشوارد التى تأبى الانقياد (أرغمت المعاطس) أذللت الانوف (أمعت الجلامد) أسلت المياه من الجنادل الصم (المناسم) اخفاف الابل (الغوارب) مقادم ظهورها (المحافل) الجموع (الجحافل) الجيوش (القنابل) جماعة الخيل واحدها قنبلة (استوضحونى) اطلبوا بيان أمرى (الاسمار) الاحاديث بالليل يسمر عليها (الحداة) خدام الابل (فج) طريق فى الجبل (سلكت) دخلت (هتكت) خرقت (مهلكة) موضع خوف يهلك فيه الناس (اقتحمته) ترامیت فيه (ملحمة) مواضع الحرب الشديدة يلتحم فيها أهل العسكرين و يلتصق بعضهم ببعض (ألحمت) أى أوقدت النار بينهم حتى التصقوا وصاروا لحمة واحدة وذلك أشد مايكون الحرب (ألباب) عقول (بدع) جمع بدعة وهو الشئ المبدع (اختلستها) أخذتها بسرعة واختطفتها (محلق) طائر فى الهواء (لقى) مطروحا على الارض و (كامن) مستور (شعذته) صقلته (انصدع) انشق * وأراد بالحجر بخيلا لايرشح بشئ كالحجر فتحيل عليه حتى أخذ ماله (استنبطت) استخرجت (زلاله) ماءه العذب الصافى أراد أخذت ماله (فرط

مافرط والغصن رطيب والفود غربيب وبرد الشباب قشيب فأما الآن وقد استشن الاديم وتأود القويم واستنار الليل البهيم فليس الا الندم ان نفع وترقيع الخرق الذى قد اتسع وكنت رويت من الاخبار المسندة والآثار المعتمدة ان لكم من الله تعالى فى كل يوم نظرة وان سلاح الناس كلهم الحديد وسلاحكم الادعية والتوحيد فقصدتكم أنضى الرواحل وأطوى المراحل حتى قمت هذا المقام لديكم ولا منّ لى عليكم اذ ماسعيت الا فى حاجتى ولا تعبت الا لراحتى ولست أبغى أعطيتكم بل استدعى أدعيتكم ولا أسألكم أموالكم بل استنزل سؤالكم فادعوا الله تعالى بتوفيقى للمتاب والاعداد للمآب فانه رفيع الدرجات مجيب الدعوات وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيآت ثم أنشد

استغفر الله من ذنوب

مافرط) أى سبق ماسبق (رطيب) ناعم وغصنه قامته و(الفود) ناحية الرأس (غربيب) أسود (برد) ثوب (قشيب) جديد (استشن الاديم) يبس الجلد والشن القربة البالية اليابسة (تأود القويم) اعوج المعتدل (استنار) أضاء وشاب (الليل البهيم) الشعر الاسود وقال الشاعر فى معنى استشن الاديم

يامن لشيخ قد تخدد لحمه * أفنى ثلاث عمائم ألوانا
سوداء حالكة وسحق مفوف * وأجد لونا بعد ذاك هجانا
قصر الليالى خطره فتدانى * وحنون قائم صلبه فتحانى
والموت يأتى بعد هذا كله * وكأنما يعنى بذاك سوانا

وقال ابن الرومى فى استنارة الليل

نجار على ليل الشباب فضامه * نهار مشيب سرمد ليس ينفد
وعزاك عن ليل الشباب معاشر * وقالوا نهار الشيب أهدى وأرشد
وكان نهار المرء أهدى لرشده * ولكن ظل الليل أندى وأبرد

وأنشد الزاهد بن عمران قول الشاعر

لم أقل للشباب فى كنف الله ولا حفظه غداة استقلا

فزاد بعد استقلا

لا ولا للمشيب لما بدا لى * مرحبا بالمشيب أهلا وسهلا
مؤذن بالحمام هدا وداكم * سود الصحف بالذنوب وولى

وأحسن ماقيل فى ذم خضابه قول ابن الرومى

رأيت خضاب المرء بعد مشيبه * [illegible] على هذا شديد التلبس
والافا عرى [illegible] * أيطمع أن يخفى شباب مدلس
وكيف بأن يخفى المشيب لناظر * وكل [illegible]
[illegible] يوارى شيبه أين ماؤه * وأين أديم [illegible] أملس

وقال محمود الوراق يا خاضب الشيبة [illegible] * [illegible]
أمارتها [illegible] * [illegible] برأس [illegible]

(قوله ليس الا الندم) ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذنب ذنبا [illegible] فندم كان كفارة لما صنع وقال صلى الله عليه وسلم الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والارض وان لكم من الله نظرة * كتب عبد الملك الى الحجاج يتوعد على بن الحسين [illegible] يقول فعل فقال ان لله لوحا محفوظا يلحظه فى كل يوم مائة لحظة ليس منها لحظة [illegible] ويعز ويذل ويفعل مايشاء وانى لارجو أن يكفيك الله منها لحظة [illegible] وكتب [illegible] الحجاج [illegible] الملك وكتب ملك الروم الى عبد الملك أكلت الجمل الذى ركب عليه أبوك من المدينة [illegible] جنودا مائة ألف ومائة ألف وكتب اليه عبد الملك [illegible] فقال ملك الروم [illegible] كلام النبوة (أنضى الرواحل) أهزل الابل (أطوى المراحل) أقطع [illegible] والثلاث مرحلة واحدة (منّ) احسان (أبغى) أطلب (الاعطية و [illegible] (استنزل) أطلب بتلطف (سؤالكم) طلبكم [illegible] من الله تعالى [illegible] وعفا الله عنك درس ذنوبك ومحاها من [illegible]

كنت فى سفرة [illegible] قدوم
[illegible] من كل مأثم [illegible] هذا الحديث ذات [illegible]

وله

الذى [illegible] * الاوعصمه [illegible]
[illegible] * [illegible]

افرطت فيهن واعتديت كم خضت بحر الضلال جهلا * ورحت فى الغى واغتديت وكم أطعت الهوى اغترارا * واختلت واغتلت وافتريت وكم خلعت العذار ركضا * الى المعاصى وماونيت وكم تناهيت (٣٤٩) فى التخطى * الى الخطايا وما انتهيت

فليتنى كنت قبل هذا نسيا ولم أجن ما جنيت فالموت للمجرمين خير من المساعى التى سعيت يارب عفوا فأنت أهل للعفو عنى وان عصيت (قال الراوى) فطفقت الجماعة تمده بالدعاء وهو يقلب وجهه فى السماء الى أن دمعت أجفانه وبدا رجفانه فصاح الله أكبر بانت أمارة الاستجابة وانجابت غشاوة الاسترابة فجزيتم يا أهل البصيرة جزاء من هدى من الحيرة فلم يبق من القوم الا من سر لسروره ورضخ له بميسوره فقبل عفو برهم وأقبل يهرف فى شكرهم ثم انحدر من الصخرة يؤم شاطئ النصرة واعتقبته الى حيث تخالينا وأمنا التجسس والتحسس علينا فقلت له لقد أغربت فى هذه النوبة فما رأيك فى التوبة فقال أقسم بعلام الخفيات وغفار الخطيات ان شأنى لعجاب وان دعاءكم لمجاب فقلت زدنى ايضاحا زادك الله صلاحا فقال وأبيك لقد رقت فيهم مقام المريب الخادع ثم انقلبت منهم بقلب المنيب الخاشع فطوبى لمن صغت قلوبهم اليه وويل لمن باتوا يدعون عليه ثم ودعنى وانطلق وأودعنى القلق فلم أزل أعانى لاجله الفكر وأتشوف الى خبره ماذكر وكلما استنشيت خبره من الركبان وجوابة البلدان كنت كمن حاور عجماء أو نادى صخرة صماء الى ان لقيت بعد تراخى الامد وتراقى الكمد ركبا قافلين من سفر فقلت هل من مغربة خبر فقالوا ان عندنا الخبر أغرب من العنقاء

آخر

تطالبنى نفسى بما فيه صونها * فأعصى و يسطو نوها فأطيعها

ووالله ما يخفى على ضلالها * ولكنها تأبى فلا أستطيعها

(قوله أفرطت) أى ضيعت (اعتديت) ظلمت نفسى قال داود الطائى ما أخرج الله عبدا من ذل المعصية الى عز الطاعة الا أغناه بغير مال وآنسه بغير أهل وأعزه بلا عشيرة (خضت) جزت (الغى) الضلال (اغترار) انخداع (اختلت) تكبرت ومشيت مختالا و (اغتلت) أهلكت والغيلة القتل بالخداع وغالهم قتلهم غيلة (افتريت) كذبت (خلعت العذار) أزلت لجام الدين الذى يمسكنى وتسيبت فى المعاصى (ركضا) جريا ووثبا (ونيت) فترت وقصرت فى الجرى اليها (تناهيت) أى بلغت النهاية وهى آخر الشئ (التخطى) الجواز والقطع وتخطيت الشئ جزته والخطايا الذنوب وهى من الخطا لان فاعلها مخطئ بفعلها و (النسى) الشئ المنسى لحقارته لا يخطر ببالك فتنساه (أجن) اكتسب (المساعى) جمع مسعاة وهى السعى والمشى الكديد والمساعى أيضا المواضع التى يسعى فيها أى يمشى بكد وقال حبيب

أخاف الهى ثم أرجو نواله * ولكن خوفى غالب لرجائيا

ولولا رجائى واتكالى على الذى * تكفل لى بالصنع كهلا وناشيا

لما ساغ لى عذب من الماء بارد * ولا لذلى نوم ولا زلت باكيا

على انه قد كان منى جهالة * ليالى فيها كنت لله عاصيا

أخذه من قول الحسن البصرى ينبغى أن يكون الخوف أغلب من الرجاء فان الرجاء اذا غلب الخوف فسد القلب (قوله فطفقت) أى أخذت وجعلت (تمده بالدعاء) أى تصل دعاءها بدعائه وتقول أمددته بالمال اذا قويته به ومددته بالجيش (رجفانه) اهتزازه ورجف الشئ تحرك والرجفة اهتزاز الارض (بانت) ظهرت (انجابت) انكشفت وزالت (غشاوة الاسترابة) غطاء الشك (رضخ) أعطى (ميسوره) ما تيسر له و (عفو برهم) فضل احسانهم (يهرف) يكثر الكلام ويطنب فى الشكر (انحدر) انصب (يؤم) يقصد (شاطئ) ساحل (اعتقبته) تبعته (تخالينا) صرنا فى خلوة من الناس (التجسس) طلب الشئ باليد وقيل التجسس طلب الشئ بالكلام و (التحسس) طلبه باليد ثم قد يقع كل واحد منهما موقع صاحبه * ابن الانبارى تجسس الرجل وتحسس بمعنى واحد هذا اجماع أهل اللغة وفرق بينهما يحيى بن أبى كثير فقال التجسس البحث عن عورات الناس والتحسس الاستماع لحديث القوم * ابن الانبارى الجاسوس الباحث على أمور الناس (النوبة) لدولة (ايضاحا) بيانا (المريب) صاحب الريبة (المنيب) الراجع الى الله بتوبته (الخاشع) هو الخاضع (صغت) مالت (أعانى) أقاسى (أتشوف) أتطلع (خبرة) اختبار (استنشيت) استطلعت وأصل معناه شممت (جوابة) قطاعة وجوالة أى الذين عادتهم الجولان فى البلاد (حاور) كلم (عجماء) بهيمة والمحاورة المراجعة فى الكلام (تراخى) طول المدة (الكمد) مصاحبة الهم والحزن (ركبا) أصحاب الابل (قافلين) راجعين من سفر (مغربة) أى هل عندكم من حديث غريب و (العنقاء) قال ابن عباس رضى الله عنه هو طائر فضل به بنو اسرائيل فانتقل بعد يوشع الى بلاد قيس عيلان بنجد والحجاز فآذى لولدان فشكوا ذلك الى خالد بن سنان وكان نبيا بين عيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام فدعا الله أن يقطع نسلها فبقيت صورتها تصور فى البسط وكان أجمل طائر وأعظمه ووجهه على هيئة وجوه

الناس وقال أهل الرواية عنقاء مغرب انما هو الامر العجيب والعنق السريعة وذكرت عجائب البلدان بمجلس الراضي فقال قائل أعجب ما في الدنيا طائر بأرض طبرستان على شاطئ الانهار شبيه بالباشق يسمى الكلم وهو يصيح في فصل الربيع فتجتمع اليه العصافير وصغار الطير فتزقه فاذا كان آخر النهار أخذ واحدا مما قرب من الطير فيأكله فذلك فعله الى أن ينقضي فصل الربيع فتجتمع اليه العصافير وصغار الطير فتطرده وتضربه فيفر منها فلا يسمع له صوت الى الفصل الربيعي وهو طائر حسن موشى العينين وذكر الجاحظ أنه من عجائب الدنيا وذلك أنه لا يطأ الارض بقدميه بل باحداهما خوفا على الارض أن تنخسف من تحته والثاني دودة تضيء بالليل كالشمع وتصير بالنهار لها أجنحة خضر وبالليل لا اجنحة لها غذاؤها التراب لم تشبع قط منه خوفا أن يفنى التراب فتموت جوعا والثالث أعجب من الطائر والدودة من يكري نفسه للقتال يعني المسترزقة من الجند واستحسن الحاضرون حضر فقال الراضي معارضا لما ذكر الجاحظ ان أعجب ما في الدنيا ثلاث البوم لا تظهر بالنهار خوفا أن تصيبها العين لحسنها وجمالها فتظهر بالليل الثاني الكركي لا يطأ الارض بقدميه معا بل باحداهما واذا وطئها لم يعتمد عليها اعتمادا قويا خوفا من أن تنخسف الارض بثقله الثالث الطائر الذي يقعد في مشارق الماء من الانهار الذي يعرف بمالك الحزين يشبه الكركي لا يشبع من الماء خشية أن يفنى فيموت عطشا فافترق أهل المجلس والكل متعجبون من الراضي كيف تأتى منه مثل هذه المذاكرة مع من حضره من أهل السن والمعرفة مع صغر سنه والحكاية بكمالها في كتاب المسعودي * وأما الزرقاء فكانت تبصر على مسيرة ثلاث ليال وكانت من جديس بن عامر بن ارم بن سام بن نوح وكان مع جديس طسم بن لاوذ بن ارم وكانت مساكنهم في طسم وكانوا يسكنون اليمامة وهما من العرب العاربة فاقاموا برهة وبلادهم أفضل البلاد حدائق ملتفة وقصور مصطفة فكفروا بأنعم الله فأهلكهم وذلك لانهم ملكهم عملوق بن طسم وكان غشوما لا ينهاه شيء عن هواه فاختصمت اليه امرأة من جديس اسمها هزيلة مع زوجها في ابن لها فامر بالولد فجعل في غلمانه وأمر بالزوج أن يباع ويعطى المرأة عشر ثمنه وبالمرأة أن تباع ويعطى الزوج خمس ثمنها فقالت هزيلة

أتيناك أخا طسم ليحكم بيننا * فأبدع حكما في هزيلة ظالما

وهي أبيات فبلغه قولها فامر أن لا تتزوج امرأة من جديس حتى تحمل اليه قبل زوجها فيفترعها فلقوا منه ذلا طويلا الى أن تزوجت الشموس بنت غفار أخت الاسود بن غفار وكان سيد جديس فلما كانت ليلة اهدائها حملت اليه والقيان معها يقلن

ابدأ بعملوق اليه فاركب * وبادر الصبح بأمر معجب * فما لبكر بعدكم من مذهب

فلما افتضها خرجت على قومها في دمائها شاقة جيبها من دبر ومن قبل وهي تقول

أيصلح ما يؤتى على فتياتكم * وأنتم رجال فيكم عدد الرمل

فان أنتم لم تغضبوا بعد هذه * فكونوا نساء لا تفر من الكحل

فلو أننا كنا رجالا وكنتم * نساء لكنا لا نقيم على الذل

فأنفت جديس عند ذلك واجتمعت الى أخيها الاسود وأجمعوا على أن يصنعوا لهم طعاما ويدعوا عملوق مع قومه فاذا جاؤا في الحلل والنعال غمروهم بالقتل فقالت الشموس لا تدعوها بعد غدر ولكن دعوه لو صبحوا القوم في ديارهم لظفروا وانه لو تراكم اماقة لو اليها الكرام من نوابهم ثم صنع لهم الطعام ودفنوا سيوفهم في الرمل فلما استكملوا في المدعاة أتوا عليهم أجمعين وهرب من طسم رباح بن مرة فأتى حسان بن تبع يستنصره فاستبعدوا أرضهم وكانت تدعى بعيون رياح كلبة تحضر بها وزجاه عرف فقال أبعيدة أرض قطعت كلبة عرجاء فسار معه بجيش فلما صاروا من جديس على ثلاثة أيام صعدت الزرقاء على منار كان لها تنظر الجيش وكان رياح قد قال لهم ان الزرقاء تنظر على ثلاث

وأعجب من نظر الزرقاء فسألتهم ايضاح ماقالوا وأن

الزرقاء

ليال ولكن ليقطع كل رجل منكم غصنا من شجر فيحمله لتشبه عليها فلما رأتهم قالت يا قوم أتتكم الشجر أو أتتكم حمير فلم يصدقوها فقالت

أقسم بالله لقد دب الشجر * أو حمير قد أقبلت شيأ تجر

فكذبوها وقالوا اكل بصرك وضعف فقالت أقسم بالله لقد أرى رجلا ينهش كتفا أو يخصف نعلا فتها ونوا بخديثها حتى صبحهم حسان فاجتاحهم فأخذت الزرقاء فشق عينا ها فاذا فيها عروق سود من الاثمد وكانت أول من اكتحل به وهرب الاسود فنزل بطيئ فنسله فيهم وتسمى زرقاء اليمامة واسم البلد جو فلما صلبت على بابها سميت اليمامة وقيل اليمامة اسم البلد واسم الزرقاء عنز وقيل ان حسانا لم يصلبها ولكن حملها فى السبى وقالت عند ما قرب لها البعير لتركبه ولم تكن اعتادت ركوبه

شر يوميها وأغواه لها * ركبت عنز بحدج جملا

وقيل ان عنزا هى أخت الزرقاء وقال الشاعر

ما نظرت ذات أجفان كنظرتها * حقا كما صدع الدين الذى صدعا
قالت أرى رجلا فى كفه كتف * أو يخصف النعل لهفى أية صنعا
فكذبوها فساقهم اعلى عجل * اقيال حمير تزجى الموت والشرعا
فاستنزلوا أهل جو من معاقلهم * وهدموا شامخ البنيان فاتضعا

(قوله يكيلوا الى ما كالوا) أى يعطونى ما أعطوا من العلم (ألموا) نزلوا (العلوج) الروم (أم) صار اماما (حفزنى) عجلنى (النزاع) الشوق (فرصة) غنيمة (المعد) الكامل العدة فى السفر (قرارة) الموضع الذى يقر فيه (متعبده) موضع عبادته (نبذ) ترك (انتصب) قام ووقف (المحراب) عند العرب سيد المجالس ومقدمها وأشرفها وقيل للقبلة محراب لانه أشرف موضع فى المسجد وقيل للقصر محراب لانه سيد المنازل الاصمعى المحراب عندهم الغرفة أحمد بن عبيد المحراب مجلس الملك سمى بذلك لانفراد الملك به لا يقرب به أحد وسمى محراب المسجد لانفراد الامام به ويقال فلان حرب لفلان اذا كان بينهما مباعدة (عباءة) كساء (مخلولة) بالية مشدودة بالخلال و(الشملة) الكساء يشتمل به (موصولة) يريد أنها خلقة قد تقطعت فوصلت (ولج) دخل (ألفيته) وجدته (سيماهم) علامتهم (حياني بسجته) أى بسبابته وقد تقدم ذكرها (نغم) تكلم بكلام خفى و(الاوراد) جمع ورد وهو النصيب من القرآن يقوم به الانسان كل ليلة (أغبط) أحسد وأتمنى أن أكون مثله (وسجود وركوع) سجد الرجل اذا انحنى ومال الى الارض من قول العرب سجدت الدابة وأسجدت اذا اخفضت رأسها لتركب ويقال قنت الرجل اذا أخذ فى التعظيم والدعاء لله تعالى والقنوت على أربعة أقسام الطاعة كقوله تعالى كل له قانتون والصلاة كقوله تعالى اقنتى لربك واسجدى وطول القيام كقوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل أى الصلاة أفضل فقال طول القنوت والسكوت كقول زيد بن ارقم كنا نتكلم فى الصلاة يكلم أحدنا الذى يليه حتى نزل وقوموا لله قانتين فامسكنا عن الكلام قال أبو عبيدة نرى أن القنوت فى الصبح سمى قنوتا لان الانسان قائم فى الدعاء من غير أن يقرأ القرآن فكأنه فى سكوت (اخبات) أى تذلل (انكفأ) انقلب (أسهمنى) أى أعطانى سهما أى نصيبا (تهجده) قيامه للصلاة (ادكار) تذكر (الاربع) المنازل (عد) كف (دع) اترك (ادب) ابك (سلف) ذهب وتقدم (الصحف) الكتب (المعتكف) المقيم (الشنع) الذى يحدث نقبحه (أودعتها) أى ضمنتها وجعلتها فيه (المآثم) الذنوب (أبدعتها) اخترعتها (خطا) جمع خطوة وهى الباع (حثثتها) عجلتها (خزى) هوان و(نكثتها) نقضتها (مرتع) أكل رغد (تجرأت) تشجعت وأقدمت

الصوف وأم الصفوف وصار بها الزاهد الموصوف فقلت أتعنون ذا المقامات فقالوا انه الآن ذو الكرامات فحفزنى اليه النزاع ورأيتها فرصة لا تضاع فارتحلت رحلة المعد وسرت نحوه سير المجد حتى حللت بمسجده وقرارة متعبده فاذا هو قد نبذ صحبة أصحابه وانتصب فى محرابه وهو ذو عباءة مخلولة وشملة موصولة فهبته مهابة من ولج على الاسود وألفيته ممن سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ولما فرغ من سبحته حيانى بسجته من غير أن نغم بحديث ولا استخبر عن قديم ولا حديث ثم أقبل على أوراده وترك أعجب من اجتهاده وأغبط من يهدى الله من عباده ولم يزل فى قنوت وخشوع وسجود وركوع واخبات وخضوع الى أن أكمل اقامة الخمس وصار اليوم أمس فحينئذ انكفأ بى الى بيته وأسهمنى فى قرصه وزيته ثم نهض الى مصلاه وتخلى عنا جاه مولاه حتى اذا التمع الفجر وحق للمتهجد الاجر عقب تهجده بالتسبيح ثم اضطجع ضجعة المستريح وجعل يرجع بصوت فصيح

خل ادكار الاربع * والمعهد المرتبع والظاعن المودع * وعد عنه ودع واندب زمانا سلفا * سودت فيه الصحفا ولم تزل معتكفا * على القبيح الشنع كم ليلة أودعتها * مآثما أبدعتها لشهوة أطعتها * فى مرقد ومضجع وكم خطا حثثتها * فى خزية أحدثتها وتوبة نكثتها * لملعب ومرتع وكم تجرأت على * رب السموات العلا

وكم ركضت فى اللعب
وفهت عمدا بالكذب
ولم تراع ما يجب
من عهده المتبع
فالبس شعار الندم
واسكب شآبيب الدم
قبل زوال القدم
وقبل سوء المصرع
واخضع خضوع المعترف
ولذ ملاذ المقترف
واعص هواك وانحرف
عنه انحراف المقلع
الام تسهو وتنى
ومعظم العمر فنى
فيما يضر المقتنى
ولست بالمرتدع
اما ترى الشيب وخط
وخط فى الرأس خطط
ومن يلح وخط الشمط
بفوده فقد نعى
ويحك يا نفس احرصى
على ارتياد المخلص
وطاوعى وأخلصى
واستمعى النصح وعى
واتعظى بمن مضى
من القرون وانقضى
واخشى مفاجاة القضا
وحاذرى أن تخدعى
وانتهجى سبل الهدى
وادكرى وشك الردى
وأن مثواك غدا
فى قعر لحد بلقع
آهاله بيت البلى
والمنزل القفر الخلا
ومورد السفر الالى
واللاحق المتبع
بيت يرى من أودعه
قد ضمه واستودعه

(تراقبه) تحارسه وتخشى منه (غمصت) نقصت (بره) احسانه (نبذت) تركت (الحذاء) النعل (ركضت) جريت (فهت) نطقت (تراع) تحفظ و(العهد) الميثاق (شعار) ثوب يلصق بالجسد (اسكب) صب (شآبيب) دفع المطر واحدها شؤبوب فاستعارها للدم كما استعار الدم للدمع (المصرع) موضع السقطة وصرعت اسقطت (لذ) الجأ (ملاذ) ملجأ (المقترف) المذنب (انحرف) مل (المقلع) الذى يقلع عن المعاصى ويفارقها (تسهو) تخطئ (تنى) تفتر (فنى) تم سكن اليا ضرورة (المقتنى) المكتسب (المرتدع) المنتهى الكاف عن شهواته (وخط) فشا وانتشر والوخط مخالطة بياض شيب الرأس بسواده والوخط فى غير هذا الطعن غير النافذ (خط) كتب (خطط) طرائق و(الشمط) اختلاط بياض الشيب بسواد الشعر (بفوده) بجانب راسه (نعى) تحدث بموته وقال الابيرى

الشيب نبه ذا النهى فتنبها * ونهى الجهول فما استفاق ولا انتهى
بل زاد غيا نفسه فتهافتت * تبغى اللها وكأنها بين اللها
فالى متى ألهو وأفرح بالمنى * والشيخ أقبح ما يكون اذا لها
ما حسنه الا التقى لا أن يرى * صبا بألحاظ الجآذر والمها
أنى يقاتل وهو مفلول الظبا * كابى الجرى اذا استقل تأوها
محق الزمان هلاله فكأنما * أبقى له منه على قدر السها
فغدا حسيرا يشتهى أن يشتهى * ولكم جرى طلق الجموح كما اشتهى
ان آن آواه وأجهش بالبكا * لذنوبه ضحك العدو وقهقها
ليست تنهنهه العظات ومثله * فى سنه قد آن أن يتنهنها
فقد اللذات وزاد غيا بعدهم * هلا تيقظ بعدهم وتنبها
ياويحه ما باله لا ينتهى * عن غيه والعمر منه قد انتهى

(قوله ارتياد) أى طلب (المخلص) المنجى (عى) احفظى وهو أمر للمؤنث من وعى يعى (اتعظى) اعتبرى (القرون) الامم السابقة (انقضى) فرغ وتم (والقضاء) هنا الموت (ومفاجأته) اتيانه على غفلة (حاذرى) خافى (انتهجى) اسلكى وامشى فى نهج وهو الطريق البين (سبل الهدى) طرق الرشاد (ادكرى) تذكرى (وشك الردى) سرعة الموت (مثواك) موضع اقامتك لان الثوى والثواء الاقامة والمثوى الموضع الذى تقيم فيه (لحد) شق فى جانب القبر (بلقع) خال (آهاله) كثير الاهل (مورد) موضع الماء (السفر) المسافرون (الالى) الاولون المتقدمون والالى مقلوب الاول جمع أولى وأول ككبرى وكبر وأخرى وأخر ثم قلبوا الاول فقالوا الالى وتأتى الالى فى كلامهم بمعنى الذين موصولة وهى كثيرة يريد أن القبر مورد الاولين والآخرين وسماهم سفرا لان الانسان فى الدنيا مسافر لا يقيم انما يقطع أيامه وقال التهامى

العيش نوم والمنية يقظة * والمرء بينهما خيال سارى
فاقضوا مآربكم عجالى انما * أعماركم سفر من الاسفار

(فيد) فان قيل كيف جعل القبر ثلاثة أذرع والذراع شبران والقبر قدره ما بين ستة أشبار الى ثمانية فأخبرنى الحاج بن السقاط أن عندهم بالمشرق ذراعا يسمونه الملكى يدرعون به ثيابهم وغيرها فيه من ذراع اليد ذراع ونصف وقال أبو القاسم الزجاجى الذراع الهاشمى ذراع وثلث ففى ثلاثة أذرع بالهاشمى ثمانية أشبار وبالملكى تسعة أشبار فاحدى الذراعين أراد وانما قال فيه ثلاثة أذرع من قول عطاء بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كيف بك اذا أنت مت وانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة أذرع فى ذراع وشبر ثم رجعوا اليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم حملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك ...

انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف يجران أشعارهما ويحثيان التراب بأنيابهما فتلتلاك وترتراك كيف بك عند ذلك يا عمر قال عمرو يكون معي مثل عقلي هذا قال نعم قال فاذا أكفيكهما (داهية) مجرب للامور حاذق بها (ابله) عيي كثير الغفلة (معسر) فقير (تبع) أراد به تبعا الاكبر وهو الذي ذكر الله في كتابه قال صاحب التيجان اسمه شمور غش بن ناشر النعم وسمى أبوه ناشر النعم لانه أحيا ملك حمير بعد أربعين عاما وهي أيام ملك سليمان وسمى شمور غش تبعا الاكبر وان كانت العرب لم تسم قبله تبعا الا ان العرب لم يقم لها أحفظ منه وكان يتجاوز عن مسيئهم ويحسن الى محسنهم وكان جميع أهل الارض شاكرين لايامه وكان أعقل من رأوا من الملوك وأعلاهم همة وأبعدهم غورا وأشدهم مكرا لمن حارب وغزا جميع ملوك الآفاق وقطع بجيوشه الارض كلها شرقا وغربا ثم رجع الى قصر غمدان يدبر ملك الارض وذلت له ملوكها وعمر زمانا طويلا وهو أول من أمر بصنعة الدروع السوابغ جعل على أهل فارس ألف درع وعلى الروم ألف درع وعلى اليمن كذلك وعلى ممالكه كلها مثل ذلك فكانوا يغدون عليه كل سنة بذلك العدد ولذلك قال أبو ذؤيب

وعليهما مسرودتان قضاهما * داود أو صنع السوابغ تبع

وقال ابن الكلبي لم يملك الارض كلها الا ثلاثة أبرار وهم سليمان عليه الصلاة والسلام وذو القرنين وتبع وهو أسعد وأبو كرب وثلاثة كفار وهم النمروذ وبختنصر والضحاك * وأبو كرب الذي ذكر هو تبع وكان ملكا عظيما فتح البلاد وملك العباد وأقبل من اليمن يريد العراق فنزل الحيرة وحفر لهم نهرا وهو نهر الحيرة الى سوقها وبعث اليه حسان في جنده ليطوف الارض فمضى به حسان في عسكر عظيم جرار لا يمر بمدينة الا فتحها ولا ملك الا قهره وقيل في تسمية ملوك اليمن تبابعة انه لكثرة ما يتبع الملك منهم من الجنود وقيل سمى تبعا لانه تبع من قبله ولابن سكرة في معنى بيت المقامة

الجوع يطرد بالرغيف اليابس * فعلام تكثر حسرتي ووساوسي

والموت أنصف حين عدل قسمة * بين الخليفة والفقير البائس

(قوله وبعده العرض) يريد عرض الناس للحساب (يحوى) يضم (الحيي) المستحيي (البذى) المتكلم بالفواحش (المحتذى) المتبع الحاذي حذوه (رعى) ملك يريد أن العرض يعم الناس فيحتوى على العفيف والبذى وعلى الاغنياء والفقراء والملوك ورعيتهم ولا يتميز فيه أحد ولا يشرف الا بعمل صالح (قوله فيا مفاز المتقى) المفاز الخلاص (وقى) كفى (الموبق) المهلك (هول) خوف (بغى) ظلم و(تعدى) جاوز الحد في جوره (طغى) جاوز الحد في تكبره (شب) أوقد (الوغى) الحرب (وجل) خوف (اجترحت) اكتسبت (زلل) خطأ (زفير) نفخ (والشهيق) رد النفس مع البكاء بصوت (ردفه) خلفه (انفض) تفرق (شغر بغر) أي في كل طريق وعلى كل جهة (يهينم) يرد كلامه خفيا لا يفهم (يسبك يومه في قالب أمسه) استعارة أي يفعل في اليوم ما فعل في الامس (وفي ضمن ذلك) أي في أثنائه (يرن) يصوت (الرقوب) المرأة التي لا يعيش لها ولد (ولا بكاء يعقوب) يجوز رفع بكاء ونصبه والرفع أكثر * وبكى يعقوب على يوسف عليهما السلام حتى عمى وهو قوله تعالى وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم (استبنت) تحققت (الافراد) العباد يقال فلان فرد في فضله أي ليس له نظير والافراد سبعة من العباد لا تخلو الدنيا منهم حتى اذا مات واحد خلف الله تعالى في موضعه آخر (أشرب) خولط وغلب عليه (هوى الانفراد) حب الوحدة وقال ابن الرومي

الى الزهاد في الدنيا * جنان الخلد تشتاق * عبيد من خطاياهم * الى الرحمن اباق
حدتهم نحوه الرغبه * مع الرهبات فاستاقوا عليهم حين تلقاهم * سكينات واطراق
يضجون الى الله * ودمع العين مهراق

داهية أو أبله
أو معسر أو من له
ملك كملك تبع
وبعده العرض الذي
يحوي الحيي والبذي
والمبتدي والمحتذي
ومن رعى ومن رعي
فيا مفاز المتقي
وربح عبد قد وقي
سوء الحساب الموبق
وهول يوم الفزع
ويا خسار من بغى
ومن تعدى وطغى
وشب نيران الوغى
لمطعم أو مطمع
يا من عليه المتكل
قد زاد ما بي من وجل
لما اجترحت من زلل
في عمري المضيع
فاغفر لعبد مجترم
وارحم بكاء المنسجم
فأنت أولى من رحم
وخير مدعو دعي
(قال الحرث بن همام) فلم يزل يرددها بصوت رقيق ويصلها بزفير وشهيق حتى بكيت لبكاء عينيه كما كنت من قبل أبكي عليه ثم برز الى مسجده بوضوء تهجده فانطلقت ردفه وصليت مع من صلى خلفه ولما انفض من حضر وتفرقوا شغر بغر أخذ يهينم بدرسه ويسبك يومه في قالب أمسه وفي ضمن ذلك يرن رنات الرقوب ويبكي ولا بكاء يعقوب حتى استبنت انه التحق بالافراد وأشرب قلبه هوى الانفراد

مليك الملك هل عما * تطوقناه اطلاق
ففى أعناقنا طرا * من الآثام أطواق

﴿وللفقيه أبى العباس بن خليل﴾

فهموا اشارات الحبيب فهاموا * وأقام أمرهم الرشاد فقاموا
وتوسلوا بمدامع منهلة * تحت الدياجى والانام نيام
وتلوا من الذكر الحكيم جوامعا * جمعت لها الالباب والافهام
يا صاح لو أبصرت لبلهم وقد * صفت القلوب وصفت الاقدام
لرأيت نور هداية قد حفهم * فسرى السرور وأشرق الاظلام
فهم العبيد الخادمون مليكهم * نعم العبيد وأفلح الخدام
سلموا من الآفات لما استسلموا * فعليهم حتى الممات سلام

وقالوا فى هوى الانفراد الواحدة خير من القرين السوء وأنشدوا

أنست بالوحدة علما بها * فانها خير من الجمع
ألا ترى الواحد اصلا لما * يحسب من أصل ومن فرع
أترك من لا أرتجى نفعه * رجاء رب الضر والنفع

آخر

أنست بوحدتى حتى لوانى * أتانى الانس لاستوحشت منه
ولم تدع التجارب لى صديقا * أميل اليه الامات عنه

وقال آخر

اهرب بنفسك تستأنس بوحدتها * تلق الرشاد اذا ما كنت منفردا
ان السباع لتهدا فى مرابضها * والناس ليس بهاد شرهم أبدا

(قوله تفرس) أى علم بفراسته وجودة نظره (نويت) أضمرت فى نيتى (كوشف) أطلع عليه (زفر) نفخ (الاواه) الحزين الذى يصيح آه آه (أسجلت) صدقت (المحدثين) الذين حدثوه بنوبه السروجى (محدثين) هم المكاشفون من الزهاد الذى يحدثون بالغيوب كأن المكاشف قد حدث بما يقول وقيل المحدثون الصادقون ظنا وفراسة وقال صلى الله عليه وسلم قد كان فيمن قبلكم محدثون وان يكن من أمتى هذه فهو عمر بن الخطاب وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ألمعيا وهو الصادق الظن ودليل ما ذكره صلى الله عليه وسلم فى عمر حديث سارية بن زنيم وكان عمر رضى الله تعالى عنه قد أرسله فى جيش للمسلمين فألقى الله فى روع عمر رضى الله تعالى عنه وهو يخطب الناس بالمدينة ان العدو قد هزم المسلمين واشتد الخطب عليهم وكانوا بحضرة جبل فقطع عمر الخطبة وقال يا سارية الجبل فأسمع الله تعالى سارية من مسافة شهر نداء عمر فاشار بالمسلمين الى الجبل فتخلصوا (قوله المصافح) أى المعانق عند الوداع (نصب عينك) أى غرضها وقدامها وأول من قال اجعل الموت نصب عينك أمية بن أبى الصلت فى قوله

كل عيش وان تطاول يوما * صائر مرة الى أن يزولا
ليتنى كنت قبل ما قد بدا لى * فى رؤس الجبال أرعى الوعولا
فاجعل الموت نصب عينك واحذر * غولة الموت ان للموت غولا

(عبراتى) دموعى (يتصعدن) يترفعن (التراقى) العظمات المعوجات أعلى الصدر (خاتمة التلاقى) آخر القائه * ونذكرها جملة من الشعر فى ذكر الوداع الذى كان بينهما وتبعها كالتوديع منا لهما فى هذا الكتاب من رياض الآداب فانها كانت أنس الوحيد ومسلاة المريد فمن ذلك قول بعضهم

وداعك مثل وداع الربيع * وفقدك مثل افتقاد الديم
عليك السلام وكم من ندى * فقدناه منك وكم من كرم

يا خطرت بقلبى عزمة لارتحال وتحليته والتخلى بتلك الحال فكأنه تفرس ما نويت أو كوشف بما أخفيت فزفر زفير الاواه ثم قرأ فاذا عزمت فتوكل على الله فأسجلت عند ذلك بصدق المحدثين وأيقنت أن فى الامة محدثين ثم دنوت اليه كما دنو المصافح وقلت أوصنى أيها العبد الناصح فقال اجعل الموت نصب عينك وهذا فراق بينى وبينك فودعته وعبراتى يتحدرن من المآقى وزفراتى يتصعدن من التراقى وكانت هذه خاتمة التلاقى (قال الشيخ) الرئيس ابو محمد القاسم بن على برد الله مضجعه هذا آخر المقامات التى

﴿ذكر الوداع﴾

وقال آخر

أقول له يوم ودعتـــبه * وكــل بعبرته مبلس

لئن رجعت عنك اجسامنا * لقد سافرت معك الانفس

وقال أبو سعيد الهمذانى أنشدنى هلال بن العلاء حين ودعنى

لا ودعنـــك ثم تدمع مقلتى * ان الدموع هى الوداع الثانى

وأصوم بعدك عن سوالك فاغتدى * متقلدا صومين فى رمضان

فى فرقة الاحباب شغل شاغل * والموت صدقا فرقة الاخوان

﴿وأنشدنى أبو محمد بن حزم﴾

لئن أصبحت مرتحلا بشخصى * فقلبى عندكم أبدا مقيم

ولكن للعيان لطيف معنى * له سأل المعاينة الكليم

﴿وكرر هذا المعنى فقال﴾

يقول أخى شجاك رحيل جسم * وروحك ماله عنه رحيل

فقلت له المعاين مطمـــئن * لذا طلب المعاينة الخليل

وقال آخر

بانوا فاضحى الجسم من بعدهم * ما تبصر العـــين له فيا

وأسـفى منـه ومن قولهم * ماضرك الفـقد لنا شيا

بأى وجـــه أتلقاهـــم * ان وجدونى بعدهم حيا

وقال آخر

لا كان يوم الفراق يوما * لم يبـــق للمقلتين نوما

شتت منى ومنك شملا * فسر قوما وساء قوما

ياقوم من لى بفقد خل * يسومنى فى العذاب سوما

مالامنى الناس فيه الا * بكيت كما أزادلوما

وقال صاعد اللغوى

قلت له والرقيب يعجله * مستعجلا للفراق أين أ نا

هـــذ كفا فالى ترائبــه * وقال سر آمنا فأنت هنا

(قوله أنشأتها) أى صنعتها (الاغترار) الجهل والانخداع (امليتها) ألقيتها لمن يكتبها * واضطر اضطرارا اذا لم يجد بدا من فعله (أرصدتها) أعددتها (الاستعراض) أن تعرض على الناس حتى يروها (سقط المتاع) هجينه (يبتاع) يشترى (غشينى) غطانى (أودعتها) ضمنتها (اللغو) سقط الكلام (الاضاليل) جمع أضلولة وهى ما يضل به من ركبه (أسترشده) أستهديه (يعصم) يمنع (السهو) الخطا (يحظى) يسعد (العفو) المغفرة (قوله هو أهل التقوى) عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول ربكم عز وجل أنا أهل التقوى فلا يشرك بى غيرى وأنا أهل لمن اتقى أن يشرك بى أن أغفر له * انتهى الشرح بحمد الله وتوفيقه وحسن عونه وكان من توفيق الله تعالى أن أول حرف شرحت من اللغة فى هذا الكتاب حمد الله وآخر حرف ختمت به عفو الله وما رقع بين حمد الله سبحانه وتعالى والثناء عليه و بين عفوه عن عبيده مرجو من جميل صنعه الامتنان بالصفح عن جميع هذره وملتمس من جلاله تعالى وكرمه جزيل الاجر على ما ضمنته من حكم الآداب وغيره * وأذكر فصلا أدبيا فى العفو عن المذنبين أختم به الديوان فمن وقف عليه ووجد فى نفسه لذته واستشعر الرجاء وطمع فى العفو فرغبتنا اليه أن يسأل لنا العفو مع نفسه * فمن ذلك انه كان للمأمون خادم لوضوئه فبيناهو يصب الماء على يديه اذ سقط الاناء فغضب المأمون فقال له الخادم يا أمير المؤمنين ان الله تعالى يقول والكاظمين الغيظ قال كظمت غيظى قال والعافين عن الناس قال عفوت عنك قال والله يحب المحسنين قال اذهب فأنت حر * وأمر عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه بعقوبة رجل فقال له رجاء بن حيوة ان الله تعالى قد فعل ما تحب من الظفر فافعل ما يحب من

أنشأتها بالاغترار وأمليتها بلسان الاضطرار وقد ألجئت الى أن أرصدتها للاستعراض وناديت عليها فى سوق الاعتراض هذا مع معرفتى بانها من سقط المتاع ومما يستوجب أن يباع ولا يبتاع ولو غشينى نور التوفيق ونظرت لنفسى نظر الشفيق لسترت عوارى الذى لم يزل مستورا ولكن كان ذلك فى الكتاب مسطورا وأنا أستغفر الله تعالى مما أودعتها من أباطيل اللغو وأضاليل اللهو واسترشده الى ما يعصم من السهو ويحظى بالعفو انه هو أهل التقوى وأهل المغفرة وولى الخيرات فى الدنيا والآخرة

(ذكر العفو عن المذنبين)

العفو فطلع عنه العتبي وقعت دماء بين حيين من قريش فأقبل أبو سفيان فما بقي أحد واضع رأسه الا رفعه فقال يامعشر قريش هل لكم في الحق أو فيما هو أفضل من الحق قالوا وهل شيء أفضل من الحق قال نعم العفو فتبادر القوم فاصطلحوا قال المبارك بن فضالة كنت جالساً في السماط عند أبي جعفر اذ أمر برجل أن يقتل فقلت يا أمير المؤمنين قال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة ينادي مناد بين يدي الله عز وجل من كانت له يد عند الله فليقم فليتقدم فلا يتقدم الا من عفا عن مذنب فأمر باطلاقه * وكان رجل شريب جمع قوماً من ندمائه ودفع الى غلام له أربعة دراهم أن يشتري بها من الفواكه للمجلس فمر الغلام بباب مجلس منصور بن عمار وهو يسأل الفقير شيأ ويقول من دفع له أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات فدفع له الغلام الدراهم فقال له منصور ما الذي تريد أن أدعو لك قال أن يعتقني الله من رق العبودية فدعا منصور وأمن الناس قال والثانية قال أن يخلف الله علي الدراهم فدعا له وأمن الناس قال والثالثة يا غلام قال أن يتوب الله على مولاي فدعا له وأمن الناس قال والرابعة يا غلام قال أن يغفر الله لي ولمولاي ولك يا منصور وللحاضرين فدعا منصور وأمن الناس فرجع الغلام فقال له مولاه لم أبطأت فقص عليه القصة قال وبم دعا قال سألت لنفسي العتق قال اذهب فأنت حر قال والثانية قال ان يخلف الله علي الدراهم قال لك أربعة آلاف درهم قال والثالثة قال أن يتوب الله عليك قال تبت الى الله عز وجل قال والرابعة قال أن يغفر لي ولك وللواعظ وللحاضرين قال هذه الواحدة ليست الي فلما بات رأى في المنام كأن قائلاً يقول أنت فعلت ما كان اليك أتراني لا أفعل ما كان الي قد غفرت لك وللغلام ولمنصور وللحاضرين * قال يحيى ابن معاذ يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الاخلاص لاني أعتمد في الاخلاص على الاعمال وفي الذنوب أعتمد على عفوك وقال السلامي

نبسط اعلى الآمال أنا * رأينا العفو من ثمر الذنوب

وقال بكر بن سليمان الصواف دخلنا على مالك بن أنس في العشية التي قبض فيها فقلت يا أبا عبد الله كيف تجدك قال لا أدري ما أقول لكم ستعاينون من عفو الله تعالى ما لم يكن في حسابكم ثم ما خرجنا حتى أغمضنا عينيه * وفي الحديث لو لم تذنبوا لجاء الله بأمة يذنبون فيغفر لهم وقال أبو نواس

يا نواسي توقر * وتعزى وتصبر
ساءك الدهر بشيء * ولما سرك أكثر
يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك أكبر
أكبر الاشياء في أصغر عفو الله أصغر
ليس للانسان الا * ما قضى الله وقدر
ليس للمخلوق تدبير * بل الخالق دبر

وقال أبو العتاهية

الهي لا تعذبني فاني * مقر بالذي قد كان مني
فما لي حيلة الا رجائي * لعفوك ان عفوت وحسن ظني
يظن الناس بي خيراً واني * لشر الناس ان لم تعف عني
وكم من زلة لي في الخطايا * وأنت علي ذو فضل ومن
اذا فكرت في ندمي عليها * عضضت أناملي وقرعت سني

وهذا آخر شعر قاله أبو العتاهية وآخر شعر ختمت به هذا الشرح راجياً من ربي صفحه وعفوه والحمد لله أولاً وآخراً كما يجب لجلاله غفرانك اللهم تباركت وتعاليت والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله أجمعين وعن التابعين وتابعيهم باحسان الى يوم الدين

بحمد الله تم طبع شرح المقامات الحريرية لابي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي في المطبعة الخيرية بجماليه مصر المحميه تعلق كل من حضرتي السيد عمر حسين الخشاب والسيد محمد عبد الواحد الطوبي في أوائل ذي القعدة سنة ١٣٠٦ هجريه على صاحبها أفضل الصلاة والتحيه